

منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

المُعَاضِرَات

فِي الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ

تأليف

العسن اليوسي

(المتوفى عام 1102 هـ)

الجزء الأول

تمقيق وشرح

أحمد الشرقاوي إقبال

محمد حجّي

دار الغرب الإسلامي - بيروت

1402/1982م

المحاضرات
في اللغة والادب

جميع الحقوق محفوظة

١٩٨٢ م = ١٤٠٢ هـ

مقدمة الطبعة الثانية

ترجمة اليوسي في نصوص منسوبة

اسمه ونسبه وكناه

عرف اليوسي باسمه ونسبه في المحاضرات فقال :

« أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم
ابن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو بن يحيى بن يوسف ، وهذا هو أبو القبيلة
ابن داوود بن يدراسن بن يلتنن . . . » .

وشرح فيها نسبه باليوسي فقال :

« . . . وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مرّ من أن يوسف هو أبو القبيلة ،
وهم يسقطون الفاء في لغتهم . . . » .

وأورد بها كناه ومن كناه بها من الأشياخ والفضلاء فقال :

« والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود وأبو محمد ، أما أبو علي
وهي كنية الحسن المشهورة فكناني بها شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن ناصر
الدرعي ، وأما البواقي فكناني بها فضلاء من الإخوان في رسائلهم . . . » .

أولية أمره

وذكر اليوسي أولية أمره في فهرسه فقال :

« كنت في صغري نفوراً عن التعليم ، فكنت أتنبك المكتب وأكمن في طريق الصبية حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي كأني قد قرأت معهم ، وسبب ذلك أني كنت شديد الحياء في صغري حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي لأنه ألقى في وهمي أن من دخل المكتب كيف يتأتى له أن يخرج في قضاء حاجة الإنسان وكيف يمكنه أن يذكر ذلك ويشاور عليه المؤدب ، فلم يمكنني إلا الهروب ، فمكثت على ذلك مدة ، ثم توفيت والدتي فتكرت علي الأرض وأهلها

فما الناس كالناس الذين عهدتهم ولا الدار كالدار التي كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح ، فألقى الله في قلبي قبول التعليم فدخلت أتعلم . ولم ألبث إلا قليلاً حتى جعلت أطلب والدي أن يقربني إلى الأمصار طلباً للقراءة ، فقربني لناحية القبلة فحتمت القرآن العظيم ، ثم رجعت لبلادنا فذهبت لزيارة الولي الصالح سيدي أبي يعزى ، وقد وقع في سمعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده ، فحضر في قلبي ثلاث حوائج : العلم والمال والحج ، وذلك مبلغ عقلي في صغري ، فحصل ذلك والحمد لله ، وكان معلمي للقرآن هو أبو إسحاق بن يوسف الحداد اليوسي ، واستفدت منه فوائد ، وكان عنده مجموع فيه المورد العذب وبحر الدموع للإمام ابن الجوزي ، فكنت آخذه أنظر فيه حكايات الصالحين كأويس القرني ، وإبراهيم بن أدهم ، وإبراهيم الخواص وغيرهم ، فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان بدءاً لما أنعم الله به عليّ من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسليم لهم ، ثم شرعت في طلب العلم إلى أن فتح الله عليّ بما فيه فتح ، وكانت قراءتي

كلها أو جلها فتحاً ربانياً، ورزقت - والله الحمد - قريحة وقادة وفطنة ذكية فكنت بأذني سماع وأذني أخذ ينفعني الله ، فقد أسمع بعض الكتاب ويفتح الله عليّ في جميعه فتحاً ظاهراً وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه ، ورب كتاب لم أسمعه أصلاً غير أن سماع البعض في كل فن صار بدأ للفتح وتتميماً لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ ، ولا تستوحش مما ذكرناه من قلة سماع الكتب والفنون ظناً منك أن الربح يكون أبداً على قدر رأس المال كلاً فقد يبلغ الدرهم ألف مثقال ، وما ذلك على الله بعزيز ، انتهى من الفهرسة باختصار وزيادة ونقص .

نقلًا بالنص الحرفي التام عن « صفوة من انتشر » للافراني (ص 206 - 207) .

رحلته في طلب العلم ولقاء الأشياخ

أما رحلاته في طلب العلم ولقاء الأشياخ فيقول عنها الكتاني في فهرس الفهارس (2 : 465) ما نصه :

« جال المترجم في بلاد المغرب حاضره وباده لأجل طلب العلم وخصوصه بالصحراء وبلاد البربر وسوس وبلاد الساحل ، وأخذ عن أعلام فصل أخذه عنهم تلميذه الهشتوكي في « قرى العجلان » وإن لم يذكر ذلك هو في فهرسته ، على أنه لم يكملها ، نعم يروي عامة عن أبي عبد الله بن ناصر الدرعي ، وشيخه ابن سعيد المرغتي السوسي ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي المعروف بالمرابط ، وأبي السعود عبد القادر الفاسي . »

ثم يقول عنه - بعد - رواية عن المسناوي تلميذه :

« لم يكن له اعتناء بالرواية ، وإنما كان الغالب عليه الدراية . »

وتصوف اليوسي على يد الشيخ أبي عبد الله بن ناصر ، أخذ عنه العهد ،
وصار يلقتن طريقته للمريدين ، وفي هذا الشأن يقول الافراني في الصفوة
(ص 209) :

« وأما علم الباطن فعمدته فيه هو الإمام أبو عبد الله بن ناصر ، هو طيب
علته ومبرد غلته ، قال في الفهرس : هذا الشيخ هو الذي أخذنا عنه العهد
والورد ، وإليه ننتسب ، وكل من نذكره سواه فإنه على طريق انتفاع ما انتهى .»

واليوسي هو الذي أنشأ الزاوية الناصرية القائمة بمراكش والواقعة بحي
روض العروس قريباً من ضريح الشيخ أبي عمرو القسطلي وضريح الشيخ
الجزولي أخبر بذلك العباس بن إبراهيم في أعلامه (3 : ص 163) فقال :

« والمترجم سيدي الحسن اليوسي هو الذي أنشأ الزاوية الناصرية برياض
العروس بمراكش على ما حدثني به سيدي الأمين الناصري .»

ثناء العلماء عليه

نعتة الشيخ محمد المرابط الدلائي في إجازته له فقال :

« . . . الصدر الرئيس ، فارس الإملاء والتدريس ، شيخ الجماعة بالديار
البكرية ، والحضرة الدلائية ، ذو التدقيق المعهود أبو الحسن بن مسعود ،
صاحب النباهة الشائخة ، والنزاهة الباذخة ، والجلالة العليا ، والهمة التي
نيطت بالثريا ، المتمسك من الرواية بأسبابها ، ومن النزاهة بأهدابها ، من
ألقته إليه المعارف زمامها ، وجمعت السيادة ما وراءها من المجد وأمامها . . . »

(فهرسة اليوسي) مخطوطة الخزانة العامة (رقم 1234 ورقة 67)

وقال عنه أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي فيما أجازته به :

« . . . الفقيه العلامة ، المحقق الفهامة ، الصدر الأوحى ، والعلم المفرد .
رئيس الإقراء ، والمتهيب للمناصب العلمية الشماء ، الباذل في إيصال النفع
لطالبيه غاية المجهود ، أبو علي الحسن بن مسعود . . . » .

« نشر المثاني » لابن الطيب القادري (2 : 146 - 147) طبع الحجرية
بفاس ١٣١٠ هـ .

وقال عنه الافراني في الصفوة :

« وكان أبو علي رحمه الله تضلع في العلوم العقلية وبرز فيها على أبناء
وقته حتى قال في تأليفه المسمى « بالقول الفصل ، في الفرق بين الخاصة
والفصل » إنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتازاني والسيد الجرجاني وأضرابهما
بحيث يقبل من كلام العلماء ويرد ، وسأله يوماً سائل بدرسه عن مسألة فقال
له : اسمع ما لم تسمعه من إنسان ، ولا تجده محرراً في ديوان ، ولا مسطراً
بينان ، وإنما هو من مواهب الرحمان » .

نقلًا عن صفوة من انشر للافراني (ص 208) .

ثم زاد يقول :

« وكان شاعراً مفلحاً ، النظم عنده أسهل من التنفس حتى كان يقول
لو شئت ألا أتكلم إلا بالشعر لفعلت » . صفوة من انشر (ص 210) .

وذكره ابن زاكور في نشر أزاهر البستان (ص 88) فقال بشأنه :

« . . . حبر الأخبار ، وجهينة الأخبار ، وزين القرى والأمصار ،

العظيم النظير في سائر الأقطار ، من أسعد بمطالع أنواره كواكب نحوسي ،
وأعراني من ملابس بوسي ، وألحفي بمطارف المسرات عن حنادس عبوسي ،
مولاي أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي . . . » .

وقال عنه ابن الطيب القادري في نشر المثنائي (2 : 142) المطبعة
الفاضية 1310 هـ :

« الإمام الكبير ، المحقق الشهير . . . كان عالماً ماهراً في المعقول والمنقول ،
وأقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً ، فكان حيثما قرأ أطبق عليه الناس ، وكان
آية في الأدب والنقل والإدراك ، وحفظ كلام الأدباء ، يستحضر ديوان
أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائد عن ظهر قلب . » .

ثم قال عنه (2 : 151) :

« وكان له أصحاب وأتباع وإقبال من الناس ، ولا يكون مجلسه إلا
خاصاً بالأعيان ، وكان محققاً للدراية والرواية ، له عارضة كبيرة في النقل
والتحقيق وحكي لنا أنه بقي في تدريس تفسير الفاتحة بفاس نحو ستة أشهر . . . » .

وأطراه الكتاني في فهرس الفهارس (2 : 464) فقال :

« . . . عالم المغرب ونادرته وصاعقته في سعة الملكة وفصاحة القلم واللسان
مع الزعامة والإقدام والصدع بما يترأى له وكثرة التصنيف على طريق بعد
العهد بمثله وهو الكلام المرسل الخالي من النقل إلا ما لا بد منه . . . » .

ونوه الحجوي بمشاركته ورياسته في الفكر السامي (4 : 116) فقال :

« . . . فقيه ، أصولي ، لغوي ، أخباري ، أديب ، شاعر ، نظار ،

مشارك . ماهر في الفنون ، انتهت إليه الرياسة الكبرى في العلم في وقته .
وله شهرة ذائعة في المغرب والمشرق . . . » .

مجدد المائة الحادية عشرة

ارتفعت مكانة اليوسي عند الناس وعلا مقامه بين أهل العلم حتى ادعي له أنه مجدد المائة الحادية عشرة ، وفي هذا الشأن يقول الافراني في الصفوة (ص 208) :

« . . . وبالجمللة فهو آخر العلماء بل خاتمة الفحول من الرجال حتى كان بعض أشياخنا يقول : هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه » .

وفي سلوة الأنفاس للكتاني (3 : 82) :

« . . . وقد عد من المجددين على رأس القرن الحادي عشر . . . » .

وجاء في أعلام العباس بن إبراهيم (3 : 162) رواية عن : « إفادة

التنبيه ، فيمن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه » ما نصه :

« ومنهم عالم المغرب ونادرة الدنيا في وقته الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله عنه سمعت من يقول من وعاة التاريخ ببلدنا : لو كان له مذهب لاتبع » .

وفاة اليوسي

« ومما يعد من مناقبه أن قوماً ذهبوا لزيارته فبينما هم في الطريق رأى رجل منهم في نومه أن الشمس قد غربت فقصها على أصحابه فقالوا له : لعل الشيخ قبض الليلة ، فلما بلغوه وجدوه قد توفي تلك الليلة » .

صفوة من انتشر (ص 210) .

« توفي رحمه الله ورضي عنه عقب قفوله من الحج يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة عام اثنين ومائة وألف ودفن بموضع يعرف بتميزت بقرب قرية صفرو على نصف مرحلة من فاس ونقل من مدفنه بعد نحو عشرين سنة إلى موضع آخر هنالك فوجد كما دفن رضي الله عنه على ما حكى ، ومثل هذا معلوم لغير واحد من أولياء الله » .

نشر المثاني ج 2 ص 151 . الطبعة الفاسية 1310 هـ .

وقال الكتاني في السلوة (3 : 81) عن قبره :

« . . . وهو في قبة رفيعة أنيقة عليه دربوز يزار به . . . » .

مراجع ترجمة اليوسي

- * التقاط الدرر ، ومستفاد المواعظ والعبير ، من أخبار أعيان المائة الثانية والحادية عشر ، للقادري ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 676 د .
- * الأدب المغربي لابن تاويت وعفيفي ، ص 311 وما بعدها ، الطبعة الأولى بيروت 1960 .
- * الاستقصا للناصري ، ج 7 ص 108 – 109 ، طبعة دار الكتاب المغرب .
- * إظهار الكمال ، في تميم مناقب سبعة رجال ، للعباس بن إبراهيم التعارجي ، ص 286 – 288 المطبعة الحجرية بفاس .
- * الأعلام لخير الدين الزركلي ، ج 2 ص 227 – 228 ، الطبعة الثانية .
- * الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، للعباس بن إبراهيم التعارجي ، ج 3 ص 154 – 163 ، المطبعة الملكية بالرباط 1975 .
- * تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، الملحق (2 : 675 – 676) .
- * تاريخ أدب اللغة العربية لخرجي زيدان ، ج 3 ص 306 – 307 ، طبعة دار الهلال 1975 .

* تاريخ تطوان ، لمحمد داوود ، القسم الثالث من المجلد الأول ص 411 -
415 ، تطوان 1959 .

* تاريخ الشعر والشعراء بفاس ، لأحمد النميشي ، ص 32 . فاس
1924 .

* الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ، للدكتور محمد الأخضر
الطبعة الأولى ، الدار البيضاء 1977 .

* الدرر المر - ، في أخبار أعيان درعة ، لأبي عبد الله محمد المكي بن
موسى الناصري ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 265 ك .

* دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، لابن سودة، ج 1 ص 88 - 188 ج 2
ص 312 .

* الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، للدكتور محمد حجي .
الرباط المطبعة الوطنية 1964 .

* سلوة الأنفاس ، ومحادثة الأكياس ، عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ،
لمحمد بن جعفر الكتاني، ج 3 ص 361 - 362 ، المطبعة الحجرية بفاس
1316 هـ .

* شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ص
328 - 329 ، نشرة دار الكتاب العربي ببيروت .

* صفوة من انتشر ، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، لمحمد الصغير
الافراني ، ص 206 - 210 ، المطبعة الحجرية بفاس دون تاريخ .

- * الفكر السامي ، في تاريخ الفقه الإسلامي ، لمحمد بن الحسن الحجوي
الثعالبي ، ج 4 ص 116 - 118 .
- * فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات ،
للشیخ عبد الحی الکتانی ، ج 2 ص 464 - 470 ، فاس سنة 1347 هـ .
- * مؤرخو الشرفاء لليفي بروفنصال ص 189 - 191 . ترجمة عبد القادر
الخلادي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1976 .
- * معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ، ج 3 ص 394 - 395 .
- * معجم المطبوعات ، ليوسف اليان سرکيس ، 1959 .
- * مناقب الحضيكي ، ج 1 ص 295 - 301 ، المطبعة العربية بالدار البيضاء
1357 هـ .
- * المنزوع اللطيف ، في التلميح بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ، لابن
زيدان ، ص 309 مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 395 .
- * النبوغ المغربي ، في الأدب العربي ، لعبد الله كنون ، ج 1 ص 285 - 286
ج 2 ص 307 - 314 ج 3 ص 37 - 38 ، دار الكتاب اللبناني
(بيروت) 1961 .
- * نزهة الحادي ، لمحمد الافراني ، ص 245 وما بعدها .
- * نشر أزاهر البستان ، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان ، لمحمد بن قاسم
ابن زاكور ، ص 88 - 90 ، المطبعة الملكية بالرباط 1967 .

* نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، لمحمد بن الطيب القادري
ج 2 ص 142 – 151 ، المطبعة الحجرية بفاس 1310 هـ .

* يتيمة العقود الوسطى ، في مناقب أبي عبد الله محمد المعطي ، لمحمد العبدوني ،
مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 305 ك .

* اليواقيت الثمينة ، في أعيان مذهب عالم المدينة، لمحمد البشير الأزهرى ،
ج 1 ص 133 – 135 ، مطبعة الملاجيء العباسية مصر 1324 هـ .

* اليوسي – مشاكل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر ، للمستشرق الفرنسي
جاك بيرك ، باريس موطنون ومن معه ، لاهاي ، 1958 .

آثار اليوسي

خلف اليوسي نيفاً وأربعين أثراً كتابياً ما بين كتاب ورسالة وهذا مسرد بطائفة منها :

(1) أربعة وعشرون سؤالاً في مصاحبة الشيخ وتأدية الأوراد . . . الخ
يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط برقم 612 ج ضمن مجموع (من ورقة 48 ب / إلى 52 / أ) .

(2) تأليف في العكاكرة (من الفِرَقِ المغربية الضالة) .
يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط برقم 1224 د ضمن مجموع (من ورقة 167 - 168) .

(3) حاشية على كبرى السنوسي .
توجد مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط برقم 2645 ك وبمكتبة القرويين بفاس وبالمكتبة الحمزاوية وبتدار الكتب المصرية .

(4) الديوان .
يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط وبالجزائر وباريس وصدرت له طبعة على الحجر بفاس .

(5) رسالة في نعيم أهل الجنة .
توجد مخطوطة بمكتبة ابن غازي بمكناس .

(6) زهر الأكم في الأمثال والحكم .

منه مخطوطات بالخرزاة العامة بالرباط بالأرقام التالية (71 د 191 د 1001 د 1159 د 596 ج 178 ج) ويوجد مخطوطاً بمكتبة الجزائر (184280) وبمكتبة القرويين بدون رقم وبدار الكتب المصرية (14097 - 14842) أدب وبالمكتبة الوطنية بباريس (52304) .

وهو على وشك أن يصدر محققاً عن معهد الدراسات للتعريب بالرباط .

(7) فهرس اليوسي .

يوجد مخطوطاً بالخرزاة العامة بالرباط (1234 ك) ضمن مجموع (من 103 - 147) .

وبشأنها يقول الكتاني في فهرس الفهارس (2 : 465) ما نصه :

« وليوسي فهرسة مألها علماً وتطاولاً بعد العهد بمثله . وكان يريد إخراجها في جزء كبير ، ولكن لم يكملها ، والذي تم منها في نحو خمس كراريس ، قال في أولها إنه رتبها على مقدمة تشتمل على فوائد وخمسة فصول : الفصل الأول في ذكر أشياخه في التعليم مع الإمام بشيء من الفوائد الواقعة معهم ، الثاني في ذكر الأشياخ في الدين ولو بطريق التبرك ، الثالث في ذكر شيء مما ألهم الله في آية أو حديث أو شعر أو كلام من فهم طريق الإشارات ، الرابع في ذكر شيء مما خوطبت أو خاطبت به من نثر أو نظم ، الخامس في جمع الفوائد المفقوطة من أي نوع كان » .

(8) القانون (موسوعة) .

يوجد مخطوطاً بالخرزاة العامة بالرباط وبالمكتبة الوطنية بباريس . طبع على الحجر بفاس عام 1310 هـ ثم عام 1315 هـ .

(9) القصيدة الدالية .

في مدح الشيخ محمد بن ناصر .

توجد منها نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط وبمكتبة القرويين وكذا بالقاهرة وباريس .

وطبعت مع شرحها بمصر عام 1291 هـ ثم عام 1329 هـ .

(10) قواعد الإسلام ، من مضمون حديث النبي عليه السلام .

(مضمونه واجبات المكلف) .

يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة ضمن مجموع (ورقة 27/أ - 42/أ) .

(11) القول الفصل ، في الفرق بين الخاصة والفصل .

مخطوط بالخزانة العامة برقم (1072) د ضمن مجموع (من 196-223)

(12) الكناشة العلمية .

أودع فيها أشياء من التفسير والحديث والتصوف والتاريخ .

وتوجد مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط .

(13) المحاضرات .

سيأتي الكلام عنها بعد .

(14) مشرب العام والخاص ، من كلمة الإخلاص . أو منهج الخلاص من

كلمة الإخلاص .

طبع على الحجر بفاس عام 1327 هـ .

(15) منظومة في بحر الرجز تشتمل على التوحيد والطهارة والصلاة

والزكاة والحج والتصوف على مثال المرشد المعين لابن عاشر .

منها مخطوطة كتبت في حياة المؤلف عام 1099 وهي محفوظة بالخرزانة العامة بالرباط برقم 1164 د ضمن مجموع (من ورقة 124 / أ-131/ب) .

(16) نفائس الدرر على شرح المختصر للسنوسي (في المنطق) .

يوجد مخطوطاً بالخرزانة العامة بالرباط (1072 د) ضمن مجموع من ص 52 إلى ص 195 (1751 ك) وفي مكتبة القرويين بدون رقم ، وبمكتبة الجزائر ومكتبة باريس .

(17) نيل الأمانى ، في شرح التهانى .

هو شرح على داليتة في مدح الشيخ محمد بن ناصر .

يوجد مخطوطاً بالرباط والجزائر والقاهرة وباريس .

وقد طبع مع الدالية بالإسكندرية عام 1291 هـ ثم بالقاهرة عام 1329 هـ .

ثم انظر فهرساً مفصلاً بتأليف اليوسى في كتاب الزاوية الدلالية ودورها الدينى والعلمى والسياسى (ص 102 - 108) .

كلمة عن المحاضرات اليوسية

علم المحاضرات أحد العلوم التي تتفرع عن علم الأدب العربي وتكون
شعبة من شعبه الهامة ، وعلم المحاضرات هذا عرف به أحمد بن مصطفى
الشهير بطاش كبري زاده في كتابه مفتاح السعادة (1 : 226) فقال :

« علم المحاضرات ، وهو علم تحصل منه ملكة إيراد كلام للغير مناسب
للمقام من جهة معانيه الوضعية أو من جهة تركيبه الخاص ، وغرضه تحصيل
تلك الملكة ، وفائدته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير على
ما يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيه الأصلية ومن جهة خصوص ذات
التركيب نفسه والفرق بينه وبين علم المعاني أن المعاني تطبيق المتكلم كلامه
على مقتضى الحال وكلام الغير على خواص لائقة بحاله ، والمحاضرات استعمال
كلام البلغاء أثناء الكلام في محل مناسب له على طريق الحكاية » .

كتب المحاضرات

وسرد حاجي خليفة في كشفه بعض ما ألف في هذا العلم من الكتب فقال :

«... ومن الكتب المصنفة فيه :

ربيع الأبرار ، وأبو قماش ، والتذكرة الحمدونية ، وريحانة الأدب ،
والعقد الفريد ، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبي القاسم
حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، وهو عمدة هذا الفن بين
الفضلاء .

المحاضرات والمحاورات ، للسيوطي .

محاضرات الأبرار ومسامرة الأنخيار ، للشيخ الأكبر محيي الدين محمد
ابن علي المعروف بابن عربي ... » .

ويتصنف في كتب المحاضرات كل كتاب أدبي تنوعت مواده وجمع
محتواه بين الفائدة والإمتاع ، وكان على شاكلة الكتب التي في مسرد حاجي خليفة .

وقد ظهرت كتب المحاضرات تتراى في العهود الإسلامية الماضية
وتكاثرت أعدادها على ذلك المدى الطويل فشغلت حيزاً واسعاً في مكتبة
الأدب العربي .

محاضرات اليوسي

بدأ اليوسي كتابه المحاضرات عام 1095 هـ الموافق سنة 1684 م ،
بدأها وهو في رحلة ببلاد مصمودة قال عنها في المحاضرات نفسها :

« ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصاً في بلد رجراجة من هذا كثيراً بقي عندهم موروثاً خلفاً عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين ، ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفارة التي بدأت فيها هذه الأوراق وذلك سنة خمس وتسعين وألف لم أوافقهم في فعل كثير مما يفعلون مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قريبة لا بأس بها . »

ويذكر اليوسي الباعث على الأخذ في تأليفها فيقول :

« وإني قد اتفقت لي سفرة بان بها عني الأهل شغلاً وتأنيساً ، وزايلني العلم تصنيفاً وتدريساً ، فأخذت أرسم في هذا المجموع بعض ما حضر في الوطاب ، مما أحال فيه أوحان له إرطاب ، وسميته المحاضرات ليوافق اسمه مسماه ، ويتضح عند ذكره معناه ، وفي المثل : « خير العلم ما حوضر به » وإنما أذكر فيه فوائد وطرفاً ، وقصائد ونتاجاً ، وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من ملح ، مما ينتقى ويستملح ، ولا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلا شرحته ، ولا لطيف إلا وشحته ، وذلك هو لباب الكتاب ، وفائدة الخطاب ، والله الملهم للصواب . »

وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن ، وفيه سر يستحسن ، وكما أن المقصود من الأشجار ثمارها ، فالمطلوب من الأخبار أسرارها .

وإنما حملني على الأخذ فيه أمور منها ابتعادي من البطالة ، التي هي مدرجة الجهالة والضلالة ، ومنها إفادة جاهل ، أو تنبيه غافل ، ومنها تخليد المحفوظ لئلا ينسى ، وتفصيله نوعاً وجنساً ، ومنها استمطار علم جديد ، عند الاشتغال بالتقيد ، فإن العلم كالماء نباع ، وبعضه للبعض تباع ، وما هو في قلب الذكي الفؤاد ، إلا كما قال امرؤ القيس عند وصف الجواد :

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسي بعد المخيض

ومنها تعليل النفس . ببعض الأنس ، فإن النفس ترتاح إلى الأحماض ،
وتستشفى بروحه من الامضاض ، ولا سيما مثلي ممن ترامت به الأقطار ،
وتباعدت عنه الأوطان والأوطار .

حاضر اليوسي في كتابه المحاضرات بنسبه وباسمه وكنيته وما جرى له في
ذلك من الاتفاقات الحسنة والمبشرة ، وأورد مع ذلك فوائد التسمية والتكنية
والتلقيب وما تعتد به العرب في ذلك من التكرمة والتنويه أو من الضعة والتحقير .

وجاء فيها بمباحث أصولية وفقهية وصوفية فيها دقة نظر وسعة أفق
واعتبارات بالأحوال وتعليلات متنزلة على أمور نفسية واجتماعية يكون بها
اليوسي نظاراً أريباً ومفكراً حصيفاً .

وأتى بنصوص أدبية شعراً ونثراً مما أنتجه أدباء العربية في مختلف العصور
التي سبقت زمانه .

وأورد الملح والمضحكات من غير أن يأتي من ذلك بما ينحل بوقار العلماء
ورصانة الأشياخ .

وضمنها الأجوبة المسكته ، وأبيات المعاني ، وطائفة من الملاحن والألغاز
ومسرداً بالأوليات .

وعقد اليوسي باباً في المواعظ والحكم والوصايا افتتحه بشيء من كلام
الرسول عليه السلام ثم قفاه ببعض من كلام الصديق والفاروق رضي الله عنهما ،
ثم قفى ذلك بزهاء الأربعمائة من حكم الإمام علي كرم الله وجهه ووصاياها ،
وأتل ذلك بأشعار بعضها لعدي بن زيد العبادي وبعضها لأبي العتاهية وبعضها
للوراق ثم أورد نونية البستي فبائية صالح بن عبد القدوس بعدها تائية
المقرئ اليمني .

ثم أنهى اليوسي محاضراته بمسرد سمي فيه من لقيهم من الأشياخ والعلماء
من دون أن يقول عنهم شيئاً ، وابتدأ ذلك المسرد يقول ما لفظه :

« خاتمة – أسرد فيها من حضر الآن في فكري ممن لقيت وتبركت به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح تبركاً بهم فإنه قد قيل : « تنزل الرحمات عند ذكر الصالحين ولم أتعرض لأحوالهم لأن ذلك يطول ، والكتاب غير موضوع له فاكتفيت بذكر أسمائهم » .
وكان عدد الذين ذكرهم في المسرد نيفاً وخمسين ، وبانتهاء ذلك المسرد تنتهي المحاضرات اليوسية .

وأبواب المحاضرات وفصولها مختلفة الأحجام متفاوتة المقادير ، واليوسي يفصل ما بينها بالعبارة القرآنية التي تقول : (لله الأمر من قبل ومن بعد) وهو قد حجز ما بين الأقسام بذلك الفاصل خمساً وثلاثين مرة .
ويفتح اليوسي بعض الأبواب بتقدمات كالذي فعله في باب الملح إذ قال : « رأيت أن ألم بملح من الأدب تميماً للكتاب ، وإمتاعاً لذوي الألباب ، فإن النفس ملول والأذن مجاجة ، وفي التلون والانتقال تطيب لها وتنشيط كما قيل :

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة إلاّ التنقل من حال إلى حال
وذلك كله مما يصلح للمحاضرات ويوافق شرط الكتاب ويعد من الأدب »
وكما قال وهو يورد المضحكات :
« وهذه نبذة في المضحكات وكل ما تنبسط به النفس من الملح ، واعلم أن هذا النوع هو للعقل فاكهة كما أن الحكمة السابقة هي غذاؤه وقوامه ، فلا بد من كل منهما في استصلاح العقول وإزالة جساوتها وتنمية ذكائها غير أن الملح تكون بقدر الحاجة كالملاح للطعام » .
وقدم للألغاز وأبيات المعاني بقوله :

« وهذه نبذة من أبيات المعاني والألغاز وأتبعناها للحكم والأجوبة المسكنة للمناسبة الظاهرة ، فإن الكل منشؤه الذكاء والفطنة ، والألغاز وإن كانت – كما قال المحققون – صنعة البطالين لا نريد أن نخلي الكتاب من شيء منها لقصد التفنن والإحماض . . . » .

ويبدو اليوسي في المحاضرات جَدِلاً شديداً العارضة قوي الحجّة مقتدراً على الإفحام .

واليوسي في المحاضرات جريء مقدام يمحس ويحقق ويجلي العويص ويجهر برأيه جهراً لا يخافت فيه .

وتشهد المحاضرات على اطلاع اليوسي الكبير وعلمه الغزير ومشاركته الواسعة في مختلف العلوم والفنون .

والمحاضرات تشبه في مواضع منها أن تكون رحلة سجل فيها اليوسي تنقلاته هنا وهناك وأخبر فيها بالذي رأى وسمع ، وذكر فيها ما جريات وقعت له مع الناس الذين التقى بهم من جميع المستويات .

وكذلك تضاهي المحاضرات أن يكون فيها نوع من الترجمة الذاتية ، فإن اليوسي ذكر بها اسمه وكنيته ونسبه ومن تعلم عليهم وأشياء مما جرى عليه من خير وشر .

ويمثل أسلوب اليوسي في المحاضرات نمطاً من أسلوب الكتابة في عصره إن لم يكن به طبقة عليا بين الكتاب فهو من المجيدين الفارحين .

ثم نختتم كلمتنا في المحاضرات بما كتبه الشيخ عبد الحي الكتاني بشأنها وهو يترجم اليوسي في فهرس الفهارس : (2 : 469) فقال :

« وكتابه المحاضرات عجيب في بابه غريب في ترتيبه وأسلوبه وكأنه في ترجمة نفسه ألفه بسبب ما كان وقع بينه وبين أبي زيد عبد الرحمان بن عبد القاهر الفاسي رحمهم الله لما افتتح التفسير بالقرويين ، والكتاب المذكور كاف في مقدار معرفة تصرفه وسيلان قلمه الزاخر » .

طبع المحاضرات اليوسية

طبعت المحاضرات اليوسية على الحجر بفاس من سنة 1317 هـ وبمرور الزمن عادت تلك الطبعة نادرة يتغالى بثمنها الكتييون ويشاحون فيه فأصبح الحصول عليها عسيراً غير يسير .

ثم طبعت ثانية في دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط في سلسلة الأدب برقم (1) بإشراف الدكتور محمد حجي معتمداً فيها الطبعة الفاسية مع الرجوع عند الإشكال إلى مخطوطة المكتبة العامة بالرباط عدد 2329 ك . فسدت هذه الطبعة الحاجة العجلى إليها ، ولكن المحاضرات ظلت بحاجة إلى طبعة محققة تحقيقاً وثيقاً وأميناً معه الهوامش والشروح والتخریجات التي تساعد على قراءتها مأمونة ومفيدة ، وذلك ما قمنا عليه بنفس طويل في هذه الطبعة التي قضينا في إعدادها ثلاثين شهراً واصبة دائبة .

مخطوطات المحاضرات اليوسية

مخطوطات المحاضرات عديدة ، وهي محفوظة في مكتبات عامة وخاصة داخل المغرب وخارجه وما اعتمدناه منها في هذه الطبعة ثلاث :

(1) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم 32 ج) وهي بخط مغربي دقيق جميل جداً ملون بالحمرة ، في هوامشها ط. ر قليلة تدلّ على أن كاتبها له حظ من علم اللغة ، وتوجد في مجموع مسبوقة بديوان اليوسي (من صفحة 245 إلى صفحة 366) وكان انتساخها بعد وفاة المؤلف بنحو خمسين سنة وكتب في نهايتها ما نصه :

« انتهى بحمد الله وحسن عونه من خط المصنف بواسطتين عند العصر يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف »
وهي التي اعتمدنا نصها ، ونشير إليها في الهوامش بالأصل .

(2) مخطوطة المكتبة العامة بالرباط (رقم 20329 ك) . وهي أقدم زمناً من السابقة ببضع عشرة سنة وبها نصوص شعرية ونثرية زائدة ، ولكنها أقل ضبطاً وإتقاناً وقد كتب ناسخها بآخرها ما نصه :

« انتهى ما وجد من هذا التقييد على يد محمد بن الطيب بن علي الحسيني وكان الفراغ منه ضحوة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى عام ستة وثلاثين ومائة وألف » .

وهي التي رمزنا إليها في الهوامش بالحرف : (ك) .

3) مخطوطة كانت في ملك العلامة الوزير الكاتب الشاعر المؤرخ أبي عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس المتوفى سنة 1294 هـ مؤلف كتاب الجيش الحرمم الحماسي الشهير ، أعارنا إياها حفيده سيدي أحمد أكنسوس أحد شيوخ التربية والعلم بمراكش . وتأتي أهميتها من الشروح والتصويبات التي كتبها على طررها أبو عبد الله أكنسوس بخط يده وقد أثبتنا جلها على الهوامش . وهذه المخطوطة هي التي نشير إليها بالحرف (س) .

واسترفدنا كذلك الطبعة الفاسية في المقابلة والتصحيح فأجدت وأفادت ، ودلنا عليها في الهوامش بالحرف (ح) .

والزائد الذي أضفناه إلى الأصل رواية عن المخطوطتين : الكتانية أو الكنسوسية أو عن الطبعة الفاسية وضعناه بين معقوفين هكذا : [. . .] والثابت في الأصل إذا نقص من المخطوطتين أو من الطبعة الفاسية جعلناه بين حاصرتين كالتالي : < . . . > وحصرنا الآي القرآنية داخل قوسين هكذا (. . .) والكلم النبوية داخل قوسين هكذا « . . . » .

عملنا في التحقيق

* حررنا النص تحريراً وثيقاً أميناً ، وبذلنا في ذلك غاية الوسع وأمد الطاقة .
* أثبتنا الاختلاف الموجود بين المخطوطات الثلاث التي اعتمدناها ،
وأشرنا كذلك إلى الاختلاف الواقع بينها وبين الطبعة الفاسية ، ولكننا لم
نستقص في المقابلة إلى الحد الذي يجعلنا نتبع توافه الأمور .

* غطينا المحاضرات بالشروح والتخریجات والتراجم ، وسوّدنا طررها
بالهوامش والتكميلات ، وتجاوزنا ذلك إلى أن حاضرنّا مع اليوسي بطريف
الشعر ، ونادر الخبر ، وبالنقل العزيز ، قصد إغناء النص بما يمتنع ويفيد ،
واستحثنا للقارىء على الاسترسال في القراءة وهو الراغب الحريص .

* وضعنا عناوين يتعرف منها القارىء على ما تحتويه المحاضرات من
مختلف المباحث وأشتات المواضيع ، وجعلناها بين معقوفين هكذا [. . .]
إشارة إلى أنها من عملنا لا من وضع المؤلف .

* ألحقنا بالمحاضرات فهرس يهتدي بها القارىء والباحث إلى ما يريدان
منها وجعلناها أصنافاً كالتالي :

فهرس الأعلام .

فهرس الأجناس والأمم والطوائف .

فهرس البقاع والآثار .

- فهرس الأشعار .
- فهرس أنصاف الأبيات .
- فهرس الأرجاز .
- فهرس الملحون .
- فهرس الكتب .
- فهرس الأمثال .

* أثبتنا بالآخر المصادر التي كثر رجوعنا إليها في الشروح والتراجم والتخریجات .

أما بعد فقد تحملنا عناء التحقيق عسى أن يتحمل القارىء كلفة القراءة آملياً أن يعود كلُّ بمردوده فيما ابتغاه من الإفادة والاستفادة ، آمين . والحمد لله رب العالمين .

المحاضرات لليوسي

نص محرر محفوظ
على ثلاث نسخ فطية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل من سماء رحمته غيثاً نافعاً ، فأثبت به في قلوب عباده زهراً فاخراً [وثمرأ] (1) يانعاً .

زهـر من العلم والعرفان مؤتلق في الطرس والنفس يستهدى (2) بألوان
وثمر يجتنيه الأذكىاء بتشـ مير ولا يجتنيه القدم (3) والواني
لله در كرام فاز فائزهم قدماً بحلب درور (4) منهملبان (5)
وبابتناء مبان (6) منه سامية لا بيتي مثلها في دهره الباني
هذا هو المجد في الدارين والشرف الـ محض الذي ما له في فضله ثان

- (1) سقطت كلمة « وشعراً » من ك و ح .
- (2) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « يستهوى بالواو » .
- (3) في طرة س بخط أكنسوس ما لفظه : « بالمهملة : أي الجاهل الغبي » .
- (4) بفتح الدال أي الناقة الكثيرة الدر أي اللبن .
- (5) أراد بالملبان الغزيرة اللبن ، ولم ترد هذه الصيغة في المعاجم التي فتشناها ، وفيها « الجمهرة » ، و « التهذيب » ، و « الصحاح » ، و « المقاييس » ، و « اللسان » ، و « التاج » ، فإما عرف اليوسي ما لم نعرفه ، أو هو صاغها على نحو ما جاء من أمثالها عن العرب ، وهم قد قالوا : ناقة مغزار وسحابة مدرار وأرض منبات في أبنية من هذا القبيل عديدة ، وجاء في ك و ح بدل (ملبان) كلمة (بلسان) وهي لا تستقيم وزناً ولا معنى .
- (6) جمع مبنى أو مبناة وفي ك و س و ح جميعاً : « بناء » ولا يطابق النعت الذي بعده ولا يوافق الضمير العائد عليه في « مثلها » .

[فاعكف عليه] (7) مع الآناء معتنياً ولا يكن لك عن (8) تطلابه ثان
[واعلم بأنك لن تحظى بصهوته حتى تجوز المدى في كل ميدان
ما لم تسنح عليه كلما شجر يرجى الجنى منه أرضي وعيدان (9)
وتبذل النفس بعد المال مطرحاً لكل ترفيه أرواح وأبدان
وتغترب برهة في كل آفة

من ذات قربي وأوطان وإخوان (10) (11) [

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ينبوع الأحكام والحكم .
ومجموع شيم الفضائل وفضائل الشيم ، وعلى آله ذوي المجد والكرم، وصحبه
بحور العلوم (12) ونجوم الظلم .

(7) في س بياض موضع الكلمتين السابقتين .

(8) في ك و ح : « في » « بدلا من » عن » .

(9) كان هذا البيت أول ما واجهناه من عويص المحاضرات، وكدنا نلقي به إراحة لنا من

تعب تفهمه وتفهيمة ، لأن محصولة من المعنى بعد الكد في تطلبه لا يكون جزيلا ولا طريفاً ،
ولكننا آثرنا أن نتجشم المشقة في تحصيله حتى نبدأ تهميش المحاضرات بالجهد والعمل ، لا
بالترك والإهمال ، وهذا ما تيسر لنا فيه من وجوه القراءة والتأويل : لقد كتبت فيه
الكلمة : (تسنح أو تسنم) في المخطوطة الكتانية كما في الطبعة الفاسية برسم يتشابه فيه
الحرف الأخير فيها بأن يكون ميماً أو حاء ، وهو بالحاء أشبه ، وقرأناه حاء ليكون من
التسنح الذي هو التفتيش والتتبع والاستقصاء وتلك قراءة لا ينبو عنها فحوى الكلام نبواً
بعيداً ، وقرأناه ميماً على أن يكون من التسنم الذي هو العلو فوق السنام ، وهي قراءة
يقبلها سياق البيت قبولا حسناً ، وأعربنا كلمة (ما) في (كلما) زائدة أقحمت بين كل
المضاف وشجر المضاف إليه ، وقرأنا لفظ (أرضي) بياء نسبة ، وكذلك رسمه ناسخ
المخطوطة الكنسوسية ، ولم نجعل كلمة عيدان في قافية البيت جمعاً لعود ، بل جعلناها من
قولهم : عيدنت الشجرة فهي عيدانة إذا طالت وذهبت في الهواء ، والجمع عيدان ، فكان
الذي تحصل لنا من المعنى بعد هذا التحمل الكثير ما يأتي : إن طالب العلم لن يدرك منه بغيته
إلا بأن يبحث عنه في كل وجه ، ويفتش عنه بكل مكان ، والشيخ اليوسي رحمه الله
رحمة واسعة يغرب في أشعاره أحياناً ويركب هذه السبيل من العويص .

(10) في س : « أخذان » بالدال بدل الواو وأعجمها الناسخ فصحف فيها .

(11) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، وهو ثابت في ك و ح و س فأضفناه نقلاً عنها .

(12) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « العلم » بصيغة الإفراد .

أما بعد ، فإن الدهر أبو العجائب ، وينبوع الغرائب ، وفي المثل :
الدهر (13) حبل لا يدري ما تلد (14) ، وقال الشاعر :

والليالي كما علمت حبالى مقربات (15) يلدن كل عجيبه (16)
وقال طرفه (17) :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود (18)

وإن للعاقل على مرور الحديدین علماً جديداً حيث انتهى فهمه (19) كما
له عيش حيث تهدي ساقه قدمه (20) وكنت قلت في [نحو] (21) ذلك :
أراني حيثما (22) أخطُ أجد ما لم أجد قطُّ

(13) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « الأيام » .

(14) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « متى » بدل « ما » .

(15) في « التاج » : « أقربت الحامل : قرب ولادها ، فهي مقرب كمحسن » .

(16) في ك و س و ح : « عجيب » بدون هاء التانيث .

(17) اسمه عمرو ، ويقال : هو عبيد ، وبعضهم جعل اسمه معبدأ ، وأبوه عبد بن سفيان بن سعد

ابن مالك بن ضبيعة ، يكنى أبا سعيد ، وأبا عمرو ، وأبا إسحاق ، ولقبه طرفه ، وهو

لقب وقع عليه لبيت قاله ، ذكره المرزباني في « معجم الشعراء » فقال بشأنه : « وكان

آدم ، أزرق ، أوقص ، أفرع ، أكشف ، أزور الصدر متأثلاً الخلق » .

مات مقتولاً وعمره نحو العشرين ، ولذلك يقال له ابن العشرين ، وكان مقتله سنة

564 م على ما عند شيخو في « شعراء النصرانية » .

(18) البيت من قسم الحكم في معلقته . في « معجم الشعراء » للمرزباني : « كان النبي صلى الله

عليه وسلم إذا استراث الخبر يتمثل بهذا البيت » .

(19) شكل أكنسوس الكلمة بفتح الهاء شكل قلم ، وأكد هذا الشكل بأن كتب فوقها بخط يده

ما لفظه : « لغة في الفهم » وبشكله ذلك تتوازن القرينتان توازناً كاملاً .

(20) العبارة مقتبسة من بيت لطرفة يقول فيه :

للفتي عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

(21) سقطت كلمة « نحو » من ك و ح .

(22) في س : « كلما » بموضع : « حيثما » .

وإن الدهر حبل كُذِّ ما حين له سقط (23)
 لقد سايرته (24) طفلاً إلى أن مسني وخط (25)
 فلم ينفك (26) يشتد على المرء ويشتط
 ولم يأل إذا استعلى يسوم الهون (27) أو يسطو
 له في كل أذن من بني أبنائه قرط
 وفي كل قذال وسمة بالنار أو شرط (28)
 وقد يحنو ويستأني وقد يجبو لمن يعطو (28م)
 سماء ديمة تأتي بزهر زهرها رقط (29)
 فمحمر ومصفر (30) وموفور ومُنْقَطٌ (31)
 ومجدود ومحروم ومستعمل ومنحط

- (23) في « مصباح الفيومي » : « السقط الولد ذكراً كان أو أنثى يسقط قبل تمامه ، وهو مستبين الخلق ، يقال : سقط الولد من بطن أمه سقوطاً ، فهو سقط بالكسر والتثنية لغة » .
- (24) في ك و ح : « سايرته » بالياء الموحدة .
- (25) في « أساس البلاغة » : « وخطه بالرمح وخطته بالسيف : تناولته به من بعيد ، ومن المجاز وخطه الشيب » .
- (26) في س : « ينفده » وهو تصحيف ظاهر .
- (27) في س : « الهوى » ولا يستقيم عليه الشعر وزناً ولا معنى .
- (28) من شرط الحاجم الجلد بمشرطه إذا شقه ، أو هو واحد الأشرط بمعنى العلامات .
- (28م) في « التاج » : « العطو التناول يقال : عطا الشيء وإليه تناوله » .
- (29) في « القاموس » : « الرقطة بالضم سواد يشوبه فقط بياض أو عكسه » .
- (30) في ك : « فمبيض ومسود » وفي طرفها بخط ناسخها : « فمحمر ومصفر » وعليه خاء رمزاً لنسخة أخرى جاءت فيها تلك الرواية ، ومثل ذلك في صلب ح وفي طرفها .
- (31) المنقط المنقطع من قولك : قطعت الشيء إذا قطعتة فانقط .

ومنفقـاد (32) ومعوجـجـ وكز(33)الخلق أو سبط(34)
قضاء مبرم ممن إليه الحل والربط
إليه أمره الأمر ومنه الرفع والخط
ومنه اليسر والعسر ومنه القبض والبسط
له في كل ما يومـ شئون منه تختط
وذو الفهم له علم جديد حيثما يخطو
ففكر واعتبر تعلم علوماً دونها الضبط
وتدرك غير ما في الصحـ ف يوماً خلد الخط
وسلم وارضـ بالمقدو ر لا يذهب بك السخط
ولا تبرم إذا المولى يشدّ الجبل أو يمطو (35)
فما ترجو ممن الرضوا ن أن ترَضَى له شرط (36)

وإني قد اتفقت لي سفرة بان بها <عني> (37) الأهل شغلاً وتأنيساً،
وزايلني العلم تصنيفاً وتدريساً ، فأخذت أرسـم في هذا المجموع بعض ما
حضر <ني> (38) في الوطاب، مما أحال (39) فيه أو حان له إرطاب (40)

- (32) في س : « ومنفقد » وهو خطأ ظاهر .
(33) الكزازة : اليبس والانقباض .
(34) السباطة : اللين والسهولة والانبساط .
(35) في « مقاييس ابن فارس » : « الميم والطاء والحرف المعتل يدل على مد في الشيء وامتداد
ومطوت بالقوم أمطو مطوياً مددت بهم في السير » .
(36) الشرط هنا إلزام الشيء والتزامه .
(37) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(38) ما بين العلامتين ساقط من ك وس و ح .
(39) لفعل أحال عندما يكون لازماً نحو عشرة معان أنسبها لما هنا أن يكون بمعنى مضى عليه
حول أي سنة .
(40) في « القاموس » : « أرطب النخل حان أو ان رطبه » .

وسميته: « المحاضرات » ليوافق اسمه مسماه، ويتضح عند ذكره معناه (41) وفي المثل «: خير العلم ما حوضر به » وإنما أذكر فيه فوائد وطرفاً ، وقصائد ونتفا ، وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من ملح ، أو لغيري مما ينتقى ويستملح ، ولا أذكر نادرة فيها معنى شريف إلا شرحته ، ولا لطيفاً (42) إلا وشحته ، وذلك هو لباب الكتاب ، وفائدة الخطاب ، والله الملهم للصواب.

وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن ، وفيه سر يستحسن ، وكما أن المقصود من الأشجار ثمارها ، فالمطلوب من الأخبار أسرارها ، وإنما حملني على الأخذ فيه أمور :

منها التفادي (43) من البطالة ، التي هي مدرجة الجهالة والضلالة ، ومنها إفادة جاهل أو تنبيه غافل ، ومنها تخليد المحفوظ لثلاث ينسى ، وتفصيله نوعاً وجنساً ، ومنها استمطار علم جديد ، عند الاشتغال بالتحديد ، فإن العلم كالماء نباع ، وبعضه للبعض تباع ، وما هو في قلب ذكي (44) الفؤاد ، إلا كما قال امرؤ القيس عند وصف الجواد :

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسي بعد المخيض (45)

- (41) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س أما ح ففيها : « معناه » .
(42) كذا بالنصب ويجوز إذا قدرنا له ما يعمل فيه ، وفي س : « لطيف » بالرفع وهو تابع لما قبله ، وجاء في كل من ك و ح : « شريفاً ولطيفاً » منصوبين .
(43) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « ابتعادي » .
(44) في ك و س و ح : « الذكي » بحرف التعريف .
(45) البيت من ضاديته التي مطلعها :

أعني على برق أراه وميض يضيء حياً في شماريخ بيض

وهي في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر برقم ٢٤ . والبيت فسرهُ القالي في « أماليه » (2 : 283) رواية عن ابن دريد فقال : « يعني أنه إذا انقطع جريه جاءه جري مستأنف كما ينقطع ماء الحسي ثم يشوب فيأتي منه ماء آخر » ؛ ثم فسر الحسي من عنده فقال : « الحسي صلابة تمسك الماء ، وعليها رمل فلا تنشفه الشمس لأن ذلك الرمل يستره ، ولا تقبله =

ومنها تعليل النفس ، ببعض الأنس ، فإن النفس ترتاح للإحماض
وتستشفى بروحه (46) من الإمضاض (47) ولا سيما مثلي ممن ترامت به
الأقطار وتباعدت عنه الأوطان والأوطار (48) . وقلت في ذلك :

سلا هل سلا عن أهله قلب معنيّ بريب الهوى والبين عن جيرة الحيّ
وهل ذلك الوجد الذي قد حشا الحشا مقيم على أديانه (49) غير مكفيّ (50)
وهل قلبه يوم النوى متقلب تقلب مفئود (51) اللظى ساعة الشيّ

= الأرض لصلابتها ، فإذا حفر حرج قليلا قليلا فر بما حفر منه بئر قدر قاعدة الرجل .
وبين الأعلم الشنمري في شرحه على الديوان معناه ، فقال : « وقوله : (يجم على الساقين)
أي إذا حرك بالساقين واستحث بهما كثر جريه ، والجم الكثير من كل شيء ، وقوله :
(بعد كلاله) أي يكثر جريه بعد إعيائه فكيف به قبل ذلك ، وقوله : (جموم عيون
الحسي) أي إذا استخرج ماؤه ، والحسي موضع قريب الماء يدرك باليد ، وكلما استخرج
ماؤه جم (والمخيض) أي يمحض ويستخرج ماؤه فضر به مثلا للفرس » .
(46) في ك و س و ح جميعاً : « بروحة » وهو خطأ ، والصواب بروحه كما في الأصل وهو
بفتح الراء ومعناه الراحة .

(47) في صحاح الجوهري : « أمضي الجرح إمضاضاً إذا أوجعك والكحل يمحض العين أي
يحرقها ، والممحض وجع المصيبة ، وقد مضضت بالكسر تمض مضضاً ومضيضاً ومضاضة »
والذي في ك و ح : « الانصاص » بالنون وهو تصحيف .

(48) في الأصل : « والأقطار » وهو تصحيف أصلحناء عن ك و س و ح .

(49) كذا بالأصل ومثله في س والذي في ك و ح : « أذياله » وهو تصحيف ، والأديان هنا
جمع الدين بمعنى العادة والدأب وما ألف من الأحوال ، وبهذا المعنى جاء في قول المثقب
متحدثاً عن ناقته :

تقول إذا درأت لها وضيبي أهذا دينه أبدأ وديني
أكل الدهر حل وارتحال أما يبقي علي وما يقيني

(50) السياق يدفع أن يكون المكفي هنا من الكفاية ويتطلب أن يكون من الكفاء بمعنى الصرف
والتلب تقول كفأته فانكفأ، إذا صرفته فانصرف ، فإن يكن كذلك فإن اليوسي تصرف
في مكفوء الذي هو اسم مفعول من كفأه كما يلي : قلب همزته ياء ثم جعل واو المفعول
ياء ثم أدغم ، ثم أبدل الضمة كسرة لتناسب الياء فصار المكفوء مكفياً وقد جاء عنهم مثل
ذلك في اسم المفعول الثلاثي المهموز الآخر .

(51) يقال : فأد اللحم في النار إذا شواه فيها .

وهل بنوى الأحباب مشفى (52) على التوى (53)

وليس بوصل من حبيب بمشفي
 وهل أعشبت تلك الشعاب وأمرعت فجاج مراعيها بعهد (45) ووسمي (55)
 وهل أقحوانُ الجزع فاح وندده بعرف تهاداه الشمائل مسكي
 وهل تالك (56) الأزهار تهتر نضرة بكل جميل في الحميلة مولي (57)
 وكل مجود (58) في النجود تناوحت (59) عليه الرياح من جنوب وشرقي
 إذا ما السحاب الغر عاطينها الحيا تمايلن نشوى من مدام شبامي (60)

(52) اسم فاعل من أشفى على الشيء إذا أشرف عليه .

(53) التوى بالتاء المثناة مقصوراً التلف والهلاك .

(54) في « التاج » : « قال أبو حنيفة : إذا أصاب الأرض مطر بعد مطر وندى الأول باق فذلك العهد » .

(55) في « التاج » : « الوسمي مطر الربيع الأول وهو بعد الخريف لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثراً في أول السنة ثم يتبعه الولي في صميم الشتاء » .

(56) في « التهذيب » للأزهري : « قال الليث : تاء وذي لغتان في موضع ذه تقول : هاتا فلانة في موضع هذه ، وفي لغة : تا فلانة في موضع هذه ، وعلى هاتين اللغتين قالوا : تيك وتلك وتالك وهي أقبح اللغات » .

(57) المولي ما أصابه المطر الولي وفي « التاج » : « الولي المطر يأتي بعد المطر المعروف بالوسمي ، سمي به لأنه يلي الوسمي وقد وليت الأرض بالضم ولياً إذا مطرت بالولي والولي كغني الاسم منه » .

(58) في « الصحاح » « الجود المطر الغزير تقول : جاد المطر جوداً فهو جائد والجمع جود مثل صاحب وصحب وقد جيدت الأرض فهي مجودة » .

(59) في « الصحاح » : التناوح التقابل يقال : الجبلان يتناوحيان ، ومنه سميت النوايح لأن بعضها يقابل بعضاً ، وكذلك الرياح إذا تقابلت في المهبط لأن بعضها يناوح بعضاً » .

(60) قوله : شبامي منسوب إلى شبام بوزن كتاب ، وهو اسم قرية بالشام كانت الحمر تسبأ منها ، وهي التي ذكرها امرؤ القيس بن حجر في بعض شعره فقال :

فظللت في دمن الديار كأنني نشوان باكره صبوح مدام

أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام

وفي هامش من بخط أكنسوس : « الظاهر أنه بالهمز منسوب إلى شام ، وهي الريح الشامية ،

والذي يوجد في النسخ هو شبامي منسوب إلى شبام كسحاب وهو النبات وهو غير ظاهر » .

وإن صافحتها بعد وهن يد الصبا
فما شئت فيها من يواقيت تجتلي
ومن بسط تزري ابتهاجاً بمفرش
وهل لسليمي من ثواء بدارها
وحيا محياها الوسيم وإن لسوت
وحيا زماناً لاح للوصل بيننا
زمان ديار الحي دان مزارها
نعمننا بإيناس البروق من الحمى
ونسمة أرواح الصبا وهبوبها
وتنشق آسٍ بالأجارع تعتلي (69)

تمت (61) بأذكي من عير وألوي (62)
ومن كوكب يعشي (63) النواظر دري
أعدت بنو سامان لليسط موشي
سقى الله تلك الدار أطيب ما (64) ري (65)
غريماً تقاضى وصلها طول ما (66) لي (67)
تباشير كالصبح المنير على ري (68)
ونحن على عهد من الود مرعي
أتيساً وإن لم نحظ منه بإنسي
علينا نموماً من صباها بمطوي
بنفحته للمستهمين عطري

- (61) كذا بالأصل ومثله في ك و س و ح جميعها ، ولعله كان « فنت » من نم المسك إذا سطعت رائحته فتصحفت على النساخ بالتاء .
- (62) في هامش س بخط أبي عبد الله أكنسوس عبارة تقول بالنص : « منسوب إلى العود الذي يتبخر به وهو الألوية (كذا) « وفي التاج » من مادة (الو) : « الألوة بفتح وتشديد الواو العود الذي يتبخر به كالألوة والألو بضمين فيهما » وفيه أيضاً من مادة (لوي) : « واللوة بالضم العود القماري الذي يتبخر به لغة في الألوة » .
- (63) كذا بالأصل ومثله في س وجاء في ك و ح : « يغشى » بالغين المعجمة .
- (64) ما هنا زائدة بين المضاف والمضاف إليه .
- (65) الأولى أن تشكل كلمة ري هنا بالكسر على أنها اسم لا مصدر .
- (66) ما زائدة أيضاً كالسابقة .
- (67) اللي المطل والتسويق .
- (68) الأوفق أن تشكل هنا بالفتح على أنها مصدر ، وفي « القاموس » : « روي من الماء واللبن كرضي ريا وريا وروي وتروي وارتوى بمعنى والاسم الري بالكسر » وكذلك جاء شكل الكلمتين بالقلم في المخطوطة الأصل وبهذا الشكل المختلف تسلم القصيدة من عيب الإيلاء الذي هو تكرير القافية لفظاً ومعنى .
- (69) كذا بالأصل ومثله في ك و س وهو ما في صلب ح ولكن مصححها أصلحه في طرفها هكذا : « تملي » .

وكنّا على أنا كأنّا بوصلها
ونرتع (70) في روض المي وننال ما
وعشنا زماناً لا نعاني صبابـة
ولا نتشكّي من صدود ولا صدى (71)
ليالي كان الشمل (72) منضبط الكلي (73)
فلم تلبث الأقدار أن مددت بنا
فحالت مَوامٍ (74) دونها ذات منزع
وكان الذي خفنا يكون من النوى
على أن فضل الله ما انفك هامراً
فلا تغرر بالدهر يلقاك بشره
ولا تأمن من هوله (77) إن ريحه

نغادي بكأس مطمئين خمري
نشاء ولا نرتاع من بين مهوي
ولا نتباكي من سليمي ولا مي
ولا وجد مفؤود الجوانح مبري
وحبل التوالي مُحصدٌ غير مفرّي
عناناً إلى شط النوى غير مشني
ودَيْنُ التّداني (75) قد غدا غير مقضي
وصرنا لأمر مُذّ أحايين مخشي
علينا ولطف دائم غير مزوي (76)
فإن وراء البشر طعن الرُدّيني
تهب إذا هبت عصفواً بلّجني

- (70) كذا بالأصل وهو ما في س وجاء في ك و ح : « نرتاع » وهو خطأ .
(71) في س : « ولا بصبري » وهو خطأ وأصلحه أكنسوس على الطرة بخطه هكذا : « ولا ضني »
(72) في ك : « الوصل » .
(73) الكلي جمع كلية ، وهي هنا تلك الجليدة المستديرة التي تحرز على المزايدة تحت العروة ،
وانضباطها عبارة عن سلامتها من التخرق والانفتاق ، والشاعر ضرب ذلك مثلاً في صلاح
الحال ، ودوام الوصال ، وليخبر أن العلاقة بينه وبين أهله وأحبابه كانت قائمة موصولة ،
لا مقطوعة ولا مفصولة ، كما ضرب ذو الرمة وهي الكلي مثلاً في حاله فقال في بعض شعره :
وما شنتا خرقاء واهيتا الكلي سقى بهما ساق فلم يتبللا
بأضيع من عينيك للدمع كلما توهمت ربعاً أو تذكرت منزلا
- وقال مرة أخرى :
ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنها من كلي مفريسة سرب
- (74) في س : « موار » وأصلحها أكنسوس على الطرة بخطه هكذا : « أمور » والموامي جمع
مومة وهي الفلاة .
(75) في س : « الثاني » وهو تصحيف .
(76) اسم مفعول من زويت عنه الشيء إذا نحيته عنه .
(77) في ح : « حوله » .

ولا تغتبط من حظه بمنسول
فما حالة منه تدوم على امرىء
وما هو إلا مثل دولاب زارع
فكم أنزلت نسر السماء صروفه
وكم ضعفت ملكاً وأفتت ممالكاً
وكم زيلت (81) بين المحبين فاغتندي
قضاء من المولى له كل ساعة
فأعلق به أشطان قلبك واعتمد
وقف أبداً في بابه (83) متأدباً
قنوعاً رَضُوعاً (84) بالقضاء مسلماً

ولو (78) تاج ملك فوق أشمخ كرسي
ولو خال جهلاً أنه غير مدْهسي
فعلويته يعتاض حتماً بسُفلي
وحلت بنت الماء (79) دارة علوي
وكم عاد عاني (80) ربيها غير مفدي
دم الصب من فتك الهوى غير مودي (82)
تصرف مختار وإنجاز مقضي
عليه تنل رشداً وتنج من الغي
منيباً بسعي عند مولاك مرضي
بقلب على التوحيد والصدق محني

- (78) في ك : « ولا تاج » وأبدلت بطرتها لا بلو وفي ح أيضاً : « لا » بدل « لو » .
(79) كذا بالأصل وفي ك : « بذات » ومثله في س أما ح ففي صلبها : « بيت » وأبدلها مصححها على الطرة هكذا : « بذات » والصواب ما في الأصل ؛ وبنت الماء أو ابن الماء هو ما قال عنه الدميري في « حياة الحيوان » : « ابن ماء : نوع من طير الماء ويجمع على بنات ماء وتطلق على كل ما يآلف الماء من أجناس الطير » . واليوسي يريد أن يقول : إن تقلبات الزمان تهبط بالعالي إلى تحت كما تعلق بالنازل إلى فوق . وقال الشاعر وذكر بنت الماء :
طليق الله لم يمن عليه أبو داود وابن أبي كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور
- (80) العاني : الأسير .
(81) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : زailت .
(82) اسم مفعول من وديت القليل أديه إذا أعطيت ديته .
(83) في ك و ح : « بابه » .
(84) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو فيها كلها مشكول بضم الضاد وبتشديد الواو ، فإن يكن اليوسي كتبه كذلك فقد أراد صيغة مبالغة من الرضوان كما قصد إلى ذلك في قنوع قبله ، وهو أجراه على بنيته من غير إعلال قياساً على الشاذ من أمثاله ، وهو كذلك مكتوب في صلب الطبعة الفاسية ، ولكن مصححها شاء أن يصلح فكتبه على طرفها هكذا : « رضيا » .

فذاك الذي يرقى به لمنازل
 وإن كنت لم تسعدك في ذلك القوي
 فإن جليس القوم ما إن يناله
 ومن قد حكاهم فهو منهم وكل ذا
 وكل امرئ يوماً سيجزى بما أتى
 بها كل صديق حوى الفضل ربّي (85)
 فزاحم بمسطاع مع الحب والزّي (86)
 شقاء ومن عن حبهم غير مرمي
 أتى في حديث عن ذوي الصدق مروى
 من الخير بل يجزى على كل منوي

لله الأمر من قبل ومن بعد

(85) في « التاج » : والرّبي بالكسر واحد الرّبيين، وهم الأوف من الناس، قاله الفراء، قال أبو العباس أحمد بن يحيى قال الأخفش : الرّبيون منسوب إلى الرب ، قال أبو العباس فينبغي أن تفتح الرّاء على قوله ، وهو على قول الفراء من الرّبة وهي الجماعة ، وقال الزجاج : ربيون بكسر الرّاء وضمها وهم الجماعة الكثيرة ، وقيل الرّبيون العلماء الأتقياء الصبر ، وهذا المعنى الأخير هو ما عناه اليوسي .

(86) الزّي بالكسر اللباس والهيئة ، وهو يريد أن يقول : إذا لم تكن من الصديقين والرّبيين على الحقيقة فلا يفوتك أن تتزيا بحالمهم وأن تكون كما قال الآخر :

فتشبهوا إن لم تكونوا منهم إن التشبه بالكرام رباح

[فوائد تسمية المؤلف]

قد جرت عادة من ألف بل من كتب رسالة أن يتسمى في كتابه ليعرف ،
وفي معرفيته (1) فوائد منها في كلامه أن يعرف مذهبه أو مطلبه أو يتمكن (2)
جوابه أو يشهد له وعاية³ (3) .

ومن أهمها أن يعلم هل يوثق بنقله ويقتدى به في أصله ، فإن كلام
الحجة حجة ، وإنما يعرف كونه حجة ومرتبته من العلم بشهادة أهل العلم ،
وذلك في ثلاثة أشياء : أحدها التصريح بذلك مشافهة أو في ترجمته ولذلك
صنفت (4) طبقات أهل العلم واعتني بتراجمهم .

ثانيها عده مع العلماء عند ذكرهم في مذهب أو وفاق أو خلاف أو
حكاية كلامه فيما يحكى من كلام العلماء أو مذهبه أو نحو ذلك وهو كالتصريح .

ثالثها الأخذ عنه أو إقراء تصانيفه أو شرحها أو تقليده أو نحو ذلك .

وإنما يحصل له ذلك من ثلاثة أشياء : أحدها سماع كلامه مشافهة .

ثانيها مطالعة تصانيفه والوقوف على تحريره وتحصيله أو سماع فتاويه
وآرائه وكلامه بنقل الغير كما وقع للصحابة رضي الله عنهم .

ثالثها شهادة الغير له كما مر وهلم جرأ .

وبعد حصول مطلق المرتبة من العلم تحصل خصوصيات المراتب بشهادة

(1) كذا في ك وفي س وفي ح وحدها : « وفي معرفته » .

(2) في ك وفي س وكذا في ح : « ليتمكن » .

(3) في س : وعليه كما هنا وفي ك وكذا في ح : « أو عليه » .

(4) في ك وفي س : « صنعت » .

من هو أهل لذلك بها بمشافهة أو في ترجمة أو اقتداء الأكابر به، أو ترجيحه على غيره أو نحو ذلك .

ومنها في خارج أن تعرف مرتبته كما مرّ أو يتعرض لدعاء داع أو ثناء من بخير ومحبة < وود > (5) وغير ذلك .

فرايت أن أسمى في هذا المجموع وأضيف إلى ذلك ما اتفق لي من كنية وما أدركت من نسب بعد أن تعلم أن الاسم العلم ثلاثة : اسم وكنية ولقب . أما الاسم فهو من حيث هو ما أريد به من تعيين المسمى لا يعطى مدحاً ولا ذمّاً لصلاحية كل اسم لكل مسمى عند المحققين ، ولكن إذا كان منقولاً فكثيراً ما يلاحظ فيه زيادة على تعيين المسمى مدلوله الأول الحقيقي أو المجازي فيشعر بمقتضاه إشعاراً .

ومن هذا وقع التفاؤل والتطير بالأسماء ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ويقول : « إِذَا أَبْرَدْتُكُمْ إِلَيَّ بِرَيْدٍ فَأَبْرِدْهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَسْمِ » (6) .

وكان صلى الله عليه وسلم يغير من الأسماء ما لا يرضى ، فسأل عن اسم ماء فقيل له : بيسان (7) وماؤه ملح فقال : < بل > (8) هو نعمان وماؤه

(5) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(6) في طرة المخطوطة الكتانية كلام عن هذا الحديث يقول : « هذا حديث مرفوع خرجه البزار من عدة طرق عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وله شواهد قوية يرتقي بمجموعها عن درجة الضعف خلافاً لقول نور الدين الهيثمي : إن طرقه كلها ضعيفة » .

(7) بيسان بالفتح ثم السكون فسین مهملة بعدها ألف فنون اسم يقع على عدة أمكنة : بيسان مدينة بالأردن ، وموضع بجهة خيبر ، وآخر باليمامة ، وقرية بالموصل ، وأخرى بمرور الشاهجان ، وفي « معجم البلدان » تعريف بهذه الأمكنة ، وجاء في « معجم ما استعجم » للبكري : « ذكر الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بماء يقال له بيسان فسأل عنه فقيل : اسمه ، يا رسول الله ، بيسان ، وهو ملح ، فقال : بل هو نعمان ، وهو طيب ، فغير رسول الله اسمه وغير الله الماء » .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

عذب ، فكان كذلك ؛ وجاءه رجل فقال ما اسمك ؟ فقال : غاوي بن عبد العزى . فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنت راشد (9) بن عبد ربه ، وجاءه آخر فقال ما اسمك ؟ فقال : حزن ، فقال : بل أنت سهل ، فقال الرجل : ما كنت لأغير اسماً سماني به أبي ، وكان الإمام سعيد (10) المسيب رضي الله عنه - والرجل من أجداده - يقول : فما زالت الحزونة فينا . فانظر كيف حكم مدلول اللفظ الأول . وقال صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين أقبل سهيل (11) من ناحية قريش : «سَهْلَ عَلَيْنَاكُمْ أَمْرُكُمْ» ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : «أَسْلَمُ سَأَلَمَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةٌ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقد سأل عن اسم رجل استعمله أو أراد أن يستعمله فقيل له : هو خبيثة (12) بن كناز : هو ينجباً ، وأبوه يكنز ، لا حاجة لنا به . وبدل صلى الله عليه وسلم برة بنت

(9) هو راشد بن عبد ربه السلمي ، كان سادن صنم يقال له سواع ، فبيما هو عند الصنم يوماً إذ أقبل ثعلب حتى أتى الصنم فرفع رجله وبال عليه ، فأقبل راشد على الصنم فكسره وأتى النبي عليه السلام فأسلم ، فغير النبي اسمه واسم أبيه المنكرين ، وانظر في خيره الإصابة والاستيعاب .

(10) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن من جلة التابعين وأخبارهم ، فقيه محدث زاهد ، وكان يحفظ أحكام عمر وأقضيته حتى لقب راوية عمر ، قال عنه ابن الجوزي في صفة الصفوة رواية عن عبد الرحمن بن حرملة : « ما كان إنسان يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير » توفي سنة 94 عن سن أنافت على الثمانين .

(11) في الأصل : « سهل » وكذا في س ، وأما ك و ح ففيهما « سهيل » بالتصغير ، وهو الصواب ، وسهيل هذا ترجمه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » فقال : « سهيل بن عمرو ابن عبد شمس يكنى أبا يزيد ، أسر يوم بدر ، وفدي ، وهو الذي تولى المصالحة على القضية التي كتبت في الحديبية ، وأقام على دينه إلى يوم الفتح » . توفي سهيل مرابطاً بالشام عام 18 هـ .

(12) في ك و س و ح : « خبوة » . وخبیثة هذا ذكره ابن دريد في « الاشتقاق » ص 355 وهو يعد رجالات بني عكابة فقال : « ومنهم خبيثة بن كناز ، شهد فتح الأبله ، واستعمل عليها بعد ذلك ، فبلغ عمر فقال : ينجباً ويكنز أبوه ، اعزلوه ، وخبیثة من خبات الشيء أخبؤه خبباً ، وكناز فعال من الكنز » .

أبي سلمة بدره فراراً من التزكية التي يعطيها اللفظ ، وقال مولانا علي كرم
الله وجهه :

أنا الذي سميتني أمي حيندره (13)

وقال الحريري في « المقامات » (14) على لسان الغلام : (أما أمي فاسمها
برة ، وهي كاسمها برة) وقالت اليهود يوم خيبر لمولانا علي رضي الله عنه ،
وقد تقدم بالراية فتسمى لهم : علوتم ورب الكعبة ، وقالت العرب في أمثالها :
نما سميت هانثاً لتَهناً (15).

وقال الأخطل في كعب بن جميل (16) :

وسميت كعباً بشر العظام وكان أبوك يسمى الجعل
وإن مكانك من وائل مكان القراد من است الحمل (17)

(13) البيت رجز وبعده :

كلت غابة غليظ القصره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

(14) يعني في المقامة المعروفة بالكوفية ، وهي الخامسة في ترتيب « المقامات الحريرية » .

(15) يقال : هنأته أهتوهناً إذا أعطيته والاسم منه الهنء بالكسر ومعناه : إنما سميت بهذا الاسم
ليكون فيك معناه ولتكرم غيرك وتحسن إليه ، وحتى لا يكون الاسم الذي لك كذباً
وغير ذي معنى ، والعبارة مثل من الأمثال .

(16) في ح : « جعل » والصواب جميل كما في المخطوطات الثلاث وإنما كبره الشاعر لأنه
لم يرد العلم بلفظه كما هو ، وإنما عني أن والد كعب سمي باسم واحد من هذه الحشرات
التي هي الجعلان المستقذرة .

(17) في « صمط اللآلئ » (ص 853 - 854) : « ذكر يعقوب أن كعب بن جميل كان

شاعر تغلب ، فكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضرَبوا له قبة ، فأتى بني مالك بن جشم رهط
الأخطل ففعلوا له ذلك ومالأوا له حظيرة غنماً ، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرجها وكعب
ينظر فقال : إن غلامكم هذا لأخطل فلدت عليه ، وقال الأخطل فيه :

وكان بعض الرؤساء القيسية أحضر جفاناً من طعام ، وكان بالحضرة
بعض مئاسين بكر بن وائل فأراد القيسي أن يعث به (18) فقال له : هل
رأى بكر بن وائل قط مثل هذه الجفان ؟ فقال ما رآها ولا رآها أيضاً قط
عيلان يعني جده هو ، ولو رآها ما قيل له عيلان بل شعبان .

وقالت هند (19) بنت النعمان بن بشير تهجو زوجها الفيض بن أبي عقيل :
سميت فيضاً وما شيء تفيض به إلا سلاحك بين الباب والدار

وقال الآخر (20) :

وللحرب سميناً فكنا محارباً إذا ما التقتنا أمسى من الطعن أحمرأ

(وسميت كعباً بشر العظام . . . البيتين)

ويروى هذان البيتان لعتبة بن الوعل و« في طبقات الشعراء » لابن سلام (ص 160) « قال
كعب بن جعيل : إني قد هجوت نفسي ببيتين وضمزت عليهما فمن أصابهما فهو شاعر ،
فقال الأخطل :

(وسميت كعباً . . . البيتين)

قال : هما هذان .

(18) في س : « يتعبث » .

(19) في « أغاني الأصفهاني » (16 : 53 طبعة الدار) : « وبنت النعمان بن بشير واسمها
حميدة كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر ، وكانت تهجو أزواجها ، وكانت تحت
الحارث بن خالد المخزومي فقالت فيه ، فطلقها ، فتزوجها روح بن ربيعة فهجته
فطلقها ، وقال : سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقينها في حجرك فتزوجت بعده
الفيض بن أبي عقيل الثقفي وكان يسكر ويقيء في حجرها فكانت تقول : « أجيبت في
دعوة زوجي وقالت في الفيض :

سميت فيضاً وما شيء تفيض به إلا بسلاحك بين الباب والدار

فتلك دعوة زوج الخير أعرفها سقى الإله صدهاء الأوظف الساري

(20) هو الحكم بن معمر بن قنبر الحضري من خضر محارب اعتبره الأصمعي مع طائفة من
معاصريه خاتمة الشعر فقال : « ختم الشعر بابن ميادة وحكم الحضري وابن هرمة وطفيل
الكناني ومكين العذري » .

ومما ينخرط في هذا السلك أن بعض الملوك عزل وزيراً له اسمه الياقوت
فحلف الملك ليستوزرن أول من يلقي < فخرج > (21) فلقي رجلاً أعرابياً
فاستوزره فإذا هو من أعقل الناس وأنجبهم (22) فلما رأى الوزير الأول ذلك
كتب إلى الملك :

أحكم النسيج كل من حاك لكن نسيج داوود ليس كالعنكبوت
ألقي في لظى فإن غيرتي فتيقن أن لست بالياقوت (23)

[يشير إلى أن الياقوت المعروف لا يفسد بالنار] (24).

فأجاب الآخر (25) :

- (21) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(22) في ك : « وأنجبهم » .
(23) جاء في « وفيات الخلكاني » وهو يترجم أبا يوسف يعقوب بن صابر بن بركات المنجنيقي
المتوفى سنة 626 هـ ما يأتي : « وقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد أجاد في كل
ما نظمه ، ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف
قائلهما على الحقيقة وهما :

ألقي في لظى فإن أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسيج كل من حاك لكن ليس داوود فيه كالعنكبوت
فعمل ابن صابر جوابهما فقال :

أيها المدعي الفخار دع الفخر لذي الكبرياء والجبوت
نسيج داوود لم يفد ليلة الغار وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لظى النازل مزيل فضيلة الياقوت
وكذلك النعام يلتقم الجم ر وما الجمير للنعام بقوت «

(24) ما بين العلامتين زيادة من ك و س و ح .

- (25) تابع الخلكاني في « وفياته » كلامه وهو يترجم ابن صابر فقال : « وأما قول ابن صابر
في الجواب في البيت الثاني : (نسيج داوود لم يفد ليلة الغار) إلى آخره فهذا إشارة إلى
مهاجرة النبي عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فإنهما خافا من
مشركي مكة أن يتبعوهما، فدخلوا غار ثور ونسج العنكبوت على باب الغار، فلما وصل =

نَسَجَ دَاوُودَ مَا حَمَى صَاحِبَ الْغَا رَ وَكَانَ الْفَخَارَ لِلْعَنْكَبُوتِ
وَفِرَاخَ السَّمْنَدِ فِي لَهَبِ النَّارِ أَزَالَتْ فَضِيلَةَ الْيَاقُوتِ

أشار إلى السمندل وهو دويبة في ناحية الهند تتخذ من جلودها المناديل وتلقى في النار فلا تزداد إلا نضارة وحسناً ولا تحترق ، والله على كل شيء قدير ، إلى غير هذا مما لا ينحصر ولو تتبعناه لطال .

وأما الكنية واللقب > فيعتبران بوجهين : الأول نفس إطلاق الكنية واللقب < (26) وهما في هذا مختلفان ، فإن الكنية الأكثر فيها إذا لم تكن اسماً أن يراد بها التعظيم (27) وينبغي أن يعلم أن الناس باعتبارها ثلاثة أصناف : صنف لا يكتفى لحقارته ، وهو معلوم من (28) أن الحقارة أمر إضافي ، فرب حقير يكون له من يراه بعين التعظيم فيكنيه ، والمقصود أن التحقير (29) من حيث هو حقير لا يكتفى إلا هزئاً أو تمليحاً ، وصنف

= المشركون إليه ورأوا أثر نسج العنكبوت على الباب قالوا : ليس ههنا أحد ، فإنه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال ، وقوله في البيت الثالث : (وبقاء السمندل في لهب النار) إلى آخره . السمندل بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال : (السمندل) أيضاً بزيادة اللام ، ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ، ويعمل من ريشه مناديل ، فإذا اتسخت المناديل طرحت في النار ، فتأكل النار الوسخ الذي عليها ولا يحترق المنديل » اهـ .

واقراً عن السمندل في « عجائب المخلوقات » للقزويني ، وفي « حياة الحيوان » للدميري . وبما نقلناه تعلم أن الياقوت في البيت الذي أورده اليوسي إنما هو هذا الحجر المعروف ، وأن ما حكاه في أمر الشعر ليس على نصابه .

(26) ما بين العلامتين ساقط من س .

(27) روى أبو تمام في حماسه لبعض الفزاريين :

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقِبُهُ وَالسَّوَاءَ اللَّقْبَا
كَذَاكَ أَدْبِتَ حَتَّى صَارَ مِنْ خَلْقِي إِنِّي وَجَدْتُ مَلَكَ الشِّيمَةِ الْأَدْبَا

(28) في ح : « مع » بدل : « من » .

(29) كذا بالأصل ومثله في ك و ح وهو أيضاً ما جاء في صلب س ولكن أكنسوس كتب بخط يده على طرفها : « الحقير » ووضع عليه لفظ : (صح) .

لا ينبغي أن يكنى لاستغناؤه عنها وترفعه عن مقتضاها . ومن ثم لا يكنى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم أرفع من ذلك حتى إنهم (30) أشرفت رفعتهم على أسمائهم فشرفت ، فإذا ذكروا بها كانت أرفع من الكنى في حق غيرهم ، وللملوك وسائر أكابر الناس نصيب من هذا المعنى ، وصنف متوسط بين هذين . وهو الذي يكنى تعظيماً ، ثم إن كان التعظيم مطلوباً ككنية أهل العلم والدين ومن يحسن شرعاً تعظيمه فحسن ، وكذا اكتناء المرء بنفسه إن كان تحدثاً بالنعمة أو تبركاً بالكنية باعتبار من صدرت عنه أو نحو ذلك من المقاصد الحميلة فحسن ، وإلا فمن الشهوات النفسانية ، فما كان تكبراً أو تعظيماً لمن لا يجوز تعظيمه بغير ضرورة ونحو ذلك فحرام ، وإلا فمباح ، وليس من هذا الباب ما يقصد به مجرد الإخبار فقط كقولك جاء أبي أو أبو فلان هذا أي والده ، ولا ما يقصد به معناه على وجه التفاؤل مثلاً نحو أبي الخير وأم السعد .

وأما اللقب فيقصد به كل من المدح والذم وغير ذلك ، والحكم كالذي قبله .

الوجه الثاني النظر إلى مدلولهما الأصلي ، وهما في ذلك كما مرّ في الاسم بل ذلك هنا أولى ، لأن الأصل فيه أوضح ، ول بعضهم في ذلك :

أتيت أبا المحاسن كي أراهُ بشوق (31) كاد يجذبني إليه
فلما أن أتيت رأيت فرداً ولم أرَ من بنيه ابناً لديه

يريد أن لفظه ينبىء عن كون المحاسن لازمة له لزوم الأولاد لأبيهم ، ثم إنه لم يجدها عنده ، وكذا يقال في أبي المكارم وأبي الفضل وأبي البخت

(30) كذا بالأصل ومثله في س أمّاك وح فقيهما : « انها » .

(31) في ك : « لشوق » .

وجمال الدين وشمس الأئمة . والأصل في جميع هذا أن المستحسن في العقول وإن لم يكن لازماً خلافاً لمن زعم ذلك أن يطابق الاسم المسمى أي مدلوله الأصلي حتى يصير الاسم كأنه وصف مشتق لموصوف بمعناه ، فإن لم يكن كذلك فكأن التسمية خطأ ، وكأن الاسم لا مسمى له ، ومن هذا جرت العادة بتخير الاسم عند التسمية وكذا عند الملاقاة كقصة البريد السابقة ، أما التخير عند التسمية فلثنتين : إحداهما التلذذ بسماعه وتجميل المسمى (32) بذلك ، الثانية التفاؤل بأن يصدق معناه ، وذلك على حسب ما يريده ، وللناس أغراض تختلف ، وقد قيل لبعض العرب : لم تسمون عبيدكم نافعاً ومرزوقاً وأولادكم حرباً ومرة فقال : إنا نسمي أولادنا لأعدائنا <ونسمي> (33) عبيدنا <لأنفسنا> (34) أي فلا فرق بين فائدة النفع وفائدة الدفع وحلاوتهما ، بل الدفع أهم .

وكان وادي السباع (35) في بلاد العرب وفيه قال قائلهم (36) :

مررت على وادي السباع ولا أرى كواذي السباع حين تبصر واديا

(32) في س : « المتسمى » .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(34) في « كتاب الاشتقاق » لابن دريد (ص 4) : « أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : « قيل للعتبي : ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشعة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة فقال : لأنها سمت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها » .

(35) في « معجم البلدان » لياقوت : « وادي السباع جمع سبع ، والسبع يقع على ما له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها ، ووادي السباع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بين البصرة ومكة وبينه وبين البصرة خمسة أميال كذا ذكره أبو عبيد ، ووادي السباع من نواحي الكوفة » .

(36) هو السفاح بن بكير ، والبيتان نسبهما إليه ياقوت في « معجم البلدان » ، وهو يعرف بوادي السباع .

أشد به ركباً أتوه تَشْبِيَةً (37) وأخوف إلا ما وقى الله ساريا

قيل : سبب تسميته أن امرأة (38) من العرب كانت نزلته ولها عدة أولاد فوجدتها رجل (39) يوماً وحدها فهم بها فقامت تصيح بأولادها وتقول : يا ليث ، يا نمر ، يا أسد ، يا كذا ، وهي أسماؤهم ، فأقبلوا إليها يشتمون ، فانطلق الرجل وهو يقول : هذا وادي السباع (40).

أما التخيير عند الملاقاة والمعاملة فلفائدتين <أيضاً> (41) : إحداهما التلذذ والتفاؤل ، الثانية رجاء أن يكون قد طابق فيوجد معناه ويكون حسن الاسم دالاً على حسن المسمى كما تقرر في الفراسة الحكيمة <من> (42) أن حسن الخلق دليل على حسن الخلق ، وفي الحديث : « اطلبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حَسَنِ الْوَجْهِ » على وجهه ، ولم يبعث الله تعالى نبياً إلا حسن الوجه حسن الاسم ، وفي كلام العامة : الاسم يدل (43) على المسمى . ومن التفاؤل الصادق والرجاء الواقع ما وقع لعبد المطلب في تسمية نبينا صلى الله عليه وسلم حيث سماه باسمه الشريف ، وكان هذا الاسم غير معتاد عندهم . فقيل له : لم تسميته بهذا وليس من أسماء آبائك ، فقال : رجاء أن محمد في السماء والأرض ، فكان ذلك ، ويحتمل أن يكون كان عنده من ذلك علم ممن لقي من أهل ذلك العلم كسيف بن ذي يزن ونحوه . وقد يكون سبب تخيير

(37) التثية بتشديد الياء على وزان التحية التلبث والتمكث ، و جاء في « أساس البلاغة » للزمخشري :

« ما هي بدار تثية أي تمكث ، يقال : أبيت بالمكان وتأبيت به » .

(38) هي أسماء بنت دريم بن القين وكان يقال لها أم الأسبع .

(39) هو وائل بن قاسط بن هنب .

(40) انظر الخبر مفصلاً في « معجم البلدان » لياقوت (8 : 373 - 374) .

(41) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(42) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(43) هو من بابة ما قال الشاعر في اللقب :

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

الاسم مشايعة من تسمى به تبركاً به أو إحياء (44) لذكره أو رجاء الشبه به أو نحو ذلك ، وفي الحديث : « وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ وَلَدٌ فَسَمَّيْتَهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ » وقيل : لما نزل قوله تعالى : « يَا أُخْتُ هَارُونَ » قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف تكون أخت هارون وبينهما دهر طويل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ أَنْبِيَائِهِمْ » أي فهو هارون آخر سمي باسم هارون بن عمران عليه السلام .

واعلم أن التلذذ المذكور في هذا القسم بخلاف المذكور فيما مر ، فإن ذلك تلذذ بالاسم بسبب حضور معناه الأصلي كسعد وسعيد ووردة وياسمين ، وهذا تلذذ بالاسم لحضور من كان تسمى به من غير التفات إلى مدلول اللفظ الأصلي ، فكل من سمع اسماً كان وقع على مسمى آخر فقد يستشعر ذلك المسمى الآخر في الاسم فيوجب له ذلك الاستشعار أموراً ، إما تعظيماً ومنه بدل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه اسم ولد كان اسمه محمداً فسمع رجلاً يوماً يشتمه ويقول : فعل الله بك يا محمد وفعل ، فقال : لا أرى اسم النبي صلى الله عليه وسلم يُسَبَّبُ بك ، وكان بعض الرؤساء كلم خديماً له اسمه محمد في أمر وخاطبه باسم آخر وهم (45) أنه غضبان عليه ، فدخل على الخديم من ذلك جزع عظيم حتى بين له بعد ذلك < أنه > (46) إنما كان على جنابة فلم يستطع أن ينطق بهذا الاسم الشريف وهو جنب ، رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وإما تلذذاً أو استئناساً أو اشتياقاً أو نحو ذلك لكونه أليفاً أو محبوباً .

وكان المجنون لما اشتد به حاله قام أهله فقالوا : نذهب به إلى الحجّ وزيارة البيت ففعلوا ، فلما أقبلوا على مكة قالوا له : يا قيس ، هذا بلد الله وهذا بيته فادع الله تعالى أن يعافيك من حب ليلي فأنشأ يقول :

(44) كذا بالأصل ، ومثله في ح وأما ك و س ففيهما : « حبا » .

(45) من وهم الأمر توهيماً إذا جعله يتوهمه .

(46) ما بين العلامتين زيادة من ك وبها يتصل الكلام .

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام به لله أنخلصت القلوب :
أتوب إليك يا رحمان مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فأما من هوى ليلي وحبتي زيارتها فإني لا أتوب
فكيف وعندها قلبي رهيناً أتوب إليك منها أو أنيب

فأيسوا (47) منه ثم سكن شيئاً ما فلما بلغوا ناحية مني سمع إنساناً يقول :
يا ليلي ، ينادي امرأة ، فطار المجنون واستقبل البرية وهو يقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من مني فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري
وقال الآخر :

ومن كبدي يهفو إذا ذكر اسمه كهفو جناح ينفض الطل طائره

وبلغ بأولياء الله تعالى نحو هذا المعنى ، وهم أحق به ، يحكى عن بعضهم
أنه لقي واحداً منهم في البرية فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : هو ، فقال :
أين تريد ؟ فقال : هو ، فقال : ما تعني بقولك هو ؟ فقال : هو ، فقال الله
تعني ؟ فصاح وسقط ميتاً . وإما نفرة وكراهية لكونه بغيضاً مقبلاً ، وإما
غير ذلك .

تمة

واعلم أن الاسم الذي يوضع على الإنسان علماً عند الولادة أو عند تبديل
اسمه باسم آخر إما أن يكون بصورة الكنية كأبي بكر وأبي القاسم لمن سمي

(47) في ك و س و ح : « فإيسوا » وهو تحريف .

<به> (48) فيكون اسمه كنيته، وإما أن يكون غيرها كزيد وعمرو وهو
 الأغلب ، وحيث أن تقرن به الكنية من أول وهلة فيقال مثلاً : سميت
 ابني كذا وكنيته كذا ، وقد يقرن به اللقب أيضاً فيقال مثلاً : سميت ابني
 محمداً وكنيته أبا عبد الله ولقبته جمال الدين ، وهذا كله لا إشكال في علميته ،
 وقد لا يكنى ولا يلقب أولاً ، فإذا كني بعد ذلك أو لقب كان ذلك عارضاً
 لا كالاسم اللازم أبداً من وجهين : أحدهما أنه لم يكن شيء منهما ثم كان ،
 الثاني أنهما يكونان ثم لا يكونان فإنه قد يكنى ثم لا يكنى ، وقد يكنى هذا
 ولا يكنى الآخر ، وكذا اللقب ، فصار كل منهما بمنزلة الوصف يعرض
 الاتصاف به فقد (49) يقال : كيف يحسبان مع هذا في الأعلام؟ والجواب
 أنهما متى أطلقا على المسمى عيناه عند من عرفهما من غير معنى زائد على
 الذات ، وهذا حاصل العلمية . أما طروءهما فلا يضير ، فإن الاسم أيضاً
 كثيراً ما يطرأ ، والمعتبر ما بعد الطروء كما هو الأمر في التسمية الأولى ،
 وأما كونهما يتركان أحياناً فللاستغناء عنهما بالاسم كما يكون في الشيء
 يسمى بأسماء مترادفة ، فإذا عبر عنه بواحد منها كفى ، وفيه بحث ، وهو
 أن الأسماء المترادفة فوضى على مدلولها ، ولا كذلك ما نحن فيه ، فإن كلاً
 من الكنية واللقب إنما يجلب لغرض من تعظيم أو تحقير أو غير ذلك مما مر ،
 فيكون الوصف محط التسمية ، وحيث هو كلي ، فيكون الاسم اسم جنس
 أو علم جنس وذلك خلاف ما يقال من أنه علم شخص ، وهذا بحث قوي
 لم نسطه لأننا لسنا بصدده ، ويحجب بمنع ذلك وأن محط التسمية الذات مع
 ملاحظة الغرض وكونه يؤتى به عند وجود الملاحظة ويترك عند عدمها ،
 وأن ذلك غير معهود في الاسم لا امتناع فيه فافهم . فأقول :

(48) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(49) في ك و س و ح « وقد » .

[اسم المؤلف ونسبه]

أنا الحسن بن المسعود (1) بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم ابن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو (2) بن يحيى بن يوسف ، وهو (3) أبو القبيلة ابن داوود بن يدراسن بن يمنتو (4) ، فهذا ما بعد (5) من النسب إلى أن دخل بلد فركلة في قرية منه تسمى حارة اقلال (6) وهي معروفة الآن .

والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود وأبو محمد .

أما ذكرى للاسم فلما مر من فوائد التسمي . وأحمد الله تعالى وأشكره إذ جعله حسناً ، وأسأله سبحانه أن يجعل كذلك فعلي وخلقي وحظي في الدارين منه حسناً . كما أحمدته تعالى إذ حسن اسم والدي أيضاً فجعله مسعوداً ، وأسأله تعالى أن يجعلني كذلك في الدارين ويجعله مسعوداً .

ومما اتفق لي في اسمي هذا واسم والدي أنني كنت ذات مرة سافرت إلى زيارة الأستاذ الإمام ابن ناصر رحمه الله ، فمررت ببلادنا ، وكان أخونا في الله البارع الفاضل الخير أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي يشتبه أن أمر به في زاويته فلم يتفق لي ذلك فكتبت إليه اعتذاراً :

- (1) كذا في الأصل ومثله في س أما ك وح ففيهما : « مسعود » بدون حرف التعريف .
- (2) هو كذلك في الأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « عمر » المعلوم .
- (3) كذا بالأصل ومثله في س وح أما ك ففيهما : « وهذا » .
- (4) كذا في الأصل بياء فتون فتون أخرى فتاء مثناة بعدها واو وفي ك : « يلتنو » . بياء فلام فتون فتاء فواو وفي س : « ينتن » بياء فتون فتاء فتونين ، أما ح ففيها : « يلتن » بياء فلام فتون فتاء بعدها نون ، وليحرر ما يصح فيه .
- (5) كذا بالأصل وفي ك و س وح : « نعد » .
- (6) في ح وحدها : « الاقلال » .

أبا سالمٍ ما أنت إلا كسالمٍ لدينا ولم يقضِ اللقاء فسالم
 وزود غريباً طالما قدفت (7) به ضروب (8) النوى من كل أفيح قائم
 مرأماً (9) لشرب الكأس وهي منوطة بكف الثريا أو بكف النعائم (10)
 بود (11) وإن الود من أطيب القرى ودعوة صدق عند عقد العزائم
 وسلم على من ثم من جملة (12) الملا تحية ذي ود إلى الكل دائم

وقولي : (كسالم) تلميح إلى قول الشاعر (13) :

يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج (14) : « أنت عندي كسالم »
 فلم يفهم مراده حتى أنشد البيت المذكور ، ومراد الشاعر أن سالماً المذكور
 الذي يدافع الناس عنه ويحامي عنه في محبته له وعزته عليه بمنزلة الجلدة التي

- (7) في ك : « قدفت » بالدال المهملة وهو تصحيف .
 (8) كتب أكنسوس بخطه على طرة مخطوته : « صروف » .
 (9) كذا براء ، وفي ك : « مداما » بالدال وهو ما في ح كذلك ، وفي صلب س : « مداما »
 ولكن أكنسوس كتب بخطه على طرة مخطوته : « مرأما » بالراء ولفظ المدام بالدال
 أوفق بسياق الكلام .
 (10) النعائم منزلة من منازل القمر .
 (11) كتب أكنسوس بخطه على طرة مخطوته فوق هذه الكلمة ما لفظه : « متعلق بقوله : وزود » .
 (12) في صلب س : « جملة » وكتب أكنسوس بخطه على طرفها : « جلة » .
 (13) هو زهير بن أبي سلمى على ما ذكره الزبيدي في « تاجه » رواية عن شيخه ابن الطيب
 بمادة (سلم) ، وينسبه البعض إلى عبد الله بن عمر في ابنه سالم .
 (14) في « أمالي القاضي » (1 : 15) : « حدثنا أبو بكر قال : حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي
 قال : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : (أنت عندي كسالم) فلم يدر ما هو ،
 فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله ، فكتب إليه : إن الشاعر يقول :

يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وفي « عيون الأخبار » (2 : 49) : « قال الوليد : ألا أن أمير المؤمنين عبد الملك

كان يقول : الحجاج جلدة ما بين عيني ألا وإن الحجاج جلدة وجهي كله » .

بين الأنف والعين لأن (15) تلك الجلدة هي سالم فهو تشبيه .

ثم < لما > (16) قفلنا من زيارتنا كتب إلي كتاباً يهني بالزيارة ويهني من معي بصحبي ، وفي آخره :

من فاته الحسن البصري يصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

ومن غريب الاتفاق مع ذلك أن كنت في تلك المدة إما قبل هذا الكتاب أو بعده بقريب حدثني بعض الإخوان أنه رأى (17) فيما يرى النائم جماعة من الصالحين والكاتب معهم . وفيهم الشيخ محمد بن مبارك التستاوتي وغيره من أمثاله فتكلم بعضهم وأظنه قال : ابن المبارك المذكور إلى أن قال : إن كان الحسن البصري في زمانه فهذا الحسن البصري (18) في زماننا يشير إلى الكاتب ، وإنما ذكرت هذا رجاء وطماعية في اللحاق بالصالحين أو بمحبيهم (19) أو بمحبي محبيهم وتبركاً بذكرهم ، وإلا فليس بعشك فادرجي (20) .

(15) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، وهو بصورة لام تعليل ملتصقة بأن التي للتوكيد ، ويبدو أن ألفاً سقطت مما بينهما ، وأن تمام العبارة كان هكذا : (لا أن) بحرف نفي قبل أن وجاء في « صحاح الجوهري » بمادة (سلم) ما لفظه بالحرف : ويقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم ، وقال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يديروني عن سالم البيت)

وخطأ ابن بري تفسير الجوهري هذا فقال فيه ما حكاه عنه ابن منظور في اللسان فقال : « قال ابن بري : هذا وهم قبيح أي جعله سالماً اسماً للجلدة التي بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن عمر فجعله لمحبتته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه » .

(16) ما بين العلامتين ساقط من س .

(17) في ك و س : « يرى » بصيغة المضارع .

(18) كذا بالأصل ومثله في ك و ح وأما س ففيها : « اليوسي » .

(19) كذا بالأصل ، وفي ك و س و ح : « بمحبتهم » .

(20) هو مثل فسرهِ الميداني في « أمثاله » فقال بالنص : « ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق

فدعيه ، يقال : درج أي مشى ومضى ، يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره » .

لما انتسبت إلى علاك تشرفت ذاتي فصرت أنا وإلاّ من أنا

وكتب إلي العلامة أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي بأبيات يذكر فيها أنه على عقد المحبة وفي آخرها :

لقد تحببت لي فضلاً (21) خصصت به بين الوري حبذا حب ابن مسعود

فعلت أنه يوري عن ابن مسعود الخبر الصحابي، رضي الله عنه وألقنا وآباءنا بزمرته إنه ذو الجود والإحسان ، فقلت : إن هذا كله من نعم الله التي يسر بها الإنسان ، وهو موافقة اسمه أو اسم أبيه لأسماء الخيار .

ومن غريب الاتفاق أنني كنت أكتب ما تقدم من النسب فجاء أعرابي بقصيدة من الملحون يمدحني بها، وفي أثنائها يقول ما معناه: إن اسمه، أي (22) الممدوح، على اسم الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقلت في نفسي : سبحان الله في هذا كان عملي .

تمة أخرى في أحكام التسمية

اعلم أنه وإن كان المطلوب تخيير الاسم كما مرّ لا بد من التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فكما أنه لا ينبغي له أن يتسفل إلى الأسماء الدنية كذلك ليس له أن يتعلّى إلى الأسماء العلية التي لا تنبغي له كأسماء الله تعالى، وللفقهاء كلام في أسماء الملائكة ، فمن إمامنا مالك رضي الله عنه أنه يكره أن يتسمّى الرجل بجبريل وعلل ذلك (23) بأنه سبب لأن يقول قائل : جاعني البارحة جبريل ، وكلمني جبريل وهو بشيع موهم . وروي عنه أيضاً : لا ينبغي

(21) في ك : « حبا » .

(22) في ك و س و ح : يعني « بدل » : « أي » .

(23) ما بين العلامتين ساقط من س و ح .

بباسين ، وتقدم إلى الحارث (24) بن مسكين القاضي خصمان ، فنادى أحدهما صاحبه باسمه إسرائيل ، فقال القاضي لم تسميت بهذا الاسم ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تُسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ » فقال له الرجل : ولم تسمى مالك بن أنس بمالك ؟ وقد قال تعالى : (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَاسِيْنَا رَبُّكَ) ثم قال : لقد تسمى الناس بأسماء الشياطين فما عيب عليهم ، يعني القاضي فإن اسمه الحارث ، وهو اسم الشيطان إبليس ، قال ابن عرفة : ويرحم الله الحارث في سكوته والصواب معه ، لأن محمل (25) النهي في الاسم الخاص بالوضع أو الغلبة كإسرا فيل وجبريل وإبليس والشيطان ، وأما مالك والحارث فليسا منه لصحة كونهما من نقل النكرات للأشخاص المعينة اعلاماً من اسم فاعل مالك وحارث كقاسم انتهى . وأما أسماء الأنبياء عليهم السلام فيجوز التسمي بها وفي الحديث : « تَسَمَّوْا بِأَسْمِي وَلَا تَكْنُّوْا بِكُنْيَتِي » وقيل : إن هذا النهي منسوخ ، فيجوز التسمي أيضاً والتكني بكنيته صلى الله عليه وسلم . ودخل القاضي أبو القاسم بن زيتون على أمير بلده المنتصر بالله فقال له : <لم> (26) تسميت بأبي القاسم ؟ وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَسَمَّوْا بِأَسْمِي وَلَا تَكْنُّوْا بِكُنْيَتِي » فقال القاضي : إنما تسميت بكنيته صلى الله عليه وسلم ولم أكن بها ، وفي المسألة كلام باعتبار علة النهي وكون ذلك مع وجوده صلى الله عليه وسلم مشهور لا حاجة إلى بسطه ، ومن المنهي عنه في الحديث أن يسمي الرجل غلامه رباحاً أو أفلح أو يساراً ، إذ قال : أَسْمٌ هُوَ ؟ فيقال : لا . ولا بأس

(24) هو الإمام أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف قاضي الديار المصرية على عهد المتوكل العباسي ، كان من كبار الأئمة وثقات المحدثين ، توفي سنة 256 هـ ترجمته في « حسن المحاضرة للسيوطي وفي شذرات ابن العماد » .

(25) كذا بالأصل ومثله في س أما ك وح ففيهما : « محل » .

(26) ما بين العلامتين ساقط من ك و س وح .

بتكنية الصبي < كما مرَّ > (27) وأصله : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا
فَعَلَ النُّغَيْرُ » (28) .

تنبيه : في الحديث : « إِنَّ أَخْنَعَ الْأَسْمَاءِ رَجُلٌ تَسْمَى عِنْدَ اللَّهِ
بِمَالِكِ الْأَمْلَاكِ . وَوَقَعَ فِيهِ عَضْدُ الدَّوْلَةِ (29) حَيْثُ قَالَ (30) .

مَا يَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا بِالسَّمْرِ وَغَنَاءٍ مِنْ جَوَارٍ فِي سَحَرٍ

(27) ما بين العلامتين ساقط من سن .

(28) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله لبني لأبي أيوب الأنصاري كان له نغر فمات ،
والنغير تصغير النغر بضم ففتح وجمعه نغران ، وهي ضرب من العصافير ويقال : هي
فراخ العصافير .

(29) هو أبو شجاع عضد الدولة فنا حسرو الملك الديلمي الشهير ، قال عنه الخلكاني في « الوفيات » :
« هو أول من خوطب بالملك في الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ،
وكان في جملة ألقابه تاج الملة ، مدحه المتنبي بقصيدة جاء فيها :

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
ومن مناياهم براحتهم يأمرها فيهم وينهاها
أبا شجاع بفارس عضد الدو لة فنا خسرو شهنشاهها
أسامياً لم تزده معرفة وإعما لذة ذكرناها

(30) في يتيمة الدهر للشعالبي (ج 2 ص 197) : واخترت له (يريد عضد الدولة) من قصيدته
التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله :

ليس شرب الكأس إلا في المطر وعناء من جوارٍ في السحر
غانيات سالبات للنهي ناعمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
سهل الله له بغيته في ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير في أولاده ليساس الملك منهم بالغرر

فيحكى أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى :
« مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ، هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ » .

غانيات سالبات للنهي ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

فهذا من التغالي المنكر ، وإنما ذلك لأن ملك الأملاك هو الله تعالى ،
وإطلاقه على غيره وإن كان يتأول بمن دونه أي ملك أملاك البشر ، لكنه في
غاية من الإيهام والبشاعة فلا ينبغي . وقد تردد العلماء في أنه هل يلتحق به
قاضي القضاة ونحوه .

ومن البشيع الواقع في زماننا في الأوصاف أن بنى السلطان رشيد
[ابن] (31) الشريف جسر سبو ، فصنع له بعضهم أبياتاً كتبت فيه (32) برسم
الإعلام أولها :

صاغ الخليفة ذا المجاز ملك الحقيقة لا المجاز

فحملة اقتناص هذه السجعة والتغالي في المدح والاهتبال بالاسترضاء
على أن جعل ممدوحه ملكاً حقيقياً لا مجازياً ، وإنما ذلك هو الله تعالى ، وكل
ملك دونه مجاز ، الممدوح وغيره . ونسبة الألوهية إلى غيره تعالى كفر
صراح ، وهذا مقتضى اللفظ ، وقائله يتأوله بحقيقة دون حقيقة لأنه موحد ،
ولكنه في غاية الإيهام وغاية البشاعة والقبح ، وقد أنكر الإشبيلي (33) وغيره ممن

(31) ما بين العلامتين غير ثابت في الأصل وهو في ك و س و ح ، فأثبتناه نقلاً عنها .

(32) في ك و ح : « كتب فيها » وهو غير مستقيم في السياق .

(33) زجج أنه عني بالإشبيلي أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

لأنه الإشبيلي الذي ينسب إليه كتاب في لحن العامة بالمراجع التالية : « بغية الملتص » ،
و « مطمح الأنفس » ، و « وفهرسة ابن خير » ، و « وفيات الأعيان » ، و « الديباج
المذهب » ، و « كشف الظنون » ، و « خزانة الأدب » . وجاء اسم الكتاب في بعضها
هكذا : « لحن العوام » وفي بعضها الآخر : (لحن العامة) وسماه ياقوت في « الإرشاد » ،
والصفدي في « الوافي » ، والسيوطي في « بغية الوعاة » كما يلي : (ما يلحن فيه عوام
الأندلس) والكتاب منه مخطوطة وحيدة محفوظة بمكتبة عاشر أفندي في استانبول تحت رقم :
1121 وقد قام بتحقيقه الدكتور رمضان عبد التواب وطبع بالقاهرة سنة 1964 م .

ألف في لحن العامة ما هو أخف من هذا بكثير .

وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مرّ من أن يوسف هو أبو القبيلة
ويستقون الفاء في لغتهم .

وأما ذكرى لما مرّ من النسب فلفوائد منها أن يعرفه من يقف عليه من
ذوي القرابة للتوصل إلى صلة الرحم والموارثة والمعاقلة وغير ذلك من الأحكام ،
وهذا مما لا بد منه ، وقد قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه : تعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم ، وقد حمل الأمر في
كلامه على الوجوب وذلك أصله . الثانية أن يعلم انقطاع النسب عند انتهائه
إلى القرى فيظهر معنى قول مولانا عمر أيضاً رضي الله عنه فيما يؤثر عنه أنه
قال : تعلموا أنسابكم ولا تكونوا كالقبط ينتسبون إلى القرى ، وليس هذا
مخصوصاً بالقبط بل المدن كلها تتلف الأنساب كما قال العراقي (34) رحمه الله :

وضاعت الأنساب بالبلدان فنسب الأكثر للأوطان (35)

وسبب ذلك أن الإنسان إنما احتاج إلى التمدن للقيام بالتاجر والحرف
وسائر الأسباب التي ينتظم بها أمر المعاش والتعاون على المنافع الدينية والدنيوية ،
ولا يتأتى ذلك عادة إلاّ بكثرة الناس لتحصل عمارة الأسواق ، ويحصل من
كل حرفة وصناعة وسبب وعمل عارف أو أكثر يقوم بها ، ولا يكون ذلك

(34) هو أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي المصري الشافعي أحد
أعلام المحدثين في عصره مع مشاركته في فنون من العلم أخرى ومنها القراءات والفقهاء
والأصول والعربية وكان ديناً عفيفاً حسن السمعة كثير الوقار (725 - 806 هـ) .

(35) البيت هو تمام 997 من أبيات ألفيته التي نظم فيها مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
والتي أولها :

يقول راجي ربه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الأثري

وهي مطبوعة مجردة ومع بعض شروحاتها .

عادة من عشيرة واحدة بل ولا من قبيلة <وعمارة> (36) بل من أخلاط شتى وأفواج جمّة ، وذلك لسببين (37) : أحدهما أن هذا هو مظنة الكثرة الكافية فيما ذكر ، الثاني أن عادة الله تعالى لم تجرِ باختصاص رهط أو حي (38) واحد من الناس بالتفرد بالمعارف والاستقلال بالمصالح الدينية والدينية من دون سائر أصناف (39) الخلق حتى ينتظم بهم الأمر وحدهم وتحصل لهم المزية بذلك والذكر فيه (40) دون <من> سواهم (41) ، بل بث الله تعالى بلطيف حكمته الخصائص والمزايا في الناس ، فيوجد في هذا الرهط عالم ، وفي آخر شاعر ، وفي آخر صانع أو تاجر وهكذا (42) ليتم التعاون ويحظى الخلق كلهم من مائدة الله تعالى في باب الخصوصيات (43) بنصيب .

ولما كانت المدينة تجمع أخلاط الناس صار ساكنها في الغالب غريباً عن نسبه ، فقد لا يكون بينه وبين جار بيته (44) نسب ولا معرفة ، فإذا نشأ نسله انتسبوا غالباً إلى البلد لا إلى قومهم من وجهين : أحدهما أنه كثيراً ما ينقطع ما بينهم وبين قومهم فلا يعرفونهم ، الثاني أن الإنسان يعجب ببلده ويتبجح به لثلاثة أوجه أحدها أنه لا يعرف غالباً غيره ، الثاني أن الله تعالى حجب إلى الناس منازلهم ليلازموها فتنتظم عمارة الأرض على ما قدر الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا

(36) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(37) في س : « لشيتين » .

(38) في س : « صنف » .

(39) في ك و ح : « أوصاف » وهو غلط .

(40) في س : « فيها » .

(41) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(42) في س : « وهذا » .

(43) في ح : « الخصوصية » بالإفراد .

(44) في س : « جاريتة » وهو خطأ .

المدِينةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ . الثالث الإلف الطبيعي ، فإن كل واحد يألف تربته كإلفه لأمه وأبيه ، ولذا لا يزال يحن إلى مسقط رأسه ومحط هوه وأنسه ، وقالوا : الكريم يحن إلى وطنه ، كما يحن النجيب إلى عَطْنِهِ .

وقال الأعرابي (45) :

أحب بلاد اللهما بين منعج (46) إليّ وسلمي أن يصوب سحابها
بلادٌ بها حل الشباب تمائي وأول أرض مس جلدي ترابها

وقال الآخر (47) :

بلدي (48) ألفت به الشبية والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أثواب الشباب تميد

وقال الآخر (49) :

وحب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا (50)

(45) البيتان في « كامل المبرد » ، وفي « معجم البلدان » لياقوت ، ومعهما في المرجمين بيت قبلهما هذا نصه :

ألم تعلمي يا دار ملحاء أنبي إذا أخصبت أو كان جدياً جناها

(46) كذا بالأصل ، ومثله في س ، وهو الصواب ، وفي ك و ح منعج بتقديم الجيم على العين وهو خطأ ، ومنعج ضبطه ياقوت في « معجم البلدان » فقال : « منعج بالفتح ثم السكون وكسر العين على أن بعضهم قد رواه بالفتح والمشهور الكسر » .

(47) هو أبو الحسن علي بن العباس الرومي الشاعر العباسي الشهير .

(48) كذا بالأصل وفي ك و س و ح بلد بدون ياء الإضافة وهي الرواية المشهورة .

(49) هو ابن الرومي .

(50) في « زهر الأدب » للحصري (ج 3 ص 736) تحقيق محمد محيي الدين :
« كان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك حتى أوضحها علي بن =

وهذا المعنى كثير شهير ، ومن الأسباب في ذلك أنها أول بقعة ذاق فيها
 النعمة وأول جهة ألف منها الرفق (51) وآنس الإحسان ، وفي الحديث :
 « جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا » ولك في الحديث
 وجهان : أحدهما لطيف ، وهو أن القلوب الطاهرة عن الهوى ، الصافية
 من رعونات النفس ، الزاهرة بأنوار (52) المعرفة جبلت على حب الله تعالى
 لأنه هو المحسن إليها لا غير . والثاني ظاهري (53) وهو أن القلوب من
 حيث هي جبلت على الميل إلى المحسن من حيث هو ، ولا شك أن كل
 محسن دون الله تعالى لا أثر له ، وإنما هو جهة يرد منها إحسان الله تعالى ،
 ومع ذلك يحب ، فكذا تربة الإنسان أول جهة ورد منها عليه الإحسان الإلهي ،
 فيحبها قبل غيرها من الترب حبا متمكناً كما قيل (54) :

= العباس الرومي في قصيدة لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار يعرف
 بابن أبي كامل أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها بقوله :

ولي وطن آليت ألا أبيعـه	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرح الشباب ونعمة	كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحجب أوطان الرجال إليهم	مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم	عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفت النفس حتى كأنه	لها جسد إن بان غودر هالكا
وقد عزني فيها لثيم وسامي	فقال لي اجهد في جهد احتيالكا
وما هو إلا نسجك الشعر ضلة	وما الشعر إلا ضلة من ضلالكا
وإني وإن أضحي مدلا بماله	لأمل أن أضحي مدلا بمالكا
فإن لم تصبني من يمينك نعمة	فلا تحطئته نعمة من شمالكا

(51) في ح : « الرفقة » وهو خطأ .

(52) في ك : « بأنواع » وفي ح : « بأنواع المعارف » .

(53) في ك و ح : « ظاهر » بدون الياء .

(54) القائل هو أبو المكشوح يزيد بن سلمة الخير عامر ، عرف بابن الطثرية (. . . - 127هـ)
 شاعر فصيح من شعراء العهد الأموي .

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا (55)

وقال الآخر (56) :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينه أبدأ لأول منزل (57)

ومن أسباب المحبة والحنين حب من كان فيها من ذوي القرابة والأحباب وتذكارهم عند تذكرها ، وقد قيل : إن قوله صلى الله عليه وسلم في أحد : « جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » إن المراد من كان فيه من الأصحاب كحمزة ومن معه رضي الله عنهم ، وقال المجنون :

أمرّ على الديار ديار ليلى أقبلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(55) البيت من قطعة له أوردها أبو بكر محمد بن داوود الأصفهاني في « كتاب الزهرة » ونصها :

أعيب الذي أهوى وأطري جوارياً
برغمي أطيل الصد عنها إذا بدت
فقد غضبت أن قلت أن ليس حاجتي
وهل كنت إلا معمداً قانط الهوى
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(56) القائل هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر العبّاسي الشهير .

(57) جاء في كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ما يأتي : « حدثني أبو جعفر أحمد بن يزيد المهلبّي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبا تمام يقول : أنا كقولي :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينه أبدأ لأول منزل

والبيتان واردان في « دلائل الإعجاز » ، وفي « الصناعتين » ، وفي « الموازنة » ، وفي « شرح الشريشي على المقامات » والأول منهما في « المحاسن والأضداد » للجاحظ وفي « المحاسن والمساوي » لليهقي .

وقال الآخر يخاطب وطنه :

تقسم فيك التراب أهلي وجيرتي ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي

وهذا سبب ذكر الديار والمنازل والأوطان (58) ولا ينحصر ما قيل في ذلك ، وسنلم بشيء منه إن شاء الله في هذا الكتاب ؛ ثم إذا انتسب إلى البلد (59) ذهب قومه وتنوسيت أسلافه ، فصار النسب مجهولاً لا باعث على حفظه ولا حامل على تعرفه (60) وهذا بخلاف أهل البادية فإنهم يحفظون أنسابهم إذ لا ملجأ لهم في الانتساب (61) غير قومهم فيبقى الأب الأول محفوظاً وبحفظه وذكره ما بينه وبينهم من سلسلة النسب ، وإنما كان ذلك فيهم لوجهين : أحدهما أنه لا قرار لهم في باديتهم فينتسبوا إليه ، بل منازلها عندهم سواء . الثاني أنهم خالصون غالباً من كثير الشوب ، فكل واحد غالباً ينزل قومه ، إذ لا حاجة بهم إلى التمدن في باديتهم اكتفاء بالحاضرة ، فكل حي فيها يعيشون وحدهم ، ومتى خالطهم غيرهم لم يزل معروفاً بكونه ملصقاً ، وقد يكون من القرى ما يكون كذلك ، لانقطاعه عن الاختلاط وعدم التمدن فيمكنهم حفظ أنسابهم أيضاً .

ومن هذا حفظت قريش أنسابها مع كونها في قرية ، وكذا الخزرج في طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وكذا نحوها ، وقد يكون في المدائن من يحفظ نسبه أيضاً ، ولا سيما من له نسب مخصوص كالعلوية ، أو من يكون في محلة < منغزلة > (62) في المصر فيكون كالقرية السابقة .

(58) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « الأطلال » .

(59) في س : « النقر » بدل البلد .

(60) في س : « تعريفه » .

(61) في ح : « الأنساب » .

(62) ما بين العلامتين ساقط من س .

الثالثة (63) أن يعلم أن حفظ الأنساب ليس خصوصية للعرب وإن كان لهم مزيد اهتمام بها ومزيد ارتفاع الهمة ، وكنت أنا قبل أن أخالط قومي أظن ذلك وأقول : إن العجم إنما هم كالمعزى ليس بين الأم وبين ولدها عهد إلا أن يرعى فيذهب حيث شاء ، وأما الأب فلا سؤال عنه ، فلما باحثت قومي في (64) هذا ألفت الأمر على خلاف ما كنت أظن ، ووجدتهم يحفظون أنسابهم كما مرت ، وإذا فيهم نسابون يحققون الفصائل والشعوب على نحو ما كانت العرب تفعل في أنسابها ، والوهن وإن كان يمكن أن يداخل شيئاً من ذلك فليس بعجب ، فإن غيرهم < أيضاً > (65) ما كان يسلم من ذلك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كَذَبَ النَّسَابُونَ . قَالَ تَعَالَى : وَقُرُونًا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا » وكون هؤلاء < أيضاً > (66) يكتبون بالقرى ويضعون أنسابهم فذلك غير مختص بهم ، فقد وقع أيضاً للعرب حين دخلت قرى الشام والعراق ومصر والمغرب وغيرها ، فلا تزال تلقى حلبياً أو حمصياً < أو كوفياً أو بصرياً > (67) أو قرطبياً أو باجياً ، وهو تميمي أو قيسي أو أزدي أو غيره ، وكثير منهم لا يرفع نسبه ، وإنما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ما قال قبل أن يقع هذا الواقع أو قاله خوفاً منه ثم وقع كما ظن .

ويتعلق بأمر النسب أبحاث :

الأول : اعلم أن نسب الإنسان الأصلي هو الطين ، قال تعالى : (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) وقال صلى الله عليه وسلم : « أَنْتُمْ بَنُو

(63) في ك و ح : « الثالث » بدون هاء التانيث .

(64) في ك و ح : « على » بدل : « في » .

(65) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(66) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(67) ما بين العلامتين ساقط من ح .

آدَمَ ، وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ . ويقال لآدم عليه السلام : عرق الثرى وأعراق
الثرى ، قال امرؤ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسليني شبابي (68)
وهذا هو الأصل لجملة ، ثم لكل فرد منه بعد آدم أصل آخر وهو
النطفة ، قال تعالى : « ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ »
فإذا استوى الإنسان كله في أنه من طين وأنه في الجملة (69) من ماء مهين لم
يمكن أن يكون له فضل في نفسه باعتبار أصله ، ولا أن يكون لبعضه فضل
على بعض بذلك ، لاستواء الجميع ، ولهذا نبه صلى الله عليه وسلم على هذا
فقال : « إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غُبِّيَّةَ (70) الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا

(68) في ك و س و ح : « ثيابي » بدل « شبابي » التي هي رواية الأصل ورواية « الديوان »
أيضاً ، والبيت شرحه الأعلام الشنتمري بما يلي :

قوله (وشجت عروقي) أي اشتبكت واتصلت يقول : إن أصله في حبه ثابت راسخ ،
وقيل : أراد بقوله : « عرق الثرى » آدم صلى الله عليه وسلم لأنه أصل البشر ، ولأنه
أصل العرب ، هذا على قول من زعم أن جميع العرب من إسماعيل صلى الله عليه وسلم ،
وقيل : أراد بعرق الثرى إسماعيل صلى الله عليه وسلم فيقول : عروقي متصلة بإسماعيل
إذا انتسبت ، وقد في كل من بيني وبينه من نسب ، فلا شك أني لاحق بهم ، وقد بين
ذلك بقوله : وهذا الموت يسليني شبابي .

(69) في ك و ح : « جملة » بالتنكير .

(70) كذا في الأصل بغين معجمة ، ومثله في مخطوطة الكتاني ، وهو كذلك في مخطوطة أكنسوس
وفي الطبعة القاسية ، وهو تصحيف صوابه العبية بعين مهملة . والعبية فسر الزمخشري لفظها
في « فائقه » وبين اشتقاقها وذكر وزنها فقال :

« العبية : الكبر ، ولا تخلو من أن تكون فعلية أو فعولة فإن كانت فعلية فهي من
باب عباب الماء وهو زخير وارتفاعه كما قيل له الزهو من زهاه إذا رفعه ، والأبوية
بمعناها ، من الاباب بمعنى العباب ويجوز أن يكونا فعولة من العباب والأباب إلا أن اللام
قلبت ياء كما في تقضي البازي ، والأظهر في الآية أن تكون فعولة من الاباء والعمية أيضاً
فعلية من العمم وهو الطول ، والطول والارتفاع من واد واحد، والمتكبر يوصف بالترفع
والتطاول ، ويجوز أن تكون فعولة من العمى لأنه يوصف بالسدر والتخبط وركوب
الرأس، وإن كانت - أعني العبية - فعولة فهي من عباه إذا هياه ، لأن المتكبر ذو تكلف
وتعبئة خلاف من يسترسل على سجيته ، والكسر في العبية لغة .

بِالْآبَاءِ ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ . وَنَبِي اللَّهِ تَعَالَى الْإِنْسَانَ عَلَى
أَصْلِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ لِيَتَّبِعَهُ فَيَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَعْرِفَ اقْتِدَارَ مَوْلَاهُ ، وَقَالَ مَوْلَانَا
عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : « مَا لِبْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ ، وَأَوْلَاهُ نَطْفَةٍ ، وَآخِرُهُ جَيْفَةٍ » .
وَقَدْ يُقَالُ : أَوْلَاهُ نَطْفَةٌ مَذْرَةٌ (71) ، وَآخِرُهُ جَيْفَةٌ قَذْرَةٌ ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ
يَحْمَلُ الْعَذْرَةَ ، وَعَقَدَ الشَّاعِرُ (72) الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

مَا بَالُ مِنْ أَوْلَاهُ نَطْفَةٍ وَجَيْفَةٍ آخِرُهُ يَفْخَرُ (73)

[وَقَالَ آخِرُ (74) :

عَجِبْتُ (75) مِنْ مَعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَأَوْلَاهُ نَطْفَةٌ مَذْرَةٌ (76)
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حَسَنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي التُّرْبِ جَيْفَةٌ قَذْرَةٌ
وَهُوَ عَلَى عَجْبِهِ وَنَحْوَتِهِ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ تَخْرُجُ الْعَذْرَةُ (77)]

(71) فِي كَوْحٍ : « مَذْرَةٌ » بَدَالُ مَهْمَلَةٍ ، وَهُوَ تَصْحِيفُ صَوَابِهِ بِمَعْجَمَةٍ ، وَفِي الْقَامُوسِ :
« مَذْرَتُ الْبَيْضَةِ كَفَرَحٍ فَهِيَ مَذْرَةٌ فَسَدَتْ وَنَفْسُهُ وَمَعْدَتُهُ وَالْجُوزَةُ خَيْثُ ، كَتَمَرَتْ » .

(72) هُوَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سُوَيْدٍ شَاعِرُ الزُّهْدِ الشَّهِيرِ .

(73) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَقَبْلَهُ :

مَا أَحْمَقُ الْإِنْسَانَ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدًا فِي حَفْرَةٍ يَقْبُرُ

(74) مَا بَيْنَ الْعَلَامَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَمِنْ س ، وَاسْتَدْرَكَهُ نَاسِخُ الْمَخْطُوطَةِ الْكُتَابِيَّةِ عَلَى طَرَفَيْهَا
وَهُوَ وَارِدٌ فِي الطَّبَعَةِ الْفَاسِيَّةِ .

(75) فِي كَشْكُولِ الْعَامِلِي (1 : 413) يَتَحَقَّقُ الزَّائِي :

« مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ابْنُ آدَمَ أَوْلَاهُ نَطْفَةٌ مَذْرَةٌ ، وَآخِرُهُ جَيْفَةٌ

قَذْرَةٌ ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَهُمَا يَحْمَلُ الْعَذْرَةَ ، وَقَدْ نَظَّمَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

عَجِبْتُ مِنْ مَعْجَبٍ بِصُورَتِهِ الْأَبْيَاتُ »

(76) كَذَا فِي الطَّبَعَةِ الْفَاسِيَّةِ ، وَهُوَ مُخْتَلٌ الْعَرُوضُ وَجَاءَ فِي طَرَفِ كَذَا هَكَذَا :

(وَهُوَ مِنْ قَبْلِ نَطْفَةٍ مَذْرَةٍ)

أَمَّا كَشْكُولُ الْعَامِلِي فَجَاءَ فِيهِ الْمَصْرَاعُ كَمَا يَلِي :

(وَكَانَ مِنْ قَبْلِ نَطْفَةٍ مَذْرَةٍ)

(77) رَوَايَةُ الْمَصْرَاعِ فِي الْكَشْكُولِ كَالتَّالِي :

(مَا بَيْنَ هَذَيْنِ يَحْمَلُ الْعَذْرَةَ)

نعم يشرف الإنسان بخصوصية تزداد على جسمه الطيني . كالعقل والعلم والدين مثلاً <فيثبت له الفضل> (78) ويثبت لبعضه على بعض ، ولما عمي إبليس اللعين عن الخصوصية ، ولم يرَ إلاّ الطينية (79) السابقة لم يرض بآدم ولا بالسجود له ، ولم يسلم الأمر لمولاه ، فأبى وصرح بأنه خير منه ، وعلل ذلك بالمنشأ المذكور ، فأخطأ من جهات :

منها أنه إما أن يكون لا شعور له بالخصوصيات أصلاً ، وإنما منظره ذوات الأجرام . وهذا جهل عظيم . وإما أن يشعر بها ولا يعرف أنها بها يقع التفاضل . وهذا أيضاً جهل ، وإما أن يعرف ذلك ولكن لا يسلم وجودها في آدم فيكون قد بادر إلى إنكار الشيء قبل تحقق انتفائه ، بل قبل التأمل . وهو أيضاً جهل وطيش وغفلة عن الإمكانيات العقلية وتصرف الفاعل المختار تعالى ، وإما أن يكون ذلك محتملاً عنده ، فعمل على الانتفاء <لا> (80) على الثبوت ، وهو أيضاً جهل وزلل في الرأي وتضييع للاحتياط ، وإهمال لدلالة القرائن المفيدة للعلم ، فإنه لو تأمل أدنى تأمل لاستفاد الحق من ترشيحه للخلافة ، فإنه لا يخفى عليه قول الله تعالى : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ، ومن سجود الجمهور ، ويد الله مع الجماعة ، وإما أن يكون قد علم ذلك ولكن غلبه ما يجد من الحسد والكبر ، فاشتغل بالمكابرة والمغالطة ، وهذا أيضاً جهل ، فإن العلم إذا لم ينفع كالعدم . ومن لا يجري على علمه في حكم (81) الجاهل ، هذا مع غاية النقصان بعد التزكية ، وعدم ملك زمام النفس . نسأل الله تعالى العصمة . قال الله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) .

(78) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(79) في ك و ح : « الطينة » .

(80) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(81) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : كالجاهل .

ومنها أنه لم يخلص إلى صحيح العلم وصريح التوحيد فيعلم حق يقين (82) ،
أو عين يقين ، أو علم يقين أن للفاعل سبحانه أن يتصرف في مملكته كيف
شاء ، فيرفع من شاء ، ويضع من شاء <ويقدم من شاء> (83) ويؤخر
من شاء ، ولا سبب غير العناية الأزلية ، وكل شيء بقضاء وقدر (لا يُسألُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) .

ومنها أن ما اعتمده من فضل جرم النار على جرم الطين ضعيف لا يسلم
له ، فإن فضل النار <إن> (84) كان بمجرد حسنها الصوري فهذه المزية
لا تكفي ، فإن الأشياء خلقت للانتفاع بها ، فما ينبغي أن يكون تفاوتها إلا
بالمنافع أكثرية وأهمية ، والحسن الصوري من المنافع النظرية ، وغيره أهم
منه ، ففي النار منافع كالإحراق والإيقاد والإنضاج والتسخين والتحليل
والتعقيد (85) والتعذيب لمن أريد والتذكر (86) ونحو ذلك ، وفيها مفسد
كثيرة ومضار هائلة كالإحراق والإتلاف للنفوس والأموال والزرع والتنشيف
والتبييس والإيلام والعذاب الأكبر ، وحسبك منها أنها ضرة الجنة وضدها
حتى حصل بينهما من التقابل شبه ما بين النفع والضر ، والعذاب وإن اشتمل
على غير النار لكن النار أعظمه ، ولذا صح إطلاقها عليه .

(82) في « كتاب التعريفات » للشيخ الجرجاني : « حق اليقين عبارة عن فناء العبد في الحق
والفناء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط ، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين ، فإذا
عاب الملائكة فهو عين اليقين ، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين ، وقيل : علم اليقين ظاهر
الشرية ، وعين اليقين الإخلاص فيها ، وحق اليقين المشاهدة فيها » .

(83) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(84) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(85) في ح : (التعقير) بالراء بدل الدال وهو تصحيف .

(86) في س : (والتذكير) .

وأما التراب فهو مهاد الإنسان وفراشه حياً ، وكِفَاتُهُ (87) مَيَاتاً ، ثم هو منبع الماء الذي به الحياة ، ومنبت الزرع وجميع الأقوات للإنسان وغيره من الحيوانات ، ومنبت العقاقير التي بها الاستشفاء ، والمعادن التي بها قوام العيش ، والتي بها التعامل ، فمنافعه لا تحصى ، وليس فيه من المفسد والمضار إلا ما هو تافه يضمحل في جنب المصالح والمنافع ، فهذا هو الشرف والفضل ، وقد ظهر ما في كل منهما في فرعه ، فانظر إلى فرع التراب الذي هو الرحمة والمنفعة وهو الإنسان كيف ظهر فيه العلم والدين والرحمة ، قال تعالى في نبيه صلى الله عليه وسلم : « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » ، وانظر إلى فرع النار التي هي النعمة والمضرة وهو إبليس كيف ظهر فيه الإفساد والإغواء والاستفزاز ، والأمر بيد الله على أن الإنسان مخلوق من الاسطقسات (88) الأربعة (89) : التراب والماء والنار والهواء ، قال تعالى : « ... مِنْ تُّرَابٍ ... » وقال أيضاً : « ... مِنْ طِينٍ ... » كما مر ، وهو التراب والماء ، وقال تعالى أيضاً : « ... مِنْ صَلْصَالٍ ... » وهو الطين اليابس لما فيه من نارية ، وقال أيضاً : « ... مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ... »

(87) في « مقاييس ابن فارس » : « الكفاف والفاء والتاء أصل صحيح يدل على جمع وضم ، من ذلك قولهم : كفت الشيء إذا ضمته إليك ، قال رسول الله عليه السلام في الدليل : « اكتبوا صيانتكم » يعني ضموم إليكم واحبسوهم في البيوت ، وقال عز وجل : (ألم نجعل الأرض كفاتاً ، أحياء وأمواتاً) يقول إنهم يمشون عليها ما داموا أحياء ، فإذا ماتوا ضمتهم إليها في جوفها » وفي « فائق الزمخشري » (2 : 421) ما نصه : « الشعبي رحمه الله تعالى - قال بيان : كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فالتفت إلى بيوت الكوفة فقال : هذه كفات الأحياء ، ثم التفت إلى المقبرة وقال : هذه كفات الأموات . وفي ك و ح : (كفانة) بالنون بدل التاء وهو تصحيف .

(88) في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني : « الأسطقسات هو لفظ يوناني بمعنى الأصل ، وتسمى العناصر الأربع التي هي الماء والأرض والهواء والنار اسطقسات لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن .

(89) في ك و ح : (الأربع) بدون الماء .

وهو المتغير الراضحة > بما تخلله من الهواء < (89م) فقد استوفى الإنسان في تركيبه ما في النار ، وزاد < ما > (90) في غيره ، فافتخار صاحب النار على صاحب النار والماء والتراب والريح حتم عظيم .

وهذا المحل يسع من الكلام أكثر من هذا < بكثير > (91) ولكنه ليس من غرضنا فانرجع إلى ما نحن فيه فنقول :

إن ابن آدم متى افتخر قيل له : إن كان افتخارك بأصلك فلا فخر لك < بل > (92) كما يقال : « ضعيف عاذ بقرملة » (93) ثم لا فخر لك به على غيرك لأنكما سيان . وإن كان بمزية فهاتها . فمن ثبت له أو لأبيه ثبت فخره بنفسه أو بنسبه وإلا فلا .

الثاني – اعلم أن ما أشرنا إليه من المزايا التي يشرف بها الإنسان حتى يشرف بشرفه من انتسب إليه كثيرة ، منها دينية كالنبوة وهي أجلها ، وكالعلم والصلاح ومكارم الأخلاق وغير ذلك ، وديوية كالملك ، وهو أعظمها ، وكالنجدة والكرم والقوة وكثرة العدد وكثرة المال والجمال ونحو ذلك وكثير منها يصلح < أن > (93م) يكون دينياً وديوياً كالقوة والعز

(89م) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(90) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(91) بين العلامتين ساقط من ك وحدها .

(92) ما بين العلامتين ساقط من ك وحدها .

(93) لفظه في « مجمع الأمثال » : (دليل عاذ بقرملة) . وكتب عليه الميداني يقول : « قال

الأصمعي : القرملة شجيرة ضعيفة لا ورق لها قال جرير :

كان الفرزق حين عاذ بخاله مثل الدليل يعوذ وسط القرملة »

وفيه أيضاً : « أذل من قرملة – القرملة شجر قصار لا ذرى ولا ملجأ ولا ستر ، ويقال في

مثل آخر : (دليل عاذ بقرملة) أي شجرة لا تستره ولا تمنعه ، أي هو دليل عاذ بأذل

من نفسه » .

(93م) ما بين العلامتين ساقط من ك وحدها .

والكرم وسائر مكارم الأخلاق ، وبعضها ديني وديني معاً كالنبوءة والخلافة والعلم ، وبعض ذلك حسي ، وبعضه معنوي ، وبعضه وجودي ، وبعضه عديمي ، وشرح ذلك يطول فلنقتصر (94) القول مع تمثيل وتمهيد :

أما التمثيل فهو أنه لو اعتبر رجلان متساويان في الخلق والخلق والنسب وسائر الأحوال فلا مزية لأحدهما على الآخر ، وفي مثلهما قال علقمة (95) ابن علاثة للمتنافرين : صرتما كركبتي البعير الآدم (96) ، ولو اختص أحدهما بالفقه فهذه مزية وجودية يفضل بها الآخر . ولو اختص أحدهما بكونه

(94) كذا بالأصل ، أما ك و س و ح ففيها جميعاً : (فلنقتصر) .

(95) كتب أكنسوس على طرة مخطوطته بخط يده تصويماً لكلام اليوسي يقول فيه بالنص الحرفي التام : « لا أدري ما معنى هذا الكلام من المؤلف رحمه الله تعالى ، فإنه في غاية الإشكال ، وذلك لأن علقمة بن علاثة رضي الله عنه ليس هو القائل لذلك الكلام فيما نعلم ، لأنه هو أحد المتنافرين ، والقائل هو الحكم الذي وقع التنافر إليه ، وهو هرم بن قطبة بن سيار الفزاري أحد حكام العرب ، وحاصل قصة هذه المنافرة أن علقمة بن علاثة رضي الله عنه جلس يوماً بموضع يبول فيه ، فمر به ولد عمه عامر بن الطفيل لعنه الله فقال فيه كلاماً غاظه ، فكان ذلك سبب المفاخرة والمنافرة ، وهي المحاكمة في خصوص الشرف ، فتنافرا أولاً إلى أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه فهاب أن يقضي بينهما لما يعلم من شرف كل منهما في قومهما بني عامر مع اتحاد بيتهما ، فبقي الأمر بينهما وازداد حتى تنافرا إلى هرم بن قطبة في قصة طويلة ، فلما أعياه أمرهما بعد إعمال حيل مشهورة جمعتهما وقال لهما أنتما كركبتي بعير تنهضان معاً وتقعان معاً ، هكذا ذكر الأخباريون هذه الحكاية ، والمصنف رحمه الله أعلم الناس بذلك ، وهذا الفن محط رحاله ، وقد ألف في الحكم والأمثال ، ولا يمكن أن يخفى عليه ، والله أعلم بسبب ما وقع له هنا » . اهـ كلام أكنسوس .

(96) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، لكن المروي في المنافرة : (الأدرم) والدرم في البعيران فسرهُ صاحب اللسان فقال : « درم البعير درماً وهو أدرم إذا ذهب جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، وأدرم الفصيل للاجذاع والإثناء وهو مدرم إذا سقطت رواضعه » . وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : « درمت أسنانه : تحاتت ، ورجل أدرم أدرم ، وكعب أدرم لا حجم له ، لغيوبته في اللحم ، وامرأة درماء المرافق وهن درم الكعوب ، ومن المجاز : درع درمة : ملساء قد ذهب خشونتها وقضض جدتها وانسحقت ومكان أدرم : مستو أملس » .

ظلوماً فهذه مزية مذمومة عند أهل الشرع ، وقد سلم منها الآخر ، فله الفضل
بمزية هي علمية ، وعند الجاهلية بعكس هذا ، ولذا تأتي لشاعرهم أن يهجو
بقوله :

قُبَيْلَةٌ لَا يَخْفَرُونَ بِذِمَّةِ وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

فقد فهمت المزية في الجملة .

وأما التمهيد فاعلم أن الأجرام الترابية وما توالد منها متشابهة في الأصل ،
وكانت المزية للناميات الثلاثة . وهي المعدن والنبات والحيوان ، أما المعدن
فله الفضل على سائر الأجرام الترابية بالنمو والنفاسة والانتفاع ، وأما النبات
فله الفضل على ما قبله (97) بالنمو والإثمار والانتفاع الخاص ووجود النفس النباتية ،
حتى إن المعدن جزؤه ككله ، فينتفع بما يقطع منه . فهو في ذلك كغير النامي
بخلاف الشجرة لو اقتطعت منها قطعة لم ينتفع بها الانتفاع المراد منها كالإثمار ،
فأشبهت الحيوان . وربما تموت بقطع رأسها كالنخلة ، كما يموت الحيوان .
وقد ادعى بعض المتكلمين أن للنبات حياة . وزعموا أن النخلة يتعشق بعضها
ببعض فيميل إليه ، وأما ميل عروقها إلى الماء فمشاهد . وزعموا أنه إلى هذا
المعنى الإشارة بالحديث : « أَكْرَمُوا عَمَّتَكُمْ النَّخْلَةَ » وهو حديث
غريب . والذي في الصحيح أنها مثل المسلم ، واختلف المحدثون في وجه
الشبه (98) على أقوال معروفة . وأما الحيوان فله الفضل بما ذكر مع زيادة
الحياة والإحساس والإلهام ، ويختص الإنسان عن جملته بزيادة العقل الذي
هو محط إدراك الكليات والرأي والتصرف . فللإنسان الفضل على الجميع .

والإنسان لفظ واقع على آدم وعلى ذريته أبداً اسماً للقدر المشترك فيه .

(97) في س : (على ما في قبله) وهو تحريف .

(98) في س : « التشبيه » بدل : « الشبه » .

وهو الحيوان الناطق أي المتفكر بالقوة ، والآدمي كله مشترك في هذه الفضيلة ، ولذا (99) سخر له غيره ، وابتلي هو بالتكليف بمعرفة الخالق تعالى <و> (100) بعبادته . وهذه مزية أخرى لجميعه ، ولقد خصه الله تعالى في أرزاقه وفي خلقه وفي خلُقه وفي لباسه وركوبه وغير ذلك بكثير ، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) وإنما قال تعالى : « ... عَلَى كَثِيرٍ ... » لبقاء الملائكة على ما في ذلك من النزاع المشهور بين الجمهور .

لطيفة : كان بعض المخارفين (101) يقول : <نحن معشر المحرومين> (102) لسنا من ولد آدم لأن الله تعالى قد قال فيهم ما تقدم يعني الآية ، وليس عندنا شيء من ذلك ويقول : كان لآدم عبد فنحن جميعاً من ولده ، وليس بيننا وبين آدم نسب أصلاً قلت : وهذا دخل (102م) في أحاديث (103) الخرافات والمضحكات (104) الباطلة ، والإنسان كله ابن آدم كما قال صلى الله عليه وسلم : « أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ... » والآية صحيحة على الجملة وصحيحة أيضاً على التفصيل لأن كل آدمي ولو بلغ في حرمان الرزق والفقر المدقع ما عسى أن يبلغ هو أفضل من سائر الحيوان ومن الجن بعقله وصورته الحسنة

(99) في ك و ح : « ولذلك » .

(100) ما بين العلامتين ساقط من س .

(101) كذا هو في الأصل بجاء وراء وفي ك و ح : (المجازفين) بجيم وزاي ، والظاهر أنهما

تصحيف صوابه : (المحارفين) بجاء وراء، والمحارف فسرهُ الجوهري في «صحاحه»

فقال : « رجل محارف بفتح الراء : محدود محروم ، وهو خلاف قولك : مبارك ،

وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه » .

(102) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(102م) كذا في الأصل على صيغة الماضي ، وفي سواه (داخل) على مثال اسم الفاعل .

(103) في س : وحدها (حديث) بصيغة الإفراد .

(104) في س وحدها : (مع المضحكات) .

وانتصاب قامته وأكله بيديه معاً وسائر تصرفاته وتناوله من الطيبات التي لا تصل إليها الحيوانات ومتمكن من الركوب في البر والبحر إلى غير ذلك ، فهو مكرمٌ أي تكريم ، ومفضل أي تفضيل .

ثم إن أفراد الإنسان متفاوتون فيما ذكر من مزية العقل كثرة وقلة تفاوتاً عظيماً ، وأعلامهم في ذلك الأنبياء ثم الصديقون (105) ثم سائر الزاهدين في العرض الفاني ، وأما أقلهم عقلاً فلا ينضبط وإن وقع التعبير عنه في كثير من كلام الأنبياء والحكماء ، فقد انتهى بعض الأفراد إلى مزاحمة البهائم وما يقع (106) من التعبير عنه يرجع إلى الإضافة .

ثم إن الله تعالى خص آدم وبنيه بمزايا أخرى دينية ودنيوية يمتاز بها البعض عن البعض لا مشتركة كالأولى ، أعلاها في الدينية النبوة ثم الخلافة عنها في الظاهر أو في الباطن أو فيهما أو في السياسة ، وفي الدنيوية الملك ثم النيابة عنه ، ومنها القوة وكثرة المال وكثرة الإنفاق واصطناع الصنائع وابتناء المآثر وكثرة العدد والفصاحة والصباحة ونحو ذلك من كل وصف محمود في الدين أو في الدنيا ، فمن حصل له شيء من ذلك حصل له شرف على قدره ، وثبت لولده عدّة ذلك في مفاخر أبيهم ، وهو المراد بالحسب في لسان العرب ، فكل واحد عندهم حسبه هو ما يعد من مفاخر آباءه ، فهو من الحساب ، ومن ليس له (107) ما يعد فلا حسب له ، فالحصلة الحميدة تكون مفخرة لمن اتصف بها >ولمن انتسب إلى من اتصف بها< (107م) فيشرف <نسبه> (108) بذلك .

(105) في « كتاب التعريفات » للشريف الجرجاني ما نصه : « الصديق هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره باللسان إلا حقيقه بقلبه وعمله » .

(106) في ك و ح : (يقع) .

(107) في ك و ح : (عنده) .

(107م) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(108) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

إذا علم هذا فنقول :

إن آدم أبا(109)البشر على نبينا وعليه السلام قد حصل له الشرف بالنبوة وسائر الخصال الحميدة وبسجود الملائكة له وولادته للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . وهذا كله من المزايا فجميع بنيه شريفهم ومشروفهم ورشيدهم وغويهم يحصل لهم بالانتساب إليه شرف من هذا الوجه يفضلون به غيرهم ممن ينتسب إلى جني (110)أو بهيمة، فلا تظن أن دابة لكونها لم تعص الله تعالى تكون أشرف من إنسان كافر أو فاسق إلا من هذا الوجه ، وأما في النسب والحسب والصورة < وغيرها > (111)فهو أشرف منها ، ولذا يوارى إن مات ولا توارى هي ، غير أن الافتحار بنسبة آدم قد تنوسي لطول العهد كما تنوسيت رحمه .

ومن أطرف ما وقع لسيدنا معاوية رضي الله عنه أن جاءه إنسان فقال له : أسألك بالرحم التي بيني وبينك إلا ما رقدتني فقال : أنت من عبد مناف ؟ قال : لا . قال : أنت من قريش ؟ قال : لا . قال : أنت من العرب ؟ قال : لا . قال : أي رحم بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم فقال : رَحِمٌ مَجْفُوءَةٌ لَأَكُونَنَّ أَوْلَ مِنْ وَصْلِهَا ، فَأَعْطَاهُ .

ثم يتمايزون بعد ذلك ، فمن كان من ولد نوح عليه السلام فهو أفضل نسباً من بقية ولد آدم لأن أولئك يعدون آدم وهؤلاء يعدون آدم ونوحاً ، فإن كل ما بعده الأعلى يعده الأسفل ويزيد ، فإن الأنحص فيه ما في الأعم وزيادة ، وهذا كما يقال في الحكمة في الأجناس المتوسطة والسافلة والأنواع الحقيقية (112) والفصول : إن كل ما يتقدم به الأعلى يتقدم به الأسفل ويزيد ، فالله تعالى قد قال : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

(109) في س : (أبو) .

(110) في ك و س و ح : (جن) بدون ياء النسبة .

(111) ما بين العلامتين ماقط من ك و ح . (112) في ك : (الحقيقة) .

عَلَى الْعَالَمِينَ) فمن انتسب إلى آدم ونوح فقد انتسب إلى مصطفين ، ثم من كان من ولد إبراهيم بعد ذلك فهو أفضل من بقية ولد نوح لأنه يعد آدم ونوحاً وإبراهيم عليهما السلام ، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله حين قيل له : من أكرم الناس ؟ « الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ : يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، نَبِيِّ ابْنِ نَبِيِّ ابْنِ نَبِيِّ ابْنِ نَبِيِّ » وكلامه صلى الله عليه وسلم موافق لقوله تعالى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » . فإن الأنبياء هم أتقى الناس لأنهم أعلم ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء ، فهم أكرم الناس ، فمن انتسب إليهم كرم بنسبه إليهم وإن لم يكن نبياً ، فكيف إذا كان هو أيضاً نبياً ؟ فله الشرف الطارف والتلبد ، كيوسف عليه السلام ، فصدق نبينا صلى الله عليه وسلم . ثم أولاد إبراهيم عليه السلام يتفاوتون في الشرف أيضاً بقدر أنسابهم فمن ازداد بنبي أو نبين أو أكثر ازداد درجة في الشرف ، فأما أولاد إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام فلهم الشرف في الحملة (113) غير أن الأسباط (114) أولاد يعقوب بن إسحاق لهم الشرف الشامخ ، والمجد الباذخ ، فإنهم فازوا بثلاثة أنبياء على نسق ، ثم جل الأنبياء بعد ذلك فيهم ، وقد قال الله تعالى لبني إسرائيل : (اذْكُرُوا

(113) في س : (الجماعة) ويبدو أنه تحريف .

(114) روى الطبري وهو يفسر قوله تعالى من سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . . . الآية » . فقال : « حدثني المثنى قال : ثنا إسحاق قال : ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال : الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب - اثنا عشر رجلاً ، فولد لكل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : نكح يعقوب بن إسحاق وهو إسرائيل ابنة خاله ليا ابنة ليان بن توبيل بن إلياس فولدت له روبيل بن يعقوب وكان أكبر ولده ، وشمعون بن يعقوب ، ولاوي بن يعقوب ، ويهوذا بن يعقوب ، وريالون بن يعقوب ، ويشجر بن يعقوب ، ودينه بنت يعقوب ، ثم توفيت ليا بنت ليان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس =

نِعْمَةٌ لِّلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَنَّا كُنتُمْ مِمَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) وقال تعالى : (يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ) إلى غير ذلك ، وأولاد العيص (115) بن إسحاق لهم شرف
دونهم ، ولم يكن فيهم نبي فيما يقال غير أيوب عليه السلام ، وأما أولاد
إسماعيل بن إبراهيم فلهم الشرف بإبراهيم وإسماعيل أولاً ، ثم استكملوا
الشرف آخراً (116) بسيد الوجود وسر الكائنات سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم إليه يساق <حديث > (117) الشرف
العِد (118) ، وباسمه يرسم عنوان صحيفة المجد ، فبه (119) شرف من قبله

= فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين وهو بالعربية أسد ، وولد له من سريتين له اسم
إحدهما زلفة واسم الأخرى بلهية أربعة نفر : دان بن يعقوب ونفشالي بن يعقوب
وجاد بن يعقوب فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً نشر الله منهم اثني عشر سبطاً لا
يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله ، يقول الله تعالى : (وقطعناهم اثني عشرة
أسباطاً أمماً) . انتهى كلام الطبري .

(115) في « مروج الذهب » للمسعودي (ج 1 : 46 - 47) ما نصه : « تزوج إسحاق بن
إبراهيم برفقا ابنة بتوايل فولدت له العيص ويعقوب في بطن واحد ، وكان الباديء
منهما إلى الفضل عيص ، ثم يعقوب ، وكان لإسحاق في وقت مولدهما ستون سنة ،
وذهب بصر إسحاق فدعا ليعقوب بالرياسة على إخوته ، والنبوة في ولده ، ودعا ليعص
بالمك في ولده » .

(116) في س : (الآخر) .

(117) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(118) هو بكسر العين من قولهم : ماء عد إذا كانت مادته لا تنقطع ، قال الجوهري في « صحاحه »
« العد بالكسر الماء الذي له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر ، والجمع الأعداد » . وجاء
في أساس البلاغة للزمخشري : « ماء عد ومياه أعداد » ، قال الشاعر :

وقد أجوب على عنس مضبرة ديمومة ما بها عد ولا ثم

ومن المستعار : حسب عد ، قال الخطيئة :

أت آل شماس بن لأي وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد

(119) في ك و ح : (به) بدون الفاء .

كما به شرف من بعده ، وقد كان آدم يكنى به تشریفاً له بأشرف أولاده
فيقال : أبو محمد ، وكما يشرف الولد بشرف الوالد قد يشرف الوالد بشرف
الولد ، والله در ابن الرومي في قوله :
وكم أب قد علا بابن ذرى حسب كما علت برسول الله عدنان

وستزيد هذا بسطاً إن شاء الله تعالى ، فمن اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم
بعده < وهم > (120) الفاطميون أشرف الناس نسباً لأن غيره كني إسرائيل
وإن عد بكثرة الأنبياء فهو يعد بأشرف الأنبياء ، والمنتسب إلى الأشرف
يجب أن يكون أشرف ، وهذا باعتبار النسب فقط ، أما من حصلت له
النبوة من بني إسرائيل فهو أشرف بذاته ممن ليس بنبي ، إذ لا يعدل (121)
النبوة إلا نبوة أخرى ، كما أن من كفر منهم فقد اختل نسبه ، واضمحل
حسبه ، بالإضافة إلى من لم يكفر منهم ، أما لو قيس هذا الكافر إلى كافر
آخر قبلي أو نوبي أو نحوهما فالواجب أن يكون هذا أشرف نسباً ، ولو
قيس إلى مؤمن من هؤلاء لتعارض الوجهان ، ولكن الإسلام يعلو ولا يعلى
عليه ، وفي السيرة : قال المسلمون : هذا أبو سفيان وسهيل (122) ، وكان
أبو سفيان لما يسلم ، وقدموه لشرفه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« هَذَا سُهَيْلٌ وَأَبُو سُفْيَانَ ، الْإِسْلَامُ يُعَلُّوْا وَلَا يُعَلَى عَلَيْهِ » فانتبه
لهذا الفصل فإني رمزته ولم أبسطه لأن بعضه موحش لمن لا فهم له .

وإذا علم تفضيل النسب والحسب في باب النبوة فهم في غيرها
[كذلك] (123) كالعلم والصلاح والهداية والزهد والورع والملك والنجدة

(120) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(121) في ك و س و ح : (يعادل) .

(122) تقدم التعريف به سابقاً .

(123) ما بين العلامتين إضافة من الطبعة الفاسية .

والجود وغير ذلك من كل ما يحتسب به ويصير به من عرف به عيناً من أعيان
 عشيرته أو قبيلته (124) أو عمارته أو بلده أو جيله ويشرف به من انتسب
 إليه ، ولم يحل الله تعالى قوماً من سيد > كما (125) لم يحل هجمة (126) من
 فحل ، وبسادة الناس < تنتظم أمورهم ، فهم خلفاء الله في عبادته بالحكم
 التصريفي (127) ، ولذلك إذا فقدوا أو فقدت الأهلية منهم اختل الأمر كما
 قال الشاعر (128) :

(124) قال الزمخشري في « كشافه » وهو يفسر قوله عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم
 من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) : «الشعب الطبقة الأولى من الطبقات
 الست التي عليها العرب ، وهي : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ،
 فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العماير ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع
 الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل ، فخريمة شعب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ،
 وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة » .

(125) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(126) في « الصحاح » : « الهجمة من الإبل أولها الأربعون إلى ما زادت » . ا ه . وفي « أساس
 البلاغة » : « له هجمة من الإبل : ما دون المائة » ا ه .

(127) الحكم التصريفي هو الذي يقع بإزاء الحكم التكليفي ، فالحكم التكليفي هو خطاب الله
 المتعلق بأفعال المكلفين أمراً ونهياً وإباحة ، وأما التصريفي فهو ما قدره الله على العباد
 من الأمور والأحوال أمتال العز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض وغيرها ،
 ومناطه قدرة الله تعالى إيجاداً وإعداماً وفق مشيئته وطبق علمه ، وسيأتي للمؤلف شرح
 هذا وذلك (: ص 139) .

(128) هو الأفوه الأودي ، واسمه صلاة بن عمرو بن مالك ، من قدماء الشعراء الجاهليين ،
 كان سيد قومه وفارسهم وصاحب رأيهم ، وله ديوان شعر جمعه الشيخ عبد العزيز
 الميمني وأودعه بالمجموعة التي سماها « الطرائف الأدبية » ، والبيت من قصيدة في ديوانه
 المشار إليه آنفاً وجاء قبله :

البيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
 فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

ومن بعده قوله :

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

الثالث : الإنسان قد يفتخر بنسبه على ما مرّ ، وقد يفتخر بنفسه أي بالحصول التي اتصف بها والدرجات (129) التي نالها من الدين والدنيا . والأول هو الفخر [العظامي (130) ، لأنه افتخار بالعظام والرفات (131) ، والثاني هو الفخر] العصامي . وهو مأخوذ من عصام (132) صاحب (133) النعمان ، وكان يقول :

نفس عصام سودت عصاما (134)
وعلمته الكسر والإقداما

فكل ما جاءه السؤدد من تلقاء نفسه فهو مثل عصام هذا ، ففخره عصامي .

- (129) في ك و س و ح : « الدرجة » بالإنفراد .
(130) ما بين المعقفين ساقط من الأصل وهو في ك و س و ح فأضفناه نقلا عنها .
(131) في س : « الرفات » بمثلثة وهو تصحيف .
(132) هو عصام بن شهيرة بن الحارث الجرمي ، كان يصحب النعمان بن المنذر ، وكان شجاعاً مقداماً ، وكان فيه كيس ودهاء ، وهو الذي خاطبه النابتة وكان قد سمع أن النعمان أثقله المرض حتى صار يحمل في محفة فحاء لعيادته فحبه عصام هذا فقال :
ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمول على النعش الهمام
فإني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام ؟
(133) في س : « حاجب » بدل « صاحب » .
(134) في « مجمع الأمتال » للميداني (2 : 293) : « نفس عصام سودت عصاما » . يضرب في نباهة الرجل من غير قديم ، وفي المثل : كن عصامياً ولا تكن عظامياً ، ويقال : إنه وصف عند الحجاج رجل بالجهل وكانت له إليه حاجة فقال في نفسه : لأختبرنه ، ثم قال له حين دخل عليه : أعصامياً أنت أم عظامياً؟ يريد : أشرفت أنت بنفسك أم تفتخر بأبائك الذين صاروا عظاماً؟ فقال له الرجل : أنا عصامي وعظامي ، فقال الحجاج : هذا أفضل الناس ، وقضى حاجته ثم فاتشه فوجده أجهل الناس فقال له : كيف أجبتني لما سألتك قال : لم أعلم أعصامي خير أم عظامي ؟ فخشيت أن أقول أحدهما فأخطيء فقلت : أقول كليهما ، فإن ضررتني أحدهما نفعني الآخر .

والناس لم يزالوا مختلفين في هذا المنحى فقوم يعتنون في افتخارهم أو
ثنائهم بذكر الآباء كقوله :

أنا ابن مزيقيا (135) عمرو وجدي أبوه منذر ماء السماء
وقول النابغة (136) :

لئن كان للقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء الذي عند حارب
وللحارث الجفني سيد قومه ليبتغين بالجيش دار المحارب
وقول حسان رضي الله عنه :

أولاد جفنة (137) حول قبر أبيهم قبر ابن مارية (138) الكريم المفضل

(135) هو عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الخطريف، لقب مزيقيا لأنه كان يلبس
كل يوم حلتين فإذا كان المساء مزقهما كراهية أن يعود إلى لباسهما وأنفة أن يلبسهما
غيره من بعده .

(136) البيتان من بائته التي مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وهو قالها في مدح عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن
أبي شمر الغساني ، والبيتان قرهما ابن السكيت فقال : «يقول : لئن كان عمرو ابن
هذين الرجلين المقبورين في هذين الموضعين ليمضين أمره وليمن من حاربه بشر ،
وليلتمسنه حيثما كان» .

(137) في « بلوغ الأرب في معرفة أنساب العرب » للقلقشندي (ص 217) : « بنو جفنة
بطن من مزيقيا بن غسان من الأزدي من القحطانية ، النسبة إليهم جفني ، ومنهم كانت
ملوك الشام من غسان على العرب والقياصرة وفيهم يقول حسان بن ثابت رضي الله
تعالى عنه :

أبناء جفنة حول قبر أبيهم شم الأنوف من الطراز الأول

واسم جفنة منقول من الجفنة التي هي القصعة ، وأول من ملك منهم جفنة هذا، قال صاحب
حماة : وكان ذلك قبل الإسلام بما يزيد على أربعمئة سنة ، وبقي الملك في غسان إلى أن
كان آخرهم جبلة بن الأيهم الذي أسلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ارتد
وتنصر ولحق ببلاد الروم» .

(138) هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي ، وهي أم بني جفنة، وبقرطيا =

وقول العَرَجِي (139) العثماني :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسدادِ ثغر
كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبي في آل عمرو (140)

وقال الفرزدق :

أولئك آبائي فجثني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجمعُ

وقال النابغة لحسان رضي الله عنه حين أنشد :

لنا الجففات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما
ولدنا بني العنقاء (141) وابن محرق (142) فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنمّا

= يضرب المثل في الشيء النفيس فيقال : (خذه ولو بقرط مارية) . وانظر « ثمار القلوب »
للثعالبي (ص 505) و« مجمع الأمثال » للميداني ج 1 ص 242 . والبيت من قصيدته
التي مطلعها :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل
وهي مودعة بديوانه وقبله :
لله در عصابة نادمتهم يوماً بخلق في الزمان الأول
وبعده :

يفشون حتى ما تهر كلاهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

(139) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجي نسبة إلى قرية بنواحي
الطائف يقال لها العرج بفتح العين وسكون الراء نسب إليها لمال كان له هناك ، قال
عنه أبو العرج في أغانيه : « كان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منها ونحا نحو
عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد » .

(140) كان العرجي يهجو محمد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك وعامله على مكة
فتطلب منه محمد العلل حتى ألقى به في السجن ، والبيتان كانا من الشعر الذي قاله العرجي
يشكو حاله وهو محبوس .

(141) هو ثعلبة بن عمرو مزريقيا بن عامر ماء السماء وهو سمي العنقاء لطول كان في عنقه .

(142) في ديوان حسان بتحقيق سيد حنفي حسنين « وأبني محرق » بالثنية ومحرق هو الحارث
ابن عمرو مزريقيا وهو دعي محرراً لأنه ثار من قوم قتلوا أخاً له بتحريقهم بالنار .

إنك شاعر لولا أنك قلت : الجففات فقللت العدد ، ولو قلت : الجفان
كان أبلغ . وقلت : يلمعن بالضحي ولو قلت : يشرقن بالدجى كان أبلغ ،
وقلت : يقطرن من نجدة ولو قلت : يجرين كان أبلغ ، ثم افتخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك (143) ، فهذا مذهب العرب <وهو> (144)
الافتخار بالآباء ، ولذا نبه عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكرهه كما مرّ .

وقوم يفتخرون بأنفسهم . وهذا الوجه كثير أيضاً جداً ، لأنه طبع
الآدمي لا يكاد يسلم منه ولا يحصى ما فيه من كلام الناس نظماً ونثراً ولا
حاجة إلى التطويل .

ومن أفصح ما ورد في هذا النحو قول (145) السموأل في لاميته (146)
المشهورة منها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو (147) لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعرنا أنا قليل عديداً إن الكرام قليل

(143) يستبعد كثير من دارسي الأدب العربي أن يصدر عن النابغة نقد على هذه الشاكلة ،
ويرجحون أنه نقد منحول .

(144) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(145) هو السموأل بن الغريض بن عادياء ، أحد بني النضير ، وبنو النضير حي من اليهود ،
شاعر فارس من الجاهليين ، وبه يضرب المثل في الوفاء ، وله أشعار وأخبار مبثوثة
في الكتب الأدبية . والشعر يروى أيضاً لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي .

(146) هي في «حماسة أبي تمام» ، وفي «أمالى القالي» (1 : 265 - 266) وعدة أبياتها
فيهما ٢٢ بيتاً .

(147) رواية «الحماسة» و «الأمالي» :

« إذا المرء لم يحمل البيت »

وما ضر (148) من كانت بقاياها مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول
تسيل على حد الظببات (149) نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل
وإننا لقوم ما نرى القتل سببة إذا ما رأته عامر وسلول (150)
إلى أن قال :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
سلي إن جهلت الناس عنا (151) وعنهم (152)
وليس سواء عالم وجهول
فإن بني الديان (153) قُطِبَ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول
ومثل هذا النمط من الكلام فيه افتخار (154) بالنفس وبالآباء أيضاً لأن
المقصود أنهم على هذا الوصف كإبراً عن كابر <و> (155) قول الفرزدق:
أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

- (148) رواية « الحماسة و « الأمالي » . :
« ومسا قل من كانت البيت »
وبعده فيهما :
- وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكرين ذليل
(149) في « القاموس » : « الظبة كثة حد سيف أو سنان ونحوه ج أظب وظبات وظيون بالضم
والكسر وظبى كهدى » وفي ح : « الضبات » بالصاد الساقطة وهو تصحيف .
(150) في ك : « سليل » وهو تحريف .
(151) في س و ح : « عني » .
(152) رواية المرزوقي في « شرحه على الحماسة » : « عنكم » .
(153) في « نهاية الأرب » للقلقشندي : (ص 55) : « بنو الديان بفتح الدال المهملة وتشديد
الياء المثناة من تحت ونون في الآخر من بني الحارث بن كعب من القحطانية وكان لهم
الرياسة بنجران من اليمن والملك على العرب بها » ورسمت الكلمة في س هكذا . « الذياب »
وهو تصحيف .
(154) في ك و س و ح : « الافتخار » بحرف التعريف .
(155) ما بين العلامتين ساقط من ح .

وغير ذلك. ثم كثير من الناس لا يلتفتون إلى النسب ولا يقيمون للمفتخر به وزناً كما قال الحريري (156) :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما
على ما بدا من حاله لا ابن أمسه
فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال الآخر (157) :

كن ابن من شئت واتخذ أدباً
إن الفتي من يقول : هأنذا
يغنيك محمداً عن النسب (158)
ليس الفتي من يقول : كان أبي

إلى غير ذلك مما لا ينحصر .

والحق أن كرم النسب فضيلة قال تعالى : (وكان أبوهما صالحاً)
وقال صلى الله عليه وسلم في بنت حاتم : « إنَّ أباهما كانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ
الأخلاقِ » . ووصفُ الإنسان وسعيه هو الشأنُ ، والنسبُ زيادةٌ ، فإلغاء
النسب رأساً جورٌ ، والاقتصار عليه عجزٌ ، والصواب ما قال (159) عامر (160)
ابن الطفيل :

(156) أي في المقامة الكرجية ، وهي الخامسة والعشرون في ترتيب « المقامات » .

(157) البيتان في « شرح الشريشي على المقامات » (3 : 34) وبعدهما فيه :

مالي عقلي وهمي حسبي
إن انتمى منم إلى أحد
لا أنا مولى ولا أنا عربي
فإنني منم إلى أدبي

(158) رواية الشريشي لهذا المصراع هكذا :

(يغنيك مأثوره عن النسب)

(159) في ك و ح : « قاله » .

(160) ترجمه البغدادي في « الخزانة » (3 : 80 - 81) بتحقيق عبد السلام هارون فقال :

« هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وكنية عامر في الحرب أبو =

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر من وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبي (161)

فقوله : (وإن كنت ابن سيد عامر) تعريض بالنسب وإعلام بمكانته
منه، وقوله : (أبى الله أن أسمو بأم ولا أب) < أي > (162) فقط دون
شيء يكون مني ليوافق ما قبله فمراده أنني لا أكتفي بالنسب وأخلو عن
استحصال الحمد وابتناء المجد .

ومثله :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
نبي كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا (163)

= عقيل ، وفي السلم أبو علي ، قال ابن الأنباري في « شرح المفضليات » : « كان عامر من
أشهر فرسان العرب بأماً ونجدة وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم
من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل فإذا ذكر نسباً عظم عده » . وكان عامر
وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترط عليه في إسلامه أن يجعل له نصف غلات
المدينة وأن يكون ولي أمره من بعده فدعا عليه النبي عليه السلام فهلك في طريقه إلى أهله
سنة اثنتين من الهجرة ، وله « ديوان شعر بشرح أبي بكر بن الأنباري » طبع بليدن
بعناية المستشرق لاييل متناً وترجمة انجليزية سنة 1913 .
(161) الأبيات من قصيدة في ديوانه ، وهي في « الشعر والشعراء » و « كامل المراد » و « حزانة
البغدادى » .

(162) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(163) البيتان لأبي الحسن عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أحد أشراف
المهاشمين ، كان جواداً سخياً ، وفارساً شجاعاً ، وشاعراً فصيحاً ، وخطيباً منموهاً ،
ادعى الخلافة في أخريات بني مروان ، وقتله أبو مسلم الحراساني سنة 131 هـ وهما في
« ديوانه » الذي جمعه الأستاذ عبد الحميد الراضي وطبع سنة 1975 م والبيتان نسبا أيضاً
للمتوكل الليثي ، ولمعن بن أوس ، كما نسبا كذلك لامرئ القيس بن حجر .

وقال الآخر :

أنا الفارس الحامي حقيقة وائل كما كان يحمي عن حقائقها أبي

وقال زهير :

وما يكُ من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبِتُ الخطيُّ إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (164)

وقال الملك الراضي (165) من ملوك بني العباس :

لا تعذلي كرمي على الإسراف ربح المحامد متجر الأشراف
أجري كآبائي الخلائف سابقاً وأشيد ما قد أسست أسلافي
إني من القوم الذين أكفهم معتادة الإخلاف والإتلاف

(164) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

وقد فسرهما الأعلام الشنمري في « شرحه على ديوان زهير » فقال : « قوله :
(توارثه آباء آبائهم) يقول : مجدهم قديم متوارث ، ورثوه كابرأ عن كابر ، وقوله :
(وهل ينبت الخطي إلا وشيجه) الخطي الرمح نسبة إلى الخط وهي جزيرة البحرين ،
ترفاً إليها سفن الرماح ، والشيج القنا الملتف في منبته ، واحده وشيجه يقول : لا
تنبت القناة إلا القناة ، ولا تغرس النخل إلا بحيث تنبت وتصلح ، وكذلك لا يولد
الكرام إلا في موضع كريم » .

(165) ذكره المسعودي في « مروجه » فقال : بويح الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر ، ويكنى

أبا العباس ، يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ،
فأقام في الخلافة إلى أن قضى من ربيع الأول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة . مات
حتف أنفه بمدينة السلام . ثم وصفه فقال : « وكان الراضي أديباً شاعراً ظريفاً ، وله
أشعار حسان في معان مختلفة إن لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه » . ثم زاد
يقول فيه : « وكان الراضي كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخياً جواداً حسن
المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقرباً لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير الدنو
منهم ، فائضاً بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائته في كل يوم إلا بصلة
أو خلة أو طيب » .

فهذا وأبيك الفخر العلي البنيان ، المتأسس الأركان .

واعلم أن الناس في هذا الباب ثلاثة : رجل كان أصيلاً ثم قام هو أيضاً
يشيد بنيانه ، ويحوط بستانه ، كالذي قبله ، فهذا أكرم الناس وأولاهم بكل
مفخر ، وفيه كان قوله صلى الله عليه وسلم : « الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ »
كما مرّ ، والذروة العليا في هذا الصنف هو نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه
كان أصيلاً بحسب النبوة من عهد إبراهيم وإسماعيل ، ثم لم تنزل أسلافه
في شرف وسؤدد ، ومجد ومخلد ، معروفاً لهم ذلك عند الناس ، وأنهم أهل
الحرم ، وجيران الله ، وسَدَنَةُ بيته ، مع إكرام الضيف ، وإعمال السيف ،
وغير ذلك من المفاخر العظام ، والمآثر الجسام ، وقد اختصهم (166) الله بين
العرب بالاحترام والتوقير ، وجعل لهم رحلة الشتاء والصيف آمنين لا يعرض
لهم لص ولا مغير ، فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف كما أخبر به تعالى
في كتابه ، وذكر ذلك بعض بني أسد فقال (167) :

(166) كذا في الأصل ، ومثله في س والذي في ك و ح : « خصهم » .

(167) البيتان لأبي الصمعاء مساور بن هند بن قيس بن زهير ، وهو شاعر فارس شريف ،
أدرك النبي عليه السلام ولم يجتمع به ، والبيتان في « حماسة أبي تمام » وفي شرحهما
يقول المرزوقي بالنص : « يخاطب بني أسد ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش
وتنسبهم بالقريبي والقراية منهم ، فقال : ادعيتم أن قريشاً إخوتكم وسيما . الكذب
ظاهرة على هذه الدعوى ، لأن لقريش إيلافاً في الرحلتين المعروفتين للتجارة ، وليس
لكم ذا ، وقد آمنهم الله تعالى من الجوع والخوف وأنتم خائفون جائعون وإنما يشير
إلى السورة المنزلة : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » . . . إلى آخرها »
وقد كان المساور مغري بهجاء بني أسد حتى قال الشاعر في ذلك :

شقيت بنو أسد بشعر مساور إن الشقي بكل حبل يخنق

ومن قوله فيهم :

ما سرتني أن أمي من بني أسد وأن ربي ينجي من النار

وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

وعليه فإن الشعر قد قيل في بني أسد وليس الذي قاله بعض بني أسد .

زعمتم أن إخوانكم قريش لهم إلف وليس لكم إلف
أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسد وخافوا

أي أخطأتم في هذا الزعم ، لأنكم لستم (168) مثلهم ، وقوله : إلف
مصدر على فعال . يقال آلفته مؤالفة وإلفاً وتآلفاً ، وليس من آلفته الشيء
إيلافاً كالذي في القرآن .

ثم لما جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم رد بدر شرفهم فجراً . وجدول
كرمهم بجرأ ، بل جعلهم قرار كل مجد . ومركز كل حمد ، وقد (169)
أكمل به الله تعالى الدين ، فكذلك أكمل به سائر (170) المحامد والمحاسن ،
قال صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » وهو
صلى الله عليه وسلم لبنة التمام . فشرفت به قريش خصوصاً والأمة كلها
عموماً صلى الله عليه وسلم ، ومجد وعظم ، وقد بين صلى الله عليه وسلم
هذا كله مع الإشارة إلى التدرج السابق بقوله : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مِنِّي
وَلِدَ إِِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَىٰ مِنِّي وَلِدَ إِسْمَاعِيلَ بَنِي
كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَىٰ مِنِّي بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَىٰ مِنِّي قُرَيْشَ
بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنِّي بَنِي هَاشِمٍ » .

ورجل لا أصل له ينتمي إليه . ولا حسب يُعَرَّجُ عليه . ولكن انتهض
في اقتناء المسائر . واقتناص المفاخر ، حتى اشتهر بمحاسن الحلال ، وصار

(168) كذا بالأصل ومله في س أيضاً فأما ك و ح ففيهما معاً : « لكن لستم مهم »

(169) كذا جاء بالأصل ، ومله في ك و في س وقد أبدلت (وقد) بكلمة : (وكما) في هامش
س بغير خط الناسخ فأما ح ففيها : « وكما » وهي الأليق بالسياق .

(170) كذا جاء في الأصل وفي ك و س و ح : « محاسن الأخلاق » في موضع : « سائر المحامد
والمحاسن » التي بالأصل .

في عداد (171) أهل الكمال ، وأنشد لسان حاله [فقال] (172) .

وبنفسه شرفت لا يجوددي (173)

فهذا أخرى (174) أن يشرف بوصفه وحاله ، وأن يشرف به من بعده ،
وأن يكون هو أساس بيته ، وعرق شجرته .

وكان بعض الملوك استدعى رجلاً ليستوزره ، فقال له الرجل : أيها
الملك إنه ليس لي في هذا سلف ، فقال له الملك : إني أريد أن أجعلك سلفاً
لغيرك ، وأصاب هذا الملك ، فإنه لو توقف كل بيت على بيت قبله لكان
من التسلسل الباطل ، فالله تعالى يخرج الحي من الميت ويحيي الأرض بعد
موتها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، فلم يزل الشرف يتجدد ويحدث بالعلم
والولاية والجود وسائر الأوصاف .

وقد ارتفع الوضعاء بالشعر كما اتضع الرفعاء به ، ولذا قال صلى الله
عليه وسلم : « إن من الشعر لحكمة » وفي رواية : « لحكماً » .

فمن الأول : المُحَلَّقُ (175) وهو عبد العزيز بن حنم الكلابي . وكان
رجلاً خاملاً مُقْتَلًا من المال ، فلما مر به الأعشى ذاهباً إلى سوق عكاظ

(171) كذا في الأصل : ومثله في س أماك و ح ففيهما : « عدد » .

(172) ما بين العلامتين زيادة من س وبها تتقوى السجعة .

(173) الشطر عجز بيت صدره . :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي

وهو للمتنبي من قصيدته التي مطلعها :

كم قتيل كما قتلت شهيد بياض الطلى وورد الخلود

(174) في ك : « أخرى من أن يشرف » ومثله في ح ولا معنى لمن في سياق الكلام .

(175) في « رغبة الأمل » : (1 : 24) : « المحلق بفتح اللام تلقب به يوم عضه حصان في

وجته فترك بها أثراً على شكل الحلقة » .

قالت له أمه : إن أبا بصير رجل مجدود في شعره ، وأنت رجل خامل مقل ،
ولك بنات ، فلو سبقت إليه وأكرمته رجونا أن يكون لك منه خير ، فبادر
إليه وأنزله ونحر له وسقاه الخمر ، فلما أخذت منه الخمر اشتكى له حاله
وحال بناته ، فقال له : ستكفى أمرهن ، فلما أصبح قصد إلى السوق فأنشد
قصيدته التي أولها :

أرقت وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم وما بي معشوق

إلى أن انتهى فيها إلى قوله في المُلحَق :

نفى الدمَّ عن آل المُلحَق جفنة

كجافية (176) السيح (177) العراقي تفهق (178)

ترى القوم فيها شارعين (179) وبينهم مع القوم ولدان مع الناس دردق (180)
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمُلحَق

(176) في « مفردات الراغب » : « يقال جببت الماء في الحوض جمعته ، والحوض الجامع له
جاية وجمعها جواب قال الله تعالى : « وجفان كالجوابي » اهـ .

(177) في المخطوطات الثلاث وكذا في ح : « الشيخ » بالشين المعجمة والخاء المعجمة أيضاً والرواية
الراجعة في البيت : « السيح » بالسين المهملة المفتوحة وبعدها ياء بعدها حاء مهملة ،
وهو كما في « قاموس المجد » : الماء الجاري الظاهر .

(178) في « قاموس المجد » : « فهق الإناء كفرح فهقاً ويحرك امتلاً » .

(179) في « القاموس » : « شرعت الدواب في الماء شرعاً وشرعاً دخلت » والذي في ك و ح
« شاعرين » وهو خطأ .

(180) في « القاموس » : « الدردق الأطفال وصغار الإبل وغيرها » وهي الرواية المعروفة
وفي المخطوطات الثلاث كما في ح « ردق » وهو غلط .

رضيعة لبسان ثدي أم تحالفا بأسحم (181) داج عَوْضُ (182) لانتفرق
ترى الجود يجري (183) سائراً فوق جمره (184)

كما زان متن الهندواني رونق

فما أتم القصيدة إلا والناس يسعون إلى المحلّق يهنونه ، والأشراف
يتسابقون إلى بناته ، فما باتت واحدة منهن إلا في عصمة رجل أفضل من
أبيها بكثير .

ومن ذلك بنو أنف الناقة (185) ، كانوا يتأذون بهذا الاسم ويكرهون
ذكره ، حتى ترض بعضهم للحطيئة فأكرمه فمدحهم ، وقلب الاسم مدحاً ،
وفي ذلك يقول :

سيرى أمام (186) فإن الأكثرين حصاً (187)
والأكرميين إذا ما ينسبون أباً

- (181) يريد في ليل أسود مظلم .
(182) في معني اللبيب: « عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل أبدأ إلا أنه مختص بالنفي، وهو
معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض العائضين، مبني ان لم يصف وبنائه إما على
الضم كقبل أو على الكسر كأمس أو على الفتح كأين » .
(183) في ك و س و ح : يسري « بدل : « يجري » التي بالأصل .
(184) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « وجهه » وهي الرواية المعروفة .
(185) قال عنهم القلقشندي في « نهاية الأرب ، في معرفة أنساب العرب » : بنو أنف الناقة :
بطن من تميم من العدنانية ، وهم بنو أنف الناقة ، واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن
كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » . وقال عنهم ابن دريد في « الاشتقاق » : « بنو
أنف الناقة ، وفيهم شرف و عدد ، وسمي بذلك لأنه أكل رأس ناقة » .
(186) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « أمامي » مع ياء الإضافة وهو غلط ،
لأن اللفظ مرخم من أمامة اسم امرأة .
(187) كذا في الأصل ، ومثله في س وفي كل من ك و ح : « عطا » .

قوم إذا عقّدوا عقداً لجارهم
 شدوا العناج (188) وشدوا فوقه الكرباً (189)
 أولئك الأنف (190) والأذنان غيرهم ومن يسوي (191) بأنف الناقة الذنبا
 فصاروا يفتخرون <به> (192) ويتبجحون بذكره ، فهذا كله شرف
 متجدد (193) بسبب من الأسباب ، وقد يزداد (194) الشريف شرفاً بذلك
 كما وقع لهرم بن سنان المري (195) فإنه كان من سادات قومه ، ولكن أخوه
 خارجة بن سنان أسود منه وأشهر ، فلما وقع لزهير من المدائح ما وقع في
 هرم ازداد شرفاً وشهرة حتى فاق أخاه في ذلك ، بل لا يكاد اليوم أخوه
 يذكر ، إلى غير هذا مما يكثر .

ومن الثاني بنو نمير ، كانوا من جمرات العرب (196) المستغنين

- (188) في «أساس البلاغة» : «تقول لا بد للداء من علاج ، وللداء من عناج ، وهو ما تعنج به من حبل يجعل تحتها مشدوداً إلى العراقي يكون عوناً للوذم» .
- (189) في «أساس البلاغة» أيضاً : «عقد مكرب ومكروب وكريب موقق ، وتد عقد الكرب وهو الحيل الموصول بالرشاء الملوي على العراقي» .
- (190) في ح : «القوم» وهو حلاف الرواية المعروفة في البيت .
- (191) في ك و س و ح : «يساوي» .
- (192) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .
- (193) في س : «تجدد» .
- (194) في ك و ح : «يزاد» .
- (195) في ك : «المزوني» وفي ح : «المزني» وكلاهما خطأ ، فإن هرماً المذكور ليس من مزينة وإنما هو من مرة ، قال القلقشندي في «نهاية الأرب» بنو مرة بطن من بني ذبيان من العدنانية ، وهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وذبيان تقدم نسبه ، كان له من الولد غيظ قال أبو عبيد : «وفيهم العدد والشرف» ومالك وسهم وصرحة والصادر وخصيلة ، وهو عمرو ، قال أبو عبيد : ومن عقبه هرم بن سنان بن غيظ بن مرة سيدهم في الجاهلية .
- (196) قال المرصفي في «رغبة الآمل» (5 : 230) راوياً عن الليث : «الجمرة : القبيلة التي تصبر لقراع القبائل لا تحالف أحداً ولا تنضم إلى أحد» . وقال الزمخشري في =

بقوتهم (197) وعددهم عن طلب حلف، وكانوا يفتخرون بهذا الاسم ويمجدون به أصواتهم إذا سئلوا ، إلى أن هجا جرير عبيد بن حصين الراعي منهم بقصيدته (198) التي يقول فيها مخاطباً له :

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت شيوخ بني نمير على الميزان ما عدلت ذبابا
فسقطوا ولم يرفعوا بعد ذلك رأساً ، حتى كانوا لا يتسمون بهذا الاسم .
فإذا قيل للواحد منهم من أنت ؟ قال : عامري .

ومن أظرف ما وقع في ذلك أن امرأة مرت بقوم منهم فجعلوا ينظرون إليها ويتواصفونها ، فالتفت إليهم وقالت : قبحكم الله بني نمير ، ما امثلتم أمر الله (199) إذ يقول : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
ولا قول جرير إذ يقول :

(فغضَّ الطرف إنك من نمير البيت)

ومن ذلك بنو العجلان ، كانوا يفتخرون بهذا الاسم لأن جدهم إنما قيل له العجلان لتعجيله القرى للضيفان حتى هجاهم النجاشي فقلب الاسم ذماً ، وفي ذلك يقول :

= « أساس البلاغة » : « تجمر بنو فلان : تجمعوا ، وجمرات العرب ثلاث كجمرات المناسك طفتت منها ثنتان : ضبة بن أد لمخالفتها للرباب ، والحارث بن كعب لمخالفتها مذحج ، وبقيت بنو نمير » . ثم انظر في الجمرات « كامل المراد » (2 : 169 طبعة صبيح 1347) « والعقد المرید » (3 : 367) .

(197) في ح : « بقومهم » .

(198) وهي التي مطلعها :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت : لقد أصابا

وهي في « ديوانه » بطبعة الصاوي .

(199) في س : « قول » بدل « أمر » .

قُبَيْلَةٌ لَا يَخْفَرُونَ بِنَمْمَةٍ وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
وَلَا يَرُدُّونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
تَعَاَفَ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتِ لِحَوْمِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خَذَ الْقَعْبَ وَاحْلَبَ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

فتنكروا من هذا الاسم ، وجعل الواحد منهم إذا سئل يقول : كعبي
مخافة أن يسخر منه (200) ولهم (201) معه في ذلك قصة (202) مشهورة بين
يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم قد يفيض شرف الإنسان حتى يستطيل على من قبله من سلفه (203)
فتحياً رسومهم بعدما كانت دائرة ، وتعمر ربوعهم بعدما كانت غامرة ،
والذروة العليا أيضاً فيمن عاد (204) شرفه على من قبله هو نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم كما مرّ شرحه .

وقد أشار إليه (205) ابن الرومي بقوله (206) :

- (200) في ح : « به » .
(201) في ك : « وله معهم » وفي ح : « وله في ذلك معهم » .
(202) القصة تلك في « مجالس ثعلب » (ج 2 ص 363 - 364) بتحقيق عبد السلام هارون
وفي « عمدة ابن رشيقي » (ج 1 ص 52) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفي
« زهر الآداب » للحصري (ج 1 ص 54 - 55) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،
وفي « خزانة البغدادي » (ج 1 ص 232 - 333) بتحقيق عبد السلام هارون .
(203) في س : من سلف بدون الإضافة إلى الضمير .
(204) في س : « جاد » وهو تصحيف .
(205) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « له » .
(206) الأبيات من قصيدة طويلة النفس عدة أبياتها 239 بيتاً مدح بها ابن الرومي أبا الصقر
إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد الذي كان يلقب الوزير الشكور، قال ابن الطقطقي في
كتابه «الفخري في الآداب السلطانية» : « وكان أبو الصقر ينتسب إلى بني شيان ورأيت
نسبه مرفوعاً إلى شيان بخط بعض النساب ، وقوم غمزوه وقالوا : هو دعي ، وكان =

قالوا: أبو الصقر من شيبان قلت لهم : كلاً لعمرى ولكن منه شيبان
تسمو الرجال باباء وآونة تسمو الرجال بأبناء وتزدان
وكم أب قد علا بابن ذرى حسب كما علت برسول الله عدنان

و ادعى هذا الوصف أبو الطيب فقال :

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي افتخرت لا بجدودي

أما شرفه هو في بابه فلا ينكر ، وأما شرف قومه به فالشعر أعذبه أكذبه .
والأ فالحكم على الشيء فرع تصورهِ ، نعم ، كان من عادة العرب أنه إذا
نبغ شاعر في قوم اعتزوا به ، واحتموا عن الشعراء ، فلو تحقق لأبي الطيب
قوم لكانوا كذلك .

= ابن الرومي قد مدحه بقصيدة نونية طويلة أولها :

« أجنت لك الوصل أغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان
غصون بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان »

فسمى الناس هذه القصيدة (دار البطيخ) لكثرة ما فيها من ذكر الفواكه ، وكان
الموضع الذي تباع فيه الفواكه يسمى دار البطيخ ومن جملة هذه القصيدة :

« قالوا : أبو الصقر من شيبان . قلت لهم

كلا لعمرى ولكن منه شيبان

كم من أب قد علا بابن له شرفاً

كما علا برسول الله عدنان »

فلما سمع أبو الصقر قوله : « قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم : كلا . . . » ظن ابن
الرومي قد هجاه بهذا باطناً وأنه عرض بأنه دعي ، واشتبه على أبي الصقر الأمر فاستحکم
ظنه وأعرض عنه . وتوصل ابن الرومي إلى إقحامه صورة الحال فلم يقبل في قول ذلك
قائل وقيل له يا سبحان الله ، فانظر إلى البيت الثاني وحسن معناه فإنه معنى مخترع ما
مدح أحد بمثله قبلك فلم يصغ وجزم بأن ابن الرومي هجاه وحرمه فهجاه ابن الرومي
وأفحش في هجائه .

ورجل له أصل وقديم شرفٍ ثم لم يبينه ولم يجدده ، وهو إما أن تخفى عوامله فلم يبين ولم يهدم ، مع انه بالحقيقة من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، والمراد (207) أن يرجع إلى غمار (208) الناس فلا يجدد المآثر ، ولا يخرج إلى المعاييب ، فهذا لا فضيلة له إلا مجرد النسب والفخر العظامي كما مر ، وإما أن يهدمه بملايسة ضد ما كان أولاً ، فهذا بمنزلة من هدم الدار ثم حضر البقعة أيضاً فأفسدها . فهذا مذموم بما جنى على نفسه وبما جنى على حسبه ونسبه <و> (209) الذروة العليا في هذا الصنف اليهود والنصارى ونحوهم ، فقد هدموا أنسابهم وأحسابهم بشر الحصال ، وهو الكفر ، نسأل الله العافية .

ومن هذا النمط من يخلف آباءه الصالحين بالفسق وكثرة الرغبة في الدنيا والكبر والدعوى وغير ذلك من القبائح كما هو شأن كثير من أولاد الصالحين في < زماننا > (210) نسأل الله العافية ، وفي هذا الصنف قيل :

لئن فخرت بآباء لهم شرف لقد فخرت ولكن بثس ما ولدوا
وقال لبيد (211) :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلفٍ (212) كجلد الأجر

(207) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « المراد » .

(208) في « مصباح الفيومي » :

« دخلت في غمار الناس بضم الغين وفتحها أي في زحمتهم » .

(209) ما بين العلامتين ساقط في الأصل وهو في ك و س و ح ، وسياق الكلام يقتضيه .

(210) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(211) البيت من قطعة له مطلعها :

قض اللبانة ، لا أبالك ، واذهب والحق بأسرتك الكرام الغيب

وأدخله أبو الفرج في « أغانيه » ضمن قصيدة أولها :

طرب الفواد وليته لم يطرب وعناه ذكرى خلة لم تصقب

(212) فسر المبرد في « كامله » كلمة خلف في البيت فقال : « قوله : في خلف يقال : هو

خلف فلان لمن يخلفه من رهطه ، وهؤلاء خلف فلان إذا قاموا مقامه من غير أهله ،

وقلما يستعمل خلف إلا في الشر وأصله ما ذكرنا » .

وقال الآخر (213) :

ذهب (214) الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليسكت مغوراً عن مغور

الرابع - قد يقال فيما ذكرنا من النسب : إنه من النسب الطويل وهو
عيب ويذم (215) بضده وهو النسب القصير قال الشاعر (216) :

أنتم بنو النسب القصير . وطولكم باد على الكبراء والاشراف (217)

(213) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي ثم الغاصري ، شاعر أموي هجاء خبيث اللسان ،
كان أعرج لا يكاد يمشي بغير عصاه ، وكان إذا أراد حاجة عند الرؤساء كتب بها على
عصاه ، ثم أرسل بها إلى من يريد عنده قضاءها فلا يحجب رسوله ، ولا يعود إليه بغير
حاجته ، وفي شأن عصاه هذه يقول معاصره يحيى بن نوفل :

عصا حكم في الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لمرعون آية وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرضاة منها وترهب

(214) البيتان منسوبان إليه في « المؤلف والمختلف » للآمدي ص 242 وبعدهما :

سلكوا بنيات الطريق فأصبحوا متنكبين عن الطريق الأكبر

(215) كذا في صلب الأصل ، ومثله في ك و س و ح ، ولعل صوابه : « ويمدح » وكذلك
كتبه ناسخ الأصل على الطرة .

(216) هو أبو العلاء المعري .

(217) البيت من فائته السقطية التي عزي بها أبا الحسن الشريف الرضي وأبا القاسم الشريف

المرتضى في أبيهما أبا أحمد الطاهر وقد فسره الخوارزمي في « شرحه على السقط »

فقال : « هذا من قول الحمصي وقد آتاه بعضهم يستشيره في امرأة أراد التزوج بها :

أقصيرة هي أم غير قصيرة ؟ فلم يفهم ذلك ، فقال الحمصي : أردت القصيرة النسب ،

تعرف بأبيها وجدها ، ومما رأته على ظهور بعض الدفاتر :

أحب من النسوان كل قصيرة لها نسب في الصالحين قصير

ودخل رؤبة بن المعجاج على دغفل النسابة فقال دغفل : من أنت ؟ قال ابن المعجاج . قال :

قصرت وعرفت .

والنسب القصير هو أن يقول : أنا فلان ابن فلان ، فيعرف لكون أبيه أو جده [الأدنى] (218) من الأعيان، والطويل هو ألاّ يعرف إلى رأس القبيلة. والجواب أولاً أننا لم نذكر النسب افتخاراً حتى يعرض على هذا المقياس ، وإنما ذكرناه لاحتياج (219) إليه في المصالح الدينية والدينية عند أهله (220) وثانياً أن كون الإنسان من الأعيان أمر إضافي كما <مرّ> (221) أنه <قد يكون > (222) من أعيان عشيرته أو قومه وهو الأغلب ، وقد يكون من أعيان عمارته (223) أو إقليمه أو جيله، وهو عزيز الوجود ، ولا شك أن شرف الإنسان واشتهاره باعتبار عشيرته أو قومه إنما يعرف فيهم ولا يضيره ألاّ يعرفه غيرهم ، لأن سادات العرب لا يعرفهم العجم ، ولا العكس ، وكذا فيما بين العرب غالباً ، وقال الشاعر (224) :

طويل النجاد رفيع العماد
ساد عشيرته أمردا

(218) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(219) في ك و س و ح : « للاحتياج » بالتحريف .

(220) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « أهلها » .

(221) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(222) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(223) أنظر ما تقدم ص 58 الحاشية رقم : 124 .

(224) هو الخنساء من أبيات شهيرة تقولها في رثاء أخيها صخر .

وقال الآخر (225) :

ليس الغبيّ بسيد في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي

ولم يخرج عن هذه الإضافة الملوك كما قال النابغة :

وللحارث الجفنيّ سيد قومه ليبتغين بالجيش دار المحارب

وقالت هند (226) بنت عتبة رضي الله عنها لمن قال لها في ابنها معاوية رضي الله عنه : أرجو أن يسود قومه : شكته إن كان لا يسود إلاّ قومه ، وذلك أنها سمعت قبل ذلك من الكهان أنها تلد ملكاً اسمه معاوية في قصة مشهورة (227) .

(225) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر العبّاسي الشهير ، والبيت من قصيدة قالها في مدح مالك بن طوق التغلبي ومطلعها :

لو أن دهرأ رد رجع جواب أو كف من شأويه طول عتاب

والقصيدة في أربعين بيتاً وهي مودعة بديوانه .

(226) ذكرها ابن عبد البر في كتاب « الاستيعاب » فقال : « هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية ، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بن حرب ، وكانت امرأة لها نفس وأنفة ، شهدت أحداً كافراً مع زوجها أبي سفيان ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . »

(227) هي التي ذكرها السيوطي في « تاريخ الخلفاء » (ص 197 - 198) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد فقال : « أخرج الخرائطي في « المواتف » عن حميد بن وهب قال : كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتیان قريش ، وكان له بيت للضيافة يفشاه الناس من غير إذن ، فخلا البيت ذات يوم فقام الفاكه ، وهند فيه ، ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته ، وأقبل رجل بمن كان يفشى البيت فوبلحه ، فلما رأى المرأة ولي هارباً ، فأبصره الفاكه ، فأنتهى إليها فصرها برجله وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ قالت : ما رأيت أحداً ، ولا انتبهت حتى أنبهتني ، فقال لها : الحقني بأهلك ، وتكلم فيها الناس ، فخلاها أبوها فقال لها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا فيك فأنبيني بذلك ، فإن يكن الرجل صادقاً دمست إليه من يقتله فتقطع عنا القالة ، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن ، قال : فحلفت له بما كانوا =

إذا تقرر هذا فالمنتسب معروف (228) النسب قصيره ، بحمد الله في قومه ، وهو من صميمهم ، وإنما رفعه ليعرف <على> (229) ما تشعب عنه من الفصائل والبطون ، وليعرف انقطاعه عند دخول القرى وغير ذلك من الفوائد التي مرت .

وأما ذكري لما مرّ من الكنى فلجربانها على السنة فضلاء مع التفاؤل ورجاء تحقق ما له معنى منها .

أما أبو علي ، وهو كنية الحسن المشهورة ، فكنا في بها شيخ الإسلام

=
مخلفون به في الجاهلية ، انه كادب عليها ، فقال عتبة للفاكه : إنك قد رميت ابني بأمر عظيم ، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن ، فلما شارفوا البلاد تنكرت حال هند وتغير وجهها ، فقال لها أبوها : يا بنية ، إنني قد أرى ما بك من تغير الحال ، وما ذلك إلا لمكروه عندك ، قالت : لا والله يا أبتاه وما ذلك لمكروه ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطيء ويصيب ، فلا آمنه أن يسمي فيه بما يكون علي سبة في العرب ، فقال لها : إنني سوف أختبره لك قبل أن ينظر في أمرك ، فصمر بفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير وصبحوا الكاهن فنحر لهم وأكرمهم ، فلما تغدوا قال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر ، وقد حبأت لك خبيثاً أختبرك به ، فانظر ما هو ؟ قال : برة في كمره ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : حبة من بر في إحليل مهر ، فقال عتبة : صدقت ، انظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول : انهضي حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال : انهضي غير رسحاء ولا زانية ، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية ؛ فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها فتتت يدها من يده وقالت : إليك ، والله لأحرصن أن يكون ذلك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان فجاهت بمعاوية .

(228) كذا بالأصل بدون حرف التعريف ، ومثله في س ، وكتب أكنسوس فوقه بخط يده ما لفظه : « يعني نفسه رحمه الله تعالى » ؛ أما ك و ح ففيهما : « المعروف » بحرف التعريف ولا يستقيم معه معنى الكلام .

(229) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

الإمام الهمام أستاذنا وقدوتنا أبو عبد الله سيدي محمد (230) بن ناصر الدرعي رضي الله عنه وعنا به .

وكنت وردت عليه في أعوام الستين والألف بقصد أخذ العلم ، فامتدحته بقصيدة قدمتها بين يدي نجواي ، فانبسط إليّ بحمد الله ، وافتتحنا بكتاب التسهيل (231) فلما قرأنا الخطبة دخل مسروراً فكتب إليّ :

أبا علي جزيت الخير والنعما ونلت كل المنى من ربنا قسما
يا مرحبا بك كل الرحب لا برحت قرائح الفكر منك تجتني حكما

ولم أزل بحمد الله أتعرف بركة دعائه وإقبال قلبه إلى الآن . نسأل الله تعالى أن لا يزايلنا فضله ورحمته حتى نلقاه آمين .

وقال ابن عمنا الفاضل البارع أبو سعيد عثمان بن علي اليوسي رحمه الله من أبيات :

(230) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ناصر ينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب ، وينسب الدرعي لأن أجداده سكنوا درعة بداية القرن العاشر الهجري ، ولد سنة 1011 هـ فلما كان في العقد الثالث من عمره اتصل بزاوية تامكروت وتلمذ على شيوخها ، ثم صارت إليه مشيختها ، فنسبت إليه ، وعرفت باسم الزاوية الناصرية ، وهو كان زاهداً متقشفاً سني التصوف ، مجتهداً في نشر العلم ، حريصاً على نصح المسلمين ، فقصده المریدون وكثر أتباعه وانتفع به خلق كثير ، له من المؤلفات : « فهرست شيوخه ، والأجوبة الناصرية » ، ومنظومة فقهية تعرف « بالدرعية » ، ومنظومة رجزية في الدعاء والتوسل تعرف « بسيف النصر » ، وكانت وفاته سنة 1085 م .

(231) « التسهيل » متن شهير لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك المتوفى سنة 672 لخص فيه مسائل النحو والصرف ورتبه على ثمانين باباً جعلها لكبرى المسائل وفي ضمنها مائتان وأحد عشر فصلاً جعلها للتفريعات ، وهو كان من الكتب التي تلقيت بالقبول ، والتي اعتنى بها للعلماء والأساتيد شرحاً وإقراء ، وهو ظهر سنة 1968 م في طبعة محققة قام عليها السيد محمد كامل بركات .

نفسى عشية قيل مرّ أبو علي مثل الرياح إذا تمرّ بأثأب (232)
ولم يزل الشيخ رضي الله عنه يكنيني بذلك إلى أن توفاه الله في رسائله
ومخاطبته وعند ذكرى .

وأما البواقي فكناني بها فضلاء من الإخوان في رسائهم : ونحوت في
ذلك منحى السيد خير النساج (233) وكان اسمه محمد بن إسماعيل ،
فلما وقعت عليه المحنة (234) وألقي عليه شبهُ خير مملوك لرجل نساج
فقبض عليه وأدخله ينسج ويخاطبه بهذا الاسم ، فلما كشفت عنه المحنة وخرج
ترك هذا الاسم على نفسه ، فقيل له : ألا ترجع إلى اسمك ؟ فقال : ما كنت
لأغير أو لأترك اسماً سماني به رجل مسلم .

(232) البيت فيه اقتباس من قول امرئ القيس يصف فرساً :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول : هزير الريح مرت بأثأب
وفي شرح بيت امرئ القيس هذا يقول الأعلام الشنمري : « يقول : إذا جرى هذا
الفرس طلقتين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقاً كخفق الريح إذا مرت بأثأب ،
وهو شجر يشبه الأثل يشتد صوت الريح فيه ، وهزير الريح صوتها » .

(233) هو أبو الحسين خير بن عبد الله النساج من خيار الصلحاء وكبار الأولياء توفي سنة 322 هـ .

(234) يعني الواقعة التي أورد خبرها ابن الجوزي في « صفة الصفوة » فقال : « عن جعفر
الخلدي قال : سألت خيراً النساج : أكان النسج حرفتك ؟ قال : لا ، قلت فمن أين
سميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله ألا آكل الرطب يوماً فغلبتني نفسي يوماً ، فأخذت
نصف رطل ، فلما أكلت واحدة إذا رجل قد نظر إلي فقال : يا خير ، يا آبق ،
هربت مني ، وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه ، فوقع علي شبهه ، فاجتمع الناس
فقالوا هذا والله غلامك خير ، فبقيت متحيراً ، وعلمت بم أخذت ، وعرفت جنائبي ،
فحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلمانه ، فقالوا : يا عبد السوء ، تهرب من
مولاك ، ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل ، فأمرني بنسج الكرباس ، فدليت رجلي
على أن أعمل ، فكأني كنت أعمل من ستين ، فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له ، فقمت
ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغد ، فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى
ما فعلت ، فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعدت إلى صورتني التي كنت عليها ، فأطلقت
فثبت على هذا الاسم » .

واعلم أن لهذا السيد في التزام هذا الاسم المذكور أوجهاً منها : أنه تسليم لأنه شاهد فعل الله تعالى ، فلما ألقى الله تعالى عليه الاسم لم يبق له اختيار في التعرض له .

ومنها : أنه يستشعر من مولاه تعالى أنه أدبه بجعله عبداً مملوكاً وتسميته باسمه ، وضربة المحبوب تستلذ . ومنها : أنه يتذكر العبودية وذلتها ، وهذه الطائفة قد صارت الدلة شرابهم ونعيمهم .

ومنها : أنه يذكر به العقوبة فيذكر الهفوة ليتحرر منها .

ومنها : أنه يبقى عليه الاسم ليبقى عليه ذكر الهفوة والعقوبة هضماً لنفسه وإرغاماً لها .

ومنها : التفاؤل بهذا اللفظ فإنه على أصله ، وهو ضد الشر ، وعلى أنه مخفف من التشديد فهو ذو الخير ، وكيف أترك أنا كنية كناني به رجل من أفاضل المسلمين ولا سيما إن تضمنت معنى حسناً .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[رؤيا والد المؤلف ودعوة أستاذه]

ولما كان القصد في هذا الموضوع إلى ذكر المحاضرات بنوادر الفوائد مما اتفق لي خصوصاً أو لغيري عموماً وجب أن ينخرط في سلك ذلك ما وقع في شأني حال الولادة لأنه أول الرحلة إلى هذه الدار مع ما انضاف إليه مما يكون له مصداقاً أو يرجى خيره ويذكر على وجه التبرك والتفاؤل أو التحدث بالنعم . وفيه مسرة المحب ومساءة البغيض فأقول : إني أرجو أن أكون إن شاء الله تعالى رؤيا والدي ودعوة أستاذه ؛ أما رؤيا الوالد فاعلم أن أبي مع كونه رجلاً أمياً كان رجلاً متديناً مخالطاً لأهل الخير محباً للصالحين زوّاراً لهم ، وكان أعطي الرؤيا الصادقة (1) وأعطي عبارتها ، فبرى الرؤيا ويعبرها لنفسه ، فتجيء كفلق الصبح . وكان مما رأى وتواتر الحديث به عنه في العشيرة رحمه الله أن قال : رأيت عيني ماء إحداهما لي ، والآخر لعلي بن عثمان ، وهو والد ابن عمنا الأديب البارع أبي سعيد عثمان بن علي رحمه الله ، غير أن عين علي كنا نسقي بها في بلدنا وعيني خرجت إلى ناحية أخرى .

وزعموا أنه قال : وكانت العين التي هي لي أقوى ماء وأكثر فيضاً ثم فسر ذلك بمولودين ينتفع بهما .

فولد أبو سعيد المذكور فانتفع ونفع حتى مات رحمه الله ، وظهر أنه العين المذكورة لأبيه ، وولدت أنا أيضاً ، وقد كان لي أخوان أسن مني فماتا

(1) في ك و في ح : « الرؤيا الصالحة » .

أميين رحمهما الله ، فأرجو أن أكون تلك العين ، وقد اتفق خروجي عن البلد كما قال رحمه الله ، وكنت بعد ذلك حين ارتحلت في طلب العلم إلى ناحية السوس الأقصى غيبت عن الوالد رحمه الله أعواماً لا يدري أين أنا ؟ فلما قفلت حدثني رحمه الله فقال : لما ضقنا من غيبتك رأيت كأن الناس يتجارون خلف فرس أشهب ليقبضوه ، فجئت إليه أنا فأمسكته بلجامه ، فلما استيقظت قلت للناس : إن الحسن ابني سيأتي وأجتمع به فكان ذلك ، والفرس الأشهب عند المعبرين (2) اشتهار بشرف وذكر ، وقد حصل لي ذلك بحمد الله ، نسأل الله سبحانه أن يكمل ذلك لنا وله ولسائر الأحباب بالفوز يوم الحشر والرضوان الأكبر . بجاه نبيّه المصطفى المبعوث إلى الأسود والأحمر ، صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه المجلين في كل مفخر .

وأما دعوة أستاذي ، وهو شيخ الإسلام ، وعلم الأعلام ، أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فهي تلك بعينها ، وكان من حديثي معه في ذلك أنه لما تهباً للتشريق (3) في حجته الثانية أرسل إلي في حاجة أقضيها له مما يتعلق بسفره ذلك ، وأنا إذ ذاك بالزاوية البكرية . فقضيت ذلك بحمد الله وسافرت به إليه حتى بلغت ، فلقيني بترحيب ، ورأيت منه بحمد الله إقبالاً خارجاً عن المعتاد حتى إنه (4) متى ذكرت ذلك (5) إلى اليوم يغشاني خجل وإشفاق على نفسي ، وأقمت معه حتى شيعته لوجهته إلى أن جاوزنا (6) سجلماسة بمرحلة ، فرجعت إلى داري ، ولما كنت ببعض

(2) في ح : « المفسرين » بدل : « المعبرين » .

(3) التشريق : الذهاب في جهة المشرق ، وهو عكس التعريب الذي هو الاتجاه قبل المغرب ، ومن هذا وذاك قول الشاعر :

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

(4) في ك و س و ح : « إني » . بدل : « إنه » .

(5) في ح : « ذكرته » موصولاً بضمير وقع موضع اسم الإشارة .

(6) في ح : « جاوز » غير موصول بالضمير .

الطريق أهدت الدعاء له فاتخذت الدعاء <له> (7) بعد أوراد الصبح وردا ،
فلما قفل من الحج ذهبنا إليه لنسلم عليه ، فخلوت به <يوماً> (8) وجعلت
أطلب منه وأطلب ، فقال لي رحمه الله : أما الدعاء فإني في سفرتي هذه ما
دخلت مقاماً ولا مزاراة ولا توجهت إلى الدعاء لأحد إلاّ جاء بك الله تعالى
في لساني أولاً ، ثم <لا> (9) أدعو لك إلاّ بهذا الدعاء : اللهم اجعله عيناً
يستقي منها أهل المشرق وأهل المغرب ، قال : حتى كنت أتعجب في نفسي
وأقول : سبحان الله ! بماذا استحق هذا الرجل هذا ؟

ولما صنفت القصيدة الدالية (10) في مدحه وتهنته بالحج أدخلها إليه ولده
الفقيه الناسك الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد فخرج إلي وقال : يقول لك
الشيخ : جعلك الله عيناً يستقي منها (11) أهل المشرق وأهل المغرب ، وشمساً
يستضيء بها أهل المشرق وأهل المغرب ، وهذا اللفظ يحتمل (12) الدعاء
والخير ، نسأل الله تعالى أن يحقق لنا [نحن] (13) وللمسلمين ذلك آمين .

(7) ما بين العلامتين ساقط من س .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(10) هي قصيدة من بحر الكامل طويلة النفس عارض بها دالية البوصيري التي مطلعها :

كتب المشيب بأبيض في أسود بغضاء ما بيني وبين الخرد

والتي قالها في مدح أبي العباس المرسي وتعزيتة بشيخه أبي الحسن الشاذلي ، وليوسي على
قصيدته هذه شرح سماه : « نيل الأمان في شرح التهاني » ، وقد طبعت القصيدة مع
الشرح بمصر عام 1291 هـ .

(11) في ح : « بها » . بدل : « منها » .

(12) في س وحدها : « وهذا اللفظ يشتمل على الدعاء والخير ويحتملها » وهو أوفى بالمراد بما

في الأصل وك وح .

(13) ما بين العلامتين زيادة من س .

ومن هذا ما كلمه جماعة من فقراء (14) الغرب وأنا حاضر <معهم> (15) فقال لهم يشير إليّ : هذا شمسكم ، هذا ضوءكم ، وهذا كله أصرح مما حكى تاج الدين (16) بن عطاء الله عن شيخه القطب العارف أبي العباس (17) المرسي رضي الله عنهما قال : جاء الشيخ مرة من سفر . فلقيناه فدعاني وقال : فعل الله لك (18) وفعل ، وبهاك بين خلقه <قال> (19) : ففهمت يعني من قوله وبهاك بين خلقه أي مراد بالظهور إلى الخلق .

واعلم أن مواطأة دعوة الشيخ رضي الله عنه لرؤيا الوالد، مع كونه لم يحضر لذلك ولم ينقل إليه، من عجب الاتفاق. قد ذكرت هنا ما وقع في

(14) في ك و س : « فقهاء » بدل : « فقراء » وهو ما في صلب ح ولكن ناسخها كتب على طرفها كلمة : « فقراء » ورمز عليها بحرف الغين .

(15) ما بين العلامتين سقط من ك و س و ح .

(16) هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري المالكي الشاذلي ، صحب الشيخ أبا العباس المرسي ، وتربى عليه ، وانتفع به ، وكانت له جلالة عند الناس وهيبة في النفوس ، وكان من معارضي الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومن أشد الناس عليه ، وله تصانيف منها : « الحكم العطائية » نسبة إليه ، وهو مطبوع متداول ، ومنها : « لطائف المنن ، في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن » وهو مطبوع ، وكانت وفاة التاج سنة 709 هـ .

(17) ترجمه الشعراني في « الطبقات الكبرى » (2 : 12-18) فكان مما قال عنه : « الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي رضي الله عنه ، كان من أكابر العارفين ، وكان يقال : إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره ، وهو أجل من أخذ عنه الطريق رضي الله عنه ، ولم يضع رضي الله عنه شيئاً من الكتب ، وكان رضي الله عنه يقول : علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق ، وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لم يضع شيئاً ، وكان يقول : كتبي أصحابي ، مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وستمائة » .

(18) في س : « بك » .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

الحديث (20) عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له : يا رسول الله عليه أخبرنا عنك فقال لهم : « أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام، ورؤيا (21) أمي » .

تنبه (22) أيها الناظر ، فإياك أن يختلج بفهمك ، أو يخطر بوهمك ، أني أنزع بهذه الحكاية قصداً إلى المحاكاة، معاذ الله ، فإن درجات (23) الأنبياء لا تنبغي لغيرهم ، ولا يصل أحد إلى مزاحمتها ، فكيف بسيد الأنبياء ؟ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وعلى آله وعلى آل كل (24) . ثم إياك [أيضاً] (25) أن تتوهم أن لا نسبة ولا نسب ولا شبهة ولا شبه فتقع في الغلو من الطرف الآخر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا » (26) ولا بد لهذا من تقرير فنقول :

- (20) في المواهب اللدنية للقسطلاني ما لفظه: «عن شداد بن أوس أن رجلا من بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حقيقة أمرك ؟ فقال : « بدو شأني أي دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى وأني كنت بكر أبي وأمي » . اهـ . أراد عليه السلام قوله تعالى حكاية عن إبراهيم : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) . ثم عني قوله عز وجل : (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .
- (21) في « صفة الصفوة » لابن الجوزي (1 : 50 - 51) ما نصه : « روى يزيد بن عبد الله ابن وهب بن زمة عن عمته قالت : كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما شعرت أني حملت ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضي ، وأتاني آت وأنا بين النوم واليقظة فقال : هل شعرت أنك حملت فكأنني أقول : ما أدري فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها » اهـ .
- (22) في ك و س و ح جميعاً : « وتنبه » مع الواو .
- (23) في ك و ح : « درجة » بالإنفراد .
- (24) كذا بالأصل ، ومثله في ك و ح ، أما س ففيها وحدها : « وعلى آل كل » بتقديم كلمة كل على لفظ آل .
- (25) ما بين العلامتين في ك و س و ح فأضفناه .
- (26) في هامش الأصل بخط ناسخه : « أوساطها » بلفظ الجمع وعليه علامة : « صح » .

إن الله جل اسمه ، وهو الذي لا مثل له ولا نظير ، ولا شبه (27) ولا وزير ، قد شرع لعباده التعلق بأسمائه الحسنى ، ثم شرع لهم أيضاً التخلق بها في الجملة حتى إذا علمنا مثلاً أن الله تعالى حلیم انتهض العبد في التخلق بالحلم فيكون حلماً ، وكذا إذا علمنا أنه تعالى عليم أو وهاب أو صبور أو شكور انتهض العبد في الاتصاف بالعلم وبالجلود وهكذا > حتى يكون عليمًا وهابًا وهكذا < (28) ومعلوم أن حلم العبد ليس كحلم الله وهكذا ، ولكن له به نسبة هي توجب قرب العبد من الله تعالى في المعنى ، ومن هذا حديث « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَالِمًا قَدِيرًا ، وَلَيْسَ كَالْحَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمَاوَاتِ ، وَبِهَذَا تَأَهَّلَ لِأَنْ يَكُونَ عَبْدَ الْحَضْرَةِ دُونَهَا (29) .

ثم إن العباد المختارين يرضون لرضى (30) الله ، ويغضبون لغضبه ، ويشتدون لأجله ، ويلينون لأجله ، وهكذا في سائر الأحوال والأفعال ، قال تعالى في أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم : (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) وقال أيضاً : (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) وهو مسايرة ومشايعة في الأفعال والأحوال ، وذلك شأن عبيد الملك ، وإذا كان هذا في حق الله تعالى ففي [حق] (31) الأنبياء أقرب وأيسر ، فلا إشكال في > صحة < (32) تعاطي أوصافهم وأخلاقهم وأفعالهم وسائر أحوالهم وإن لم تكن في ذلك مشابهة ولا مزاحمة للنبوة ، بل اتباع

(27) في ك و س و ح : « ولا شبهه » .

(28) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(29) كتب أكنسوس فوق الكلمة « دونها » ما لفظه : « أي الحيوانات » يريد أن الضمير في

« دونها » يرجع إلى الحيوانات .

(30) في ح : « برضى » بالباء بدل اللام ، وفيها أيضاً : « بغضبه » .

(31) ما بين العلامتين ساقط من المخطوطات الثلاث ، وهو وارد في ح فأضفناه : رواية عنها .

(32) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

واقْتباس وشبه توجب لصاحبها أيضاً القرب منهم، ولهذا قيل في الوارث (33) :
 إنه من كان على قدم النبي صلى الله عليه وسلم أي متحققاً في الاقتداء به قولاً
 وفعلاً وحالاً ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ
 الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبُوءَةِ » فقد علم من
 لفظ الحديث أن الرؤيا الواقعة من غير النبي لعموم لفظ الصالح قد أخذت
 بنسبة من النبوة ، فهي منها غير أنه لقلّة النسبة لا تقع بها مزاحمة ، وقال
 الشيخ أبو يزيد (34) رضي الله عنه : مثال ما أعطي الأنبياء مثل زق مملو (35)
 ماء أو عسلاً ، ومثال ما أعطي الأولياء كلهم مثال قطرات تقطر من ذلك
 الزق ، فانظر في هذا المثال فإن القطرات هي من ماهية ما في الزق قطعاً ،
 ولكنها لقلتها جداً لا تقع بها مزاحمة ، ولم يزل أهل الدين من العلماء العاملين
 والمجاهدين السالكين والواصلين العارفين يأخذون أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم
 من أحوال الأنبياء عموماً وحال نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، وهذا
 هو الشأن كله .

- (33) لعله يريد الواحد من الورثة المذكورين في قوله عليه السلام : « العلماء ورثة الأنبياء » .
 (34) ترجمه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (4 : 106 - 114) فكان مما قال فيه :
 « أبو يزيد البسطامي ، واسمه طيفور بن عيسى بن سروشان ، وكان سروشان مجوسياً
 فأسلم ، وكان لعمري ثلاثة أولاد : أبو يزيد ، وهو أوسطهم ، وآدم ، وهو أكبرهم ،
 وعلي وهو أصغرهم ، وكانوا كلهم عباداً زهاداً » وترجمه الخلكاني في « الوفيات »
 (2 : 213) وحكى عنه ما يأتي : « سئل أبو يزيد بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ قال :
 ببطن جائع ، وبدن عار ، وقيل لأبي يزيد ما أشد ما لقيته في سبيل الله تعالى ؟ فقال :
 لا يمكن وصفه ، فقل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك فقال : أما هذه فنعم ، دعوتها
 إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طوعاً فمنعتها الماء سنة ، وكان يقول : « لو نظرتم إلى رجل
 أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونّه عند
 الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة » . ثم قال عنه بعد ذلك : « وله مقالات كثيرة
 ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة ، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين » .
 (35) هكذا هو في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية ، ووجهه أن الهمزة أبدلت ثم أدغمت
 في الواو .

وقد يقع لهم مما هو في معنى الاقتباس والإشارة والتمثيل ما يزيد على هذا كما قال الشيخ أبو مدين (36) رضي الله عنه لأبي عمران موسى (37) ابن يدراسن الحلاج حين توجه إليه : (فإن أمن الغرب) (38) فأنت موسى وأنا شعيب ، وإن موسى لما بلغ شعيباً أمن .

ومن هذا ما وقع له رضي الله عنه في القرآن وقد دخل عليه رجل من أهل الإنكار والمصحف بين يديه فقال للرجل : ارفع المصحف وافتحه وانظر إلى أول ورقة < منه > (39) فإذا فيها : (الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) .

(36) ذكره التادلي في « التثوف » (ص 316 – 325) فكان مما قال بشأنه : « أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري ، أصله من حصن قطنيانة من عمل إشبيلية ، ثم نزل بجاية وأقام بها إلى أن أمر بإشخاصه إلى حضرة مراکش فمات وهو متوجه إليها عام أربعة وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالعباد خارج تلمسان ، وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري فقال : كان زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى قد خاض من الأحوال بحاراً ، ونال من المعارف أسراراً ، وخصوصاً مقام التوكل لا يشق فيه غباره ، ولا تجهل آثاره ، وكان مبسوطاً بالعلم ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم الله له بذلك ، ولقد أخبرني من أثق به بمن شهد وفاته أنه قال : رأيت عند آخر الزمن يقول : الله الحق » .

(37) ترجمه التادلي في « التثوف » (ص 330) فقال : « أبو عمران موسى بن يدراسن الحلاج ، من أصحاب أبي مدين ، وكان عبداً صالحاً ، سمعت أبا علي حسن بن محمد يقول : كان أبو عمران الحلاج حلاجاً للقطن فكان لا يأتيه أحد إلا قال له : كان من أمرك كذا وكذا ، وفعلت كذا ، وقلت كذا ، فشاعت عنه هذه الأمور فخاف على نفسه وفر من فاس إلى بجاية ، فلما اجتمع مع أبي مدين شكاً إليه ما قاساه من الناس فقال له أبو مدين : واسمى شعيب ، وقد أمنت فإن موسى لم يأمن حتى لقي شعيباً » .

(38) كذا كتبت هذه العبارة في الأصل على تلك الصورة من التحريف وجاءت في ك و ح كما يلي : « فراراً من الغرب » ووردت في س هكذا « فاراً من الغرب » بالغين المعجمة ، وصوبها أكنسوس على هامش مخطوطته بخط يده فجعلها : « العرب » بعين مهملة .

(39) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

ومن هذا النمط كان رضي الله عنه يقول : لا يكون المرید مریداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد .

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه في شأن ابن عطاء الله الفقيه جد الشيخ تاج الدين : إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم ثقيف جاءه ملك الجبال فقال له : ما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين (40)؟ فقال صلى الله عليه وسلم : <بل> (41) أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، قال فكذلك صبرنا لجد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه يعني تاج الدين إلى غير هذا مما يكثر .

فما وقع من الحكاية في الكتاب بعد أن يكون قصد به اقتباس وضرب من المناسبة يكون من شيء مما مرّ ، وإلاّ فهو استطراد للعلم وتذكير بفائدة ، وقد يقال على أنه مما مرّ ، فأين منزلتك أي هذا المتشعب بما لم يعط من درجات الشيخين المذكورين ونحوهما حتى يصح منك ما صح منهم ؟ فنقول : إذا انفصلنا من جانب (42) النبوءة بنحير فقد خرجنا عن مضيق الممتنع إلى فضاء الجائر ، وهو رجب ، ومن تشبهه بقوم فهو منهم كما [قيل] (43) :
لم أكن للوصال أهلاً ولكن أنتم بالوصال أطمعتموني

فه الأمر من قبل ومن بعد

(40) في « معجم البلدان » لياقوت : « الأخشب من الجبال الحشن الغليظ ، ويقال : هو الذي لا يرتقى إليه ، والأخشبان جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى ، وهما واحد ، أحدهما أبو قبيس ، والآخر قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هناك ، وقال ابن وهب : الأخشبان الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ، وقال السيد علي العلوي : الأخشب الشرقي أبو قبيس ، والأخشب الغربي هو المعروف بجبل الخط . . . » .

(41) ما بين العلامتين سائط من ك .

(42) في ك و س و ح : « جناب » . بدل : « جانب » .

(43) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن ك و ح وهو وارد في س فأضفناه رواية عنها .

[تقلبات الدهر]

كان الشيخ الصالح أبو محمد الحسين بن أبي بكر رحمه الله ينشدنا كثيراً تحريضاً على جميل الصبر . وتعريفاً بتقلبات الدهر ، ونحن إذ ذاك صبيان قول الشاعر :

ثمانية تجري على الناس كلهم ولا بد للإنسان يلقى الثمانية (1)
سرور وحزن واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثم سُقْمٌ وعافيه
ونحو قول أبي الطيب :

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة وميتٌ ومولود وقالٍ ووامق (2)
فهذه أحوال تعرض لابن آدم على التوارد ، لا يسلم منها في الجملة ، ولا تنحصر لبقاء العز والذل والقوة والضعف والحركة والسكون ، وغير ذلك مما لا يحصى ، وكثير منها يصلح رده إلى ما ذكر بضرب من التأول ، ولو اشتغلنا بتفصيل ذلك وشرحه لغة واصطلاحاً لطلال واحتاج إلى ديوان وحده أو أكثر ، فلنقتصر على الإجمال مع الإلام .

فالأول وهو السرور والحزن فنقول : هما مترتبان على المحاب والمكاره ،

(1) البيت رواية أخرى تقول :

ثمانية تجري على المرء دائماً وكل امرئ لا بد يلقى الثمانية
(2) البيت من قصيدة له مطلعها :

هو البين حتى ما تأنى الخزائق ويا قلب حتى أنت من أفارق
وهي مودعة في ديوانه .

[ومن المحبوب فوات المكروه] (3) ومن المكروه فوات المحبوب ، والإنسان لا يخلو من أن يظفر بمحسوب فيسر به أو يفوت فيحزن ، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان صلى الله عليه وسلم يوماً في البيت يعمل عملاً فنظرت إلى وجهه صلى الله عليه وسلم ، وهو يتهلل أو كما قالت . فقلت يا رسول الله أنت والله أحق بقول أبي كبير ، تعني الهذلي (4) :

ومُبْرَأً (5) من كل غُبْرٍ (6) حيضة وفساد مرضعة وداء مُغْبِيلٍ (7) وإذا نظرت إلى أسيرة (8) وجهه برقت كبرق العارض (9) المتهلل (10)

قالت : فطرح ما في يده وأخذني وقبل ما بين عيني وقال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ، ما سررت بشيء كسروري بك . وقد ذكر القصة في

- (3) ما بين العلامتين زيادة من ك و ح .
(4) هو عامر بن الخليس ، شاعر مخضرم عده البعض في الصحابة وذكروا عنه أنه سأل الرسول عليه السلام أن يحل له الزنى فقال له : أتحب أن يؤتى إليك مثل ذلك فقال له : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : فارض لأخيك ما ترضى لنفسك .
(5) البيتان من قصيدة له في 48 بيتاً . وتجد نصها الكامل في «ديوان الهذليين» (2 : 88 - 100) .
(6) غير الحيضة بضم أوله وفتح ثانيه مع التشديد باقيا قبل أن تطهر الحائض ، ويقال أيضاً : غير بالضم والسكون وكذلك غير اللبن لما يبقى منه في الضرع .
(7) يقال : أغالت المرأة ولدها وأغيلته فهي مغيل بوزن مريد ومغيل بزنة مكرم إذا أرضعته على حبل .
(8) الأسرة جمع سرار بوزن كتاب وهي الخطوط التي في الجبهة .
(9) العارض هو السحاب الذي يعرض في جهة من جهات السماء .
(10) فسر المرزوقي البيت الأول في « شرحه على حماسة أبي تمام » فقال : « والمعنى أن الأم حملت به وهي طاهر ، ليس بها بقية حيض ، ووضعته ولا داء به استصحبه من بطنها فلا يقبل علاجاً ، لأن داء البطن لا يفارق ، ولم ترضعه غيلاً وهو أن تسقيه وهي حبل » . ثم شرح معنى البيت التالي فقال : « يقول : إذا نظرت في وجه الرجل رأيت أساير وجهه تبرق وتشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق يصفه بحسن البشر وتطلق الوجه في كل حال » .

الإحياء (11)، وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، وقد قدم عليه جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه فعانقه : لا أدري بمَ أُسْرَ أْبفتح خيبر ، أم بقدم جعفر ؟

وقال صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم : « أَلْعَيْنُ تُدْمَعُ ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ » .

ثم الإنسان في أيام دهره لا يكاد يخلو من سوء ، فإن الدنيا دار بلاء ومحنة ، ولا سيما في حق المؤمن الذي هي في حقه سجن ، فقد قال الله تعالى : (وَلَنَبِّئَنَّاكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) . وقال الله تعالى : (الْأَمْ ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) وقال تعالى : (وَلَنَبِّئَنَّاكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) وقال تعالى : (لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا) إلى غير ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّكُمْ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ » .

(11) هو كتاب « إحياء علوم الدين » لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ . قال عنه حاجي خليفة في كشف الظنون : « هو من أجل كتب المواعظ وأعظمها حتى قيل فيه : إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب » .

وقال الشيخ أبو القاسم الجنيد (12) رضي الله عنه: أصلت [لنفسى] (13) أصلاً فلا أبالي بعده . وهو أنى قدرت أن هذا العالم كله شر ، ولا يلقاني منه إلا الشر ، فإن لقيني الخير فنعمة مستفادة ، وإلا فالأصل هو الأول .

ومن غريب ما اتفق في هذا المعنى أن بعض الملوك نظر في كتاب الحكمة (14) فإذا فيه : إن الدهر لا يخلو من المصائب ، وإنه لا يصفو فيه يوم من كدر فقال : لأكذب هذا . وأعد ليلة لسروره ، وأحضر فيها كل ما يحتاج ، وكانت عنده جارية حظية هي مجمع لذته ، ومنتهى أنسه ، فأحضرها لذلك ، وأمر أن تصرف عنه الصوارف وتقطع عنه الأشغال ليتفرغ لمتعته وأنسه ، ويقضي الأرب كله من هوى نفسه ، فحين أمسى كان أول ما قرب للجارية العنب ، فأخذت حبة وجعلتها في فيها فغصت بها ، وكان ذلك آخر العهد بها .

فلم يرَ الملك أمرَ من تلك الليلة ، ولا مصيبة ولا هما ولا حزناً أفظع مما

(12) ترجمه السلمي في « طبقات الصوفية » : (ص 156 بتحقيق نور الدين شريعة ط دار الكتاب العربي بمصر 1953 م) فقال : « الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز ، وكان أبوه يبيع الزجاج ، فلذلك كان يقال له : القواريري ، أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق ، وكان فقيهاً تفقه على أبي ثور ، وكان يفتي في حلقاته ، وصحب السري السقطي ، والحارث المحاسبي ، ومحمد بن القصاب البغدادي ، وغيرهم ، وهو من أئمة القوم وسادتهم ، مقبول على جميع الألسنة ، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين .

(13) ما بين العلامتين زيادة من ك وح .

(14) يبدو أن اليوسي لم يقصد أن هناك كتاباً موسوماً بهذه التسمية ، ولا أن ثمة مصنفاً موضوعاً بهذا العنوان ، وإنما عني واحداً من كتب الحكمة التي تحاول تفسير الوجود بما هو عليه والكشف عن أسرارهِ ، وقد جاء في كشف الظنون ما يأتي : « علم الحكمة ، وهو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية » . وعليه تكون الحكمة بهذا المعنى هي النظر في الأمور والأشياء نظراً تأملياً فلسفياً .

فيها (15) فسبحان القاهر فوق عباده ، الغالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

[مقام الشكر ومقام الصبر عند الصوفية العارفين]

هذا ومتى تأمل العبد أحواله ، واستقرأ عوارضه ، وجد لطف الله تعالى أغلب ، ونعمته عليه أوسع . قال تعالى : (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) وقال تعالى : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) ، وفي الخبر : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

ولا يشك العاقل أن أيام البلاء أقل من أيام العافية ، وأوقات العسر أقل من أوقات اليسر وهكذا .

وقد قال الله تعالى في قصة آل فرعون : (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ) الآية . ثم لا يخلو وقت من لطف ، ولذا قال أئمة التصوف رضوان الله عليهم : العارف من عرف شدائد الزمان في الألفاظ الجارية .

ثم المؤمن كما في الحديث كله بخير ، إن أصابه الخير شكر الله تعالى فكان له خيراً ، وإن أصابه شر صبر فكان خيراً له .

(15) في « أغاني الأصفهاني » (15 : 143 طبعة الدار) : « نزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام ومعه حيازة ، فقال : زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه ، وسأجرب ذلك ، ثم قال لمن معه : إذا كان غداً فلا تخبروني ولا تأتوني بكتاب ، وخلا هو وحيازة ، فأتيا بما يأكلان فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت ، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت ، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه ، وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك حتى أذن لهم في غسلها ودفنها وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، فلما دفنت قال : أصبحت والله كما قال كثير :

فإن يسل عنك القلب أو يدع الصبا فبالأس يسلو عنك لا بالتجدد

وكل خليل راني فهو قائل من أجلك : هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها » .

وقال بعض العارفين : الناس كلهم في مقام الشكر ، وهم يحسبون أنهم في مقام الصبر . وبيان هذا من أوجه :

الأول أن موجب الشكر وهو النعمة أغلب . والحكم للأغلب .

الثاني أنه ما من شر وبلاء يصيب العبد إلاّ وفي مقدور الله تعالى من البلاء ما هو أفظع منه قد صرفه الله تعالى ، فيجب الشكر على الاقتصار على ما وقع .

الثالث ما يفيد البلاء من رياضة النفس وتشجيعها للنوائب وإخماد سؤورتها والنجاة من طغيانها وما يجر إليه من البلاء ديناً ودنيا ، وتربية العقل بتعريفه تقلبات الدهر وفتح البصيرة في الأمور وهذه الأوجه عامة في المؤمن وغيره .

الرابع ما يحصل بالبلاء في الدنيا من مزيد المعرفة بالله تعالى وقهره وقوته وبطشه وفي الآخرة من الأجر العظيم .

الخامس ما يحصل للنفس من الخشوع لخالقها والانفكاك (16) عن المعصية .

السادس سلامة ثوابه من شوب الرياء وما يفسده إذ لاحظ للنفس فيه فهو خير قد دخل عليها بلا تعمل ، فالشكر عليه أحق ، إلى غير ذلك من الفوائد التي يطول تعدادها ، فمن علم ذلك كان البلاء عنده محل الشكر فصار في مقام الشكر في كل حال .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(16) في ك و س و ح جميعاً : « الانكفاف » .

[الشجرة الخضراء في المدينة الحالية : سجلماسة]

كان بسجلماسة أيام ارتحلنا إليها للقراءة زمان الصبا شجرة يقال لها الشجرة الخضراء مشهورة في تلك البلاد وفي سائر بلاد القبلة ، وهي قدر الزيتون أو السدر الكبيرة ، وورقها يقرب من ورق السدر ، وسبب شهرتها أنها غريبة الشكل دائمة الخضرة وغريبة في محلها [لأنها في البلد] (1) وليست من شجر البلد ، وهي منفردة ليس معها شجر أصلاً ، وكانت نابتة خارج سور المدينة الحالية بينه وبين النهر قبالة الرصيف الذي يعبر عليه لناحية الزلا ميط ، ويقال : إن ذلك باب من أبواب تلك المدينة ، والله أعلم .

ثم إن الأستاذ الفاضل أبا يزيد عبد الرحمن بن يوسف الشريف بعث إليها جماعة من الطلبة فقطعوها (2) ، وكان ذلك يوم الخميس ، وكنت جئت من ناحية المراكنة ذلك اليوم قصداً إلى سوق الخميس ، فلما بلغت إلى الشجرة وجدت الطلبة حين بلغوا إليها بقصد قطعها فقعدت حولها أنظر ، فلما انفصل أهل السافلة من السوق وكانت طريقهم كان كل من يمر فيراها تقطع بصيح ويتأسف ويقول : ما فعلت لكم المسكينة ؟ وكان أهل سجلماسة لما استغربوا أمرها يزورونها ، ولا سيما النساء ، فيكثرون <عليها> (3) من تعليق الخيوط ويطرحون الفلوس أسفلها ، وربما تغالت النساء في تعظيمها والتنويه بشأنها حتى يسمينها باسم امرأة صالحة كالسيدة فاطمة ونحو ذلك ، فلهذا أمر

(1) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو ثابت في سواه فأضفناه .

(2) في س وحدها : « ليقطعوها » .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

الأستاذ المذكور بقطعها وكأنه يرى أنها صارت ذات (4) أنواط كما قال الشيخ أبو العباس (5) المرسي رضي الله عنه ، فذكرناها نحن للتنبيه على ذلك ، فإن عوام الناس أكثرها منذ عقلنا حتى كانوا ينسبون إليها من ترهات (6) الأراجف (7) نحو قولهم : قالت الشجرة الخضراء : هذا زمان السكوت ، من قال الحق يموت ، فليعلم الناظر أنها <إنما> (8) هي شجرة لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، ومثلها أحق أن يقطع .

(4) في «معجم البلدان» لياقوت : «دات أنواط شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظيماً لها فتعلق عليها أسلحتها وتذبح عندها ، وكانت قريبة من مكة ، وذكر أنهم كانوا إذا ححو يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بنير أردية تعظيماً للبيت ، ولذلك سميت ذات أنواط ، يقال ناط الشيء ينوطه نوطاً إذا علقه . وجاء في «تفسير ابن جرير الطبري» عند قوله تعالى من سورة الأعراف : (وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون) . «حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أبا واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة ، قلت يا نبي الله : اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر ، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) إنكم سركبون سنن الذين من قبلكم» . وضرب أبو العلاء ذات أنواط هذه مثلاً في نيل الحظوة عند الناس بالمصادفة والاتفاق لا بالفضل والمزايا فقال من قصيدة في «لزومه» :

والحظ يدرك أقواماً فيرفعهم وقد ينال إلى أن يعبد الحجر
وشرفت ذات أنواط قبائلها ولم تباين على علائها الشجرا

(5) تقدم التعريف به ص : 87.

(6) في «التاج» : «الترهة كقبرة : الباطل كالتره كسكر ، وهو في الأصل الطريق الصغيرة المتشعبة من الجادة» .

(7) كذا بالأصل وفي غيره : «الأراجيف» بمد الجيم وهو جمع إرجاف ، وجاء في «أساس البلاغة» للزمخشري ما نصه : «أرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم ، وهذا من أراجيف الغواة ، والإرجاف مقدمة الكون ، وتقول : إذا وقعت المخاوييف ، كثرت الأراجيف» .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

ومن هذا نسبت شجرة (9) بيعة الرضوان حتى لم يثبت عليها الصحابة الذين كانوا تحتها فضلاً عن غيرهم ، وذلك مخافة أن تعبد .

وسمعت الفاضل الناسك البكري بن أحمد بن أبي القاسم بن مولود الجاوزي رحمه الله يحدث عن أسلافه أن شيخ المشايخ أبا القاسم الغازي رضي الله عنه ونفعنا به كان يقول لهم : <إنه > (10) نزلت عليه القطبانية تحت شجرة ببلد أجاز ، فيقولون له : يا سيدنا لِمَ لم ترنا تلك الشجرة ، فيقول : نخت أن تتركوا السبع وتعبدوا النغورة أي مغارته أي يتركونه فلا ينتفعون به ويشتغلون بالشجرة .

وكانت بقرب تاغية مقام الشيخ أبي يعزى (11) شجرة أخرى من هذا

(9) هي الشجرة المذكورة في قوله تعالى من سورة الفتح : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) . وفي «معجم البلدان» لياقوت : « الشجرة المذكورة في القرآن في قوله تعالى : (إذ يبايعونك تحت الشجرة) في الحديدية ، وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الناس يكثرون قصدها وزيارتها والتبرك بها فخشي أن تعبد كما عبدت اللات والعزى فأمر بقطعها وإعدامها فأصبح الناس فلم يروا لها أثراً » .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(11) ترجمه التادلي في «التشوف» (ص 195 - 205) فكان مما قال بشأنه : « الشيخ أبو يعزى يلقب بنور بن ميمون قال قوم : إنه من هزيمة إروجان ، وقيل من بني صبيح من هسكورة ، وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة ، ودفن بجبل إروجان في أول شهر شوال عام اثنين وسبعين وخمسائة ، وكان قطب عصره ، سمعت أبا علي الصواف يقول : سمعت أبا مدين يقول : رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى ، وسمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول : سمعت أبا عبد الله بن الكتاني يقول : نقلت كرامات أبي يعزى نقل تواتر ، وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري قال : لقيت الشيخ الزاهد الفاضل الرفيع آية وقته أبا يعزى يلقب بنور وكان أعجوبة في الزمان ، وعدة للإيمان ، بلغ من مقامات اليقين مبلغاً لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين ، واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان ، وشهد بشهرتها الكفاة والأعيان » .

المعنى وكُدُسٌ (12) من أحجار يقال له : البقرة ، وكل ذلك حقيق بالإزالة ،
غير أن العالم سيفه لسانه ، وما وراء ذلك إنما هو لأهل الأمر . ومن له
قدرة على الأمر .

نعم ، التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به ، وله أصل في
فعل الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يدير
راحلته حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم [أدارها] (13) ويتحرى الأماكن
التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم ، وذلك مذكور في الصحيح [وفيه قيل] (14) :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكما ثم ابكيا حيث حلت
ولا تياسا أن يمحو الله عنكما ذنوباً إذا صليتما حيث صلت (15)

ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصاً بلاد رجراجة من هذا كثيراً بقي
عندهم موروثاً خلفاً عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين ، ولما
حضرت معهم في الدور في هذه السفارة التي بدأت فيها هذه الأوراق ، وذلك
سنة خمس وتسعين وألف لم أوافقهم في فعل كثير مما يفعلون من ذلك مخافة
أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك ، ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك
بأمور قريبة لا بأس فيها .

وفي بلاد المغرب مواضع اشتهرت بآثار الصالحين ووقع التغالي فيها ،

(12) في « مصباح الفيومي » : « الكدس وزان قفل : ما يجمع من الطعام في البيدر ، وقال
الأزهري الكدس جماعة الطعام ، وكذلك ما يجمع من دراهم وغيرها ، والجمع أكداس
مثل قفل وأقفال » هـ . باختصار .

(13) ما بين العلامتين سقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(14) ما بين العلامتين إضافة من س .

(15) البيتان لكثير عزة ، وهما الأول والثالث من قصيدة في ديوانه المطبوع في بيروت بتحقيق
إحسان عباس وبينهما البيت الذي يقول :

ومسا تراباً كان قد مس جلدها وبيتا وظلا حيث باتت وظلت

منها شالة في رباط سلا ، فلا يعرف لها إلا أنها مزاراة يزورها الناس ويتبركون بمن فيها ، ولم يظهر فيها بهذا العهد إلا يحيى بن يونس ، وهو مشهور عند الناس ، ولا تعرف له ترجمة ، وملوك بني عبد الحق . وهم معروفون ، ولا بأس بهم ، وكل ما يذكر فيها مما سوى ذلك ويوجد في بعض الأوراق المجمولة من الأخبار فلا يعرف له أصل ولا يعول عليه .

ومنها ميسرة في بسلا ملوية حيث مدفون الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ، ويقال لها تامغراوت قد اشتهرت عند الناس ، وتوجد فيها أخبار وأحاديث في الأوراق وألسنة الناس ، وسألت عن ذلك بعض أولاد الشيخ المذكور وهو الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي طاهر عند نزولنا عليه فقال : ما ثبت عندنا في هذا الموضع إلا أنه كان رابطة لأسلافنا يتعبدون فيه ، فقلت له : نعم الوصف هذا ، فإن متعبد الصالحين حقيق أن يتبرك به . فهذا أيضاً غاية ما يثبت في هذا الموضع وما وراء ذلك لا يلتفت إليه .

ومنها رباط شاكر (16) وهو مشهور ، وكان مجمعا للصالحين من قديم . ولا سيما في رمضان ، يفدون إليه من كل أوب ، حتى حكى صاحب التشوف (17) عن منية (18) الدكالية رضي الله عنها أنها حضرت ذات مرة في

(16) هو شاكر بن عبد الله الأزدي تابعي غزا مع عقبة بن نافع وعهد إليه عقبة بتعليم المصامدة الإسلام ، فأما رباطه فإنه من أقدم الربط بالمغرب ، وهو واقع بأرض أحمر على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت .

(17) هو كتاب : « التشوف ، إلى رجال التصوف » لأبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي المعروف بابن الزيات ، والمتوفى سنة 627 هـ وهو مرجع ذو بال في تاريخ التصوف بالمغرب ، وقد اعتنى بتصحيحه المستشرق الفرنسي أدولف فور ، وصدر مطبوعاً ضمن مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية سنة 1958 م .

(18) أخبر عنها التادلي في التشوف (ص 312) فقال : « مية بنت ميمون الدكالي ، أصلها من مكناس ، ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش ، وبه توفيت عام خمسة وتسعين وخمسمائة ، ودفنت خارج باب الدباغين ، وكانت من الأفراد ، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودت من الاجتهاد ولصق جلدها بعظمها » .

رباط شاكر فقالت لبعض من معها: إنه حضر هذا العام في هذا الرباط ألف امرأة من الأولياء ، فانظر إلى عدد النساء فكيف بالرجال ! فلا شك أن هذا الموضوع موضع بركة ومجمع خير ، ولكن لم نقف من أمره إلا على ما وقع في التشوف من أن شاكرأ ذكر أنه من أصحاب عقبة بن نافع الفهري وأنه هنالك ، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه ، وكان يقاتل كفار برغواطة (19) ، وغزاهم مرات ، وأن طبله (20) هو الباقي هنالك إلى الآن ، والله أعلم . ولم يظهر فيه في العهد من مشاهد (21) الصالحين إلا أبو زكرياء (22) المليجي . والله أعلم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(19) برغواطة اسم أطلق قديماً على مجموعة من قبائل مصمودة كانت في بداية الأمر تتحلل مذهب الخارجية ، ثم تنبأ منهم رجل يسمى صالحاً ، وادعى أنه المذكور بسورة التحريم في قوله تعالى : (وصالح المؤمنين) وكان ظهوره في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة . وقد افترى صالح على الله كذباً أنه أوحى إليه بكتاب ، وسن لأتباعه شرائع يتبعونها ، وجعل لهم شعائر يتعبدون بها ، ودامت فتنة صالح حتى زمن المرابطين ، بل ان بقايا من أتباعه ظلوا موجودين إلى عهد الموحدين .

انظر في البرغواطيين : « مسالك البكري » و « بيان ابن عذارى » و « عبر ابن خلدون » و « قرطاس ابن أبي زرع » « ودائرة المعارف الإسلامية » .

(20) في ك : « طله » .

(21) في ج : « مشاهر » بالراء ولعل « مشاهد » تصحفت منها فإن مددنا الهاء من مشاهر صارت مشاهير جمع مشهور وهو المناسب للسياق .

(22) عرف به التادلي في « التشوف » (ص : 103) فقال : « أبو زكرياء يحيى بن موسى المليجي من أهل قرية مليجة من بلاد رجراجة من تلامذة أبي عبد الله الذي بتالغت ومن أشياخ عبد الخالق بن ياسين ، ومن أكابر الأولياء يقال : إنه من الابدال ، وكان يج في كل عام وتواترت عنه عجائب الكرامات » .

[محتالون يظهرون الصلاح ويخدعون الناس]

ومما وقع بسجلماسة قريباً من هذه القصة أنه شاع في البلد ذات ليلة أنه قد ظهر رجل في المدينة الحالية ، فأصبح الناس يهرولون إليه أفواجا ، وخرجنا مع الناس فقائل (1) يقول : ولي (2) من أولياء الله ، وآخر يقول : صاحب الوقت ، فلما بلغنا المدينة وجدنا الخلق قد اجتمعوا من كل ناحية على ذلك الرجل حتى إن أمير البلد وهو محمد بن الشريف خرج في موكبه <حتى رآه> (3) فلما كثر الناس اشتد الزحام عليه وتعذرت رؤيته ، فدخل في قبة هناك في المقابر فأخرج كفه من طاق <في> (4) القبة فجعل الناس يقبلون الكف وينصرفون ، وكان كل من قبل الكف اكتفى ورأى أنه قضى الحاجة (5) فقبلناه وانصرفنا ، ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب إلى ناحية الغرفة ، وأنه سقط في بئر هنالك ومات ، فظهر أنه رجل مصاب ، وكأنه (6) يشتغل باستخدام الجحان ونحو ذلك فهلك .

ولنما ذكرنا هذا ليعلم ويتنبه لمن هذا حاله ، فكم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون أو معتوه أو موسوس أو ملبس ، فيقع به الاغترار ، للجهلة الأعمار .

- (1) في ح : « وقائل » .
- (2) في ك و ح : « إنه من أولياء . . . » .
- (3) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .
- (5) في س : « الحاجات » بلفظ الجمع .
- (6) في ك و ح : « وكان » . بدل : « كأنه » .

ما أنت أول سار غره قمر ورائد أعجبتة خضرة (7) الدمّن
وقد يشايعة من هو على شاكلته من الحمقى ومن الفجار ، وشبه الشيء
منجذب إليه (8) .

إن الطيور على أجناسها تقع (9)

فيغتر الأغبياء بذلك إلا من عصمه الله .

وقد صعدت في أعوام الستين وألف إلى جبل من جبال هسكورة فإذا
برجل نزل عليهم (10) من ناحية الغرب ، واشتهر بالفقر ، وبني خباء له

(7) خضرة الدمّن عبارة عن المنظر الحسن ورائه مخبر سوء وأصله قوله عليه السلام : « إياكم
وخضراء الدمّن » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت سوء
فالدمّن جمع دمنة ، وهي القدر الذي تدمنه الإبل من أبوالها وأبعارها ، وربما نبت عليه
نبات فجاء مخضراً رائقاً ، وإن كان منبته ما هو من سوء والفساد ، والبيت لأبي محمد
القاسم بن علي بن محمد الحريري صاحب المقامات ، وجاء في « وفيات الحلكتاني » (3 : 230)
وهو يترجم المذكور ما نصه : « ويحكى أنه كان دميماً قبيح المنظر ، فجاء شخص غريب
يزوره ويأخذ عنه شيئاً ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريري ذلك منه ، فلما التمس
منه أن يملي عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سار غره قمر ورائد أعجبتة خضرة الدمّن
فاحتر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل منه وانصرف .

(8) هذا صدر بيت للمتنبّي هذا عجزه :

وأشبهنا بدنياقا الطغام

وهو من ميميته التي مطلعها :

فواد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللثام

(9) هو شطر بيت جرى مجرى الأمثال .

(10) في س : « عندهم » .

وأقبل الناس عليه بالهدايا والضيافات . وكان من أهل البلد فتى يختلف (11) إليه ويبيت عنده ، فاستراب من أمره بعض الطابفة ، فتلطف مساء ليلة حتى ولج الحباء ، فكمن في زاوية منه ، فلما عسعس الليل قام المرابط إلى الفتى فاشتغل (12) معه بالفاحشة ، نسأل الله العافية ، ثم علم أن قد علموا <به> (13) فهرب ، وبلغ الخبر إلى إخوة الفتى فتبعوه . ولم أدر ما كان من أمره ، ومثله كثير . ومن أغرب ما وقع من هذا أيضاً بسلمجماسة ما حدث به أخونا في الله الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الشريف المعروف بابن علي رضي الله عنه قال : ما لعب بإخواننا يعني أشراف سلمجماسة إلا رجل جاءهم في البلد واتَّسم باسم الصلاح ، ووقع الإقبال عليه ، فكان يأتيه الرجل فيعده بأن يبلغه (14) إلى مكة ويحج به طرفة عين ، واستمر على ذلك مدة ، ثم قام نشر من الأشراف اتفقوا على اختباره ، فكمنوا قريباً منه ، وتقدم إليه أحدهم وعنده نحو خمسين مثقالاً فقال له : يا سيدي إن هذه الصلاة تثقل علي ، فعسى أن ترفعها عني ، وأفرغ تلك الدراهم بين يديه ، وكأنه هس لذلك ، فبادره الآخرون قبل أن يستوفي كلامه وأوجعوه ضرباً وطرده . ثم بعد مدة سافر بعضهم إلى ناحية الغرب فمر بعين ماء هنالك ، فإذا الرجل عندها يستقي قربة له منها ، وإذا هو يهودي من يهود معروفين هنالك ، نسأل الله العافية .

فالحذر مطلوب ، ولا سيما فيما نحن فيه من آخر الزمان الذي استولى فيه

(11) في ك : « يردد » ومثله في صلب الفاسية ، وعلى طرفتها بإزائه : « يختلف » مرموزاً عليها بنحاء إشارة إلى نسخة أخرى .

(12) في ك و ح : « واشتغل » مع الواو بدل الفاء .

(13) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(14) في ك : « يوصله » بدله .

الفساد على الصلاح ، والهوى على الحق ، والبدعة على السنة ، إلا من خصه الله وقليل ما هم ، [وفيه قيل] (15) :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود (16)

بل نقول : ليته يدوم ، فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه كما في الحديث الكريم .

نعم لا بد للناس من تنفيس ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا تنفيساً نقضي فيه ما بقي من أعمارنا في خير ، ونستعقب مما مضى ، إنه الكريم المنان .

هذا ، ولا بد مع الحذر من حسن الظن بعباد الله ، ولا سيما من ظهر عليه الخير والتغافل عن عيوب الناس .

وفي الخبر : خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس ، ومن تتبع عيوب الناس تتبع الله عيوبه حتى يفضحه في قعر بيته .

فلا اعتراض بلا موجب جنابة ، واتباع كل ناعق غواية .

وفي كلام مولانا علي كرم الله وجهه : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعا ، أتباع كل ناعق . فمن ثبتت استقامته ،

(15) ما بين العلامتين وارد في س فاضفناه رواية عنها .

(16) البيتان في العقد الفريد (2 : 34) وجاءت رواية الثاني منهما فيه هكذا :

إن دام ذا الدهر لم نخزن على أحد يموت منا ولم نفرح بمولود

وصح علمه وورعه وجب اتباعه ، ومن اتسم بالخير وجب احترامه على قدره ،
والتسليم له في حاله ، ومن ألقى جلباب الحياء عن وجهه وجب لومه ، وإذا
ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله ، ولا بد من مراعاة السلامة .

وهذا باب واسع لا يكفيه إلا ديوان وحده ، وإنما ذكرنا هذه الإشارة
استطراداً .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أشعار في الكرم وخدمة الضيف]

من الشعر المستملح في باب التكرم قول المقنّع (1) الكندي أنشده القالي (2)
في النوادر (3) :

يعاتبني في الدّين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
أسدُّ به ما قد أنحلّوا وضيعوا ثغورَ حقوقٍ ما أطاقوا لها سدا
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها مكلفة لحمًا مدفقة (4) ثردا

(1) هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي شاعر أموي مقل ، كان له ترف وسؤدد في عشيرته ، وكان يلقب المقنّع لما ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» فقال : « كان من أجمل الناس وجهاً وأمدهم قامة ، فكان إذا كشف عن وجهه لقع أي أصيب بالعين ، فكان يتقنّع دهره فسمي المقنّع » .

(2) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي المعروف بالقالي ، كان إماماً في اللغة حجة فيها ، وراوية من رواة الادب ثقة فيه ، رحل من المشرق إلى الأندلس فتال حظوة كبيرة لدى أمرائها ، ومنزلة عالية عد علماءها ، توفي سنة 356 هـ .

(3) هو كتابه الذي اشتهر باسم الأماي ، والذي قال عنه ابن خلدون في « المقدمة » وهو يتحدث في العلم والأدب : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي : « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « النوادر » لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » . وكتاب « الأماي » هذا طبع ثلاث طبعات أخرها صدرت عن مطبعة السعادة سنة 1953 م .

(4) في « شرح المرزوقي على الحماسة » : « قوله : « مدفقة » أي مملوءة ، والأحسن أن يروى معه « ثردا » بضم الثاء ويروى : « مدفقة ثردا » بفتح الثاء والمراد مثردة ثرداً دقيقاً » .

وفي فرس نهد عتيق جعلته
 وإن الذي بيني وبين بني أبي
 فإن يأكلوا لحمي وفرتُ لحومهم
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم
 لهم جل مالي إن تتابع لي غني
 وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً
 ونحوه قول عروة (6) بن الورد :

أيا بنت (7) عبد الله وابنة مالك
 إذا ما صنعت الزاد فالتسي له
 أخاً طارقاً أو جار بيت فإني
 وكيف يسيغ المرء زاداً وجارهُ
 وللموتُ خير من زيارة باخل
 وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً
 ويا بنت ذي البردين (8) والفرس الورد
 أكيلاً فإني لست آكله وحدي
 أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
 خفيف المعى بادي الحصاصة والجهد
 يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
 وما فيّ إلاّ تلك من شيمة العبد

- (5) في « اللآلئ » : « لم يرد بقوله : « جعلته حجاباً لبيني » أني حجبت به بيتي من ناظر ، وإنما يريد أنه نصب عينيه وأكبر همه .
 (6) الأبيات ليست في « ديوان عروة » بجميع طبعته ، وفي مشهور الروايات أنها لحاتم الطائي .
 (7) هي ماوية بنت عبد الله زوج حاتم .
 (8) ذو البردين هو عامر بن أحيمر بن بهدلة وكان من خبره أنه وفد على المنذر بن ماء السماء ذات مرة فيمن يقد عليه من رؤساء العرب ، فأخرج المنذر بردين وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذها ، فقام عامر فارتدى بأحدهما وانتزر بالآخر وقال : العز والعدد في معد ، ثم هو في نزار ، وهو بعدهما في مضر ، ثم يكون في خندف ، فتميم ، فسعد ، فكعب ، فعوف ، ثم هو يكون في بهدلة ، فمن أنكر ذلك فلينافرنني ، فلم يتكلم أحد من الحاضرين فصار بعدها يلقب ذا البردين .

وقول الآخر (9) :

لعمر أبيك الخير إني لحادم لضيبي، وإني إن ركبت لفارس (10)

لله الأمر من قبل ومن بعد

(9) هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي ، أو هو الهذلول بن كعب العبدي وكلاهما من شعراء الجاهلية .

(10) البيت من قطعة جاء بها المبرد في كامله ، وساق معها خبراً يقول : إن صاحب الشعر كان معرساً بامرأة ، فطرقة أضياف فقام إلى الرحي يطحن لهم بنفسه ، فأبصرته زوجته على تلك الحال فلم ترضها ، فقال يخاطبها :

تقول : وصكت صدرها يمينها
أبلي هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها : لا تعجبي وتبيني
بلائي إذا التفت علي الفوارس
لعمر أبيك الخير إني لحادم
لضيبي وإني إن ركبت لفارس

[أصناف الناس]

قال (1) معاوية رضي الله عنه [يوماً] (2) لصعصعة (3) بن صوحان وكان من البلغاء: صف لي الناس . فقال : خلق الناس (4) أخيفاً (5) ، فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ، وطائفة خطباء ، وطائفة للبأس والنجدة ، ورجرجة (6) فيما بين ذلك ، يكدرون الماء ، ويغسلون السمر ويضيقون الطريق . وقال الآخر في نحو هذا :

الناس هم ثلاثة فواحد ذو درقه
وذو علوم دارس كتبه وورقه
ومنتق في واجب ذهبه وورقه
ومن سواهم همج لا ودك لا مرقه

- (1) الخبر في « أمالي القالي » (1 : 254) .
- (2) ما بين العلامتين زيادة في ك وفي س .
- (3) ترجمه المرصفي في « رغبة الآمل » (7 : 138) . فقال « صعصعة بن صوحان بن حجر ، أحد بني عبد القيس ، أسلم بالنبي ولم يره ، وكان خطيباً ، لسناً ، ديناً ، فاضلاً ، يعد في أصحاب علي رضي الله عنه ، وشهد حروبه ، ومات أيام معاوية .
- (4) في ك و س : « أصنافاً » بدلا من « أخيف » .
- (5) فسر القالي في « أماليه » (1 : 209) لفظ الأخيف بما يأتي راوياً عن اللحياني : « يقال : الناس أخيف في هذا الأمر أي مختلفون لا يستوون ، ويقال : خيفت المرأة أولادها إذا جاءت بهم أخيفاً أي مختلفين .
- (6) فسر القالي في « أماليه » (1 : 254) الرجرجة فقال : « الرجرجة شرار الناس ورجالهم وأصل الرجرجة الماء الذي خالطه لعاب » .

وفي كلام مولانا علي كرم الله وجهه لكميل بن زياد : الناس ثلاثة :
عالم ربّاني ، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعا ع ، أتباع كل ناعق(7).

وقال الآخر :

ما الناس إلاّ العارفون بربهم وسواهم متطفل في الناس(8)

وهذا المعنى له تفصيل وتحقيق ، والاشتغال به يطيل (9) ، ويكفي اللبيب
فيه ما مرّ عند ذكر الحسب وتفصيل المزايا في الناس .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(7) قد مر هذا ص : 108 .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(9) في ح : « مطيل » بصيغة اسم الفاعل .

[أصناف بقاع الأرض]

كان شيخنا الأستاذ المشارك الفاضل الناسك أبو بكر بن الحسن التطايفي ينشد <نا> (1) كثيراً في التنويه بالعلم قول القائل :

وما عرّف (2) الأرجاء إلاّ رجالها وإلاّ فلا فضل لتُربّ على تُربّ

والمعنى أن القطر من الأرض وكذا المدينة والقرية تعرف وتشرف بنسبة المعروف إليها كأبي عثمان المغربي وابن عامر (3) الشامي والحسن البصري وأبي الحسن الحرالي (4) وغيرهم .

- (1) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (2) ينبغي أن يقرأ بتشديد الراء مع نصب «الأرجاء» ورفع «رجالها» لأن معنى البيت على ذلك .
- (3) كذا بالأصل وفي سواء : «أبي» وليحقق .
- (4) في الأصل بالواو بعد الحاء ، وهو تصحيف وفي إس : «الحدالي» بالدال وهو تصحيف كالسابق ، وفي ك و ح معاً : «الحرالي» بالراء ، وهو الصواب نسبة إلى حرالة التي قال عنها الزبيدي في «التاج» بالنص : «حرالة مشددة اللام ، أهمله الجوهري والصاغاني وأكثر أهل اللغة ، وهي بلدة بالمغرب بالقرب من مرسية ، أو قبيلة بالبربر سمي البلد بهم ، ومنهم من ضبطه بتشديد الراء وتخفيف اللام» . هـ . وهو أبو الحسن علي ابن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي ، ولد بمراكش ، ونشأ بها ، وتلقى بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق ، كان من كبار العلماء في عصره ، وكان غاية في جودة الذهن ، وأعجوبة في استخراج الحفايا ، وكان يتصوف على طريقة الفلاسفة ، صنف في الدين والمنطق والطبيعات ، فمن كتبه تفسيره الشهير الذي سماه «مفتاح الباب المقفل» في فهم الكتاب المنزل ، وهو لا يزال مخطوطاً ، وله «شرح على الموطأ» ، و«شرح على الشفاء» ، و«شرح على الأسماء الحسنى» ، وله كتاب «إصلاح العمل» ، لانقضاء =

واعلم أن بقاع الأرض كأفراد الإنسان ، هي كلها مشتركة في كونها أرضاً وتربة ، ثم تتفاوت في المزايا الاختصاصية ، إما من ذاتها بأن يجعلها الله منبتاً للعشب ، وهي أفضل من السبخة (5) أو مزرعة ، وهي أفضل من الكنود (6) أو سهلة ، وهي أفضل من الحزن ، وقد ينعكس الأمر ، أو معدناً ، وتتفاوت بحسب الجواهر المودعة فيها ، أو منبعاً للماء ، وتتفاوت بحسب المياه إلى غير ذلك من (7) مختلفات الفواكه والأشجار والأزهار وسائر المنافع ، وإما من عارض ، كأن يختصها الله تعالى بكونها محلاً لخبر. إما نبوءة بيته (8) كمكة ، فهي أشرف البقاع ما خلا المدينة من ثلاثة أوجه : الأول كونها محلاً لبيته ، وقبله لعباده ، والثاني كونها عمارة خليله إبراهيم عليه السلام ، الثالث كونها مولد ومبعث أشرف الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، إلى وجوه أخرى ككونها وسط الأرض <أو أرفع الأرض > (9) أو من تحتها دحيت (10)

- = الأجل»، و«السر المكتوم ، في مخاطبة النجوم»، وهو مخطوط ، «وشمس مطالع القلوب في علم الحرف»، وتوفي الحرالي بحماة سنة 637 هـ. وما كانت حرالة لتذكر لولا أن الحرالي كان قد سكنها ، كما أن زمخشري ما كانت لتعرف لو لم يكن منها جبار الله الزمخشري.
- (5) في «مصباح الفيومي» : «سبخت الأرض سبخاً من باب تعب فهي سبخة بكسر الباء ، وإسكانها تخفيف ، وأسبخت بالألف لفة ، ويجمع المكسور على لفظه : سبخات مثل كلمة وكلمات ، ويجمع الساكن على سبخ مثل كلبة وكلاب ، وموضع سبخ وأرض سبخة بفتح الباء أيضاً أي ملحة» .
- (6) في «صحاح الجوهري» : «كند كنوداً كفر النعمة، فهو كنود ، وامرأة كنود ايضاً وأرض كنود : لا تنبت شيئاً» .
- (7) في ح : «ومختلفات» .
- (8) كذا في الأصل برسم واحد البيوت مضافاً إلى ضمير الغائب ، وفي ك و س و ح : «بيته» مؤنث البين الذي هو الواضح غير الخفي .
- (9) ما بين العلامتين ساقط من س .
- (10) في «أساس البلاغة» للزمخشري : «خلق الله الأرض مجتمعة ثم دحاها أي بسطها ومدّها ووسعها كما يأخذ الحياز الفرزدة فيدحوها» .

الأرض ، وكونها حراماً وغير ذلك <و> (11) لبيت المقدس سقط من هذا الفضل لأنها مأوى الأنبياء ، وكانت قبلة ، <و> (12) اختصت المدينة طيبة بكونها مهاجر أشرف الخلق ومدفنه مع أكابر أصحابه رضي الله عنهم فصارت خيراً [البقاع حتى مكة عند علمائنا] (13) أما التربة التي تضمنت شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم فلا مثل لها في الأرض ولا في السماء قطعاً .

وإما نبوة فتشرف (14) كل بلدة ولد فيها نبي أو بعث أو أقام أو دفن ، وتشتهر بذلك وتتعرف (15) كما قال صلى الله عليه وسلم يوم الطائف للغلام وقد قال له : <إنه> (16) من نينوى (17) . « قَرْيَةٌ أَخِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » وإما علم فكل قرية أيضاً أو بلدة كان فيها عالم أو كان منها فهي تشرف (18) بذلك وتتعرف كما في البيت المذكور ، وإما زهد أو عبادة أو نحو ذلك أو ملك أو جود أو نجدة أو جمال أو خلق حسن أو غير ذلك حتى رخاء العيش وصحة الهواء ، فكل ذلك ونحوه يكون به الشرف والاشتهار كما يكون الاشتهار في النقصان والمذمة بأضداد ذلك . واعلم أن المولى تبارك وتعالى من لطيف حكمته وسابغ منته كما لم يُخل عبداً من عباده من فضل عاجل أو آجل ، ظاهر أو باطن ، كثير أو قليل ، كذلك لم

(11) ما بين العلامتين سقط من الأصل وجاء في سواه فأضفناه .

(12) ما بين العلامتين لم يرد في الأصل فأضفناه رواية عن ك و س و ح .

(13) ما بين العلامتين سقط من صلب الأصل ولكن ناسخه كتب على الطرة لحقاً هذا لفظه :

« خير أو أفضل » وفي ك و س و ح : « أفضل » .

(14) في س : « تشرف » .

(15) في ك : « وتعترف » .

(16) بين العلامتين ساقط من ك .

(17) في « معجم البلدان » : « نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو وهو قرية

يونس بن متى عليه السلام بالموصل » .

(18) في س وحدها : « تشرف » .

يُخَلِّ بَقْعَةً مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ فَضْلِ ، وَلَمْ يُعْرَبْ بِلَدَةٍ مِنْ مَزِيَّةٍ يَتَعَلَّلُ بِهَا عُمَارُهَا حَتَّى لَا يَتْرَكُوهَا ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةً ، وَالطَّبَاعَ مُتَفَاوِتَةً ، وَحَبِيبٌ لِكُلِّ أَحَدٍ مَا اخْتَصَّ بِهِ ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ ، فَتَجِدُ هَذَا يَمْدَحُ أَرْضَهُ بِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ لِلاتِّسَاعِ (19) فِي الشَّرْبِ وَالطَّهَارَةِ وَالنَّقَاوَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَهَذَا يَمْدَحُ أَرْضَهُ بِالْبَعْدِ عَنِ كَثْرَةِ الْمِيَاهِ لِحُودَةِ مَنَابِتِهَا ، وَصِحَّةِ هَوَائِهَا ، وَذَهَابِ الْوُخْمِ عَنْهَا ، وَهَذَا يَمْدَحُ أَرْضَهُ بِالسَّهُولَةِ لَوْجُودِ الْمَزَارِعِ فِيهَا وَكَثْرَةِ رَيْفِهَا (20) وَاتِّسَاعِ خَيْرِهَا ، وَهَذَا يَمْدَحُ أَرْضَهُ بِكَوْنِهَا جِبَالًا لِمَنْعِهَا وَعِزَّةِ أَهْلِهَا ، وَحَسَنِ مَائِهَا وَهَوَائِهَا وَقِنَاعَتِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ .

[و] (21) لِلشُّعْرَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذَا مَا يَحْسُنُ تَرْدَادَهُ ، وَيَطْوِلُ إِيرَادَهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ (22) بِنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ يَتَشَوِّقُ إِلَى بِلَدِهِ قَوْلُهُ :

بِوَادِي حِمَاةِ الشَّامِ عَنْ أَيْمَنِ الشُّطِّ وَحَقِّكَ تَطْوِي شُقَّةَ الْهَمِّ بِالْبَسْطِ
بِلَادٍ إِذَا مَا ذَقْتَ كَوَثْرَ مَائِهَا أَهْمِيمٌ كَأَنِّي قَدْ ثَمَلْتُ بِإِسْفِنْطِ (23)

(19) فِي سٍ وَحَدَا : « لِلانْتِفَاعِ » .

(20) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَمِثْلُهُ فِي كٍ وَحٍ ، وَفِي سٍ وَحَدَا : « رَيْبِعُهَا » بَدَلٌ : « رَيْفِهَا » وَالرَّيْفُ فَسْرُهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي « الصَّحَاحِ » قَقَالَ : « الرَّيْفُ أَرْضٌ فِيهَا زَرْعٌ وَخَصْبٌ ، وَالْجَمْعُ أَرْيَافٌ ، رَافَتِ الْمَاشِيَةُ أَي رَعَتِ الرَّيْفَ ، وَأَرْيَفْنَا أَي صَرْنَا إِلَى الرَّيْفِ ، وَأَرَا فَتِ الْأَرْضَ أَي أَخَصَبْتُ ، وَأَرْضٌ رَيْفَةٌ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ » .

(21) مَا بَيْنَ الْعَلَامَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ الْأَصْلِ وَهُوَ فِي سِوَاهِ فَأَضْفَنَاهُ .

(22) هُوَ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بِنِ عَلِيِّ الْحَمَوِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ حِجَّةِ بِكْرٍ الْحَاءِ ، وَبِالْأَزْرَارِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ اشْتِغَلَ فِي عَمَلِ الْأَزْرَارِ قَبْلَ أَنْ يَتَأَدَّبَ ، وَوُلِدَ سَنَةَ 777 وَتَوَفَّى سَنَةَ 837 هـ كَانَ مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ ، وَمِنْ كِبَارِ الْأَدْبَاءِ الْمُنْشِئِينَ فِي وَقْتِهِ ، لَهُ مَوْلاَفَاتٌ مِنْهَا : « خَزَانَةُ الْأَدَبِ » (مَطْبُوعٌ) « وَثَمَرَاتُ الْأَوْرَاقِ » (مَطْبُوعٌ) ، وَهُوَ أَشْعَارٌ أَوْدَعَهَا فِي مَجْمُوعِ سَمَاءِ : « الثَّمَرَاتُ الشَّهِيَّةُ ، فِي الْفَوَاكِهِ الْحَمَوِيَّةِ » (مَخْطُوطٌ) .

(23) فِي « الْقَامُوسِ » : « الْإِسْفِنْطُ بِالْكَسْرِ وَتَفْتَحُ الْفَاءِ الْمَطْيَبُ مِنَ عَصِيرِ الْعَنْبِ ، وَضَرْبٌ مِنَ الْأَشْرِبَةِ ، أَوْ أَعْلَى الْحَمْرِ » .

فمن يجتهد في أن في الأرض بقعة
وصوب حديثي مائها وهوائها
وللآخر في تلمسان مثل هذا :

بلد الجدار (24) ما أمر نواها
يا عاذلي في حبها كن عاذري
كليف الفؤاد بحبها وهواها
يكفيك منها ماؤها وهواها

ولابن حمديس (25) الصقلي في بلده :

ذكرت صقلية والأسى
فإن كنت أخرجت من جنة
ولولا ملوحة ماء البكا
حسبت دموعي أنهارها (26)

وللأعرابي (27) :

أقول لصاحبي والعيس تحدي (28) بنا بين المنيفة (29) فالضمار

- (24) فيه زحاف الوقص وهو ذهاب الثاني المتحرك من الجزء .
- (25) هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المعروف ، ولد بصقلية سنة 447 وبها نشأ وتعلم ، ثم نزع عنها عندما تغلب عليها روجار ، فاتجه إلى الأندلس ، واتصل بالمعتمد بن عباد ، ثم ترامت به الأسفار حتى أدركته الوفاة بجزيرة ميورقة أو ببجاية سنة 527 هـ له ديوان طبع بتحقيق الدكتور إحسان عباس سنة 1960 .
- (26) الأبيات من قصيدة له في سبعة وثلاثين بيتاً مطلعها :
قضت في الصبا النفس أوطارها وأبلغها الشيب إنذارها
وهي مودعة في ديوانه .
- (27) هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري ، شاعر بدوي مقل ، عاش على عهد الدولة الأموية ، والأبيات هذه منسوبة إليه في حماسة أبي تمام .
- (28) في الأصل بخاء وذال معجمتين ، ومثله في س ، وهو تصحيف ، وفي و ك ح « تحدي » بخاء وذال مهملتين ، وهو تصحيف كذلك ، والصواب فيه « تحدي » بخاء معجمة وذال مهملة ، قال المجد في « قاموسه » : « خدي البعير والفرس خدياً وخدياناً أسرع وزج بقوائمه ، أو هو ضرب من سيرهما ، أو هو عدو الحمار ما بين آريه ومترغه .
أما رواية الحماسة فجاءت هكذا : « تهوي » .
- (29) في « شرح المرزوقي على الحماسة » (ج 3 : 1240) : « المنيفة موضع أو هضبة مرتفعة =

تمتع من شميم عرار (30) نجد
 ألا يا حبذا تفحات نجد
 وأهلك إذ يحلّ الحي نجداً
 شهور ينقضين وما شعرنا
 فما بعد العشيّة من عرار
 ورّياً روضه بعد القطار
 وأنت على زمانك غير زار
 بأنصاف لمنّ ولا مِرار (31)

وللآخر في تونس :

لتونس تونس من جاءها
 فيغدو ولو حلّ أرض العراق
 ويأمل عوداً ويشتاقه اش
 وتودعه لوعة حيث سار
 يحن إليها حنين الحُوار (32)
 تيناق الفرزدق عود النّوار (33)

وللآخر في مدينة فاس :

- = ومنه أناف على كذا أي أشرف ، وقولهم : مائة ونيف ، والضمار مكان أو واد منخفض يضم السائر فيه .
- (30) في « صحاح الجوهري » : « العرار بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، الواحدة عرارة » .
- (31) في « صحاح الجوهري » : « سرر الشهر بالتحريك آخر ليلة منه ، وكذلك مراره ، وهو مشتق من قولهم استسر القمر أي خفي ليلة السرار ، فربما كان ليلة وربما كان ليلتين » .
- (32) في « القاموس » : « الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه » . وكتب في ك وح بالخاء المعجمة بدل الخاء المهملة ، وهو تصحيف .
- (33) « يقال نارت المرأة نوراً بالفتح ونواراً بالكسر إذا نفرت من الريبة ، فهي نوار بالفتح كسحاب ، وبه سميت المرأة ، والمذكورة في الشعر هي النوار بنت أعين بن ضبيحة المجاشعي ، وكان الفرزدق قد تزوجها ثم جرى عليه ما حمله حل طلاقها ، وأدركته الندامة عليها فقال :

نلت ندامة الكسبي لما
 وكانت جنتي فخرجت منها
 وكنت كفاقيء عينيه عمداً
 ولو ضنت يداي بها ونفسي
 وما فارقتها شبعاً ولكن
 غدت مني مطلقه نوار
 كأدم حين أخرجه الضرار
 فأصبح ما يضيء له نهار
 لكان عليّ للقدر اختيار
 رأيت الدهر يأخذ ما يعار

يا (34) فاس حيا الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربت على عدن بمنظرها البهي الأجل
غرّف على غرّفٍ ويجري تحتها ماء ألد من الرحيق السلسل

وكثيراً ما يقع الحنين إلى المنازل والبلدان ، من أجل من فيها من الإخوان
والأحدا ، كما قال القائل :

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى ومن أجل من فيها تحب المنازل
وقال المجنون :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وهي خصوصية في البقعة عارضة من سكانها كالذي في البيت ، فإن
الميل إليها يقتضي فضلها على غيرها بالنسبة إليه ، ومن هذا <المعنى> (35)
أكثر العرب ذكر الحمى (36) كقوله (37) :

فإن (38) كان لم يفرض ، فإني وناقبي بحجر إلى أهل الحمى غرضان

(34) بالأصل «أيا» ولا يستقيم معه عروض الشعر ، وفي ك و س و ح جميعاً «يا فاس» .

(35) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(36) في «معجم البلدان» لياقوت : «الحمى بالكسر والقصر ، وأصله في اللغة الموضع فيه
كلا يحمي من الناس أن يرعوه . وقال الأصمعي : الحمى حميان : حمى ضرية ، وحمى
الربذة ، قال المؤلف : ووجدت أنا حمى فيد وحمى النير ، وحمى ذي الشرى ، وحمى
النقيع ، فأما حمى ضرية فهو أشهرها وأسيرها ذكراً ، وللعرب في الحمى أشعار كثيرة
ما يعنون بها حمى ضرية» .

(37) في «التاج» من مادة «غرض» : «قال الشاعر ، وهو أعرابي من بني كلاب»
ثم أنشد البيتين .

(38) كذا في المخطوطات الثلاث وهو أيضاً ما في ح وصوبه أكنسوس بخط يده على الطرة كما
يلي : «فمن كان» أما «التاج» فجاءت روايته هكذا «فمن يك لم يفرض» .

ثمن فتبدي ما بها من صباية وأخفي الذي لولا الأسي (39) لقضائي (40)

الغرض المشتاق (41)، وكقول الآخر :

وإن الكئيب الفرد من جانب الحمى إليّ وإن لم آتِه لحبيب
وكقول الآخر :

وكنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها
خليليّ ما بالعيش عتب لو أنّنا وجدنا لأيام الحمى من يعيدها
وكقول الآخر :

ألا أيها الركب المجيدون هل لكم بساكن أجزاء الحمى بعدنا خبّر ؟
فقالوا : قطعنا ذاك ليلاً وإن يكن به بعض من تهوى فما شعر السّفْر (42)

وكقول الآخر (42م) :

(39) شكله أكنسوس بضم الهمزة شكل قلم وكتب عليه علامة (صح) يريد أنه جمع أسوة ،
وأن الشاعر يقول : لولا التأسّي والتصبر لقضيت نحبي .

(40) يريد : قضى علي فعدها مباشرة .

(41) في « التاج » « الغرض الضجر والملال ، والغرض أيضاً شدة النزاع نحو الشيء والشوق
إليه ، غرض كفرح فيهما فأما في معنى الضجر فإنه يعنى بمن يقال غرض منه غرضاً فهو
غرض أي ضجر وقلق وأما الغرض بمعنى الشوق فإنه يعنى بإلى يقال : غرض إلى لقائه
فهو غرض اشتاق إليه » .

(42) أوردهما القالي في أماليه (1 : 146) من رائية أبي الصخر الهذلي .

(42م) هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري. والبيتان من شعر له في « حماسة أبي تمام بشرح
المرزوقي » (3 : 1215 - 1220) وكان الباعث على قوله ما حكاه ياقوت في « معجم
البلدان » وهو يتكلم عن جبل البشر فقال : « كان الصمة بن عبد الله القشيري يهوى ابنة
عمه ، فتماكس أبوه وعمه في المهر ، ولج كل واحد منهما ، فتركها الصمة وانصرف
إلى الشام وكتب نفسه في الجند وقال : » وروى المرزوقي في شرحه على
الحماسة البيت الأول كما يلي :

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الغي بعد الشيب أسبلتا معا
فليست عشيات الحمى برواجع إليك ولكن خيل عينيك تدمعا
إلى غير ذلك .

ويكثرون أيضاً ذكر اللوى (43) كقوله :

شيب (44) أيام الفراق مفارقي وأنشزن (45) نفسي فوق حيث تكون
وقد لان أيام اللوى ثم لم يكد من العيش شيء بعدهن يلين
وكقول جرير (46) :

= بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
ثم كتب عليه قائلا : إنما قال بكت عيني اليمنى لأنه كان أعور متمماً بعينه اليسرى ،
والعين العوراء لا تدمع ، فيقول : بكت عيني الصحيحة فاجتهدت في زجرها عن تعاطي
الجهل بعد أن كنت تحلمت وتركت الصبا ، فلما تكلفت ذلك لها أقبلت العوراء تدمع معها
وتبكي ، ونبه بهذا على عصيان النفس والقلب وقلة ائتمارهما له ، وأنها إذا زجرا
وردعا عن مواردهما زادا على المنكر منهما » اه .

(43) في « معجم البلدان » : « اللوى بالكسر وفتح الواو والقصر ، وهو في الأصل منقطع
الرملة ، يقال : قد ألويتم إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثرت
الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما ، وهو واد من
أودية بني سليم ، ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع » اه . ثم ذكر بعد
ذلك : لوى طفيل ولوى النجيرة ولوى الأرتلى ولوى المنجنون ولوى عيوب .

(44) كذا في المخطوطات الثلاث ، وعليه يكون فيه الحرم الذي هو حذف الحرف الأول من
الوتد المجموع في أول البيت ، وفي الطبعة الفاسية (وشيب) مع الواو ، وبه يسلم البيت
من الحرم .

(45) في « مقاييس ابن فارس » ما نصه : « النون والشين والزاي أصل صحيح يدل على ارتفاع
وعلو ، والنشز : المكان العالي المرتفع ، والنشوز : الارتفاع ، ثم استعير فقيل :
نشزت المرأة استصعبت على بعلمها ، وكذلك نشز بعلمها جفاها وضربها » اه . وفي « تاج
الزبيدي » ما لفظه : « نشزت نفسه : جاشت من قزع ، وعرق ناشز متبر أي مرتفع :
لا يزال يضرب من داء أو غيره ، وقلب ناشز : ارتفع من مكانه رعباً » .

(46) في س : « الآخر » ولم تسم جريراً .

أولاً مراقبة العيون أريثنا

مُقلّ المِها (47) وسوالف (48) الآرام (49)

هل يَنْهَيْتَكَ أن قتلنَ مرقشاً (50) أو ما فعلن بعروة (51) بن حزام
ذُمَّ المنازل بعدَ منزلةِ اللّوى والعيشَ بعدَ أولئك الأيامِ-
إلى غير ذلك .

[و] (52) أما نجد وهو ما ارتفع [من الأرض] (53) من بلادهم فأكثر
من ذلك كله كقوله :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد
وقول الآخر (54) :

أشقتك البوارق والجنوب ومن علوى (55) الرياح لها هبوب

- (47) في « الصحاح » : « المِها بالفتح جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية » .
(48) في « الصحاح » : « السالفة ناحية مقدم العتق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة » .
(49) في « الصحاح » : « الآرام الظباء الخالصة البياض الواحد رثم » .
(50) هما مرقشان : أكبر وأصغر ، فأما الأكبر فهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وأما الأصغر فاسم ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، والأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر منهما عم طرفة بن العبد صاحب المعلقة ، وكلا المرقشين كان شاعراً جاهلياً ، وكلاهما كان فارساً شجاعاً ، وكلاهما كان من عشاق العرب المتيمين .
(51) هو عروة بن حزام العذري صاحب عفراء ، وأحد المتيمين الذين قتلهم العشق ، وكانت وفاته في خلافة معاوية .
(52) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في غيره فأضفناه .
(53) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .
(54) الأبيات أوردها ياقوت في معجم البلدان ، وهو يتكلم عن « النير » ونسبها لمن سماه أبا هلال الأسدي .
(55) في «معجم ما استعجم» (3 : 965) ما نصه : « علوى بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده واو وياه على وزن فعلى : موضع ، وينبئك أنه من نجد قول الشاعر :
أشقتك البوارق والجنوب ومن علوى الرياح لها هبوب
وفي الأصل : « غلوى » بالغين المعجمة مع ياء بآخره ، وفي ك و س و ح : « غلو »
بغين معجمة وبدون ياء وذاك وهذا تصحيف .

أنتك بنفحة من شبح نجد تصوب (56) والعرار بها مشوب
 وشمّت (57) البارقات فقلت: جيدّت (58)
 جبال البتر (59) أو مطر القليب (60)
 ومن بستان إبراهيم (61) غنّت حنائم بينها فن رطيب
 فقلت لها: وقيت سهام رام ورقط الريش مطعمها الجنوب
 كما هيجت ذا حزنٍ غريباً على أشجانه فبكى الغريب
 وقول الآخر:

- (56) كذا بالأصل وفي ك و س و ح جميعاً: «تضوع» وهي رواية البكري في «معجم ما استعجم» وياقوت في «معجم البلدان» .
 (57) في «الصحاح»: «شمّت البرق إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر» .
 (58) كتب أكنسوس فوق هذه الكلمة بخط يده ما لفظه بالحرف:
 «دعاء بالجوود أي المطر»

(59) رسمت الكلمة في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية هكذا: «البتر» بالباء المنقوطة بواحدة من تحت، وبالهاء المثناة من فوق، بعدهما راء مهملة، والبتر ذكره ياقوت في «معجم البلدان» فقال: «بتر أجبل من الشقيق مطلات على زبالة». ثم أنشد فيه رجزاً وشعراً، ثم زاد يقول: وقيل: البتر أكثر من سبعة فراسخ عرضاً، وطولاً أكثر من عشرين فرسخاً من بلاد بني عمرو بن كلاب». ثم أنشد فيه شعراً للقتال الكلابي، ثم زاد فقال: «البتر أيضاً موضع بالأندلس». ويبدو أن الكلمة تصحفت عن النير بالنون والياء وقد جاء في «معجم البلدان» لياقوت: «النير بالكسر ثم السكون وراء بلفظ نير الثوب، والنير في موضعين قرية ببغداد، والنير جبل بأعلى نجد شرقيه لثني بن أعصر، وغريه لغاضرة، وقال أبو هلال الأسيدي، وفيه دلالة على أنه لغاضرة بني أسد:
 أشاقتك الشمائل والجنوب الأبيات»

وذكر البكري النير في «معجم ما استعجم» فقال: «النير بكسر أوله وبالراء المهملة جبل يراه من أخذ طريق المنكدر، وفوقه جبل يقال له فضاء النير» ثم أنشد أشعاراً ذكر فيها النير لدريد بن الصمة ولزيد الخليل ولحميد بن ثور ولتوبة بن الحمير .
 (60) في «معجم ما استعجم» «القليب بفتح أوله وسكون ثانيه بعده ياء ثم باء معجمة بواحدة: موضع» .

(61) في «معجم البلدان»: «بستان إبراهيم في بلاد بني أسد» .

وما وجد أعرابية قذفت بها الأبيات (62)

وتقدم شيء من ذلك ، وهو كثير ، وذلك في الغالب لحسنه في نفسه
هواء وماء ومنابت ومسارح ، والناس كلهم مجمعون (63) على ذكر ديار
الأحباب <ومعاهد الشباب> (64) ، ولا خصوصية للعرب ، وإن كان
لهم مزيد رقة .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(62) الأبيات التي لم ينصصها اليوسي كتب منها أكنسوس بيده على طرة مخطوطته بيتين ، وجاءت
جملتها في طبعة فاس ، وهذا نصها رواية عنها :

صروف النوى من حيث لم تك ظنت	وما وجد أعرابية قذفت بها
بنجد فلم يقدر لها ما تمت	تمنت أحاليب الرعاء وخيمة
وريح الصبا من نحو نجد أرنت	إذا ذكرت ماء الغضاء وطيبه
غداة غلونا بكرة واطمأنت	بأعظم من وجد بليلى وجدته
فقد بخلت تلك الرياح وضنت	وكانت رياح تحمل الحاج بيننا

(وفي الأغاني : ماء الغضاء) .

(63) في ك و ح : « مجموعون » والظاهر أنه تحريف .

(64) ما بين العلامتين ساقط من ك .

[الأريحية]

أنشد في النوادر (1) لمحرز العكلي (2) :

يظلّ فؤادي شاخصاً من مكانه لذكر الغواني مستهماً متيماً
إذا قلت مات الشوق مني (3) تنسنت به أريحياتُ الهوى فتنسما (4)
وفي البيت فائدة ، وهي أن لفظ الأريحية (5) هو بسكون الراء وفتح
الياء ، ووقع في شعر المولدين أيضاً ما يوافق ذلك .

* * *

مما علق بحفظي من أشعار المعاني (6) عند العرب قول الشاعر :

-
- (1) تقدم التعريف بكتاب « النوادر » هذا وبصاحبه .
 - (2) في « النوادر » المذكور : « وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري : قال أنشدني أبي لمحرز العكلي » .
 - (3) في ك و ح : « منا » .
 - (4) في ك : « فتبسما » بالياء وهو تصحيف .
 - (5) في « تهذيب » اللغة لأبي منصور الأزهري : « قال الأصمعي : يقال : فلان يراح للمعروف إذا أخذته أريحية وخفة ، وقال الليث : الأريحي الرجل الواسع الخلق البسيط إلى المعروف يرتاح لما طلبت إليه ويراح قلبه سروراً به ، قال : والأريحي مأخوذ من راح يراح كما يقال للصلت المنصلت أصلي وللمجتنب أجنبي قال : والعرب تحمل كثيراً من التعت على أفعلي فيصير كأنه نسبة » .
 - (6) أشعار المعاني واسمها الاصطلاحي « أبيات المعاني » هي ما عرف به الشهاب الخفاجي في « شفاء الغليل » نقلاً عن « سفر السعادة » للسخاوي فقال بالنص : « أبيات المعاني هي في اصطلاح الأدباء ما كان باطنه يخالف ظاهره ، وإن لم يكن فيه شيء من غريب اللغة ، قاله السخاوي في « سفر السعادة » . وفي « مزهر السيوطي » : (1 : 578) « وهي (يريد =

فجئبت الجيوش أبا زنيب (7) وجاد على مسارحك السحاب

يحتمل أن يكون دعاء له (8) بالعافية والخصب ، ويحتمل أن يكون دعاء عليه (9) بالإفلاس حتى لا تقصده الجيوش ، ثم بالخصب مع ذلك لأنه أوجع لقلبه ، حيث يرى الرعي (10) ولا راعية < كما > (11) قال الراجز :

أمرعت الأرض لوآنً مالا
لو أن نوقاً لك أو جمالا
أو ثلة (12) من غم أمّا لا

= (الألغاز) أنواع : ألغاز قصدها العرب ، وألغاز قصدها أئمة اللغة ، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها ، وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازاً ، وهي نوعان : فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها ، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع ، وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً ، وكذلك ألف غيره ، وإنما سماها هذا النوع : (أبيات المعاني) لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ، ولا تفهم من أول وهلة ، وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب .

(7) في «اللسان» : «وزنية وزينب كلتاها امرأة ، وأبو زنيبة كنية قال :

نكدت أبا زنيبة أن سألتنا بحاجتنا ، ولم ينكد ضباب
وهو تصغير زينب بعد الترخيم ، فأما قوله بعد هذا :

فجئبت الجيوش أبا زنيب البيت

فإنما أراد أبا زنيبة فرخمه في غير النداء اضطراراً .

(8) في ج : «دعا له» .

(9) في ك : «دعا له بالإفلاس» وهو خطأ لأن دعا له لا يقال في الشر .

(10) كذا بالأصل والرعي بكسر الراء وسكون العين هو ما يرعى ، قال صاحب «القاموس» :

«الرعي بالكسر الكلاء ج أرعاه وبالفتح المصدر» . وفي س : «المرعى» وهو صحيح أما ك و ح ففيهما : «الراعي» وهو خطأ .

(11) ما بين العلامتين ساقط من س .

(12) في «التاج» : «الثلة بالفتح جماعة الغنم أو الكثيرة منها أو من الضأن خاصة ، وبالضم الجماعة منا ، ومنه قوله تعالى : «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» قال الزمخشري :

ويقال : فلان لا يفرق بين الثلة والثلة أي بين جماعة الغنم وبين جماعة الناس « وفي ح :

«ثلت» وهو تصحيف .

أي إن كنت لا تجد غيرها ، وقال الآخر :

ستبكي المخاض (13) الحرب أن مات هيثم
وكلّ البواكي غيرهنّ جمود

أي إنه كان يستحيها بخلاً . ولا ينحرفها للضيفان ، فهي تبكي عليه ،
ولا يبكي عليه أحد من الناس إذ لا خير فيه ، وهذا هجو ، وقد استعمل
الجمود في مجرد عدم البكاء ، وكأنه لاحظ فيه المبالغة ، فإن الناس لعدم
اكتراثهم بالهالك (14) أصبحوا في حقه لا يتصور منهم البكاء ولا انحدار دمع
كمثل الأحجار ونحوها ، ويستعمل الجمود حيث يراد البكاء ولا تسمح العين
بالدموع كقوله (15) :

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود (16)

ولذا عيب قول (17) القائل :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

(13) في « القاموس » : « المخاض الحوامل من النوق أو العشار التي أتى عليها من حملها عشرة
أشهر ، أو الإبل حين يرسل فيها الفحل حتى تنقطع عن الضراب ، جمع بلا واحد » .

(14) في ك و ح : « بالهلاك » .

(15) هو أبو عطاء السندي ، واسمه أفلح بن يسار ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ،
وهو كان من شيعة الأمويين ، وكان في لسانه عجمة قبيحة .

(16) البيت من شعر له يرثي به يزيد بن عمر بن هيرة لما قتل بواسطة وبعده :

عشية راح الدافنون وشققت جيوب بأيدي مأم وخذود
فإن تك مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود
وإنك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد

(17) البيت في « كتاب الصناعتين » للعسكري (ص 225) بدون نسبة ، وفي « الوساطة »

للجرجاني (ص 234) « ومعاهد التنصيص » (ج 1 ص 51) وقد نسبة العباسي فيه إلى

العباس بن الأحنف كذلك ، وهو في ديوانه بتحقيق عاتكة الخزرجي .

ومتى اعتبرنا بالمعنى الأول فلا عيب ، وقول الآخر (18) :

قتيلان لا تبكي المخاض عليهما إذا شبت من قرمل وأفان (19)

وهذا مدح ضد الأول أي إنهما كانا يهلكانها بالنحر ، فإذا ماتا استراحت وشبت فلم تبك عليهما ، والقرمل واحده قرملة ، وهي شجرة ضعيفة تنفضخ إذا وطئت ، ومنه قولهم في المثل إذا التجأ الضعيف إلى مثله : ضعيف عاذ بقرملة ، والأفاني واحده أفانية ، وهي شجرة أخرى . وقول الآخر ، وهو حميد (20) بن ثور :

ولقد نظرت (21) إلى أغر مشهر بيكرٍ توَسَّنَ بالحميلة عُونَا
متسّم سنماتها مُتَبَجِّسٍ (22) بالهدر يملأ أنفساً وعيوننا
لقح العجاف له لسابع سبعةٍ وشربينَ بعد تحلُّوِ فروينا

يصف السحاب وفعله وانتفاع الأرض به على طريق التمثيل ، فقوله :

(18) هو توبة بن مضر بن عبد الله التميمي يلقب الخنوت بوزن السنور وانظر ترجمته في « المؤتلف والمختلف » للآمدي (91 - 92) .

(19) البيت في حماسة البحرني (ص 30) وقبله :

ليبك سناني عنراً بعد هجعة وسيفي مرداساً قتيل قنان
وجاء بعده فيها :

فإن لم أفرق منهم بين إخوة فلا رفعت سوطي إلي بناني

(20) هو أبو المثنى حميد بن ثور بن عبد الله الهلالي من الشعراء المخضرمين الفصحاء ، عاش إلى خلافة عثمان وقيل : إنه عمر حتى أدرك خلافة عبد الملك بن مروان . طبع ديوانه بتحقيق عبد العزيز الميمني سنة 1951 م .

(21) الشعر في ديوانه (ص : 135) طبعة دار الكتب المصرية سنة 1951 م .

(22) كذا في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية بالباء الموحدة ، أما الديوان في طبعته المذكورة ففيه : متفجس بالفاء بدل الباء ، وجاء في « القاموس » « الفجس » : التكبير والتعظيم كالتفجس والقهر وابتداع فعل ، ولا يكون إلا شراً ، وأفجس افتخر بالباطل .

أغر أي سحاب فيه برق <أو> (23) أبيض ، وقوله : بكر أي لم يمطر قبل ذلك ، وقوله : توسن بالحميلة عوناً أي طرقها ليلاً وقت الوسن أي النعاس ، والحميلة رملة لينة ذات شجر (24) ، والعون جمع عوان ، وهي في النساء التي كان لها زوج ، وهنا هي الأرض التي أصابها المطر قبل ، على التشبيه ، وقوله : متسم سنماتها أي طالع على الاكام والتلال ، وأصله في الحمل يتسم الناقة أي يعلو عليها ، وهي سَنَمَة أي عظيمة السنام ، مرتفعته ، قوله : متبجس أي متكبر ، بالهدر أي رعد يملأ أنفساً وعيوناً عجباً به أو رعباً منه ، قوله : لقح العجاف أي الأرضون المجدبة حملت به الماء فأنبتت العشب ، وذلك بعد تحلُّو أي امتناع من السقي لعدم المطر ، فهذا كله تمثيل ، وقول الآخر :

حلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا
 إن الذئاب قد اخضرت (25) برائنها والناس كلهم بكر إذا شعبوا
 أراد بالناقة الحمراء الدهناء ، وبالجمل الأصهب الصمان (26) ، كأنه

(23) ما بين العلامتين ساقط من ك وح والسياق يقتضي أولان الكلام عليه .

(24) في ك وح : « أشجار » بلفظ الجمع .

(25) خضرة البرائن كناية عن الحصب والإعشاب والاختضار ، وإذا كانت الحال كذلك اخضرت الأقدام عند المشي على الأرض لأنها تلامس النبات المخضر فيعلق بها صبغه ، ونظيره قول الشاعر يصف قوماً أخصبوا فأشروا وبطروا :

قوم إذا اخضرت نعالم يتناهقون تنساق الحمير

وكتب أكنسوس بخط يده على طرة مخطوطته هنا ما لفظه بالنص : « قوله : « إن الذئاب قد اخضرت برائنها » يعني جاءت وذلك لأن البرائن جمع برثن بالضم وهو الكف للإنسان والمخلب للبع والأسد ونحوه ، إذا شبع قيل فيه : قد احمرت برائنه ، وإذا جاع قيل : قد اخضرت كما هنا ولم يشرحه المؤلف » .

(26) في الأصل : « الظمان » وفي س « الصهان » وأصلحه أكنسوس بخط يده على طرة مخطوطته هكذا : « الهضاب » وفي ك : « الصمان » وهو الصواب ، والصمان ضبطه البكري في « معجم ما استعجم » فقال : « الصمان بفتح أوله وتشديد ثانيه على وزن فعلان » . والصمان =

يقول : ارتحلوا عن السهل والجلأوا إلى الجبال مخافة الغارات ، والقائل كان أسيراً فكتب إلى قومه ينذرهم ، وكانت بكر لهم عدواً فهو يقول : الناس كلهم إذا شعبوا أعداء لكم كبكر فاحذروهم (27) ، وهذا المعنى المذكور في قصة أخرى :

يحكى (28) أن رجلاً من بني العنبر كان أسيراً في بكر بن وائل ، فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا له : لا ترسل إلّا بحضرتنا ، وكانوا أزمعوا غزو قومه ، فتحوفوا أن ينذرهم ، وذلك هو ما أراد هو أيضاً ، فأتوه بعبد أسود فقال له : أبلغ قومي التحية وقل لهم : ليكرموا فلان . يعني أسيراً من بكر كان عندهم ، فإن قومه لي مكرمون ، وقل لهم إن العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء ، وامرهم أن يعرفوا ناقتي الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها . وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم حبساً ، واسألوا الحارث عن خبري ، فلما أبلغهم العبد الرسالة قالوا : جنّ الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب ، ثم سرّحوا العبد ودعوا الحارث فحدثوه

= ذكره أبو منصور الأزهري في التهذيب فقال عنه : « قال شمر : قال الأصمعي : الصما أرض غليظة دون الجبل ، قلت : وقد شتوت الصمان ورياضها شتوتين ، وهي أرض فيها غلظ وارتفاع ، قيعان واسعة وخبارى تنبت السدر ، عذبة ، ورياض معشبة وإذا أخصبت الصمان رتعت العرب جمعاء ، وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة ، والحزن لبني ربوع ، والدهناء لجماعاتهم ، والصمان متاخم للدهناء . »

(27) كذلك أول القالي العبارة في « أماليه » ، وخطأه البكري فيما أول فقال في كتابه : « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص 18) : « لم يرد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كلهم لم يكونوا عدواً لبني تميم ولا أقلهم ، وإنما يريد أن الناس إذا شعبوا هاجت أضغانهم وطلبوا الطوائل والترات في أعدائهم ، فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم . »

(28) الحكاية في « ملاحن ابن دريد » ، وفي « عيون الأخبار » لابن قتيبة (1 : 195 - 196) وفي « أمالي القالي » (1 : 6 - 7) ، وفي « مزهر السيوطي » (1 : 568 - 569) .

بالحديث فقال : قد أندركم ، أما قوله : العرفج (29) قد أدبى فكناية عن الرجال وأنهم استلأموا (30) أي لبسوا الدروع للغزو (31) ، وقوله : شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر ، وهي جمع شكوة ، معروفة ، والحيس أراد به الأخلاط من الناس المجتمعون (32) للغزو ، لأن الحيسَ يجمع الأقطَ والسمن والتمر .

لله الأمر من قبل ومن بعد

- (29) في كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص 17) : « العرفج نبت طيب الريح أغبر إلى الخضرة ، له زهرة صفراء ، ولا شوك له ، ويقال له إذا اسود عوده حتى يستبين فيه النبات : قد أقمل ، فإذا زاد قليلاً قيل : قد ارقاط ، ، فإذا زاد قليلاً قيل قد أدبى ، وهو حينئذ قد صلح أن يؤكل » . وكتب أكنسوس على طرة مخطوطته بخط يده ما لفظه : « العرفج شجر معروف وقوله قد أدبى أي قد امتلأ باللبا ، وهو ولد الجراد » .
- (30) في الأصل : « استلأموا » وهو خطأ صوابه : « استلأموا » أي لبسوا اللأم جمع لامة وهي الدرع .
- (31) هذا التأويل أورده القالي أيضاً في « أماليه » ، وخطأه البكري فيه فقال في كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص 17) : « ليس في قوله : إن العرفج قد أدبى دليل على ما ذكره أبو علي رحمه الله ، ولا من عادة العرب أن تلبس الدروع إلا في حال الحرب ، وأما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف ، وإنما أراد بذلك أن يؤذنتهم وقت الغزو وينبههم على التيقظ والحذر » .
- (32) كذا بالأصل وفي ك : المجتمعين معرفاً منصوباً ، ومثله في ح أما س ففيها : « مجتمعين منصوباً منكرأ » .

[فضل العلم]

كنت في أعوام الستين وألف مرتحلاً في طلب العلم ، فدخلت قرية في أرض دكالة ، فرأيت فيها رجلاً مسناً قد لازم المسجد منقطعاً عن الناس ، فجلست إليه مستحسناً لحاله ، وفي الحديث « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَأَدْنُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلْقَنُ الْحِكْمَةَ » .

فلما دنوت منه إذا هو يعظم العلم وأهله تعظيماً بالغاً ، فازددت به عجباً ، فكنت أجلس بين يديه ويحدثني ويصبرني على الغربة ، ويحضني على العلم رحمة الله عليه ، وأنشدني في شأن الغربة ملحوناً :

أنا الغريب المتوح صابر على كلِّ هانا
إلى نتجرح ما نقل اح في قلب من قطعت انا

وفي نحو هذا يقول الشاعر :

إذا كنت في قوم عداً لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب
وإن حدثتك النفس أنك قادر على ما حوت أيدي الرجال فكذب (1)

(1) البيتان لزرافة بن سبيع الأسدي أو لخالد بن فضلة الحجواني ، أو للحارث بن سعد بن ثعلبة ، وقبلهما ثلاثة أبيات جاء بها الجواليقي في « شرحه على أدب الكاتب » لابن قتيبة ص 281 كما أوردها ابن السيد البطليوسي في « الاقتضاب » ص 379 .

وقال الآخر (2) :

لا يعدم المرء كيناً يستقر به وبلغةً بين أهليه وأحبابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته كالليث يحقر لما غاب عن غابه

وقال الحريري (3) :

إن الغريب الطويل الذليل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت

وأنشدني في مدح العلم ملحوناً :

العلم شمعا منيرا يتناوله الأكياس
ما فوق منو ذخيرا يزول عن القلب الاحساس (4)

وفضل العلم وشرفه أمر أشهر من أن يذكر ، وأوضح من أن ينكر ،
ويكفي في ذلك النظر .

ومن غريب ما حكى أنه اتفق للفقير الجليل الإمام ابن عرفة (5) رضي الله

(2) هو أبو الفتح البستي ، والبيتان منسوبان إليه في « يقيمة الثعالبى » ، وفي « زهر الآداب » .

(3) البيت أول أبيات ثلاثة للحريري أوردها في المقامة السابعة والأربعين وهي المعروفة بالحجرية .

(4) في ح : « الادناس » وفي المخطوطات الثلاث : « الاحساس » ويحتمل أن يكون صاحب

الملحون عنى بها الآلام ، وهو من معاني مادة « حسس » في الفصحى وفي العامية ، ومما

جاء في « قاموس المجد » و « شرح المرتضى » عليه : الحس وجع يأخذ النفساء بعد الولادة

أو عندها ، والحس أيضاً وجع يحرق الكبد ، وحس الحمى أولها ، وتحسس إذا توجع

وتشكى ، وحس بفتح الحاء وكسر السين كلمة تقال عند التألم . انتهى منهما بتصرف ،

وما تزال عامتنا تقول : فلان محسوس لمن ظهرت عليه أعراض مرض ما ، وعليه

كلمة الإحساس في الشعر الملحون ليست خطأ ولا تصحيفاً كما قد يخال فيها .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوردغمي نسبة إلى ورغمة قرية ، كان إمام تونس

وعالمها لوقته ، مولده سنة 716 ووفاته سنة 803 ، له « كتاب الحدود » في التعاريف

الفقهية « والمختصر الكبير » في الفقه المالكي ، و « المختصر الشامل » في علم العقائد .

عنه وكان قد مرض فأصابه غشي قال : فجاءتني طائفتان : إحداهما عن
يميني وجعلوا يرجحون الإسلام ، والأخرى عن يساري وجعلوا يرجحون
الكفر ، عياداً بالله تعالى . قال : فأخذ هؤلاء يلقون شبه الكفار (6) ويلهمني
الله تعالى الجواب عنها بما كنت عرفت من قواعد العقائد ، فعلمت أن العلم
ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(6) في ك : « يلقونني شبه الكفر » .

[الانزعاج عن الوطن]

خرجت في أعوام التسعين (1) وألف من حضرة مراکش حرسها الله ،
 وكنت إذ ذاك مترعجاً عن الوطن ، مابيناً للقطين والسكن ، فلقيت أعرابياً
 من هواره ، وهم (2) حي من شبانة ، فإذا هو قد انزعج عن وطنه في السوس
 الأقصى ، فحدثني عن أحمد بن عبد الله بن مبارك الوقاوي أنه كان هبت له
 ريح (3) فحسده قومه وقالوا عنه وهو في غربته حتى خرج عن وطنه إلى
 وداي (4) السوس ، قال : فجئته ذات مرة وهو في غربته ، فقال لي : أين
 العرب وأين القوالون ؟ قال : فقلت : هم بجاهم ، لم يزالوا يقولون ، قال
 ثم أنشد هو ملحوناً :

إلى برك لي الزمان اركبت عليه ولي راد المولى نلقاه عراضا
 برك لي مركوب فاني ضاري به ما نحسبش (5) ايامي علي مغتاضا
 نصبر لأحكام المولى حتى تتقاضا

- (1) في ك و س : « الستين » .
 (2) كذا بالأصل ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « وهو » وذلك خطأ .
 (3) يقال : هبت ريح فلان إذا قام أمره ، وكبر شأنه ، وعلا جاهه ، قال الشاعر :
 إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكون
 ويقولون أيضاً بعكس ذلك : ذهب ريح فلان ، إذا هات منزله واختلت حاله وذهب
 عنه العز والسلطان وفي القرآن العزيز : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .
 (4) في ك و س و ح : « واد » بدون الياء .
 (5) في ك و س و ح : « ما نحساب » .

قوله : مغتاضاً من الغيظ ، وأبدل من الظاء [هنا] (6) ضاداً ، وكان هذا من عجيب الاتفاق ، فإن هذا القول مناسب لأحوالنا معشر الثلاثة ، أعني القائل والراوي والسامع ، وقوله : (نصبر لأحكام المولى حتى تتقاضا) هذا هو أدب العبد ، وهو الصبر لأحكام الله تعالى والسكون تحت مجاري الأقدار ، قال تعالى : « وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ . . . » ، ونحوه من نصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين لا يحصى (7) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(6) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(7) في ك و ح : « تحصى » بالتاء .

[الحكم التكليفي والحكم التصريفي]

واعلم أن الحكم حكمان حكم تكليفي وحكم تصريفي ، وكلاهما يجب الإذعان له والتسليم .

أما التكليفي فهو الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة التي وردت بها الشريعة المطهرة .

وأما التصريفي فهو ما قدر على العبد من غير ذلك مما يرد عليه كالغنى والفقر والعز والذل والصحة والمرض والسرور والحزن وغير ذلك. ومورد (1) الأول كلام الله تعالى أمراً ونهياً ، ومورد (2) الثاني قدرته تعالى إيجاداً وإعداماً على وفق مشيئته وعلمه ؛ وكما لا بد من قبول الأول وامتناله فعلاً وتركاً وتلقيه بالصبر على ما فيه من المشقة على النفس ، وقد تضحل دواعي النفس فيرتقي العبد إلى الرضى والاستلذاز، كذلك لا بد في الثاني من تلقي محبوبه بالشكر ومكروهه بالصبر ؛ وقد تضحل أيضاً دواعي النفس فيرتقي العبد إلى الرضى .

ثم إن كل شيء قدر على العبد فلا محالة يقدر له وقت يقع فيه لا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، فمتى حان وقت شيء فهو بارز لا محالة خيراً < كان > (3)

(1) في ك وحدها : « موارد » بلفظ الجمع .

(2) في ك أيضاً : « موارد » مجموعاً .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

أو شراً لا يمكن أن لا يبرز ولا أن يبرز غيره في موضعه، فالبصير يستكن (4) حتى ينقضي بانقضاء وقته فيجمع بين راحة قلبه والأدب مع ربه ، والجاهل يقلق منه أو يروم ظهور غيره دونه فيصير أحق الحمقاء (5) ، ولا يحصل إلا على الشقاء .

وقال صاحب « الحكم العطائية » (6) : « ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهر الله فيه » (7) وقالوا : الوقت سيف ،

(4) كذا في المخطوطات الثلاث وكذا هو في الطبعة الفاسية ، وجاء في « مصباح الفيومي » من مادة سكن ما نصه بالحرف : « استكن إذا خضع وذل وتزاد الألف فيقال : استكان ، قال ابن القطاع : وهو كثير في كلام العرب قيل : هو مأخوذ من الكون وعلى هذا فوزنه افتعل ، وقيل : من الكينة وهي الحالة السيئة ، وعلى هذا فوزنه استفعل » اهـ .

(5) لا تتوازن القرينتان في هذه السجعة إلا بمد المقصور : (لفظ الحمقى) أو بقصر الممدود (لفظ الشقاء) والوجه الأول كان رواية المخطوطات الثلاث ، والثاني هو رواية الطبعة الفاسية .

(6) عرف بها حاجي خليفة في كشف الظنون فقال : « الحكم العطائية للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الاسكندراني الشاذلي المالكي المتوفى سنة 709 ، وهي حكم منشورة على لسان أهل الطريقة ، ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له : لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة » .

(7) كتب الشيخ أحمد زروق في شرحه على « الحكم العطائية » فيما يتعلق بكلمة ابن عطاء الله هذه ما يأتي : « الوقت هنا الزمان الذي لا يقبل غير ما أظهره الله فيه بحكم التصريف وإرادة غير ما أظهره الله فيه بالتلهف على عدم موافقته للغرض النفساني ونحوه ، والسلامة من ذلك بوجود الاستسلام ، وإنما كانت معاندة الوقت غاية الجهل لانسداد أبواب العلم وطرقه في حق صاحب هذه الحالة ، وطرق العلم ثلاثة : العقلية والشرعية والعادية ، فدليل جهله بالمقولات إرادته رفع الواقع وإيقاع الممتنع ، ودليل جهله بالشرعية اعتراضه على مولاه وإساءة أدبه معه فيما قضاه له ، وإرادته غير ما أقامه فيه من تجريد وأسباب وغيرهما ، ودليل جهله بالعادية عدم مراعاته لحكمة الله في خلقه وسنة الله في عباده وان من أراد موافقة أغراضه أبداً أتعب نفسه بغير فائدة إذ لا يكون غالباً إلا غير ما يريد الإنسان » .

وأنشدوا (8) :

وكالسيف إن لاينته لان مسه وحدهآه إن خاشنته خَشِنَان

لله الأمر من قبل ومن بعد

(8) في « بيان الجاحظ » (2 : 171 تحقيق هارون) وقال الآخر :
كريم يفض الطرف عند حياته ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لاينته لان متنه وحدهآه إن خاشنته خَشِنَان
والبيت الثاني في ديوان بهار جمع وتحقيق بدر الدين العلوي ، وهو في « حماسة البحري »
ص 111 غير منسوب .

[النفس والشيطان]

وأنشدني أبو القاسم بن بوعتل الشباني (1) ثم الزراري لبعض الأعراب
ملحوناً :

يا راسي عيبك بان والى عيبو في وجهو ما يصيب ايدسو
قالوا علة ابن آدم شيطان وانا نقول علة ابن آدم نفسو
قبل لا يزيغ إبليس اش يكون ابليسو

فانظر إلى هذا الأعرابي كيف غاص على معنى كبير وهو أن نفس الإنسان
سبب هلاكه بإذن الله تعالى إلا من عصمه الله ، وكيف وقع على حجة برهانية
وقياس منظوم في النفس ، وتقريره أن تقول : لو كان كل زائغ إنما يزيغ
بشيطان لكان إبليس حين زاغ إنما زاغ بإبليس آخر ، والتالي باطل للزوم
التسلسل فالمقدم مثله .

ونحو هذا في الاستدلال ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أبطل
العدوى بمعنى أنه لا تأثير فيها لغير الله تعالى فقال له الأعرابي : ما بالنأ نرى الإبل
تكون في الرمل كأنها (2) الظباء ، فدخلها جمل أجرب فتجرب كلها ،
فقال له صلى الله عليه وسلم : « فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ » ؟ أي لو كان جمل
إنما يأتيه هذا البلاء من آخر قبله لزم التسلسل ، وهو باطل ، فلا بد أن ينتهي
الأمر إلى بعير يصيبه البلاء من عند الله بلا سبب هذه العدوى فيعلم عند ذلك

(1) في ك و ح : « الشباني » .

(2) في ك و ح و س : « كالظباء » .

أن الله تعالى هو الفاعل المختار ، يفعل الشيء عند الشيء ، وهو قادر أن يفعله بلا شيء ولا عند شيء ، سبحانه عما يشركون .

واعلم أن ما ذكره هذا الأعرابي في ملحونه من أن علة الإنسان نفسه صحيح ، وعزله الشيطان عن (3) ذلك غير صحيح إن أراد أنه لا مدخل له ، وإن أراد أنه غير مستقل بالإضرار لمشاركة النفس له أو أن ضرر النفس هو الأعظم لأنها المباشرة والشيطان متسبب فصحيح ، وتقرير هذه الجملة باختصار : إن كلاً من النفس والشيطان مضر بالعبد فهما متظاهران على العبد كما قال [بعضهم] (4) وقد ضم إليهما الدنيا والهوى :

إني بليت بأربع يرميني بالنبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

وسبب ذلك أن الآدمي لما أبدعه الله تعالى بقدرته مؤتلفاً من الأخلاط (5) ذا مزاج جعله سبحانه بباهر حكمته وسابق مشيئته مفتقراً عادة في بقاء وجوده الشخصي إلى القوام (6) وهو الغذاء بالطعام والشراب وفي بقاء وجوده النوعي

(3) في س : « من » . بدلا من : « عن » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

(5) الأخلاط جمع خلط بكسر الحاء وسكون اللام ، وهي الطبائع الأربع التي هي : المرة الصفراء ، والمرة السوداء ، والدم ، والبلغم ، وهي التي كان عليها مبنى الطب القديم ، فإذا اعتدلت في الجسم وكان كل منها بمقداره صلح الجسد ، فإذا اختلت بالنقصان أو بالزيادة اعتل الجسد ونزلت به الأدواء ، وإليها أيضاً كانت تسب الأخلاق والسجايا ، فكان منها الصفراوي ، والسوداوي ، والدموي ، والبلغمي ، حتى قال بعضهم في ممدوحه : كان صفراوي الذكاء ، سوداوي الرأي ، دموي المزاج ، بلغمي الأناة .

(6) في « مصباح الفيومي » : « قام بالأمر يقوم به قياماً فهو قوام وقائم ، واستقام الأمر ، وهذا قوامه بالفتح والكسر ، وتقلب الواو ياء جوازاً مع الكسرة أي عماده الذي يقوم به وينتظم ، ومنهم من يقتصر على الكسر ، والقوام بالكسر ما يقيم الإنسان من القوت والقوام بالفتح العدل والاعتدال » .

إلى التوالد بواسطة [النكاح (7)] ، فطبع فيه عند ذلك شهوة الأكل وشهوة النكاح [و [لو] (8) لم يكن ذلك طبعاً لافتقر إلى داع آخر فيتسلسل ، أو يبقى فاتراً عن ذلك فيهلك شخصاً أو نوعاً ، فسبحان المدبر الحكيم .

ثم لما كانت الشهوتان أعني الأكل والنكاح لا تحصلان إلا من مادة ، وهي المال وبه يحصل المأكول ، والنساء وبهن يحصل النكاح المؤدي إلى التناسل المذكور ، والنساء لا يحصلن إلا بالمال أيضاً ، طبع الله تعالى فيه حب المال وحب النساء وكل ما يستعان به في ذلك الباب من صحة وقدرة وجاه ، وذلك هو مجموع الدنيا ، فكانت الدنيا محبوبة طبعاً للحكمة المذكورة ، وكان ميل النفس إلى شيء من هذه المحبوبات بمقتضى الشهوتين المذكورتين ، وهو المعبر عنه بالهوى طبعاً في الإنسان ، وكل ذلك في أصله رحمة من الله تعالى للإنسان كما ترى ، إذ لولا ذلك لم يستمر له وجود .

ثم جعل الله تعالى العبد متأثراً بالعوارض في بدنه وفي ماله وفي حريمه ونحو ذلك فافتقر إلى احتماء عن ذلك ودفاع فطبع فيه الغضب وهو أيضاً رحمة منه تعالى ، إذ لولا هو لم ينتهض للدفع عن نفسه ولا حريمه ولا ماله ولا جاره ولا غير ذلك ولا لتغيير منكر ولا نحو ذلك .

ثم إن النفس لما كان فيها ذلك طبعاً استعدت لأن تتقاضاه من كل وجه **< طلباً >** (9) لحصول المرام على التمام فتأكل مثلاً وتبالغ ولا تقتصر على القدر المحتاج ، ولا تنتزه عن الزائد المضر ، وتشرب كذلك وتنكح ، ثم لا تبالي من أي وجه حصل ذلك أمن مأذون فيه أم محرم ، لأن سعيها طبيعي لا شرعي ، وكذا في غضبها ودفاعها ، فمتى تركت وذلك أضرت بالعبد

(7) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في ك و س و ح فأضفناه .

(8) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن سواء .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

عاجلاً بحصول الأمراض وإتلاف الأموال في الشهوات وانتهاك (10) الأعراض والمروعات وكثرة اللجاج والعدوان والهلاك والبوار ، وأجلاً بالتعريض (11) لطول الحساب ، وأليم العقاب ، عند وجوب التكليف ، وهذه هي المصرة المنسوبة للنفس ، فخلق الله تعالى العقل ليكون محتسباً عليها حتى تكون فيما ذكر من الشهوة والغضب تابعة لإشارة العقل أخذاً وتركاً ، وأودع الله تعالى في العقل إدراك المصالح والمفاسد والمنافع والمضار حتى يعلم ما يشير به أمراً ونهياً ليجري الأمر على السداد ، فلا يقع قصور عن المراد . ولا التعدي إلى ما يوجب الفساد .

ثم لما كان العقل أيضاً معرضاً للخطأ وللقصور عن كثير من المصالح وللجهل بكثير من المدارك ولا سيما المغيبات لأن النقصان شأن المخلوق (12) افتقر هو أيضاً إلى مؤيد إما إلهام من الله تعالى وإما عقل آخر أكمل كما في حال التربية وتلقين الحكمة ، وإما وحي سماوي وهو أكمل ، فأنزلت الأحكام وشرعت الشرائع ، وانتسبت الأحكام إليها عند أهل الحق لا إلى العقل فصار العقل مؤيداً للشرع ومتأيداً به .

ثم إن إبليس اللعين عندما وقع له من الخزي والطرده مع صفى الله آدم عليه السلام ما وقع صار عدواً له حسوداً حقوداً وكذا لذريته إلى يوم القيامة ، قال تعالى : « يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ » وقال تعالى : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ » وقال تعالى : « إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » (13) وقال تعالى : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » إلى

(10) كذا في الأصل وفي سواه : « وانتهاك » .

(11) كذا بالأصل وفي سواه : « بالتفريط » وهو تصحيف كما يظهر من سياق الكلام .

(12) في ك وحدها : « الخلق » . بدل : « المخلوق » .

(13) ما بين العلامتين سقط من ك و س و ح .

غير ذلك . فكان دأبه السعي في مضرة الآدمي كما يسعى كل عدو في مضرة عدوه ، ولم يجد إلى مضرته سبيلاً أيسر ولا سبباً أنجح من أن يأتيه من قبل النفس وطريق الطبع فيزين له ما طبع عليه من الشهوات ، ويسوّل له كل قبيح ، قال تعالى : (الشَّيْطَانُ يُعِدُّ كُفْرَكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) فحصل اتفاق بين النفس والشيطان على مضرة الآدمي ، غير أن المقصد مختلف ، فإن النفس لم تكن منها المضرة عن قصد وعداوة ، كيف ولا أحب إلى كل أحد من نفسه ؟ بل جهلاً وغلطاً ، وذلك أنها أدركت ما في طبعها من الشهوات الحاضرة فاستحسنته ، وظنت أن ذلك هو كمال صاحبها إذا ناله ، فجاء الشيطان فأغراها بما استحسنت . وزين لها ما ظنت ، فاعتقدته نصيحاً ، واتخذته خليلاً ، تلي دعوته . وتجيّب رغبته ، فأتي الإنسان منها ، وتمكن منه عدوه من طريقها . فصارت من هذه الوجه عدوة بل أكبر الأعداء .

وأما الشيطان لعنه الله فهو يفعل ما يفعل عن عداوة وقصد إضرار ، فإنه لما خاب من رحمة الله وطرده عن بابه ، نسأل الله العافية . أراد أن يسعى في خيبة الآدمي وبعده عن الله وحرمانه من نعيم الجنة باتباع الدنيا وغرورها والإكباب على شهواتها .

واعلم أن الشيطان لشدة عداوته للإنسان ليس له غرض في اتباع الإنسان للشهوات وتمتعه باللذات . بل لو أمكنه أن يسعى في حرمانه دائماً فلا ينال لذة عاجلة ولا آجلة ، ولا يحصل على منفعة في الدنيا ولا في الآخرة لكان ذلك هو منيته ورغبته ، وهو مقتضى العداوة وثمره الحسد ، إلا أنه لما لم يمكنه ذلك لفيضان رحمة الله تعالى على عباده وسبوغ نعمه عليهم رأى أن يرتكب به أعظم الضررين فيسترله (14) عن أعظم الحظين بل الحظ الذي هو الحظ ، وهو الأخرى ، ويستهو به إلى الحظ الدنيوي ، ورأى أنه إذا

(14) كذا في الأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « فيسترله » .

خاب عن (15) النفس الباقي واستبدله بالحسيس الفاني فقد خاب ، والأمر كذلك . فإن ما في الدنيا لو كان نفساً وهو بصدد الانقطاع لم يلتفت إليه ، فكيف وهو مع ذلك نحسب < مشوب > (16) متكرر . بل لو كان نعيم الآخرة النفس ينقطع لوجب أن يلتفت إليه ، إذ النفس إنما تجد النعمة ما دامت متناولة لها ، فإذا انقطعت عنها تكدرت كالصبي الراضع (17) متى صرف الثدي عن فيه صاح .

وما مثال النفس في ذلك إلاّ مثال المرأة في قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْهَنْ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ . وَإِنَّكَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ » . فقد تحصل من هذا أن النفس مضرّة بالإنسان من وجهين :

أحدهما < أنها > (18) تميل طبعاً إلى الشهوات وتخلد إلى الرعونات (19) ، الثاني أنها مسلك الشيطان إلى الإنسان كما مرّ ، وإن الشيطان مضر للإنسان أبداً بوسوسته وتزيينه للنفس .

وهذه كلها أسباب جعلية اقتضتها الحكمة ، والنافع والضار بالحقيقة هو الله تعالى ، وتبين أن النفس تابعة للشيطان في مضرّة الإنسان سفهاً منها وغلطاً . لا عداوة ، ولسان حالها ينشد قول القائل (20) :

وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

(15) في ك و س و ح : « من » . بدل : « عن » .

(16) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(17) في س وحدها : « الرضيع » .

(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(19) في « تعريفات الجرجاني » ما نصه : « الرعونة الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها »

(20) أي في الأصدقاء المماذقين والمصانعين .

[الخاطر النفساني والخاطر الشيطاني]

ومن أجل ما ذكرنا بين النفس والشيطان من اختلاف الوجه ، وتباين المقصد فرق أئمة التصوف رضوان الله عليهم بين الخاطر النفساني والخاطر الشيطاني بعد اشتراكهما في الخوض على السوء في الجملة ، وهو أن الخاطر إذا تقاضى معصية مثلاً بعينها فإن أصر على ذلك فهو نفساني ، وإن جعل يتحول من معصية إلى أخرى فهو شيطاني ، ووجه ذلك أن النفس إنما تطلب المعصية بمقتضى طبيعتها فيها من حيث إنها شهوة لا غير ، فلا تريد أن تنفك (21) عنها حتى تنالها بعينها .

وأما الشيطان فليس طلبه من الإنسان أن ينال شهوة وممتعة من حيث التنعم بها فإنه عدو ، بل من حيث إنها معصية موجبة للعقاب ، فمتى دعاه إلى واحدة وتعسرت أو تلاكأ عليه فيها دعاه إلى أخرى لقيامها مقامها في المقصود ، وهو حصول الإثم واستحقاق النار ، نعوذ بالله تعالى من شره .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(21) في ح : « تنكف » .

[الحقيقة والشريعة]

خطر لي ذات ليلة بيت للملك الضليل امرئ القيس بن حجر فوجدته قد احتوى على مقتضى الشريعة الظاهرة والباطنة، وتضمن كل ما تحصل عن (1) دواوين أئمة الدين وأقاويل الصوفية، فقضيت العجب من ذلك، وعلمت أن الله تعالى من باهر قدرته وعجيب حكمته يبرز الحكمة على لسان من شاء وإن لم يكن من أهلها، كما قال بعض السلف حين سمع بعض الولاة نطق بحكمة: نحنوها من قلب خرب، وتبينت إشارة قوله صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن» أي فحقه أن يتلقفها ممن وجدها عنده، وإن لم يكن مرضياً كما يأخذ ضالته من الدنيا كذلك، وتبينت صدق قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر لحكمة»، وقول الحكماء (2) الأولين: أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد: على قلوب اليونان، وأيدي أهل الصين، وألسنة العرب، والبيت المذكور هو قوله:

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل (3)

(1) في ح «من» بدل: «عن» .

(2) في ك: «الشعراء» وهو خطأ .

(3) في ح «الرجل» بالجيم وهو تصحيف، والبيت من قصيدته التي مطلعها:

حي الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلي

وقبله:

أقبلت مقتصدًا وراجعي حلمي وسدد للندي فعلي

وبعده:

ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل

وهي في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر برقم 24 بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

فالشطر الأول قد احتوى على الحقيقة كلها ، وهي باطن الشريعة ، فإن معناه أن ما طلبته بالله فأنت منجج فيه . وهو كما قال في « الحكم العطائية » : « ما تعسر مطلب أنت طالبه بربك ، وما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك » (4) ومعلوم أنك لست تروم ذلك إلاّ وأنت تعرف الله تعالى وأنه حق لا شريك له ، وأنه هو الفاعل المدبر النافع الضار ، ثم تنفي (5) عن نفسك وعن حولها وقوتها وتديرها واختيارها وتبغي (6) بربك . وهذا هو سر العبودية ، وهو الكثر الذي يحوم حوله المريدون ، ويعنو إليه السالكون ، وهو المشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ » ، وهذا هو كلية الأمر ، ولا حاجة إلى التطويل . والشطر الثاني قد تضمن الشريعة كلها ، وهي أن البر خير ما تحمّله العبد وادخره ، أي

(4) شرح الشيخ زروق حكمة ابن عطاء الله هذه فقال : « الطلب بالله تعالى هو : الاستناد إليه في تيسير المطلب وعلامته ثلاثة : التفويض في المراد ، والتوكل في التحصيل ، والاستقامة في التوجه ، فإذا تمت هذه فالمطلب متيسر سواء وجد المراد أو لم يوجد ، لأن المقصود تبريد حرقة الاحتياج ، ولا بقاء لها مع التفويض ، لأن عاقبته الرضا في الوجود والعدم ، والطلب بالنفس هو الاستناد إليها في تحصيل المراد ، ولاماته ثلاثة : حب الموافقة من غير تفويض ، واعتماد الأسباب من غير توكل ، والتهور في وجه التحصيل دون تقوى ولا استقامة ، وكلها عائدة بالضرر في الوجود والعدم ، فاطلب وإن تيسر بها صورة فهو حرمان في الحقيقة ، لما فيه من نسيان الشكر ، ومفارقة الحق ، والاعتماد على الخلق ، قال في « التنوير » : « وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه ، وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه ، « وقل ربي أدخلني مدخل صدق » فالمدخل الصدق أن تدخل بنفسك والمخرج الصدق أيضاً كذلك » انتهى . وبجسب هذا فالرجوع إلى الله علامة الربح والرجوع إلى النفس علامة الخسران .

(5 و 6) كذا في الأصل المطبوع عليه ، وفي ك و س وح : « تنفى » . وبعده « وتبقى » وهما أنسب معنى وأقوم تعبيراً .

والفجور شر ما تحمّله، ويدخل في البر بر العبد مع ربه بطاعته له قولاً وفعلاً
واعتقاداً، وكذا مع من أوجب الله تعالى طاعته من نبي وأمير ومالك ووالد
ونحوهم، وبره مع الناس بالإحسان فعلاً وقولاً وخلقاً، وهو مجموع ما
يطلب شرعاً ولا حاجة إلى التطويل.

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أبيات الحكمة والتمثيل]

واعلم أن البيت قد اشتمل على مثلين مستقلين كما رأيت . فرأيت أن أستطرد هنا من أبيات الحكمة والتمثيل نبذة صالحة يقع بها الإمتاع ، ويحصل الانتفاع ، فمن ذلك قول لبيد :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ (1)

واعلم أن هذا البيت مع كونه في غاية الحكمة وكونه قد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك كما ورد في الحديث : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَتْهَا الشَّاعِرُ قَوْلَ (2) لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا البيت » ، يسأل عنه فيقال مثلاً في المصراع الأول : إن معرفة الله تعالى وشرعه ودينه وأنبياءه ونحو ذلك داخل فيما جعله باطلاً وليس بباطل ، وفي الثاني : إن نعيم الآخرة غير زائل فيلزم انتفاض الكليتين .

والجواب عن الأول من وجهين : أحدهما أن المراد ما سوى الله تعالى وما انضاف إليه ، كما وقع في الحديث : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » وهذا واضح ،

(1) البيت من قصيدة له شهيرة مطلعها :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يَحَاوِلُ أَنْجَبَ فَيَقْضِي أَمْ ضَلَالَ وَبَاطِلُ

وهي مودعة بديوانه .

(2) في لُوح : « كلمة » بدلا من : « قول » .

فإن صفات الله تعالى لا تدخل في الباطل لانضافها إلى الذات وشمول الاسم لها ، فكذلك كل مُنضاف .

الثاني أن هذا كلام في الحقائق ، ولا شك أن الله تعالى هو قديم واجب الوجود ، فهو حق ثابت ، والعالم كله محدث ، فهو باطل لا ثبوت له من ذاته لكن بإثبات الله تعالى ، وهذا الوجه أيضاً واضح لا شبهة فيه ، والموجودات كلها متى اعتبرت إضافتها وتعلقها بالله تعالى كانت حقاً به ، وهي باطلة بحسب ذاتها (3) ومنها ما هو حق باعتبارين أعني بهذا التعلق وإثبات الله له شرعاً كما في الوجه الأول ، وهو مع ذلك باعتبار ذاته ، ولا تنافي في شيء من ذلك ، فافهم .

والجواب عن الثاني من ثلاثة أوجه :

الأول أن المراد نعيم الدنيا ، لأنه هو المعروف المشاهد ، لا سيما في حق هذا القائل ، فإنه كان حين قوله ذلك جاهلياً ، لا ذكر للآخرة عنده ، فإن قيل : من لك بأنه إذ ذاك جاهلي ؟ ولعله قال هذا بعد الإسلام ، قلت : قد استفاض في شأنه أنه لم يقل بعد الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، وهو قوله :
الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

على أنه لو كان بعد الإسلام لكان إرادة الدنيوي في غاية الوضوح (4) ، إذ المراد تهوين أمر الدنيا والتفكير عنها والترهيد فيها كما وقع ذلك في كلام كثير من أهل الإسلام .

(3) في ك و س و ح : « ذواتها » بلفظ الجمع .

(4) في ك و ح : « الإيضاح » .

الثاني أن يكون أيضاً كلاماً في الحقائق . فإن النعيم كله ممكن حادث ، فهو بصدد الزوال والفناء فعلاً أو قوة ، وما بقي منه إنما بقي بإبقاء الله تعالى لا بذاته .

الثالث أن يراد أن كل نعيم ناله العبد وتنعم به فهو زائل عنه قطعاً بالشخص ، وإنما تتجدد (5) أمثاله ، وهذا قدر مشترك بين الدنيوي والأخروي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في متاع الدنيا : « وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ » .

وقال تعالى في نعيم الآخرة : (كَلِّمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) . وقول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس (6)

وقول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وكان صلى الله عليه وسلم ينشده أحياناً استحساناً فيقول : ويأتيك من لم تزوده بالأخبار ، ويقول : « هُمَا سَوَاءٌ » أي التركيبان ، يعني في المعنى ، فيقول أبو بكر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله ، قال تعالى : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ » (7) .

(5) في ك وس : « تجدد » بتاء واحدة .

(6) البيت من قصيدته السينية التي مدح بها بغيض بن عامر بن شماس وهجا فيها الزبرقان بن بدر ، وهي مودعة بديوانه (52 - 55) .

(7) في كتاب « أراجيز العرب للسيد توفيق البكري » : « قال الحرابي ما معناه : وبلغني أنه جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز ضربان : المنهوك والمشطور ، فالمنهوك كقوله في رواية البراء : إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء يوم حنين يقول :

وقول النابغة :

ولست بمستبقٍ أنحاً لا تَلْمُهُ
على شعثٍ، أي الرجال المهذب (8)؟

وقول امرئ القيس :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب (9)

[وأخذه (10) أبو تمام فقال :

وضعيفة فإذا أصابت قدرة
قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء] (11)

= (أنا النبي لا كذب) (أنا ابن عبد المطلب)

والمشطور كقوله في رواية حندب : إنه صلى الله عليه وسلم دميت إصبغه فقال :

(هل أنت إلا إصبغ دميت وفي سبيل الله ما لقيت)

قال الحربي : فأما القصيدة من الشعر فلم يبلغني أنه أنشد بيتاً كاملاً على وزنه ، إنما كان

ينشد الصدر أو العجز ، فإن أنشده لم يقمه على وزنه ، إنما أنشد صدر بيت لبيد :

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

وسكت عن عجزه ، وهو :

(وكل نعيم لا محالة زائل)

وأنشد عجز بيت طرفة :

(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)

وصدره :

(ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً)

(8) البيت من قصيدة له في 28 بيتاً مطلعها :

أرسما جديداً من سعاد تجنب عفت روضة الأجداد منها فيثقب

وهي في ديوانه بتحقيق شكري فيصل طبعة دار الفكر بيروت .

(9) البيت من قصيدة له في 55 بيتاً مطلعها :

خليلي مرا بي على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في ك و س و ح جميعاً .

(11) البيت من قصيدته التي مطلعها :

وقول (12) زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفِرهُ ومن لا يتق الشتم يشتم

وأخوات هذا البيت في ميميته مثله ، وهي مشهورة لا نطيل بها (13).

غيره (14) :

(15) لذي الحلم قبلَ اليوم ما تُقرَعُ (16) العصا
ومسا علّمَ الإنسانُ إلاّ ليعلما

=
قدك اتب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي
والبيت شرحه التبريزي بقوله : يقول : « الحمر على شدتها ضعيفة ليس لها بطش ، فإذا
أكثر منها قتلت ». وقوله : « كذلك قدرة الضعفاء يعني أن الضعيف يعمل الشيء بفرق
فهو لا يبقي مخافة أن يعطف عليه فلا يكون له فضل في المقاومة » .

(12) في ك و س و ح : « وقال » .

(13) في ك و ح : « بذكرها » .

(14) هو جرير بن عبد المسيح الضبعي الشاعر الجاهلي المشهور الذي يلقب بالملتمس والذي تضرب
بصحيفته الأمثال .

(15) البيت من قصيدة مطلعها :

تعيرني أمي رجال ولن ترى أبا كرم إلا بأن يتكرما

وهي مودعة بالمجموعة الشعرية التي تعرف باسم « الأصمعيات » .
(16) قرع العصا كناية عن تنبيه المخطئ ليقطع عن التماذي في الخطأ ، وليتدرك ما فاته من
الصواب ، قال المرزوقي في شرحه « على حماسة أبي تمام » وهو يفسر قول الحارث بن
وعلة الذهلي :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم :

« وزعمتم أن الأمر والشأن لا عقول لنا ، فإن كان الأمر على ما زعمتم فنبهونا أنتم ، فإن
عامر بن الظرب حكم العرب كان يقرع له العصا فينبه لما كان يزيغ في الحكم لكبرته
وسنه ، وذو الحلم الذي قرع له العصا مختلف فيه ، فتدعيه اليمن وتقول : هو عمرو بن
حممة الدومي ، وتدعيه مضر فتقول : هو عامر بن الظرب العدواني ، وتدعيه ربيعة
فتقول : هو قيس بن خالد الشيباني » .

وقوله (17) :

قليلُ المالِ تصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد (18)

غيره (19) :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه (20)

وقول عبد الله بن معاوية (21) :

(17) هو المتلمس أيضاً .

(18) البيت من قطعة له وقبلة :

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال خير من بغاه وسير في "بلاد بغير زاد

(19) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، شاعر أموي شهير ، توفي سنة 69 هـ .

(20) البيت من قصيدة له مطلعها :

أصرمت جبلك من أمامه من بعد أيام برامة
وهي في ديوانه بتحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح . بيروت 1975 .

(5) في « بيان الجاحظ » :

« قال يزيد بن مفرغ :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

قالوا : أخذه من قول الصلتان الفهمي :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة

وقال مالك بن الريب :

العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الوعيد

وقال آخر :

والدهر يلعب بالفتي والدهر أروغ من ثعالبه

والمرء يكسب ماله بالشح يورثه الكلاله

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه مقاله «

(21) لقد مر التعريف به (ص : 65) في الحاشية رقم : 163 فراجع .

فعين الرضى عن كل عيب كليله²² ولكنّ عين السخط تبدي المساويا (22)

وقول القطامي (23) :

قد يدرك المتسائي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل (24)

وقوله (25) :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي، ولأمّ المخطيء الهبل²⁶ (26)

وسبقه إلى الأول عدي (27) بن زيد في قوله :

(22) في « ثمار القلوب » للثعالبي (ص 261 مطبعة الظاهر بالقاهرة سنة 1326 هـ) : « عين الرضا - أول من ذكر عين الرضا في شعره عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب حيث قال في الفضيل بن السائب ، وأرسل البيت الرابع متلاً :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
ولست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضياً
فعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا»

(23) هو عمير بن شبيب التغلبي ، يعرف بالقطامي (بضم القاف وفتحها) كان نصرانياً ثم أسلم ، شاعر أموي من المجيدين ، توفي سنة 101 هـ وله ديوان شعر مطبوع .

(24) البيت من قصيدة له شهيرة مطلعها :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

(25) يعني القطامي السابق .

(26) هو أيضاً من القصيدة المذكورة آنفاً .

(27) هو عدي بن زيد بن حماد العبدي نسبة إلى العباد بكسر العين وهم أخلاط من العرب تدينوا بالنصرانية وبعثوا أنفسهم بالعباد ، كان عدي ترجمان أبرويز وكاتبه بالعربية ، وكان هو الذي أشار عليه بتولية النعمان بن المنذر ملكاً على العرب ، ثم فسد ما بينه وبين النعمان فسجنه وبقي في سجنه حتى مات سنة 587 م .

قد يدرك المبطىء مسن حظه والخير قد يسبق جهد الحريص (28)

وقول عمرو (29) بن براءة :

فما هداك إلى أرض كعالمها ولا أعانك في عزم كعزام

وقول عبد الله (30) بن همام :

وساع مع السلطان ليس بحارس (31) ومحترس من مثله وهو حارس (32)

وقول عبيد بن الأبرص :

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أنخبث ما أوعيت في زاد (33)

(28) البيت من قصيدة له مطلعها :

أبلغ خليلي عبد هند فلا زلت قريباً من سواد الخصوص

(29) اختلفت المخطوطات الثلاث في ذكر اسم هذا الشاعر واسم أبيه ، فكان اسمه في بعضها

عمر وفي بعضها الآخر عمراً ، وجاء اسم أبيه مرة براءة ، ومرة زرافة ، والصحيح في اسمه أنه عمرو بسكون الميم ، والصواب في اسم أبيه براءة لا زرافة وقد عرف به وبنسبه الآمدي في « المؤلف والمختلف » ص 88 فقال : « عمرو بن براءة الهمداني ، ثم الفهمي ، وبراءة أمه فيما أحسب ، وهو عمرو بن منبه بن شهر ، شجاع قاتك شاعر ، وهو القائل :

تقول سليمي لا تعرض لتلفة وليلك من ليل الصعاليك نائم

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حياً تجتنبك المظالم

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم »

(30) ذكره الجهمي في « طبقاته » فقال بشأنه : « كان عبد الله بن همام رجلاً له جاه عند

السلطان ووصلة بهم ، وكان سرياً في نفسه ، وله همة تسمو به ، وكان عند آل حرب

مكيناً حظياً فيهم ، وهو الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية » .

(31) كذا بالأصل وفي ك و س وح « بناصح » .

(32) البيت في « عيون الأخبار » (1 : 57) وقبله :

أقلي علي اللوم يا أم مالك وذمي زماناً ساد فيه الفلافس

(33) البيت من قصيدة له مطلعها :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي لآل أسماء لم يلهم لميعاد

والبيت ينسب أيضاً لطرفة ، وهو في ديوانه بطبعة داري صادر وبيروت سنة 1961 م .

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ربّ حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم (34)

وزعموا أن حسان بينما هو في أطمه (35) ، وذلك في الجاهلية ، إذ قام في جوف الليل فصاح : يا للخزرج (36) فجاءوا وقد فزعوا ، فقالوا : مالك يا ابن الفريعة (37) قال : بيت قلته فخفت أن أموت قبل أن أصبح فيذهب ضيعة ، خذوه عني ، فقالوا : وما قلت ؟ فأنشد البيت المذكور :

وقول أبي ذؤيب (38) .

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع (39)

(34) البيت من قصيدة له قالها في يوم أحد يهجو بها ابن الزبير وبني مخزوم مطلعها :

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم

وهي مثبتة في ديوانه ص 81 - 92 بتحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين .

(35) في الأصل : « أطمه » بناء تأنيث وهو خطأ صوابه : « أطمه » مضافاً إلى ضمير الغائب ،

وهو الذي في ك و س و ح ، والأطم فسرّه المجد في « قاموسه » فقال : « الأطم بضمة

وبضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح ج أطام وأطوم » .

(36) كذا بالأصل وهو ما في س وفي ك و ح « بالخزرج » .

(37) في المخطوطات الثلاث وفي ح : « الفرعية » وهو خطأ صوابه « الفريعة » بالتصغير ،

وهي أمه ، وهي الفريعة بنت خنيس بن لوذان بن عبد ود الخزرجية ، وهو نسب نفسه

إليها في شعر قال فيه :

أسي الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أضحى بيضة البلد

(38) هو خويلد بن خالد بن محرث الهذلي ، من المخضرمين الفحول ، أسلم ولم ير الرسول

عليه السلام .

(39) البيت من قصيدة له في سبعين بيتاً مطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهي القصيدة الأولى في « ديوان الهذليين » ، وهي أيضاً من قصائد المجموعة الشعرية

المعروفة « بالفضليات » .

وقول زهير :

وهل ينبت الحطبيُّ إلاّ وشيجه وتغرس إلاّ في منابتها النخل

غيره (40) :

أرى كل عود نابتاً في أرومة أبي منبت العيدان أن يتغيرا

وقول بشار :

تأتي المقيم وما سعى حاجاته عدّد الحصا ويخب سعي الطالب (41)

غيره :

متى ما تقد بالباطل الحقّ يآبهُ وإن قدت بالحقّ الرواسي تنقد

وقول عبيد :

من يسأل الناس يحرّموه وسائل الله لا يخب (42)

(40) هو نهشل بن حري (بفتح الحاء فراء مشددة مكسورة بعدهما ياء كياء النسبة) : شاعر مخضرم والبيت في « حماسة البحرى » وبعده :

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن أبوك هتاب سارق الضيف برده
لآباء سوء يلقهم حيث سيرا وجدى يا حجاج فارس شمرا
(41) البيت من قصيدة له غزلية مطلعها :

خفض على عقب الزمان العاقب ليس النجاح من الحريص الناصب

وهي في ديوانه بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور .

(42) البيت من قصيدته التي مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالتقطيات فالذنوب

انظرها في ديوانه وفي « جمهرة أشعار العرب » للقرشي ضمن القصائد المجهرات .

غيره :

يفرّ جبان القوم عن أمّ نفسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
> ويرزق (43) معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل أقاربه <

فهنا كله ونحوه مشتمل على مثلين كبيت امرئ القيس ، وقد يكون
مثلاً واحداً كقول طرفة :

رأيت القوافي يتلججن موالجاً تضايق عنها أن توالجها الإبر (44)

> وهو معنى (45) قول الأخطل : والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر < (46)

وقول علقمة (47) :

(43) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(44) البيت واحد من ثلاثة أبيات واردة بديوانه في طبعة داري صادر وبيروت 1961 م .

(45) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(46) هو عجز بيت هذا صدره :

حتى استكانوا وهم نبي على مضمض

وقبله :

بني أمية قد ناضلت دونكم أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
أفحمت عنكم بني النجار قد علمت عليا معد وكانوا طالما هدروا
وهو من رائيته الشهيرة التي مطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير

(47) في « المؤتلف والمختلف » للآمدي : (ص 227) : « علقمة في الشعراء جماعة ليسوا

من أعتمد ذكره ، ولكن أذكر علقمة الفحل وعلقمة الحصي ، وهما من ربيعة الجوع ، =

- إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب (48)
وهو لامرئ القيس في قوله :
أراهن لا يُحِبُّين من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا (49)
ومنه قول الأعشى :
وأرى الغواني لا يواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا
وقول أبي تمام :
أشهى الرجال من النساء موقعاً من كان أشبههم بهنّ خدودا (50)
وقول علقمة بن عبدة (51) :
وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا عديدهم (52) بأثافي الدهر مرجوم

= فأما علقمة الفحل فهو علقمة بن عبدة بن ناشرة . . . الشاعر المشهور ، أحد شعراء الجاهلية ، ويقال له : الفحل من أجل آخر يقال له : علقمة الحصي . . . وفي « رغبة الآمل » للمرصفي : (1 : 22) : « تلقب بالفحل يوم عارض امرأ القيس بشعره فغلبه ، وكل شاعر غلب من هاجاه من الشعراء يلقب بالفحل كذلك » .
(48) البيت من قصيدة له مدح بها الحارث بن جبلة الغساني توسلا إلى فك أخ له كان أسيراً عنده مطلعها :

- طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
وهي في ديوانه بتحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب دار الكتاب العربي بحلب 1969 م .
(49) البيت من قصيدته التي مطلعها :
أما على الربيع القديم بعسما كأني أنادي أو أكلم آخرسا
(50) البيت من قصيدته التي مطلعها :
طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئي بذاك شهيدا
(51) البيتان من قصيدته التي مطلعها :
هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم
وهي مودعة في ديوانه .
(52) كذا بالأصل ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « عزيزهم » بزايين .

وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائه لا بدّ مهذوم

وقول الآخر :

[وما رزق الإنسان مثل منية أراحت من الدنيا ولم تُنخر في القبر] (53)

وقول ابن حازم (54) :

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل (55)

ومثله قول منصور (56) النمري :

ما كنت أوفي شبابي حق غرته (57) حتى مضى فإذا الدنيا له تبع (58)

(53) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو في ك مكتوباً على طرفها بخط ناسخها وورد كذلك في ح على طرفها .

(54) هو أبو جعفر محمد بن حازم بن عمرو الباهلي ، شاعر عباسي اشتهر بمقطعاته الجياد التي قال بشأنها :

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصر قريب حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثن أربعة وخمساً مثقفة بألفاظ عذاب
وهن إذا وسمت بهن قوماً كأطواق الحمام في الرقاب

وانظر فيه مجلة المورد العراقية المجلد السادس العدد 2 سنة 1976 م .

(55) البيت من قصيدة له أولها :

ولى الشباب فخل الدمع ينهمل فقد الشباب بيوم المرء متصل

(56) هو منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري ، يكنى أبا الفضل ، شاعر عباسي من فحول

المحدثين ، كان يتظاهر بولائه للعباسيين وهو شيعي في الباطن .

(57) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « عزته » بعين وزاي .

(58) البيت من قصيدة له مطلعها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

وقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواهُ بخزان (59)

ونحوه :

إذا ضاق صدر المرء عن كم سره (60) فصدر الذي يستودعُ السر أضيق (61)

وقوله (62) :

إذا جاوز الإثنين سرّ فإنه بيتٌ (63) وإفشاء الحديث قمين (64)

وقد قيل : الاثنان هنا الشفتان ، وقول طرفه :

(59) البيت من قصيدته التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرقان ورسم عفت آياته منذ أزمان

(60) كذا بالأصل وفي ك و س وح « عن سر نفسه » .

(61) في « كشكول العاملي » (1 : 339 بتحقيق الزاوي) : « قال الأحنف بن قيس : يضيق

صدر الرجل بسره ، فإذا حدث به قال : اكتمه علي ، وأنشد :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق »

(62) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(63) في الأصل بصيغة المضارع مبنياً للمجهول وفي ك و س وح : « بيت » بصيغة المصدر

مجروراً بالباء .

(64) البيت من قصيدة له في أحد عشر بيتاً ، وهي في ديوانه بتحقيق ناصر الدين الأسد وهالك

البيت في سياقه :

أجود بمضنون التلاد ، وإنني برك عن سالي لفضين

إذا جاوز الاثنين سرّ فإنه بنشر وتكثير الحديث قمين

وإن ضيع الإخوان سرّاً فإنني كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ضمته مقر بسوداء الفؤاد كنين

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاةً على عوراته لدليل (65)
 الحصاة : العقل وهو إشارة إلى قول الحكماء : لسان العاقل من وراء
 عقله ، ولسان الأحمق على العكس ، وقول الخنساء رحمها الله :
 ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي (66)
 وقول الآخر (67) :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقبِل (69)
 وغيره (68) :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
 غيره (70) :

(65) البيت من قصيدة في ديوانه قالها في هجو عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد .

(66) قبله :

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل مغيب شمس
 وبعده :

وما سيكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

(67) هو معن بن أوس بن نصر المزني ، من فحول الشعراء المخضرمين ، له ديوان شعر مطبوع .

(68) البيت من شعر له يخاطب فيه صديقاً له وقبله :

وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي وبدل سوءاً بالذي كنت أفعل
 قلبت له ظهر المجن فلم أدم على ذلك إلا ريشما أتحول

والشعر الذي منه البيت من مختارات أبي تمام في « الحماسة » .

(69) هو طرفة بن العبد والبيت من قسم الحكم في معلقته .

(70) البيت لكعب بن زهير المزني ، وينسب تارة لأبيه زهير ، وهو وارد في « عيون الأخبار »

(1 : 231) وفي « الشعر والشعراء » (1 : 100) وفي « غرر الحسان » ص 103

طبعة بولاق) وهو مودع في فائت الديوان (طبعة دار الكتب المصرية ص 275) والبيت

واحد من ثلاثة أبيات هذه جملتها :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حليماً أو أصابك جاهل
غيره (71) :

كل امرئ راجع يوماً لشيئته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
ونحوه :

ومن يبتدع ما ليس من سُوس نفسه يدعنه ويغلبه على النفس خيمها (71م)
السوس والخيم : الطبيعة .

ونحوه :

إنّ التخلُّق يأتي دونه الخُلُقُ (72)

= وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل حطه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حليماً أو أصابك جاهل
فأصبحت إما نال عرضك جاهل سفيه وإما نلت ما لا تحاول
(71) هو حرثان بن محرث من عدوان فينسب العدواني ، ويلقب بذئ الإصبع ، لأن حية نهشت
إصبعه فقطعها . شاعر جاهلي له ديوان طبع سنة 1973 بتحقيق محمد علي العدواني ومحمد
فايف الدليبي . والبيت من قصيدة له طويلة مطلعها :
يا من لقلب طويل البث محزون أسي تذكر رياء أم هارون
أوردها القالي بأماله (ج 1 ص 252) .

(71م) في « كامل المبرد » : وأنشدني أم الهيثم الكلابية : ومن يتخذ خيماً . . . البيت « وفي
« رغبة الآمل » (1 : 90) « نسبة بعض الناس لسليمان بن المهاجر » . وهو في « عيون
الأخبار » (3 : 5) غير منسوب ، وجاء أيضاً في « المقد الفريد » (3 : 3) غير
منسوب ، وورد كذلك في لسان العرب (مادة خيم) .

(72) صدره في « حماسة أبي تمام » :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

وجاء صدره في « زهر الآداب » للحصري كما يلي :

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به

ونسبه أبو تمام لسالم بن وابصة الأسدي ، أما الحصري فنسبه للعرجي .

وقد يكون المثل جزءاً لبيت كهذا (73) ، ونحوه للنابغة :
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب (74)
وقوله :

لمبلغك الواشي أغش وأكذب (75)

وقول دريد (76) :

متبذلاً (77) تبدو محاسنه (78) يضع الهناء مواضع النقب (79)

وقول الصلتان (80) العبدي :

- (73) كذا بالأصل وفي كوس وح : « هكذا » .
(74) هو من بائته التي تقدمت الإشارة إليها عن قريب .
(75) هو من البائية أيضاً وصدده :
لئن كنت قد بلغت عني خيانة
(76) هو أبو قرّة دريد بن الصمة بن الحارث من جشم ، فارس مذكور ، وشاعر مشهور ،
وأحد المعمرين ، ومن أهل الرأي والحصافة في الجاهلية ، قتل شركاً في غزوة حنين .
(77) في الأصل وكوس وح : « مبتذلاً » صوابه : « متبذلاً » .
(78) البيت من قطعة له أوردتها القالي وخبراً معها في أماليه (2 : 157) فقال « خرجت
مماض بنت عمرو بن الحارث بن الشريد فهنأت ذوداً لها جربى ، ثم نضت عنها ثيابها
واغتسلت ، ودريد يراها ولا تراه فقال دريد :
حيوا تماضر واربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أيتق جرب
متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب
(79) في « أساس البلاغة » : « ظهرت بالبعير نقبة ، وهي أول الجرب ، وفلان يضع الهناء
مواضع النقب إذا كان ماهراً مصيباً » .
(80) هو قثم بن خيبة العبدي ، شاعر أموي مشهور .

ثروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي (81)

وقول الآخر :

تدس إلى العطار سلعة بيتها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر (82)

وقول زهير :

لهم في الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذي حسب أروم (83)

وقوله :

كذلك خبيمهم ولكل قوم إذا مستهم الضراء خبيم (84)

وقول الآخر (85) :

(81) البيت من شعر له سائر وقبله :

أشاب الصغير وأفنى الكبي
إذا ليلة هزمت يومها
ر كر الغداة ومر العشي
أني بعد ذلك يوم في

وبعده :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(82) في « كامل المبرد » : « نظر شيخ من الأعراب إلى امرأة تتصنع وهي عجوز فقال :

عجوز ترجي أن تكون فتية
تدس إلى العطار سلعة بيتها
وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر
وما غرني إلا خضاب بكفها
وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
وجاءوا بها قبل المحاق بليسة
وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
فكان محاقاً كله ذلك الشهر »

(83) البيت من قصيدة له مطلعها :

لمن طلل برامسة لا يريم عفا وخلا له عهد قديم

وهي بديوانه في طبعة دار الكتب المصرية .

(84) البيت من القصيدة السالفة كذلك ، وهو السادس عشر فيها والأخير منها .

(85) هو الأخنس بن كعب الجهني .

تسائل عن حصين كلّ ركب وعند جهينة الخبر اليقين (86)

وهذه الأنواع لا يأتي عليها الحصر ، وإنما أردنا (87) بعضاً من مختار ذلك ومشهوره ، وما تركناه أكثر ، وقد يشتمل البيت على ثلاثة أمثال أو أربعة ، وهو قليل بالنسبة إلى غيره ، فمن ذلك قول زهير :

وفي الحلم إذعان (88) وفي العفو دربة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق

غيره :

العلم (89) يجلو العمى ، والجهل مهلكة واللاعب الرقل (90) الأذبال مكذوب

(86) كان من خبر هذا البيت أن فاتكاً من العرب هو الحصين بن عمرو الكلابي ، أو هو الحصين بن سبع النطفاني التقى بفاتك آخر هو الأخنس بن كعب الجهني فاتفقا على أن يسلبا كل من لقياه كائناً من كان ، وكان كلاهما لا يأمن صاحبه على نفسه ، حتى إذا أمكنت الفرصة الأخنس من حصين قتله ، ثم سار فإذا هو بامرأة تنشد الحصين فقال :

وكم من ضينم ورد هموس	أبي شبليين مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب	فأضحى بالفلاة له سكون
وأضحت عرسه ولها عليه	بعميد هدوء ليلتها رنين
كصخرة إذ تسائل في مراح	وأثمار وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب	وعند جهينة الخبر اليقين

والبيت يضرب مثلاً في معرفة الأمر على حقيقته ، وانظر تفصيل القول في المثل « بالأغاني » (14 : 2 طبعة الدار) و « مجمع الأمثال » للميداني (1 : 464) .

(87) كذا بالأصل ومثله في س وجاء في ك و ح : « أوردنا » وهو أليق .

(88) كذا بالأصل ومثله في ك و س و ح وفي رواية الديوان : « إدهان » وهو المداراة والمصانعة والبيت من قصيدة له أولها :

ويوم تلافيت الصبا أن يفوتي برحب الفروج ذي محال موثق

(89) في ح : « الحلم » .

(90) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « الرافل » .

وقول صالح (91) :

كل آت لا بد آت وذو الجهل ل معنى والهيم والغم فضل

وقولي من قصيدة :

فلا تهبل للحادثات ولا تثق بما وهبت يوماً فموهوبها معرى
مقربها مقصى ومرفوعها لقي (92)

وقولي فيها :

وإن أبصروا بالملق اهترأوا به ومدوا إليه طرفهم نظراً شذرا
وقالوا بغيض إن نأى ومتى دنا يقولوا ثقيل مبرم (أدبر الفقرا) (93)
فإن غاب لم يفقد ، وإن علّ لم يعد وإن مات لم يشهد ، وإن ضاف لم يقرا

وهذا الباب لا ينحصر ، وقد أودعنا منه (كتاب الأمثال والحكم) (94)
قدراً صالحاً ، ولنقتصر على هذا القدر هنا خوف الملل .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(91) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ، شاعر حكيم متفلسف ، أتهم عند المهدي العباسي بالزندقة فقتله سنة 171 وله ديوان شعر جمعه وحققه عبد الله الخطيب وطبع ببغداد سنة 1967 م .

(92) في « مصباح الفيومي » : « اللقي مثل العصا الشيء الملقى المطروح ، وكانوا إذا أتوا البيت للطواف قالوا : لا تطوف في ثياب عصينا فيها الله ، فيلقونها وتسمى اللقي ثم أطلق على كل شيء مطروح » .

(93) كذا بالأصل ومثله في ك و س و ح .

(94) عنوانه الكامل هكذا : « زهر الأكم ، في الأمثال والحكم » . وهو من كتب اليوسي غير المطبوعة ، وهو يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط ، وبمكتبة القرويين بفاس ، وبتدار الكتب المصرية ، وبالمكتبة الوطنية بباريس ، وفي هذه الأيام يشتغل الدكتوران : محمد حجي ومحمد الأخضر في تحقيقه ، وقد صدر جزؤه الأول بتحقيقهما في منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب .

[روايات المؤلف عن محمد الحاج الدلائي]

حدثني الرئيس الأجلّ أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي رحمه الله قال : لما نزلنا في طلعتنا إلى الحجاز بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ قال : وكنت أعرفه عند والدي لم يشب ، فوجدته قد شاب ، فقلت له : شبت يا سيدي فاستضحك ثم قال :

شيبتي غرندل ويحار ويحار فيها اللبيب يحار

قال : وحدث أنهم كانوا ركبوا بحر سويس فهال بهم مدة من نحو ستة أشهر ، وهم يدورون دوراناً ، وأنه أُلّف في تلك المدة موضوعاً في علم الهيئة وسارت به الركبان ، فلما خرج من البحر وتصفح وجد فيه الخطأ الفاحش ، وقد فات تداركه ، وذلك مما (1) وقع له من الهول . قال : وإذا هو قد خرج معه برجل (2) ضرير البصر فقال : هذا الضرير من أعاجيب الزمان في بديهة الشعر ، فألق عليه أي بيت شئت يأت عليه ارتجالاً بما شئت من الشعر ، ثم عهد به أن يقوله فلا يبقى شيء منه في حفظه ، فأتيتكم به لتشاهدوا من عجائب هذه البلاد ونوادرها وتذهبوا بنجر ذلك إلى بلادكم قال : فاقترحوا مني بيتاً (3) يقول عليه ، فحضر في لساني بيت ابن الفارض :

(1) في ك و ح : « لما » .

(2) في ح : « رجل » بدون حرف الجر .

(3) في ك و ح : « شيئاً » .

سائق الأظعان يطوي البيدَ طيَّ مسرعاً عرَّج على كئبان طي (4)

قال : فذكرته فاندفع (5) على هذا الروي مع صعوبته حتى أتى بنحو
مائة بيت ارتجالاً .

قلت وهذا غريب ، فإن هذا القدر كله يعز وقوعه من العرب المطبوعين
فكيف بالمولدين ؟ فكيف بآخر الزمان الذي غلبت فيه العجمة على الألسن ؟
ولكن رب الأولين والآخرين واحد ، تبارك الله أحسن الخالقين !

وحدثني أن الفقيه أبا العباس المذكور كان أيام مقامه بمصر قد اتخذ (6)
رجلاً عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب يقترى (7)

(4) البيت مطلع قصيدته الياثية التي ضمنها معاني صوفية في أسلوب غزلي رمزي ، وهي في مائة
وإحدى وخمسين قافية ، وهي مودعة في ديوانه ، وعليها شروح مستقلة ، ومن أخبارها
ما حكاه رشيد بن غالب في شرحه على ديوان « ابن الفارض » فقال : « كان السلطان
الملك الكامل رحمه الله يحب أهل العلم ويحاضرهم في مجلس مختص بهم ، وكان يميل إلى فن
الأدب ، فتذاكروا يوماً في أصعب القوافي ، فقال السلطان : من أصعبها الياء الساكنة ،
فمن كان منكم يحفظ شيئاً منها فليذكره ، فتذاكروا في ذلك فلم يتجاوز أحد منهم عشرة
آيات فقال السلطان : أنا أحفظ منها خمسين بيتاً قصيدة واحدة وذكرها ، فاستحسن
الجماعة ذلك منه ، فقال القاضي شرف الدين كاتب سره : أنا أحفظ منها مائة وخمسين
بيتاً قصيدة واحدة ، فقال السلطان : يا شرف الدين جمعت في خزائني أكثر دواوين
الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وأنا أحب هذه القافية فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرته
لكم ، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرت ، فأنشده قصيدة الشيخ الياثية التي مطلعها :
« سائق الأظعان » .

(5) في ك و ح : « فانطلق » .

(6) في س : « أخذ » .

(7) في « تاج العروس » « قرا البلاد يقرؤها إذا تتبعها ، يخرج من أرض إلى أرض ، ينظر
أحوالها وأمرها ، وقراها قريباً كذلك واوي ويأتي ، كاقراها واستقراها » وفي الأصل
يقترى بالهمز ، وهو خطأ .

البلد أسواقاً ومساجد ورحاباً وأزقة ، وكل ما رأى من أمر واقع أو سمع يُريحُه عليه بالليل فيقصه عليه .

قلت : وهذا اعتناء (8) بالأخبار والنوادر والتواريخ .

وقد كان نحو هذا لشيخ مشايخنا (9) أبي عبد الله محمد (10) العربي (11) ابن أبي المحاسن يوسف الفاسي ، فكان من دأبه أنه متى لقي إنساناً يسأله من أي بلد (12) هو ؟ فإذا أخبره قال : من عندكم من أهل العلم ؟ من عندكم من أهل الصلاح ؟ ومن الأعيان ؟ فإذا أخبره بشيء من ذلك كله سجله ، وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع (13) والمسائد ضعيف جداً في المغاربة ، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية ، وفيما سوى ذلك لا همّة لهم .

وكان أبو عبد الله المذكور يذكر في كتابه «مرآة المحاسن» (14) أنه كم في المغرب من فاضل ضاع من قلة اعتنائهم ، وهو كذلك .

وقد سألت شيخنا الأستاذ أبا عبد الله ابن ناصر رحمه الله ورضي عنه

-
- (8) في ك : « اعتبار » .
(9) في ح : « شيخنا » بالإفراد .
(10) انظر ترجمته بقلمه في كتابه : « مرآة المحاسن » الآتي ذكره (ص 159 - 164) .
(11) قال في « مرآة المحاسن » (ص 160) وهو يترجم نفسه : « ولقيت بالعربي وكثيراً ما تسكن العامة الرء من العربي » .
(12) في س : « من أي البلاد هو » .
(13) في ك : « الواقع » .
(14) هو كتاب « مرآة المحاسن » ، من أخبار الشيخ أبي المحاسن ، لمحمد العربي المذكور آنفاً ، ترجم فيه والده أبا المحاسن يوسف الفاسي ، فعرف بسيرته ، وذكر من يتصل به بأبوة أو بنوة أو أخوة ممن اشتهر بعلم أو صلاح ، كما عرف فيه بأصحابه والمتفعين به ، وهو مطبوع على الحجر بفاس عام 1324 هـ .

يوماً عن السند في بعض ما كنت آخذه عنه فقال لي : إنا لم تكن لنا رواية في هذا ، وما كنا نعني بذلك . قال : وقد قضيت العجب من المشاركة واعتنائهم بأمثال (15) هذا حتى إني لما دخلت مصر كان كل من يأخذ عني عهد الشاذلية (16) يكتب الورد والرواية والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك .

لله الأمر من قبل ومن بعد

-
- (15) في ك و ح : « بمثل » بالإفراد .
(16) هي الطائفة الصوفية المتسمية إلى القطب أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الشاذلي ، وعنها قال السيد شمس الدين أبو محمود الحنفي فيما حكاه عنه الشيخ مرتضى في تاج العروس بمادة (شذل) فقال : « اختصت الشاذلية بثلاثة أشياء لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم : الأول أنهم يختارون من اللوح المحفوظ ، الثاني أن المجنوب منهم يرجع إلى الصحو ، الثالث أن القطب منهم دائماً وأبداً إلى يوم القيامة » .

[منافسة علماء مصر لأحمد المقري]

رجعنا إلى الحديث الأول قال : ووجدت (1) الفقيه أبا العباس المذكور قد وقع بينه وبين طلبة العلم من أهل مصر شحنة عظيمة ، وحدث أن سببها اتفاق غريب ، وهو أنه حضر ذات يوم سوق الكتب وهو إذ ذاك لم يعرف . فوقع في يده سيفرٌ من تفسير غريب ، ففتح على < تفسير > (2) سورة النور ، فإذا هو قد تعرض لمسألة فقهية غريبة ، وذكر فيها اختلافاً وتفصيلاً وتحقيقاً ، فحفظ ذلك كله على الفور ، وكان رجلاً حافظاً ، ثم اتفق عن قريب أن اجتمع علماء البلد في دعوة وحضر معهم ، فلما استقر بهم المجلس إذا (3) سائل في يده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها ، فدفعت للأول من أكابر أهل المجلس ، فنظر فكأنه لم يحضره فيها ما يقول ، فدفعها لمن يليه ، ثم دفعها الآخر للآخر وهكذا حتى بلغت أبا العباس المذكور . فلما تناولها استدعى الدواة فكتب عليها الجواب بنحو (4) ما حفظ ، فجعلوا ينظرون إليه متعجبين ، فلما فرغ تعاطوها فقالوا : من ذكر هذا ؟ فقال لهم : ذكره فلان في تفسير سورة النور ، فالتمسوا التفسير فإذا الأمر كما ذكر ، فدخلهم من (5) ذلك ما هو شأن النفوس .

(1) في س : « وجدت » بدون الواو .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(3) في ك : « إذ » بدل : « إذا » .

(4) كذا في الأصل ، ومثله في س ، وفي ك و ح : نحو بدون الباء .

(5) في ك : « في » موضع من .

قلت : وليس هذا ببدع ، فما زال هذا الجنس يتحاملون على من توسموا فيه شفوفاً عليهم . أو مزاحمة في رتبة أو حظ إلا من عصمه الله . وقليل ما هم .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لدميمٌ (6)

وقد أفتى بعض الفقهاء أنه لا تقبل شهادة بعضهم على بعض لهذا المعنى ، ولا شك أنه < ليس > (7) على العموم . ولكنه شائع معلوم .

فمن ذلك ما وقع للإمام سيبويه مع أهل الكوفة . وقصته مشهورة (8).

(6) قبل هذا البيت بيت هو الآتي عن قريب ، والبيتان منسوبان لأسي الأسود الدؤلي ، ودميم في البيت بدال مهملة لأنه من الدمامة التي هي قباحة الصورة ، وكتب في ك و ح بدال معجمة وهو تصحيف .

(7) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح ولا بد منه لأن الكلام يختل بدونه .

(8) أشار إلى المسألة النحوية التي تلقب بالزنبورية ، والتي ذكرها ابن هشام في « معيه » فقال : « مسألة : قالت العرب : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، وقالوا أيضاً : فإذا هو إياها ، وهذا الوجه الذي أنكره سيبويه لما سأله الكسائي ، وكان من خبرهما أن سيبويه قدم على البرامكة ، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما ، فجعل لذلك يوماً ، فلما حضر سيبويه قال له الكسائي : تسألني أو أسألك ، فقال له سيبويه : سل أنت ، فسأله عن هذا المثال ، فقال سيبويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، وسأله عن أمثال ذلك فقال له : كل ذلك بالرفع ، فقال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا ببلديكما ، فمن يحكم بينكما ، فقال له الكسائي : هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون ، فأحضروا فوافقوا الكسائي ، فاستكان سيبويه ، فخرج إلى فارس ولم يعد إلى البصرة . وكان أحد أدباء الأندلس سأل أبا الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الشنمري المعروف بالأعلم عن المسألة الزنبورية هذه فأجابه جواباً فيه بيان لها وتفصيل فيها ، وقد أودعه المقرئ في « نفحه » (ج 5 ص 217 - 244 بتحقيق محمد محيي الدين) فانظره هناك ، وقد ذكر حازم القرطاجني هذه الحكاية في منظومته النحوية فقال وأحسن :

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما =

وما وقع لسيف الدين (9) الآمدي مع أهل مصر ، فإنه لما برز عليهم في العلوم أنكروه ونسبوه إلى الأهواء ، وكتبوا عليه رسماً بذلك ، فكانوا يدفعونه بعضهم لبعض ليوقعوا فيه الشهادة على ذلك ، فكانوا يشهدون حتى انتهى إلى بعض من وفقه الله وعصمه فوقع تحت الشهادات (10) .

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وقد تناهى به ذلك حتى خرج من مصر (11) .

وما وقع للفقير محمد بن تومرت المعروف بالمهدي إمام الموحدين ، فإنه دخل مدينة مراکش مقفلاً من المشرق ، فحرك العلوم العقلية ، وكانوا أهل بادية لا يعرفون ذلك ، فقالوا : هذا أدخل علينا علوم الفلاسفة ، ووشوا به إلى اللمتوني حتى كان من أمره ما كان .

<p>وربما رفعوا من بعدها وربما وجه الحقيقة من إشكاله غمما أهدت إلى سيويه الحنف والغمما قدماً أشد من الزنبور وقع حما أو هل إذا هو إياها قد اختصما يا ليته لم يكن في أمره حكما يا ليته لم يكن في أمره حكما حتى قضى هدراً ما بينهم هدما وأبرح الناس شجوراً عالم هضما</p>	<p>= وربما نصبوا للحال بعد إذا فإن توالى ضميران اكتسى بهما لذلك أعيت على الأفهام مسألة قد كانت المقرب العوجاء أحسبها وفي الجواب عليها هل إذا هو هي وغاز عمرأ علي في حكومته كفيظ عمرو علياً في حكومته قضت عليه بغير الحق طائفة والغبين في العلم أشجى محنة علمت</p>
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(9) هو أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم الثعلبي الآمدي الملقب بسيف الدين ، الفقيه الأصولي النظائر ، كان حنبلي المذهب ثم تشفع ، واشتغل بعلوم العقول وتمهر فيها ، له نحو العشرين تصنيفاً منها في أصول الدين والفقه والخلاف والمنطق والحكمة . توفي سنة 631 هـ .

(10) في ك : « الشهادة » بالإفراد .

(11) انظر واقعة الآمدي مع علماء مصر في « وفيات الخلكاني » (2 : 455 تحقيق محمد محيي الدين) وفيه أنهم اتهموه بانحلال العقيدة ، وأنهم أفتوا فيه بما يبيح دمه .

و < مثله > (12) ما وقع للإمام أبي الفضل (13) بن النحوي حين دخل سجلماسة فجعل يدرس أصول الدين وأصول الفقه ، فمر به عبد الله بن بسام أحد رؤساء البلد فقال : ما العلم الذي يدرسه (14) هذا ؟ فأخبروه ، وكانوا قد اقتصروا على علم (15) الرأي فقال : هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها ، وأمر بإخراجه ، فقام أبو الفضل ثم قال [له] (16) : أمتّ العلمَ أمتك الله ههنا ، قالوا : وكانت عادة أهل البلد أن يعقدوا الأناكحة في المسجد ، فاستحضروا ابن بسام لعقد نكاح صبيحةَ اليوم الثاني من ذلك اليوم ، فخرج سحرّاً وقعد في المكان المذكور ، فمرت عليه جماعة من ملوالة إحدى قبائل صنهاجة فقتلوه برماحهم . وارتحل أبو الفضل إلى مدينة فاس فتسلط عليه القاضي ابن دبوس ولقي منه ما لقي من ابن بسام ، فدعا عليه أيضاً فهلك ، ولما رجع إلى وطنه القلعة واشتغل بالتقشف تسلط عليه ابن عصمة أيضاً فقيه البلد بالإذابة .

وهذا النوع أعني الفقهاء ولا سيما أرباب المناصب منهم كالقضاة لم يزالوا متسلطن على أهل الدين كما وقع لهذا ، وكما وقع للقاضي ابن الأسود

(12) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن ح .

(13) هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي . فقيه أصولي نفاذ ، وصوفي رباني اشتهر بأنه مجاب الدعوة حتى كان الناس يتعوذون من دعوته ، وهو ناظم القصيدة الجيمية المعروفة باسم « المنفرجة » التي جرب الناس نفعها واعتقدوا بركتها لمن دعا بها . توفي سنة 513 هـ .

(14) في ك : « يقرؤه » ومثله في ح وفي س « يقرئه » .

(15) في ك : « علوم » بالجمع وكذا في ح .

(16) ما بين العلامتين زيادة جاءت في ك وفي ح .

مع الإمام العارف أبي العباس بن العريف (17) ولابن [أبي] (18) البراء مع القطب الجامع أبي الحسن الشاذلي (19) وكلهم قد أخذهم الله بذنوبهم في

(17) عرف به التادلي في «التشوف» ص 76 فقال : «أبو العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف ، ذكره ابن بشكوال فقال : كان متناهيًا في الفضل والدين ، مقطوعاً إلى الخير ، وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويقصدونه فيحمدون صحبته ، وسعي به إلى السلطان فأمر بإتخاذه إلى حضرة مراکش فوصلها ، وتوفي بها ليلة الجمعة صدر الليل ودفن بها يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . ثم حكى واقعه مع ابن الأسود فقال : «ذكر أن القاضي ابن الأسود كان في المرية فوفد على علي بن يوسف بمراكش فسعى بابن العريف عنده وخوفه منه غاية التخويف ، فكتب علي إلى عامل المرية يأمره بإشخاصه إلى مراکش ، فأمر به العامل فأدخل في القارب ليخرج به في البحر إلى سبتة ، فأشار القاضي على العامل بتكيبه بعد خروجه في المركب ، فبعث إليه من يقيده فأدركه رسول العامل وهو في البحر لم يخرج منه بعد فكبله ، وذهب راجعاً في البحر إلى المرية ، فقال ابن العريف روعنا روعه الله ، فلقية العدو في البحر فحملة أسيراً ، فلما وصل ابن العريف إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان وبترجيحه وحل قيوده ، فقال ابن العريف : كنت أريد ألا يعرفني السلطان ، وقد عرفني الآن ، فلا بد من رؤيته ، فوصل إلى مراکش فأقبل عليه السلطان وأكرمه وأمره أن يعرض عليه حوائجه فقال له : ليس لي حاجة إلا أن أخلى أذهب حيث شئت ، فأذن له في ذلك ، فلما رأى القاضي ما حصل له من الخطوة لديه سأل عن أحب الطعام إليه فقيل له : الباذنجان فصنعه وعمل فيه السم ، واحتال عليه إلى أن أكله ، فمات رحمه الله ، ودفن في قرب الجامع القديم الذي بوسط مراکش في روضة القاضي موسى بن حماد الصنهاجي ، فلما علم السلطان بما كان من ابن أسود في جانب ابن العريف قال : لأعذبه ولأسمنه كما فعل بابن العريف ، فبعثه إلى السوس الأقصى ، وأمر أن يسقى سماً هنالك فامتثل ما أمر به فمات هناك .

(18) ما بين العلامتين سقط من الأصل وهو في ك و س و ح فأضفناه رواية عنها .

(19) هو الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسيني الإدريسي الشاذلي نسبة إلى شاذلة من قرى إفريقية نسب إليها لأنه تعبد بها فترة من حياته ، توفي عام 656 هـ وقد جعله زروق في «قواعده» واحداً من أصحاب الاتجاهات الكبرى في التصوف فقال : «تعدد وجوه الحسن يقضي بتعدد الاستحسان ، وحصول الحسن لكل مستحسن ، فمن ثم كان لكل فريق طريق ، فللعامي تصوف حوته كتب المحاسبي ومن نحا نحوه ، وللغني تصوف رامه ابن الحاج في «مدخله» ، وللمحدث تصوف حام خوله ابن العربي في «سراجه» ، وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في «منهاجه» ، وللمريض تصوف نبه عليه القشيري في =

الدنيا قبل الآخرة ، نسأل الله تعالى العصمة من اتباع الهوى ، ونعوذ بالله أن
نظلم أو نظلم ، إنه الحفيظ الرحيم .

وحدثني الحاج المذكور أيضاً قال : دخلنا مكة شرفها الله فدخلت ذات
يوم المسجد الحرام فإذا هو غاص بأهله والناس مزدحمون فقلت : ما هذا ؟
فقالوا : جنازة ولد توفي للشيخ يوسف الوفائي وكان حاضراً في تلك الحجة ،
قال : وكنت أعرفه ، فجئت إليه لأعزيه في مصيبتة ، فاستأذنت عليه فأذن لي ،
فدخلت عليه وهو مع أصحابه فإذا هو يتحدث وهو في غاية ما يكون من
البسط والسرور ، قال : فجلست أمامه وقلت : أعظم الله أجرك فأنكر علي
غاية الإنكار وقال : أمثلك يقول هذا ؟ وقد طالما كنت أتمنى أن يجعل الله
<جسدي في هذه البقاع المشرفة ، واليوم قد جعل الله > (20) بعضي فيها ،
فله الحمد وله الشكر ، أو كلاماً هذ معناه رحمه لله ورضي عنه ، [و] (21) إنما
أذكر مثل هذه القصة للاعتبار والانتساء .

وحدثنا أيضاً قال : بتنا عند الفقيه الشيخ علي (22) الأجهوري برسم
زيارة ، فبات ليله على النظر في كتب العلم ، وهو يشرب الدخان ، فكان

= « رسالته » ، وللناسك تصوف حواه « القوت والاحياء » ، وللحكيم تصوف أدخله
الخاتمي في كتبه ، والمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تأليفه ، والطبائعي تصوف
جاء به البوني في أسراره ، وللأصولي تصوف قام الشاذلي بتحقيقه .

(20) ما بين العلامتين ساقط من س .

(21) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في سواء فأضفناه .

(22) هو نور الدين أبو الإرشاد علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري ، من أهل مصر ،
فقيه محدث ، كانت وفاته بمصر سنة 1066 من بين مؤلفاته رسالة بالعنوان التالي :
« غاية البيان ، في إباحة الدخان » توجد مخطوطة .

له صاحب يعمر له الدواة حتى إذ فرغت عمر أخرى ، ويرى حليته .
قال : وكان الشيخ إبراهيم (23) اللقاني معاصره وبلديه يفتي بحرمته .

نه الأمر من قبل ومن بعد

(23) هو برهان الدين أبو الامداد إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني نسبة إلى لقانة من أرض مصر ، عالم متصوف كانت وفاته سنة 1041 هـ .

[قضاء الحاجات عند الصلحاء]

وكان يحدثنا عن أسلافه أن ثلاثة من صلحاء الغرب (1) قد جرب عندهم
قضاء الحاجات :

الشيخ عبد السلام بن مشيش، والشيخ أبو يعزى <يلنور> (2) والشيخ
أبو سلهام ، غير أنهم اختلفوا ، فالأول في أمور (3) الآخرة ، والثالث في
أمور الدنيا ، وأبو يعزى في الكل ، نفعنا الله بهم وبأمثالهم .

وقد ذكر غيره كالشيخ زروق أن هؤلاء الثلاثة أبا يعزى وأبا العباس
السبتي زأبا مدين قد وقع الانتفاع بهم بعد الموت ، وهذا بحسب ما اشتهر
وانتشر ، وإلا فالانتفاع واقع بأولياء الله كثيراً في كل أرض .

وقد شاهدت المولى إدريس بن إدريس رضي الله عنه أيام مقامي بمدينة
فاس تريباقاً مجرباً في كل ما أنزل به من حاجة .

وحدثونا في درعة عن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم أنه كان يقول لهم :
إن سيدي أبا القاسم الشيخ وهو معروف هنالك يقضى عنده ما يقضى عند
الشيخ أبي يعزى .

(1) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك وح ففيهما : « المغرب » .

(2) ما بين العلامتين سقط من ك .

(3) في ك : « أمر » بالإفراد .

وحدثني بمدينة مراکش الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الهشتوكي قال : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أني دخلت مقام الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سليمان الجزولي ، فإذا هو جالس وهو يقول ، من كانت له إلى الله حاجة فليأتنا ، قال فلما أصبحت وكان أمير الوقت قد بعث إلى أهل المدينة أن يعطوا الرماة ، وشق عليهم ذلك كثيراً ، وكان قوم قد ذهبوا إليه وعزموا (4) أن يسعوا في أذاتي ، فجئت إليه فقلت : إنك قلت كذا ، وها أنا ذا قد جئت في هاتين الحاجتين ، قال : ففضى الله الحاجتين معاً .

وحدثني أيضاً الأخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد الهشتوكي قال : بلغني عن الفقيه سيدي عبد الواحد الشريف أنه حدث أصحابه فقال لهم : كنا خرجنا ونحن نفر ثلاثة لزيارة الشيخ عبد الخالق (5) بن ياسين الدغوشي . فلما كنا ببعض الطريق قلنا : تعالوا فليذكر كل واحد منكم حاجته التي يريدونها ، قال : فأما أنا فقلت لهم : إني أريد كرسي جامع المواسين . وأما الثاني فقال : أريد أن أتولى الحكومة في البلد ، وأما الثالث فقال : أريد محبة الله تعالى ، قال : فزرننا ، فأما أنا وصاحبي فقد تولينا ما طلبنا . وأما الآخر فبخروجه من مقام الشيخ تحرك وفغر فاه واستقبل البرية ، فكان ذلك آخر العهد به ، وقد قضى الله الحاجات كلها .

وكانت أهلي أيام كنا بالزاوية البكرية قد تراخت عنها الولادة ، فدخلها من ذلك غم عظيم ، فأصبحت ذات يوم فأخبرت أنها رأت أنها ذهبت إلى

(4) كذا في الأصل ، ومثله في ح أماك و س ففيهما : « زعموا » .

(5) عرف به التادلي في « التشوف » (ص 205 وما بعدها) فكان مما قال عنه : « أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوشي تلميذ أبي زكرياء المليجي ، صحب أبا عبد الله بن امغار ، وأبا شعيب ، وكان من الأفراد ، صاحب علم وعمل ، توفي ببلده بسبت بني دغوغ من عمل مراکش عام أحد وسبعين وخمسمائة » .

مقام سيدي أبي علي العجائي . > فقالت فوجدته جالساً وأنا في غايصة العطش < (6) فإذا حوله عين يرشح منها ماء قليلٌ ، لا يغني . فقلت : يا سيدي ما هذا ؟ جئت إليك عطشى رجاء أن أشرب ، أفأرجع كما جئت ؟ قال : لا ، إن الماء ثمٌّ . انبشي يخرج ، فقالت (7) : فنبشت بيدي فخرج الماء وشربت حتى رويت . وطلبت مني أن نزوره وأن نطعم عنده طعاماً ففعلنا ، فولد ولدنا محمد الكبير أصلحه الله وأمتع به (8) .

ولما نزلنا (9) بالزاوية المرة الثانية مَقْفَلَنَا من حضرة مراکش كانت لنا بُسَيَّةٌ عجزت عن النهوض وهي في سن من يمشي ، فظنناها مقعدةً ، فذهب بها الخدم إليه وزورها فقامت بالفور على رجلها (10) تمشي ، وأمثال هذه الأمور لو تتبعنا منها ما رأينا وما سمعنا لملأنا بها الدواوين .

نعم رأيت لبعضهم أن الولي إذا مات انقطع تصرفه من الكون ، وما يحصل لزياره مثلاً إنما يحصل له على يد قطب (11) الوقت بحسب درجة ذلك الولي ، والله تعالى أعلم .

ته الأمر من قبل ومن بعد

-
- (6) ما بين العلامتين ساقط من س .
(7) كذا بالأصل وفي سواه : « قالت » بدون الفاء .
(8) في س : « انتفع » بدل : « أمتع » والظاهر أنه تحريف .
(9) في ك و ح : « نزلت » بضمير الواحد .
(10) في ح وحدها : « رجلها » بالثنية .
(11) في « كتاب التعريفات » للشيخ الجرجاني ما نصه : « القطب ، وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون وأعيانه الظاهرة والباطنة سريان =

.....

= الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية العادلة مادة الحياة لا من حيث إنسانيته ، وحكم جبريل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية ، وحكم ميكايل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها . وفي « كتاب التشوف » للتادلي ص 56 ما ملخصه : الغوث يكون واحداً في الزمان ، وقبله ثلاثة هم المختارون ، ودونهم سبعة هم العرفاء ، وتحتهم عشرة هم النقباء ، وبعدهم أربعون هم الأوتاد ، وخلفهم سبعون هم النجباء ، ومن ورائهم ثلاثمائة هم الأولياء، ثم سائر الخلق ، فإذا مات الغوث نقل واحد من المختارين فجعل غوثاً ، ونقل من العشرة إلى الثلاثة ، ومن الأربعين إلى العشرة ، ومن السبعين إلى الأربعين ، ومن الثلاثمائة إلى السبعين ، ومن سائر الخلق إلى الثلاثمائة ، ثم هكذا دواليك إلى يوم القيامة .

[الحرة تكفي وتغني]

وكان أيضاً رحمه الله كثيراً ما ينشدنا < لبعضهم > (1) :

إذا لم يكن في منزل المرء حرة تدبر أمراً نابه فهو ضائع

وقوله في البيت حرة يحتمل أن يريد بها ضد الأمة لأن الحرائر مظنة العقل والتجربة والغناء (2) والكفاية، والظاهر أن المراد أنحص < من ذلك > (3) وهي الكاملة الحرية ، كما يقال لكامل الرجولية : فلان رجل ، وذلك أن ليس كل حرة تكفي وتغني (4) ، بل رب أمة لبيبة أقوم من حرة ، فالمرأة الصالحة الكيسة الصيئة هي التي تراد .

وفي الحديث : « تُنكحُ المرأةُ لدينِها وجمالِها ومالِها .
فأظفرُ بذاتِ الدينِ » [تَرَبَّتْ بِمِيسِنِكَ] (5) .

وفي الحديث أيضاً : « الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا
المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

- (1) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (2) بفتح الغين والمد وهو النفع والإجداء ، وكتب في ك وح بالقصر ، وهو خطأ ، وفي « صحاح الجوهري » ما نصه : « الغناء بالفتح النفع ، والغناء بالكسر من السماع ، والغنى مقصوراً : اليسار » .
- (3) ما بين العلامتين سقط من ك وح .
- (4) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « أغنيت عنك بالألف معنى فلان ومغناته إذا أجزأت عنه وقمت مقامه ، وحكى الأزهري : ما أغنى فلان شيئاً أي لم ينفع في مهم ولم يكف مثوبة » .
- (5) ما بين العلامتين رواية عن س .

وفي الحديث : « إِنَّ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ بَيِّنَ النَّسَاءِ كَالْغُرَابِ الْأَعْصَمِ (6) بَيِّنَ الْغُرَبَانِ » وذلك لعزة من تستكمل المعبر من الأوصاف ، أو لعزة الدين فيهن ، فإنهن ناقصات عقل ودين .

وروي عن نبي الله داود أنه قال لابنه سليمان عليهما السلام : يا بني ، إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك ، وإن مثل المرأة السوء كالحِمْلُ الثقيل على الشيخ الكبير .

وعن أمير المؤمنين عمر (7) رضي الله عنه : النساء ثلاث : امرأة عاقلة مسلمة عفيفة هينة لينة ودود ولود ، تعين أهلها على الدهر . ولا تعين الدهر على أهلها ، وقليلاً ما تجدها ، وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك ، وأخرى غُلٌّ قمل يجعله (8) الله في عنق من يشاء . ثم إذ شاء أن ينزعه نزعته .

وقوله غل قمل تمثيل ، وأصله أن الأسير مثلاً يجعل عليه الغُلَّ فيبقى حتى إذا طال قَمِلَ أي دخله القمل فيأكله القمل في عنقه ولا يمكنه أن يزيل القمل منه ولا أن يزحزح الغُلَّ من محله (9) ما لم يحل <من> (10) أصله ، فيلقى من ذلك عذاباً لازماً ، وكذلك (11) المرأة إذا كانت سيئة الأخلاق أو

(6) في « صحاح الجوهري » ما لفظه : « والغراب الأعصم الذي في جناحه ريشة بيضاء لأن جناح الطائر بمنزلة اليد له ، ويقال : هذا كقولهم : الأبلق العقوق ، وبيض الأنوق لكل شيء يعز وجوده » . وكتبت الكلمة في ك و ح هكذا : « الأعظم » بالظاء المشالة ، وهو تصحيف .

(7) في ك و ح : « علي » بدل « عمر » .

(8) في ك و ح : « يجعلها » .

(9) في س : « من عنقه » .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(11) في س : « وكذا » بدل : « وكذلك » .

دميمة (12) الحلقة أو جمعتهما فالرجل يتأذى منها أذىً عظيماً لازماً ، ما لم يطلقها ، فالمرأة إذا كانت جميلة حسنة الشباب مليحة ألفها الطبع وشربتها (13) النفس ، فكان سيئها حسناً ، وذبها مغفوراً ، كما قال أبو فراس (14) :

يعدُّ عليّ الواشياتُ ذنوبهَ ومن أين للوجه المليح ذنوب

ولا بد مع ذلك من كفاية بيتها ، فإذا جمعت الحسن والدين والكفاية فهي الحرة المعدودة ، والضالة المنشودة ، وفي أمر النساء كلام يكثر (15) ، لا يفي به إلا تصنيف مستقل ، وهذا القدر يكفي في هذا المحل .

﴿ وكان (16) يقول كثيراً : لا تواكل (17) من لا يواكل ، ولا

تجالس من لا يجالس ﴾ .

(12) كذا هو في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه : « دميمة » بدال مهملة ، قال الفيومي في « مصباحه » : « دم الرجل يدم من بابي ضرب وتع ، ومن باب قرب لغة ، فيقال : دمت تدم ومثله لبيت تلب وشررت تشر من الشر ، ولا يكاد يوجد لها رابع في المضاعف ، دمامة بالفتح قبح منظره وصغر جسمه ، وكأنه مأخوذ من الدمة بالكسر وهي القملة أو النملة الصغيرة ، فهو دميم والجمع دمام مثل كريم وكرام ، والمرأة دميمة ، والجمع دمائم ، والذال المعجمة هنا تصحيف » انتهى كلام الفيومي بنصه .

(13) كذا هو في الأصل ، أما ك و ح ففيهما : « تشربتها » .

(14) البيت واحد من أبيات أربعة واردة بديوانه المطبوع في بيروت وقبله :

أساء فزادته الإساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب

وهذا البيت الذي أوردناه مع البيت الذي أورده اليوسي جاء في « شرح الشريشي على المقامات » (1 : 184) وهما فيه منسوبان لأبي نواس وهما لا يوجدان في ديوانه المطبوع بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي .

(15) كذا في الأصل وفي ك و س و ح : « كثير » .

(16) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(17) رسمت الكلمة في الأصل أولاً وثانياً بواو ، وكذا جاء رسمها في مخطوطة أكنسوس ، وفي =

وكان يقول في حديثه بما سمع ممن لقي : إن الولي الصالح سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار (18) المعروف بالتباع كان يقول لأصحابه ، وهم سيدي سعيد بن عبد المنعم المناني الحاحي ، >وسيدي علي بن إبراهيم البوزيدي التادلوي < (19) وسيدي رحال المعروف بالكوش : سعيد فقيهمكم ، وعلي عابدكم ، ورحال مجذوبكم ، والغزواني سلطانكم ، نفعتنا الله بجمعهم آمين .

وسمعته يحدث عن والده سيدي محمد بن أبي بكر أن شيخه سيدي محمد ابن أبي القاسم المعروف بالشرقي التادلوي كان وقع بينه وبين ولده سيدي الغزواني كلام وعتاب إلى أن قال الولد : أنت ترزقي؟ فقال الشيخ نعم أنا أرزقك ، فأعظم الناس هذا الكلام ، قال : فقال الوالد (20) : لا شيء في هذا ، فإن الشيخ هو القطب في الوقت ، والقطب تجري الأرزاق على يده ، فصح بهذه الإضافة أن يكون رازقاً .

الله الأمر من قبل ومن بعد

= « الصحاح » من مادة : « أكل » ما نصه : « آكلته إيكالا أطمعته ، وآكلته مؤاكلة أي أكلت معه ، فصار أفعلت وفاعلت على صورة واحدة ، ولا تقل واكته بالواو » . وفي « الصحاح » أيضاً من مادة : « وكل » ما لفظه : « واكلت فلاناً مؤاكلة إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك » .

(18) في الأصل : « الحراري » بياض بعد الراء وفي غيره : « الحرار » بدونها ، وهو الصواب ، وفي هذه النسبة يقول مؤلف « تمتع الأسماع » ، وهو يترجم عن المذكور : « الشيخ أبو محمد وأبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار ، عرف به وبالتباع ، والحرار نسبة إلى صناعة الحرير إذ كانت حرفته في أول أمره » .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك وح ففيهما « الولد » .

[شيخ الدلاء عند عبد الله بن حسون في سلا]

وحدث عنه أيضاً قال : قدمت على الولي الصالح سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا ، فقعدت إلى جنبه وقد مد رجله ، والأعراب يتساقطون عليه يقبلون يديه ورجليه ، قال : فخطر ببالي أنه كيف أطلق هذا الرجل نفسه للناس هكذا ؟ فلم يتم الخاطر إلا وقد قال : أيها الناس ، رجل قيل له من مس لحمك لم تمسه النار ، أو لم تأكله النار ، أو نحو هذا فيبخل (1) بلحمه على المسلمين ؟ قال : فلما سمعت كلامه وعلمت أنه على خاطري تكلمت بت إلى الله تعالى في نفسي ، فجعلت إذا مد إليه أحد كاغدا (2) وكان يكتب الحروز ، تلقفته من يده ، وناولته الشيخ وقبلت يده ، > فإذا كتبه أخذته منه وقبلت يده < (3) ، فيحصل لي في كل حرز تقبيلتان ، قال : ورأيت عنده أموراً أشكلت علي :

منها أنه يؤتى بالثياب هدية وصدقة فيأمر بها فترمى في بيت وتبقى كذلك يأكلها السوس .

ومنها أنه كل يوم يصبح عليه أهل الآلات فيضربون عليه .

قلت : أما الثياب فالذي يظهر في أمرها أنه إما غيبة حصلت للشيخ عنها ،

- (1) كذا بالأصل ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما « أفبخل » مسبوقة بهمزة الاستفهام .
- (2) في « مصباح الفيومي » : « الكاغد بفتح الغين وبالذال المهملة وربما قيل بالذال المعجمة وهو معرب » .
- (3) ما بين العلامتين ساقط من س .

وليس ذلك بمستنكر في أمثاله من المستهترين (4) في ذكره ، وإما خارج مخرج القلنسوة التي رمى بها الإمام الشبلي (5) في النار ، ومائة الدينار التي رمى بها في دجلة . وتأويل ذلك معروف عند أهل الطريق لانطيل به (6) .

➤ وأما أمر الآلات فيما أنه كان يستفيد من تلك الأصوات أسراراً ومعاني < (7) ، ونظيره ما حكى الإمام أبو بكر (8) بن العربي في سراج (9)

(4) كذا في الأصل ، وهو جمع مستهتر من استهتر بالشيء إذا كان مولعاً به سادراً فيه من غير مبالاة ، وينبغي أن يقرأ بصيغة اسم المفعول ، قال الجوهري في « صحاحه » : « فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه » اه . وقال الزمخشري في « الأساس » : « هو مهتر به ومستهتر به : مفتون به ذاهب العقل ، وقد أهرت بفلاة واستهتر بها » اه . وفي ضبطه يقول أبو الفرج بن الجوزي في كتابه « تقويم اللسان » : « تقول : « استهتر فلان بكذا بضم التاء الأولى وكسر الثانية على ما لم يسم فاعله ، والعامّة تفتح التاءين وهو خطأ » اه . وأراد أن الشيخ يستغرق في ذكر الله ويذهب عقله فيه حتى يذهل عن كل شيء كما تكون عليه حال المستهترين بالملاذ والشهوات ، وتصحفت الكلمة في س بالمستهترين فأصلحها أكنسوس على طرته بمثل ما جاء في الأصل : أما ك و ح ففيهما : « المستهترين » من الاشتهار لا من الاستهتار ويبدو أنه غير صالح بالسياق .

(5) اختلف في اسمه فقيل : هو دلف بن جعفر وقيل : دلف بن جحدر وقيل : جحدر بن دلف ، ويقال : إن اسمه جعفر بن يونس عرف بأبي بكر الشبلي ، من أعلام الصوفية وكبار الزهاد توفي سنة 334 هـ .

(6) يقول الشيخ زروق في إحدى قواعده : « يعذر الواجد بحالة لا يملك نفسه فيها ، وله حكم المجنون في حاله بسقوط اعتبار أفعاله ، وينتفي جواز الاقتداء به ، كتواجد النوري في قيامه للسيف إيثاراً ، وإلا فهو إعانة على قتل نفسه ، وكحالة أبي حمزة في بقاته في البئر ، وكحالة الشبلي في حلق لحيته ، وإلقائه المال في البحر عند شعوره ببخله ، إلى غير ذلك مما لا يوافق الشرع من ظاهر أعمالهم » .

(7) ما بين العلامتين ساقط من س .

(8) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي الشهير بابن العربي (468 - 543 هـ) أحد العلماء الأعلام ، له مؤلفات تنيف على الثلاثين .

(9) نسبه إليه طاش كبرى زاده في « مفتاح السعادة » (2 : 523) وحاجي خليفة في « كشف =

المريدين عن الشيخ أبي الفضل الجوهري أنه بات بجواره ذات ليلة أصحاب الآلات فشغلوه عن ورده بما هم عليه من لهوهم وباطلهم ، فلما أصبح وجلس في مجلسه قال : إنه بات بجوارنا البارحة قوم ملأوا مسامعنا علماً وحكمة ، قال أولهم : لي لي لي ، فقال الآخر لي ولك ، فقال الآخر كذا . ومثل ذلك بمتناظرين ، وجعل يقرر ذلك حتى قضى المجلس كله بأنواع من الحكم واللطائف والأسرار ، وهذا من أعجب ما يتحف الله به أوليائه ، فقد غيَّبَهُ اللهُ عن صورتها الباطلة وأشهده سره الباطن فيها .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد (10)

وإما أن ذلك يوافق حالة له جمالية تحصر في الوقت . ومن هذا المنبع يقع الطرب وما يشهد من حالات أهل الوجد .

وإما أنه يكون قطباً فتناسبه النوبة الملوكية .

وقل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا المُلْكُ مُلْكٌ لا يباع ولا يهدى

لله الأمر من قبل ومن بعد

= الظنون ، ، والمقري في «نفتح الطيب» (2 : 242) ، وهو الذي عناه زروق في «قواعده» إذ قال : « . . . للعامي تصوف حوته كتب المحاسبي ، وللفقيه تصوف رامة ابن الحاج في «مدخله» وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في «سراجه» . . . » . (10) البيت لأبي العتاهية ، وهو الآخر من أبيات خمسة في ديوانه المطبوع ببيروت ، وقيله :

ألا إننا كلنا بـائد	وأبي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم	وكل إلى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الإلـه	ه أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وفي كل تسكينة شاهد

[محمد الشرقي شيخ تادلا]

ونحو هذا ما يحكى (1) عن سيدي محمد الشرقي التادلوي وأنه لما وقع له الظهور بعث إليه السلطان أحمد المنصور نقرأ من خواصه يختبرون أمره ، فأضمر (2) كل واحد منهم حاجة ، فأحدهم قال : تركت جارية لي مريضة وأريد أن يخبرني بأمرها ، وقال الآخر : أشتهي خبزاً خالصاً ودلاعة (3) وذلك في غير مكان وغير إبان ، فلما انتهوا إليه خرج إليهم في لباس رفيع فقال بعضهم : هذا لباس الملوك فكيف يكون هذا ولياً ؟ فلما استقر المجلس بهم قال للمتكلم : أنا قطب وقي ، وهذا هو اللباس اللائق بي (4) أو نحو هذا ، وأخبر الآخر عن جاريته وأنها عوفيت ، وكان رجل قد خبأ له دلاعة من الصيف ، فأتاه بها ذلك اليوم ، واستحضر خبزاً على الوصف فقال للمشتهي : تطلبت ما لا يكون فيها هو ذا قد جاء الله به .

وحدث أيضاً أن بعض الناس ممن كان مملقاً دوام حياته ذهب إلى سيدي محمد الشرقي المذكور فاشتكى إليه الفقر فقال له : اذهب فقد رفع الله عنك الفقر ، قال : فذكر ذلك للوالد رحمه الله يعني سيدي محمد ابن أبي بكر . فقال : كلام الشيخ لا مطعن فيه ، ولكن يا عجباً أين يذهب الفقر عن فلان ؟

- (1) في س وحدها : « يحكون » .
- (2) في ح : « فأظهر » وهو تصحيف .
- (3) في « تاج العروس » ما نصه : « الدلاع كرمان : نبت وأيضاً : البطيخ الشامي بلغة المغرب ، الواحدة بهاء ، وفي توارينهم : سم مولاي إدريس في دلاعة » .
- (4) في ح : « لي » . بدل : « بي » .

فهذا لا بد له من مخرج ، قال فلم يلبث ذلك الرجل أن مات عاجلاً ، فكان ذلك هو ارتفاع الفقر عنه واستراحته منه .

قلت : ومن معنى هذه (5) ما حدثوا عن بعض صلحاء مراكش القرباء العهد أنه جاءه إنسان فقال له : يا سيدي إن الصلاة تثقل علي ، فعسى أن ترفعها عني فقال له <على الفور> (6) <قم> (7) قد رفعها الله عنك ، فلم يقم إلاّ مجنوناً خارجاً عن التكليف ، والله على كل شيء قدير .

وقد شهدت (8) أنا بعض الناس ممن كان ذا رياسة ودنيا فنكب وذهب ماله كتب معي كتاباً إلى أستاذنا الإمام ابن ناصر رضي الله عنه يشكو عليه بما نابيه وما تخوف من العيلة والضيعة ، فأجابه الأستاذ بكتاب وفيه : فلا تخشى (9) الفقر ، فاتفق أن مات ذلك الرجل عن قريب ، فكان ذلك راحته مما خاف .

لله الأمر من قبل ومن بعد

- (5) كذا في الأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما : « هذا » مذكراً .
- (6) ما بين العلامتين ساقط من س .
- (7) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (8) في ح وحدها : « شاهدت » .
- (9) كذا بالأصل ، ومثله في س ، والوجه فيه إن جاء رواية أن تكون لا قبله نافية ، ورسم في ك و ح : « تخش » بحذف الآخر على أن لا قبله نافية .

[القاف المعقودة]

حدثني الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن المرابط الدلائي قال : كنت مع والدي رحمه الله ، وأظنه قال في درب الحجاز نزولاً ، فإذا بعجوز أعرابية مرت بنا (1) وقد رفعت عقيرتها (2) وهي تقول :

حج الحجيج وناقتي معكولة يا رب يا مولاي حل عكأها

بقاف معقودة على ما هو لغة العرب اليوم ، قال : فقام أبي يهرول وراءها عجباً بما سمع من كلام العرب في غير زمانه .

والظاهر أنها أرادت بالناقة نفسها ، وأنها لم تنشرح لهذا الأمر ، أو أرادت تمثيل حالها في عدم التحرك بحال الناقة المعقولة أو حال من ناقة معقولة .

ومثل هذه اللغة ما حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري قال : حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام قال :

(1) في ك : « بهما » .

(2) في « التاج » : « العقيرة ما عقرت من صيد أو غيره فعيلة بمعنى مفعولة ، والعقيرة صوت المغني إذا غنى ، والعقيرة صوت الباكي إذا بكى ، والعقيرة صوت القارئ إذا قرأ ، وقيل : إن أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل رفع عقيرته » .

إن گیل زرتم بما رجعتم ؟ یا أكرم الرسل (3) ما نگوید؟

بالقاف المعقودة ، فسمع من الروضة بتلك اللغة :

گولوا رجعتنا بكلّ خير واجتمع الفرع والأصول

تله الأمر من قبل ومن بعد

(3) في ح : « الخلق » بدل : « الرسل » .

[الكسكسون والتداوي بالشيء المعتاد]

وجدت في بعض التقايد لبعضهم ما معناه: لو رأى أرسطو قدر البرنس (1) في اللباس، والكسكسون (2) في الطعام، والحلق بالموسى، لاعترف للبربر بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك، انتهى.

وقد كتبت الكسكسون بالنون على ما وجدته مكتوباً بخلاف ما ينطق به الناس، وبالنون، حدثنا الرئيس الأجل أبو عبد الله محمد الحاج المتقدم الذكر قال: ذهب رجلان فاضلان من بلاد المغرب، وأظنه قال: أخوان، فدخلوا بلاد الشام، فمرض أحدهما وطال به المرض حتى يئسوا منه، فرأى الآخر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أطعموه الكسكسون بهذه العبارة. قال: فاستصنعوه له فأكله فبريء، وهذا إما خصوصية لهذا الطعام، أو

(1) في الأصل «البرس» وهو خطأ، وفي ك و س «البرنوس» بالواو بين النون والسين، وفي الطبعة الفاسية «البرنس» بدون واو وفي «اللسان»: «البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به دراعة كان أو مطراً أوجبة»، وفي حديث عمر رضي الله عنه: سقط البرنس عن رأسي، الجوهري: البرنس قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام، وقد تبرنس الرجل إذا لبسه، قال: وهو من البرس بكسر الباء: القطن والنون زائدة، وقيل إنه غير عربي، ومثله في «التاج» ولم يذكر كلاهما «البرنوس بمد النون».

(2) في «تذكرة الانطاكي» ما نصه: «كسكو: اسم بالمغرب لما يرطب من الدقيق بنحو السمن ويفتل مستديراً ثم يعطى فوار الماء ويعرق بأوراق اللحم، وأجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تفويره، وهو جيد الخلط كثير الغذاء، إذا أكل بالعسل أو السكر سمن الأبدان القضيقة، وولد الدم الجيد، وينبغي لمن به الريح ألا يأكله بخضر ولا بدون العسل، والمحروور أن يأكله بالخضر، ولا يكثر من دهنه، ومتى أكل على الشبع ولد السدد والتخم».

بذكره صلى الله عليه وسلم ، فيثبت له الشرف ، ويستدرك بذلك ما فاته من كونه لم يأكله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وإما من باب ما تقرر من أن دواء الجسم عادته .

وقد دخلنا مدينة فاس - حرسها - عام (3) تسع وسبعين وألف فأصابني إسهال مفرط ، وطال <بي> (4) وكان الطبيب يعني بأمرى ، فلم يترك دواء يستحسنه إلاّ صنعه (5) لي ، فلما لم يفد ذلك أرسل في غيبة مني إلى عيالي يقول لهم : انظروا إن كان <ثم> (6) من الطعام ما يعتاده في بلده فأطعموه ، فذكروا الأقط (7) واصطنعوا عليه طعاماً فأكلته فعافاني الله تعالى .

وقد أصابني مرة أخرى ذلك فدخلت على السلطان رشيد ابن الشريف . وكان يكرمني ويجلني ، فرأى تغيراً في وجهي ، فسألني فأخبرته فقال : وماذا صنعت من علاج ؟ فقلت له : إن الطبيب يصنع لي شراب (8) الريحان . فتضحك ثم (9) قال : سبحان الله ! ما لنا ولشرب الريحان ؟ وأين عهدناه (10) ؟

- (3) في س : « سنة » .
(4) ما بين العلامتين ساقط من ن .
(5) في س : « وصنعه » مع الواو .
(6) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(7) في « مصباح الفيومي » : « الأقط » يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها .
(8) في « تذكرة الأنطاكي » : « الأشربة من التراكيب القديمة المعتبرة ، والقانون في طبخها أن يؤخذ الماء بما له ماء كالليمون ، وعصارة ما ليس له ماء كالحماض ، ويطبخ ما صلب كالفتح » ثم ذكر أصنافاً من الأشربة دون أن يذكر فيها شراب الريحان الذي تسمى به أنواع كثيرة من الأحباق .
(9) في ك : فقال .
(10) كذا بالأصل ومثله في س و ك ، لكن ناسخ ك عاد فجعلها « عهده » في الطرة ، وفي ح « عهده » بضمير المفرد .

خذ سويق (11) الشعير واخلطه (12) بالماء فذلك دواؤه ، ثم ضحك فقال :
هذه مثل قصة العمراني الشريف ، بات في ملوية عند بني فلان فجعل يقول :
أعندكم شيء من شراب (13) رمانتين ؟

وهذا أعني التداوي بالشيء المعتاد . ولو في الأعراق (14) أمر شهير
واضح ، وقد ذكره ابن الحاج (15) رضي الله عنه في « المدخل » (16) وذكر
قصة الملك النصراني الذي مرض فأعيا الأطباء علاجه حتى جاء بعض أهل
الخبرة فسأل أمه وقال : إن أردت أن يعافى ابنك فاصدقيني عنه ، فقالت :
نعم ، كان أبوه عقيماً ، فلما خفت ذهاب ملكهم مكنت أعرابياً كان عندنا
من نفسي ، فهو أبو الملك ، فقال الرجل على الفور : علي بحوار (17) فجيء

(11) في « تذكرة الأنطاكي » : « سويق : في الحبوب يراد به ما جود تحميصه وطحنه ثم غسل
دفعه بماء حار وأخرى ببارد ليزول ما اكتسبه في القلي من اليبس والحرارة ، وغاية أسوطة
الحبوب قوت المنقطعين وسكون اللهب والعطش والحميات ، وسويق الشعير غاية في غالب
أمراض الأطفال ، وفي الفواكه ما جفف وسحق بعد قليه ، وغايته قطع الإسهال المزمن
والحرارة والحرقة والحشونة وطغيان الدم خصوصاً سويق النبق والتفاح » .

(12) في ك و س : « واختلطه » وهو خطأ .

(13) في « تذكرة الأنطاكي » : « شراب الرمان الحامص يسكن المرار ويقوي المعدة ويقطع
الإسهال والدم » .

(14) جمع عرق بكسر العين وسكون الراء ، وهو أصل الشيء وما يقوم عليه ، وأراد به أصوله
من الآباء والأجداد .

(15) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري التلمساني المالكي الشهير بابن الحاج الفاسي
من العلماء العاملين توفي سنة 737 هـ .

(16) هو « كتاب المدخل » ، أو « مدخل الشرع الشريف » كشف فيه عن المناكر والبدع
التي يأتيها الناس متساهلين مترخصين وقد طبع « المدخل » بالإسكندرية في ثلاثة أجزاء عام
1291 هـ ثم طبع ثانية عام 1320 هـ .

(17) في « القاموس » ما نصه : « الحوار بالضم وقد يكسر ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن
يفصل عن أمه » .

به وذبح وشوي قدامه وهو يشم رائحته ، فكان ذلك بإذن الله تعالى سبب برثه .

وهذا من العجب . فإن هذا الملك الظاهر أنه ما أكل قط لحم الحمل .
وإنما العروق نزعتة (18) فكيف بمن اعتاد أكل الطعام وربما عليه جسمه .

ومن أظرف ما وقع في هذا ما حدثني به الطبيب المذكور ، وهو الفاضل
أبو عبد الله محمد الدراق (19) الفاسي . قال : < كنت > (20) دخلت
طنجة بقصد ملاقة الأطباء ورؤية الشخص الذي صوروه لتعلم التشريح معاينةً ،
قال : فكان بعض أطباء الروم هنالك يعجب من أكلنا الكسكسون المذكور
ويضحك منا ويقول : إنما تأكلون العجين في بطونكم ، قال : فبينما نحن
كذلك إذ دخلت عليه يوماً فوجدته عند رأس مريض محموم شديد الحمى
وهو يسقيه الخمر ، قال : فقلت له : ما هذا الذي تصنع أنت ؟ وأي مناسبة
بين الخمر والحمى والكل في غاية الحرارة ؟ فقال : إنها لن تضره لاعتياده
لها ، فإنه قد كان يرضعها من ثدي أمه ، وهو طفل صغير ، قال فقلت له :
سبحان الله ! ونحن هكذا كنا نرضع ما تنكر من الكسكسون من ثدي أمهاتنا
ونحن صغار ، فأني شيء يضرنا ؟ فقال : صدقت ، ولم يجد ما يقول .

ومن هذا المعنى اختلفت طباع (21) الناس في الطعام باختلاف الإلف
والعادة ، فكلّ يستمرىء ما يألفه من الطعام ويشتهيهِ ويعاف الآخر ، قال

(18) أراد أنه أشبه أصوله وعاد بأحواله إليها وضرب إليها بالشبه ، وجاء في الأثر : « انظر
في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » .

(19) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو ما في الطبعة الفاسية أي بألف ولام فдал فراء بعدها
ألف فقاف في الآخر هكذا : « الدراق » والمعروف فيه « أدرق » بهمزة مفتوحة بعدها
دال مفتوحة مخففة من بعدها راء مشددة فألف فقاف ، وليحرر ما يصح فيه .

(20) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(21) كذا في الأصل ، ومثله فيس ، أما ك ففيها : « طبائع » وهو ما في صلب ح .

صلى الله عليه وسلم في الضب : « إِنَّهُ لَيْسَ بِأَرْضِ قَوْمِي فَتَجِدُنِي
أَعَافُهُ » (22). فعلى ذلك بكونه ليس في أرضه .

ودخلت في أعوام الستين وألف مدينة مراکش عند رحلتي في طلب العلم
وأنا إذ ذاك صغير السن ، فخرجت يوماً إلى الرحبة أنظر <إلى> (23)
المداحين ، فوقفت على رجل مسن عليه حلقة عظيمة ، وإذا هو مشغول بحكاية
الأمور المضحكة <للناس> (24) . فكان أول ما قرع سمعي منه أن قال :
اجتمع الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدرراوي فقالوا : تعالوا
فليذكر كل منا ما يشتهي من الطعام ، ثم ذكر ما تمناه كل واحد بلغة بلده ،
وما يناسب بلده ، ولا أدري أكان ذلك في الوجود أم شيء قدره ، وهو
كذلك <يكون> (25) ، وحاصله أن الفاسي تمنى مرق الحمام ، ولا ينبغي
الزحام ، والمراكشي تمنى الخالص واللحم الغنمي ، والعربي تمنى البركوكش
بالحليب والزبد ، والبربري تمنى عصيدة انلي وهو صنف من الذرة (26)

(22) في موطأ الإمام مالك ما نصه : « حدثني مالك عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن
حنيف عن عبد الله بن عباس عن خالد بن الوليد بن المغيرة أنه دخل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بضرب محنوذ فأهوى إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما يريد أن يأكل منه ، فقيل : هو ضب يا رسول الله ، فرفع يده
فقلت : أحرام هو يا رسول الله ؟ فقال : لا . ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه ،
قال خالد : فاجترته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر . »

(23) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(24) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(25) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(26) في ك و س و ح : « الذرة » بدال مهملة وهو تصحيف .

بالزيت ، والدرأوي تمنى تمر الففوس في تجمدرت (27) وهو موضع بدرعة يكون فيه تمر فاخر ، مع حريرة أمه زهراء ، وحاصله تمر جيد وحريرة .

ولو عرضت هذه الحريرة على العربي لم يشربها إلا من فاقة ، إذ لا يعتادها مع الاختيار ، ولو عرضت العصيدة على الفاسي لارتعدت فرائصه من رؤيتها ، وهكذا .

وأغرب شيء وقع في أمر الاعتياد ما حكى في جارية الملك الهندي مع الاسكندر < فإن الاسكندر > (28) لما دوخ الملوك واستولى على الأقاليم احتال بعض ملوك الهند في هلاكه ، وكانت عنده جارية بديعة الحسن كاملة الأوصاف ، فجعل يغذيها بالسموم ، ويتلطف لها حتى اعتادت ذلك ، ثم تناهت إلى أن تطبعت بذلك وصارت مسمومة ، فأهداها للإسكندر ، وقصد بذلك أن يمسخها فيهلك ، وهذا غريب .

وقد ذكر الأطباء هذه الحكاية فاستغربوا شأنها ، وقد ذكرنا في اختلاف البلدان مع اختلاف طبائع الناس بها فيما مر ما يقرب من هذا المعنى ويرشحه .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(27) رسمت الكلمة في الأصل بتاء مثناة من فوق ، بعدها جيم منقوطة بثلاث من فوق ، فميم ، فдал ، فراء ، فتاء مبسوطة في الآخر ، ومثله في ح ، ولكن الجيم فيها نقطت بواحدة من أسفل ، فأما ك و س ففيهما « تمجدرت » بتقديم الميم على الجيم ، والجيم في ك بثلاث من تحت ، وهي في س بواحدة من أسفل ، ثم ليحرر ما يصح فيه .

(28) ما بين العلامتين سقط من س .

[الدنيا وما فيها عرض زائل]

من كلامهم : ما أدري أسلم أو (1) ودع ، وهو <مذكور> (2) في قصر الزيارة ، ونحوه قولهم : ما سلم حتى ودع ، وقال فيه الشاعر (3) :

بأبي من زارني مكتتما خائفاً من كلِّ حسِّ (4) جزعا
 حذيراً نَمَّ عليه نُورُهُ (5) كيف يُخفي الليل بديراً طلعا
 رصد الحلوة (6) حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
 كابد الأهوال في زورته ثمَّ ما سلم حتى ودعا

وقال العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم ؟ فقرننا وداعهم بالسؤال
 ما أناخوا حتى ارتحلنا فما نفد رِقُ بين النزول والترحال

وقال محمد بن أمية الكاتب :

- (1) فيك : « أم » .
- (2) ما بين العلامتين ساقط من س .
- (3) هو أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم المعروف بالعكوك (بفتح العين والكاف بعدهما واو مشددة مفتوحة) من فحول الشعراء في العهد العباسي ، مات مقتولا سنة 213 هـ والشعر نسبه إليه الخليلي في « وفياته » (3 : 35) .
- (4) رواية ابن خلكان : « شي » .
- (5) رواية ابن خلكان : « حسنه » .
- (6) في ح : « الغفلة » ومثله عند ابن خلكان .

يا فراقاً أتى بعقب فراق واتفاقاً جرى بغير اتفاق
 حين حطت ركابهم لتلاق زفت العيس منهم لانطلاق
 إن نفسي بالشام إذ أنت فيها ليس نفسي نفسي التي بالعراق
 أشتهي أن ترى فؤادي فتدري كيف وجدني بكم وكيف احتراتي

وقال الحسين (7) بن الضحاك :

بأبي زور تلفت لـه فتنفست عليه الصُّعدا (8)
 بينما أضحكُ مسروراً به إذ تقطعت عليه كمدا

وكنت خرجت ذات مرة لزيارة أقاربي فلقيت أختاً لي ، فبنفس ما سلمت
 عليّ جعلت تبكي ، فقلت لها : ما يبكيك ؟ أليس هذا وقت سرور (9)
 وفرح ؟ فقالت : ذكرت يوم فراقك ، فقلت في ذلك :

(7) بالأصل «الحسن» وهو كذلك في ك و س و ح ، ولعل الصواب فيه الحسين بلفظ التصغير ،
 وهو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، شاعر عباسي عرف بلقب الخليع ، وبشأه
 يقول ابن المعز في كتابه «طبقات الشعراء» : « هو أحد المقتنين في الشعر ، جيد المدح ،
 جيد الغزل ، جيد الهجو ، كثير المجون ، صاحب جد وهزل ، وهو عندهم في بحار
 أبي نواس ، بل هو أنقى شعراً وأقل تخليطاً منه» . وقال عنه الخلكاني في «وفياته» :
 « اتصل في مجالس الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم الموصلني النديم ، فإنه
 قاربه في ذلك أو ساواه ، وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته ، وكانت وفاته سنة
 خمسين ومائتين وقد قارب مائة سنة» .

(8) في «اللسان» : «الصعداء بالضم والمد تنفس ممدود ، وتصعد النفس صعب مخرجه ، وهو
 الصعداء ، وقيل : هو النفس إلى فوق ممدود وقيل : هو النفس بتوجع ، وهو يتنفس
 الصعداء ويتنفس صعداً» . وبعض كتابنا اليوم يستعمل العبارة المذكورة بمعنى انفراج
 الغم وزوال الكرب ، فتصبح على عكس ما كان يراد منها في العربية الصحيحة .

(9) كذا بالأصل وهو ما في ك و س أما ح ففيهما : «وبرور» بدل : «وفرح» .

ومحزونة بالبين طال بها الجوى علينا وشوق بالجوائح لداغ (10)
تبيت وجفناها يباريهما الحيا وما تحت جنبها من الفرش لداغ (11)
إلى أن تسخى الدهر بالوصل بيننا ولاح ضياء للمسرات بسزاغ
فلما انقضى التسليم ما بيننا بكت وقاض لها دمع من العين نشاغ (12)
فقلت : ألم يأن السرور ولم يسدر شراب للقيان الأحباء سواغ
فقلت : تذكرت الفراق غداً فذا لقلبي عن تلك المسرات صداغ (13)
فيسا لك من حزن يباري مسرة بسهمين كل في المناضل (14) بلاغ

(10) كذا بالأصل وتشكلها الناسخ بفتح اللام فكانت صيغة مبالغة من اللدغ الذي هو العض بالفم والأنياب وفي ك : « لداغ » ، بذال معجمة وهو تصحيف لأن الذال والغين المعجمتين لا يتجاوران في اللسان العربي قال صاحب « التاج » من مادة « لدغ » « قال شيخنا : واللدغ للحارات كالنار ونحوها ، ومن جوز إعجام الذال مع الغين المعجمة في معناه فقد وهم لما علم أن الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية » وفي س لداغ كالذي في الأصل ولكن أكنسوس كتب على الطرة بخط يده إصلاحاً هذه عبارته : « لواغ - يقال : لاغه إذا لزمه » فلداغ عنده بالذال تصحيف من لواغ بالواو .

(11) شكل ناسخ الأصل اللام من لداغ هذه بالنضم شكل قلم ، وأراد بذلك أن يبين للقارئ أن قافية البيت الأول تختلف عن قافية البيت الثاني لفظاً ومعنى فيكون الشعر سالماً من الإيطاء ، أما لدغ على ما شكله الناسخ فقد فسره الزبيدي في التاج « فقال : « قال ابن عباد : اللداغ كزئار الشوك وطرفه المحدد » . وهم يقولون فيمن ينبو به الفراش كأنه ينام على الشوك ، وفي معنى ذلك ما قال النابغة :

فبت كأن العائدات فرشن لي هراساً به يعلى فراشي ويقش

(12) كتب أكنسوس على طرة مخطوطته بخط يده : « نشغ الماء إذا سال » . وفي « التاج » : « نشغ الماء في الأرض كمنع سال » .

(13) في طرة س بخط أكنسوس ما نصه : « يقال صادغه إذا عارضه » . وفي « اللسان » « صدغه عن الأمر يصدغه صدغاً صرفه يقال : ما صدغك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وردك » وصداغ هنا فعال من ذلك .

(14) كذا بالأصل ومثله في ك و ح أما س ففيها وحدها : « المناظر » بدل المناضل .

ويا لك من نعمى ببؤسى مشوبة كماشاب محضاً بالدم المور (15) نساغ (16)
بل الشر في الدنيا على المرء صائل لجوج عليه الدهر والخير رواغ
على أن لطف الله للعسر دامغ كما الحق منه للأباطيل (17) دماغ

واعلم أن أمور الدنيا مشوبة خیرها بشرها ، وحلوها بمرها ، ثم هي
متبدلة <متغيرة> (18) لا تكاد تثبت في حد ، ولا تقف على مركز ،
وحكمة ذلك شيان :

أحدهما أن الدنيا لما جعلت مقدمة للآخرة يقع فيها الاستعداد للدخول
الجنة والنجاة من النار جعلت مظهراً لما هنالك من نعيم وعذاب ، ودالة عليه ،
ومذكرة له . وقاضية بالترغيب والتنفير ، فلم تجعل خيراً محضاً ، وإلا نسي
العذاب ، ولا شراً محضاً ، وإلا نسي النعيم ، وأيضاً جعلت دالة على أوصاف
الرب المنشىء لها ، سبحانه ، من جمال وجلال لتحصل المعرفة لعباده ، وهذا
كله كلام واسع الذيل لو بسطناه ، والإشارة تكفي .

الثاني أنها حادثة حادث ما فيها ، وشأن الحادث أن يتبدل من عدم إلى
وجود ، ومن وجود إلى عدم ، ذاتاً وصفة وحالاً ، ومكاناً وزماناً ، فلزم

(15) كذا بالأصل وهو ما في ك و س أما ح ففيها : « النزر » بدل المور وكتب أكنسوس في

طرة س بخط يده ما نصه : « مار الدم جرى موراً كأنه وصفه بالمصدر مبالغة كزيد عدل » .

(16) في المخطوطات الثلاث وفي ح : « نساغ » بشين معجمة وهو على ما يبدو تصحيف صوابه :

« نساغ » بسين مهملة وكذلك رآه أكنسوس فكتب بخط يده على طرة مخطوطته ما نصه :

« نساغ - يقال نساغ اللبن بالماء إذا منقه » . وفي « مقاييس ابن فارس » : « النون والسين

والغين أصل يدل على غرز شيء بشيء ، ونساغ الحبة غرزها بریش الطائر ، ونسفت

الواشمة اليد بالإبرة ، ثم يقولون : نسفت الدابة برجلي ليشور ، ثم يتوسعون فيه فيقولون :

« نسفت اللبن بالماء منقته » .

(17) كذا بالأصل ومثله في ك و س و ح وحدها : الأباطل « بدون الياء » .

(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .

من ذلك التحول من عز إلى ذل ، ومن غنى إلى فقر ، ومن اجتماع إلى افتراق ، ومن ارتفاع إلى اتضاع ، ومن سرور إلى حزن ، ومن صحة إلى سقم ، وبالعكس في الجميع إلى غير ذلك .

وفي الحديث : كانت العضباء ، وهي ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم . معروفة لا تسبق . فجاء أعرابي على قعودٍ (19) فسبقها ، فقالوا ، سبقت العضباء . وشق ذلك على المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ لَنَ لَنَ (20) يَرْفَعَ شَيْئًا مِّنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ » .

وقد جاء رجل إلى بعض الوزراء فقال له : إني رأيتك فيما يرى النائم طالماً على رأس نخلة أو شجرة . ورأيت فلاناً يعني وزيراً آخر كان يساميه في المرتبة أنه شرع في الطلوع ولم يصل بعد إلى أعلاها ، وأراد بذلك أن يبشر الوزير ليستجديه (21) فقال له الوزير ، وكان ذا فطنة : يا أخي اذهب إلى فلان ليعطيك ، فإنه في الزيادة ، وأما أنا فقد انتهيت ، وليس بعده إلا الانحطاط .

(19) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « القعود ذكر القلاص ، وهو الشاب ، قيل سمي بذلك لأن ظهره اقتعد ، والجمع قعدان بالكسر » .

(20) كذا في الأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « لم » بدل : « لن » .

(21) في الأصل « ليستجديه » بذال معجمة ، وكتب على طرفها ما لفظه وخطه « عله بالزاي ليستجزيه : اللهم إلا إذا كان من الجنوى » . (كذا بالذال المعجمة وبألف التانيث المقصورة) ، وهذا الذي في الأصل هو الذي في مخطوطة أكنسوس ، ومن العجيب أنه كتب عليه بخط يده علامة « صح » وفي الكتانية : « ليستجزيه » بالزاي أما الفاسية ففيها : « ليستجديه » بدال مهملة أي يطلب جدواه وهو الذي طبعنا عليه .

وقد أذكرتني [هذه الحكاية] (22) حكاية أبي عبد الله (23) وزير المهدي ، وكان متمكناً في منزلته عنده ، ثم إن الخليفة زاره في داره ذات مرة ، وكانت زيارة الخليفة لخواصه في عرفهم ليس فوقها درجة تطلب ، فلما همّ بالانصراف أخذ الوزير يدفع (24) له من نفائس الذخائر ما يليق بتجهيزه ، ثم جعل يبكي ، فقال الخليفة : ما يبكيك ؟ لقد علمت أن فيك بخلاً تسميه حزماً ، فإن كان بك ما أعطيت أعفيناك منه ، فقال أبو عبد الله : والله ما بكيت للمال ، وللدنيا كلها أحقر شيء في حقك . ولكن علمت أن زيارتك لي درجة ليس فوقها درجة ترام ، فأخاف الآن من السقوط ، فلما رأى ذلك أشفق وأعطاه من العهود والمواثيق أن لا يغدر به ، ولا يسمع فيه قول قائل ما (25) اطمأن به ، فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى سعوا فيه . فنكب . وقصته (26) مشهورة . والعامّة يقولون :

(22) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .
(23) هو يعقوب بن داوود بن عمر بن عثمان بن طهمان السلمي ، كان أبوه داوود كاتباً لنصر بن سيار عامل خراسان في أواخر الدولة الأموية ، وكتب هو لإبراهيم بن عبد الله ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي الذي خرج هو وإخوته على دولة بني العباس ، حتى إذا كانت خلافة المهدي تقرب يعقوب هذا منه ، فنال عنده حظوة ، وكبرت منزلته حتى اتخذ أخاً له ، وكتب بذلك كتاباً يعلم فيه أنه آخى بينه وبين يعقوب ، ففي ذلك يقول سلم الحاسر :

قل للإمام الذي جاءت خلافته تهدي إليه بحق غير مردود
نعم القرين على التقوى أعنت به أخوك في الله يعقوب بن داوود
ثم استوزره وفوض إليه شئونه ووكل إليه كل هام من أمور الخلافة، وأقبل هو على
متعته وملذاته ، فقال في ذلك بشار يحرض عليه :

بي أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتسوا حليفة الله بين الساي والعود

(24) في ك : « يرفع » بالراء .
(25) في ح : « فاطمأن » وهو تحريف .
(26) ذكر القصة ابن الطقطقي في كتابه المسمى « بالفخري في الآداب السلطانية » فقال : =

ثلاثة ليس لها أمان البحر والسلطان والزمان

وفي هذا المعنى الذي نحن فيه قيل (27) :

توقى البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل

وإذا كانت الدنيا وما فيها عرضاً زائلاً لا ثبات له فلا ينبغي لعاقل أن يتبجح بخيرها ولا أن يجزع من شرها ، بل إذا كان حلوها تتوقع بعده المرارة ومرها ترجى (28) بعده الحلاوة فقد صار حلوها مرأً <ومرها حلواً> (29) وإذا كان المفروح به منها لا يبقى فهو بصدد أن يكون محزوناً عليه قل أو كثر ، فكثرة الفرح بها إذن مقدمة كثرة الحزن ، فلا ينبغي أن يتلفت إليه. وقال الشاعر :

= « حدث يعقوب بن داوود قال : «استدعاني المهدي يوماً وهو في مجلس في وسط بستان ، وبين يديه جارية ، فقال : « كيف ترى هذا المجلس ؟ قلت : في غاية الحسن ، فهناً الله أمير المؤمنين ، قال : فهو لك وجميع ما فيه ، وهذه الجارية ، فدعوت له ، قال : ولي إليك حاجة ، قلت : أنا عبدك الطائع ، فدفع لي رجلاً علوياً وقال : أحب أن تكفيني أمره ، فقلت : سمع الطاعة ، ثم نقل جميع ما كان بالمجلس إلى منزلي والجارية أيضاً ، فمن شدة سروري بالجارية جعلتها في موضع قريب من مجلسي ، وأدخلت العلوي إلي وخاطبته فقال لي : تلقى الله بدمي وأنا ابن علي وابن فاطمة ؟ فقلت : لا والله ، خذ هذا المال وانج بنفسك ، والجارية تسمع كل ذلك ، فأرسلت دسيساً أعلمه بالقصة ، فأرسل المهدي وشحن الدروب بالرجال حتى حصل على العلوي وجعله في بيت قريب من مجلسه ، ثم استدعاني فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قلت : قد أراح الله منه ، قال : مات ؟ قلت : نعم ، قل : بالله ، قلت : إي والله ، فقال لبعض الخدم : اخرج إلينا من في هذا البيت ، فأخرج العلوي فقال : قد حل دمك ، احمليه إلى المطبق . . . » وانظر بقية القصة في « الفخري » (ص 137 - 138) وانظرها أيضاً في « وفيات الخلكاني » (6 : 22 - 23) .

(27) البيت لأبي العلاء المعري من قصيدته السقطية التي مطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

(28) في ح : « ترجع » بدل : « ترجى » .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

على قدر ما أولعت بالشيء حزنه ويصعب نزع السهم مهما تمكنا
وقال الآخر (30) .

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا
فإن صلاح المرء يرجع كله فساداً إذا الإنسان جاز به الحدا

وفي «الحكم العطائية» (31): ليقلاً ما تفرح به يقل ما تحزن عليه (32)
وذكر شارحها ابن عباد (33) رضي الله عنه أنه حمل لبعض الملوك قدح من
فيروزج (34) مرصع بالجواهر لم ير له نظير . ففرح الملك به فرحاً شديداً .

(30) في «ثمار القلوب» للشعالبي : «قال بعض الفلاسفة : القية ينوع الأحزان ، وقال
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره ألا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا»

(31) تقدم التعريف بها .

(32) كتب الشيخ زروق في شرحه على الحكم بإزائه ما نصه : «وليكثر ما تفرح به يكثر ما
تحزن عليه ، لأن الحزن بالفقدان على قدر الفرح بالوجدان» .

(33) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفري نسبة ،
الرفندي مولداً ، المالكي مذهباً ، شاذلي طريقة ، ولد برندة سنة 733 هـ وارتحل إلى
تلمسان وطنجة وسلا ، وبها لقي ولي الله ابن عاشر المرسي فلازمه وأخذ عنه ، وتلقى
منه الطريقة الشاذلية ، ثم ارتحل بعد وفاته إلى فاس فأقام بها وتولى إمامة القرويين وخطبته
وبقي بها إلى وفاته التي كانت سنة 792 هـ . أما شرحه عليها فاسمه : «غيث المواهب
العلية ، في شرح الحكم العطائية» وهو مطبوع ، وآخر طبعاته تلك التي صدرت عن
مطبعة السعادة بالقاهرة في جزأين بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن
الشريف سنة 1970 م .

(34) تكلم عنه ابن الأكفاني في كتابه «نخب الذخائر» ، في أحوال الجواهر «فقال : «القول
على الفيروزج : «اسمه بالفارسية «النصر» ولذا يسمى حجر الغلبة ، ويسمى أيضاً :
«حجر العين» لأن حامله يدفع عنه شرها ، والمشهور عنه أنه يدفع الصواعق ، وهو حجر =

فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ فقال : أراه مصيبة وفقراً ،
قال : وكيف ذلك ؟ قال : إن انكسر مصيبة [لا جبر لها] (35) وإن سرق
صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من
المصيبة والفقير ، فاتفق أن انكسر القدر يوماً فعظمت مصيبة الملك فيه وقال :
صدق الحكيم ، ليته لم يحمل إلينا (36) ، وقال الشاعر (37) :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وفي « الحكم » أيضاً : إن أردت أن لا تعزل فلا تتولَّ ولاية لا تدوم
لك . وهذا صادق في الولاية نفسها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم فيها :
« نِعِمَّتِ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ » وفي غيرها من كل ما يتناوله
الإنسان من الدنيا زائداً على قدر الضرورة أو يصحبه من أهلها ، فكل ذلك
لا يخلو من علاقة بالنفس . ثم هو لا يدوم إما أن تفارقه أو يفارقك ، فمآله
إلى الحسرة والأسف .

= أزرق أصلب من الازورد ، يجلب من أعمال نيسابور ، وكلما كان أرطب فهو أجود ،
قال أبو الريحان : أعظم ما وجد من الفيروزج وزن مائة درهم ، ولم يوجد من الخالص
منه غير المختلط بشيء غيره إلا وزن خمسة دراهم ، وبلغت قيمته مائة دينار ، قال ابن
زهر : إن الملوك تعظم هذا الحجر لأنه يدفع القتل عن صاحبه ، ولم ير في يد قتيل قط ،
ولا في يد غريق ، وإذا شرب منه نفع لدغة العقرب .

(35) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن ك فأضفناه رواية عن س وح .

(36) هذه الحكاية التي أوردنا اليوسي هنا توجد بالنص في « غيث المواهب العلية » ، بطبعته
المشار إليها قبلاً (ج 2 ص 117) .

(37) في مجالس ثعلب (1 : 209) بتحقيق عبد السلام هارون : « أنشدنا أبو العباس قال :
أنشدنا عبد الله بن شبيب :

فمن يحمد الدنيا لحسن بلائها البيتين »

والبيتان في « شرح الشريشي على المقامات » (1 : 86) بلون نسبة .

وكنت في سفرتي إلى السوس الأقصى لقيني فقير من شبانة فصحبني أياماً
قلائل وأنس بي ، فلما بلغنا المحل ودعته فرأيتته يبكي على فراقه ، وسمعتة
يقول : لا تعرف أحداً ، ويكرر هذا الكلام ، أي إذا كنت أيها العاقل تعلم
أن الذي دخل في قلبك سوف تفارقه فيتألم قلبك عليه فلا تسع في دخول أحد
فيه بمعرفتك له ، ولا تعرف أحداً ، واترك قلبك خالياً مستريحاً .

رأى الأمر يُفْضِي إلى آخرِ فصير آخره أوّلاً (38)

وهذا كله من واد واحد والكلام فيه يتسع .

نعم إن أمكنك أن تدخل في قلبك من لا يخشى عليه الزوال والهلاك
والفناء فافعل ، وليس ذلك إلا الحق تعالى ، فمن أحبه فهو جدير أن يدوم
محبوبه ، ومن أنس به فهو جدير أن يدوم أنسه ، ومن استعز به دام عزه .
ومن استغنى به دام غناه ، كما قيل :

ليكن بربك عز نفقك يستقرّ ويثبت
وإن اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

لله الأمر من قبل ومن بعد

(38) البيت لمحمود بن حسن الوراق شاعر الحكم والمواعظ وقيله :

يمثل ذو اللب في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلاً
رأى الهم يفضي إلى آخر فصير آخره أوّلاً

والأبيات في « عيون الأخبار » (3 : 53) .

[المقامة « الحاخ »]

دخلت مدينة فاس - حرسها الله تعالى - سنة تسع وسبعين وألف ،
إذ خربت الزاوية البكرية ، فأقبلت طلبة العلم للأخذ عني ، وتخلفت جماعة
من المشاهير ، وهم أو جلهم محتاجون إلى المجلس ، وكأنهم غلبهم ما هو
المألوف من الطبع الآدمي في أمثالهم ، وكنت آنست ذلك فيهم ، فاتفق أن
خرجنا لزيارة صلحاء الساحل ، فلما انتهينا إلى مقام الشيخ أبي سلهام جلسنا
على شاطئ البحر :

في عشيّ كأنما اختلسته من نعيم الفردوس نفحة لطف
قد قطفنا به جنّي جنّيّ أذس وعلم أشهى اجتذاب وقطف
وارتضعنا ألد من كأس وصل بعد هجر من ذي وداد وعطف
ولقد كان في الحشا جذوةُ الوجدان فكان منهُ لذلك مطف

فحصل للنفس ارتياح وانبساط ، وتجدد لها عزم ونشاط ، فكتبت
ارتجالاً ما صورته :

حافضة لما انقدح في الفكرة (1) من الشعر ، أذكره بحسب ما اتفق غثاً

(1) كذا هو في الأصل بهاء التانيث ، ومثله في س ، وهو ما في صلب ك ، ولكن ناسخها
كتب على طرفتها : « الفكر » بدون هاء التانيث ، وكتب فوقه خاء علامة على أنه رواية
نسخة أخرى ، أماح ففيها : « الفكر » مذكراً ، وبه تستقيم أولى سجمات المقامة الحافضة .

وسميناً ، <ورخيصاً وثميناً> (2) وجدأ وهزلاً ، وصدقاً وإزلاً (3) .
حتى إذا آن لمضروبه (4) الترويج ، وبلغت بناته أوان الترويج ، دفع الخالص
الإبريز ، وأحظيت (5) الحسان بالتبريز ، وكان الردي (6) أولى أن يكسر أو
يعطل ، والدميمة (7) منه أحق أن تُؤادَ أو تعضل (8) ، هذا وليت شعري ،
ماذا أكتب اليوم ؟ وقد ضاع أكثر شعري :

ليالي كان القلب في موكب الهوى على متن يعسوب (9) من اللهو سابق
وكان الشباب الغضّ فيسنانَ مُورقاً فكانت رياض الغيّ أزهى الحدائق

وللنفسُ إذ ذاك أقدر على القيل والقال ، وأعرف بالسحر الحلال ،
فكنت إذ ذاك أقول الفذ (10) والنتفة والقصيدة عن نشاط إلى القول وارتياح

- (2) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(3) في « صحاح الجوهري » ما نصه : « الإزل بالكسر الكذب ، وأنشد يعقوب :
يقولون إزل حب ليلي وودها وقد كذبوا ما في مودتها إزل
(4) في « اللسان » ما لفظه : « ضرب الدرهم يضربه طبعه ، وهذا درهم ضرب الأمير ،
ودرهم ضرب ، وصفوه بالمصدر ، ووضعوه موضع الصفة ، كقولهم : ماء سكب
وغور » اه . منه . وكان المكان الذي تطبع فيه الدراهم والدنانير يسمى دار الضرب .
(5) في ك و س : « أحضيت بضاد ساقطة ، وهو تصحيف .
(6) في « المصباح » : « ردؤ الشيء بالهمز رداءة فهو رديء على فعيل أي وضع خسيس ،
وردا يردو من باب علا لغة ، فهو ردي بالثقل » اه . والرديء أو الردي من الدراهم
والدنانير المغشوش أو السوء الضرب ، وهو خلاف الجيد ، قال الشاعر :
دراهمنا كلها جيد فلا تحبنا بتقصادها
(7) في المخطوطات الثلاث : « الذميمة » بذال معجمة ، وهو تصحيف صوابه بالمهملة ،
والدميمة : القبيحة المنظر الصغيرة الجسم .
(8) في « المصباح » : « عضل الرجل حرمة عضلا من بابي قتل وضرب منعها الترويج » .
(9) كتب فوقه أكنسوس بخط يده ما لفظه : « فرس حسن الجري » .
(10) أي البيت الواحد المفرد ، ويسمى أيضاً يتيماً ، وفي كتاب « إعجاز القرآن » للباقلاني
(ص 256 - 257 بتحقيق أحمد صقر) ما نصه : « سمعت إسماعيل بن عباد يقول : =

ثم أدع ذلك يذهب مدرج الرياح، ولم أستفق للتقييد، إلا وقد كدت أراهم (11)
التفنيد (12) ويقصر من وسواس النفس باطله ، ويعري أفراس الصبا
ورواحه (13) .

والقلب يرجو أن ترق شفاره وتطول في سبل الهدى أسفاره
ويبين عن شرك الغرور نواره وتلوح في رتب العلى أنواره
فيقل في سوق الصبا أوطاره ويشط عن وطن الهوى أقطاره

ولعمري إن النفس عند هذا أحق أن يجد في طلب الجد جدّها ، ويقف
عند الأهم حدّها ، فتبعد عن قول الشعر بمراحل ، وعن سبل اللهو التي هي
له أفراس ورواحل ، ولكن للنفس فرطات ، ولا بد لها أحياناً من سقطات .
فمن ذلك قولي :

= سمعت أبا بكر بن مقسم يقول : سمعت ثعلباً يقول : سمعت سلمة يقول : سمعت الفراء
يقول : العرب تسمي البيت الواحد يتيماً ، وكذلك يقال : الدرة اليتيمة لانفرادها ، فإذا
بلغ البيتين والثلاثة فهو نتفة ، وإلى العشرة يسمى قطعة ، وإذا بلغ العشرين استحق أن
يسمى قصيداً .

(11) في « القاموس » : « رهقه كفرح غشيه ولحقه ، أو دنا منه ، سواء أخذه ولم يأخذه ، ورهاق
مائة كغراب وكتاب زهاؤها ، وراهاق الغلام قارب الحلم » .

(12) في « أساس البلاغة » : « فلان مفند ومفند إذا أنكر عقله من هرم وخلط في كلامه ،
وقد أفنده الهرم ، وقد فنده صاحبه إذا ضعف رأيه » .

(13) الفقرتان مقتبستان من قول زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله

قال الأعلام الشنتمري في شرح الديوان يوضح معنى قوله : « وعري أفراس الصبا ورواحله »
وقوله : « وعري أفراس الصبا » هذا مثل ضربه أي ترك الصبا وركوب الباطل ، وتقدير
لفظه : « عري أفراس ورواحل كنت أركبها في الصبا وطلب اللهو » والبيت من شواهد
البلاغيين في باب الاستمارة .

ما أنصفت فاس ولا أعلامها . علمي ولا عرفوا جلاله منصبي
لو أنصفوا لصبوا إليّ كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصيب (14)

ثم أثبت في هذه الحافظة ما وقع لي من الشعر في ذلك العهد ، وهو مجموع
في الديوان (15) فلا حاجة إلى الإطالة به هنا ، وإنما الغرض ذكر هذين البيتين
الواقعين على السبب الذي ذكرنا قبل ، وأظن (16) أن البحري وقع له شبه
هذا الشعر في ذم بغداد ، ولكنني لم أقف عليه بعد ، ولم يطرق سمعي حين
قلت ذلك وإنما رأيت بعد ذلك أبا العلاء المعري أشار إلى ذلك منتقداً عليه
حيث قال (17) :

ذمّ الوليدُ ولم أذمّم جواركمُ وقال ما أنصفت بغداد حُوشيتنا
فإن لقيت الوليد والنوى (18) قذف (19) يوم القيامة لم أعدّمه تبكيتنا

(14) على طرة الطبعة الفاسية ما لفظه بالحرف : « أجابه العلامة سيدي محمد بن عبد القادر القاسمي
بقوله :

بل أنصفت فاس ومن إنصافها أبدأ سقوط المدعي والمعجب »

(15) مه نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط ، وصدرت له طبعة على الحجر بفاس .

(16) الأمر على ما ظنه الشيخ اليوسي من أن للبحري شعراً ذم فيه بغداد ، وإليه أشار أبو العلاء
في بيته الآتين ، وهو خاطب به علي بن يحيى المنجم ، وهو قصيد من ثلاثة عشر بيتاً ،
وهو مودع بديوانه ، وفيه يقول :

ما أنصفت بغداد حين توحشت لنزيلها وهي المحل الآنس
لم يرع لي حق القرابة طيء فيها ولا حق الصداقة فارس

(17) البيتان من قصيدة سقطية في واحد وخمسين بيتاً ، خاطب بها أبو العلاء صديقه أبا القاسم
علي بن المحسن التنوخي في شأن جزء من أشعار تنوخ كان أبو القاسم قد أعاره أبا العلاء ،
فأعجله السفر حين علم بمرض أمه عن رده إليه ، فكتب إليه في الموضوع بهذه التائية التي
مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا وموقد النار لا تكري بتكريتا

(18) النوى ما يتتويه الإنسان من سفر قريب أو بعيد .

(19) يقال : نوى قذف محرّكاً بفتحيتين وبضمّتين أيضاً إذا كانت بعيدة ، كأنها تقذف
بالمسافرين خارج أوطانهم .

فلما رأيت هذا نبهت بهذا الكلام لثلاثاً أنسب إلى الأخذ (20) ، فإن وقع شيء فمن توافق (21) الخواطر ، وفي البيت الثاني تلميح إلى قول الأعرابي في حسن الحديث :

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدباً
فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هيباً رباً

وإنما استسهلت ، وأستغفر الله ، التمدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر ، مسلوكة في سائر الأعصار والأمصار .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(20) كتب أكنسوس فوقه بخط يده ما لفظه : « يعني السرقة » .

(21) في الطبعة الفاسية : « توافق » . بدل : « توافق » .

[الحسد والحساد]

وما ذكر من عدم الإنصاف سببه الكبر والحسد ، وهما الداء العضال الذي هلك به إبليس ، نسأل الله العافية . وذلك معجون في طينة الآدمي ومبتلى به إلا من طهره الله من أصفياه ، وقليل ما هم .

ولم يزل ذو الفضل محسوداً ، وكلما كثر الفضل كثر الحساد ، فوجود الحساد دليل على وجود الفضل ، وعدمهم على عدمه ، فإذا قيل للشخص : كثر الله حسادك كان دعاء له ، وإذا قيل : قلل الله حسادك كان دعاء عليه .

وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى قال الكميّ (1) الأسدي :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرأً منها ولا أريدُ (2)

(1) الأكامت الشعراء المعروفون ثلاثة ، وهم الكميّ بن ثعلبة بن نوفل ، والكميّ بن معروف ، والكميّ بن زيد بن الأخنس صاحب القصائد المعروفة بالهاشميات ، وهم جميعاً من بني أسد بن خزيمه ، وانظر في التعريف بهم « كتاب المؤتلف والمختلف » للآمدي ص 257 .

(2) الأبيات الثلاثة من مختار أبي تمام في « حماسته » ، وهي في « عيون الأخبار » (2 : 11) وفي « أمالي القالي » (2 : 194) وهي في المصادر الثلاثة غير منسوبة .

وأشيد أبو علي الحاتمي (3) في « حلية المحاضرة » (4) بدل البيت الأخير (5) :

لا يبعد الله حسادي فإنهم أشر عندي من اللائي لها الودد (6)

والظاهر أن قوله : (أشر) تصحيف من الكاتب وإنما هو : (أحب) .

وقال عروة بن أذينة (7) :

لا يبعد الله حسادي وزادهم حتى يموتوا بداء غير مكنون

إني رأيتهم في كل منزلةٍ أجل فقدأ من اللائي (8) أحبوني

وقال نصر بن سيار (9) :

(3) هو أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، أديب ناقد وكاتب شاعر ، توفي سنة 388 هـ .

(4) ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » فقال : « حلية المحاضرة في صناعة الشعر »

لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي المتوفى سنة 388 هـ وهو في مجلدين يشتمل على آداب كثيرة » والحلية طبعت بعناية هلال ناجي سنة 1978 م . ثم بعناية د . جعفر الكتاني 1979 .

(5) في ك و ح : « الآخر » وهو تحريف .

(6) الود بتثليث الواو مع الإدغام الحب ، وقد فكاه الشاعر ضرورة نظير ما فعله قنبر بن أم صاحب في قوله :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقي أتى أجود لأقوام وإن ضننوا

وكما فعل أبو النجم إذ قال :

الحمد لله العلي الأجلل الواسع الفضل الوهوب المجزل

(7) هو أبو عامر عروة بن أذينة بن الحارث بن مالك ، شاعر غزل ، ومحدث فقيه ، وهو عند

المحدثين ثبت موثوق ، وممن روى عنه مالك بن أنس . توفي في حدود 130 هـ .

(8) في « صحاح الجوهري » : « واللاؤون جمع الذي من غير لفظه بمعنى الذين وفيه ثلاث لغات :

اللاؤون في الرفع واللائين في الخفض والنصب واللامو بلا فون واللائي بإثبات الياء في كل

حال يستوي فيه الرجال والنساء » . وفي « تاج العروس » مادة « لئى » : « قال ابن سيدة :

ورأيت كثيراً استعمل اللائي لجماعة الرجال فقال :

أبى لكم أن تقسروا وفقوتكم بسيل من اللائي تعادون شامل »

(9) قال عنه الجاحظ في « البيان والتبيين » : « ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بني ليث =

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ياذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما بي وما بهم فمثل ما بي لعمرى جر لي الحسدا(10)

وقال معن بن زائدة (11) :

إني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجود(12)

وقال أبو نواس :

دعيني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الحصيب أمير (13)

وقال الأول (14) :

= ابن بكر صاحب خراسان ، وهو يعد في أصحاب الولايات ، وفي الحروب ، وفي التدبير ،
وفي العقل وشدة الرأي . وهو الذي كتب إلى مروان آخر حلفاء الأمويين بالأبيات
المشهورة ينذره :

أرى حل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام
فقلت من التعجب : ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام

(10) البيتان من قطعة له قالها يوم وقعة الشعب التي كانت بين الجنيد بن عبد الرحمن وخاقان
الترك ، ونصها في « تاريخ الطبري » مع حوادث سنة 112 هـ .

(11) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني ، الشجاع الجواد الذي كثرت فيه مدائح
الشعراء ، وقصده الراغبون ، خدم الدولتين الأموية والعباسية وتوفي مقتلاً سنة 151 هـ .

(12) البيتان منسوبان إليه في « زهر الآداب » (1 : 246 طبعة محيي الدين عبد الحميد) .

(13) البيت من رائيته الشهيرة في مدح الحصيب ، ومطلعها :

أجارة بيتيا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

وهي مودعة في ديوانه .

(14) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الشهير ، والبيتان من قصيدة له في ديوانه ، مطلعها :

هل في تذكر أيام الصبا فند أم هل لما فات من أيامه ردد

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من كرم (15) لا ينقص (16) الله عنهم ما له حسدوا

وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود (17)

واعلم أن هذا الشعر ونحوه يخيل استحسان الحاسد واستحباب وجوده بل كثرته ، ولم يزل الناس يكرهونه ويتخوفون منه ، ويستعيذون من شره . وقال تعالى (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) فقد يقف القاصر على هذا فيحار ، ولا يدري ما يختار ، وفصل القضية في ذلك أن وجود الحاسد ، كما مر ، دليل على وجود الفضل ، وذلك لما عرف (18) أن الحسد هو حب زوال ما ظهر على الغير من خير (19) ، إما ديني أو دنيوي ، حسي أو معنوي ، عاجل أو آجل ، حقي أو ادعائي (20) فلزم من وجود الحسد وجود الخير .

ثم إن الحاسد إذا أحب زوال الخير فهو لا محالة يسعى في زواله ، أو في

(15) رواية الديوان : « من نعم » .

(16) في الديوان : « لا ينزع » .

(17) البيتان من قصيدة له في مدح أحمد بن أبي دواد مطلعها :

أرأيت أي سواف وخذود عنت لنا بين اللوى فزود

وهي مودعة في ديوانه بتحقيق محمد عبده عزام .

(18) في ك و س : « عرفت » .

(19) في ح وحدها : « خير ما » وما في رواية ح نكرة وصف بها خير ، أو هي زائدة للتوكيد ،

نظير ما جاء في قوله تعالى : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »

وفي المخطوطات الثلاث : « إما » .

(20) في ك : « دعائي » .

إلحاق مضرة تذهب <بها> (21) طلاوة ذلك الخير ، ما لم يحجزه حاجز ،
وهذه مضرة تتوقع من الحاسد ، فالحاسد نخبيث شرير مضر .

إذا علم هذا فمن استحب وجود الحاسد فلم يحبه لذاته ، بل أحب ما يقارنه
من الخير ، لا من حيث إنه محسود عليه به من حيث كونه خيراً ، وإلا فيود
الإنسان أن لو أعطي الخير وأعفي من الحساد ، فإن ذلك أهناً لعيشه ، وأروح
لقلبه ، وأبعد له عن الاذية والهول ، ولم تسجر حكمة الله تعالى غالباً بذلك ،
إذ نعم الدنيا مشوبة بالنقم ، وصفوها مشوب بكدر ، فأمام كل عين قذى ،
وعلى كل خير أذى ، فلما لم يكن بد من وجود الحاسد غالباً ، كان وجوده
مبشراً بالخير معلماً بالنعمة ، فيفرح بوجوده لذلك لا لذاته .

ومثاله في ذلك الذباب الواقع على الطعام ، والفار الناقب على المخزن (22)
فإنهما دليلان على الخير من حيث ذلك ، حتى إنه يكنى عن البيت الحالي عن
الخير بأنه لا تطور (23) فيه فارة ، فمن أحب وجود الذباب ووجود الفار
فلم يحبهما (24) لذاتهما ، فإنهما مؤذيان مكروهان ، بل لما يقارنهما من
الخير ، ولو وجد الإنسان الخير مع السلامة عنهما كان هو (25) الغم البارد
البارد . ولم تجر بذلك الحكمة .

(21) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(22) في ك و س : « المخزون » .

(23) في لسان العرب لابن منظور : « طوار الدار ما كان ممتداً معها من الفناء ، والطورة فناء

الدار وعلان لا يطورني أي لا يقرب طواري ، وفلان يطور بفلان يحوم حوله ويدنو منه ،

وطار حول الشيء طوراً وطوراناً حام ، والعرب تقول : ما بالدار طوري ولا دوري

أي أحد . وفي ك و س : « تدور » أما ح ففيها : « تصور » .

(24) في س : « يحبهما » بفك الإدغام .

(25) في ك : « المغم » .

وبلغني أن ناساً من الجند قدموا من بلاد (26) السودان أيام السلطان أحمد منصور ، وقاسوا في تلك الفيافي ما هو المعهود فيها من العناء وشظف العيش ، فلما لحقوا بقرية من قرى السوس الأقصى خرج منها نفر من اليهود ، فحين بصر بهم الجندي قال : مرحباً بوجوه الخير ، فاليهود بغضاء عند كل مسلم ، ومع ذلك استبشر بهم الجندي التفاتاً منه إلى النعمة التي تقارنهم ، إذ لا يزالون غالباً الحاضرة ، ومحل الخصب والرفاهية ، وهكذا الحاسد .

وقد يكون في وجود الحاسد نعمة ولذة أخرى للمحسود إذا وفي شره ، فإنه ينعم هو والحاسد يحترق على عينيه ، وهو يزداد ظهوراً وشفوفاً ، فيلتذ باحتراقه وإقصاره عنه وشفوفه عليه ، ومن كره الحاسد فإنما كرهه لذاته ، إذ هو منغص بما يبدو من أقواله وأفعاله ، ولما يتوقع من شره وضرره ، ولا شك أنه محذور ، ولذا أمر بالتعود منه بالله تعالى ، ولا دواء له إلا هي مع الصبر اعلى ما يرى ويسمع ، وبذلك ينعكس على الحاسد البلاء فيموت غمماً . قال تعالى : (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) وقال الشاعر (27) :

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

فائدة : من ابتلي بالحسد لشخص فعلاجه بإذن الله أن يكلف نفسه السعي في زيادة الخير على المحسود ولو بالدعاء له بذلك ، فإنه إذا لازم ذلك ولو تكلفا سيثيبه الله تعالى من فضله انسلال السخيمة من قلبه وسلامة الصدر ، فإن

(26) في ك : « بلد » بالإفراد .

(27) هو عبد الله بن المعتز الأمير العباسي المعروف ، والبيتان واردان في ديوانه المطبوع بدار بيروت .

بقي شيء فليغمه (28) في صدره مع كراهته ولا يظهره ولا يسع في مقتضاه
بقول ولا فعل فذلك غاية ما يطلب منه والله الموفق (29) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(28) في ح : « فليغمه » .

(29) كتب بهامش الأصل وبخط ناسخه ما يأتي بالنص الحرفي التام : « في الأصل الذي نقل منه

المنقول بطرة ما نصه : « وقد كتب من خط الوالد رحمه الله أيام حياته :

إذا ما شئت إرغام الأعادي بلا سيف يسلم ولا سنان

فزد من مكرماتك فهي أعدى على الأعداء من نوب الزمان »

وفي الطبعة الفاسية بالصلب منها ما يأتي بنصه : « وكتبت من خطه أكرمه الله ورأيت
إلحاقها هنا :

إذا ما شئت إرغام الأعادي بلا سيف البيتين »

وفي طرة الطبعة الفاسية ما نصه : « التاء (يعني في قوله : وكتبت) ضمير الناسخ وهو

ولد المؤلف سيدي محمد » .

[كلمة الإخلاص وتغالي فقهاء سجلماسة في فهمها وتفهمها للعوام]

كنت في أعوام السبعين وألف قصدت إلى زيارة شيخنا البركة ، وقدوتنا في السكون والحركة ، أبي عبد الله محمد بن ناصر - سقى الله ثراه - فمررت ببلد سجلماسة فوجدت فتنة ثارت بين الطلبة فيها في معنى كلمة الإخلاص . فكان بعض الطلبة قرر فيها ما وقع في كلام الشيخ السنوسي من أن المنفي هو المثل المقدر ، فأنكر عليه بعض من لهم الرياسة في النوازل الفقهية . وفصل الأحكام الشرعية ، وليس لهم نفاذ (1) في العلوم النظرية . وأخذوه بنحو ما أخذوا به الشيخ الهبطي في مشاجرته المشهورة مع أهل عصره ، حتى امتحنوه بالسياط ، فجعلت أقرر لأولئك المنكرين الكلمة بوجه يقرب بين (2) المأخذين ، ويصلح بين الخصمين ، فلم يفهموا ذلك ، وصمموا (3) على ما طرق أسماعهم من أن الهبطي أخطأ في هذه المسألة وضل ضلالاً مبيهاً ، ثم وقعت هذه الفتنة **«أيضاً»** (4) بمدينة مراکش عن قريب **«من هذه»** (5) بين طلبتها

(1) كذا بالأصل وفي ك : « نفوذاً » وكلاهما مصدر للفعل نفذ نقول : نفذ السهم ينفذ من باب قعد إذا خرق الرمية وخرج منها ، والمعنى : التمكن من تلك العلوم والتعمق فيها وفي س و ح معاً : « نفاذ » بالبدال المهملة ، وهو تصحيف .

(2) في ح : « من » بدل : « بين » .

(3) في س : « صمتوا » . بدل : « صمموا » .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك .

حتى ضلل بعضهم بعضاً ، فمن <أجل> (6) ذلك ألفت كتاب « مناهج » (7) الخلاص . من كلمة الإخلاص » ، كما نبهت على ذلك في خطبته ، ف جاء بحمد الله كافياً في الغرض ، شافياً للمرض .

ثم رجعت في زورة أخرى بعد هذه فمررت أيضاً بسجل ماسة فوجدت فتنة أبشع من هذه وأشنع وقعت لهؤلاء مع عوام المسلمين <ثم مع المسلمين> (8) كافة ، عامة وخاصة . وذلك أنهم نظروا في كلام من حرض من الأئمة على النظر في علم التوحيد . وحذر من الجهل فيه ومن التقليد ، فجعلوا يسألون <الناس> (9) عما يعتقدون ، ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب ، فر بما (10) عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه ، أو متلجلج اللسان لدهش ناله ، أو جاهل بشيء مما يقدر في العقيدة أو يظنونه قادحاً وإن لم يقدر . فيشنعون عليه الجهل والكفر ، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس ، وجعلوا يقررون العقائد للعوام ، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر ، وشاع عندهم أن من لم يعرف معنى لا إله إلا الله أي النفي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر ، فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم ، وهول كبير ، فلما دخلت البلد جاعني الناس أفواجاً يشتكون من هذا <الأمر> (11) وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء فأقول لهم : إن الله تعالى إنما تعبدكم باعتقاد الحق

(6) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(7) كذا بالأصل بلفظ الجمع ، ومثله في ح أماك و س فقيهما : « مناهج » بالإنفراد ، ويسمى أيضاً « مشرب العام والخاص » ، من كلمة الإخلاص ، « والكتاب طبع على الحجر بفاس عام 1327 هـ .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) ما بين العلامتين ساقط من س .

(10) في ك : « فلما » بدله ولا يستقيم مع السياق .

(11) ما بين العلامتين ساقط من ح .

في أنفسكم ، أفلا تشهدون أن الله تعالى حق موجود ؟ فيقولون : بلى ، أفلا تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبود سواه باطل ؟ فيقولون : بلى ، هذ كله يقين عندنا لا نشك فيه ولا نرتاب ، فأقول لهم : هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده ، سواء عرفتموه من لفظها أو لا ، فإن الكلمة عربية ، والأعجمي لا حظ له في دلالتها، وإنما حسبه أن يترجم له مضمونها فيعتقده، وكذا العقائد كلها المطلوب اعتقادها بالمعنى . ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر [بها] (12) عنها في كتب العلماء ، ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها . فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقاريرات علم آخر لم يكلف به العوام ، فإذا أجبتهم بذلك انطلقوا مسرورين حامدين شاكرين ، ثم جاعني رئيس هذه الفتنة وسألني عن مسائل في هذا المنحى فأجبتة ، ثم تقدمت إليه بالنصيحة وقلت له : إن أكثر النحل (13) وجل الطوائف الضالة إنما خرجت في هذا العلم ، فإن أردت نفع الناس فقرر لهم العقائد بالقدر الذي يبلغون ، وحدث الناس بما يفهمون ، كما في الحديث الكريم (14) ودع عنك هذه الامتحانات والتدقيقات (15) والتشنيعات التي لم تجر بها سنة أهل الدين في عصر من الأعصار ، فإذا هو قد أشرب ذلك وتمكن فيه التظاهر به ، وإذا تمييزه قد

(12) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في غيره فأضفناه .

(13) هو بكسر أوله وفتح ثانيه جمع نحلة بكسر فسكون ، وفي « تاج الزبيدي » ما لفظه : « النحلة بالكسر الدعوى ، ومنه الانتحال وهو ادعاء ما لا أصل له » . وفي « صحاح الجوهري » : « نلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا اقتسب إليه » . وتطلق النحلة على المذهب الباطل في الدين ، وفي علوم الإسلام علم يسمى علم الملل والنحل أو علم مقالات الفرق وهو الذي عرفه مؤلف « مفتاح السعادة » (1 : 322) فقال : « هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية » اهـ ومن أشهر كتبه وأعرفها « كتاب الفصل ، في الملل والنحل » لابن حزم ، وكتاب « الملل والنحل » للشهرستاني .

(14) يريد قوله عليه السلام : « حدثوا الناس بما يعرفون أريدون أن يكذب الله ورسوله » .

(15) في ح وحدها : « التوقيفات » والظاهر أنه تصحيف .

نقص (16) عما كنت أعرف منه قبل ذلك ، نسأل الله العافية ، فتمادى على ذلك وأصفت (17) عليه العوام حتى سمعوا مقالته فيهم ، وجعل يتغالى في تقرير العقائد وبيان وجوه المخالفة ونحوها على التفصيل بما لا حاجة إليه حتى يقع في ذكر ما هو سوء الأدب في حقه تعالى ، وما لا يستطيع كل من في قلبه رائحة من عظمة الله تعالى أن يفوه به ، ويحضر مجلسه أوباش الأعراب من جراوة (18) ونحوها ، فإذا رجعوا إلى قومهم ذهبوا بتلك المقالات وجعلوا يلقون على أمثالهم من الرعاع الأسئلة من هذا المنحى فيقولون لهم : أين بات الله ؟ وأين يُصبح ؟ وأين يظل ؟ وأين هو ؟ < وكيف هو > (19) ؟ إلى ما هو أبشع من ذلك مما لا أذكره ، وقد نبهت على طرف من هذا المعنى في كتابي المذكور ، ثم أشاعوا أن عوام المسلمين لا تؤكل ذبائحهم ولا يناكحون مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد ، فحدثني الفقيه المشارك الصالح أبو عبد الله مبارك بن محمد العنبري الغرني (20) - رحمه الله - أن أعرابياً من هؤلاء (21) الشيعة جامع قوم من بلد توات فكانوا إذا طبخوا زادهم وفيه الخليج (22)

(16) كذا في الأصل وفي سواء : « انتقص » .

(17) في « أساس البلاغة » : « أصفقوا على أمر واحد : اجتمعوا عليه » .

(18) نقطت الجيم في س بثلاث نقط من فوق .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) في ح وحدها : « العربي » . بدل : « الغرني » .

(21) كذا في الأصل ، وفي غيره : « هذه » بدله .

(22) في « إصلاح المنطق » لابن السكيت ص 15 ما نصه : « القرف شيء من جلود يعمل فيه

الخلع ، والخلع أن يؤخذ لحم الجزور فيطبخ بشحمها ثم يجعل فيه توابل ثم يفرغ في هذا الجلد » اهـ . وذكره أبو العلاء الخلع في عينته السقطية التي ودع بها بغداد فقال :

فليت حمامي حم لي في بلادكم وجالت رمامي في رياحكم النسع
وليت قلاصاً ملعراق خلعتني جعلن ، ولم يفعلن ذلك ، من الخلع

وفسر التبريزي في شرحه على السقط الخلع فقال : « الخلع أن ينحر الجزور ويطبخ لحمها بشحمها ويطرح فيها توابل ثم تفرغ في جلد فيأكلونه في أسفارهم » . وفي « تاج العروس » =

يُمتنع (23) من الأكل معهم ويقول : إن الجزار الذي ذبح هذه البهيمة لا ندري أيعرف التوحيد أم لا ؟ ولما دخل البلد جيء بطعام عليه لحم وجماعة من الأشراف حضور فدعوه للأكل فامتنع وقال : إن العبد الذي ذبح تلك الذبيحة لا ندري أيعرف التوحيد أو لا ؟ فقالوا له : ما ذبحها عبد ، وإنما ذبحها المولى فلان الشريف (24) منهم فامتنع أيضاً وبات طاوياً ، ثم لم يقفوا في هذا بل لما انتهكوا حرمة عوام المسلمين ابتلاهم الله بانتهاك حرمة خاصتهم أيضاً ، فتناولوا فقهاء وقتهم ووقعوا في أهل العلم والدين ومن هم على سنن المهتدين ، وضللوهم إذ لم يضللوا العامة ، فوقع لهم قريب مما وقع للكميلية (25)

= ما لفظه : « الخلع لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل في القرف ، وهو وعاء من جلد كما في « الصحاح » ، أو هو القديد المشوي ويقال : بل القديد يشوى فيجعل في وعاء بإهالته ، قاله الليث ، وقال الزمخشري : هو اللحم يخلع عظمه ثم يطبخ ويبرز ويجعل في الجلد ويتزود به في الأسفار » . وفي « مستدرک التاج على القاموس » من مادة (خلع) ما لفظه : « الخليج اللحم تخلع عظامه ويبرز ويرفع » (كذا) .

(23) في س : « يتمنع » .

(24) كذا بالأصل بحرف التعريف ومثله في ك و ح أما س ففيها : « لشريف » مع اللام الجارة وهو أوفق بالسياق .

(25) كذا هو في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، والصواب فيه الكاملية نسبة إلى أبي كامل ، وإليك ما قال الزبيدي في « تاج العروس » (8 : 104) عن نسبة الكاملية والكميلية معاً : « والكاملية شر الروافض نسبوا لرئيسهم أبي كامل القائل بتكفير الصحابة بترك نصرته علي وتكفير علي بترك طلب حقه ، ووقع للقاضي عياض في « الشفاء » : الكميلية من الروافض ، قالوا بتكفير جميع الأئمة بعد موته صلى الله عليه وسلم ، قال الخفاجي في شرحه هكذا وقع ، والصواب الكاملية ووفق بينهما بأنهم صغروا كاملاً على كميل ونسبوا إليه على خلاف القياس ، تصغير تحقير ، فهو بضم الكاف وقيل بفتحها نسبة إلى كميل كقبيل بمعنى كامل وهو بعيد ، وعن هذه الطائفة يقول الشهرستاني في « الملل والنحل » (1 : 291 - 292) : « الكاملية أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي عليه السلام ، وطعن في علي أيضاً بتركه طلب حقه ، وكان يقول : الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ، وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة ، وربما تناسخ الإمامة فتصير نبوة ، وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت » .

من الروافض (26) فإنهم كفروا الصحابة حيث لم يقدموا علياً - كرم الله وجهه - ثم كفروا علياً حيث لم ينازعهم في حقه ، وكان أهل البلد أتبعوني وأنا في الطريق سؤالاً فيما هو من حكم الذبائح ونحوها في بطاقة فأجبتهم بما علم من دين الإسلام أن كل من تشهد شهادة الحق فإنه تؤكل ذبيحته ، وتحل مناكحته ، ويدفن في مقابر المسلمين ما لم يظهر منه ما يخالف ظاهره ونحو هذا الكلام ، فلما بلغ إلى أولئك قالوا : سبحان الله ! كنا نعرف فلاناً (27) من العلماء ، ثم هو يقتصر على مثل هذا الكلام ويكتفي [به] (28) فلم يقع كلامي منهم موقعاً حيث اقتضت على الحاجة وما هو الحق ولم أتعذر إلى ما يشتغلون به من الفضول والضلال ، وكانوا قبل هذه الفتنة تلمنوا (29) لشيخنا الإمام ابن ناصر - رضي الله عنه - وأخذوا عهده ، فلما لم يشتغل بما اشتغلوا به أنكروا عليه حتى وقعوا فيما يؤتى به إليه من الهدايا والصدقات . وفيما يذكره للفقراء من كلام الإمام الثعالبي ، فإنه كان يحكي بسنده إلى الثعالبي أنه قال : من رأى من رأني إلى سبعة ضمنت له الجنة

(26) في « التاج » مع قريب من الاختصار : « الروافض كل جند تركوا قائدهم وانصرفوا ، والرافضة فرقة منهم ، والنسبة إليهم رافضي ، والرافضة أيضاً فرقة من الشيعة كانوا بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى وقال : كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما ، فتركوه ورفضوه ، فسوا رافضة ، والنسبة رافضي ، والرفض بالكسر معتقد الرافضة .

(27) في ح : « نعرف انه » بدل الكناية عنه بفلان .

(28) ما بين العلامتين سقط من الأصل وهو في سواء فأضفناه .

(29) شكلت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة القاسية بتشديد الميم شكل قلم ، وذلك خطأ صوابه : « تلمنوا » بسكون اللام وفتح الميم مع التخفيف ، يقال تلمذ له وتلمذ إذا كان له تلميذاً فتخرج عليه في علم أو صناعة ، قال العلامة عبد القادر بن عمر البغدادي صاحب حزانة الأدب في رسالته المسماة برسالة التلميذ والمطبوعة في سلسلة «نوادير المخطوطات» بمجموعتها الثانية ما نصه : « وقول الناس تلمذ له وتلمذ منه بتشديد الميم خطأ لأنهم توهموا أن التاء زائدة ، وليس كذلك » . وكلمة تلميذ التي اشتق منها تلمذ وتلمذ كلمة سامية الأصل ، ولها صيغ في السريانية والعبرية والآرامية والحبشية والأكدية تدور على معاني التعليم والتربية والإرشاد ، ولها في العربية نفس المعاني التي لها في تلك اللغات .

بشرط أن يقول كل لمن رأى أشهد أني رأيتك فيشهد له . فكان الشيخ رضي الله عنه يذكر ذلك على طريق الترجية ، ولثلاث يفوت المسلمين ذلك الخير إن حققه الله تعالى ، فقالوا : هذا يوقع الناس في الأمن وفي الإعراض عن تعلم التوحيد مع أنه لا وثوق (30) به فإن أمور المتامات لا تنضبط ولا يعول عليها ، ثم برثوا من صحبته وكتبوا في ذلك كراسة ، فقيض (31) الله لها الشاب اللبيب الفاضل أبا العباس أحمد بن محمد بن السيد الشريف الحسيني - رحمه الله ورحم سلفه - فتكلم عليها بما نقض أباطيلها عروة عروة ، فلما انتهى إلى براءتهم من الشيخ كتب عليها ما معناه : إن هذه السلسلة المباركة الفاضلة يعني سلسلة الشيخ رضي الله عنه هي أمنع جناباً وأطهر (32) ساحة من أن يبقى فيها أمثالكم ، فطهرها الله منكم ، وقد اشتعلت فتنهم حتى كادت تخرج إلى الآفاق كلها ، ثم أطفأها الله تعالى بفضله فجاء طاعون عام تسعين وألف فاجتث (33) شجرتهم من فوق الأرض فلم يبق لها قرار .

فائدة : أما السلسلة التي أشرنا إليها عن الإمام الثعالبي فإن شيخنا الإمام ابن ناصر - رضي الله عنه - يتحدث بها عن شيخه الفقيه الصالح سيدي علي ابن يوسف الدرعي عن شيخه سيدي عبد الرحمن بن محمد من بني مهرة (34) عن سيدي محمد بن محمد بن ناصر من أهل الرقبة (35) عن سيدي عبد الكبير

- (30) في س : « لا يوثق به » .
(31) في الأصل : « فقيظ » بظاء مشالة ، ومثله في ك ، وهو تصحيف صوابه « قيض » بضاد ساقطة كما هو في س و ح .
(32) في س : « أظهر » بظاء مشالة والظاهر أنه تصحيف .
(33) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « اجتثت » معه تاء تأنيث فينبغي أن تقرأ الفعل على هذا الرواية بالبناء للمجهول .
(34) رسمت الكلمة في س : « مهيرة » بياء بين الهاء والراء .
(35) نقطت القاف في ك بثلاث من فوق .

وهو جد سيدي عبد الرحمن المذكور عن القطب الكبير سيدي عبد الرحمن الثعالبي أنه قال رضي الله عنه : من رأى من رأني إلى سبعة ضمنت له الجنة ، وفي سلسلة كل واحد يقول لصاحبه : أشهد أني رأيتك ، وقد رأيت والحمد لله الإمام ابن ناصر وأشهدته على ذلك ، حققه الله لنا وللإخوان آمين .

واعلم أن مثل هذا يذكر على طريق الرجاء كما أشرنا إليه ، وهو أمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع ، وذلك أن فضل الله عظيم لا يحد بمقياس وأولياء الله تعالى أبواب يخرج منها هذا الفضل ، ولهم مكانة عند ربهم الكريم المتفضل ، فأى شيء يستبعد في أن يعطي (36) بعضهم الشفاعة في قرنه أو أكثر ، أو أن من مسه لم تمسه النار كما في قصة ابن حسون ، أو أن من رآه دخل الجنة ، أو أن من رأى من رآه ، إلى سبعة أو أكثر ، هذا كله قريب .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في خبره عن أويس (37) القرني - رضي الله عنه - أنه يشفع في مثل أو عدد ربعة ومضر (38) .

وحدثني الثقة أن نفرأ من أصحاب ابن مبارك التستاوتي دخلوا على سيدي محمد الشرقي فقال لهم : أيها الفقراء ، ما الذي قال ابن مبارك ؟ فقالوا له : قد قال : أهل زماني محسوبون عليّ أو في ذمتي أو نحو ذلك ، فقال سيدي محمد الشرقي : اشهدوا علينا إنا من أهل زمان ابن مبارك ، فانظر إلى هذا

(36) في س : « يمنح » . بدل : « يعطي » .

(37) هو أويس بن عامر القرني (بفتح القاف والراء) نسبة إلى قرن ، وهي بطن من مراد ، من زهاد التابعين وأتقيائهم ، استشهد مع علي في صفين .

(38) في « ميزان الاعتدال » للذهبي (ج 1 ص 281) : « قال أبو صالح حدثنا الليث ، حدثني المقبري ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليشفعن رجل من أمي في أكثر من مضر ، قال أبو بكر : يا رسول الله إن تيمماً من مضر قال : ليشفعن رجل من أمي لأكثر من تميم ومن مضر وإنه أويس القرني » .

الإنصاف وهذا التسليم ، فكذا يجب التسليم لمن وقع منه شيء من هذا من أهل الصلاح والدين ، ويظن به الخير ويحصل الرجاء ولا يوجب ذلك أمناً من مكر الله والاستغناء عما يجب تعلمه أو العمل به ، بل التكليف باق بحاله ، والخوف والرجاء بحالهما .

وقد شاع عند هذه الطائفة الغازية أن الشيخ قد أخذ من الله تعالى عهداً أن لا يسوق إليه إلا المقبول ، ولم يوجب لهم ذلك أمناً ولا غروراً إلا أن يشد (39) جاهل فلا التفات إليه .

وأما الهدية من الأخ في الله فهي مباحة في الجملة ، بل هي محسوبة في الفقه من وجوه الحلال ، فإن عرض عارض في المعطى أو في وجه الإعطاء فالأخذ أعرف بما يأتي وما يندر .

ثم أحوال الصوفية في قبول الفتوح مختلفة تبعاً لما اقتضته الواردات (40) . والتحفظ عن الآفات . وهي في كل من الأخذ والترك كما قال الأستاذ السري (41) للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما : احذر آفة الرد كما تحذر آفة الأخذ ، وكل من عرف بصحة العلم والعمل ومثانة الديانة كشيخنا المذكور فأمره موكل إلى دينه ، ولا سبيل إلى الانتقاد عليه ، والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(39) في ك و ح : « يشد » بدال مهملة وهو تصحيف .

(40) في « تعريفات الشريف الجرجاني » ما نصه : « الوارد كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد » .

(41) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » (ص 48 - 55) فقال : « سري بن المغلس السقطي ، كنيته أبو الحسن ، يقال : إنه خال الجنيد ، صحب معروفاً الكرخي ، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد ، وحقائق الأحوال ، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، مات سري السقطي سنة إحدى وخمسين ومائتين » .

[العدوى والطيرة]

كنت ذات مرة اشتريت رمكة (1) من رجل صحراوي أسود شديد السواد ، فظهر فيها عيب وتعذر إثبات قدمه لترد ، فأدّى الأمر إلى موتها منه وتلف الثمن ، فأقبل رجل من قومي والمشتري (2) منه عندي ونحن نتكلم في المسألة ، فلما بصر بالمشتري منه قال : سبحان الله ! كنت أعجب من أين جاء هذا الخسران ؟ فإذا أنت تعامل الغرّبان (3) ، ألم تعلم أنا لا نعامل مثل هذا حتى إنا لا نزرع الكلب الأسود عنا إذا مرّ بنا لثلاً يقع خطاب منا إليه فكيف بغيره ؟ وجعل يتأسف من خسران الثمن ومن معاملة ذلك الشخص ، وجعلت أنا أضحك من عظمة الدنيا في عينيه ومن تحكيمه الأمور العادية ، وكان قومنا - كما قال - يفرون من السواد فلا يلبسون ثوباً أسود ولا يركبون فرساً أدهم وهكذا .

واعلم أن هذه الأمور العادية يضل فيها العامة والقاصرون من الخاصة ، أما العامة فإنهم إذا رأوا شيئاً عند شيء نسبوه إلى ذلك الشيء وغفلوا عن الله تعالى ولم يعلموا أن الله تعالى هو الفاعل وحده ولا تأثير لشيء من الكائنات بحال ، فوقعوا في الشرك وفاتهم التوحيد ، وأما القاصرون من الخاصة المعتقدين لانفراد المولى تعالى بالفعل وأن لا شريك له فإنهم يجرون على هذا المعنى وينكرون حكمة الله تعالى في أرضه وسمائه ، فإذا قيل لهم : إن هذا

(1) في « التاج » : « الرمكة محرّكة الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل » .

(2) في ح : « والبائع » .

(3) في « اللسان » : « أغربة العرب سودانهم شبهوا بالأغربة في لونهم » .

الشيء يكون عند وجود هذا السبب قالوا : هذا لا معول عليه ، فإن السبب لا تأثير له ، ووجوده وعدمه سواء . وهذا أيضاً جهل عظيم ، فإن الله تعالى كما أنه قادر مرید لا شريك له كذلك هو حكيم يفعل أشياء عند أشياء ويرتب أسباباً ومسببات حكمةً منه تعالى ورفقاً بعباده في تأنيس نفوسهم بالأسباب المشهودة . فإن الإيمان بالغيب وانتظاره عسير عليها وابتلاء لهم ليتميز من انخرقت له الحجب فأبصر الحق ، ومن حجب بها فتاه في أودية الضلال . نسأل الله تعالى العافية . ألا ترى إلى ما جعل تعالى لعامة الخلق من الشبع عند الأكل والري عند الشرب ، والتدفي عند اللبس ، والراحة عند الركوب ، واللذة المخصوصة عند الوقاع ، وهكذا مما لا يحصى ، وكل ذلك يجوز من الله تعالى أن يخلقه بلا شيء ، فهل ينكر أحد من العقلاء هذه الحكمة فيقول مثلاً : إن الطعام لكونه لا تأثير له وجوده وعدمه سواء ، ويستجهل من يأكل ليشبع ، وكذا ما جعله الله تعالى من المنفعة في الأدوية والعقاقير وما لها من الخواص ، وألم ذلك الأطباء وأهل التجاريب ، فهل ينكر أحد ذلك ؟ وكذا ما نحن فيه من كل أمر جرت العادة بوجود شيء عنده فلا ينكر بل يعتقد حكمة من الله تعالى مع صحة التوحيد ، وهو أن لا ينسب إليه أثراً أكثر من أن وجوده سبب لبروز القضاء الأزلي عنده لا به ، فمن نسب إلى شيء دون الله تعالى تأثيراً في وجود شيء أو عدمه فهو مشرك ، ومن أنكر الحكمة المودعة في قوالب الكائنات فهو جاهل أعمى البصيرة ، ولو لم يكن إلا جموده عن إدراك ما جرت به العادات وأفصحت به التجريبات لكان أمراً سهلاً ، ولكنه إنكار لحكمة المولى سبحانه وبديع تصرفه في الكائنات الدال على إحاطة العلم والمشية بالمصالح والمنافع والمضار وعظمة الملك ، فهو ينظر بإحدى العينين دون الأخرى ، فمتى حكم التجريب مثلاً بأن يوماً من الأيام لا يسعد بحاجة من سافر فيه أو تزوج أو أخذ في سبب من الأسباب أو أنه يسعد فلا نبادر إذا سمعنا ذلك بإنكاره ، ونقول قد أشرك مع الله تعالى ، بل لا بأس بالاعتراف بذلك واعتباره عادة مع سلامة العقيدة من نسبة التأثير

اليوم أو غيره من سائر الكائنات ، والناس في نحو هذا ثلاثة : شخص يعتبره
أنحذاً وتركاً مع الغفلة عن الله تعالى ، إما مع نسبة التأثير إلى السبب وهم
المشركون ، وإما بلانسبة ولكن استغراقاً في الركون إلى الأسباب والالتفات
إلى الأغيار ، وهو من الغافلين ، وشخص لا يعتبره أصلاً استغراقاً في التوحيد
والتوكل على الله تعالى والفناء عن الأسباب لا إنكاراً للحكمة ، وهذا لا بأس
به ، وإذا صح توكله وتجرده عن الأسباب فذلك سبب لنجاته بفضل الله تعالى
من مقتضيات العادة حتى إنه لو ألقم الحية رجله لم تضره ، فإنه لما خرق العادة
على نفسه بحسمها عن المألوفات وتجريدها عن الرعونات خرق الله تعالى له
العادة بإعفائه عن جري العادات وما تقتضيه بإذن الله الأسباب الحادثات ،
وشخص يعتبر ذلك تأديباً مع الله تعالى في مراعاة الحكمة الجارية مع صحة
العقيدة وصحة التوكل على الله تعالى عند الأسباب لا على الأسباب وهذا هو
الكامل .

وكان صلى الله عليه وسلم يعالج ويستعمل الرُّثِي وقد يكون من ذلك ما هو
خفي يكون اعتباره تعمقاً في الأسباب فيترك ، وجعل بعض الأئمة من هذا
نبيه صلى الله عليه وسلم الأمة عن الكي مع الاعتراف له بأنه من الأسباب .

إذا علم هذا كله فكل ما ورد من نصوص الشريعة وأقوال أهل الدين
وفعلهم ينتزل على هذا ، وبما قررنا يعرف عذر من اعتبر شيئاً من ذلك وعذر
من لم يعتبر .

وفي الحديث : « لا عَدْوَى وَلَا طَيْبِرَةَ » فالحق عندنا في تأويله
<أنه> (4) إثبات لانفراد المولى جل وعز بكل التأثير ، وأن لا تأثير لشيء
مما يتوهم العرب أنه مؤثر ، لا في باب العَدْوَى ولا في باب الطَّيْبِرَةَ ،

(4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

لا أنه نفي لما جرت العادة بوجوده عند ذلك بإذن الله تعالى ، وهذا هو الجمع بين التوحيد والحكمة ، وهو جمع بين الحقيقة والشريعة في المعنى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ » وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ (5) عَلَى مُصِحِّ » أي ذو الإبل المريضة على ذي الإبل الصحيحة يحتمل معنيين : أحدهما <أنه> (6) سدّ للشريعة بمعنى أنه يترك ذلك مخافة أن يقع شيء <بإذن الله> (7) فيظن من وقع له أو غيره أنه ناشيء عن ذلك السبب فيقع في الشرك ، الثاني أنه إثبات لما جرت به العادة من حكمة الله تعالى كما قررنا ، فيعتبر ذلك شرعاً ولو لم يكن إلاّ تنزهاً عن تغيير القلوب وإذابة الناس .

وفي الحديث أيضاً : « اطلبوا الخيرَ عندَ حسانِ الوجوهِ » وهو يحتمل أموراً :

الأول : [اطلبوا الخير] (8) عند الناس الحسان الوجوه فإن الخير مقرون بهم ، وهذا من نمط ما نحن فيه .

الثاني : اطلبوا الخير منهم فإنه (9) يصدر عنهم الخير بإذن الله تعالى ،

(5) في « صحاح الجوهري » : « أمرض الرجل إذا وقع في ماله العاهة » وفيه أيضاً : « أصح القوم فهم مصحون إذا كانت قد أصابت أموالهم عاهة ثم ارتفعت » .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(7) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(8) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وهو في سواء فأضفناه .

(9) في ك و س و ح : « فإنهم » بضمير الجمع .

إذ حسن الخلق عنوان حُسن الخلق كما تقرر في الفِراسة الحكيمة (10) وهو قريب مما قبله .

الثالث : اطلبوا الخير عندهم ومنهم ، فإن النفس تنبسط (11) إليهم وتتمتع برؤيتهم ، وفي الحكمة : اعتمد (12) بحوائجك إلى الصباح الوجوه ، فإن حسن الصورة أول نعمة تلقاك من الرجل .

الرابع : اطلبوا الخير أي الرزق عند الوجوه المُستحسنة [شرعاً] (13) كالبيع والتجارة والقراض والهبة والصدقة وسائر الوجوه الحليّة دون السرقة والغضب والحيانة ونحو ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إِذَا أَبْرَدْتُكُمْ إِلَيَّ بِرَيْدٍ فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَسْمِ » وهو أيضاً يحتمل أنه لمجرد النظر أو لزائد على ذلك ، ولهذا بعث الله الأنبياء ولا سيما نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة .

وفي ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه : كان يتجنب أهل العاهات

(10) في « مفتاح السعادة » (1 : 333 - 334) ما نصه بشيء من الاختصار : « علم الفراسة علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء ، واعلم أن الفراسة قسمان : أحدهما ما يحصل بالتجربة إذ التجربة دلت على أن بعضاً من الأمور الظاهرة يدل على الأخلاق الباطنة ، وهكذا وحده الحكماء ، وهو من فروع الحكمة الطبيعية ، وثانيهما الفراسة الشرعية الحاصلة ببور اليقين بواسطة تزكية النفس ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

(11) في الأصل : « تبسط » وفي سواه : « تنبسط » وهو أصلح ، فطبعتنا عليه .

(12) في الأصل « اعتبر » وفي غيره : « اعتمد » فاخترنا « اعتمد » على : « اعتبر » لأنه الذي يليق بالسياق .

(13) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، وهو في سواه فأضفناه .

والناقصين خلقة ، وكان يقول : احذروا الأعور < والأحول > (14) [والأعرج] (15) والأحدب ، والأشقر (16) ، والكوسج (17) ، وكل من به عاهة في بدنه فإن فيه التوى (18) ومعاشرته عسيرة .

ومن غريب ما وقع له في ذلك أمران : الأول أنه حكى أنه بعث رجلاً من أصحابه ذات مرة ليشتري له نوعاً من العنب معروفاً ، قال الرجل : فذهبت فلم أجده إلاّ عند رجل من هذا الجنس ، إما أشقر أو أزرق (19) قال : فأتيته به ، فلما طرحت الطبق بين يدي الإمام قال : أين وجدت هذا ؟ قلت : عند فلان ، وكان يعرفه ، فقال : اردد إليه عنبه ، قال : فقلت : يا أبا عبد الله ، إن لم ترد أن تأكله أكله غيرك ، فقال : ما أحب أن تمّ المعاملة بيننا وبينه ، فانظر في هذا ، ولا تظن أن الإمام به حب الثمن يسترده ولا يتصدق بالعنب ، كلاً ، فإن جوده قد طبق الآفاق ، وهو الذي وضع بين

(14) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(15) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه .

(16) في « مقاييس ابن فارس » : « الشقرة من الألوان في الناس حمرة تعلو البياض » .

(17) في « شفاء الغليل » للخفاجي : « كوسج معرب كوسه : بمعنى ناقص الشعر ، وقيل ناقص الأسنان ، واشتقوا منه فعلاً فقالوا : من طالت لحيته تكوسج عقله » .

(18) في « مصباح الفيومي » : « التوى وزان الحصى وقد يمد الهلاك » وكتبت الكلمة في س بالمثلثة وهو تصحيف .

(19) في « التاج للزيدي » : « الزرقة خضرة في سواد العين ، وقيل : هو أن يتغشى سوادها بياض » . وفي « الكشاف » عند قوله تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » : « الزرقة أبيض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم ، وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد أصهب السبال ، أزرق العين » . وفي الحديث : « يدخل عليكم رجل ينظر بعيني شيطان فدخل رجل أزرق العين » وقال الآخر يهجو :

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعب كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وقال الشماخ في أبي لؤلؤة قاتل عمر :

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي سبتي أزرق العين مطرق

يديه عشرة آلاف خارج مكة ، فكل من سلم عليه يعطيه حتى لم يقم إلا وقد فرغت ، وإنما الحامل له على ما قال ألا تم المعاملة بينه وبينه ، والظاهر من القصة أن الرجل المبعوث قد اشترى العنب شراء (20) بتاً ، وهو العادة في مثل ذلك ، ففسخ العقدة إن لم يكن فضلاً من البائع إنما هو أن يدعي أنه من مثل ذلك الشخص عيب ، وهذا نهاية هذا الأمر ، وليس بعجب ، فقد حكى عن بعض القضاة من السلف أنه رد فرساً على بائعه بشية (21) قد عيبت فيه (21م) .

الثاني أنه حكى عنه أنه كان في بعض أسفاره مر برجل من هذا الجنس ، فقام الرجل إليه ورحب به ترحيباً بالغاً ، واستدعاه للنزول والتضييف (22) بغاية الاستحاث ، فتزل رضي الله عنه فبالغ الرجل في ضيافته وإكرامه مع غاية التأديب معه وتبجيله والبر به . فلما رأى الإمام ذلك قال في نفسه : سبحان الله ! < مثل هذا > (23) الخير لا يصدر عن مثل هذا الشخص بما تقرر من الحكمة في أمثاله . وهذا الإنسان ينقض القاعدة علينا ، فاعتم لذلك وبات مغموماً متحيراً (24) فلما أصبح وتها للرحيل لم يشعر إلا وقد ناوله الرجل

(20) أي لا رجعة فيه ، وكتب في س بمثلة . وهو تصحيف .

(21) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « الشية العلامة ، وأصلها وتية ، واجمع تيات مثل

عدات ، وهي في ألسان البهائم سواد في بياض أو بالعكس » .

(21م) لعله يريد تلك الشية التي تسمى الهقعة ، وهي دائرة تكون بزور الفرس . فيعت بالمهقوع ،

ويقال عنه إنه لا يكاد يسبق ، وقد كان كذلك حتى لمزه الشاعر بقوله :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلته وازداد حراً عجائب

فعدت تلك الشية عيباً وسبة في الخيل .

وفي معيار الوائشريسي أن قاضياً رد فرساً مهقوعاً على بائعه لذلك ، فقيل له : إن الشاعر

قد تكذب على المهقوع فقال : هو نسيء قد ظنه الناس وتسخطوه ، فأصبح في حكم العيب .

(22) في ك : « والتضييف » .

(23) ما بين العلامتين ساقط من س .

(24) في س : « محيراً » .

سجلاً فيه مكتوب كل ما أكل وكل ما انتفع به عنده ، مقوماً بقيمة مضاعفة
 وقال له : ادفع لي ما أكلت . وإذا هو رجل صاحب مكر واحتيال على
 الناس بالضيافة ليتجر فيهم ، فعند ذلك سُريَّ عن الإمام رضي الله ، وعلم
 أن القاعدة لم تنخرم ، فوزن له ذلك عن طيب نفس وسرور بصحة القاعدة ،
 انظر الأمثال الحديثة (25) .

ودخل الشعبي (26) سوق الرقيق فقالوا له : هل من حاجة ؟ فقال :
 حاجتي صورة حسنة أتتعم بها . يلتذ بها قلبي ، وتعيني على عبادة ربي ،

(25) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وفي س : « الحادثة » وفي الطبعة الفاسية : « الحديثية » بياء
 النسبة ، وهو الصواب فيما يظهر ، ويبدو أن اليوسي يعني كتاباً معيناً في الأمثال الحديثية ،
 وقد قتشنا الفهارس بحثاً عما ألف في الأمثال الحديثية فوقفنا على الكتب التالية : 1 - « كتاب
 الأمثال السائرة عن رسول الله » لأبي عروبة الحسين بن محمد الحراني المتوفى سنة 318 هـ
 وهو يوجد مخطوطاً بتركيا ، وقد ذكره أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي المتوفى سنة 575 هـ
 في « فهرسة ما رواه عن شيوخه ص 176 . 2 - « كتاب أمثال الحديث المروية عن
 رسول الله » لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة 360 هـ
 ذكره ابن خير في « فهرسة ما رواه عن شيوخه » ص 180 وهو يوجد مخطوطاً بفيض
 الله وبالإسكوريال ، وقد طبع محققاً بعناية أمة الكرم القرشية بحيدرآباد سنة 1968 م .
 3 - « كتاب الأمثال » (خاص بالأمثال النبوية) لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر
 الأنصاري الأصفهاني المتوفى سنة 369 وهو يوجد مخطوطاً بامبروزيانا . ويمكن أن يكون
 كتاب الأمثال الحديثية الذي أحال عليه اليوسي واحداً من هذه الكتب الثلاثة .

(26) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار ، وذو كبار قيل من أقيال اليمن ،
 الشعبي قال ابن الإثير في « الباب » عن نسبه هذه : « الشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون
 العين المهملة وفي آخرها ياء موحدة - هذه النسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان » . وقال
 عنه الخليلي في « وفياته » : « هو كوفي تابعي جليل القدر ، وافر العلم ، قال الزهري :
 العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ،
 ومكحول بالشام ، ويقال : إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
 توفي الشعبي سنة 104 هـ .

وكأنه يتذكر ما عنده والتشويق إليه . وأدام [النظام] (27) النظر إلى جارية حسنة فقال مولاها : لم ؟ فقال : مالي لا أتأمل منها ما أحل الله ، وفيه دليل على حكمة الله واشتياق إلى ما وعد الله .

وقال الراجز :

ثلاثة تجلو عن القلب الحزن الماء والحضرة والوجه الحسن

وقال إسحاق (28) الموصلي :

لا أشرب الراح إلا من يدي رشاً تقبيل راحته أشهى من الراح (29)

ولا بد من التنبيه في هذا الباب (30) لأمر : منها أن هذه الأسباب

(27) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو وارد في ك و ح فأضفناه رواية عنهما ، والنظام ترجمه ابن نباتة في « سرح العيون » فقال عنه (ص 226) : « هو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري المعروف بالنظام ، ويكنى أبا إسحاق ، شيخ من كبار المعتزلة ، وأئمتهم ، متقدم في العلوم ، شديد الغوص على المعاني ، اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ، ومال في كلامهم إلى الطبيعيين منهم . والإلهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل ، وخلطها بكلام المعتزلة ، وانفرد بها عنهم ، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية ، وتوفي النظام سنة 221 وله من العمر ست وثلاثون سنة ، وله كلام حسن وشعر رقيق » .

(28) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي المغني البارع ابن المغني البارع توفي سنة 235 هـ .

(29) البيت واحد من أبيات ثلاثة أوردها أبو الفرج في « أغانيه » ، ومعها حكاية ، فقال : « أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني حماد بن إسحاق قال : كان أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر ، وجاء غلام قبيح الوجه إلى أبي بقدر نبيذ فلم يأخذه ، ورآه إسحاق فقال له : لم لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي :

أصبح نديمك أقداحاً تسلسلها من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح إلا من يدي رشاً تقبيل راحته أشهى من الراح

انظر تمام الحكاية في « الأغاني » (ج 5 ص 330 طبعة الدار) .

(30) في ح : « ولا بد في هذا الباب من التنبيه » .

الحكمية قسمان : قسم ظاهر ، وهو ما يرجع إلى قوام الإنسان في معاشه غذاء ودواء، مباشرة أو بواسطة قريبة أو بعيدة كما في التمثيل ببعضه، وقسم خفي ، وهو ما لم يصل إلى تلك المتزلة بذاته ، وإن كان له بها مساس ، فالأول لا ينكر على من يتعاطاه لوضوحه . والثاني هو الذي يقع فيه الإنكار كما مرّ كل ذلك .

ومنها أن الأمر العاديّ كما أنه لا تأثير فيه إلاّ الله تعالى كذلك لا ارتباط فيه عقلاً ، وإنما هو أمر يجعله الله تعالى وتستمر عاداته تعالى به اختياراً منه ، ومتى أراد أن يخرقه خرقه . كما شوهد ذلك في معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وسحرة (31) السحرة ، فكل ذلك خرق من الله تعالى لحكمة كما أجراه أولاً لحكمة (32) : وقد أخرج (33) أهل الحيرة السم القاتل للسيد خالد بن الوليد رضي الله عنه طمعاً منهم في أن يقتلوه ، فلما علم به أخذه فسمى الله تعالى وأكله ، ولم يضره شيئاً ولا يحصى كم من عابد بقي حياً بلا طعام ولا شراب .

(31) في « التاج » : « سحره يسحره سحراً وسحراً وسحرة » .

(32) في ك : « لحكمته كما أجراه أولاً بحكمته » .

(33) ملخص الخبر أن أحد المتفاوضين مع خالد رضي الله عنه على الصلح في افتتاح الحيرة ، وهو عمرو بن عبد المسيح بن قيس من آل ببيعة كان قد أحضر معه سمّاً ليتحرر به إذا رأى من خالد ما يكرهه ، فكان أن اكتشف خالد السم الذي معه ، فسأله فيه فقال : « خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت ، فكان الموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي ، فقال خالد : إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها » فتناول السم وقال : « باسم الله خير الأسماء ، رب الأرض والسماء ، الذي لا يضر مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم » ثم ابتلعسه ، والبقيلي يرى ، فلم يضره السم شيئاً . انظر الخبر مفصلاً في « تاريخ الطبري » ضمن حوادث السنة 12 « والكامل » في التاريخ لابن الأثير في حوادث السنة 12 كذلك .

ولما حاصر المعتصم عمورية نهاه المنجمون أن يتقدم لقتالهم في ذلك اليوم ،
فلما بلغ ذلك بعض أهل الدين في عسكره دخل عليه فقال له :

دع النجومَ لطرفيَّ يعيش بها و قم لوقتك وانهض أيها الملك
إن النبي وأصحابَ النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا
فنهض إليهم لوقته ففتح عليه .

وأصل هذا ما في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه
إثر سماء وقعت : « أتَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي
وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ
مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوَاءِ
كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ » وهذا هو الذي قررناه
قبْلُ من تحقيق التوحيد وليس فيه إنكار العادة الجارية .

والنوء عند العرب أن يطلع نجم ، وقيل : أن يغرب ، وهو الأصح
< فيقع وهكذا > (34) وقد أجرى الله تعالى عند طلوع النجوم وعند
غروبها وعند اقتران بعضها ببعض أموراً كثيرة في المملكة اختباراً منه
تعالى ، ونبه إليها من شاء من عباده فحصل لهم علم الأنواء ، وعلم
الاقترانات (35) وسائر علم التنجيم ، وهي كلها عادات جارية بإذن الله

(34) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(35) في كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبري زاده (1 : 386) ، « علم القرائن : اعلم
أن القرائن هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة
من برج واحد ، ويبحث في هذا العلم على الأحكام الجارية في هذا العالم بسبب قران السبعة
كلها أو بعضها في درجة واحدة من برج معين ، واعلم أن أرباب النجوم زعموا أن
الكواكب السبعة كانت مقترنة في أول الميزان في مبدأ العالم ، ثم تفرقت ، فمتى اجتمعت
في برج واحد يكون سبباً لحادث عظيم كحدوث طوفان عظيم ، أو تبديل ملة أو دولة ،
حسب تفاوت القرائن في البروج وفي قران الكل أو البعض . »

تعالى . والمتنبهون إليها المعتبرون لها منهم من آمن ومنهم من كفر ، والمقياسُ الحديثُ السابقُ على ما مرّ من تفصيل أحوال الناس .

ومنها انه قد يعد من هذا الباب ما ليس منه مما يرجع إلى مجرد تخيلات ووساويس ، ولم يظهر فيه حكمة منوطة (36) ولا عادة صحيحة جارية ، وأكثره يكون بتسلط شياطين يعبثون بمن يتوهم ذلك ، فلا يلتفت إلى هذا النوع بوجه من الوجوه ، ولا سيما إن أبطل سنة وعارض حكماً شرعياً كالذي يقول : إني جربت أني متى أعرت أو سلفت أو تصدقت أو أضفت ضيفاً تصيبني مضرة ، فهذه شيطانية .

وقد حكي عن بعض الناس أنهم ما يذبجون الضحية ، وأنهم متى ذبحوها أصابتهم مصيبة ، فلما اعتادوا ذلك تركوها ، فتمادوا على هذا الضلال حتى انتهى الأمر إلى رجل منهم موفق فقال : والله لا أترك السنة والأضحيتين ، فلما ضحى يبيستُ يده اليمنى فقالوا : هذا الذي حذرناك ، فقال : لا أبالي . فلما أتت الضحية من قابل ضحى أيضاً فيبيست يده الأخرى ، فلما ضحى الثالثة يبيست رجله ، ولما ضحى الرابعة يبيست رجله الأخرى ، ولما ضحى الخامسة انطلق ولم يبق به باس < وانقطعت تلك العادة الباطلة > (37) وتبين أنه شيطان يعبث بهم ويفسد عليهم دينهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(36) في ك : « منطوية » .

(37) ما بين العلامتين ساقط من ك .

[تأملات المؤلف في النعيم والعذاب]

كنت في هذه السفرة التي كتبت فيها هذه الأوراق سافرت زمن البرد ،
فلما انفصلت من البلد قلت :

أيَا رب البرايا يا رحيم ويا مولى العطايا يا حفيظ
أجرنا من عذابك وامتحان تجيش النفس منه أو تفيظ
ومن وعثاء في سفر وسوء ومن صُرْدٍ (1) وسائر ما يغيظ

يقال فاظت نفسه إذا مات ، والوعثاء بعين مهملة وثناء مثلثة المشقة ،
فلما أمسينا وضعت بين أيدينا فاكهة الشتاء (2) فنعمنا بها ، فلما رأيت ذلك
قلت : سبحان من جعل رحمته في عذابه أي النار ، وجعل عذابه في رحمته
أي المطر ، ثم نظمت هذا المعنى فقلت :

سبحان من يقدر أن يرحمنا بما به يعذب المجرما
وأن يعذب بما يرحم العبد به يوماً إذا أنعمنا
فظهر اقتداره واعتلى في كلّ أمر شأنه واستمى

(1) الصرد بوزن الجعل طائر ضخيم الرأس ، كبير المنقار ، قوي البرثن ، يصيد العصافير ،
ويأوي إلى أعالي الأشجار ورؤوس القلاع ، وهو شرس كثير النقور والعرب تطير
بصوته وتتشاءم من شخصه .

(2) هي النار قال الشاعر :

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

وظهرت حكمته في الذي ركب في الدنيا وما أحكما
فمرُّها لم يخل من حلوها وحلوها قد أشرك العلقما

في أبيات أخرى أنسيتها (3) الآن . وتقرير هذا المعنى من وجهين :
أحدهما أن هذه الأمور التي يباشرها الإنسان ذات وجهين : نافع وضار ،
ألا ترى أن النار مثلاً تدفئ من البرد وتحرق ، والمطر مثلاً ينبت الزرع
والنوار ، ويخلف المياه الغزار ، ولكن ينحرب الديار ، ويقطع المسافر عن
التسيار ، وهكذا ، والحكمة في ذلك التركيب المشار إليه في الدنيا لما مر من
الدلالة على ما في الآخرة من النعيم والعذاب والترغيب والترهيب وغير ذلك
مما يطول تتبعه .

ثانيهما أن كل ما هو نافع فالله تعالى قادر أن يجعله ضاراً وبالعكس .
وذلك لما تقرر في العقيدة من أن ما يوجد في هذه الحوادث من الفوائد والخواص
ليس ناشئاً عنها لا باختيار ولا علة ولا طبع ، بل عن الفاعل المختار تعالى
بقدرته ومشيبته ، وليس ثم ارتباط عقلي ، فيجوز وجود ذلك وعدمه ، فله
تعالى أن يجعل النار مثلاً محرقة مرة ، ثم يجعلها غير محرقة ، وأن يجعل الحيز
مثلاً مقتاتاً ثم يجعله غير مقتات كالحجر ، وهكذا ، ولكن أجرى الله تعالى
عادته بما وقع لما مر من الحكمة وكثيراً ما ينحرق ذلك وقد مر كل ذلك .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(3) في ك وفي س وكذا في ح : « نسيها » .

[انهزام الدلائين في معركة بطن الرمان]

كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر قد ملك الغرب سنين عديدة ، واتسع هو وأولاده وإخوته (1) وبنو عمه في الدنيا ، فلما قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف ولقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم وذلك أوائل المحرم فاتح سنة تسع وسبعين وألف فدخلنا عليه وكان لم يحضر في المعركة لعجزه من كبر سنّه فإذا بالفصل يدخلون فدخل عليه أولاده وإخوته وأظهروا جزعاً شديداً وضيقاً عظيماً ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ما هذا ؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم ، يريد الله تعالى ، وهذا كلام عجيب ، وإليه يساق الحديث . والمعنى : إن قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين ، والإشارة بهذا إلى أن الله تعالى وضع في الدنيا مائدة لعباده وجعلها دُولاً كما قال تعالى : « وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدْأُولِهَا بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ » فكل من جلس على هذه المائدة وتناول منها ما قسم له فلا بد أن يقام عنها (2) بالموت أو العزل ليجلس غيره ، ولا تدوم لأحد ، بل لا يقام عنها من أقيم غالباً إلاّ بمرارة وعنف ، ولذا (3) قال صلى الله عليه وسلم : < في الولاية > (4) ؛ نِعِمَّتِ الْمُرْضِعَةُ وَبَيْتَتِ الْفَاطِمَةُ .

ثم من الناس من لم يشعر بهذا المعنى ولم يتنبه له ، فهو يسعى إليها عجباً

- (1) في ك : « وإخوانه » .
- (2) في ح : « منها » .
- (3) في ح : « وكذا » .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من ح .

بأوائل زبرجها وانخداعاً بظاهر زينتها ، كما قيل (5) :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت (6) وشبضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطا تنكر لونها وتغيرت (7) مكروهة للشمّ والتقبيل

ومن الناس من علم ذلك وتنبه له . ثم من هؤلاء من نفعه الله بعمله فأوجب له أحوالاً محمودة إما قبل ولوجها بالزهد فيها والفرار عنها علماً بغايتها ديناً وتقوى أو حزمياً في الدنيا ، وإما بعد الولوج بالتعفف والعدل والإحسان والرفق ومجانبة البغي والجور إما ديناً أيضاً وحذاراً (8) من المطالبة في الآخرة ، وإما حزمياً دنيوياً وحذاراً من اختلالها واضمحلالها .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(5) نسبت هذه الأبيات لامرئ القيس برواية ابن النحاس ، وهي بديوانه في طبعة الفخائر رقم 24 .

(6) رواية الديوان : « استعرت » .

(7) رواية الديوان :

« شمطاء جزت رأسها وتنكرت »

(8) في ح : « وحذاراً » .

[دوام الملك بالعدل وضمحلالة بالجور]

وقد حكى عن فرعون - لعنه الله - أنه دخل عليه بعض أشياعه بمال عظيم فوضعه بين يديه فقال له : من أين هذا ؟ فأخبره أن بعض القرى من أعمالهم كان لهم ماء فتبطل ، وأنه قد أذن لهم في إحيائه وإجرائه على هذا المال ، فقال له فرعون : الماء مأوهم وقد أجروه ، فقيم يدفعون المال ؟ هذا ظلم وجور ، والملك لا يستقر على الجور ، فاردد إلى الناس أموالهم .

قال بعض أئمتنا : فانظروا . يا معشر المسلمين ، هذا كافر لا يلتفت إلى الدار الآخرة ، ثم حافظ بالعدل على دنياه فقط ، فكيف بمن يدعي الدين ثم لا يلتفت إلى العدل ولا يحافظ على دين ولا دنيا .

قلت : وقد قال الحكماء : إن الملك يستقر ويستقيم مع الكفر ولا يستقيم مع الجور ، والعلة فيه (1) أن الملوك هم خلفاء الله تعالى على عباده مؤمنهم وكافرهم ، غير أن المؤمن خليفة في الطرفين ، والكافر في الدنيا فقط ، والملك هو نظام العالم . والعدل < هو > (2) روحه ، فمتى ذهب العدل اختل النظام ووقع الفساد في العالم ، ولذلك قال أرسطو طاليس (3) في < ضوابطه > (4) :

- (1) في ح : « في ذلك » .
- (2) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (3) هو الفيلسوف اليوناني الشهير (384 - 322 ق . م) الملقب عند المسلمين بالمعلم الأول ، والذي كان الحجة الموثوق بها طوال العصور الوسطى ، تتلمذ على أفلاطون ، واتخذه فيليب ملك مقدونيا مربيًا لابنه الإسكندر ، وأنشأ اللوكيون الذي ما يزال اسمه يطلق على معاهد التعليم الثانوي ، ألف أرسطو كتباً في شتى المواضيع ، وترجم العرب طائفة من كتبه إلى لغتهم .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

العالم (5) بستان سياجه أي حائطه الدولة ، الدولة سلطان تحيا به (6) السنة .
السنة سياسة يسوسها الملك ، الملك راع يعضده الجيش (7) الجيش أعوان
يكفلهم المال ، المال رزق تجمععه الرعية ، الرعية عبيد تعبدهم (8) العدل ،
العدل مألوف وهو حياة (9) العالم .

ومن كلام الفرس : لا ملك إلاّ برجال ، ولا رجال إلاّ بمال ، ولا
مال إلاّ بعمارة ، ولا عمارة إلاّ بعدل (10) .

(5) وردت هذه الكلم الثماني في « كتاب السياسة » المنسوب لأرسطو والموجود مخطوطاً بمكتبة
سوهاج برقم 167 تاريخ ثم جاءت في كتاب « طبقات الأطباء والحكماء » لأبي داود
سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل والمتوفى سنة 366 هـ (ص 26 مطبعة
المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1955 بتحقيق فؤاد سيد) ومعها التعقيب التالي :
« وهي كلمات فلسفية سياسية كل كلمة منها متعلقة بما قبلها ويفسرهما ما بعدها ، وكذلك
آخرها متعلق بأولها » . وجاء بها ابن أبي أصيبعة في « طبقاته » (ج 1 ص 101 - 102
طبعة دار الفكر ببيروت) ومعها الخبر التالي : « وأمر أرسطوطاليس عند موته أن يدفن
ويبنى عليه بيت مثنى يكتب في جملة جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الأمور التي بها
مصلحة الناس » ثم سردها ابن أصيبعة ، وذكرها الخلدوني في « مقدمته » (ص 30 - 31
طبعة محمد عاطف) ثم أعقبها بقوله : « فهذه ثمان كلمات حكمية سياسية ارتبط بعضها
ببعض وارتدت أعجازها على صدورهما واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها » . وأودعها
اليوسي في نصيحته إلى المولى إسماعيل العلوي سلطان المغرب ، وتجد نص النصيحة في
استقصاء الناصري (ج 7 ص 82 - 86 طبعة دار الكتاب بالبيضاء 1956 م) .

(6) في طبقات ابن جلجل : « تحجبه السنة » وفي نصيحة اليوسي : « تعضده السنة » .

(7) في المقدمة الخلدونية : « الملك نظام يعضده الجند » .

(8) في « طبقات ابن جلجل » : « يتعبدهم » وفي « طبقات ابن أبي أصيبعة » : « يستملكهم »

وفي « المقدمة الخلدونية » : « يكتفهم » وفي « نصيحة اليوسي للمولى إسماعيل » « يقودهم » .

(9) في « طبقات ابن جلجل » : « وهو صلاح العالم » وفي « طبقات ابن أبي أصيبعة :

« العدل ألفة بها صلاح العالم » وفي « المقدمة الخلدونية » : « وبه قوام العالم » وفي نصيحة

اليوسي : « وبه صلاح العالم » .

(10) في ك : « بالعدل » معرفاً .

وقال الإمام علي - كرم الله وجهه - : الدين أس ، والمملك حارس ،
وما لا أس له مهدوم (11) .

وفي الحديث : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ :
الْأَمْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ » .

وقال أبو بكر - رضي الله عنه - : لا يصلح هذا الأمر إلا شدة في
غير عنف ، ولين في غير ضعف .

وقال عمر - رضي الله عنه - : لا يقيم هذا الأمر إلا رجل يخاف الله
في الناس ، ولا يخاف الناس في الله .

وقال عمرو بن العاص : - رضي الله عنه - إمام عادل (12) خير من
مطر وابل ، وأسد حطوم ، خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم ، خير من
فتنة تدوم .

وفي أمثالهم : إذا رغب السلطان عن العدل ، رغبَت الرعية عن الطاعة .

ولم يزل الحازمون (13) من أهل الدين يهربون منها ، ولذا قال صلى الله
عليه وسلم : « إِنَّا لَا نُؤَكِّدُ أَمْرَنَا هَذَا مَنْ سَأَلَهُ أَوْ مَنْ أَرَادَهُ »
إما رعيّاً للغالب من أنه لا يطلبه إلا شهواني أو مضيع للحزم ، وإما استئناً
ليتبع عند غلبة الشهوة وضعف الديانة كأزمنتنا هذه .

(11) كتب ناسخ الكناية بإزائه ما نصه بالحرف التام : « تمامه : ومن ليس له حارس فضائع » .

(12) في س و ح : « عدل » ولا تستقيم به السجعة .

(13) في س : « قوم » . بدل : « الحازمون » .

وقال أبو عمر (14) بن عبد البر : تكلم يوماً معاوية – رضي الله عنه – فقال : أما أبو بكر فهرب عنها وهربت عنه ، وأما عمر فأقبلت إليه وهرب عنها ، وأما عثمان فأصاب منها وأصابته منه ، وأما أنا فداستني ودُستها ، قال أبو عمر : وأما علي فأصابته منه ولم يصب منها ، قلت : إن أبا بكر هرب عنها من أول مرة ، وقد قال يوم السقيفة ووضع يديه (15) على عمر وأبي عبيدة : بايعوا أحد هذين الرجلين ، قال عمر : فلم أكره مما قال غيرها ، فهما هاربان منها .

وقال عمر – رضي الله عنه – بعد ذلك في قصته (16) مع أويس القرني

(14) هو الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (368 – 463 هـ عالم الأندلس الكبير ، ومؤلف « التمهيد ، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» و «الاستيعاب ، في طبقات الأصحاب» و «جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله» و «بهجة المجالس وأنس المجالس» وكتب أخرى زهاء الثلاثين .

(15) في س وحدها : « يده» بالإفراد .

(16) قصة عمر مع أويس أوردتها ابن الجوزي في « صفة الصفوة» (3 : 44 – 48) ، وها هي رواية عنه ببعض تصرف وقليل اختصار : «عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء ، الأبرار ، الشعثة رؤوسهم ، المغبرة وجوههم ، الخمصة بطونهم ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم . . . قالوا : كيف لنا برجل منهم ؟ قال : داك أويس القرني ، قالوا : وما أويس القرني ؟ قال : أشهل ، ذو صهوبة ، بعيد ما بين المنكبين ، معتدل القامة ، آدم شديد الأدمة ، ضارب بذقنه إلى صدره ، رام يبصره إلى موضع سجوده ، واضع يمينه على شماله ، يتلو القرآن ويبكي على نفسه . . . لو أقسم على الله لأبره . . . يا عمر ، يا علي ، إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما» انتهى بلفظه ، ثم طلبه عمر حتى لقيه في السنة التي قتل فيها يرعى إبلا لقومه الذين حجوا في تلك السنة فأراد عمر أن يعطيه من عطائه وكسوة من فضل ثيابه فامتنع أن يقبل منه ، وقال ما لفظه : « عرفني ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة» أما ترى علي إزاراً من صوف ، ورداء من صوف ، متى تراني أخرقهما ؟ أما ترى أن نعلي مخصوصتان ؟ متى تراني أبليهما ؟ إني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلهما ؟ يا أمير المؤمنين ، إن بين يدي ويديك عقبه كتوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول ، فأخفف رحمتك الله» فعند ذلك قال عمر كلمته التي حكها عنه اليوسي هنا .

من يأخذها بما فيها ؟ يا ليت عمر لم تلده أمه ، وقال في آخر رمق : يا ليتني تخلصت منها كفافاً (17) لا لي ولا عليّ ، هذا مع استقامته وعدله الشهير ، حتى صار يضرب به المثل في متابعة الحق ، وقد شهد له صلى الله عليه وسلم بذلك في الحديث (18) المشهور ، وقال له أيضاً : « مَا سَلَكَتَ فَجَاءَ إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجَاءَ غَيْرَ فَجِّكَ » فكيف يكون حال من لم يبلغ أدنى من هذه المرتبة ولا قارب . وهو يتبجح بالولاية ، ويستبشر بنيل الدرجة بها عند الله تعالى .

وقال علي - كرم الله وجهه - : يا بيضاء (19) ويا صفراء غري غري ولا تغريني .

وكل من تعرض لها من السلف فيما انتهاضاً لنصح المسلمين من نفسه بإقامة الحق لثلاً يضيع ، وإما نزعة بشرية حركها سبب من الأسباب ، أما على الثاني فلا يقتدى به ، وأما على الأول فيقتدى من بلغ مقامه في التمكين والقوة والنزاهة ، وفي مثل زمانه الصالح الذي لم يزل فيه الدين طرياً ، والحق

(17) في « صحاح الجوهري » : « كفاف الشيء بالفتح مثله وقية ، والكفاف أيضاً من الرزق القوت ، وهو ما كف عن الناس أي أغنى » . وفي « أساس البلاغة » : « نفقته الكفاف : ليس فيها فضل ، وليتني أنجو منه كفافاً لا لي ولا علي ، وفلان لحمه كفاف أديمه : إذا ملأ جلده » .

(18) أخرج الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » . وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به » . وأخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحق بعدي مع عمر حيث كان » .

(19) عن النهاية في غريب الحديث والأثر من مادة : « صفر » ما نصه : « صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء والحلقة أي الذهب والفضة والدروع ، ومنه حديث علي رضي الله عنه : يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابضي ، يريد الذهب والفضة » .

جلباً ، والأعوان عليه قائمين ، وهيهات ذلك في آخر الزمان الذي غلب فيه حب الدنيا واستولى سلطان الهوى على الناس ، فلا ترى إلا حرصاً (20) على الجمع والمنع ، ولا ترى إلا نفاقاً ومداهنة وملقاً ، فالمرء فيه لا يعدل بالسلامة شيئاً ، ومن له بوجودها إن لم يكن له من المولى تعالى لطف ظاهر .

وقد أندر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الزمان ، وحض (21) فيه على تجنب أمور العامة ، وإيثار السلامة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا . وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُويُصَةِ نَفْسِكَ » .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(20) في س : « حريصاً » .

(21) في س : « حظ » بظاء مشالة وهو تصحيف .

[وسواس المهذوية]

فمن انتهض اليوم للانتصاب رَوْماً منه لإقامة الحق وإنصاف (1) المظلوم من الظالم فهو مغرور ، ولعل ذلك لا يتأتى له كما ينبغي في بيته > فضلا عن قريته < (2) فضلا عن البلد . فضلا عن الإقليم ، وقد يسمع فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بمصالح المسلمين ودرجة الإمام العادل . وذلك كله حق . ولكن أين يتأتى ؟ فيتحرك المسكين لاقتناص الأجر والظفر بعلي (3) الدرجات فلا يفتن إلا وقد وقع به العشاء على سرحان (4) . وربما حان فيمن حان (5) ، وقد يكون ذلك ، وهو الأغلب ، دسيسة دنيوية ،

-
- (1) في س : « وانصاف » .
(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(3) في س : « بأعلى » .
(4) في « مجمع الأمثال » للميداني (1 : 241) : « سقط العشاء به على سرحان . قال أبو عبيد : أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله ، وقال الأصمعي ، أصله أن دابة خرجت تطلب العشاء فلقبها ذئب فأكلها ، وقال ابن الأعرابي : أصل هذا أن رجلا من غني يقال له سرحان بن هزلة ، كان بطلا فاتكأ يتقيه الناس ، فقال رجل يوماً : والله لأرعين أبلي هذا الوادي ولا أخاف سرحان بن هزلة ، فورد بإبله ذلك الوادي فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ إبله وقال :
أبلغ نصيحة أن راعي أهلها سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متقمر طلق اليمين معاود لطمعان
يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف » .
(5) أي هلك فيمن هلك .

ونزغة شيطانية، وقد يقع في [بعض] (6) هذه المهاوي بعض أبناء الطريق (7) يحسدهم الشيطان على باب الله والتفرغ للحضور بين يديه وتجنب المعاصي التي هي أقرب شيء إلى الغفران برحمة الله ، فلا يزال بهم حتى يضمهم إليه ويجاوز بهم مزالق من كانوا يتبعونه إلى هاوية من يتبعهم كما قال الشاعر:

وكنت امرءاً من جند إبليس (8) فانتهى بي الأمر حتى صار إبليس من جندي

نسأل الله العافية . فيجد الواحد قوة إيمانية في قلبه أو حالة جمالية (9) واردة . فيوهمه ذلك أنه قوي على أن يصدع بالحق ، وربما أوهمه ذلك أنه هو الحقيقي بذلك دون غيره ، أو أنه هو المهدي المنتظر ، فيتحرك على طمع أن ينقاد له الأمر وينقاد له أبناء الزمان ، ويحضر فيكدي (10) ، ولا

(6) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(7) في « تعريفات الشريف الجرجاني » ما نصه : « الطريق عند اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ، فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق » وجاء فيها أيضاً ما لفظه : « الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات » .

(8) في « ثمار القلوب » للشعالبي (ص 54) : « جند إبليس - يقال ذلك للمجان والخلعاء قال الشاعر :

وكنت فتى البيت »

ومثله في آكام المرجان للشبلي (ص 84) وفي شفاء الغليل للخفاجي (ص 65) ، والبيت بعده بيت آخر يقول :

فلو مات قبلي كنت أحسنت بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

(9) في « تعريفات الجرجاني » : « الجلال من الصفات ما يتعلق بالقهر والغضب » . وفيه أيضاً : « الجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللفظ » .

(10) في « أساس البلاغة » ما لفظه : « أكدي الحافر بلغ الكدية ، وهي صلابة الأرض ، فمنعته ، كقولهم : أجبل الحافر ، ومن المجاز : أكدي الرجل أخفق ولم يظفر بحاجته » .

يعيد ولا يبدي ، ثم يصير أشقر إن تقدم نُحِر ، وإن تأخر عُقِر (11) ، فلا يسعه على زعمه إلاّ فتح أبواب التأويلات والترخصات ، وإسعاف الناس بعد أن قام ليتبعوه ، ومن هنالك يهدم الدين عوض ما قام لبنيته ، ويخفض الحق مكان ما انتهض ليعليه ، فإياك وإياك .

إذا أرخى الحمل عليك ذيلاً فم في ظله ليلاً طويلاً (12)

وقد رأينا في وقتنا هذا من استولت عليه هذه الوساويس حتى وقع في شبه صاحب المائلخويا (13) بحيث لو اطلع الناس على ما هو فيه رموه في

(11) في « مجمع الأمثال : » كان لقيط بن زرارة يوم جيلة على فرس أشقر فجعل يقول : أشقر ، إن تتقدم تنحر ، وإن تتأخر تعقر ، يقول : إن حریت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك .

(12) في الطبعة الفاسية :

إذا أرخى الحمل عليك ذيلاً فم في ظله نلت الفلاحا
فمن لم يسأل الجيران عنه ولا عن حاله فقد استراحا

(13) كذا بالأصل ، وفي ك و ح « المائلوخيا » أما س ففيها « المائلوخيا » وكتب أكنسوس على طرة مخطوطته في شرحها ما نصه : « لفظة يونانية معناها الجنون واختلاط الفكر » اه والكلمة مزيج من كلمتين ترجمتهما : « المرة السوداء » والكلمة قد رسمت في كتب الطب العربية بأشكال مختلفة ، فهي مرة : « المائلخوليسا » ومرة أخرى « المائلخونية » وجاءت على رسم آخر هو « المائلخونيا » واشتقوا منها فعلا هو « تملخن » إذا ظهرت عليه وجعلوا منها وصفاً هو « المائلخوني » واسمها الطبي اليوم هو « النوروستانيا » والمبتلى بها يصاب باضطراب عقلي معه حزن وكآبة ، وتعترية وساوس وتوهمات كاذبة ويكون متلكيء الإرادة خائر العزيمة ، ماتاث التفكير ، وقد يصحبها اختلال هضمي وصداع .

المارستان (14) ، ولكن ستر الله تعالى يغطي على عبده (15) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(14) في « التاج » : « المارستان بفتح الراء : دار المرضى ، وهو معرب ، نقله الجوهري عن يعقوب ، قلت : وأصله بيمارستان بكسر الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء ومعناه دار المرضى كما قاله يعقوب ، قال : بيمار عندهم هو المريض وأستان بالضم المأوى كما حققه موبذ السري ، ثم خفف فحذفت الهمزة ، ولما حصل التركيب أسقطوا الباء والياء عند التعريب » .

(15) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك ففيها : « عباده » وأما س ففيها : « عبده » بالإفراد .

[مهدوية أحمد بن أبي محلي]

وممن ابتلي بهذا قريباً أحمد بن عبد الله بن أبي محلي ، وكان صاحب (1) ابن مبارك التستاوني (2) في الطريق حتى حصل له نصيب (3) من الذوق ، وألف فيها كتاباً تدل على ذلك ، ثم نزعت به هذه النزعة ، فحدثونا أنه في أول أمره كان معاشرراً لابن أبي بكر الدلائي المتقدم الذكر ، وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت ، فقال لابن أبي بكر ذات ليلة : هل لك في أن نخرج غداً إلى الناس فنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصبحا خرجا ، فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعته بالحلق ، وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها ، وأما ابن أبي محلي فتقدم لما هم بهمن الحسبة (4) فوقع في شر وخصام أدّاه إلى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل ، فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر : أما أنا فقد قضيت مآربي ، وحفظت

(1) في ك و س : « صحب » ثلاثياً .

(2) في س : « التستاوني » .

(3) في ك : « حتى حصل نصيباً من الذوق » .

(4) في « كتاب الأحكام السلطانية » للماوردي : « الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ،

ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر » وهذا وإن صح من كل مسلم فالفرق فيه بين المتطوع

والمحتسب من تسعة أوجه : أحدها أن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية ، وفرضه

على غيره داخل في فروض الكفاية . والثاني أن قيام المحتسب من حقوق نصرته الذي لا يجوز

أن يتشاغل عنه ، وقيام المتطوع به من نوافل عمله الذي يجوز أن يتشاغل عنه بغيره ... الخ » .

ديني . وانقلبت في سلامة وصفاء ، ومن أتى منكراً فالله < هو > (5)
حسيبهُ أو نحو هذا ، وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه . ثم لم ينته إلى أن
ذهب إلى بلاد (6) القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر ، وأنه بصدد
الجهاد ، فاستخف قلوب العوام واتبعوه ، فدخل بلد سجلماسة وهزم عنه
والي الملوك السعدية واستولى عليه ، ثم أخرجهم من درعة ، ثم تبعهم إلى
حضرة مراکش ، وفيها زيدان بن أحمد المنصور فهزمه . وأخرجه منها ،
وذهب فاستغاث بأهل السوس الأقصى فخرجوا إلى ابن أبي محلي فقتلوه وهزموا
عسكره شذر مذر (7) فكان آخر العهد به ، ورجع زيدان إلى ملكه . وحدثونا
أنه كان ذات يوم عند أستاذه ابن مبارك قبل ذلك فورد عليه وارد حال فتحرك
وجعل يقول : أنا سلطان ، أنا سلطان ، فقال له الأستاذ : يا أحمد < هب
أنك تكون سلطاناً > (8) (إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) .

وفي يوم آخر وقع للفقراء سماع فتحرك وجعل يقول : أنا سلطان .
أنا سلطان ، فتحرك فقير آخر في ناحية وجعل يقول : ثلاث سنين غير ربع .
ثلاث سنين غير ربع ، وهذه هي مدة ملكه ، < وقد رمزوا له ذلك > (9)
فقالوا : قام طيشاً ، ومات كبشاً ، أي قام في تسعة عشر بعد ألف ، ومات
في اثنين وعشرين بعدها . وزعموا أن إخوانه من الفقراء ذهبوا إليه
حين دخل مراکش برسم زيارته وتهنئته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهتثونه

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

(6) في س : « بلد » بالإفراد .

(7) في « صحاح الجوهري » من مادة : « شذر » ما لفظه : « تفرقوا شذر مذر ، وشذر مذر ،

إذا ذهبوا في كل وجه » . وفيه من مادة : « مذر » ما نصه : « يقال تفرقت إبله شذر

مذر وشذر مذر : إذا تفرقت في كل وجه ، ومذر إتباع » .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

ويفرحون له بما حاز من الملك ، وفيهم رجل ساكت لا يتكلم . فقال : ما شأنك (10) لا تتكلم ؟ وألح عليه في الكلام ، فقال له الرجل : أنت اليوم سلطان ، فإن أمنتني على أن أقول الحق قلته ، فقال له : أنت آمن فقل ، فقال : إن الكرة التي يلعب بها يتبعها المائتان وأكثر من خلفها ، وينكسر الناس وينجرحون ، وقد يموتون ، ويكثر الصياح والهول ، فإذا فتشت لم توجد [بداخلها] (11) إلا شراويط أي خرقاً بالية ملفوفة ، فلما سمع ابن أبي محلى هذا المثال وفهمه بكى وقال : رمنا أن نحيي (12) الدين فأتلفناه .

واعلم أن هذه الدعوى أعني دعوى الفاطمية بلوى قديمة كما أشار إلى ذلك بعض الأئمة ، وكان الشيعة ادعوا ذلك لزيد (13) بن علي ، فلما قام علي هشام ظفر به يوسف (14) بن عمر فصلبه ، فقال بعض شعراء بني مروان يخاطب الشيعة :

(10) في ح « انك » ، بدل « ما شأنك » .

(11) ما بين العلامتين زيادة من س .

(12) كذا في الأصل وفي سواه « نجبر » بدله .

(13) ترجمه الكتبي في « الفوات » فقال : « زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين الهاشمي ، وفد على هشام بن عبد الملك فرأى منه جفوة ، فكانت سبب خروجه وطابه الخلافة ، فظفر به يوسف بن عمر الثقفي فقتله وصلبه سنة ثلاث وعشرين ، وله أربع وأربعون سنة ، ولم يزل مصلوباً إلى سنة ست وعشرين ، وقيل : كانوا يوجهون وجهه إلى جهة العراق فيصبح وقد دار إلى القبلة مراراً ، ونسجت العنكبوت على عورته ، وكان قد صلب عريان ، وقال الموكل بنخشبة : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقف على الحشبة وقال : هكذا يصنعون بولدي من بعدي ، قتلوك قتلهم الله وصلبوك صلبهم الله . فخرج هذا في الناس ، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام أن عجل إلى العراق ، فقد فتنوا فكتب إليه هشام : أن أحرقه بالنار » .

(14) هو أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد الثقفي ابن ابن عم الحجاج ، وأمير العراق من قبل هشام . قال عنه ابن عساكر : « كان يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف في الصرامة والشدة في الأمور ، وأخذ الناس بالمشاق » . وكان يوسف مضرب المثل في =

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب (15)

لله الأمر من قبل ومن بعد

= الحمق والتهيه ، وفي ذلك يقول حمزة الأصفهاني في كتابه « الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة »
« وأما قولهم : أتية من أحقق ثقيف فمن التيه الذي هو الصلف ، وأحقق ثقيف هو يوسف
ابن عمر ، وكان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك ، وكان أحقق وأتية عربي
أمر ونهى في دولة الإسلام » . توفي مقتولا سنة 127 هـ .
(15) في « كامل المبرد » (3 : 236) : « يروى أن شاعراً لبني أمية قال معارضاً للشيع في
تسميتهم زيداً المهدي ، والشاعر هو الأعور الكلبي : صلبنا لكم زيداً ... البيت » .

[المهدي ابن تومرت وأتباعه]

وأول من تظاهر بهذا جداً ببلاد المغرب < فيما علمنا > (1) مهدي الموحدين ، وهو أبو عبد الله محمد بن تومرت السوسي ، وكان رجلاً فقيهاً ، له رحلة إلى المشرق ولقي (2) فيها المشايخ كالإمام الغزالي رضي الله عنه ، فلما قفل إلى المغرب لقي في طريقه عبد المؤمن بن علي قد ارتحل في طلب العلم وهو شاب صغير ، وكان عنده فيما يقال علم من علم الحدثان (3) فلما بصر به توسم فيه أنه صاحب الأمر فقال له : اذهب معي وأنا أعلمك ما تشاء من العلوم ، فصحبه عبد المؤمن في دخوله إلى المغرب (4) ، فلما وصلوا إلى حضرة

- (1) ما بين العلامتين ساقط من س .
- (2) في ك و ح : « لقي » بدون الواو .
- (3) عني بالحدثان ما فسرہ الخلدوني في « المقدمة » فقال : « من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم ، وعلم ما يحدث لهم من حياة ، وموت ، وخير ، وشر ، سيما الحوادث العامة ، كمعرفة ما بقي من الدنيا ، ومعرفة مدد الدول ، ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك ، ولقد نجد في المدن صنفاً من الناس يتحلون المعاش من ذلك لعلهم يحرص الناس عليه ، فيتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب ، والجاه ، والمعاش ، والمعاشر ، والعداوة ، وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ، ويسمونه المنجم ، وطرق بالحصى والحبوب ، ويسمونه الحاسب ، ونظر في المرايا والمياه ، ويسمونه ضارب المندل ، وأكثر من يتطلع إلى ذلك الأمراء والملوك في آماذ دولتهم ، وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه ، أو دولة يحدثون أنفسهم بها ، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ، ومدة بقاء الدولة ، وعدد الملوك فيها ، والتعرض لأسمائهم ، ويسمى مثل ذلك الحدثان » .
- (4) كذا بالأصل ، ومثله في س أماك و ج ففيهما « الغرب » .

مراكش - حرسها الله - وجدوا فيها آخر (5) المرابطين ، ووجدوا أمورهم مختلفة (6) كما هو المعهود في أذنان الدول ، فدخل ابن تومرت وأظهر شيئاً مما حمل من العلوم العقلية ، فأنكر أهل البلد ذلك ، وكانوا إذ ذاك أهل بادية . فوشوا به إلى صاحب الوقت ، فاستدعى وناظر حتى ظهر عليهم ، فخلى السلطان سبيله ، وبقي في البلد ، ثم جعل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وشاع ذلك ، فأنها أمره ثانياً إلى السلطان وأغروه به ، فأمر بإخراجه فخرج إلى تلك الجبال وجعل يدعو إلى الدين ، وأقبل عليه الناس ، ثم تظاهر بأنه هو المهدي ، فلما اجتمع إليه الناس حضهم (7) على إعلاء الدين ، وجهاد المفسدين . فتقدم بهم إلى مراكش ، وجرت بينهم وبين المرابطين حروب شديدة مات في خلالها بعد أن أوصى بعبد المؤمن وهياً الأمر له ، فولي عبد المؤمن واستوسق (8) الأمر له ، ولولده من بعده ، وهم أتباع المهدي مع كل من يشايعهم في أنه هو المهدي من الطائفة التومرتية (9) ، وقد أنكر الفقهاء عليهم ذلك وضللوهم . ولا شك في ضلالهم في ذلك عند كل من يعترف بوجود المهدي في آخر الزمان .

وقد ألف بعد ذلك الجلال السيوطي كتابه : « العرف الورددي » في

(5) كتب أكنسوس هنا بإزائه على طرة مخطوطته بخط يده ما نصه باللفظ التام : « هذا غير ظاهر ، لأن الذي قام عليه هو الثاني في الدولة أو الثالث ، وهو علي بن يوسف ، وذلك أول الدولة وأوان شبابها وقوتها » اه .

(6) كذا بالأصل ، ومثله في ك أما س و ح ففيهما : « مختلة » وهو الأليق بسياق الكلام .

(7) في س : « حظهم » بالغاء المشالة ، وهو ظاهر التصحيف .

(8) كذا بالأصل ، ومثله في س ومعناه اجتمع وانتظم وتهياً ، قال الزبيدي في « التاج » : استوسقوا : استجمعوا وانضموا ، وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبشة » أي اجتمعوا على طاعته واستقر الملك فيه ، ووسق الإبل فاستوسقت أي طردها فأطاعت واستوسق لك الأمر أمكنك . وفي ك و ح : « استوتق » بالثاء المثناة بدل السين وهو تصحيف .

(9) في الأصل : « التومرية » بسقوط التاء قبل ياء النسبة .

أخبار المهدي « (10) و «الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف» (11) وبسط القول في ذلك بما فيه غنية من أن المهدي متأخر حتى يكون في آخر الزمان لوقت خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأنه ليس هو ابن تومرت ولا أمثاله من كل من يدعي ذلك إلى زماننا .

وكنت لا أحسب أن للطائفة التومرتية (12) في دعواهم أزيد من مجرد الدعوى وتقليد شيخهم <المذكور> (13) فكان من غريب الاتفاق أني منذ نظرت في كتب التصوف وقع في يدي كتابان في هذا العلم ينسبان لأبي زيد

(10) كذا بالأصل ، وكذلك في الفاسية، أما الكتانية فجاء الاسم فيها هكذا : «الماوردي ، في أخبار المهدي» وأما س فالتسمية فيها كما يلي : «الوردي ، في أخبار المهدي» وهو رسالة في المهدي المنتظر ، وما ورد في شأنه من الأحاديث والآثار والأخبار ، قال السيوطي في أولها . هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي ، لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزدت عليه ما فاته ، وهي مطبوعة ضمن كتابه المسمى بالحاوي ، في الفتاوي .

(11) هو رسالة قال السيوطي في أولها : «وبعد فقد وقع السؤال عن الحديث المشتهر على السنة الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره ألف سنة ، وأنا أجيب بأنه باطل لا أصل له ، ثم جاءني رجل في شهر ربيع الأول من هذه السنة وهي سنة 898 ومعه ورقة بخطه ذكر أنه نقلها من فتيا أفتى بها بعض أكابر العلماء ممن أدركته بالسن ، فيها أنه اعتمد مقتضى هذا الحديث ، وأنه يقع في المائة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى وسائر الأشراف وينفخ في الصور النفخة الأولى وتمضي الأربعون سنة التي بين النفختين وينفخ نفخة البعث قبل تمام الألف ، فاستبعدت صدور هذا الكلام من قبل هذا العالم المشار إليه ، وكرهت أن أصرح برده تأديباً معه فقلت : هذا شيء لا أعرفه فحاولني هذا السائل تحرير المقال في ذلك فلم أبلغه مقصوده ، فقصدني القاصدون في كشفه ، وسألني الواردون أن أحبر فيه مؤلفاً يزدان بوصفه ، فأجبتهم إلى ما سألوا ، وشرعت لهم منهلاً فإن شاموا علوا وإن شاموا نهلوا ، وسميته : «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» والرسالة مطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوي» .

(12) عاد الناسخ فكتب التومرتية ثانياً بدون التاء التي قبل ياء النسبة .

(13) ما بين العلامتين ساقط من ك .

عبد الرحمن (14) اللجائي ، أحدهما « قطب العارفين » ، والآخر « شمائل
الخصوص » ، فكنت أستحسنهما (15) مع العلم من نفسيهما أن مؤلفهما
ليس من فحول العلماء ، ولكن ما فيهما حسن المسلك ، سهل المدرك ، فكنت
أتمنى زيارة المؤلف لاعتقادي أنه من أهل الطريق ، وكنت إذا ارتحلت لزيارة
الشيخ عبد السلام بن مشيش - رضي الله عنه - أسأل عنه فأجده بعيداً عني
حتى إذا كان الحصار على مدينة فاس - حرسها الله - حين قتلوا القائد
زيدان خرجت منها وأخذت على جبل بني زروال ، فإذا بجبل لجاية قريباً
مني ، فأجمعت زيارته وتركت الركب (16) وانخزلت (17) إليه في نفر من
أصحابي ، فصعدنا الجبل إليه ، وإذا هم يسمونه سيدي عبد الرحمن الترابي (18)
فلما وصلنا إلى مقامه خرج إلينا أولاده <فأنزلونا> (19) وأكرموا مثوانا ،
فلما اطمأن بنا المنزل وزرنا قالوا : هل لك في أن نخرج إليك كتب الشيخ
لترأها ، فقلت : نعم ، فأخرجوا الكتابين المذكورين ، فلما رأيتهما سررت
بهما واستدللت بذلك على أنه هو ذاك ، وأنه هو المؤلف لهما ، وأخرجوا
كتاباً ثالثاً مجلداً ضخماً ففتحته فإذا هو يسميه « المقصد الأسنى » ، في المهدي
الأقنى « (20) ، فلما رأيت ذلك ظننت أنه يتكلم في المهدي المنتظر على نحو

(14) كتب ناسخ الكتانية هنا بخطه على الطرة ما نصه بالحرف : « سيدي عبد الرحمن هذا ليس
هو الشريف سيدي عبد الرحمن اللجائي أيضاً فإن كلا منهما بلجاية أحدهما في جهة منها ،
والآخر في جهة ، فتفطن لهذا الفرق لأن الشريف عرف به غير واحد ، وذكره بالشريف
خلاف هذا ، والله أعلم ، انظر « تحفة الأكاير » .

(15) في القاسية : « استحسنتهما » .

(16) في س : « المركب » .

(17) في « أساس البلاغة » : « أقدم على الأمر ثم انخزل عنه أي ارتد وضعف ، وانخزل عن
جواب ما قلت له : « وفي س : « انخزل » بدال مهمله بدل الزاي وهو تصحيف .

(18) في س : « المازري » . بدل : « الترابي » .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) في س : « المقصود » .

ما تكلم عليه الأئمة وإذا هو يخرج أحاديث لعبد الرزاق (21) ويذكر حساباً يتضمن ظهوره إثر المائة الخامسة ، وإذا هو يصفه ويذكر أحواله ، وإذا كلامه في ابن تومرت المذكور ، وإذا هو من الطائفة التومرتية (22) ، وذكر في أثناء الكتاب المذكور أنه امتحن على يد قضاة الوقت في ذلك حتى دعي إلى فاس ثم إلى مراکش ، وأنه أنقذه الله من المحنة ورجع إلى بلده سالمًا ، فلما رأيت ذلك استضحكت في نفسي وقلت كما قال أبو علي الفاسي حين وجد الياء منقوطة (23) : ضاعت خطواتنا ، واستعجلت القيام ، والخروج عن ذلك المقام ، ولم أنتظر ما يضعون من طعام ، وتخلصت بالاعتذار ، بأصحابي الذين خلفت بعدي في الدار ، ولما فصلنا عنهم تأملت فقلت : حصل العلم بأن هذا الرجل من تلك الطائفة ، والعلم بأن تلك الطائفة قد كان فيها من يحتاج لدعواهم الباطلة من أهل العلم ، وهاتان فائدتان غريبتان ، فلم تضع الخطوات مع أن الخطب سهل ، والمجتهد مصيب مأجور ، أو منخطىء معذور .

لله الأمر من قبل ومن بعد

- (21) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن شافع الحميري (126 - 211 هـ) شيمي معتدل ، من رجال الحديث والتفسير ، له كتاب المصنف في الحديث .
- (22) كتبت التومرتية في الأصل بدون التاء للمرة الثالثة .
- (23) لم نوفق إلى معرفة حكاية الياء المنقوطة هذه وما جرى فيها لأبي علي الفارسي بعد الكد في التفتيش عنها بالمظان من كتب العربية ، وكتب الرسم والنقط ، وكتب القراءات ، وكذا في كتب التراجم التي ذكرت أخبار أبي علي ، وانتهينا إلى أن ضاعت خطواتنا في التفتيش بدورنا ، فليعذرنا القارئ في أن لم نبين له ذلك الأمر ، وعسى أن يكون عنده علم بما جهلناه وعجزنا فيه .

[الرياسة والشهرة]

وإذ قد ألمنا بذكر الرياسة والشهرة وضديهما ، وذلك مما يبتلى به العام والخاص مع إشكاله والتباسه إلاّ على البصير ، فلنشر إلى شرح ذلك باختصار حتى يكون الإنسان منه على محجة واضحة في رشده وغيه ، واستقامته وانحرافه في سعيه .

فاعلم أن في كل من الرياسة والشهرة وعدم ذلك شهوة للنفس ونفرة ، ومصالحة في الدين والدنيا أو مفسدة ، فمن ألهم المصلحة في الرياسة أو في الشهرة وسلم من المفسدة ومن الشهوة وأصاب الإمكان فقد حصل على الشرف في الدارين ، وفي مثله يقال : المؤمنون أو المتقون بخير فكيف بإمامهم ! وإن لم يتوفر له ذلك فإن اتفقت له المصلحة والإمكان أصبح كالسراج يضيء للناس وهو يحترق (1) وفيه يقال : إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وإن اتفقت له المفسدة والإمكان أصبح من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وفي أمره ورد : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَكُونُ نُبُوءَةً ثُمَّ خِلَافَةً ثُمَّ مُلْكًا ثُمَّ عُتُورًا وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ » ، وهو الموجود اليوم ، وكثير من الحمقى في زماننا يشكون الجور ويطلبون العدل ، ولم يدروا أن الجور قد مضى مع الملوك بعدما مضى العدل مع الخلفاء ، ولم يبق إلاّ الفساد ، فيا ليت

(1) فيه اقتباس من قول العباس بن الأحنف :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

الناس وقف لهم الأمر في الجور فيعيشوا ، وإن لم يتفق له الإمكان فهو
الفضيحة إن أبدى صفحة عنقه ، والغم والوسواس إن شرق بريقه .

أما إن لم يلهم المصلحة وإنما جمحت به الشهوة أو قصد المفسدة فلا
سؤال عليه .

أما شهوة الناس في الرياضة مثلاً فواضحة لما مر غير مرة من تعشقها
لصفات الألوهية . ولذا يقال : دعوى فرعون الألوهية في ضمير كل أحد
مع تعشق ما يتوهم من ثمرات ذلك من التمتع والترفيه والاحتواء على الدنيا
وأهلها . ونفرتها عن ذلك بتوقع ما فيه عادة من المتاعب والمعاطب وإيثار
راحة القلب والبدن . وتشتعل الشهوة وتتقوى بعلو الهمة في الدنيا وقوة
الحرص وشهامة النفس وتضعف بضعف ذلك ، ومصالحة ذلك في الدنيا إطفاء
الفتن ، وإخماد الإحن ، وقمع البغاة ، وإغاثة المهوف ، وإنصاف مظلوم ،
وتهدين السبل . كما قال عبد الله بن مبارك (2) رضي الله عنه :

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

وجباية الأموال وتحسينها وقسم الأرزاق على أهلها إلى غير ذلك ، وفي
الدين إقامة الصلاة والزكاة والجهاد ونشر العلم وكفاية أهله ونحو ذلك . وفي
مطلق الشهرة في الدنيا السعي في مصالح الناس والمساعدة (3) بينهم وغير ذلك ،
وفي الدين نصح المستنصحين ، وتعليم المتعلمين ، وهداية الضالين ، وتربية

(2) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي الحنظلي . محدث صوفي مؤرخ ،
ألف كتباً كثيرة في مواضيع مختلفة ، ولد سنة 118 هـ وتوفي سنة 181 هـ . ترجمته في
« معارف ابن قتيبة » ، و « حلية أبي نعيم » ، و « تاريخ بغداد » للخطيب ، و « تذكرة
الحفاظ » للذهبي ، و « شذرات ابن العماد » .

(3) في س : « والمساواة » .

المريدين ، وغير ذلك ، وفي حديث الهداية (4) يقول صلى الله عليه وسلم لعلي - كرم الله وجهه - : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » . والمفسدة في ذلك في الحملة ظلم العباد ، والسعي في الأرض بالفساد ، وتضييع الحقوق ، وإظهار العقوق ، وإضلال الناس ، والتحريف والإلباس ، وشهوة النفس في الحمول والضعة إيثار الراحة والسلامة كما مر في مقابله :

وقائلة مالي أراك مجانباً أموراً وفيها للتجارة مريح ؟
فقلت لها : مالي بربحك حاجة فنحن أناس بالسلامة نفرح

ونفرتها عنها لعدم الحظ السابق ، والمصلحة في ذلك بانتفاء المفسدة التي في المقابل ، وذلك كله واضح ، فقد تبين ما هو حظ النفس في البابين ، فقد تدعو إلى جانب موهمة أنها تريد استحصال مصلحته والتخلص من المفسدة في مقابله ، وهي إنما تريد حظها الطبيعي منه ، والشيطان يحثها إلى ذلك طلباً لحصول المفسدة التي فيه وفوات المصلحة التي في المقابل ، وعلى البصير الحازم أن يزُم نفسه بزمام التقوى ، ويزنها بميزان العدل ، وينتقدها بسراج الهدى ، ويصفيها من بهرج (5) الهوى .

فإذا دعته مثلاً إلى طلب الرياسة والقيام بالأمر موهمة أنها تريد جمع الكلمة وإقامة الشريعة وبسط العدل وكف الظلم ونحو ذلك فلا يثق بها في هذه الدعوى حتى يمتحنها فإنها تدعي أنها لم ترد متعة الدنيا وإنما طلبت استحصال الأجر والدرجة عند الله تعالى فيكفيك في امتحانها شيئان :

(4) في ع وفي س : وفي حديث « الراية » .

(5) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « درهم بهرج ومتبهرج : رديء الفضة ، ومن المجاز : كلام بهرج ، وعمل بهرج ، وكذلك كل موصوف بالرداءة ، وبهرج بهم الطريق إذا أخذ بهم في غير المحجة » .

أحدهما أن تعاقدتها فيما تدعو إليه بأن تقوم فيه أشعث أغبر لا تنال (6) مما يناله من دخل ذلك من أهل الدنيا عادة من مطعوم ولا ملبوس ولا مركوب ولا منكوح ولا مسكون ولا عظمة ، وأنت تكون كواحد من الناس لا تتميز عنهم إلا بما تحملت من المشاق والمتاعب والهموم في مصالحهم كما كان حال الخلفاء - رضي الله عنهم - حتى إنك لو كنت في رفاهية قبل ذلك تركتها شغلاً عنها كما كان فعل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - فقد حكى أنه قبل الخلافة اشترت له حلة بنحو أربعين أو سبعين ألفاً فجسها فقال : ما أحسنها لولا خشونة فيها ! ولما ولي الأمر اشترت له حلة بنحو أربعة دوانق (7) فجسها فقال : ما أحسنها لولا لينها ! فقيل له ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن نفسي ذواقه تواقه كلما ذاقته مكانة تشوقت (8) إلى غيرها ، فلما حصلت الخلافة تاقته إلى ما عند الله تعالى . وسمع البكاء بداره حين ولي ، فدخل مسلمة بن عبد الملك إلى أخته فاطمة زوجة أمير المؤمنين فسألها عن ذلك فأخبرته أن أمير المؤمنين دخل عليهن فقال : إني قد شغلني عنكن ما نزل بي ، يعني من الخلافة ، فمن أحببت منكن أن تصبر على ذلك فلتصبر - رضي الله عنه ، وجعلنا في حماه .

ولما انعقد له الأمر وكان قد تعب فيه هم بأن يتقيل فذهب ليدخل الدار . فقال له ابنه عبد الملك بن عمر - رضي الله عنهما - : ما تريد أن تفعل يا أبت ؟ فقال له : يا بني إني قد سهرت من هذا الهم ، فأردت أن أصيب راحة ، فقال له : وأين حقوق الناس ؟ فقال : يا بني إلى الظهر ، فقال : يا أبت ومن لك بأن تعيش إلى الظهر ؟ فأخذه وقبل ما بين عينيه وقال : الحمد لله الذي خلقني من عيني على ديني ، فترك القيلولة ، وخرج إلى الناس

(6) في ك : « لا تبالي بما يناله » .

(7) في س : « أربعين دانقاً » .

(8) في ك و س : « تشوقت » .

وقال : من كانت له مظلمة فليأتنا ، وجعل يرد على الناس ضياعهم وأموالهم وينصفهم مما وقع عليهم من الظلم قبله .

هكذا هكذا وإلا فلا لا طرق الجدد غير طرق المزاح

ومن هذا سئل إمامنا مالك - رضي الله عنه - أيقاتل عن الإمام ؟ قال : إن كان كعمر بن عبد العزيز فنعم ، وإلا فدعه ينتقم الله من الظالم بالظالم حتى ينتقم من الجميع .

فإذا عرضت على نفسك هذا الشرط فتنبه إليها . فإن انشردت له بأول عارض فعسى أن تصدق . وإن رأيت في أديمها انكماشاً ما فهي كذابة تريد أن تتدفع بتسويلتها الباطلة إلى اقتناص اللذات ، والانهماك في الشهوات ، ولا تغتر بانسراح يظهر منها ثاني حالٍ لأنه يكون متكلفاً احتيالياً .

الثاني أن تقدر أن لو ظهر غيرك في الوجود ممن يقوم بهذا الأمر مثل ما ترضو أو أفضل هل تكفي بذلك وتحمد الله تعالى على ما كفالك مشونة ما تريد أم لا . فإن اكتفيت بذلك وعلمت أن المراد انتفاع المسلمين وصلاحهم . وقد حصل بلا مشقة منك فقد تصدق ، وإن وجدت نفسك مع ذلك مصرة على طلب ذلك متنكدة (9) من فواته فاعلم أنها كاذبة إنما تطلب حقها (10) ، فإن زعمت أنها إنما طلبت الفوز بدرجة ذلك عند الله تعالى وإنما تنكدت من فواتها فاعرض عليها أنه لو حصل ذلك أو أرفع منه وهي بين يدي الله تعالى في خلوتها مراقبة له لهجة بذكره سارحة في رياض المعارف ليلاً ونهاراً هل تطلب

(9) في ح : « متكدرة » .

(10) في ك وفي س وكذا في ح : « حظها » بدل حقها التي في الأصل .

هذه الحطة ؟ فإن قالت إذن لا حاجة لي بها إذ أصبت الغنيمة الباردة ووقعت على الدر النفيس فعمى أن تكون صادقة ، وإن أصرت على الطلب فهي كاذبة . هذا على أن دسائس النفس أدق شيء وأغمضه (11) فقد تسخو بالحظوظ الحسية كلها حتى تتوهم أنها صادقة وإنما تريد حظوظاً معنوية مثل الصيت والذكر في الدنيا على ما وقع للرهبان ، نسأل الله السلامة من شرها .

ثم إن ألفتها صادقة مع الامتحانات، وما أغرب وجود ذلك !، فانظر حينئذ في الإمكان ، فإن القيام بذلك متوقف عادة على أمور كالعقل والقوة والعدد والعدة والمال والإخوان والأعوان ، فإن تيسر ذلك فمن علامة الإذن التيسير، ولا يكاد يتفق ذلك ، ولا سيما فيما نحن فيه من آخر الزمان الذي قل خيره وكثر شره ، وإن اتفق فلا يكاد يتفق إلا بعد فتن ومفاسد لا يقوم بها ما يرجى من مصلحة ، فلا يصل إلى الطاعة على زعمه إلا بعد اقتحام معاص عظام ، وما أشبهه حينئذ بما شاع في ألسنة المتطبين من أنه لا يكون الرجل طبيباً حتى يعمل مقبرة، أي ممن يقتله بعلاجه الفاسد، فلا كانت هذه الصنعة ولا كان صاحبها ، ولكن الناس مبتاون مقودون بسلاسل القدر . لينتظم أمر الدنيا على حسب ما شاء الحكيم العليم . نسأله سبحانه أن يصرفنا فيما فيه رضاه ، وكذا ما نحن فيه ، وإن لم تر إمكاناً أصلاً أو لم تره على مقتضى (12) المصلحة الشرعية فخل عنها ، واعلم أنك لست من أهلها .
دع المكارم لا ترحل لبغيتهـا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي (13)

(11) لقد أحسن أبو الطيب المتنبي التعبير عن بعد غور النفس وعمى يكتن فيها من الحفايا بما لا يكاد يعرف أو يشعر به فقال في إيجاز بليغ :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وحلت أي أسلم

(12) في ك : على « قدر » المصلحة .

(13) البيت للحطينة في سينيته التي هجا بها الزبرقان بن بدر ولها خبر معروف مشهور .

ودع غمار العلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلبل (14)

ولا تغتر بصلاح نيتك وتمنيك الخير وتظن أنك تعطي لا محالة ما تتمنى
فهيئات !

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (15)

واعلم أنك متى رمت النهوض إلى هذا الأمر بلا عُدته تكون كالمجبوب
يروم أن يتزوج ليولد له ولد صالح يدعو له أو ليكثر الأمة المحمدية بنسله ،
فهذا أحق مبين ، وحسبه أن يحتسب على الله تعالى نيته الصالحة فعسى أن
يعطى بها خيراً ، وفي الحديث : « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أْبْلَغُ (16) مِنْ عَمَلِهِ »
وفي الحديث : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ »
وكذا أنت في هذا كله .

وانظر إلى الملك الذي أشرف على تلّ ونظر إلى جنوده تحته فأعجبوه ،
فتمنى أن لو كان حاضراً مع النبي صلى الله عليه وسلم لينصره ، فرحمه الله
تعالى بفضله على هذه النية ، فأنو أنت أيضاً أن لو كانت لك قوة على إظهار

(14) البيت من لامية العرب للطفرائي ، وجاء البيت في ك وفي س وكذا في ح هكذا :

ودع غمار العلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالياس

وقد تلفق على هذه الرواية من بيت الخطيئة وبيت الطفرائي شعر جاء على غرار واحد في
رويه وسياقه المعنوي ، وبها تداخل البيتان أحدهما مع الآخر حتى صارا كأنهما كلام
واحد نظمه شاعر واحد .

(15) البيت للمتنبي من نونيته التي مطلعها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن
وهي في ديوانه .

(16) في ح : « خير » بدل : « أبلغ » .

الشريعة وإحياء السنة وإخماد البدعة وحسم الباطل وإغاثة الملهوف ونصرة
المظلوم وإقامة ميزان العدل وإصلاح العباد والبلاد ، فعسى أن تنال بهذه
النية خيراً ، وقف ههنا وطب نفساً عما وراءه ، فلا تلج تلك المضايق ولا
تتبع تلك الطرائق ، وإذا فهمت الدسيسة في هذا القسم فافهمها في غيره
والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[الكشف والمكاشفة عند الصوفية]

حدثنا شيخنا العلامة أبو بكر بن الحسن التطائي رحمه الله > قال : دخلت على شيخنا العلامة أبي بكر بن الحسين التطائي رحمه الله < (1) قال : دخلت على شيخنا العلامة الزاهد أبي محمد عبد الله > بن علي < (2) بن طاهر الحسيني رضي الله عنه يوماً وهو إذ ذاك بقرية أولاد الحاج من بلد مضغرة (3) فقال لي : إن بني يفوس وهم قرية من الخنق وقع بينهم قتال قال : فقلت : يا سيدي أجاأ أحد من هنالك ؟ قال : لا ، ولكن أخبرني بذلك قلبي ، وقلبي لا يكذب علي ، فقد (4) تجربته ، وكان بينه وبين هؤلاء مرحلة ، قال : فجاء الخبر بعد ذلك بوقوع الأمر كما أخبر به .

وقد رأيت أن أثبت في هذا المعنى كلاماً تمييزاً للقائدة كما هو سبيل هذا الكتاب كله ، وأنا أبرأ إلى السامع من نفسي ، فلا يتوهم أنني من أهل هذا المضمار وأنني (5) خبرت عن وجدان ، وتكلمت عن ذوق ، وبيّنت عن مشاهدة ، كلا ، وإنما أقرر شيئاً أتعلقه فهماً ، أو شيئاً وجدته في كتبهم مشروحاً ، ولا أدعي أنه ليس في حكمة الله البالغة ، وموهبته السابعة ، أزيد من ذلك ، بل أذكر ما انتهى إليه فهمي فأقول :

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح ، وظاهر أنه تكرار من ناسخ الأصل .

(2) ما بين العلامتين ساقط من س .

(3) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك و ح ففيهما : « مدغرة » بالدال .

(4) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « قد » ليس معها فاء .

(5) في ك وحدها : « وإنما » وهو تحريف .

إن الغيب المدعى الاطلاع عليه ، وهو ما لا يعلمه عامة الناس قسماً :
 قسم متقرر في نفسه ، وللعقول وصول إليه ، وقد يدركه بعض العقول دون
 بعض ، وذلك كصفات الله تعالى وأسمائه ، وحكمته في أرضه وسمائه ،
 وأحكام (6) المعاد وغير ذلك ، وكذا كل علم مستنبط في الأصول والفروع
 وغير ذلك ، فهذا اطلاع صحيح ، ولكن لا يسمى في الاصطلاح كشفاً ،
 نعم هو الكشف الصحيح النافع ، وسنشير إليه آخر الترجمة إن شاء الله .

وقسم مرجعه الموهبة ، و«لكن» (7) لا مجال فيه للعقول ، ويكون
 إما بلا تقدم سبب يناسبه كحال مجذوب (8) لم يجر له سلوك ، وحال نائم
 كذلك ، وإما مع تقدم سبب من رياضة وتصفية أو طلب مثلاً . ثم هذا
 القسم إما أن يكون مناماً أو شبه منام بوجود غيبة أو يقظة .

أما المنام فيكون إما بمشاهدة الأمر على ما هو «عليه» (9) وهي الرؤيا
 المستغنية عن التعبير ، وإما بمشاهدة مثاله ، وهي الرؤيا التي تعبر ، وإما
 بسماع خطاب أو آية أو قراءتها ونحو ذلك ، ولا حاجة إلى بيان حقيقة الرؤيا
 لأن ذلك مستوفى في علم التعبير .

(6) في س : « وحكمة » بدله .

(7) ما بين العلامتين إضافة من ك .

(8) في « تعريفات الشريف الحرجاني » : « المجذوب من اصطفاه الحق لنفسه واصطفاه بحصرة
 أنسه ، وأطلعه بجناب قلبه ، ففاز بجميع المقامات والمراتب ، بلا كلفة المكاسب والمتاع »
 وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله : « لا تظن أن المجذوب لا طريق له ، بل له طريق
 طوتها عناية الله ، فسلكتها إلى الله مسرعاً عجلاً ، وكثيراً ما تسمع عند مراجعة المنتسبين
 للطريق أن السالك أتم من المجذوب ، لأن السالك عرف الطريق وما يوصل إليه ، والمجذوب
 ليس كذلك بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له ، وليس الأمر كما زعموا ، فإن
 المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ، ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه ،
 وإنما فاته متاعها وطول أمدها ، والمجذوب كمن طويت له الأرض إلى مكة ، والسالك
 كالسائر إليها على أكوار المطايا » .

(9) ما بين العلامتين إضافة من ك .

وأما الغيبة فأن يشاهد فيها شيء أيضاً أو مثاله أو يسمع الخطاب أو نحو ذلك ، وكون المشاهدة حينئذ بالعين الباصرة أو بعين القلب أمر محتمل ، ولا حاجة إلى التعرض لتحقيقه فإنه لا يتعلّق به غرض .

وأما اليقظة فبأن يرى الشيء بعينه إن كان مما يرى أو مثاله ، أو يراه بقلبه إما بأن يتجلى له كرؤية البصر أو يخطر فيه أنه كذا ، أو يحدث به ، وقد يرى الشيء مكتوباً في اللوح المحفوظ أو في الصحف المستنسخة يقظة أو غيبة أو مناماً أو مكتوباً على صفحة جدار أو على جبين السائل أو غير ذلك ، وقد يفهم ذلك من صوت يسمعه أو فعل أو حال يراه لغيره أو لنفسه أو نحو ذلك ، فهذا النوع كله هو الذي يراد بالكشف والمكاشفة في عرف الناس ، وقد يختص ذلك بالقسم الثاني والثالث أو بالثالث فقط .

ولما كان أمراً معشوقاً للإنسان وذلك من وجهين :

أحدهما من حيث كونه علماً ، والعلم هو غذاء (10) الروح ، وكلما كان أغرب ، كان أشهى وأعجب .

ثانيهما من حيث كونه غيباً ، والعلم به من أوصاف الربوبية ، والعبد مرتاح (11) إلى ذلك كارتياحه إلى القدرة والعلو ، فكان للناس ولوع بذلك وتشوف (12) إليه لما ذكرنا وتشوف إلى من يظهر عليه شيء منه لاستلذاذ الغرائب ، واستعظام العجائب ، واستنجاح المآرب ، حتى إن العامة مُطبِّقون على جعل ذلك آية لثبوت ولاية الولي من غير تعريج على المستقيم منه والسقيم ، وكذا صاحبه في نفسه ، فنشأ من ذلك كله لعوام المتوجهين شغف به وحرص

(10) في س : « غذاء » بدال مهمله .

(11) في ح : « يرتاح » .

(12) في ك : « تشوق » بالقاف .

عليه لأول قدمٍ ، فكثرت فيه الدعوى ، وعمت به البلوى ، والتبست السبل بالمنهاج ، وغطى على شمس الخصوصية دخان (13) الاستدراج (14) ، رأينا (15) أن ننبه على وجوه الغلط في الأوجه السالفة بقدر ما حضر في الفكر ليتأتى للإنسان التحرز من مغالطة نفسه ومغالطة غيره له ، [والله أعلم] (16) وسمعت الشيخ أبا عبد الله ابن ناصر - رحمه الله - يقول : قال سيدي أحمد ابن إبراهيم - رحمه الله - : لا تكونوا كذابين ولا يلعب بكم الكذابون .

فنقول : أما ما يكون من جهة المنام فيمكن الغلط فيه من جهات :

منها أن لا يضبط [أمور] (17) نفسه ، فإن أمور النوم قلما تنضبط ، فيتوهم أنه رأى صورة الشيء أو المثال (18) الدال عليه أو خوطب به أو نحو ذلك والأمر بخلافه (19) .

ومنها أن يرى صورته لكونها حاضرة في خياله ، فإن من أكثر تصور الشيء لشغفه به أو لاستغرابه أو للخوف منه أو عليه ربما تخيله بذلك السبب ، ولا حاصل لذلك كما في قصة الذي بشر الملك بطول العمر وأنه بقي في عمره أربعون سنة وأن أماره ذلك أن يرى في الليلة القابلة كذا لصورة غريبة صورها

- (13) في ك : «سلطان» بدل : «دخان» .
(14) في «تعريفات الشريف الجرجاني» : «الاستدراج أن يجعل الله العبد مقبول الحاجة وقتاً فوقتاً إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب ، وقيل : الإهانة بالنظر إلى المال» اه .
وفي «كليات أبي البقاء» : «الاستدراج أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده ، فيزداد كل يوم بعداً من الله تعالى» اه .
(15) كتب ناسخ الكتانية على الطرة بإزائه ما لفظه : «جواب : لما كان أمراً . . .» .
(16) ما بين العلامتين إضافة من س .
(17) ما بين العلامتين إضافة من ح .
(18) في س : «المقال» بدل : «المثال» .
(19) في ك : «على» بدل الباء .

له ، فظل الملك يقلب (20) تلك الصورة في وهمه ، فلما أمسى رآها فأصبح مصدقاً بكلام ذلك الشخص (21) فنال الحظوة منه (22) وهو كذاب ، وما زال العامة يقولون : إن فلاناً يحلم بفلان أي لخوف منه أو لمحبته ، فيكثر ذكره نهاراً ويحلم به ليلاً .

ومنها أن يرى مثلاً فيعبره بذلك ويخطيء في العبارة ويبني على الخطأ . وقد لا يذكر المنام بل يقتصر على تفسيرها على زعمه إما حسناً ظن بنفسه أن الأمر هو ذلك ، وإما إيهاماً للناس <أنه> (23) إنما أخبر عن مشاهدة لا عن منام ليعد من الأولياء أهل الكشف ، فإن المنامات لا تختص (24) بهؤلاء بل تقع لسائر الناس حتى الكفرة ، ولذا وقع الحديث : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ . . . » (25) وفي الحديث أيضاً : « إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذِبْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِيبُ » (26) .

ومنها أن يسمع خطاباً في منامه ولا يدري ممن سمعه فيبني عليه ظناً منه أنه من الله تعالى أو من ثقة <من> (27) عباده ، وإنما هو من شيطان يلعب

(20) في س : « يطلب » بدل : « يقلب » .

(21) في س : « الرجل » بدله .

(22) في ح : « عنده » .

(23) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(24) في س : « لا تنحصر » .

(25) تمامه : « . . . جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » والحديث في « صحيح البخاري

ومسلم » وهو أيضاً في « صحيح الترمذي » ، وفي « سنن ابن ماجه » ، وفي « مسند ابن

حنبل » ، وفي « مسند الدارمي » .

(26) الحديث في « صحيح البخاري ومسلم » ، وعند الترمذي وابن ماجه ، وفي « مسند الدارمي » .

(27) ما بين العلامتين ساقط من ك .

به . وكذا قد يكون كل ما ذكر شيطانياً ، فقد صح أن «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» (28) .

وقد يرى الشخص المخاطب فيظنه من أولياء الله أو فلاناً بعينه منهم ، وإنما هو شيطان تراعى به ، وقد يسمعه من ولي من الأولياء ويبني عليه فيخرج **<خطأ>** (29) فإن الولي غير معصوم من مثل هذا ، وإذا جاز على الولي الوقوع في هفوة من كبائر الذنوب عمداً بلا اضطرار (30) فكيف بالخطأ ؟ وسندكر بعدُ وجوهاً من الخطأ في الكشف ، و **<قد>** (31) يكون ذلك من الولي تصرفاً في المملكة بتولية أو عزل أو نحو ذلك فينقض عليه ذلك غيره من أهل الحل والعقد بعدما حمله السامع وتحدث به ، وقد يحضر أول كلام من مجلس الصالحين في أمر ثم يفوته آخره وهو بخلاف ما سمع إلى غير ذلك .

واعلم أن مواقع صدق الرؤيا وشروط اعتبارها مشروحة في فنها ، وإنما قصدنا الإشارة إلى بعض ما يقع للناس مما ينبغي التحرز (32) منه .

وأما ما يرجع إلى حال الغيبة فيمكن أيضاً أن يقع فيها الخطأ بتلاعب الخيال أو تلاعب الشيطان ترائياً وإلقاءً ، وقد تكون **<غيبته>** (33) بوارد رباني أو شيطاني ، وذلك مشروح في محله عند أهله .

واعلم أنه في كل من المنام والغيبة يمكن أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم ،

(28) الحديث في « صحيح البخاري ومسلم » ، وهو في « سنن أبي داود » والترمذي ، وابن ماجه ، وفي « موطأ مالك » ، وفي « مسندي ابن حنبل والدارمي » .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(30) كذا بالأصل وفي غيره : « بلا إصرار » .

(31) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(32) في ك : « التحذر » بدل : « التحرز » .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ح .

ثم يسمع في تلك الحالة كلاماً يظنه من النبي صلى الله عليه وسلم سمعه ، وهو إنما سمعه من ناحية أخرى فيبني على ذلك ويغتر به ويغر من سمعه ، وكون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لا يوجب امتناع أن يحضر الشيطان في ناحية ، ولا أن يتكلم هو أو إنسي (34) آخر فيطرق ذلك أذن السامع وهو في حالته يعسر عليه الضبط فيظنه ما ذكرنا ، إذا فهمت هذا فمن حدثك بأمر سماعاً من النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ونحوه فلا تعول عليه ولا بد ، ولو كان المحدث صدوقاً ، بل حتى يبرز ، ثم إذا أخلف ذلك فلا تحكم ولا بد بأن المحدث متحلم كاذب ، بل قد يكون صادقاً في وقوع الرؤيا وإنما غلط فيما سمع فافهم ، وما اشتهر في كلام الناس من <ان> (35) الرؤيا التي يحضر فيها النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا حق لا حلم يسلم في الرؤيا نفسها لا فيما وراء ذلك من كلام وخطاب مثلاً ، وإذا أمكن هذا في جانب النبوة ففي الأولياء أقرب وأولى .

وأما ما يكون في اليقظة فيمكن فيه أيضاً الغلط في رؤية البصر بأن يكون المرئي خيلاً لا حاصل له كما يقع ذلك للمحموم وصاحب الميّد (36) وراكب البحر ونحوهم ، وفي رؤية القلب كذلك وفي الخاطر بأن يكون شيطانياً أو مجرد حديث نفس أو قوة رجاء وظن أو نحو ذلك ، إذا علمت

(34) في س : « إنسان » بدل : « إنسي » .

(35) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(36) جاء في « تاج العروس » ما نصه باختصار : « ماد الرجل يميّد فهو مائد : أصابه غشيان وحيرة ودوار من سكر أو ركوب بحر ، وروى أبو الهيثم : المائد الذي يركب البحر فتغشى نفسه من نثن ماء البحر حتى يدار به ويكاد يغشى عليه فيقال : ماد به البحر يميّد به ميّداً ، وقال الفراء : سمعت العرب تقول : الميّد الذي أصابهم الميّد من الدوار ، وفي حديث أم حرام : « المائد في البحر له أجر شهيد » هو الذي يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج .

هذا فاعلم أن الواجب على الإنسان في حق نفسه أن لا يغرر وأن يتهم رأيه ،
وفي حق غيره أن لا ينخدع لكل مبطل ولا يسيء الظن بكل مسلم ، وفي هذا
غموض لا يقوم به إلاّ اللبيب الموفق ، ولا بد من شرح هذا < كله > (37)
بعون الله وتوفيقه (38) .

فأما (39) الإنسان في خاصة نفسه ففي باب الرؤيا إن رأى ما يكره
فليتعوذ بالله كما جاء في السنة المطهرة وليقل : اللهم إني أعوذ بك من شر
ما رأيت أن يضرني في ديني ودنياي فإنها لن تضره ، وإن رأى ما يحب فهي (40)
مبشرة ، وفي الحديث : « ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ ، وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ » (41)
ومع ذلك لا يغرر لما ذكرنا قبل ولهذا يقال : الرؤيا تسر ولا تغرر .

وأما تحدّثه بذلك فإن كان يتقي (42) فيه فتنة أو غروراً أو عجباً لنفسه
أو نحو ذلك فليكن ذلك ولا يلتفت إليه ، وإن لم يكن به < بأس > (43) لنفسه
ولا غيره فليذكرها إن شاء < الله > (44) بصورتها لا استغناء بمضمونها
على زعمه ، فإن خرجت على المراد فذاك ، وإلاّ بقي بريء الساحة ، وقد
يعرض ما يقتضي ذكرها كاستدعاء أستاذه ذلك منه ، وقد كان صلى الله
عليه وسلم إذا أصبح يقول : « مَنْ رَأَى رُؤْيَا فَلْيَقْصُصْهَا » أو أن يكون
في ذلك للإخوان سرور ومزید ، وكان الشيخ أبو مهدي الدغوشي - رحمه الله -

(37) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(38) في ح : « وقوته » بدله .

(39) في ح : « فإن » بدل : « فأما » والظاهر أنه تحريف .

(40) في س : « فإنها » بدل : « فهي » .

(41) الحديث عند الترمذي وابن ماجه ، وفي « مسندي ابن حنبل والدارمي » .

(42) في ك : « يبتني » بدل : « يتقي » والظاهر أنه تحريف .

(43) ما بين العلامتين ساقط من س .

(44) ما بين العلامتين ثابت بالأصل ساقط من غيره .

يقول : لا تكتموا عن إخوانكم ما تشهدونه من الكرامات فإن ذلك يجب إليهم طاعة الله تعالى ، غير أن هذا مزلة للنفس ، فالحذر الحذر ، والعقل لا يبدل بالسلامة لنفسه شيئاً .

وأما في باب الغيبة فلا اختيار له <في حالتها كما لا اختيار له > (45) في حالة النوم ، ولكن بعد السكون يجب عليه أن يتحرز في حق نفسه وفي الإفشاء للغير كما في النوم وأكثر لأنها ملعبة للشيطان إلا من عصم ، ولتحرز قبل ذلك من الوقوع في ذلك بتصحيح التقوى ، وترك الدعوى ، ومجانبة المخلطين والشاطحين (46) المدعين .

وقد نقل (47) الشيخ أبو العباس زروق - رضي الله عنه - أن من اعتاد من نفسه الغيبة عند السماع أنه لا يحل له تعاطيه لأن حفظ العقل واجب ، وبهذا تعلم حال متفكرة (48) الوقت في طلبهم الحمرة ، وما مثلهم إلا مثال سفينة مسافر وبين يديه قطاعٌ ومعه خفير يحميه منهم فلدسوا إليه من أغراه بقتل ذلك الخفير أو طرده عن نفسه ، وذلك ليتمكنوا (49) منه بلا مدافع . ففعل ذلك أو سعى في فعله سَفَهًا منه لقلته معرفته بمصالح نفسه ومكايده عدوه . وهكذا المریدُ خفيرُهُ من تلبيس الشياطين (50) عقلُهُ مع توفيق الله تعالى ،

(45) ما بين العلامتين ساقط من س .

(46) في ك : « الشطاحين » بدله .

(47) لعله أراد ما جاء في كتابه : « قواعد التصوف » ضمن القاعدة 139 وذلك حيث يقول :

« حفظ العقول واجب لحفظ الأموال والأعراض ، فمن ثم قيل بمنع السماع باتفاق في حق

من علم غلبة عقله به . . . » .

(48) في ك : « مفتقرة » بتقديم الفاء على التاء وهو ظاهر التحريف .

(49) في ح : « ليتمكنوا » .

(50) كذا بالأصل وفي غيره : « الشيطان » بالإنفراد .

فإذا ذهب < عنه > (51) استمكن منه وهو يطلب (52) ذلك ويحرص عليه لأنه رأى أو سمع أهل الشراب الصافي من أولياء الله تعالى ورأى ما يطلعون عليه من المغيبات وما يدركون من الحقائق وما يتصرفون في المملكة من التصرف ، وما يقع (53) للخلق من الإقبال عليهم والتنويه بهم ، فيشتهي المسكين تلك الحالة لذلك ولا يدري أن أولئك لم يكونوا أهل شهادات (54) مثله ، ولا نالوا ذلك بحولهم [واحتياهم] (55) ولا قوتهم ، ولا بالترهات التي يشتغل بها هو ، وإنما اختصهم الله بموهبته (56) وأهلهم لحضرتة من غير تدبير منهم ولا اختيار . ولو كان لهم اختيار لاختاروا البقاء في خدمته وأن لا يغيبوا عنها لحظة ، فإن أدب العبد وشرفه إنما هو في خدمة مولاه لقيامه فيها بحق سيده لا بحظ نفسه ، وما مثال من يطلب الخروج عن ذلك بالوكه والسكر إلا مثال عبد نصبه سيده لخدمته وهو يريد الإباق (57) عنها أو يريد أن يتركها اختياراً منه ليدخل إلى مجلس سيده ، فما أحقه في الحالتين بالعصا تأديباً أو طرداً (58) نسأل الله تعالى العافية ، نعم ما مر من أنه لا ينبغي له تعاطي السماع مثلاً إنما هو ما دام اختياره معه ، وأما المغلوب فلا حكم عليه ، وبهذا يجمع بين ما تذكر وبين ما يقع للصوفية في باب السماع وباب الوجد .

- (51) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(52) في ك : « يصف » بدله وهو ظاهر الخطأ .
(53) في س : « وقع » بلفظ الماضي .
(54) كذا بالأصل وفي غيره : « شهوات » وهو الموافق لمعنى الكلام وسياقه .
(55) ما بين العلامتين زيادة من ح .
(56) في ك : « مواهبه » بلفظ الجمع .
(57) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « أبق العبد أبقاً من بابي تمب وقتل في لغة ، والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد عمل ، هكذا قيده في العين ، وقال الأزهرى : الأبق هروب العبد من سيده والإباق بالكسر اسم منه » .
(58) كذا بصلب الأصل ، وفي طرته بخط ناسخه : « بالطرده » وعليه حرف خاء رمزاً إلى رواية نسخة أخرى وفي غير الأصل : « أو بالطرده » .

وبلغنا أن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التادلاوي (59) المتقدم
الذكر فخرج إليهم وتحرك سماع فلم يشعروا به إلا وهو في وسطه يتواجد
<و> (60) ليس عليه إلا القميص ، فقال بعض الجالسين لآخر سرا :
هذا رجل خفيف ، فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال :

الله الله يا الله الله الله يا لطيف
الحب يهز الرجال لا والله ماني خفيف

ومن هذا قول القطب العارف الشيخ أبي مدين رضي الله عنه : [حيث
قال] (61) :

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله إذا لم تذق معنا (62) شراب الهوى دعنا
<إلى أن قال > (63) :

فإنا إذا طبنا و طابت عقولنا (64) وخامرنا خمرة العشيقي (65) تهتكنا
فلا تلم السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

والأبيات مشهورة ، غير أن هذه الغلبة لا يتحققها الجهال ولا ينتظرونها ،

- (59) كذا بالأصل ، وفي غيره : « التادلاوي » بسقوط الألف بعد التاء .
(60) ما بين العلامتين ساقط من س .
(61) ما بين العلامتين زيادة من س .
(62) كذا هو مرسوم بالأصل ، ومثله في الفاسية ، أما ك و س فكتب فيهما هكذا : « معنى » .
(63) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .
(64) في الفاسية : « نفوسنا » بدله .
(65) كذا بالأصل ، وفي صلب ك : « العتيق » وكتب ناسخها على طرفها ما لفظه : « الغرام
هو المحفوظ على الألسنة » فأما س و ح ففيهما : « الغرام » .

نعم استدعاء حال يرجى عنه رقة القلب وانسراح الصدر وذهاب جساوة (66) النفس ورعونتها بلا زائد مع صحة القصد لا ينبغي أن ينكر ، بل يلتحق بما أذن فيه شرعاً ، بل حضّ عليه مما يفيد رقة القلب وخشوعاً وتذكير الآخرة كحضور مجالس الذكر وقراءة القرآن < بالتدبر > (67) وزيارة القبور والمسح على رؤوس اليتامى ونحو ذلك .

وقد انجزنا بنا الكلام إلى ما لا حاجة بنا إليه في هذا المحل لكثرة أبوابه واتساع شعبه . فلنرجع إلى ما نحن فيه فنقول :

وأما في حال اليقظة فليحذر أيضاً من الغلط في رؤيته كما مر وفي خاطره فلا يثق بكل ما يرد عليه في قلبه < في نفسه > (68) فضلاً عن أن يخبر به الناس . وليفرض ذلك الوارد كأنه شخص مجهول ورد عليه من سفر فأخبره بأمر وقع في بلد آخر فلا يثق به وهو لا يعرف صدقه من كذبه (69) ، ولا يخبر أحداً بخبره حتى ينظر ، ولو وثق به وحدث الناس بكلامه دخل في مضمون : « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » . بل حتى ينظر < هل > (70) صدق ما أخبر به ، ثم إن صدق فأخبره (71)

(66) كذا بالأصل ، وفي « صحاح الجوهري » من مادة « جسو » ما عبارته : « جسا ضد لطف وجست اليد وغيرها جسواً يبيت ، وجسا الشيخ جسواً بلغ غاية السن ، والماء حمد » وفي لك و ح : « قساوة » ، وفي س : « جسارة » .

(67) ما بين العلامتين ساقط من ل .

(68) ما بين العلامتين ساقط من الطبعة الفاسية وهو ثابت في المخطوطات الثلاث ، ويبدو من السياق أن لا حاجة إليه .

(69) في الفاسية : « وكذبه » بدل : « من كذبه » .

(70) ما بين العلامتين ساقط من س .

(71) في س : « فأخبر به » بدل : « فأخبره » .

كرة (72) أخرى فلا يثق به أيضاً لأنه قد يتفق للكاذب الصدق مرة أو أكثر ، ثم إن صدق فأخبره أيضاً فكذلك حتى يحصل < له > (73) اليقين بالتكرار والقرائن أنه صدوق ، فعند ذلك يثق به فيقول : حدثني الثقة ، وهكذا خاطر القلب ، وهيهات تحقق ذلك فيه بمجرد هذا ، فإن الشخص في المثال يكون معروفاً بعينه ، فإذا ثبت له وصف من الصدق عرف به ، أما الخاطر القلبي فمتى يعرف أن هذا الذي أخبره الآن هو الذي صدق قبله (74) وهو يعلم أن القلب ميدان للرباني والملكي والشيطاني والنفساني (75) فلعل هذا شيطاني أو نفساني ، نعم إن كان من جنس من قال : كنت بواباً على قلبي ثلاثين أو أربعين سنة ، فمتى تحرك خاطر سوء صرفته عنه فعسى أن يثق بما حصل في قلبه ، وكذا إن علم من ربه أنه أعطى الخاطر أو تجريب صادق من أهله في قلبه كما مرّ أو مع ربه أنه يعلمه بما يحدث في المملكة .

وقد روي أن امرأة من تلامذة الشيخ السري - رضي الله عنه - أرسلت ابناً لها في حاجة فوقع في النهر وغرق ، فبلغ الخبر إلى الشيخ قبلها > فقال للجنيد : قم بنا إليها فأتياها فجعل الشيخ يكلمها في مقام الصبر < (76) فقالت : ما أردت بهذا يا أستاذ ؟ فقال : إن ابنتك من أمره كذا أي مات ، فقالت : ابني ؟ ما كان الله ليفعل ذلك ، ثم ذهبت تهروول إلى الماء فنادت يا فلان فقال : ابيك وخرج إليها يسعى ، فنظر السري إلى الجنيد وقال : ما هذا ؟ فقال : إن أذن الشيخ تكلمت . قال : تكلم . فقال : هذه امرأة محافظة على ما لله

...

- (72) كذا في صلب الأصل ، وفي طرته بخط ناسخه : « مرة » عليه خاء إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وفي ك : « كرة » أما ك و س ففيهما : « مرة » .
- (73) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (74) في س : « قلبه » بدله وهو ظاهر التحريف .
- (75) في س : « والنصي » بدله .
- (76) ما بين العلامتين سقط من ح .

عليها ، ومن شأن من كان كذلك أن لا يُحدثَ اللهَ أمراً حتى يعلمه ، فلما لم يعلمها الله علمت أنه لم يكن .

ولذا قال بعض المشايخ للتلامذة : أيكم إذا أراد الله أن يحدث شيئاً في المملكة أعلمه إياه ؟ قالوا : لا أحدَ مِنّا ، فقال : ابكوا على قلوب لا تجد من الله شيئاً أو نحو ذلك ، وقد شهد الذوق أنه ما يتفق ذلك عادة على استقامة إلا بعد صفاء المداخل (77) كلها ، فيعم ما يتصل بمعدته من مطعوم ، وبأذنه من مسموع وبعينه (78) من مرئيِّ وبلسانه من مقولٍ وبعقله من معقول ، وهكذا في سائر الجوارح ، أما المخلط فلا يشرب إلا كدرأً ، ولا يثق أيضاً بما يقع (79) له من التجلي في باطنه . فإن كل ما (80) سوى الأنبياء عليهم السلام معرض للخطأ والغلط . وقد يتجلى الشيء بتمامه وقد ينتقص .

وضرب <الإمام> (81) حجة الإسلام في الإحياء لذلك مثلاً وهو أن القلب في مطالعته اللوح المحفوظ بواسطة التجلي يكون كما لو كان بينك وبين جدار أو إنسان أو متاع ستر مرخي ، فإذا انسدل لم تر شيئاً من ذلك الجدار ونحوه وقد تهب ربيع فتحرکه وترفعه حتى ترى الجدار بتمامه ، وقد ترفعه حتى ترى بعض الجدار فترسله ولا ترى الباقي أو ترسله قبل أن تبين (82) ما رأيت وهكذا .

قلت : ومن ثمَّ يقع لأهل الفراسة من الصالحين اختلال أو نقصان فيظن

(77) كذا بالأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « الداوخل » .

(78) في س : « عينه » بلفظ التثنية .

(79) في س : « وقع » بلفظ الماضي .

(80) كذا بالأصل ، وفي غيره : « من » بدل : « ما » .

(81) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(82) في ك وحدها : « يتبين » .

بهم الكذب ، وإنما يؤتون من عدم تمام التجلي كما ذكرنا أو من غلط في فهم خطاب أو نحو ذلك ، وذلك مشهور .

وقد حدثونا عن صلحاء تادلا أنه لما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه أو ابن عمه الناصر قال سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي : إن الناصر يدخل تادلا بمعنى دخول الملك ، فلما بلغ الخبر إلى سيدي محمد الشرقي قال : مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنها (83) الناصر يدخل ، فكان الأمر كذلك أنه هزم في نواحي تازا ثم قطع رأسه وجلب إلى مراکش فدخل تادلا في طريقه .

وعن صلحاء سلا أن رجلاً من رؤساء البحر جاء إلى سيدي علي أبي الشكاوي فشاوره على السفر في البحر فقال له : لا تفعل ، وإن فعلت فلا تربح مالك ولا نفسك ، وخرج من عنده فأتى سيدي عبد الله بن حسون فشاوره فقال له : سافر تسلم وتغنم . فسافر فاتفق عند دخولهم البحر أن أسرهم الروم فذهبوا بهم إلى أن لقوا بعض سفن المسلمين فوقع بينهم قتال فظهر المسلمون ، فاستمكن هؤلاء من سفينتهم التي أسرتهم فقبضوا عليها وغنموها ورجعوا سالمين غانمين ، ومثل هذا من أحوالهم كثير .

وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني أنه لا ينبغي لمن يطالع ألواح المحو والإثبات أن يتكلم ، وإنما يتكلم من يطالع اللوح بنفسه، وذلك لأن (84) ما في اللوح لا يتبدل بخلاف الصحف فإنه يقع فيها التبديل كما قال تعالى : « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ » فقد ينجر بما فيها ثم يمحوه الله تعالى فيختلف خبره و(85) يدخل وهنا على الحرقه وتهمة بالكذب والدعوى .

(83) في ك وحدها : « فظنه » بتذكير الضمير .

(84) في س : « وذلك أن . . . » بدون اللام .

(85) في ح : « أو » بدل الواو .

وذكر في صلحاء مصر في وقته أن فلاناً منهم كان يتكلم عن اللوح فكان كل ما يقول يحتفظ به ، وفلاناً كان يتكلم عن الألواح فكان ربما يخبر بالشيء ولا يقع ، والظاهر أن حكاية الشيخ عبد القادر - رضي الله عنه - من هذا المعنى ، وذلك أن رجلاً من التجار شاور بعض المشايخ وأظنه الشيخ الدباس (86) على السفر فقال له : لا تفعل فإنك إن سافرت تقتل وينهب مالك ، فلقى الرجل الشيخ عبد القادر فكلمه (87) فقال له : سافر ولا بأس عليك ، فسافر الرجل فلما كان ببعض الطريق طرح بضاعته ثم قام فنسيها وتنحى إلى مكان آخر فنام فرأى في منامه أن قد خرج عليهم اللصوص فقتلوه ونهبوا أموالهم ، فاستيقظ مذعوراً ، وإذا به أثر الدم كأنه أثر الطعنة التي رآها في منامه ، ثم ذكر بضاعته فهرول إلى الموضع الذي نسيها فيه فإذا هي سالمة ، فأخذها ورجع إلى أهله سالماً > بماله < (88) ، فلما دخل لقي الشيخ الأول فقال له ذلك الشيخ : يا ولدي ، الشيخ عبد القادر محبوب طاب من الله تعالى كذا وكذا مدة أن يرد القتل مناماً والنهب نسياناً > ففعل < (89) فهذه الحكاية مع عبارة هذا الشيخ إذا سمعها الجاهل يتوهم أن الله تعالى قضى في أزاله على هذا الشخص أن يقتل في هذه السفرة ويذهب ماله وأنه أطلع الشيخ على ذلك فأخبر به ثم تبدل ذلك بدعاء الشيخ عبد القادر ، وذلك باطل لا يكون ، فإن علم الله تعالى لا يتبدل ، وما قضى في أزاله وهو المعبر عنه باللوح المحفوظ لا يتحول ، وإنما ذلك يخرج على ما ذكرنا من المحو والإثبات ، وهو أن يظهر

(86) عرف به الشعراني في « الطبقات الكبرى » فقال : « الشيخ حماد بن مسلم الدباس رضي الله عنه هو أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق ، انتهت إليه رياسة تربية المريدين ، وانعقد عليه الإجماع في الكشف عن مخفيات الموارد ، وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم في وقته ، وهو أحد من صحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وأثنى عليه وروى كراماته . »

(87) في س : « وكلمه » .

(88) ما بين العلامتين ساقط من س .

(89) ما بين العلامتين ساقط من ك .

الله تعالى القتل والنهب ويطلع عليه الشيخ المذكور ويكون قد قضى في علمه أن ذلك منام لا حقيقة . وأن دعاء عبد القادر منوط به ، فلما دعا برز ما علمه الله تعالى أنه يكون وقضاه ، وهو الصحيح ، وإظهار المعنى الآخر يكون لحكمة يعلمها الله تعالى كصدور الدعاء والتضرع من الشيخ عبد القادر في هذه الصورة وظهور شفوف منزلته وحظوته عند ربه ، وهكذا يفهم كل ما يشبه هذا مما يقع من الكرامات أو (90) المعجزات .

واعلم أن كل ما أشرنا إليه من التحذيرات < وقررنا من التحذيرات > (91) إنما هو في حال المريدين وعوام المتوجهين المعرضين للغلط والزلق . وأما العارفون الكاملون وإن كانوا أيضاً غير معصومين ولا مستغنين عن التحفظ فلا حديث لنا عنهم (92) لأنهم أعرف بأحوالهم فيما يأتون (93) ويدرون . وما يبديون وما يكتُمون . وتوصية أمثالنا لهم حماقة وسوء أدب .

وأما الإنسان في حق غيره فهو بين إحدى ثلاث : إما شيء يصدق به لمعرفته له بالبصيرة أو تقليد من يثق به من أستاذ أو نحوه فيقبله ، وإما شيء تنكره الشريعة أو الحقيقة أو العقل فينكر بالشروط المقررة في إنكار المنكر في الفقه وفي التصوف مع حسن الظن في الباطن ، وإما شيء محتمل < فيسلم > (94) لا ينكر ولا يتبع ، ولا تتم هذه الجملة إلا بسلامة الصدر للمسلمين وحسن الظن بهم وتغافل عن مساويهم مع فطنة (95) ويقظة ومعرفة بالزمان وأهله ، والمؤمن كيس فطن ثلثاه تغافل (96) ، ويقال : اللبيب العاقل هو الفطن

(90) في ك : « والمعجزات » بالواو بدل : « أو » .

(91) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(92) في ك : « معهم » بدل : « عنهم » .

(93) في الأصل : « يوتون » ومثله في الكناية وفي س و ح : « يأتون » وهو الأوفق بسياق الكلام .

(94) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(95) في س : « فطنة » بدله .

(96) في ك و س : « غفلة » بدله .

المتغافل ، أما (97) الزمان فلا تسأل عنه ، وقد مرّ في الحديث : « صنّفان إذا صلّحاً صلّح الناس ، وإذا فسداً فسداً الناس : الأمراءُ والعلماءُ » وقد فسداً معاً (98) وإلى الله المشتكى .

وكان الأمر يصلح بأئمة العدل ، وفقه الفقهاء ، وأدب الصوفية ، وقد فسد هؤلاء الثلاثة بالبحور والمداهنة والبدعة ففسد الدين بهم أولاً والدنيا ثانياً كما قيل :

وهل أفسد الدين إلاّ الملوك وأخبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد وقع القوم في جيفة يبين لذي العقل إنثانها (99)

وقيل :

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يُصلحُ المِلحُ إذا المِلحُ فسد ؟
والمراد بالقراء الفقهاء ، وبهم يصلح ما فسد كما يصلح الطعام بالملح ،
فإذا فسدوا تعذر الصلاح .

أما التصوف فقد كان شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد في زمانه يقول
رضي الله عنه :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه
الأبيات المعروفة (100) فما بالك بزماننا ؟ فقد صارت هذه المخرقه

(97) في ك و ح : « وأما » مع الواو .

(98) في ح : « جميعاً » بدله .

(99) في س : « إنثانها » بمثابة وهو تصحيف .

(100) أتمها ناسخ الكتانية بخطه على الطرة هكذا :

صار التصوف ركوة وسجادة ومزلقه
صار التصوف صيحة وتواجداً أو مطبقه
كذبتك نفسك ليس ذي سنن الطريق الملحقه

مخرقة ، ولم يزل الخلق (101) ينقص إلى (102) الآن .

وقد قيل قبل هذا بزمان (103) : دعوى عريضة ، وضعف ظاهر ، أما اليوم فالدعوى من وراء حجاب .

وقد طرق أسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية - رضي الله عنهم - وكلام أرباب الأحوال في كل زمان فتعشقت النفوس ذلك ، وأذعن له الجمهور ، وفاضوا بالتشبه بهم ، فما شئت أن تلقى جاهلاً مسرفاً على نفسه لم يعرف بعد (104) ظاهر الشريعة فضلاً عن أن يعمل <به> (105) فضلاً عن أن يخلص إلى الباطن فضلاً عن أن يكون صاحب حال فضلاً عن أن يكون صاحب مقام إلا وجدته يصول ويقول ، وينابذ المنقول والمعقول ، وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ويستتبع (106) أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا فيقول : خدام أبي <وزريبة أبي> (107) ويضرب عليهم كمغرم السلطان ، ولا يقبل أن يجبوا أحداً في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره ، وإذا رأى من خرج يطلب دينه أو من بدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله وقد يقع <له> (108) عليه شيء من

(101) في الكتانية : « الناس » بدله .

(102) في غير الأصل : « حتى » بدل : « إلى » .

(103) في الكتانية : « الزمان » بدل : « بزمان » .

(104) في س : « بعض » بدل : « بعد » .

(105) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(106) في س : « يتبع » بدله .

(107) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(108) ما بين العلامتين ساقط من ك .

المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالاً ، يخرق لهم من الخرافات والأمور المعتادات ما يدعيه سيرة وديناً يستهويهم به ثم يضمن لهم الجنة على مساوىء أعمالهم والشفاعة يوم الحشر ويقبض على لحمه ذراعه فيقول للجاهل مثله : أنت من هذه اللحمية ، فيكتفي جهال العوام بذلك ويبقون في خدمته ولداً عن والدٍ قائلين : نحن خدام الدار الفلانية ، وفي زريبة فلان لا نخرج عنها ، وكذا وجدنا آباءنا ، وهذا هو الضلال المبين . وهؤلاء قطاع العباد عن الله وعن دينه داخلون في شبه ما قال النبي صلى الله عليه وسلم في ملوك السوء وخصوصاً [في] (109) بني أمية ، ففي الحديث : « إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلًا (110) وَمَالَ اللَّهِ دُولًا (111).... الحديث » . ولم يعلم الجهال أنهم كيف يكونون من لحمه ذراعه بمجرد دعواه إذا لم يجعلهم الله تعالى منها ؟ وبعد أن يجعلهم كيف يغترون بذلك قبل أن يعلموا أين مصير (112) تلك اللحمية ؟ ولعله النار ، وماذا ينفعهم اجتماعهم في النار ؟ نعوذ بالله من البوار ، قال تعالى : « وَلَكِنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ » فالناس عند الله ثلاثة : مقبول مقبول له ، ومقبول غير مقبول له ، ومردود ، فالمردود لم ينج بنفسه فكيف ينجو الناس على (113) يده ؟ والمقبول لنفسه غايته نفسه . والمقبول المقبول له التكلم في الغير هو الذي

(109) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه .

(110) في « أساس البلاغة » ما لفظه : « لفلان خيل وخول أي حشم جمع خائل ، يقال فلان خائل قال أي راعيه ومصالحه ، وفلان تخدم بني فلان واستخولهم أي اتخذهم خولا » .

(111) في « المصباح » : « تداول القوم الشيء تداولاً وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا أخرى ، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها ، وجمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعة وقصع ، وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ، ومنهم من يقول الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب » .

(112) كذا بالأصل ، وفي غيره : « تصير » .

(113) في س : « عن » بدله .

يرجى الانتفاع به بإذن الله تعالى ، إما في العموم أو في الخصوص كثيراً أو قليلاً ، فهذا المدعي الذي يتألى (114) على الله تعالى ويغر عباده ما يُدرّبه أي الثلاث (115) هو ؟ فإن كان مردوداً فإيا ويله ، وإن كان مقبولاً في خاصة نفسه فما له وللناس ؟ وإن كان مقبولاً له الشفاعة فلا يدري أي كل هؤلاء أم في بعضهم أم في غيرهم ؟ فحقه أن يدع الناس ويبكي على نفسه حتى يرى (116) أين هي ، وإن قوي رجاؤه حيناً في الله لنفسه أو لغيره فليقل : إن قبلي الله وقبل لي ، نسأل الله التوفيق .

وأما ما نحن فيه من ادعاء الاطلاع على الغيب والتظاهر بالكشف والتصرف في الوجود فهو الكثير في زماننا في المنتسبين دعوى منهم وتشبعاً بما لم يعطوا إلا من عصمه الله وقليل ما هم . فمنهم من يستند إلى مجرد خيالات منامية ويتأولها لنفسه ويحكم بها كما مرّ . ومنهم من يحكم ظناً وخرصاً (117) و < ثم > (118) لا يبالي بالفضيحة ولا ينتهي عن غيه . فإذا اتفق صدقه مرة اتخذ ذلك حجة واتخذ له جهال العوام فيقولون والله لقد سمعنا منه كلاماً حقاً ، فصاروا في ذلك كأصحاب الكهان من جاهلية العرب ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عنهم بأن الرثي (119) من الجن يخطف الكلمة من الملك

(114) في « أساس البلاغة » للزمخشري من مادة : « ألو » ما لفظه : « تألى على الله إذا حلف ليفترن الله له » .

(115) كذا في الأصل ، ومثله في سواه ، وهو خطأ صوابه : « الثلاثة » هاء التأنيث ليطابق ما تقدم من قوله : « الناس ثلاثة . . . » .

(116) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « يدري » .

(117) في « القاموس » « الحرص » : الحزر والكذب وكل قول بالظن .

(118) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(119) بوزن : « غني » ويجوز فيه كسر الأول ، وهو صديق الإنسي من الجن ، قال الزمخشري في « أساس البلاغة » : « مع فلان رثي ورثي : جن يريه كهانة وطبا ، ويلقي على لسانه شعراً » .

فيقرها في أذن وليته من الإنس ثم يخلط معها مائة كذبة فيقول الناس : ألم
يخبرنا يوم كذا بكذا فكان حقاً للكلمة التي تلقفها من الجنى ، وهكذا المذكورون ،
وترى الواحد منهم يخبر بأمر أو يعد قضاء حاجة لوقت فإن اتفق صدق ذلك
بمصادفة قوله للقضاء الأزلي تبجح (120) بذلك ورعد على الناس وبرق ،
وإن كذب اكفهر في وجوه الناس وتنكر . أو تغيب أياماً حتى ينسى ذلك
فيعود إلى ترهاته . وما مثاله في ذلك إلاّ مثال امرأة أيسم عندها عدة بنات
مشهورة (121) بالملاحة ولكنهن بغايا فاسدات (122) كما قال ذو الرمة :
على وجه مميّ مسّحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا (123)

فجعلت تنوه بذكرهن وتستميل إليهن قلوب السفهاء أمثالهن حتى اشتهر
أن عند فلانة البنات الحسان ، فجاء مغرور فخطب إليها فأنكحته واحدة
منهن فانقلب جدلان (124) لا يبالي ما أنفق ولا ما أهدى منشداً بلسان حاله :

ومن طلب الحسناء لم يغله المهر (125)

(120) في الأصل : « يتبجح » بصيغة المضارع ، وهو لا يسير سياق الكلام .

(121) كذا بالمخطوطات الثلاث ، وفي الفاسية : « مشهورات » بلفظ الجمع .

(122) كذا في المخطوطات الثلاث وفي الفاسية : « مفسدات » .

(123) حكى ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » فقال : « مكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وتسمع

شعره ، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه ، فلما رأته رأت رجلاً دميماً أسود وكانت

من أجمل النساء قالت : واسوأته وابؤساه فقال ذو الرمة :

على وجه ممي مسحة من ملاحه وتحت الثياب الشين لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخبث طعمه ولو كان لون الماء أبيض صافيا

فيا ضيعة الشعر الذي ليج فانقضى بمي ولم أملك ضلال فؤاديا

(124) في س و ح : « جدلان » بدال مهملة وهو تصحيف .

(125) هو عجز بيت هذا صدره :

تهون علينا في المعالي نفوسنا

وهو لأبي فراس الحمداني من قصيدته التي مطلعها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر

وجعلت للدخول موعداً فلما دخل أخفق فأصبح بشاً (126) خاسر الصفقة ، وحين أحست العجوز بذلك تنكرت وتعبت حتى نسي ذلك فرجعت تذكر بناتها أيضاً فيجيء أحق آخر خاطباً فإذا قال له النصحاء ويحك أليس لك فيما وقع لفلان مع هذه الفاجرة عبرة ؟ يقول من فرط شغفه بما سمع من الحسن : ذلك أمر قد يتفق ، ولعله في تلك البنت فقط لا في غيرها ، فيتقدم ويقع له كما وقع للآخر ، ثم يجيء مغرور آخر لا علم له بما كان وهكذا إلى أن يتفق لواحد أن يجد الأمر كما يجب فتخرج وتطيل لسانها وتقول : من عنده في الوجود مثل بناتي ؟ ويقول الناس : والله إن فلاناً لقد تزوج منها بنتاً فوجدتها كما يجب وتذهب تلك المساوي كلها في هذه الحسنة الواحدة ، فما أظرف هؤلاء الحمقى إذ يحكمون بأن الحسنات وإن قلت يذهبن السيئات وإن كثرت ، وهكذا الفقير المدعي يتظاهر بإخبارات وتصرفات هي حسنة لذينة عند العوام لموافقته شهواتهم وحاجاتهم وهي فاسدة لبطلانها وانباتها على غير أساس ، فإذا ظهر كذبه في الواحدة قالوا : سبحان الفاعل لما يشاء ، والقادر يحنث عبد القادر ، وبهذا أيضاً يعتذر هو .

وكنت تحدث مع بعض الأصحاب في هذا المنزع فقلت لهم : إن المدعين لا يدخلون في الإسلام حتى يفتضحوا فاستعجبوا من ذلك وسألوا عن تأويله فقلت لهم : إن المدعي حين تهيج له الظنون الكاذبة والوساويس الباطلة يحكم بوقوع أمور ولا يذكر الله تعالى ولا يعرج على مشيئته وسعة علمه وعظيم قهره ، حتى إذا افتضح ببطلان ما قال رجع إلى الحق وجعل يقول : الأمر أمر الله والحكم حكمه ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

(126) كذا في الأصل بدون الألف وفي سواه « البائس » والظاهر أنه الصواب ، وهو الذي يتفق مع السياق ، وفي « التاج » : « بتس الرجل كسمع يباس بؤساً بالضم وبأساً وبئياً كأمر وبؤسى وبئسى بالضم والكسر إذا افتقر واشتدت حاجته ، فهو بائس ، والبائس : المبلى ، والبائس أيضاً النازل به بلية أو عدم يرحم لما به » انتهى باختصار .

فهلا تلا حاميمَ قبل التقدم (127)

ومنهم من يتظاهر بالوجد والسكر ويقول ما يقول في ذلك ، فإذا كذب
وليم يقول : والله ما أدري <حين تكلمت> (128) ما أقول ، ومالي
اختيار ، ويظن أنه يتخلص بهذا من الملامة ، وهيهات ذلك ! فإنه إن كان
نطقه عن عمد (129) فهو افتراء للكذب ، وإلا فالشيطان يلعب به ترقيصاً
وضرباً واستنطاقاً ، وناهيك بها نقيصة (130).

ودخل ذات مرة عليّ الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد الصالح بن المعطي
وأنا إذ ذاك بمدينة مراکش حرسها الله ومعه رجل أسود من ناحية المشرق ،
فتحدث الأسود وقال : إنه من وادي (131) العباس ، وزعم أنه كان ذهب

(127) هو عجر بيت هذا صدره :

يذكرني حاميم والرمح شاجر

والبيت من شعر قاله الأشعث بن قيس يوم الحمل بعد قتله محمد بن طلحة ، وكان من خبر
ذلك أن محمد بن طلحة كان مع أبيه في يوم الحمل ، وكان علي قد نهى أصحابه عن قتله
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان إذا حمل عليه الواحد من أصحاب
علي يحتمي منه ويقول : نشدتك الله بحاميم لما فيها من قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً
إلا المودة في القربى) حتى حمل عليه الأشعث بن قيس فتوسل إليه بها فلم يكف عنه بل
حمل عليه فقتله ثم قال :

وأشعث قوام بآيات ربه	قليل الأذى فيما ترى العين منملم
تناولت بالرمح الطويل ثيابه	فخر صريعاً للدين وللغم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً	علياً ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حاميم والرمح شاجر	فهلا تلا حاميم قبل التقدم ؟

(128) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(129) في ح : « عمل » وهو تصحيف ظاهر .

(130) في س : « ناقصة » وهو تحريف .

(131) كذا بالأصل ، ومثله في ك وح ، وقد فتشنا معاجم البلدان فلم نقف على موضع بذلك

الاسم ، أما س ففيها : « من ولد العباس » والظاهر أنه الصواب .

إلى بغداد زائراً للشيخ عبد القادر رضي الله عنه ، وأنه بقي في مقامه (132) أياماً ، وأنه رآه فاستتابه ثم أمره بالتوجه إلى شيخ (133) من أهل الوقت في نهر تيرا (134) يقال له أبو عبدالله ، وأن بين بغداد وبين ذلك البلد نحو عشرين مرحلة ، كلها قفار معاطش (135) لا يعمرها إلا الحيات والثعابين ، وأنه قال له : إنك ستبلغ في ثلاث ولا ترى بأساً ، فبلغ في ذلك سالماً ، وأنه بقي عند الشيخ الآخر أياماً فرده إلى بغداد وبلغها في ذلك أيضاً ، وأنه أمره الشيخ عبد القادر بالتوجه إلى بلاد المغرب لزيارة الصالحين ، فلما رأيت ذلك طمعت أن تكون له راحة . وكانت لي حاجة فأردت استنجاده فيها . فحركت الصالح وكانت تعتربه هزة (136) فتحرك وصاح ، فلما تحرك <تحرك> (137) ذلك الرجل وكثر اضطرابه وزعيقه <ثم> (138) وعد بالحاجة لأمد قريب . وزعم أن الشيخ عبد القادر هو الحاكم بذلك . فلم يلبث أن حل الأجل ولم يقع ذلك ، وروجع فلم يوجد عنده (139) حاصل ، فعلم أن الشيطان استفزّه ، فقلت للصالح ارتجالاً مطايبة ونصحاً :

أين الذي قد قال يا صالح من هو عند زعمه صالح
وإذ بدا ما قاله زائفاً فهو لعمرى الكاذب الطالح

(132) في ح : « مناه » وهو تصحيف فيهما يظهر من السياق .

(133) في ك و ح : « الشيخ » بالتعريف .

(134) في « معجم البلدان » لياقوت : « نهر تيرا بكسر التاء المشناة من فوقها وياه ساكنة وراء مفتوحة مقصور : بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر ابن بابك ، وله ذكر في أخبار الفتوح والحوارج » .

(135) في « التاج » : « المعاطش : الأراضي التي لا ماء بها ، الواحدة معطشة » . وفي غير الأصل : « معاطيش » بالياء .

(136) في « صحاح الجوهري » : « الهزة بالكسر : النشاط والارتياح » .

(137) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(138) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(139) في ك : « له » بدل : « عنده » .

يلعب شيطان به جهرةً
يحسبه القطب الذي يدعي
فانصحه كي يقلع (140) عن غيه
تقوى (141) الإله واعتصام به
هذا لعمرى غنية المغتني
بأيها الناس اعلموا انما
من يعبد المولى ويعنى بما
ولا أخو دعوى ولا مفسر
ولا عنود عن سبيل التقى
والمرء لا يجني سوى غرسه
وهو لما يعتض (143) في نفسه
والطبع ملاك زمام الفتى
والصدق سيف صارم حده
وكل من أسر مكتومة

فهو إلى وسواسه جانح
والقطب لا يكذب يا صالح
فحسبه المنتهج الواضح
في سنة والعمل الصالح
وذا لعمرى المتجر الرابع
عبد الإله الظافر الناجح
يعنيه لا وان ولا مازح
ولا بمرتع الهوى سارح
يوماً ولا عن الهدى جانح (142)
غاد إليه كسبه رائح
من مأرب يفتاده كادح
وسيره (144) بسره بسائح
كشاف كل معوص فاتح
فوجهها في وجهه لائح

(140) في الطبعة الفاسية : « يقام » بدله .

(141) كتب أكنسوس فوقه بخطه ما لفظه :

« بدل من المنتهج » .

(142) كذا بالأصل ، وفي غيره : « جامع » . بالميم .

(143) كذا بالمخطوطات الثلاث ، وكذا هو في الطبعة الفاسية .

(144) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وفي ح : « وسيره بسيره » أما المخطوطة الكنوسية ففيها :

« وسره بسره » وكتب بإزائه على الطرة ما نصه : « السر الأول مفرد الأسرار ، وهي الخطوط في الكف والوجه ، ويقال للواحد منها أيضاً سرر ، وقد يضمن فيقال : سر وسرر ، وأما السر الثاني فواحد الأسرار التي هي الضمائر المكتومة ، وهذا كقولهم ، ما في السرائر على الأسرة يلوح ، أي اسرار الوجه تبوح بأسرار القلب ، وذلك ظاهر ، والله أعلم » .

إن تكُ نوراً فهو منها مُضي أو ظلمة فهو بها كالح
ومن يرمُ نيل المي بالمى (145) فهو عن الفوز بها نازح
ومن يخم (146) عنها ولا يقتحم أبوابها فهو امرؤ دالح (147)
وما على المرء سوى جده وجهده ورببه المانح

وقد انحصرت دعاويهم في الحدثان (148) الكوائن وما رب الناس ،
ولم يرتقوا إلى ما فوق ذلك لجهلهم ، فاشتغلوا بما يطلبه العوام من الأمور
المذكورة ، وذلك لو فتح لهم دون ما فوقه لكان أمراً تافهاً لا يلتفت إليه
ذو همة ، فإن أولياء الله تعالى يكشف لهم عن الذات والصفات والأسماء
كشفاً لا تبلغه العقول . وعن ملكوت السماوات والأرض وعن العرش
والكرسي والجنة والنار والملك والروح وغير ذلك ، فمن لم يبلغ ذلك واطلع (149)

(145) كتب أكنسوس بإزائه على طرة مخطوطته ما لفظه : « المني الأول جمع منية وهي ما يتمناه
الإنسان ، أي يترجاه ، وأما الثاني فهو أيضاً جمع منية وهي الكذبة ، لأنه يقال : تمنى
إذا كذب ، هذا ما يؤخذ من ظاهر « القاموس » ، فالمعنى : ومن يرد إدراك مقاصده
بالأكاذيب فهو بعيد عن الظفر بتلك المقاصد ، والله أعلم . »

(146) في « الصحاح » : « خام عنه يخيم خيمومة أي حين » وفي الطبعة العاسية « يخم » بالخاء
والظاهر أنه تصحيف .

(147) في « التاج » : « دلح الرجل كمنع يدلح دلحاً مشى بحمله منقبض الخطو غير منبسطه ، لثقله
عليه ، وكذا البعير إذا مر به مثقلاً . »

(148) يريد بالحدثان التنبؤ بما يتشوف الناس إليه من معرفة أمور المعاش والكسب والجاه
والصحة والمرض والموت والحياة ، وكذا ما يتطلعون إليه من معرفة الأمور العامة كقيام
الدول وسقوطها ومدد بقائها وكحدوث الحروب والطواعين ووقوع الكوارث الطبيعية
من الجذوب والظوفانات والزلازل ، ويوجد في الناس من ينتصبون للتنبؤ والقول في تلك
الشتون متوسلين في التعرف عليها بوسائل مختلفة ويعرفون بأصحاب علم الحدثان ، وسبق
أن نقلنا نصاً عن مقدمة ابن خلدون في شأنهم .

(149) في الأصل : « ولا اطلع » ولا أشك أن « لا » لغو وأن كتابتها سهو من الناسخ .

على كون المسافر يقدم غداً <وفلان يتولى> (150) وفلان ينزل ، وفلان يتزوج ونحو ذلك وفرح به كان بمنزلة من دخل سوقاً فيها صيارفة الذهب والفضة والجوهر والياقوت وباعة الحرير وسائر البزّ والعبيد والحيل والإبل <والبر> (151) والأرز فوقع على بائع نبق فاشترى منه النبق وذهب <به> (152) فرحاً وقال إنه قد تسوق <كما تسوق> (153) الناس، ولا ريب أن ما ذهب به يفرح الصبيان به ومن لا عقل له من النسوان ، وكذلك الكوائن يفرح بها صبيان العقول (154) وكل من لم يبلغ مبلغ الرجال من عوام الناس .

ومنهم من يستخدم جنياً فيأتيه بنجر الناس وخبر من يرد عليه مثلاً وما أتى به من الهدية وما وقع له في (155) الطريق فيخبر بذلك قبل مجيئه ويخبره إذا ورد فلا يشك العوام أنه كشف ربّاني وأنه من أولياء الله . وقد يكون من أعداء الله ، كما أخبرونا عن رجل ممن تصدر للمشيخة والناس مقبلون (156) عليه فأتى رجل إلى مسجده فجلس في زاوية منه فإذا بالمرابط قد دخل فنظر يميناً وشمالاً فلما لم يرَ أحداً رفع ثوبه وجعل يبول في المسجد يميناً وشمالاً حتى نجسه فحينئذ خرجت جنية فمثلت (157) بين يديه فقال لها : أي شيء جئتني به ؟ فقالت : ذهبت إلى قبيلة (158) بني فلان فلم أزل

(150) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(151) ما بين العلامتين ساقط من س .

(152) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(153) ما بين العلامتين ساقط من س .

(154) في س : « العقل » بالإفراد .

(155) في ح : « على » بدل : « في » .

(156) في س : « يقبلون » بصيغة المضارع .

(157) في س : « فتمثلت » .

(158) كذا في الأصل وحده ، وفي سواه : « قبيل » بدون هاء التأنيث .

حرضهم على الزيارة حتى اتفقوا وجمعوا من الهدية كذا [وكذا] (159) وهم خارجون يوم كذا ، فخرج المرابط إلى مجلسه فقال : تهيئوا لبي فلان فإنهم قادمون عليكم بهدية كذا . فلما قدموا قالوا : قد أخبرنا الشيخ بكم وبما جئتم به منذ يوم كذا ، فهذا - والعياذ بالله - كافر ، والكرامات تحسب له .

ومنهم من يستند إلى التنجيم وعلم الاقترانات (160) وإلى خط الرمل أو نيروجات (161) أخرى تشبهه .

ومنهم من يحتال احتيالاً فإذا قدم الوفود مثلاً دس إليهم من يسألهم فيقولون : قد اطلع الشيخ على أحوالنا ، وقد يحتال في ساعته فينظر مثلاً إلى من بين يديه ثم يبتسم أو يحرك رأسه أو يقول : سبحان الله أو لا إله إلا الله ويكون ذلك الشخص قد خطر له شيء فيقول : ما فعل الشيخ هذا إلا على ما في قلبي ، ويفهم من ذلك إما تعجباً وإما إنكاراً وإما استحساناً ، ويعده مطلعاً على ذلك وهو لم يطلع . وقد يتكلم على ما في خاطر السامع صريحاً فلا

(159) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(160) في « مفتاح السعادة » : (2 : 386) ما نصه ببعض اختصار : « اعلم أن القران هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ويبحث في هذا العلم عن الأحكام الجارية في هذا العالم بسبب قران السبعة كلها أو بعضها في درجة واحدة من برج معين ، واعلم أن أرباب النجوم زعموا أن الكواكب السبعة كانت مقترنة في أول الميزان في مبدأ العالم ثم تفرقت ، فمتى اجتمعوا في برج واحد يكون سبباً لحادث عظيم كحدوث طوفان أو تبدل ملة أو دولة كغلبة الإسكندر وجنكيزخان وتيمور وأمثالهم حسب تفاوت القرانات في البروج وفي قران الكل أو البعض » .

(161) في « مفتاح السعادة » (1 : 365) ما نصه : « علم النيرنجات وهو معرب نيرنك وهو التمويه والتخييل وهو إظهار غرائب الامتزازات بين القوة الفاعلة والمنفعله وبالجملة مؤلفة بين العالم الأكبر والأصغر لصدور آثار مطلوبة من الحب والبغض والإقبال والإعراض وأمثال ذلك وبكتابات مخصوصة مؤلفة من الروحانيات المبثوثة في العالم وإن كانت مجهولة الدلالات فكأنها أرقام وحروف للأوائل وخواصها مجهولة اللمية معروفة الإنية وفيه كتاب « غاية الحكيم » للمجريطي وكتاب « أسرار الشمس والقمر » لابن وحشية » .

يشك السامع في أنه كشف ، ويكون إنما خطر له ذلك اتفاقاً حين خطر للآخر كما يقع الحافر على الحافر ، فتكلم عليه ولا اطلاع له ، وقد يتكلم **«بكلام»** (162) في غرض فيحمله السامع على أنه إشارة إلى ما في قلبه أو حاجته وإنه كوشف بذلك ، وأكثر ما يحكى من هذا النوع في أهل الزمان إنما هو من أحد هذه المداخل احتيال من المتبوع أو جهل من التابع ، والعوام يستنطقون من لا ينطق ويفسدون من لم يفسد ، فهم الشياطين في زي المؤمنين ، وما بالك بشيطان في زيّ محب ، وإن استعدت منه عاداك ، ووقع فيك في الغيب بالإذابة زيادة على ما فعل في الحضور . فهو شر من الشيطان الآخر بكثير . فكن منهم على حذر كما قيل (163) :

فخف أبناء جنسك واخش منهم كما تخشى الضراغم والسبئتي (164)
 وخالطهم وزايلهم حذاراً وكن كالسامريّ (165) إذا لمستأ

(162) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(163) القائل هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الألبيري المتوفى سنة 460 هـ والبيتان من قصيدة له زهدية في 112 بيتاً ، وهي في ديوانه المطبوع ببيروت سنة 1976 بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية .

(164) في «التاج» : «السبئتي» : البحرية المقدم من كل شيء ، والياء للإلحاق لا للتأنيث ، ألا ترى أن الهاء تلحقه والتونين ، يقال : سبئتا ، والسبئتي النمر ، ويشبه أن يكون سمي به لجرأته ، وقيل : السبئتي الأسد ، والأنثى بالهاء ، قال الشماخ يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
 وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكف سبئتي أزرق العين مطرق

انتهى باختصار .

(165) هو موسى بن ظفر السامري نسبة إلى السامرة قبيلة من بني إسرائيل أو إلى السامرة قوم من الإسرائيليين كانوا يخالفونهم في أشياء من الدين ، وكان السامري هذا من المنافقين ومن عبدة البقر ، وهو الذي صاغ العجل من الحلي ودعا بني إسرائيل لعبادته عندما غاب عنهم موسى لميعاد ربه ، فلما رجع موسى إليهم ووجدهم في الفتنة قال للسامري فيما أخبر به القرآن : « . . . اذهب فإن لك في الحياة أن تقول : لا مساس » وفي تفسير ذلك يقول =

واعلم أن أشرف ما يكشف به العبد ما يرجع إلى معبوده تعالى من معرفته وما له من الجلال والجمال ومن أسماء عليّة ، وصفات سنية ، كما مرّ . ثم ما يرجع إلى حكمته في مملكته ، ثم ما يرجع إلى أحكامه من معرفة ما تعبّد به عباده أصلاً وفرعاً وكل علم يعين على ذلك .

وقد وقع في كلام الشيخ الصالح أبي عبد الله السنوسي - رضي الله عنه - حين تكلم على مذهب أهل السنة في أفعال الحيوان وأهم أطلعهم الله على المعنى الجامع بين الحقيقة والشريعة وجنبهم جانبي القدر والجبر ذلك (166) فقال : هذا هو الكشف الذي ينبغي أن يسمى كشفاً لا ما يبتلي به الجاهلون من أحلام (167) شيطانية يتوهمونها (168) كرامات ، وهي استدراجات أو نحو هذا من الكلام ، فهذه الجملة كلها < كلما > (169) يزداد فيها العبد ازداد كمالاً لأنه أمر مطلوب منه الاطلاع عليه فطلبه قربة ، وحصوله درجة ، ووجوده منفعة ، وأما ما خرج عن هذا من جزئيات الكون التي هي متعلقات القضاء والقدر ولا يتعلق بها حكم فليست مطلوبة من العبد إذا أخفيت (170) عنه ، فأدبه أن لا يشتغل بها شغلاً بالله تعالى وبما لله تعالى عليه ، فإن رزقه الله معرفته وشغله بما له عليه وغطى عنه مملكته وتركه كذلك حتى يلقاه موفوراً فقد أسبغ عليه النعمة ، وحماه من جميع موارد النعمة ، وإن

= الزمخشري في كشافه : « عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أعظم منها وأوحش ، وذلك أنه مع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته ، وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً ، وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة حم الناس والمسوس ، فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح : لا مساس . »

(166) كتب أكنسوس فوقه بخط يده : « كذا » .

(167) في ك : « أحكام » بدل : « أحلام » .

(168) في س : « ويتوهمونها » مع الواو .

(169) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(170) في س : « خفيت » .

أطلعه على شيء من ذلك فليعلم أن ذلك لا جدوى له في باب العبودية ، وإنما فيه أمر واحد وهو أن الكرامة كلها في الجملة إن صحت دليل على صدق من ظهرت عليه < وعلامة على الخصوصية > (171) وتثبيت لقدم [من] (172) أريد تشبته في الطريق مع ما ينضاف إلى ذلك من الشكر ومن الرجاء والخوف ، وفيها مع ذلك من المخاطرة خوف الركون والمساكنة لها والمكر ، كما قيل إنها خدع من الحق للمتوجهين ليقفوا على الحد الذي أريد بهم ولا يجاوزوا إلى مقام لم يكن لهم ، وذلك فيمن أريد بذلك ، نسأل الله العافية ، فحق العبد التسليم والاعتناء بحقوق الله والإعراض عن حظوظه ، وإن طلب شيئاً من ذلك طلبه بإذن (173) ليصير من الحقوق ، كما أنه أيضاً لا يهرب منها إلا بأدب لئلا يصير الهرب من الحظوظ .

وهذا الكلام ربما يحتاج إلى تفسير غير أنا نقتصر فقد خرجنا أو كدنا نخرج عما نحن فيه و « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » (174) .

واعلم أن ما ذكر من أحوال المدعين على وجه النصيح لهم ولمن يغتر (175) بهم إنما أردنا تخليده في بطون الأوراق ليقع عليه الخواص أهل الأدب والفقهاء الذين يضعون الهناء (176) موضع النقب فيعطون كل ذي حق حقه مع حفظ

(171) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(172) ما بين العلامتين ساقط من الأصل وحده فأضفناه .

(173) في ح : « بأدب » بدل : « بإذن » .

(174) ما بين القوسين نص حديث رواه الترمذي في « سننه » ومالك في « موطنه » وابن حنبل في « مسنده » .

(175) في ح : « اغتر » بلفظ الماضي .

(176) في « صحاح الجوهري » ما لفظه : « هنأت البعير أهنته إذا طليته بالهناء وهو القطران » . وفيه أيضاً ما عبارته : « النقبة بالضم أول ما يبلى من الحرب قطعاً متفرقة ، وجمعه نقب » وجاء في « أساس البلاغة » للزمخشري : « فلان يضع الهناء مواضع النقب إذا كان ماهراً =

الحرمة وإقامة حق النسبة كما أشرنا إليه في صدر هذا الكلام ، ولم نرد أن نفتح الباب لكل جامد على الظاهر أو خبيث جريء على أهل النسبة مسقط للحرمة فيتخذ مثالب المنتسبين إلى الله تعالى فاكهةً ويمزق (177) أديمهم في مجالس السفهاء حتى يدخل الوهن على النسبة والظعن في الحرقة (178) فيزري العريان باللابس ، ويحترق الرطب باليابس .

وليعلم الجاهل (179) الجمود (180) أن « هذه الأمة المطهرة المشرفة كالمطر لا يدري أولها خير أم آخرها » (181). و « لا تزال طائفة منها ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » (182) كما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ففي كل زمان سادة ، وفي كل قطر قادة ، فكم من طالع في الدين كالشمس ، وإن لم يبصره العمى والعُمش ، وكم من محبوب يرقل في حلل الأنس والادلال ، ويرتضع (183) كؤوس الجمال والإجلال (184) لو تحمل الشفاعة في قرنين

= مصيباً . وحكى القالي في « أماليه » (2 : 157) فقال : « خرجت تماضر بنت عمرو ابن الحارث بن الشريد فهنأت ذوداً لها جربى ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها ولا تراه فقال دريد :

حيوا تماضر واربعوا صحبي	وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به	كاليوم هاني أيتق جرب
متبذلاً تبدو محاسنه	يضع الهناء مواضع النقب

(177) في س : « يخرق » بدل : « يمزق » .

(178) كذا بالأصل وفي غيره : « الحرمة » .

(179) في غير الأصل : « الجهول » .

(180) في ح : « الجامد » .

(181) ما بين القوسين عبارة حديث أورده الترمذي في « صحيحه » .

(182) ما بين القوسين حديث وارد في « صحيح البخاري » وفي « سنن أبي داود والترمذي

وابن ماجه » وفي « مسندي ابن حنبل والدارمي » .

(183) في ح : « يرضع » .

(184) في ح : « الجلال » .

قبيلاً قبيلاً (185) لكان ذلك في جنب (186) حظوته من مولاه قليلاً ،
وكم من ولي أرخى عليه الحمول ذيلاً ، وصار نهاره في أعين أبناء الدهر
ليلاً ، فأصبح من ضنائن (187) الله بين أوليائه ، يلعب بالدهر كما لعب
الدهر بأبنائه .

وقال أبو نواس (188):

تسرت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقال الآخر فيهم :

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار (189) مسكنة جرّوا على فلّك الحضراء (190) أذبالا

(185) في ك : « قبيلاً » بدون الفاء .

(186) في س : « جانب » .

(187) في س : « منار الله » بدل : « من ضنائن الله » .

(188) البيتان من قصيدة له مطلعها :

لن طلل لم أشجه وشجاني وهاح الهوى أو هاجه لأوان
وقيله :

أخذت بحبل من حبال محمد أمنت به من نائب الحدشان

والقصيدة بديوانه في نشرة أحمد عبد المجيد القرظي .

(189) في « مصباح الفيومي » : « الطمر الثوب الخلق ، والجمع أطمار مثل حمل وأحمال »

(190) الحضراء من أسماء السماء .

غُبْرٌ مَلَابِسُهُمْ شَمَّ مَعَاظِهِمْ (191) استعبدوا من ملوك الأرض أقبالا (192)
هذي المكارم لا قعبان (193) من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
هذي المناقب لا ثوبان من عدن خيطا قميصاً فعادا بعد أسمالا (194)

والبيت الرابع لأمية (195) بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن ، وهو مشهور . وكم من راعٍ ساجد ، أو متورع زاهد ، لا يذنيه الجاهل من ساحة المتقربين ، لكونه لم يرَ عليه سيما العارفين ، ولا بهجة المحيين ، ولم يدع أن الزهر ألوان ، والتمر صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ ، والعبيد كلهم عبيد الحضرة ،

(191) في « مصباح الفيومي » : « الشم ارتقاع الأنف ، وهو مصدر من باب تعب ، فالرجل أشم والمرأة شماء ، والجمع تم مثل أحمر وحمراء وحرر . وفيه أيضاً : « المعطس وزان المجلس الأنف » . وقوله : « شم معاظهم » كناية عن العز والشرف وعلو الشأن .
(192) في « صحاح الجوهري » من مادة : « قول » ما لفظه : « القيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم ، وأصله قيل بالتحديد ، كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله والجمع أقوال وأقبال أيضاً » .

(193) في « مصباح الفيومي » : « القعب إناء ضخم كالقصعة » .

(194) في « مصباح الجوهري » : « السمل : الخلق من الثياب يقال : ثوب أسمال كما قالوا : رمح أقصاد وبرمة أعشار » .

(195) هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي قال القتيبي بشأنه في « الشعر والشعراء » « قد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل ، ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر أن نبياً يبعث قد أظل زمانه ، ويؤمل أن يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته كفر حسداً له ، ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » ، والبيت من قصيدة له تتألف من 13 بيتاً ، وهي في ديوانه بتحقيق عبد الحفيظ السطلي ومطلعها :

ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزن ريم في البحر بالأعداء أحوالا

وفي « الشعر والشعراء » لابن قتيبة أن القصيدة لوالده أبي الصلت .

من ممسك الكأس إلى مشربي الخضرة ، غير أنه لكل حد مرسوم « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ » ، فعليك بحسن الظن وسلامة الصدر للمسلمين ، وحفظ الحرمة لأهل الدين ، والتغافل في عين الحذر ، والتبصر فيما تأتي وما تذر ، والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[إطعام ا م في الزوايا]

حدثني الأخ الصالح الفاضل أبو عبد الله محمد الصغير بن أبي عمرو (1) المراكشي رحمه الله ورحم سلفه قال : أخبرني الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي أن شيخ المشايخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني لم يكن في وقته يطعم في زاويته ، فقالوا له في ذلك فقال : نحن أردنا انتفاع المسلمين ، فإذا قمت أنا وبناتي وتعبنا واحترقنا في طعام المرید الزائر فأني نفع يحصل له ؟

وفي المعنى أيضاً كلام يتشعب ، ونحن نختصر منه قدراً صالحاً إن شاء الله فنقول :

إن الزاوية المشتهر اسمها اليوم عند أهل الطريق من إطعام الطعام للوافدين والمساكين والملازمين على الدوام حتى صارت عند العوام كأنها من الفروض أو (2) الشروط لا يعلم لها من حيث خصوصها أصل ، ولا يجري لها ذكر في الكتاب ولا السنة ، وإنما مرجعها إلى القرى وإكرام الضيف ، ولا شك أنه مأمورٌ به ، ففي الحديث : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » ولكنه أمر مشترك بين جميع المؤمنين ، لا يختص بالصوفي ولا القدوة ، وإن كان هؤلاء أحق بمنزلة (3) كل <خلق> (4) محمود ،

- (1) في س : « عمر » بصيغة المعدول .
- (2) في ح : « والشروط » بالواو بدل أو .
- (3) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو ما في الطبعة الفاسية كذلك ، ولا معنى له في سياق الكلام . والنزل بضمين وبضم فسكون : ما يهياً للضيف ، وكنا في نزلة فلان أي في ضيافته .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من ك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقري الضيف ويحضر أصحابه على ذلك وربما ورد الضيوف فيذهب ببعضهم ويذهب أصحابه بالباقي ويقول : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ فَلْيَذْهَبْ بِشَانِ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ » وهكذا ، وكان عنده أصحاب الصفة (5) : نحو أربعين (6) رجلاً ، وهم أضياف الإسلام ، وكان إذا أتته صدقة دفعها إليهم ، وإذا أتته هدية أخذ منها معهم ، وربما يدخل إلى داره حتى إذا لم يجد شيئاً دفع الضيف إلى غيره ، ولا شك أن هذا كله يكون أصلاً للإطعام (7) في الحملة من غير اختصاص بكيفية ولا بدوام ولا تعميم (8) للناس مع أنه صلى الله عليه وسلم اجتمعت له أحوال الظاهر والباطن والولاية والخلافة ، فمن حاله [الشريف] (9) يستمد الموفق من كل صنف ، ثم كان الخلفاء بعده يطعمون على حسب سيرتهم المعلومة ، ثم الملوك بعد ذلك .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(5) كتب عنهم النووي في كتابه : « تهذيب الأسماء واللغات » (ج 1 من القسم الثاني ص 177 - 178) يقول : « أصحاب الصفة زهاد من الصحابة رضي الله عنهم ، وهم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت لهم في آخره صفة ، وهي مكان مقتطع من المسجد مظلل عليه ، يبيتون فيه ، ويأوون إليه ، قاله إبراهيم الحربي ، والقاضي عياض ، وأصله من صفة البيت وهو شيء كالظلة قدامه ، وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عريفهم حين هاجروا ، وكانوا يقلون ويكثرون ، ففي وقت كانوا سبعين ، وفي وقت كانوا غير ذلك ، وقد بلغوا أربعمئة كما ذكره القرطبي في تفسير سورة النور ، ومثله في الكشاف في سورة البقرة عند قوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » فيزيدون بمن يقدم عليهم ، وينقصون بمن يموت أو يسافر أو يتزوج » .

(6) في س : « أربعين » .

(7) في ك : « للطعام » .

(8) في س : « ولا بتعميم الناس » بجر التعميم بالباء وإضافته للفظ الناس .

(9) ما بين العلامتين زيادة من ح وكتبه ناسخ ك لحقاً بطرتها .

[الزاوية والرباط]

ولما ظهرت الصوفية لم يعرف من حالهم وجود هذه الزاوية والقيام بكل وارد من الجنس وغير الجنس كما هو اليوم ، بل كانوا - رضي الله عنهم - معنيين (1) بما يعنيهم ، فمنهم المنقبض عن الناس شغلاً بحاله ، ومنهم المخالط ينتفع الناس منه بعلومه ومعارفه وآدابه ، وقد يكون منهم من يستقر بين أظهر الناس ، ومنهم من يكون سائحاً إنما يلقى في الخلوات والقلوات ، وقد يكون منهم من يكون أصحابه هم الذين يقومون بمثونته ، أو يسأل قدر قوته ، فكان أبو جعفر الحداد ، وهو من أكابر المشايخ يخرج بين العشائين فيسأل من الديار حتى يحصل على القدر المحتاج في ليلته ، فيرجع ، قالوا : وكان له قدم في التوكل معروف ، ولم يُزْرَ به ذلك عند أحد ، نعم تكون لهم رباطات فيكون (2) فيها المتجردون من أصحابهم للعبادة كشبه حال أهل الصفة (3) وذكر الياضي رحمه الله في ذلك حكاية عن الإمام <أبي بكر> (4) الشبلي - رضي الله عنه - قال : كان عنده في رباطه نحو أربعين مريداً يعبدون ويعيشون بالفتوح ، وانه اتفق له (5) ذات مرة أن لم يفتح عليهم بشيء ، حتى ضاقوا ، فخرج الشيخ إليهم فحدثهم في مقام التوكل ، وحضهم (6) على

-
- (1) في س : « مقيمين » وهو تصحيف .
 - (2) كذا بالأصل ، وفي سواه : « يكون » بدون الفاء .
 - (3) في س : « الصوفية » وأصلحها أكنسوس على طرة مخطوطته : « الصفة » .
 - (4) ما بين العلامتين ساقط من ك ، والشبلي تقدمت ترجمته .
 - (5) كذا في الأصل ، وفي سواه : « لهم » .
 - (6) في س : « حظهم » بظاء مشالة ، وهو تصحيف .

الصبر ، ثم ذهب عنهم ، فبقوا بعده (7) أياماً أخر لم يأتهم شيء ، فلحققتهم
الضرورة ، فلما كان ذلك خرج إليهم فقال لهم : إن الله تعالى أمرنا بالتوكل
ورخص لنا في الأسباب ، فتسببوا ، ففعلوا ذلك ، وخرج الواحد منهم إلى
البلد وجعل يجول في الأسواق والمجامع من غير أن يسأل أحداً وإنما يعرض
نفسه لما (8) يفتح الله تعالى من رزق ، فلم يفتح عليه بشيء (9) حتى انتهى
إلى طبيب نصراني قد حلق الناس عليه ، وهو يصف لهم الأدوية ، فجلس
بين يديه . ومد إليه يده ليجس نبضه (10) بلا كلام . فجس الطبيب يده
فقال له : أنا أعرف مرضك وأعرف دواءه ، ثم قال لغلام له : عليّ برطل
من الشواء ، مع خبز وحلواء ، فأحضر الغلام ذلك ، فقال الطبيب للفقير :
أنت جائع ، وهذا دواؤك . فقال الفقير : إن كنت صادقاً فمن ورائي
أربعون (11) كلهم بهذا المرض . فقال الطبيب لأصحابه : أحضروا من هذا
الطعام ما يكفي أربعين ، فأحضروا ذلك ، فأمر الطبيب من يحمله ، وأمر
الفقير أن يمشي معهم إلى أصحابه ، فلما خرجوا تبعهم الطبيب مستخفياً
ليعلم أصدق الفقير أم لا ؟ فأدخلوا ذلك إلى الرباط واستدعوا الشيخ فخرج
إليهم . فوضعوا (12) الطعام بين يديه فقال : ما هذا ؟ فقص عليه الفقير
القصة على وجهها فقال لهم : أفترضون أن تأكلوا طعام رجل (13) من غير
أن تكافئوه ؟ فقالوا : كيف نكافئه يا أستاذ ؟ فقال : تدعون له (14) ، فأخذوا

(7) في ك : « عنده » بدل : « بعده » ولا شيء منهما في ح .

(8) في ك و ح : « بما » بدل : « لما » .

(9) في ك : « شيء » بدون جار .

(10) صحفت هذه الكلمة في س هكذا : « نبطه » .

(11) في الفاسية : « فإن ورائي أربعون » وهو ملحون .

(12) في ك : « ووضعوا » بواو بدل الفاء .

(13) كذا بالأصل وفي سواه : « الرجل » بالتعريف .

(14) في ح : « إليه » وهو تحريف .

في الدعاء له ، والطبيب في كل ذلك ينظر إليهم من طاق ، فلما رأى صدق القول ، ورأى حالهم من المحافظة على الحقوق ، وارتفاع هممهم مع غاية الحاجة من غير (15) أن يتناولوا الطعام قبل المكافأة (16) ألقى الله تعالى الإيمان في قلبه ، فدخل عليهم وقال للشيخ : مدّ يدك ، وتشهد شهادة الحق ودخل في صحبتهم فصار من الصوفية . والله الحمد . فانظر أيها الناظر في حكمة المولى المتفضل كيف أمسك عن أوليائه الرزق ليخرجوا إلى الخلق فيصطادوا هذا الولي الرومي حين حان أوان الوصال والخروج من سجن القطيعة إلى حضرة مولاه ، فسبحان من يقرب من يشاء ، وهو ذو الفضل العظيم ، وإنما هي السابقة « وكلّ مُيسّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » (17) فكم من ولي لله تعالى في وسطه زنار (18) ، وكم من كافر يؤذن فوق المنار ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية ، ويظهر من القصة أن هؤلاء الفقراء يأتيهم الفتوح لرباطهم ، لا أن **الطعام** (19) يخرج لهم من دار الشيخ كما جرى في عرف اليوم . بل قد أشركوا (20) الشيخ في طعامهم في هذه القصة .

(15) كذا في صلب الأصل ، وفي طرته بخط ناسخه : « عن أن يتناولوا . . . » وعليه جاء إشارة إلى أنه رواية نسخة أخرى ، وفي س مثل ما في هذه الطرة ، أما ح ففيها : « على أن يتناولوا . . . » وجاء في ك : « عن غير أن يتناولوا . . . » .

(16) في المخطوطات الثلاث وفي ح : « المكافات » فأصلحناه .

(17) ما بين العلامتين عبارة حديث تقف عليه في بابي القدر والتوحيد من « صحيح البخاري » ، وتجده في باب القدر من « صحيح مسلم » ، وهو عند أبي داود وابن ماجه وابن حنبل وبينهم في بعض ألفاظه اختلاف .

(18) الزنار بوزن التفاح : ما يشده النصراني والمجوسي على وسطه ، وتزر النصراني : شد الزنار على وسطه ، وزره غيره بالتشديد : ألبسه إياه ، وفي « شفاء الغليل » للخفاجي ما نصه : « الزنار اشتقاقه من الزر ، وهو الدقة ، وهو عربي ، وقيل معرب لأنه لا يجتمع في العربية نون وراء .

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) في س : « اشركوا » .

وكان بعد ذلك الشيخ يوسف (21) العجمي فيما حكى من سيرته يخرج الواحد من أصحابه ويذهب بدابة معه فيسأل النهار كله إلى الليل وما اجتمع يأتي به إلى الفقراء ، وبذلك يعيشون ، وصورة السؤال أن يقف بباب الدار والحانوت فيقول : الله ، ويمد بها صوته حتى يكاد يغشى عليه ويسقط ، قالوا : وكانوا يتناوبون في الخروج بينهم وبين الشيخ ، يخرج الخارج يوماً لأنفسهم ويوماً للشيخ ، فكان الخارج لهم يأتي بالدابة موقورة (22) لحماً وخبزاً وجبناً (23) وبصلاً وغير ذلك ، وفي يوم الشيخ إنما يأتي بكسيرات يأكلها فقير واحد فقالوا له في ذلك فقال : أنتم بشريتكم باقية ، فبينكم وبين الخلق ارتباط ، فيعطونكم ، وأنا بشريتي قد فנית حتى لا تكاد < ترى > (24) فليس بيني وبين التجار والسوقة (25) وأبناء الدنيا (26) كبير مجانسة < قالوا > (27) : وكان يأمر بإغلاق باب الزاوية < طول النهار > (28) لا يفتح لأحد إلا للصلاة وإذا دق أحد يقول للنقيب : اذهب وانظر من شق

(21) ترجمه الشعرا في «الطبقات الكبرى» (2 : 60 - 61) فكان مما قال عنه : « سيدي يوسف العجمي الكوراني - رضي الله عنه - هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد - رضي الله عنه - بمصر بعد اندراسها ، وكان ذا طريقة عجيبة في الانقطاع والتسليك ، وله التلامذة الكثيرة ، وعدة زوايا ، وأخذ العهد ولبس الحرقة على الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني ، وعن الشيخ بدر الدين حسن الشمشيري ، وتلقن الذكر ، وهو لا إله إلا الله عليهما ، وهي سلسلة الشيخ الجنيد ، وأبرز بمصر الكرامات والحوارق ، وتوفي في زاويته بالقرافة الصغرى سنة ثمان وستين وسبعمائة .

- (22) في ك : « موقورة » وهو خطأ .
(23) في ح : « وحيا » بدل : « جبنا » .
(24) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(25) في « مصباح الفيومي » : « السوقة عند العرب خلاف الملك ، وتطلق السوقة على الواحد والمثنى والمجموع ، وربما جمعت على سوق مثل غرفة وغرف » .
(26) في ك : « الزمان » بدل : « الدنيا » .
(27) ما بين العلامتين ساقط من س .
(28) ما بين العلامتين ساقط من ح .

الباب فإن كان معه شيء من الفتوح للفقراء فافتح له، وإلا فهي زيارات فشارات (29) فقال بعض الناس في ذلك ، فقال الشيخ : أعز ما عند الفقير وقته ، وأعز ما عند أبناء الدنيا ما لهم ، إن بذلوه لنا بذلنا لهم وقتنا .

وقد شاع اليوم إقامة الصوفية الزوايا بإطعام الطعام ، ولا سيما في بلادنا المغربية ، وخصوصاً في البوادي ، وما يكون من فتوح يأتي إلى يد الشيخ ، وهو ينفق فيه على المجاورين والواردين ، وهذا قد كان فيهم من قديم ، ففي ترجمة الشيخ أبي يعزى (30) أن الناس [كانوا] (31) يأتون إليه من كل بلد ، فيطعمهم من عنده ، ويعلف دوابهم ، وأن الفتوح كانت تأتيه من إخوانه في الله تعالى فينفقها على زائريه (32) وأن أهل القرى القريبة منه كانوا يضيفون الواصلين لزيارة أبي يعزى ويتبركون بهم ، فلما مات أبو يعزى ريء (33) في النوم وهو يطير في الهواء (34) فقيل له : بم نلت ما نلت ؟ فقال : بإطعام الطعام .

ويحكى عن الشيخ أبي محمد عبد الخالق (35) بن ياسين الدغوشي أنه كان

(29) كذا هو في الأصل « بفاء فشين معجمة بعدها ألف فراء فألف فتاء مبسوطه » كأنه جمع فشار كغراب بمعنى الهديان ، ويستعمله عوام بعض البلاد العربية اليوم بمعنى التعظم والتباهي والتظاهر بالغنى وسعة الحال ، والكلمة مولدة لا أصل لها في العربية ، قال الزبيدي في « التاج » : « الفشار كغراب الذي تستعمله العامة بمعنى الهديان ، وكذا التفسير ليس من كلام العرب ، وإنما هو من استعمال العامة » . وكتب في ك و س « بشارات » بالباء أما س فجاءت فيها الكلمة على هذه الصورة : « بشرايات » وشكله أكنسوس يكسر الباء وفتح الشين شكل قلم وكتب فوقه علامة : « صح » كأنه جعله جمع تراء .

(30) تقدم التعريف به .

(31) ما بين العلامتين زيادة من ك و ح .

(32) في ح : « زواره » بدله .

(33) كذا هو في المخطوطات الثلاث ، وكذا هو في الفاسية ، وهو مقلوب « رثي » .

(34) في س و ح : « الهوى » وهو تحريف .

(35) تقدمت ترجمته .

يقول : طلبنا التوفيق زماناً فأخطأناه ، فإذا هو في إطعام الطعام (36) وقد
اشتهر ذلك اليوم حتى إن عوام البادية يرون ذلك كأنه شرط فيمن انتصب
للزيارة أو تصدّى (37) للمشيخة، ويعدون قوة ذلك وتيسره من كراماته ،
ولا يبالون بمن لم يروا ذلك على يده ، فوقع في ذلك منافع عظام وآفات جسام .

وأهل الزوايا مختلفون ، منهم من يطعم الناس من مال أبيه (38) أو من
كد يمينه من غير أن يدخل عليه فتوح أصلاً ، فهذا أقرب الناس إلى السلامة
وأبعد عن الشبهة ، وهو منتفع بحصول الأجر فيما أنفق ، وفي سد نخلة (39)
المحتاج ، وفي ترغيب الناس في الخير بما يحصل لهم من الميل الطبيعي (40) ،
وفي اجتماع أهل الخير عنده ، وفي تعاونهم على البر ، وتعلم العلم والأدب
والمعرفة ، وتربية الخير ، وإحياء مراسم الطريق . وتكثير سواد أهله ، وغير
ذلك من الوجوه المستحسنة ، والمصالح المتبينة ، وينتفع الناس معه بما ذكر
وبحسن (41) الظن به وبالطريق وبأهلها وبسلامتهم من كل ما يقابل ذلك من
الآفات ، إن كانت <لا> (42) تأتيه الفتوح فذاك ، وإن كانت تأتيه
ويردها فلا شك أنها حالة رفيعة ، ولكن لا بد أن يحذر آفة الرد كما يحذر
آفة الأخذ ، ولا سيما في الرد على إخوانه وأتباعه .

ومن الآفات المشاهدة اليوم في ذلك أن الشح عياداً بالله قد غلب على الناس

(36) حكى التادلي في « التشوف » (ص 206) فقال : « سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن موسى
الهرزجي يقول : سمعت الفقيه أبا محمد يسكر بن موسى يقول : قال أبو محمد عبد
الخالق بن ياسين : طلبنا التوفيق زماناً فأخطأناه فإذا هو في إطعام الطعام » .

(37) في س وحدها : « تصدر » بالراء .

(38) في ك : « الله » بدل : « أبيه » .

(39) في « مصباح الفيومي » : « الخلة بالفتح : الفقر والحاجة » .

(40) في ح : « الطبيعي » .

(41) في ك : « يحسن » بصيغة المضارع .

(42) ما بين العلامتين ساقط من ح .

ولا سيما فيما هو لله خالصاً ، إذ لا باعث عليه من النفس ، فتجد الفقير يثقل عليه أن يتصدق بدرهم لمسكين محتاج ويتيم وأرملة ، ويخف عليه أن يحمل الدينار والدينارين إلى دار شيخه ، وذلك إما لبواعث شهوانية كطلب الأعراض (43) العاجلة أو مساعفة الغير أو المراياة (44) أو نحو ذلك ، وإما تصريف من الله تعالى وتسخير في هذا الوجه ، ثم إن رد عليه شيخه ذلك وأغلق عليه بابه انغلق عليه أبواب الخير والنفقة ، فبأي وجه يرتاض في صفة البخل حتى يتخلى منها ؟ <أو> (45) بمجرد الموعظة والتذكير من شيخه من غير أن ينازها بالفعل ؟ وهيهات منه ذلك ! وإذا كان كذلك كان شيخه قد غشه في تربيته له ولو أنه قبض منه ذلك وأنفقه له في وجوه الخير كان أعود عليه وأرجى لاعتياده ذلك في جهات أخرى ، ولحصول نور ينتفع به ، نَعَمِ الأَمْرُ مُخْطِرٌ (46) ، والناس فيه ثلاثة :

رجل طالب دنيا آكلٌ بدينه ، يقبض لنفسه شهوة ، فهذا فاسد مفسد ، وربما انتفع معه من أنفق لله تعالى « إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ » (47) .

(43) كذا بالأصل ومثله في الفاسية ، أما ك و س ففيهما : « الأعراض » .

(44) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في الطبعة الفاسية ، يريد المرااة فقلب الهمزة ياء ، قال الجوهري « في صحاحه » : « يقال رامى فلان الناس يرأيهم مرااة وراياهم مراياة على القلب . » اه . والمرااة أن تعمل العمل تريد أن يراه الناس ولا تقصد به وجه الله .

(45) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية ، والهمزة فيه همزة استفهام وليست بعضاً من أو العاطفة .

(46) في « فائق الزمخشري » : « أخطر لي فلان وأخطرت له : إذا تراهنا ، وهو من الخطر بمعنى الغرر » . وفي « مصباح الفيومي » : « بادية مخرطة كأنها أخطرت المسافر فجعلته خطراً بين السلامة والتلف » . وقول اليوسي : « الأمر مخطر » بصيغة اسم الفاعل من المعنى الذي في « الفائق والمصباح » .

(47) ما بين القوسين عبارة حديث ورد في « الصحيحين » و« مسند ابن حنبل ومسند الدارمي » .

ورجل صادق في حاله ، غير كامل في تصرفه ، يخشى العطب في الأخذ ، ويؤثر جانب السلامة ، فهذا سالم في نفسه ، ولا ربح معه للناس من هذا الوجه .

ورجل كامل قد تضلع (48) من العلم والحال ، فهذا حقه الأخذ لحق الغير نصحاً له وإعانة له على الخير ، اللهم إلا أن يعرض ما يمنع كاطلاعه على اختلاف قصد المتصدق أو فساد في المال أو نحو ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من أصحابه ما يأتون به من النفقة إعانة لهم على الخير ، وتركية لهم عن الأخلاق المذمومة . ونفعاً للمسلمين بما أنفقوا وإلا فهو صلى الله عليه وسلم أغنى الخلق ظاهراً وباطناً ، وقد عرض عليه أن يجعل له الجبال ذهباً ينفق منها فلم يرض . وقد لا يقبل لعوارض . وقد قال صلى الله عليه وسلم في آخر الأمر : « هَمَمْتُ إِلَّا أَقْبَلَ إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ » والكامل من المشايخ له مدخل في ذلك .

ومنهم من يطعم من الفتوح أو من الأمرين . فإن استقام أخذه وتصرفه فهو ينتفع بما مر في الأول ، وإن كان لا يبلغ في أجر النفقة مبلغ من أنفق في (49) كد يمينه ، وعرق جبينه . وبمعاونة الناس على الخير ، وإدخال السرور عليهم في (50) الأخذ . وتربية أحوالهم المحمودة ، وتركيتهم من المذمومة ، وبالسلامة من الأنفة (51) والاشتهار بالنزاهة المتوقع في الأول ، وبتييسر (52) رزقه في خلال ذلك ليتفرغ للعبادة ، إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدينيوية ، وينتفع الناس معه بما مر . والمنفقون بذلك مع حصول أجر ما أنفقوا ، والتخلي

(48) في س : « تطلع » بالطاء المشالة ، وهو تصحيف .

(49) كذا بالأصل ، ومثله في س أما ك وح ففيهما : « من » بدله .

(50) كذا في الأصل ، وفي غيره : « بالأخذ » .

(51) في ك : « الآفة » بدل : « الأنفة » .

(52) في ح وحدها : « بتييسر » .

والتحلي (53) كما مرّ، وغير ذلك ، ومن سوى هذين الشخصين من كل من يستظهر بالخرقة ويتجر باللقمة فلا عبرة به ، وقد ينتفع المنفق كما مر إن سلم من أتباعه على زيغته والسقوط في مهاوي بدعته ، وهذا كله في الإطعام والإنفاق جملة .

وأما أكل المرید لطعام شيخه والنزول في مشواه وافتراش فراشه وغير ذلك من الانتفاعات فقد يسلم في ذلك وقد يحصل له انتفاع زيادة على السلامة كحصول بركة ونور في قلبه أو رحمة من الله تعالى بذلك ، وقد جاءت امرأة من لكتاوة (54) إلى دار أشياخنا (55) ، وأظنه في حياة سيدي أحمد بن إبراهيم بقصد الزيارة فأكلت من طعام الزاوية ثم رجعت إلى بلدها وبقيت أياماً فماتت فريثت (56) بعد موتها فقيل لها : ما فعل الله بك ؟ فقالت : رحمني بالطعام الذي أكلت من الزاوية .

وقد يتضرر المرید بذلك من جهات منها أن يتشوف إلى ذلك أو إلى المتزينة فيه فيفسد قصده ، ويختل حاله ، ومنها أن يستشعر شيخه منه أحياناً ثقلاً في ذلك لما يقتضيه الطبع البشري ، فينفر (57) منه ، وفي ذلك ضرره (58) ، وقد تذهب زيارته وخدمته في بطنه ، وذلك هو الحسران (59) المبين ، ومن ذلك

(53) في ك و س : « التجلي » بالجيم .

(54) كذا بالأصل ، ومثله في الفاسية ، ورسمت الكلمة في ك هكذا : « الكتاوة » ، وكتبت في س : « بكتاوة » بالباء ، وجاء في طرة الأصل بخط ناسخه ما لفظه بالحرف : « موضع بأسفل وادي درعة » .

(55) في ك وحدها : « شيخنا » بالإفراد .

(56) كذا في المخطوطات الثلاث ، ومثله في ح ، وهو مقلوب : « رثيت » .

(57) في س وحدها : « فيفر » .

(58) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك وح ففيهما : « ضرورة » وظاهر أنه تحريف .

(59) في ك وحدها : « الضلال » بدله .

وقع ما ذكر في صدر هذه الترجمة للشيخ أحمد بن يوسف من ترك الإطعام كما قال ، وقد يدخل عليه في ذلك من مزاحمة الإخوان والواردين الشغل والفتنة والشحناء والتدابير والتقاطع وغير ذلك .

وقد حدثونا عن شيخ شيوخنا سيدي عبد الله بن حسين (60) الرقي-رضي الله عنه - أنه < كان > (61) إذا ذهب مع الفقراء لزيارة شيخهم سيدي أحمد بن علي يأخذ معه زاداً تحت إبطه فإذا وصلوا إلى زاوية الشيخ انفرد عنهم ودخل المسجد (62) واشتغل بحاله وواقفات من زاده فلا جرّم [ان] (63) كان هو الذي أنجح (64) وأفلح .

هذا ولا يخلو شيء من مصالح وآفات ، والمعصوم من عصمه الله ، والموفق من وفقه الله ، والورع من ورعه الله ، فلا يمكن الاعتراض على من أكل ، ولا من ترك ، ولا من أطعم ، ولا من ترك ، ولا من اشتهر ، ولا من اختفى ، اللهم إلا < على > (65) من كان في تربيته على يده بوجهه ، فمن عرف فليتبع ، ومن جهل فليسلم ، والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقية في محلها بشرطها .

وبلغني أن الفقيه الصالح سيدي الصغير ابن المنيار مر ذات مرة بسيدي محمد بن أبي بكر الدلائي فأخرج إليه الطعام من الزاوية فلم يأكله فبلغ ذلك

(60) كذا بالأصل ، ومثله في ح ، أما ك ففيها : « حسون » وأما س ففيها : « أحسين » .

(61) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(62) في ح : « ودخل زاوية الشيخ » بدل : « ودخل المسجد » .

(63) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(64) في « صحاح الجوهري » ما لفظه : « أنجح الرجل : صار ذا نجح ، فهو منجح من قوم

مناجح ومناجيح ، وما أفلح فلان ولا أنجح » .

(65) ما بين العلامتين ساقط من ك .

ابن أبي بكر فذكر ذلك وكأنه اعتل بما يقع من خدمة الناس في الحصاد والدرس ، فقال له ابن أبي بكر : أيما أفضل أنت أم جدك ؟ يعني سيدي علي بن إبراهيم ، وقد جاءه بنو موسى بسبعمائة منجل ليحصدوا ، فلما رأى عددهم قال لهم : بخلتمونا يا بني موسى ، فقال له سيدي الصغير : جدي أعرف بحاله وأقدر على ما يفعل (66) ، وأنا أتصرف بمقتضى حالي أو نحو هذا <من> (67) الكلام .

وقد يكون للولي حال مع الله تعالى فيسأل الناس ويأخذ من الله تعالى لا من الناس ، ويتصرف بالله وفي الله ، ولا يصح الاعتراض عليه لاستقامته .

وقد قيل للإمام الجنيد (68) : إن النوري (69) يسأل الناس فقال : دعوه في حاله ، ولكن هاتوا الميزان فوزن قدرأ من الدراهم ، ثم أخذ قبضة من الدراهم بغير وزن فمذفها على الموزون وقال لصاحبه : اذهب بذلك المجموع [إليه] (70) فلما بلغ النوري قال <النوري> (71) : <هات> (72)

(66) في ح : « ما لا يفعل » ولا شك أن « لا » فيه لغو لا معنى له .

(67) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(68) سبق التعريف به .

(69) ترجمه السلمى في « طبقات الصوفية » (ص 164 - 169) فقال : أبو الحسين النوري ،

واسمه أحمد بن محمد ، وقيل : محمد بن محمد ، بغدادى النشأة والمولد ، خراسانى الأصل ،

يعرف بابن البغوي ، سمعت محمد بن الحسن بن خالد يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول :

كان أبو الحسين خراسانى الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها : بغشور ،

لذلك يعرف بابن البغوي ، وكان من أجل مشايخ القوم وعلماهم ، ولم يكن في وقته

أحسن طريقة منه ولا أطف كلاما ، توفي سنة خمس وتسعين ومائتين . وفي س :

« النوي » بواوين ، وأصلحه أكنسوس على الطرة بالنوري .

(70) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(71) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(72) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

الميزان، فرزن (73) القدر الموزون ورده (74) وأخذ الباقي ، فقال له الحامل :
كنت عجبت من فعل الجنيد وأنه كيف خلط الموزون بغير الموزون ، فأبي
فائدة للوزن ؟ وفعلك هذا أعجب ، فما هذا ؟ فقال له النوري : إن الجنيد
رجل حكيم ، وإنه أحب أن يأخذ الحبل بطرفيه ، فوزن قدراً لنفسه وجعل
الآخر لله تعالى . ونحن قد أخذنا ما لله (75) تعالى . فلما رجع الرسول إلى
الجنيد بكى وقال : أخذ ماله ورد علينا مالنا ، فتبين بذلك أنه يأخذ ما لله من
الله عن بصيرة صادقة فلا بأس < عليه > (76) [بذلك] (77) والله الموفق
< و > (78) المعين .

الله الأمر من قبل ومن بعد

-
- (73) رسمت الكلمة في الفاسية ناقصة ومصحفة هكذا : « فوق » بسقوط الزاي وإبدال النون قافاً .
(74) في س : « فرده » بالفاء بدل الواو .
(75) في ح : « بالله » .
(76) ما بين العلامتين ساقط من ح
(77) ما بين العلامتين إضافة من ح .
(78) ما بين العلامتين ساقط من س .

[ميل القلوب ونفرتها]

كان بعض الطلبة (1) من أصحابنا في قرية ، وكانت القرية قرية سوء . وأهلها كذلك ، ثم إن بعض الأصحاب رام لوم ذلك الطالب على الاستقرار فيها فقال له : كيف تبقى في تلك القرية وهي كيت وكيت (2) يعدد عليه مساويها ؟ فقال الطالب : أحمد الله وأشكره ، فلما قال ذلك استحمقه اللائم وازداد في الإنكار عليه وانه كيف يحمد على هذا . فقال له الطالب : قد رأيت كل ما ترون من مساويها ، وعلمت منها ما تعلمون أو (3) أكثر . ومع ذلك فأجد قاي غير نفور عنها > فأحمد الله تعالى إذ قضى عليّ الاستقرار فيها ولم ينفر قلبي عنها < (4) فلو أنه تعالى قضى عليّ بها وكرهها لي وأنا لا أجد بداً منها بحكم القضاء فما ترون يكون عيشي عند ذلك ؟ فلما قرر هذا المعنى وجدوه معنى لطيفاً تنبه إليه وسلموا له .

وشرح ذلك باختصار أن الله تعالى أودع في طبع الآدمي ميلاً إلى شيء ونفوراً عن شيء . ويسمى الأول ملائماً ، إما حسياً كالشراب والطعام واللباس والنكاح > في الجملة ونحو ذلك < (5) وإما معنوياً > كالغز < (6)

- (1) في ك : « حدثنا بعض الطلبة . . . » .
- (2) في « تاج العروس » : « كان من الأمر كيت وكيت بالفتح ويكسر آخرهما ، وهي كناية عن القصة أو الأحدثة » .
- (3) في ك : « وأكثر » بالواو بدل أو .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من س .
- (5) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (6) ما بين العلامتين ساقط من ح . وفي س : « كالحسن » بدلا منه .

والجاء والراحة والصحة والعافية ونحو ذلك ، ويسمى الثاني منافراً إما حسياً أيضاً كالعدرة والبول والدم والميتة والشوك والجرح والضرب والسجن والقيد ونحو ذلك ، وإما معنوياً كالذل والمهانة والعجز والضميم والغم والحزن ونحو ذلك .

ثم إن الأعيان الموجودة في الدنيا كالأموال المكتسبة وغيرها من الحيوانات العجماوات والجمادات مثل الأمكنة والأزمنة والجهات والقرناء(7) والأصحاب ونحو ذلك منها ما يكون من القسم الأول ملائماً لمقارنته للملائم كالأنعام لما فيها من الأكل والشرب والركوب والحمل والزينة ، والرباع لما فيها من الاشتغال(8) بأنواعه ، والنساء في الحمل لما فيهن من الاستمتاع ، وسائر الانتفاع ، وعلى الخصوص فيمن وجد ذلك فيه حقيقة أو توهماً ، وكذا في سائر ما ينفع له ، ولذا قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) الخ . ومنها ما يكون من القسم الثاني منافراً لمقارنته للمنافر كالسباع والحيات والعقارب والأعداء ونحو ذلك ، وكذا الأمكنة والأزمنة والجهات تكون ملائمة إذا كانت ظرفاً للملائم ، ومنافرة إذا صارت(9) ظرفاً للمنافر ، وهذا هو الأمر المعتاد ، وقد تحرق هذه العادة في شخص فيجعل في قلبه ميل إلى غير ملائم أو نفرة عن غير المنافر إما بسبب كالسحر ونحوه ، أو بمحض الحكم الأزلي ، ولا بد أن يتوهمه في نفسه ملائماً في تلك الحالة أو منافراً ، فلا تنتقض العادة الجارية ، ثم إن الله تعالى قدر على العبد قبل إيجاده < كل > (10) ما يلقاه من هذه الأشياء ، فإن قدر عليه أن يلقى الملائم فعندما يلقاه ينعم من جهتين : إحداهما وجود الانتفاع الذي فيه كما قررنا ، والأخرى أنس

(7) في س : « الندماء » بدل : « القرناء » .

(8) كذا بالأصل وفي غيره : « الاستغلال » وهو المناسب لسياق الكلام .

(9) في س : « كانت » بدله .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك .

قلبه به فيكون كما قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : إذا وافق الحق الهوى فهو العسل والزبد ، وإن قدر عليه أن يلقي المنافر فهو عندما يلقاه يعذب من جهتين ، وهما التضرر الظاهر ، والتألم الباطن بالكراهة ، وهذان القسمان في الملائم والمنافر الحقيقيين (11) ، وهما واضحان جاريان على المعتاد ، ووراءهما أربعة أقسام فيما يرجع إلى القلب من الميل والنفرة :

الأول أن يقضى عليه بعدم ملاقاته الملائم ولا يخلق في قلبه ميل إليه كحال المجانين أو تخلق له كراهيته .

الثاني أن يقضى عليه بملاقاته المنافر ولا يخلق في قلبه نفرة عنه أو يخلق له الميل إليه ، وفي كلا القسمين تقع السلامة من العذاب وإن لم يحصل نعيم أو يحصل نعيم موهوم أو خسيس تابع لحسة عقل صاحبه أو ضعف حسه كالصبي الذي يأكل التراب ، ومن القسم الثاني قصة صاحب القرية المذكور (12) .

الثالث أن يبتلى بالميل إلى شيء ومحبته بحكم القضاء ملائماً أو غير ملائم ولا يقضى له بملاقاته .

الرابع : أن يبتلى بالنفرة عن شيء وكراهته بحكم القضاء منافراً أو غير منافر ويقضى عليه بملاقاته ، وفي كلا القسمين يقع العذاب والمحنة بالنظر إلى الباطن . وإلى الأول يشير المجنون في قوله :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

وكأنه يقول : لو قضاها لي أي الرب سبحانه بأن أتزوجها حين ابتلاني

(11) في س : « الحقيقيين » .

(12) في ل و ح : « المذكورة » .

بحبها لتعمت ولو لم يبتلي بحبها حين قضاها لغيري أن يتزوجها لاسترح .
فلا أنا بحصولها في يدي ولا أنا بخروجها من قلبي فهذا هو العذاب المبين (13) .
وإلى القسمين معاً يشير <الآخر في قوله > (14) :

من لم يعيش بين أقوام يسر بهم فعيشه أبداً هم وأحزان
وأخبث العيش ما للنفس فيه أذى خُضِرُ الجنان مع الأعداء نيران
وأطيب العيش ما للنفس فيه هوى سمّ (15) الخياط (16) مع الأحباب ميدان

وحاصله تحكيم القلب وأنه المرجع في النعيم والعذاب ، ولا عبرة
بالمحسوس إلا بما فيه من التأدية إلى ما في القلب ، وإلى هذا المعنى يشير الصوفية
في النعيم والعذاب الموعود في الدار الآخرة كما قال في الحكم (17) : النعيم
وإن تنوعت مظاهره . . . إنما هو لشهوده واقترابه ، والعذاب وإن تنوعت
مظاهره . . . إنما هو بوجود حجابيه . فسبب العذاب وجود الحجاب (18) .
وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم .

وإلى هذا المعنى يرجع كل ما يذكر من الحنين إلى الأوطان النائية .
والبكاء على المراسم الحالية ، وذكر الأحباب النازحة ، والأيام الصالحة ،
ومن مرارة الفراق ، ولوعة (19) الاشتياق ، وما قيل في ذلك يملأ الأرض ،
ويفوت الطول والعرض . كقول الأول :

-
- (13) في ح : « فهذا سوء العذاب المبين » .
(14) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(15) السم بتثليث السين ثقب الإبرة .
(16) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « المخيط والخياط ما يخاط به ، وزان لحاف وملحف
وإزار ومثزر » .
(17) يريد الحكم العطائية وقد تقدم التعريف بها وبصاحبها .
(18) في ك و س : « الحساب » بدل : « الحجاب » وهو تصحيف .
(19) في الكتانية : « ولوع » بنون الهاء .

وكل مصيبات الزمان رأيتها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وكتب (20) المهدي وهو بمكة إلى الحيزران :

نحن في أفضل السرور ولكن ليس إلّا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل إن قدرتم أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته :

قد أتانا الذي وصفت من الشؤ ق فكدنا وما فعلنا نظير
ليت أن الرياح كن يؤدي ن إليكم ما قد يجن الضمير
لم أزل صبة فإن كنت بعدي في سرور فدام ذاك السرور

وقال أبو تمام (21) :

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلّا الفراق على النفوس دليلاً

وقال أبو الطيب (22) :

(20) في و س : « وكقول » بدل : « وكتب » .

(21) البيت من قصيدة له مدح بها نوح بن عمرو السكسكي مطلعها :

يوم الفراق لقد خلقت طويلاً لم تبق لي جلدأ ولا معقولا

وبعده البيت ، وبعدهما :

قالوا الرحيل فما شككت بأنها نفس عن الدنيا تريد رحيلاً

وهي في ثلاثين بيتاً ، وهي في ديوانه بتحقيق محمد عبده عزام ضمن سلسلة الذخائر .

(22) البيت من قصيدة له في مدح سعيد بن كلاب الطائي ، وأولها :

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

والوجد يقوى كما يقوى النوى أبدأ والصبر ينحل في جسمي كما نحلا

وبعدهما البيت الذي أورده اليومي .

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

[(23) وقال أحمد بن رجاء الكاتب : أخذ مني تميم بن المعز جارية كنت أحبها وتحبني فأحضرها (24) ليلة في منادته فنام فأخذت العود وغنت عليه صوتاً حزيناً من قلب قريح وهو :

لا كان يوم الفراق يوماً لم يبق للمقلتين يوماً
شئت مني ومنك شملاً فساء قوماً وسر قوماً
يا قوم من لي بوصل ريم (25) يسومني في الغرام سوما (26)
ما لامني الناس فيه إلا (27) بكيت كيما أزد لوما

فأفاق المعز مع فراغها ورأى دمعها يسيل فقال : ما شأنك ؟ فأمسكت هيبة له ، فقال لها : إن صدقتني لأبلغنك أملك ، فأخبرته بما كنا عليه فأحسن إليها وردها إلي وألحقني بنخاسة ندمائه ، وقال ابن ميادة (28) :

- (23) ما بين المعقفين ساقط من الأصل ومن س ، وأثبتته ناسخ الكتانية على ورقة إضافية وكتب بإزائه ما لفظه : « بقي هنا نحو الورقة كما في نسخة غير هذه ، وهو المرقوم بالورقة الملتصقة يمينته » . وهو وارد بالطبعة الفاسية .
(24) كذا في الكتانية وفي الطبعة الفاسية « فأحضرهما » مع الضمير المشئ وهو خطأ ظاهر .
(25) الرَّم بالكسر مهموزاً وبالياء بدلا من الهمزة : الظبي الخالص البياض .
(26) يقال : سامه الذل يسومه سوماً إذا أوقعه عليه وأرهقه به .
(27) رواية الكتانية لهذا الشطر جاءت هكذا :
(ما لامني فيه الناس إلا)

ولا يستقيم العروض على هذه الرواية .

- (28) هو الرماح بن أبرد بن ثوبان ، وميادة أمه ، شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، قال عنه ابن المعتز في « الطبقات » : « كان ابن ميادة جيد الغزل ، ونمطه نمط الأعراب الفصحاء ، وكان مطبوعاً » . وكان سبب قوله لهذا الشعر ما حكاه أبو الفرج في « أغانيه » (2 : 270) فقال : « كان الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة ينسب بأب جحدر بنت حسان المرية إحدى نساء بني جذيمة فحلف أبوها ليخرجنها إلى رجل =

ألا ليت شعري هل يحن أهلها وأهلك روضات بطن اللوى خضرا
وهل تأتينا الريح تدرج موهناً (29) برباك تعروري (30) بها بلداً قفرا
بريح خزامى الريح بات معانقاً

فروع الأقاح تهضب (31) الطل والقطرا (32)
ألا ليتني ألقاك يا أم جحدر قريباً فأما الصبر عنك فلا صبوا
وقال أبو العتاهية (33) :

أمسى ببغداد ظي لست أذكره إلا بكيت إذا ما ذكره خطرا
إن المحب إذا شطت منازلـه عن الحبيب بكى أو حن أو ذكرا
وقال آخر (34) :

أقول لصاحبي والعيس تخدي بنا بين المنيفة فالضمار

= من غير عشيرته ولا يزوجها بسحد ، فقدم عليه رجل من الشام فزوجه إياها فلقى عليها
ابن ميادة شدة ، فلما خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميادة يقول .

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر الأبيات «

(29) في « صحاح الجوهري » : « الوهن نحو من نصف الليل ، والموهن مثله ، قال الأصمعي
هو حين يدبر الليل ، وقد أوهنا : صرنا في تلك الساعة » .

(30) هو من قولهم : اعروري الفرس إذا ركبها عرياً من غير سرج ، نظيره قول تأبط شراً :

يظل بمومة ويمسي بغيرها جحيثاً ويعروري ظهور المهالك

(31) يقال : هضبت السماء القوم هضباً إذا مطرتهم مطراً شديداً قالت أم حسان المرية :

فيا حبذا نجد وطيب ترابه إذا هضبته بالعشي هواضبه

(32) في الكتانية : « المطر » بدل : « القطر » وهو خطأ .

(33) البيتان من قطعة له في ديوانه تماماً بعدها :

يا رب ليل طويل بت أرقبه حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا

ما كنت أحسب إلا مذ ذكرتكم إن المضاجع مما تنبت الإبرا

والليل أطول من يوم الحساب على عين التجي إذا ما نومه نفرا

(34) هو الصمة بن عبد الله القشيري ، وقد سبق التعريف به مع شرح غريب شعره هذا .

تمتع من شميم عرار نجد
ألا يا حبذا نفحات نجد
وأهلك إذ يحل الحيّ نجداً
شهور ينقضين وما شعرنا
فما بعد العشية من عرار
وريا روضه بعد القطار
وأنت على زمانك غير زار
بأنصاف هنّ ولا سِرار
وقال الآخر :

سقى الله أياماً لنا قد تتابعت
ليالي أعطيت البطالة مقودي
وسقياً لعصر العامرية من عصر
تمر الليالي والشهور لا أدري
ولالإمام سليمان الكلاعي (35) - رضي الله عنه - :

أحن إلى نجد ومن حل في نجد
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا
وضاقت عليّ الأرض حتى كأنها
إلى الله أشكو ما ألاقى من الجوى
فراق أخلاء وصد أحيّة
ليالي نجني الأنس من شجر المنى
وماذا الذي يغني حنيني أو يجدي
محبهم رهن الصبابة والوجد
وشاح بنحصرٍ أو سوار على زند
وبعض الذي لاقيته من جوى يرددي
كأن صروف الدهر كانت على وعد
ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وقال الآخر :

(35) هو بفتح الكاف وتخفيف اللام نسبة إلى بني كلاع وهم حي من حمير من القحطانية ،
والكلاعي هذا ترجمه ابن العماد في « شذراته » في وفيات سنة 634 فكان مما قال بشأنه :
« أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم البلنسي الحافظ الكبير الثقة صاحب التصانيف
وبقية أعلام الأثر بالأندلس ، كان بصيراً بالحدِيث ، عارفاً بالجرح والتعديل ، مع
الاستبحار في الأدب والبلاغة ، وكان فرداً في إنشاء الرسائل ، مجيداً في النظم ، حطياً
مفوهاً . . . » .

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة على شعب بوان (36) أفاق من الكرب
وألهاه بطن كالحرير لطافةً ومطرّد يجري من البارد العذب
فبـالله يا ربح الجنوب تحملي إلى شعب بوان سلام فتي صب [(37)

ولا ينحصر هذا الفن والاشتغال به يطيل .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(36) في « معجم البلدان » لياقوت : « بوان بالفتح وتسدّد الواو وألف ونون في ثلاثة مواضع أشهرها ذكرأ شعب بوان الذي بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا » وقد أورد ياقوت هذه الأبيات في « معجم البلدان » وهو يتكلم عن شعب بوان ، وزاد بين الثاني والثالث منها بيتاً يقول :

وطيب ثمار في رياض أريضة على قرب أغصان جناها على قرب
(37) هنانتهم الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

[حنين المؤلف إلى الزاوية الدلالية]

وكنت لما نزلت بخلفون على أم ربيع ذكرت من كان معنا في الزاوية
الدلالية من المعارف والأحباب ، وكانوا يومئذ قد شرقوا لناحية تلمسان فقلت :

سلام على الإحباب غير مضيع لذي شرف ذكراً ولا لوضيع
سلام محب لا يزال أحسا هوى إلى جلة قد شرقوا ونزوع
ومن يسأل الركبان عني فإنني حللت بيبي حول أم ربيع
فألفيته يحكي زفيري (1) زفيره بقلب كقلبي (2) بالفراق صديع
ويسعدني في عبرتي غير أنه يخالفني في مهبط وطلوع
فتجري إلى مَهْفَى (3) الجنوب دموعه وتجري إلى مَهْفَى الشمال دموعي

ولما كنت بمدينة مراکش - حرسها الله تعالى- [سنة ثلاث وتسعين
وألف] (4) وقد بقيت الأملاك في خلفون والكتب وما معها في مكناسة

- (1) كذا بالأصل مع ياء المتكلم وسقطت الياء من ك و س و ح .
- (2) في ح : « كقلب » بدون ياء المتكلم .
- (3) المهفي ظرف مبني من هفا الشيء يهفو إذا ذهب في خفة وسرعة ، قال ابن فارس في « مقاييسه » :
« الهاء والفاء والحرف المعتل أصل يدل على ذهاب شيء في خفة وسرعة ، وهفا الشيء في
الهواء يهفو إذا ذهب كالصوفة ونحوها ، وهفا الظليم عدا ، وهفا القلب في أثر الشيء ،
وهفا الإنسان إذا زل وذهب عن الصواب » . وفي س و ح : « مهف » بدون الألف
المقصورة ، وهو خطأ ظاهر ، وفي الكتانية : « مهب » ولا يستقيم معه العروض .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .

وبقيت (5) العلائق في جبال فازاز والقبيلة في ملوية <قلت> (6) :

تشتت قلبي في البلاد فقسمه
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة
وأخرى بفازاز وأخرى تجزأت
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتي
فيا رب فاجمعها فإنك قادر
ويا رب فاجعلها (7) بأوطانها فما
لك الفضل والإحسان بدءاً وآخراً
فمنّ بإنعام وجد لي بحاجتي
فمالي إلاّ بابك الرحب ملجأ
ومالي إلاّ جودك الجمّ شافع
وصفوتك المبعوث للناس رحمة
صلاة وتسليم عليه مدى المدى
بمراكش منه على رجل طائر
بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
بملوية الأنهار بين العشائر
بأهل البوادي منهم والحواضر
عليها وما غير الإله بقادر
عبيدك للبين المشت بصابر
وإني لما أوليتني جيداً شاكر
ورفق (8) بقلب للهموم مسامر
وما طلب الحاجات منك بضائر
وحسبي بفيض منه أغزر وافر
بشيراً شفيحاً مظهرأ بالبشائر
وعترته (9) والصحب أهل البصائر

وجرى يوماً ذكر البيتين اللذين أنشدتهما (10) سيدنا بلال - رضي الله
عنه - وهما قوله :

- (5) في الكتانية : « وبقية » .
(6) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(7) في الكتانية : « فاجمعها » بدله .
(8) كذا في المخطوطات الثلاث ، وكذا هو في القاسية .
(9) في « أساس البلاغة » للزمخشري ما لفظه : « عترة النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب ،
وكل عمود تفرعت منه الشعب فهو عترة ، وأغصان الشجرة عترتها عمود الشجرة ، وفي
العين : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه دنيا ، وفي حديث أبي بكر :
« نحن عترة عترة رسول الله وبيضته التي تفقأت عنه » . وفي س : « عترة » بمثلية
وهو تصحيف .
(10) في « العقد الفريد » (5 : 281 - 282) ما نصه : « لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم =

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلسة بواد وحوالي إذخر (11) وجيليل (12)
وهل أردن يوماً مياه مَجَنَّةٍ (13) وهل يبدون لي شامة (14) وطفيل (15)

فهاج لي إلى الأوطان اشتياق ، فقلت على نحو هذا المساق :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلسة بسهب الشنين (16) أو بسهب بني ورا

= وهاجر أصحابه معهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وبلال ، قالت عائشة : فدخلت عليهما
فقلت : يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته
الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

قالت : وكان بلال إذا أقلمت عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحوالي إذخر وجيليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل «

(11) في « مصباح الفيومي » : « الإذخر بكسر الهمزة والخاء نبات معروف ذكي الريح وإذا
جف أبيض » .

(12) في « مصباح الجوهري » : « الجليل : الشام ، وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت ،
والواحدة جليلة والجمع جلائل » .

(13) في « معجم ما استعجم » للبكري : « مجة بفتح أوله وتانيه بعده نون مشددة قال أبو الفتح
يحتمل أن تسمى مجنة ببساتين تتصل بها وهي الجنان وأن تكون فعلة من مجن يمجن ، سميت
بذلك لأن ضرباً من المجون كان بها ، هذا ما توجهه صنعة علم العربية ، فأما لأي الأمرين
وجبت التسمية بهذا فطريقه الخبر » . وفيه أيضاً : « مجة على بريد من مكة ، وهي
لكنانة وبأرضها شامة وطفيل مشرفان عليها » .

(14) في « معجم البلدان » لياقوت : « شامة بلفظ الشامة وهو اللون المخالف لما يجاوره بشرط
أن يكون قليلاً في كثير : جبل قرب مكة يجاوره آخر يقال له طفيل ، وفيها يقول
بلال بن حمامة ، وقد هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتوى المدينة :

ألا ليت شعري البيتين «

(15) في « معجم البلدان » أيضاً : « طفيل بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره لام من الطفل بالتحريك ،
وهو ما بعد العصر إذا طلعت الشمس للغروب ، كأن هذا الجبل يحجب الشمس ، وشامة
وطفيل جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة » .

(16) في س : « الشنين » بسين مهمله .

وهل تعبرن نهر العبيد ركائي وهل تتركن داياً وأدواءها (17) ورا
 وهل أردن عسلوج يوماً فأشربن مياهاً به (19) يحكي (18) رحيقاً وكوثراً
 وهل تمرحن خيلي بذروة آمنأ وبطنانها (20) من قبل أن يحفر الثرى
 وهل أكحلن يوماً جفوني بنظرة إلى الأرزات الفارعات فتبصرا
 وهل أدفعن جيش الهموم ببسطة مع الحي في تلك الديار فتقصرا (21)

ونهر العبيد <هو> (22) وادي العبيد المعروف . ومدينة داي هي
 المعروفة اليوم بالصومعة في تادلا . وإنما قال أدواؤها أي أمراضها لأنها
 كثيرة الأمراض والوخم .

ومن غريب ما اتفق لي في هذا البلد أني مررت به حين سافرت إلى ناحية
 مراکش في طلب العلم فأصابني الحمى منه . وذلك أول حمى أصابني في
 عمري ثم بقيت في تلك النواحي عدة سنين فلما رجعت ومررت به أصابني
 أيضاً ، وكأنها كانت تنتظرنني ، ولذا كان (23) من جملة التمني أن أترك هذه
 البلدة وأمراضها ورائي بالمجازرة إلى وطني .

(17) في ح وحدها : « وأدواؤها » .

(18) في ك : « بها » .

(19) في س و ح : « تحكي » بالتاء .

(20) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س : ، ويقرأ بضم الباء ، وهو جمع بطن ونظيره : ظهر
 وطهران وعبد وعبدان ، وفي « صحاح الجوهري » : « البطان جمع البطن وهو الغامض
 من الأرض » . وفي الطبعة الفاسية : « وبطانها » وشكله طابعوها بالتنوين لأنهم
 توهموه مفرداً ، وتوهموا ما بعده جاراً ومجروراً .

(21) هو مضارع أقصر عنه إذا أمسك عنه مع القدرة عليه ، وهو منصوب بأن مضمرة بعد فاء
 السببية الواقعة بعد الاستفهام ، وفاعله جيش الهموم ، ونطقه بالتاء لأن لفظ الجيش
 اكتسب معنى التأنيث من المضاف إليه الذي هو الهموم .

(22) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(23) في س « كانت » بتاء التأنيث .

وكنا ذات مرة في بساتين خارج الحضرة المراكشية ، ثم سرينا (24) ليلة .
لقصد زيارة بعض الصالحين وركبت فرساً ، فلما استويت <عليه> (25)
وبرد الليل وكنت أستحب السرى فانبسطت نفسي وتمنيت أن لو كنت على
أعتق من ذلك الفرس ، وذكرت الأوطان فقلت ارتجالاً أو شبه ارتجال :
يا سرية لو كنت أسريها (26) على

نهد (27) أغر (28) محجل (29) يعبوب (30)
ينسابُ من تحتي كأن ذميلة (31) جريان ماء في الصفا مصبوب
ما بين خلاد فخونحات (32) إلى نهر الرمال فمقطع فجبوب (33)

- (24) كذا في المخطوطات الثلاث ، وفي الفاسية : « سرنا » من السير .
(25) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .
(26) في الكتانية : « أسيرها » ولا يستقيم به العروض ولا معنى الكلام .
(27) في « صحاح الجوهري » : « فرس نهد أي جسيم مشرف تقول منه : نهد الفرس بالضم
نودة » .
(28) في « صحاح الجوهري » : « الغرة بالضم بياض في جهة الفرس فوق الدرهم ، يقال :
فرس أغر » .
(29) في « مصباح الفيومي » : « فرس محجل وهو الذي ابيضت قوائمه وجاوز البياض الأرساغ
إلى نصف الوظيف أو نحو ذلك وذلك موضع التحجيل فيه » .
(30) في « أساس البلاغة » للزنجشري : « يقال للفرس العداء : يعبوب ، وأصله من الجدول
اليعبوب وهو الشديد الجرية ، يفعل من العباب » .
(31) في « التاج » : « الذميل كأمير السير اللين ما كان ، نقله الأزهري ، أو فوق العنق ،
قال أبو عبيدة إذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ،
ثم الرسيم » . وفي الكننوسية « دثيلة » وكتب أكنسوس فوقه بخطه ما لفظه : « مشية في
نشاط » وكتب على الطرة بازائه ما عبارته : « لعله اسم مصدر ولم يذكره بهذه الصيغة
في « القاموس » وإنما ذكر له مصدرين كالنصر والفرح » . وفي « القاموس » ما نصه :
« دأل كمنع دألاً ويحرك وكجمزى وهو مشية فيها ضعف أو عدو متقارب أو مشي
نشيط » .
(32) في الفاسية : « بنخواب » مع الباء بدل الفاء .
(33) كذا بالأصل ، ومثله في س أمالك و ح فقيهما : « مجبوب » مبدوءاً بميم مفعول بدل الفاء
العاطفة .

فإذا فصلت (34) من السلام (35) عليكم^١ وهفت صبأً في الجو ذات هبوب
 فهناك تنشقي الحجاز وشيحه وتم عرفاً من شذا محبوب (36)
 صلى الإله عليه (37) ما وكف الحيا
 في الروض (38) من وبل ومن شؤبوب (39)
 وعلى الأماجد آله وصحابه ما حنّ محبوب إلى محبوب
 يا رب أنت رجاؤنا في نيل ما نرجو فكن لعبيدك المربوب
 لا رب نرجوه سواك أممكنا فامن علينا واسقنا إنا لفي
 وجدان آلهة لنا وربوب ؟ ظمأ على شحط النوى وذبوب (40)
 واجمع بصفوتك الأجلة شملنا مع إخوة ومعارف وحبوب (41)
 واختم لنا معهم بدين قيم بتعلق وتشوق مشبوب
 فالدين والحيرات أعود مقتنى أبدأ لكل مشمر ملبوب (42)

- (34) في « القاموس » : « فصل من البلد فصولاً : خرج منه » .
 (35) شكله ناسخ الأصل بضم الميم شكل قلم وكتب بخطه إزاءه على الطرة ما لفظه : « اسم موضع »
 وهو يعني أن عبارة « السلام عليكم » ليست تحية بل هي علم على موضع بعينه .
 (36) رسم أكنسوس بخطه ياء نفس بآخر هذه الكلمة وكتب فوقها بخطه عبارة (صلى الله عليه وسلم) .
 (37) في الفاسية : « صلى عليه الله » .
 (38) في الكتانية : « الأرض » بدل : « الروض » .
 (39) في « التاج » : « الشؤبوب بالضم لما تقرر أنه ليس في كلامهم فعلول بالفتح : الدفعة من
 المطر ، أولاً يقال للمطر شؤبوب إلا وفيه برد ، وعن أبي زيد الشؤبوب المطر يصيب
 المكان ويخطيء الآخر » .
 (40) في « التاج » : « ذب الغدير يذب جف في آخر الحر ، وذبت شفته تذب ذباً وذبياً محرمة
 وذبوباً يبست وجفت ، وذبلت عطشاً ، وذب لسانه كذلك » .
 (41) في « التاج » : « الحب بالكسر الحبيب مثل خدن وخدين والأثني حبة ، وجمع الحب بالكسر
 أحباب وحبان وحبوب » .
 (42) كتب أكنسوس فوقه بخطه ما عبارته : « له لب أي عقل » . وفي « التاج » : « رجل
 ملبوب أي موصوف بالمقل واللب ، قاله الليث » .

وجرى <يوماً> (43) ذكر قصيدة ابن الخطيب التي أولها (44) :
 سلا هل لديها من مخبرة خبر وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
 فسما أيضاً شوق وحزن ، وعاود الفؤاد ذكر الوطن والسكن (45) فقلت :
 شم (46) برقها أعلى (47) أجارع (48) ذي أضأ (49)
 وكفت فأتفعت الجدول والأضأ (50)
 واحجب عليّ وميضه فلقد حشا وسط الحشا جمر الغضا لما أضأ
 فكأنه مذ لاح في تلك الربأ ما بين أحشائي حُسام مُنتَضِي
 ما زال يذكرني معاهد جيرتي وعشيرتي ومعارفي مذ أومضأ
 [هذا على أن لست قط بمغفل لعهودهم ما حان منها أو مضى] (51)

- (43) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .
 (44) هي قصيدة في 75 بيتاً أنشدها ابن الخطيب أبا سالم المريني يمدحه فيها ويدعوه إلى نصره
 الغني بالله في استعادة ملكه المنصوب ، وقد أوردتها المقرئ بتامها في نضحه (7 : 14 - 18)
 بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
 (45) كتب أكنسوس بإزائه على طرة مخطوطته ما لفظه : « هو ما يأوي إليه المرء من زوجة
 ونحوها » .
 (46) في « الصحاح » : « شمت البرق إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر » .
 (47) الهمزة هنا للاستفهام ، وعلى حرف جر ، وليس هو « أعلى » بخلاف « أسفل » وفي
 الكتانية : « على » بدون الهمزة .
 (48) في « أساس البلاغة » للزمخشري : « بتنا بالأجرع وبالجرعاء ، ونزلوا بالأجارع ، وهي
 أرضون حزنة يعلوها رمل » .
 (49) كذا بالأصل منكراً وفي و ك و س و ح : « الأضا » بحرف التعريف ، وكتب فوقه
 أكنسوس بخطه ما لفظه : « موضع » . ولم نجده في معاجم البلدان التي قتشناها .
 (50) في « التاج » : « الأضأة كحصاة الغدير كما في « الصحاح » ، وفي المحكم : الماء المستنقع
 من سيل وغيره ، وفي « التهذيب » الأضأة غدير صغير ، ج أضوات بالتحريك ، ويقال
 أضيات كحصيات ، وأضأ مقصور مثل قناة وقنا وإضاء بالكسر والمد » .
 (51) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن غيره .

أم (52) ساقها لجيوب (53) ذروة سحرة
فسقى بها قيصومها (54) والعرمضا (55)
وأدار فوق نجودها كاس الحيا
وهناً فأصبح كل نشز (56) مبرضا (57)
>خلعت (58) أكف السحب أردية الكلا
ومطارف الزهر النضير على الفضا < (59)
وأفاضت الغدران حتى عاقرت
أيدي الروابي الشم جريال (60) الفضا (61)
ما شئت من روض تراه مُذهباً فيها ومن روض تراه مفضّضاً

- (52) كتب أكنسوس بخطه حذاءه على الطرة ما عبارته : « معادل قوله : أعلى الأجارع الخ ... » .
(53) في « التاج » : « جيب الأرض مدخلها والجمع جيوب قال ذو الرمة :
طواها إلى حيزومها وانطوت لها حبوب الفيافي حزنها ورمالها »
(54) في « اللسان » : « قال أبو حنيفة : القيصوم من الذكور ، ومن الأمرار ، وهو طيب
الرائحة من رياحين البر ولورقه هذب ، وله نواراة صفراء ، وهي تنهض على ساق
وتطول » .
(55) في « القاموس » : « العرمض كجعفر وزبرج من شجر العضاء أو كجعفر صغار السر
والأراك ، ومن كل الشجر ما لا يعظم أبداً ، والطحلب » .
(56) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « النشز بفتح الحين المرتفع من الأرض والسكون لغة » .
(57) في « القاموس » : « البارض أول ما تخرج الأرض من نبت قبل أن تتبين أجناسه ، وأبرضت
الأرض كثر بارضها » .
(58) ما بين العلامتين ساقط من الكتانية .
(59) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما لفظه : « هذا بفتح الفاء المكان المتسع » .
(60) كذا بالأصل ومثله في ح أما ك و س ففيهما جريان بالنون ، وجاء في « صحاح الجوهري »
من مادة « جرنل » ما لفظه : الجريال صبغ أحمر ، وجريال الذهب حمرة ، والجريال
الحمر ، وهو دون السلاف في الجودة ، ويقال جريال الحمر لونها « ا ه . وفيه أيضاً
من مادة « جرن » : « والجريان لغة في الجريال » ا ه .
(61) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما لفظه : « هذا لعله بكسر الفاء ففي القاموس الفضا
ككساء الماء البخاري على الأرض » .

بلد صحبت العيش فيه أخضرا نضراً ووجه الدهر أزهر أبيضاً
 درت علي به الأمانى (62) حُفلاً وهمتُ عليّ غيوث بر فيضاً
 ولبت فضفاض النباهة سابقاً وركبت صهوة كل فضل ريضاً (63)
 وأسمتُ سرحي في المطايب مُمرِعاً ورميت صيدي في المآرب معرضاً (64)
 في فتيةٍ قد كان شربي فيهم صفو الوداد وكل خلقٍ مرتضى
 تَخَذُوا المروءة والسماحة والندا والبر والإكرام ديناً مقتضى
 وتألفوا كالماء والصهباء في كأس وكلُّ ذو سجايا ترتضى

لله الأمر من قبل ومن بعد

- (62) في الفاسية « الرغائب » بدل : « الأمانى » .
- (63) بوزن سيد وهو فيعل من راض الدابة يروضها إذا علمها السير وذلها ، وهو في الأصل ريوخ فقلبت الواو فيه ياء وأدغمت في الياء ، والريض فسر معانيه صاحب « اللسان » فقال من مادة : « روض » ما لفظه باختصار وتقديم وتأخير : الريض من الدواب الذي لم يقبل الرياضة ، ولم يمهر المشية ، ولم يذل لراكبه ، ابن سيده : والريض من الدواب ضد الذلول ، والذكر والأنثى في ذلك سواء ، قال : وهو عندي على وجه التفاضل لأنها إنما تسمى بذلك قبل أن تمهر الرياضة ، وكذلك غلام ريض ، وقصيدة روضة القوافي إذا كانت صعبة لم تقتضب قوافيها الشعراء ، وأمر ريض إذا لم يحكم تدبيره» اهـ . وعليه يكون اليوسي قد وصف نفسه بأنه لم يكتمل بعد في الفضل ولم يبلغ فيه المبالغ العالية ، ويكون عجز البيت قد ناقض صدره فيما قصد إليه من الافتخار .
- (64) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما عبارته : « اسم فاعل من أعرض الطبي إذا أمكنك من عرضه عند رميه ، فهو هنا حال من صيدي والله أعلم » .

[الاعتزال عن الخلق طلباً للسلامة]

حدثني الأخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن مسعود العيسوي العرفاوي قال :
سافرت إلى بلاد القبلة ذات مرة فمررت بالمرابط الخير أبي عبد الله محمد بن
أبي بكر العياشي فدخلت لأزوره فلما خرج قعد مني قريباً ثم أنشدني
<متمثلاً> (1) قول الشاعر :

جفوت أناساً كنت آلف وصلهم وما بالجفا عند الضرورة من باس
فلا تعذلوني في الجفاء فإني وجدت جميع الشر في خلطة الناس

والمراد من الشعر ومن التمثيل (2) به الاعتزال عن الخلق طلباً للسلامة
لا ما يفهم من لفظ الجفاء ، وفي الحديث : « خَيْرُ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُخِيفُ الْعَدُوَّ
وَيُخَيِّفُونَهُ وَفِي رِوَايَةٍ : حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ » . والذي يليه رجل
معتزل في شعب (3) من الشباب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور
الناس .

وعن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - قال : الطمع فقر ، واليأس
غنى ، والعزلة راحة من جليس السوء ، وقرين الصديق خير من الوحدة .

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(2) في ك وح : « التمثيل » .

(3) في « مصباح الفيومي » : « الشعب بالكسر الطريق ، وقيل : الطريق في الجبل . والجمع
شباب » .

وقال أبو الدرداء (4) - رضي الله عنه - : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه (5) .

وقال بعض الأئمة : العزلة عن الناس توفر العرض ، وتبقي الجلالة ، وترفع مثونة المكافأة في الحقوق اللازمة . وتستر الفاقة .

وقد أولع الشعراء قديماً وحديثاً من هذا المعنى بالتبرم بالناس والاستيحاش من الخلق وذم الزمان وأهله ، فمن ذلك قول (6) أبي العتاهية :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقَهُمْ فَصَرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدِهِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

(4) هو أبو الدرداء عويمر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ، صحابي ، أسلم يوم بدر ، وشهد أحداً ، ولي قضاء دمشق ، ومات عام 32 هـ . وكان يميل عن الدنيا ويزهد الناس فيها بمواعظ مؤثرة بليغة ، وهو قد قال عن نفسه : « كنت تاجراً قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث محمد زاولت التجارة والعبادة فلم يجتمعا ، فأخذت في العادة وتركت التجارة » .

(5) في « صفة الصفوة » لابن الجوزي (1 : 637 - 638) : « عن يحيى بن سعيد قال : قال أبو الدرداء : « أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورقة فيه إن نقدتهم نقدوك ، وإن تركتهم لا يتركوك ، قالوا : فكيف نصنع » قال : تقرضهم من عرضك ليوم فقرك » .

(6) في « أغاني الأصفهاني » (4 : 37 - 38) : « شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه فقال : انقش عليه : لعنة الله على الناس ، وأنشد :

برمت بالناس وأخلاقهم البيتين »

وفيه أيضاً (4 : 105 - 106) ما نصه : « أخبرني ابن أبي العتاهية أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس لزم بيته وقطع الناس ، فذكره الرشيد فعرف خبره فقال : قولوا له : صرت زير نساء وحلس بيت فكتب إليه أبو العتاهية :

برمت بالناس البيتين »

ونحوه قول الآخر (7) :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم
إني لأفتح عيني حين أفتحها
والله يعلم أنني لم أقل فنّدا
على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقول الآخر :

مخالط الناس في الدنيا على خطر
كراكب البحر إن تسلم حشاشته
وفي بلاء وصفو شيب بالكدر
فليس يسلم من خوف ومن حذر

وقول الآخر :

قد لزمتم السكون من غير عي
وهجرت الإخوان لما أتاني
ولزمت الفراش من غير عله
عنهم كل خصلة مضمحله

وقول الآخر :

إن بني دهرنا أفاع
فلا يكن فيك بعد هذا
ليس لمن ساورت طيب
لواحد منهم نصيب

(7). هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، ودعبل لقب عليه ، والدعبل بكسرتين الناقة القوية والناقة الشارف ، واسمه الحسن وقيل : عبد الرحمان وقيل : محمد ، وكنيته أبو علي وهي الأشهر ، ويكنى أبا جعفر كذلك ، ولد سنة 148 وتوفي سنة 246 كان دعبل شاعراً رافضياً هجاء ، لم يسلم من لسانه أحد من كهراء عصره ، وفيه وفي معاصره ابن الرومي يقول أبو العلاء في « لزومه » :

لو نطق الدهر هجا أهله كأنه الرومي أو دعبل

والبيتان في ديوانه بتحقيق عبد الصاحب الدجيلي ، وهما منسوبان إليه في « العقد الفريد » ، وفي شرح « الشريشي على المقامات » ، وفي « نخلة العاملي » ، وهما في « شرح نهج البلاغة » وفي « الحصائص » بدون نسبة .

وقول الآخر ويعزى (8) للإمام الشافعي - رضي الله عنه - :

ليت السباع لنا كانت مجاورة وليتنا لا نرى مما نرى أحدا
إن السباع لتهدا في مراتبها والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا
فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها تعش سليماً إذا ما كنت منفردا

وقول طرفة بن العبد :

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحه (9)
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه (10)

وقول امرئ القيس :

كذلك جدي ما أصاحب صاحباً من الناس إلاّ خاني وتغيرا

وقول الآخر (11) :

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

(8) الأبيات منسوبة إليه في « طبقات الشافعية » للسبكي (ج 1 ص 160) بإسناد يقول :
« وبه إلى أبي نعيم قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن القاسم البروجردي قال : أملى علينا
الزبير بن عبد الواحد الحافظ قال . حدثني أبو بكر محمد بن مطر قال : سمعت الربيع
يقول : سمعت الشافعي يقول :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة الأبيات »

(9) في « صحاح الجوهري » : « الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك قال طرفة :

كل خليل البيت »

(10) في « أمثال الميداني » : « ما أشبه الليلة بالبارحة . . . يضرب في تساوي الناس في الشر
والخديعة . . . وإنما خص البارحة لقربها منها فكأنه قال : ما أشبه الليلة بالليلة يعني
أنهم في اللؤم من نصاب واحد . »

(11) هو المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، نسبها إليه الشريشي في « شرحه على المقامات » :
(ج 2 ص 134) .

فلم تُرني الأيام خلا تسرني
ولا قلت أرجوه للدفع مُلِمّةٍ
مباديه إلاّ خاني في العواقب
من الدهر إلاّ كان إحدى المصائب

[وقال (12) أبو فراس (13) :

ومن أين للحر الكريم صحاب
ذئاباً على أجسادهنّ ثياب
ومن يثق الإنسان فيما ينوبه
وقد صار هذا الناس إلاّ أقلهم

وقال محمد (14) بن تميم :

لك الخير كم صاحبت في الناس صاحباً
وجربت أبناء الزمان فلم أجد
فما نالي منه سوى الهم والعنا
ففي منهم عند المضيق ولا أنا

وقول الآخر :

دَع الإخوان إن لم تلقَ منهم صفاء واستعينُ واستغنِ بالله (15)

(12) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وقد كتبه ناسخ الكتانية على ورقة مضافة
وكتب بإزائه على الطرة ما نصه : «ينقص هنا نحو الورقة كما في نسخة أخرى وقد كتب
والحمد لله حسبما تراه» اهـ . وكتب أيضاً على الطرة معه ما لفظه : « انظر التقييدة يمتته
بعد هذا متصلاً به كما وجد في نسخة غير هذه والله أعلم بصحة هذه أو تلك » اهـ .

(13) البيتان في قصيدته التي مطلعها :

أما لجميل عندكن ثواب وما لمسيء عندكن متاب

والقصيدة في 45 بيتاً وهي مودعة في ديوانه .

(14) ترجمه محمد النيفر في « عنوان الأريب » فقال : « أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم ،
من أمراء افريقية جال في بلاد افريقية لطلب العلم فكان من أخذ عنهم نيفاً وعشرين ومائة
شيخ ، وكتب بيده كثيراً ، وكان حافظاً لمذهب مالك ، وغلب عليه الحديث ومعرفة
الرجال ، وصنف كثيراً من التأليف المفيدة منها « طبقات علماء افريقية » ، وكتاب
« عباد افريقية » ، وكان شاعراً مجيداً ، وتوفي سنة 333 هـ . »

(15) قصر مد اللام في لفظ الجلالة ضرورة كما فعل الآخر فقال :

ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما الله بارك في الرجال

أليس المرء من ماء وطنين وأي صفا هاتيك الجبله

ومثله :

ومن يك أصله ماء وطنياً بعيد من جبلته الصفاء

ونحوه :

لا تثق من آدمي في وداد بصفاء

كيف ترجو منه صفواً وهو من طين وماء

وقال أبو العلاء (16) :

جربت أهلي وأصحابي فما تركت لي التجارب في ود امرئ غرضاً

وقول أبي الطيب (17) :

إذا ما الناس جربهم لبيب فإني قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودّهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقاً

وأنشد (18) أيضاً :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

(16) البيت من قصيدة سقطية عدة أبياتها اثنا عشر بيتاً .

(17) البيت من قصيدته التي مطلعها :

أيدري الربع أي دم أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا

والقصيدة واردة في ديوانه .

(18) يقع البيت ضمن قصيدته التي أولها :

أقل فعالي بله أكثره مجد وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

والقصيدة مثبتة في الديوان .

قيل إنه لما تنبأ قيل له : ما معجزتك ؟ قال : قولي . . . وأنشد البيت :

وقول الآخر :

تصفحت أبناء الزمان فلم أجد سوى من غدا واللؤم حشو ثيابه
فجردت من سيف القناعة مرهفاً قطعت رجائي منهم بدُّبابه (19)
فلا ذا يراني واقفاً في طريقه ولا ذا يراني واقفاً عند بابيه

وقول الآخر :

أردت من الدنيا صديقاً مؤاتياً وفياً بما أرضاه يرضى وينشرح
فإذ لم أجد أغضيت عن كل كائن وقلت لقلبي قد خلا الكون فاسترح

وقال غيره :

ألام على التفرد كل حين ولي فيما ألام عليه عنر
وكل أذى فمصبور عليه وليس على قرين السوء صبر

وقال محمد بن تميم :

من كان يرغب في حياة فؤاده وصفائه فليناً عن هذا الورى
فالماء يصفو إن نأى فإذا دنا منهم تغير لونه وتكدرا

وقول الآخر :

كن من الناس جانباً وارضى بالله صاحباً
قلِّبِ الناس كيف شئت تجدهم عقارباً

(19) في « صحاح الجوهري » : « ذباب السيف طرفه الذي يضرب به » .

وأما (20) أبو العلاء المعري فقد سلى نفسه عن عماه بقوله :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدانكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقدته العيون [(21)

وقال غيره :

الناس داء دفين لا دواء له إن كنت منبسطاً رأوك مسخرة
وإن تخالطهم قالوا به طمع وإن تعففت عن أبوابهم كرمأ
تخير العقل فيهم فهو منذهل أو كنت منقبضاً قالوا به ثقل
وإن تجانبهم قالوا به ملل قالوا غني وإن تسألم بخلوا

ونحوه قول الآخر :

لا تُعِدَّنْ لِلزَّمانِ صديقاً وأعدِّ الزَّمانَ للأصدقاء

وقول الآخر :

ورب أخٍ ناديتُه للممة فألفيته منها أجلّ وأعظما

وقول الآخر :

وإخوان تخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادي

(20) في الطبعة الفاسية : « وقال » بدل : « وأما » ولا يستقيم معها سياق الكلام .
(21) هنا تنتهي الإضافة التي نبيها عليها سابقاً ، ثم وجدنا بعدها اختلافاً بين المخطوطات الثلاث بالزيادة والنقصان وبالتقديم والتأخير وكذا وجدنا اختلافاً بينها وبين الطبعة الفاسية فأثبتنا جميع ما ورد هناك وهناك ، ولكن بدون تقييد منا بأي ترتيب .

وقالوا قد سعينا كل سعي لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال الآخر :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهديان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

وقول الآخر :

لا تعرفن أحداً فليست بواجب أحداً أضركم ممن تعرف

وقول الآخر :

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي أفتش عن هذا الوري وأكشف
فما إن عرفت الناس إلا ذممتهم جزى الله بالخيرات من لست أعرف

ومثله قول الآخر :

جزى الله بالخيرات من ليس بيننا ولا بينه ود ولا متعرف
فما نالي ضيم ولا مستي أذى من الناس إلا من فتى كنت أعرف

ويقال: كتب رجل من أهل الري على بابهِ جزى الله خيراً من لا يعرفنا
ولا نعرفه ولا جزى الله أصدقاءنا خيراً فإننا لم نُؤتَ إلا منهم .

وينسب للإمام الغزالي - رضي الله عنه - أيام سياحته :

قد كنت عبداً والهوى مالكي فصرت حراً والهوى خادمي
وصرت بالوحدة مستأنساً من شر أصناف بني آدم
ما في اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل في الأشياء كالعالم
يا لائم في تركهم جاهلاً عذري منقوش على خاتمي

قالوا وكان نقش خاتمه : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا
أكثرهم لفاسقين) .

وقول الآخر :

من أحسن الظنّ بإعدائه تجرّع الهمّ بلا كاس
قال بعضهم : لو كنت ناظماً لهذا البيت لقلت : من أحسن الظنّ بأحابيه
ولا أقول بإعدائه .

واعلم < أن تبرم > (22) الناس بالناس واستيحاش بعضهم من بعض
واستنقاص البعض للبعض هو أن الإنسان لما فيه من سبعة مؤذ بالطبع من
يلقاه إما بيده أو بلسانه شتماً أو نعيمة أو غيبة . وكل من يتأذى منه يستوحش
منه ويستنقصه ، ولما فيه من الشهوة يتقاضى حظوظه ويضايق عليها غيره
لاتساع الشهوة وضيق الدنيا فيثور البغض والحسد وسائر الشر . ثم قد يطمع
أن يستحصل حظوظه أو بعضها من الغير ، والغير في شغل عنه بحظوظه
فيستنقصه . ومن الأول ينشأ العجب بالغنى واحتقار الفقير . ومن الثاني ينشأ
عدم الوفاء بالوعد والعهد ، وذلك أن الإنسان ليس له على التحقيق اختيار .
أما باطناً فلأنه في قبضة الله تعالى . وكيف يتأتى وفاء أو عقد أو حل للعبد
دون سيده ؟ وأما ظاهراً فلأنه أسير شهوته وسمير نهمته . وقد قلت في وصف
طباع الناس من قصيدة :

ألم ترَ أن الدهر حبلٍ أنيَّة (23) ولادتها يوماً وإن لم تكن تدري

(22) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(23) أي توشك أن تضع ، لأن حملها قد تم تمامه ، والصيغة فعيلة من أي يأتي أنياً كرمى يرمي

أي دنا وقرب وحضر ، فهو أي بوزن غني ، والبيت يشبه قول الآخر :
والليالي كما رأيت حبالى مقربات يلدن كل عجيب
وهو في معنى قولهم : « الدهر حبل لا يدري ما تله » . وكتب أكنسوس إزاءه في مخطوطته
ما عبارته : « فعيلة من أي قرب مبالغة في القرب » . وتصحفت الكلمة في الفاسية
هكذا : « أنينة » .

فمن منح تُسلي ومن محن تُسي
ولا تأمننُ أبناءه إن تحببوا
وكل بني دهر فأشباه دهرهم
متى ما ارتجوا رغباء (24) منك تقربوا
وأخفوا ذمياً كان فيك وأظهروا
فذلك أحرى أن يجلوا وينصتوا
وإن لم يرجوا منك خيراً رأيتهم
وينثون (27) عنك المزريات (28) وإن رأوا
فلا تُصنع سمعاً للذي ذم منهم
فإن بني الدنيا عبيدُ هواهم
وإنَّ هواهم حيث ترتقب الغنى
إذا ما رأوا ذا الوفر لا ذوا بذيله
وإنَّ بصروا بالمملق اهتزعوا به

نتائجها صغرى على المرء أو كبرى
إليك فمن يُشبه أباه فقد برا
على ما قضى الله الحكيم وما أجرى
إليك وأبدوا خالص الود والبرا
جميلاً وقالوا ذومحاسن لا تمرى (25)
إليك رشاداً كان قولك أو ثبرا (26)
جفاء وإعراضاً يولتوك الظهراً
جميلاً أعاروه الغشاوة والوقراً
ولا للذي أبدى الجميل وإن أطرى
على مركز الأهواء دورتهم طراً
وليس هواهم حيث ترتقب الفقرا
وإن لم ينالوا من سحائبه قطرا
ومدوا إليه طرفهم نظراً شزرا

- (24) في « مصباح الفيومي » : « رغبت في الشيء إذا أردته رغياً بفتح الغين وسكونها ورغبتى بضم الراء وفتحها ورغباء بالفتح والمد » .
- (25) أي لا تجحد .
- (26) في « القاموس » : « الشر الحبس والمنع والصرف عن الأمر واللعن والطرده » . وأراد به هنا الضلال الذي هو خلاف الرشاد .
- (27) في المخطوطات الثلاثة وفي الطبعة الفاسية أيضاً : « ينثون » بتقديم الثاء المثلثة على النون ، وهو تصحيف صوابه ينثون بنون فمثلثة بعدها أي يشيعون ويذيعون ، قال صاحب القاموس : « نثا الحديث حدث به وأشاعه والنثا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء » .
- (28) كذا بالأصل ، وفي غيره بدله : « المنديات » جمع مندية ، والمندية فسرّها صاحب « القاموس » فقال : « المندية كمحسنة : الكلمة يندى لها الجبين » .

وقالوا بغيض إن نأى ومتى دنا
فإن غاب لم يفقد ، وإن علّ لم يُعدّ
وفي الله للمرء اللبيب كفاية
يقولوا ثقيل مبرم أدبر الفقرا (29)
وإن مات لم يشهد وإن ضاف لم يقرا
عن الناس والمحروم من حرم الأجر

لله الأمر من قبل ومن بعد

(29) كتب أكنسوس على طرته بخطه تفسير هذه العبارة فقال ما لفظه : « يعني أحدث في فقر الظهر دبراً لشدة ثقله والله أعلم » .

[ذم المعاصرين ومدح المتقدمين]

واعلم أن هذا الطبع مركزوز في طينة الآدمي منذ كان غير مخصوص بأهل زمان دون زمان ، وإن كانت بعض الأزمنة يخصصها (1) الله بغير ما يكون في غيرها من خير أو شر <لعارض> (2) غير أن الناس لما دهتهم هذه الداهية من تأذي بعضهم ببعض وعدم الظفر بالغرض من الغير جعل كل يستنقص أهل وقته لمشاهدة البلاء وعدم الجدوى فيهم ويمدح من مضى ، أما من لم يدركه فلتوهمه أنه على (3) خلاف من رأى وأما من أدركه فلانقطاع شره ووقوع الاستراحة منه مع بقاء بعض الجدوى في الوهم ونزوع النفس إلى الإلف المألوف فلا تسمع إلا فسد الزمان وذهب الناس ، فمن ذلك قول (4) بشار :

فسد الزمان وساد فيه المقرف (5) وجرى مع الطرف (6) الحمار الموكف (7)

- (1) في س : « يخصصها » .
- (2) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (3) في س : « على أنه خلاف ما رأى » .
- (4) لا يوجد في ديوانه الذي جمعه وحققه السيد بدر الدين العلوي .
- (5) في « نهاية ابن الأثير » : « المقرف من الخيل الهجين وهو الذي أمه برذونة ، وأبوه عربي ، وقيل بالعكس » اهـ . وفي « مستدرک التاج على القاموس » من مادة : « قرف » ما لفظه : « المقرف كمحسن : النذل الحسيس » .
- (6) في « صحاح الجوهري » : « قال الأصمعي : الطرف بالكسر الكريم من الخيل يقال : فرس طرف من خيل طروف وقال أبو زيد : هو نعت للذكور خاصة » .
- (7) في « القاموس » : « إكاف الحمار ككتاب وغراب ووكافه برذعته وآكف الحمار إيكافاً شده عليه » .

وقول الآخر :

ألا ذهب التكرم والوفاء وباد رجاله وبقى الغشاء
وأسلمني الزمان إلى أناس كأمثال الذئب لهم عواء
صديق كلما استغنيت عنهم وأعداء إذا نزل البلاء
أقول ولا ألام على مقالي على الإخوان كلهم العفاء

وقول الآخر :

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً هشوا وقالوا مرحباً بالمقبل
وبقيت في خلفٍ كأن حديثهم ولغ الكلاب تهاششت في منهل

وقول الآخر :

ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه
إذ لا يزال كريم قو مٍ فيهم كلب يسبه

وقال منصور (8) الفقيه :

يا زماناً ألبس الأح رار ذلاً ومهانهُ
لست عندي بزمان إنما أنت زمانهُ (9)

(8) نسب البيتان في معجم الأدباء (ج 19 : ص 9 طبعة دار المأمون) لأبي الحسن محمد بن محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك الشاعر ، وبعدهما فيه :

كيف نرجو منك خيراً والعلى فيك مهانه
أجنون ما نراه منك يبدو أم مجانه

(9) في « مصباح الفيومي » ما لفظه : « زمن الشخص زماناً وزمانه فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زماناً طويلاً والقوم زمني مثل مرضى » .

وقول الآخر :

مضى دهر السماح فلا سماح رأيت الناس قد مسخوا كلاباً وأضحى الظرف عندهم قبيحاً سلام أهل ابليد عليكم نروح فنستريح اليوم ^{بكم} منكم إذا ما الحر هان بأرض قوم

ولا يرجى لدى أحد فلاح فليس لديهم إلاّ النباح ولا والله إنهم القباح فإن البين أوشكه الرواح ومن أمثالكم قد يستراح فليس عليه في هرب جناح

وقول الآخر :

مضى الجود والإحسان واجتث أهله وصرت إلى ضرب من الناس آخر كأنهم كانوا جميعاً تعاقدوا

وأحمد نيران الندى والمكارم يرون العلى والمجد جمع الدراهم على اللؤم والإمساك في صلب آدم

[وللإمام (10) الشافعي - رضي الله عنه - :

صديق ليس ينفع يوم باس وما يبقى الصديق بكل عصر عمرت الدهر متلمساً بجهدى تنكرت البلاد عليّ حتى

قريب من عدو في القياس ولا الإخوان إلاّ للتآسي أخوا ثقة فأكداني التماسي كأن أناسها ليسوا بناس

وقال غيره :

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على طرتها ، وكتب معه العبارة التالية : « بقي يخص هنا نحو نصف ورقة » . وهو وارد في الطبعة الفاسية فأثبتناه رواية عنهما .

هذا زمان تجاهل وتسامح
فإذا سمعت فكن كأنك ما سمع
واجهد بنفسك في التخلص منهم
أو لا فكن في قعر بيتك لا ترى
وتغافل عن أهله فسد الورى
ت وإن رأيت فكن كأنك ما ترى
فعساك تنجو إن نجوت وما أرى
إن كنت ترغب في النجاة وبالحرى (11)
وقال أيضاً :

عم الفساد جميع الناس ويحهم
إن وعدوا أنخلفوا أو حدثوا كذبوا
أو ائتمنتهم خانوا فكن رجلاً
وقال غيره :

ما في زمانك هذا من تصاحبه
فحش فريداً ولا تركز إلى أحد
وقال الأرجاني (12) :

تطلعت في يومى رخاء وشدة
وناديت في الأحياء هل من مساعد

(11) في « صحاح الجوهري » ما نصه مع فليل اختصار : « يحدث الرجل الرجل فيقول : بالحرى أن يكون كذا ، ويقال : هو حرى أن يفعل بالفتح أي خليق وجدير ، ولا يثنى ولا يجمع ، وإذا قلت : هو حر بكسر الراء وحرى على فعيل ثنيت وجمعت فقلت : هما حريان وهم حريون وأحرياء ، وهي حرية وهن حريات ، ومنه اشتق التحري في الأشياء وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن » .

(12) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني نسبة إلى أرجان بفتح الهمزة بعدها راء مهملة مشددة مفتوحة وهي كورة من كور الأهواز . فقيه شاعر توفي عام 544 هـ ، والبيتان من قصيدة طويلة قالها في مدح المستظهر العباسي ، وهي في ديوانه المطبوع سنة 1979 ضمن سلسلة « كتب التراث » التي تصدر بالجمهورية العراقية .

فلم أرَ فيما ساءني غير شامت ولم أرَ فيما سرني غير حاسد
وقال غيره :

خبرت بني الأيام طراً فلم أجد صديقاً صدوقاً مسعداً في النوائب
وأصفيتهم مني الودادَ فقابلوا صفاء ودادي بالقذى والشوائب
وما اخترت منهم صاحباً وارتضيته وأحمدته في فعله والعواقب

وقال آخر (13) :

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناها في المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال حقّ من مات منهم أن يهتأ [(14)

وقول الآخر :

أنعى إليك خلال الخير قاطبة لم يبقَ منهنّ إلاّ دارس العلم
أنعى إليك مواساة الصديق وما قد كان يرعى من الأخلاق (15) والذمم
أين الوفاء الذي قد كان يعرفه قوم لقوم وأين الحفظ للحُرْم
أين الجميل (16) الذي قد كان يلبسه أهل الوفاء وأهل الفضل والكرم
أيسر وأنت صديق الناس كلهم ثمّ ابلُ سرّهم (17) في حالة العدم

(13) هو أبو الحسن محمد بن لنكك المتقدم ذكره آنفاً ، والبيتان منسوبان إليه في معجم الأدباء
لياقوت (ج 19 ص 7 .)

(14) هنا انتهت الإضافة المنبه عليها سابقاً .

(15) في ك : « الإخوان » بدله .

(16) في ك : « الجمال » بدله .

(17) في ك : « شرهم » بالشين المعجمة .

فإن وجدت صديقاً عند نائبة
لما أناخ عليّ الدهر كللكه (19)
ناديت ما فعل الأحرار كلهم
قالوا حدا بهم ريب الزمان فسل
فلسّت من طرقات الحزم في أمم (18)
وخاني كل ذي ود وذي رحم
أهل الندى والهدى والبعد في الهمم
أجدائهم عنهم تخبرك عن رمم (20)

وقول لبيد :

ذهب الدين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرم

وتمثلت به أم المؤمنين عائشة (21) - رضي الله عنها - ثم قالت : وكيف
لو أدرك لبيد زماننا ؟ فقال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا ؟

ولما بلغ ابن عباس قول عائشة هذا قال : رحم الله لبيداً ورحم الله عائشة ،
لقد أصيب باليمن سهم (22) في خزائن عاد كأطول ما يكون من رماحكم

(18) في « صحاح الجوهري » : « الأمم بين القريب والبعيد والأمم الشيء اليسير ويقال :
أخذت ذلك من أمم أي من قرب » .

(19) أناخ الحمل إذا أبركه والكلكل الصدر ، ويقولون . أناخ عليه الدهر بكللكه إذا أنزل
به النوائب قال الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكه أناخ بآخرينا

(20) في « صحاح الجوهري » : « الرمة بالكسر العظام البالية ، والجمع رمم ورمم تقول منه :
رم العظم يرم بالكسر رمة أي بلى فهو رميم » .

(21) كتب أكنسوس عليه بطرة مخطوطة ما عبا رته بالحرف التام : « سبحان الله هذا من العجب
انظر كيف طبع الله الناس على ذم زمانهم كيفما كان ، فإن زمان سيدتنا عائشة رضي الله
عنها - لا محالة - أفضل من زمان لبيد الذي قال فيه الشعر ، وهو زمان الجاهلية لأنه لم
يقبل هذا الشعر بعدما أسلم ، فكيف تقول هذا رضي الله عنها إلا أن تقول ذلك في وقت
الفتن التي أدركتها في آخر عمرها وذلك تبيء يسير بالنسبة إلى ما رآته من الخيرات في زمان
النبوة وزمان العمرين وما لا يحصى من البركات والكرامات والله تعالى أعلم » .

(22) في ح : « معهم » بدل « سهم » وهو تحريف ظاهر .

هذه مفوّق (23) مَرِيش (24) مكتوب عليه : [هذا] (25) :

ألا هل إلى أبيات منقطع اللوى لوى (26) الرمل من قبل الممات معاد (27)
بلاد بها كنا وكنا من أهلها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

أي فهذا العاديّ < في زمانه > (28) يستنقص زمانه ويشير إلى أن الناس
الأفاضل قد مضوا وأن الأرض تغيرت فكيف حال زمان ليبد ومن بعده
كزمان عائشة .

وقد تحصل من هذا ما قررنا في صدر الكلام < من > (29) أن الدنيا
لم تزل هكذا ، والناس هم الناس منذ خلقوا . [ولقد أحسن القائل :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديماً
إن هذا القديم كان جديداً وسيبقى هذا الجديد قديماً] (30)

فالأكمل للإنسان التسليم بل الرضى بوقته فإنه بذلك يفوز بالأدب مع
الله تعالى الحكيم العليم الذي هو رب الأولين والآخرين ويفوز بشكره وحمده
وبراحة قلبه والسلامة من التشوف والتطلع وسلامة الصدر لأهل زمانه والقيام

(23) الفوق بوزن البوق موضع الوتر من السهم ، وفوقت السهم تفويقاً جعلت له فوقاً فهو مفوق .

(24) في « الصحاح » : « الريش بالفتح مصدر رشت السهم إذا ألصقت عليه الريش فهو مريش » .

(25) ما بين العلامتين زيادة من س .

(26) كتب أكنسوس فوqe ما لفظه : « بدل من اللوى قبله » .

(27) كتب عليه أكنسوس بخطه ما عبارته : « مبتدأ خبره تقدم في الجار والمجرور في قوله
إلى أبيات » .

(28) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(30) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على الطرة ، وهو وارد
في الطبعة الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

بحقوقهم واعتقاد الخير في أهله والانتفاع بهم ورؤية المحاسن الوقتية والتغافل عن المساوي وغير ذلك .

ولقد منح الله تعالى الصحابة الزمان الفاضل ، فكانوا يذكرون ما مضى لهم في الأزمنة السالفة من صنوف الشر من عبادة الأوثان وارتكاب القبائح والجهد الجهد فيحمدون الله تعالى ويشكرونه ، وهكذا ينبغي للمؤمن أن ينظر إلى ما منحه الله تعالى من الخير في زمانه ديناً ودنياً وإلى ما أنجاه الله تعالى **<منه>** (31) من الشرور الحالية والماضية فيحمد الله على ذلك .

وقد جرت على لساني في هذا المعنى أبيات فقلت **>مناقضاً لما تقدم من الأشعار<** (32) :

نحمد الله وقتنا وقتُ خير بَدْءاً (33) ما قبله من الأوقات
غير وقت النبي صلى عليه ال له والصحب والتُّلَاة (34) الهداة
ديننا سالم من البدع العمُ ي وعشنا بطيب الأقوات
لم نكن كالشراة (35) نغشى المعاصي لتفوز بالخلد في الغُرُفات

(31) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(32) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(33) كتب أكنسوس فوقه ما لفظه : « أي فاق وغلب ، وهو بالذال المعجمة » .

(34) كتب أكنسوس بإزائه على الطرة ما عبارته : « هو بالتاء المثناة جمع تال كالهداة جمع

هاد » وصحفت هذه الكلمة في ك و ح هكذا : « الثلاث » .

(35) في « مصباح الفيومي » : « شريت المتاع أشريه إذا أخذته بتمن أو أعطيته بتمن ، فهو من

الأضداد ، وإنما ساغ أن يكون الشرى من الأضداد لأن المتبايعين تبايعا الثمن والمتمن ،

وكل من العوضين مبيع من جانب ومشري من جانب ، والفاعل شار والجمع شراة مثل

قاص وقضاة ، وتسمى الخوارج شراة لأنهم زعموا أنهم شروا أنفسهم بالجنة لأنهم فارقوا

أئمة الجور » .

ضيعوا الدين بالمروق (36) ودنيا هم بوقع الظّبات (37) في السبّادات (38)
 لا ولا كالجبري (39) والقدري (40) النجس ولا سائر الجفافة الغواة
 الذي قد نلقى من المرّ في اللذ يا عسى أن نرقى به درجات
 وبنو الدهر هم بنو الدهر قديمًا هم نبات ينمو بإثر نبات
 والطباع الطباع لست ترى فيها نبوءًا ولا اختلاف الصفات
 ومن اختصه الإله بخير فهو فيه من دارج (41) أو آت

نعم لا بأس بذكر الماضي من صلحاء الإخوان . والحنين إلى الأوطان .
 وإن ذلك يعد من حسن العهد . وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخلت
 عليه امرأة فأكرمها وقال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة . وإن
 حُسن العهد من الإيمان . »

(36) في « المصباح » أيضاً : « مرق السهم من الرمية مروقاً من باب قعد خرج منه من غير مدحله
 ومنه قيل : مرق من الدين مروقاً أيضاً إذا خرج منه . »

(37) في « المصباح » كذلك : « الظبة بالتخفيف حد السيف والجمع ظبات وظبون جبراً لما نقص
 ولامها محذوفة : يقال : إنها واو لأنه يقال : ظبوت ومعناه دعوت . »

(38) كذا هو في الأصل بدال ، ومثله في الكتانية ، ولم نقف عليه في المعاجم التي فتسناها .

وفي س و ح : « السبرات » بالراء وكتب أكنسوس بإزائه على طرة مخطوطته « الحروب »
 تفسيراً لها ، وطالعنا مادة « سر » في المعاجم فلم نجد فيها أن « السبرات » تأتي بمعنى الحروب .

(39) في « تعريفات الشريف الجرجاني » : « الجبرية : هو من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى
 الله ، والجبرية اثنان : متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية ، وحالصة لا تثبت
 كالجهمية . »

(40) في « تعريفات الجرجاني » أيضاً : « القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ،
 ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى » اهـ . وينبغي أن يقرأ القدري بتخفيف ياء
 النسب ، وكذلك ينبغي أن يقرأ النجس بفتح النون أو بكسرها مع سكون الجيم وذلك
 ليزن بهذين الضبطين عروض الشعر .

(41) في ك و س و ح : « سالف » بدل : « دارج » وكتب ناسخ الأصل على الطرة « سالف »
 وعليه خاء رمزاً إلى أنه رواية نسخة أخرى .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما غيرت على امرأة ما غيرت على خديجة ، وذلك من كثرة ما كان يذكرها صلى الله عليه وسلم .

وقيل لبعض الحكماء : بمَ تعرف وفاء الرجل وذمام (42) عهده دون تجربة واختبار ؟ فقال بحنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، وتلهفه على ما مضى من زمانه .

وعن الأصمعي قال : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذمام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه وكان (43) سيدنا بلال - رضي الله عنه - ينشد :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلية بوادٍ وحوالي إذْ خِرٍ وجليل
وهل أردنُ يوماً مياه مَجَنَّةٍ وهل يبدون لي شامة وطَفيل

وقد تقدم شيء من هذا قبل .

وقال أبو العباس بن العريف (44) - رضي الله عنه - :

ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي
حلوا الفؤاد فما أندى ولو قطنوا (45) صخراً لجاد بماء منه منبجس

(42) في « مصباح الفيومي » : « الذمام بالكسر ما يذم الرجل على إضاعته العهد ، والذمام أيضاً

الحرمة » اهـ . وفي س : « الدمام » بدال مهملة وهو تصحيف .

(43) في الطبعة الفاسية : « ومن هذا المعنى كان سيدنا بلال ينشد :

ألا ليت شعري البيتين »

(44) تقدم التعريف به ، والأبيات أوردها التادلي في « التشوف » (ص 97) منسوبة إليه .

(45) في « التشوف » : « وطثوا » بدل : « قطنوا » .

وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهم
لأنهضنّ إلى حشري بجههم
فكيف قرؤا (46) على أذكي من القبس
لا بارك الله فيمن خانهم فسي

[(47) وقال غيره :

جسمي معي غير أن الروح عندكم
فليعجب الناس مني أن لي بدنأ
فالجسم في غربه والروح في وطن
لا روح فيه ولي روح بلا بدن

وقال آخر :

راحوا فباتت راحتي من راحتي
فتحوا على قلبي الهموم وأغلقوا
صفر وأضحى جبهم لي راحا
باب السرور وضيعوا المفتاحا

وقال غيره (48) :

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه
ما أنصفتك جفوني وهي دامية
هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ولا وفي لك قلبي وهو يحترق

وقال غيره :

ليكفكم ما فيكم من جوى ألقى
وحرمة ودي لاسئمت هواكم
فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقا
ولارمت لي منه فكاكاً ولا عتقا
سأزجر قلباً رام في الحب سلوة
وأهجره إن لم يمت فيكم عشقا

(46) في الأصل « قنوا » بالدال وهو تصحيف صوابه ما كتبناه رواية عن ك و ح أما س
ففيها « مروا » .

(47) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وأورده ناسخ الكتانية لحقاً على الطرة وكتب
معه ما عبارته : « بقي هنا نحو نصف ورقة » . وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه
رواية عنهما .

(48) البيتان منسوبان لابن الفارض ، وهما في ديوانه المطبوع بدار صادر سنة 1962 م .

وقال غيره :

ما ناح في أعلى الغصون الهزار إلا تشوقت لتلك الديار
ولا سرى من نحوكم بارق إلا وأجريت الدموع الغزار
وأسفي أين زمان الحمى ؟ وأين هاتيك الليالي القصار ؟
واحر قلبي فمتى نلتقي وتنظفي من داخل القلب نار
وأنظر الأحباب قد واصلوا ويأخذ الوصل من الهجر ثار
أقول للنفس ابشري باللقا قد واصل الحب وقر القرار [(49)

وذكر في التشوف عن أبي شعيب (50) السارية - رضي الله عنه - قال :
كان إذا وقف على قبر شيخه أبي علي (51) المسطاسي يقول : أي رجل دفن
ههنا ! ما رأيت مثله وأنشد :

أسفاً لأيام وإخوان مضوا ومنازل فارقتها مغلوبا
قلبت قلبي جمرة من بعدهم ولبست عيشي بعدهم مقلوبا (52)
طالبت بعدهم الزمان بمثلهم فأجابني هيهات لا مطلوبا

وحكي أيضاً عن أبي عمران (53) الهسكوري الأسود أنه كان لا ترقأ له

(49) هنا انتهت الإضافة التي نبيها عليها آنفاً .

(50) ترجمه التادلي في « التشوف » (ص 166 وما بعدها) فكان مما قال بشأنه : « أبو شعيب
أيوب بن سعيد الصنهاجي ، من أهل بلد آزمور ومن أشياخ أبي يعزى ، ويقال : إنه من
الأبدال ، قدم مراکش بعد عام أحد وأربعين وخمسمائة ، ومات بآزمور عام أحد وستين
وخمسمائة ، وكان إذا وقف في صلاته يطيل القيام فلذلك سمي أيوب السارية » .

(51) عرف به التادلي في « التشوف » (ص 123) فقال : « أبو علي منصور بن إبراهيم
المسطاسي ، كبير الشأن من أهل العلم والعمل ، مات بآزمور عام أربعين وخمسمائة وهو
من أشياخ أبي شعيب السارية » ا هـ . وتحرفت نسبه في الكتانية والفاسية بالبسطامي .

(52) جاءت رواية البيت في « التشوف » (ص 123) هكذا :

يا ليت قلبي جمرة من بعدهم يا ليت عيتي بعدهم مقلوبا

ورواية اليوسي للبيت أصح تركيباً وأسد معنى .

(53) قال عنه التادلي في « تشوفه » : « أبو عمران الهسكوري الأسود ، من أهل الجانب الشرقي =

دمعة ، فرجما سئل عن كثرة بكائه فيقول : إنما أبكي على فقد من أدركته من الإخوان في الله عز وجل .

وحكى أيضاً عن أبي جعفر (54) الأسود صاحب تاغزوت أنه كان يقول :
أدركت ببلاد تادلا ثلثمائة وسبعين رجلاً صالحاً كلهم يزارون ، وأنشد :

فأهاً من الربع الذي غير البلي وواهاً من القوم الذين تفرقوا
أصون تراب الأرض كانوا حلولها وأحذر من مري عليها وأفرق
ولم يبق عندي للهوى غير أنني إذا الركب مروا بي على الدار أشهق

تنبيه على حكم ما وقع من استنقاص الزمان واستنقاص أهله وسبهما بحسب النظر الشرعي أصلاً وفرعاً : فأما الزمان ويقال أيضاً الدهر فجرت عادة الشعراء وغيرهم قديماً وحديثاً بالتشكي منه والتبرم به ونسبة الإذابة والجور إليه ، وقد يكون فيهم من يعتقد ظاهر ذلك > وهو مشرك ، وقد يكون من لا يعتقد ذلك لكونه موحداً < (55) بل إما غفلة وجرياً على أسلوب من قبله من التعبير وإما مجازاً بطريق المقارنة لما يقع فيه من الأحداث والكوائن ، والفاعل هو الله تعالى ، فلا معنى حينئذ للتشكي منه ولا لسبه ولا استنقاصه فإن ذلك سوء أدب مع الله تعالى من جهتين :

إحداهما أنه هو المتصرف في الكل ، ولذا ورد في الخبر : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » (56) أي ما ترونه فالله تعالى هو فاعله .

= من مراکش ، وبه مات في عام التسعين وخمسمائة ، ودفن برابطة الغار بخارج باب أغمات وكان عبداً صالحاً .

(54) قال عنه التادلي في « تشوفه » : « أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود الساكن بتاغزوت على واد وانسيفن من بلاد تادلا ، وبها مات عام ثمانية وستمائة وكان عبداً صالحاً » .

(55) ما بين العلامتين ساقط من س .

(56) كذا نصه في « مسند ابن حنبل » ، أما روايته في « البخاري ومسلم وأبي داود » فجاءت هكذا : « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر » .

ثانيهما أنه يجب على المؤمن اعتقاد أن كل ما برز (57) في كل زمان من التصرفات فذلك هو الصالح في ذلك الوقت الجاري على الحكمة سواء لأمم الطباع أو لا ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل بالله تعالى جاهل بحكمته وقدرته ، ولو ولي وال بلدة لم يتصرف فيها إلا بالحكمة والمصلحة إلا ما خرج عن علمه وطوقه ، والله تبارك وتعالى عليم حكيم ، قاهر فوق عباده ، غالب على أمره لا يتعالى عن قدرته مقدور ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة .

ثم الزمان بمعزل عن العيب والنقص ، فإنما (58) ذلك في الناس ، وما يقع منهم أو يقع لهم فهم أحق بالانتقاص كما قيل :

يقول أناسٌ دهر سوء ليعذروا وهم عيبه عندي ولا عيب للدهر

وأما استنقاص أهل الزمان كما (59) مرّ فلا شك أنه لا يحرم إذ لا يدخل في الغيبة المحرمة حيث لا يكون التعيين .

وقد استشعر محيي الدين ابن العربي (60) في رسالة القدس (61) ذلك

(57) في س : « يبرز » بصيغة المضارع .

(58) كذا بالأصل وفي سواه : « وإنما » .

(59) كذا بالأصل وفي غيره : « على » بدل : « كما »

(60) في « تاج العروس » من مادة « عرب » ما نصه ببعض التصرف : « وابن العربي بالألف

واللام هو القاضي أبو بكر المالكي عالم الأندلس وصاحب « بغية الأحمدي » ، وابن

عربي بلا لام محرّكة هو العارف بالله المحقق محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي ،

وهذا الفرق الذي ذكره هو الذي سمعناه من أفواه الثقات غير أنني رأيت في جزء من أجزاء

الحديث على هامشه طباق فيه سماع لابن عربي بخطه ، وقد ذكر آخر السماع : وكتبه محمد

ابن علي بن محمد بن محمد بن العربي الطائي هكذا بالألف واللام ، وكذا في نسخة من

فتوحاته على ما نقله شيخنا ، ثم قال : وهذا اصطلاح عليه الناس وقد أولوه قلت : وفي

التبصير : كلاهما ابن عربي من غير اللام .

(61) يريد رسالته التي سماها : « رسالة القدس » ، في محاسبة النفس « ذكرها خلية في « كشف

الظنون » فقال بشأنها : « الرسالة القدسية » للشيخ الإمام محيي الدين محمد بن علي بن محمد =

حيث وقع في متصوفة زمانه فأجاب بنحو ذلك ونزع (62) بما وقع لعائشة
 - رضي الله عنها - من ذم أهل زمانها كما مرّ وغيرها من أهل الدين ،
 ولكن الأولى الإمساك عن ذلك لما قررنا قبلُ ، ولأنه لا يكاد يحصل من ذلك
 طائل غير إتعاب المرء قلبه ولسانه وتعرضه لمثل ذلك .
 ومن ظنّ ممن يعاني الحروب بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزاً (63)
 نعم ذكر ما يقع منهم من المناكر بالتنصيص بقصد الاحتراز مع الإنصاف
 كما فعل أبو العباس زروق في النصح الأنفع (64) ، وفي عمدة المرید (65)

= ابن عربي الحاتمي الطائي ، أولها : من العبد الضعيف إلى وليه وأخيه ركن الدين الوثيق
 أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهدي نزيل تونس بذكر النصائح الحمّية والوصايا
 الغريبة ، وقال في آخرها : كتب إليكم وليكم بهذه الرسالة من مكة المكرمة في ربيع الأول
 سنة 600 هـ . والرسالة انتقد فيها متصوفة زمانه من المدعين الذين تزىوا بزي أهل
 الطريق وليسوا منهم كما انتقد أيضاً فقهاء الذين تكالبوا على الدنيا وطلبوا علم الفقه للرياء
 والسمعة ، وفيها يقول : « وأما الأصول التي استندت إليها في ذلك (يريد استنفاص أهل
 الزمان) فكتيرة جداً روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه يوم فتح مكة في القرن
 الفاضل لما فقد عقد من عنق بعض أهله تأوه وقال : ارتفعت الأمانة اليوم من بين
 الناس ، وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ، والأصل الآخر بينته عائشة رضي الله
 عنها لما نظرت إلى زمانها وأهله ولما هم فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت : يرحم الله ليدياً
 حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
 والرسالة طبعت على الحجر بمصر سنة 1280 هـ ثم أعيد طبعتها بدمشق عام 1384 هـ .
 (62) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وهو ما في صلب س ولكن أكنسوس كتب على طرة مخطوطته :
 « نورع » أما الطبعة الفاسية ففيها : « نازع » .

(63) البيت من قصيدة للخنساء وقبلة :

وخيل تكس بالدارعين وتحت العجاجة يحمزن جمزا
 جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون أن لن تجزا

(64) اسمه الكامل كما في الابتهاج للشيخ أحمد بابا التنبكي هكذا :

« النصح الأنفع والحة ، للمعصم من البدع بالسنة »

(65) عنوانه التام كما في « ابتهاج التنبكي » كالتالي : « عمدة المرید الصادق من أسباب المقت ، =

نافع مفيد غير أنه صعب مفتقر إلى تحقيق في المدارك وتضلع في العلوم وتجربة تامة ، فإن الأمور قليل منها ما يكون أمراً حقيقياً يذم من كل وجه أو يمدح ، وأكثرها إضافي اعتباري يختلف باختلاف الأشخاص والمقاصد والأزمنة والأمكنة والأحوال فافهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

= في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت : « بين فيه البدع التي وقع فيها متصوفة زمانه وبناءه على مائة فصل وكب بين يده مقدمه هذا صها : «يقول مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير إلى رحمة مولاه تعالى أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الرنسي ثم الفاسي عرف بزروق غفر الله له أمين : ليعلم الناظر في هذا الكتاب والمتأمل لما فيه من حق وصواب أنا لم نقصد به المضرة على الناس ولا القدح فيهم ، ولا الاشتغال بمساويهم ولا إظهار عثرتهم ولا أردنا الاستظهار بالمزيد عليهم ، وإنما قصدنا التحذير من الوقوع فيما حذرنا منه والتحرير لما نهنا عليه ليكون عدة للصادق في دينه وإعانة للمحقق في يقينه ، ورحمة للمسكين في حاله ، فمن قصده لشيء مما قصدنا به فانه المسئول في إعانته ونفعه ، ومن قصده لغير ذلك فانه المسئول في إتلافه عه ومنعه ، وأن يعنى عنه من يريده لهتك أستار الناس أو يريده إظهاراً للبس والالتباس ، ومن قصده لذلك فانه حسيبه وسائله والمستوي الانتقام منه لأن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ، والمؤمن يلمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ويعلم الله لولا الشفقة على بعض الإخوان الصادقين ما كتبت منه حرفاً مع ما أخذ الله على من علم شيئاً أن يبينه ولا يكتمه ، وما ورد في سكوت العالم عن ظهور البدع مع ما انضم إلى ذلك من أسباب خاصة وعامة ، وعلى الله المعتمد في عموم النفع به وأن يجعله رحمة وبركة حيثما حل ، ثم أرغب لمن كتبه أن يكتب هذه المقدمة في ضمن نسخته لئلا من جهل الجاهلين ، وعلى الله تولى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله عن سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً » . نقلًا بالنص الحرفي التام عن مخطوطة بمكتبة سيدي أحمد أكنسوس أحد شيوخ العلم والتربية بمراكش فرغ من كتابتها ناسخها أحمد بن عبد الرحمان الحرمكي سنة 1006 هـ .

[مداراة الناس صدقة]

مما اتفق لي وينتظم في سلك الملح مع تضمن فائدة أي كنت خرجت من مدينة فاس - حرسها الله تعالى - أيام الحصار ، وأتينا على جبل بني زروال . ومعني جموع من الناس من طلبة وفقراء وتجار ، فوافينا (1) به رجلاً من أهل محبتنا ، فكان يتصرف لي في أموري وفي أمور من معي من الناس بحسب تفقدهم وإنزالهم منازلهم ، وربما تردد (2) في أمر كيف يكون إنفاذه (3) فريد أن يكشف لي عن رأيه في ذلك فيدنو مني ويناجيني ، وكان ساقط الأسنان ، لا يكاد يفهم كلامه ، وكان مع ذلك كلام أهل تلك البلاد منغلقاً عنا لا نكاد نفهمه ، ثم تخفت بصوته لثلاً يسمعه من حضر ، فيتكلم ولا أكاد أسمع من كلامه حرفاً واحداً ، حتى إذا فرغ من حديثه رفع رأسه إلي وقال : هكذا يكون الكلام مفصلاً بها ، فكنت في هذا أبسط أصحابي فأقول لهم : إن هذه الجملة الأخيرة من كلامه وقع فيها حكم بطريق القصر ، وهو موقوف على أشياء قبله لم يحصل واحد منها ، الأول سماع اللفظ فإنه مقدمة الفهم ، الثاني معرفة الوضع فإنه شرط ، الثالث فهم الألفاظ مفردة ، الرابع فهم التركيب ، الخامس فهم النسبة تصوراً ، السادس فهم الحكم مطلقاً **﴿ أي من غير قصر ﴾** (4) السابع فهمه مقصوراً ، ثم إن الأخير أعني

- (1) في ك و س : « فوفينا » وهو خطأ .
- (2) في ك : « تردد » بلفظ الماضي وفي ح : « يتردد » .
- (3) في س : « إنفاذه » بدال مهملة وهو تصحيف .
- (4) ما بين العلامتين ساقط من ح .

الحصر (5) محتاج إلى دليل لأنه بسبيل المنع ، ولم يحصل شيء من ذلك كله ، وما توقف على ما لم يحصل فهو غير حاصل ، ثم إني مع ذلك أستبشر عند حديثه ، وربما أحرك رأسي موهماً أنني قد حصلت ، وأنني قد استصوبت رأيه ، وذلك أنه لم يمكنني في الوقت غير ذلك ، فإني إن راجعته ليبين لم يبين إلا بخفية كما فعل أولاً ، فلا يحصل طائل . وقد علمت أن ليس في عدم تبين مقاصده مهم (6) يفوت ، لأن كل ما ينحو إليه من الرأي ويتشوف إليه من المصلحة فعندي بحمد الله ما يكفي فيه ، فكنت أسأله وأتركه بحاله رفقاً به وجبراً لحاطره وتقللاً من الشغب (7) وعندي في هذا النحو مذهب ، وأرى كثيراً من الناس ينسبون عنه ، وللتنبية عليه مع التلميح (8) السابق سطرت هذه القصة ، وذلك أنني أتغافل عما لا حاجة إليه ، ولا أتتبع ما فيه تكلف ولا تدعو الضرورة إليه ، وإن ذلك عندي هو أسلم وأبعد عما يخشى من ارتكاب الفضول أحياناً ، وتجاوز الحد أحياناً ، وإخراج الصدر (9) أحياناً > واستثارة الشر أحياناً < (10) وأقرب إلى مكارم الأخلاق ، وأدخل في المداراة المطلوبة ، وأبعد عن الملاحاة المدمومة .

وفي الحديث : « مُدَارَاةُ النَّاسِ صِدْقَةٌ » وفي حديث آخر : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ » وفي خبر آخر : « التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ ، وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ ، وَمَا

(5) كذا بالأصل ، ومثله في س و ح ، أما ك فقد كتب في صلبها : « الحصر » وفي طرفها بإزائه : « القصر » .

(6) في ح : « فهم » والظاهر أنه تصحيف .

(7) في س وحدها : « التشغب » .

(8) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، أما س و ح ففيهما : « التلميح » .

(9) في س و ح : « الصدور » بلفظ الجمع .

(10) ما بين العلامتين ساط من ح .

عَمَّالَ مَنْ اِقْتَصَدَ « وقال الشاعر (11) :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وقال الآخر :

أغمض عيني عن صديقي تغافلاً
وما بي جهل غير أن خليقتي
كأني لما يأتي من الأمر جاهل
تطبق احتمال الكره فيما تحاول

ونحوه قول (12) الآخر :

أغمض للصديق عن المساوي
مخافة أن أعيش بلا صديق

[(13) وقال غيره (14) :

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً
فعمش واحداً أو صل أخاك فإنه
صديقك لا تلقى الذي لا تعاتبه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها ؟
ظميت وأي الناس تصفو مشاربه؟
كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معايبه

وقال غيره :

(11) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحب عزة ، والبيتان من قصيدة له في ديوانه المطبوع بتحقيق إحسان عباس .

(12) البيت في عيون الأخبار (3 : 16) غير منسوب .

(13) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية لحقاً على طرفها ، وهو وارد في الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

(14) هو بشار بن برد ، والأبيات من شعره السائر ، وهي من قصيدة طويلة النفس تجدها في ديوانه المطبوع بتحقيق محمد الطاهر عاشور .

إذا ما الصديق أسا مرة وقد كان فيما مضى مجملاً
ذكرت المقدم من فعله فلم ينسني الآخر الأولا

وقال غيره (15) :

وأغفر عوراء (16) الكريمة أدخاره وأعرض عن شتم اللثيم تكرماً

وقال غيره :

أحرص على حفظ القلوب من الأذى فرجوعها بعد التنافر يعسر
إنَّ القلوب إذا تنافر ودَّها مثل الزجاج كسرها لا يجبر (17) [

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - خلال المكارم عشر تكون
في الرجل ولا تكون في أبيه ، وتكون في العبد ولا تكون في سيده ، يقسمها
[الله] (18) لمن أحب : صدق الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة الرحم ،
وحفظ الأمانة ، والتدبم (19) للجار ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ،
وقرى الضيف . والوفاء بالعهد . ورأسهن كلهن الحياء .

(15) هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي الجواد المشهور ، والبيت من قصيدة له في الكرم ومحاسن
الأخلاق ، وهي مودعة في ديوانه .

(16) العوراء : الكلمة القبيحة يقول : إني أغضي عن الشريف إذا فرطت منه الكلمة السيئة ،
حفاظاً على صداقته ، أما اللثيم فإني أنزه نفسي عن مشاتمته .

(17) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .

(18) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن سواه .

(19) في الأصل ، «التدبم» بالمهملة وفي سواه : «التدبم» وجاء في «لسان ابن منظور» ما نصه بالحرف :
« في الحديث : خلال المكارم كذا وكذا ، والتدبم للصاحب ، وهو أن يحفظ ذمامه
ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه » اهـ .

[و(20) وقال الشاعر (21) :
أحب مكارم الأخلاق جهدي وأصْفَح عن سباب الناس حلماً
وأكره أن أعيب وأن أعابا وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا
وقال غيره (22) :

ولقد أمر على اللثيم يسبني فأجوز ثم أقول : لا يعنيني
وقال غيره :

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجد خامسها والعرف سادسها (23)

(20) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتنه ناسخ الكتانية على طرفها لحقاً ، وهو
وارد في الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

(21) هو الحسن بن رجاء ، والأبيات نسبت إليه في « العقد الفريد » (2 : 284) وبعدها
فيه بيت يقول :

ومن قضت الرجال له حقوقاً ولم يقض الحقوق فما أصابا
هو عميرة بن جابر الخنفي ، والبيت منسوب إليه في « حماسة البحري » ص 171 وفيها
بعده بيت ثان يقول :

غضبان ممتلئ علي إهابه إني وجدك رغبة يرضيني
(23) جاء في كتاب : « ضرائر الشعر » لأبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز (ص 240)
ما نصه : « وما يجوز له (يريد الشاعر) أن يقول في الثالث : ثاني فيبدل إذا احتاج إلى
ذلك ، وكذا في سائر أسماء العدد المشتقة من أفعالها » اهـ . وفي كتاب « الضرائر وما يسوغ
للشاعر دون الناثر » للسيد محمود شكري الألوسي (ص 150 - 151) ما نصه : « باب
الإبدال باب واسع من أبواب التصريف ، ونحن نذكر ههنا ما أبدل منها للضرورة واختص
بالشعر ، فمن ذلك إبدال السين ياء ، قال الشاعر :

إذا ما عد أربعة فسال فزوجك خامس وأبوك سادي

أي أبوك سادس ، والفسال جمع فسل وهو اللثيم ، وقال آخر :
بوزل أعوام أذاعت بخمسة وتعتدني إن لم يق الله ساديا
أي سادساً » اهـ .

والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيتها
والعين تعلم في عيني محدثها من كان من حزبها أو من أعاديها
وقال غيره :

اترك مكاشفة الصديق إذا غطى على هفواته ستر [(24)

وفي الحكمة : اللبيب العاقل ، هو الفطن المتغافل ، وفي قوله تعالى :
(عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) مشرب في هذا المعنى ، ويقال :
ما استقضى كريم قط ، وفي الحديث : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي كَانَ أَوَّلَ مَا
أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي أَنْ قَالَ : إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَشُرْبَ الْخَمْرِ ،
وَمُلَاحَاةَ الرَّجَالِ » وفي حديث آخر : « احذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ ،
فَإِنَّهُ يُلَقِّنُ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِطَاعِ مُدَّتِهِ » وقال الشاعر (25) :

إني محضتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما خلجان لا أرضاهما لصديق

وقال الآخر (26) :

اترك مكاشفة الصديق إذا غطى على هفواته ستر
وهذا باب واسع مشهور ، وفيما ذكرنا منه كفاية .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(24) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .

(25) هو مسعر بن كدام ، والبيتان منسوبان إليه في « عيون الأخبار » (1 : 319) وبعدها فيه :

ولقد بلوتهما فلم أحدهما لمجاور جبار ولا لرفيق

وهما في « حماسة البحري » ، وفي « الظرف والظرفاء » للوشاء .

(26) تقدم هذا البيت في الإضافة السابقة .

[استقراء المؤلف لهجة ريفية]

من جملة ما اتفق لي في هذه السفارة إلى جبال (1) الزبيب وسفرات (2) أخرى لزيارة الشيخ عبدالسلام بن مشيش رضي الله عنه أني سمعت لغة لأهل تلك الجبال: يكسرون آخر الموقوف عليه استقراء فتتبعتها فوجدتها لها ضابط، وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه (3) وينسبون إليهم ما لا يقولون جهلاً منهم بضوابطها (4)، فإنهم لا يكسرون إلاّ الفتحة بعدها ألف، أما الألف المقصورة كالذنيا، أو الممدودة كالسما والطلباء والشرفاء، والأصلية كالماء، أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجرى العرف كالبقرة والشجرة والصفحة فإن العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه: البقرا والشجرا بألف، وهؤلاء يكسرون فيقولون: البقري والشجري وتنقلب الألف ياء، وهذا كله في الوقف فإن وصلوا نطقوا بالألف كغيرهم، وإن لم يكن الفتح ولا الألف كالشجر والبقر مراداً به الجنس وقفوا بالسكون كغيرهم، وإني لما تأملت ذلك من كلامهم وحققته في أقرب مدة اتضح عندي معنى الاستقراء في نحو هذا بالمشاهدة، وعلمت كيف كان أئمة العربية القدماء يستقرئون النحو واللغة من أفواه العرب ويضبطون لغة كل قبيلة في ذلك، وتبين أن ذلك أمر صحيح بيّن، وللتنبية

(1) جبال الزبيب ويقال أيضاً: جبل الزبيب هي جبال بني زروال شمال مدينة فاس، سميت بذلك لكثرة كرومها.

(2) في س: « سفرة » بلفظ الإفراد.

(3) كذا بالأصل، ومثله في ح، أما ك وس ففيهما: « وجهه » مضافاً إلى الضمير.

(4) في ح: « بضوابطه » مذكر الضمير.

على هذا حكيت هذه القصة ، فلا يقل (5) جاهل : ما لنا ولهذه اللغة ؟ فلتعرف
أو لا تعرف ، هذا مع أن معرفة الشيء خير من جهله ، فالجاهل بالشيء
أعمى فيه وفي ظلمة عنه ، والعالم به بصير به وفي نور فيه ، (وَهَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) والعلم < ذخرك > (6)
يجده صاحبه عاجلاً أو آجلاً ، وحجة ينتصر بها في الخطوب [أيضاً] (7) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(5) في ك و س : « يقول » وعليه تكون لا نافية لا ناهية .

(6) ما بين العلامتين ساقط من س .

(7) ما بين العلامتين زيادة من س .

المحاضرات
في اللغة والادب

منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

المُعَاضِرَات

فِي الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ

تأليف

العسّس اليوسفي

(المتوفى عام 1102 هـ)

الجزء الثاني

تعميقٌ وتشرح

أحمد الشرقاوي إقبال

محمد حجّبي

دار الغرب الإسلامي - بيروت

1402/1982م

جميع الحقوق محفوظة

١٩٨٢ م = ١٤٠٢ هـ

[مناظرة المؤلف لشيخه المرابط الدلائي]

ومما اتفق لي في هذا أني كنت قدمت في أعوام الستين وألف من رحلتي في طلب العلم ، وكنت إذ ذاك شاباً ، فدخلت الزاوية البكرية ، فوجدت شيخنا أبا عبد الله محمد بن محمد المرابط — رحمه الله — قد جمع خطباً (1) وعظية وتقدم إلى أهل الوقت في بلده ليكتبوا عليها تقريراً ، فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم ، فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضاً فوقع في مكتوبي لفظة القطائف **< اللطائف >** (2) فاعترض علي ورام تبكيي وقال: إنا لا نعرف القطائف (3) إلا هذه المفروشات (4) ، فقلت له إن القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة ،

(1) في ك : « خطبة » بالإفراد .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في « الصحاح » : « والقطيفة دثار مخمل والجمع قطائف وقطف أيضاً مثل صحيفة وصحف » . وفي « التاج » : « قال بعضهم : هي كساء مربع غليظ له خمل ووبر » . وفي « ثمار القلوب للثعالبي » : « قطيفة المساكين هي الشمس ، يسميها فقراء العرب في الشتاء قطيفة المساكين » . وفي « كامل المبرد » : « نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال : يا هذا إني لأرى عليك قطيفة محكمة من نسيج أضراسك » .

(4) في ك : « المفروشة » .

فقال : هو صحيح في اللغة ولكن الأدباء لهم الاختيار وعندهم ألفاظ يستعملونها
مخصوصة ، فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة ، فقلت له حينئذ : هذا
أبو محمد الحريري يقول في « مقاماته » (5) :

فلا تعذلوني بعدما قد شرحته على أن منعم في اقتطاف القطائف (6)
على أن ما زودتم من فكاهاة (7) ألد من الحلوى لدى كل عارف

فتلون وجهه - رحمه الله - ونجبل ولم يرآجعي بكلمة ، فلولا معرفة
المقامات واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته ، والشيء
يذكر بالشيء (8) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(5) البيتان في مقامته الثامنة عشرة ، وهي المعروفة بالمقامة السنجارية .

(6) قال الشريشي في « شرحه على المقامات » (2 : 131) وهو يفسر البيتين : « القطائف

هي ما يجنى من الثمار يريد بها الحلوى التي حرمهم أكلها » . وفي « التاج » : « وأما القطائف

المأكولة فإنها لا تعرفها العرب ، أو قيل لها ذلك لما عليها من نحو خمل القطائف الملبوسة ،

وفي « التهذيب » : « القطائف طعام يسوى من اللقيق المرقق بالماء شبهت بنمائل القطائف

التي تفرش » . وفي القطائف المأكولة يقول علي بن يحيى المنجم :

قطائف محشوة باللوز والسكر الماذي حشو الموز

تسيح في آذي دهن اللوز سررت لما وقعت في حوزي

سرور عباس بوصل فوز

(7) في س : « فاكهة » وهو خطأ .

(8) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ح : « والشيء بالشيء يذكر » .

[تنقل المؤلف في طلب العلم بالجنوب]

كنت أيام طلب العلم في بلاد القبلة (1) <حتى> (2) أخذت بطرف من العربية ، فحدث لي انتقال إلى ناحية مراكش ، وذلك في دولة السلطان محمد (3) الشيخ ، فأخذت في فنون أخرى كالأصول والمنطق والكلام ، وتركت العربية ، ثم إني دخلت السوس الأقصى واتصلت بشيخنا أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الرسموكي رحمه الله ، فوجدت أهل تلك البلاد يشتغلون بتصريف الأفعال ويستحضرون معها النصوص من الخلاصة ونحوها ، فحضرت معهم فإذا أبيات الخلاصة تشد عن فكري لطول العهد بها ، فلما رأيت ذلك أحببت أن أحدث عهداً بها فقلت للطلبة : من أحب أن يسمع الخلاصة فليأتني ، فشرعنا فيها ، وكنا نجلس إليها بعد العشاء الآخرة (4) بساعة <أو أكثر> (5)

(1) تسمى جهة الجنوب في اصطلاح المغاربة قبلة ، وقد بين الأستاذ محمد الفامي وجه هذه التسمية في أحد هوامشه على رحلة ابن مليح بصفحة 106 فقال : « القبلة في اصطلاح المغاربة هي الجنوب ، لأن العرب الذين فتحوا المغرب كان أكثرهم من أهل الشام ، والقبلة جنوبهم ، فاطلقوا على جهة الجنوب لفظة القبلة ، وتبعهم أهل المغرب رغم أن قبلتنا هي الشرق ، والجوف في اصطلاح المغاربة هو الشمال » .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) يقصد محمد الشيخ السعدي الأصغر المتوفى سنة 1063 هـ / 1653 م .

(4) في ك وفي س : « الآخر » بالتذكير ، وفي ح : « الأخيرة » .

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك .

فقطع الليل كله في المجلس ، وأنقل كل ما في شرح (6) المرادي (7) بأكمل التقرير والتحرير ، وختمنها في نحو شهر وعشر ليال ، وفي الليلة التي ختمناها تمت فرأيت فيما يرى النائم كأن العذرة تخرج من جوفي على فمي كحالة (8) القبيء متصلة حتى انفصلت عني فلما انتبهت وقع في فكري أن ذلك هو الجهل بذلك الكتاب أو ذلك العلم خرج عني ، فسرتني ذلك ، وفهمت من تصوير ذلك بصورة النجاسة أن الجهل قبيح وأن العلم كله حسن محتاج [إليه] (9) ، فإنه إما مقصود لذاته فيما تعبد به العبد ، وإما معين على ذلك نوع إعانة ، فمتى صلحت النية كان الجميع قرابة وعبادة . ولقد حدثونا عن بعض الفقهاء ممن كان يواصل أشياخنا رحم الله الجميع وكان يدرس للطلبة الكتب المتداولة في الفقه والنحو والكلام وغير ذلك من الفنون أنه توفي وأنه ريء (10) بعد موته وسئل عما فعل الله به فأخبر أنه أثيب على كل كتاب من تلك الكتب بحمد الله ، وذلك لصالح نيته .

وقد كنت دخلت يوماً على أستاذنا الإمام أبي عبد الله بن ناصر - رضي الله عنه - وكان يوم الجمعة فوجدته في روضة الأشياخ ، وإذا هو يقرئ لأولاده

(6) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون وهو يتكلم عن ألفية ابن مالك في النحو ويعرف بما كتب عليها من الشروح والحواشي فقال : « ومن الشروح المشهورة شرح الشيخ شمس الدين حسن بن القاسم المرادي المعروف بابن أم قاسم المرادي المتوفى سنة 739 هـ أوله : الحمد لله والشكر له » .

(7) المرادي هذا ذكره ابن العماد في الشذرات فقال : « بدر الدين بن الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد النحوي اللغوي الفقيه المالكي البارح المعروف بابن أم القاسم ، وهي جدته أم أبيه ، صنف وتفنن وأجاد ، وله شرح التسهيل وشرح المفصل وشرح الألفية ، وكان تقياً صالحاً » .

(8) في س : « كهيئة » .

(9) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(10) لغة مقلوبة من : « رئي » .

« ديوان الشعراء الستة » (11) ويطرر على النسخة ما يحتاج من شرح الغريب ونحو ذلك ، فقلت في نفسي : هذا يوم الجمعة يعنى فيه بالإقبال على العبادة لشغوف فضله ، وهذه الروضة موضع ذكر واعتبار ، والشيخ - رضي الله عنه - أعرف ، عنده النهاية في كل ذلك ، فعلمت أن ذلك إنما كان لصلاح النية وصحة الإخلاص وذهاب الهوى ، فكان كل ذلك عبادة أياً كان وفي أي موضع كان ، ولهذا يقول أئمة الدين : إن علامة من يأخذ في العلم لله تعالى أن < لو > (12) قيل له غدا تموت لم يطرح الكتاب من يده أي لكونه دخله بوجه صحيح ، ولو كان أخذه فيه بالهوى لفر عند الإحساس بالموت عنه (13) إلى الصحيح ، وهكذا في جميع التصرفات .

ولهذا كان بعض مشايخ الصوفية من ناحية العراق أخذ يبذر أرضاً فمر به بعض الأولياء طائراً في الهواء ، وذلك في عشية ليلة عرفة فقال له الأول : إلى أين تريد ؟ فقال : إلى الحج ، فهل لك فيه ؟ فقال : اني نويت أن أحرث هذه الأرض ، وامتنع من الذهاب إلى الحج ، وذلك لأنه دخل في هذا العمل

(11) هو عنوان مجموعة شعرية تحتوي أشعار ستة من فحول الجاهليين هم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعترة ، وعلى هذه المجموعة شرح لأبي الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالأعلم ، وشرح الأعلم هذا ذكره ابن خبير « بفهرسته » في جملة ما رواه عن شيوخه ، ومنه مخطوطة بالمكتبة الشنقيطية ، وأخرى بالمكتبة التيمورية ، وعلى المجموعة شرح آخر من عمل أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي البلوي ذكره أيضاً ابن خبير في « فهرسته » بين ما رواه عن أشياخه ، ومن شرح البطليوسي هذا مخطوطة بمكتبة فيض الله باستانبول .

(12) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(13) في ك : « منه » .

بنية صحيحة فلم يكن ليركه ، وفي الحديث الصحيح : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ
بِالنِّيَّاتِ » . وقال تعالى : (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) وفي الحديث
الآخر : « يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ ثُمَّ يُخَسَفُ
بِهِمْ وَيُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِمْ » .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[تأخير الصلاة]

حدثني الأخ الفاضل أبو الحسن علي بن أحمد الرماني قال : كان سيدي محمد الشرقي التادلوي يوماً مع جماعة من إخوانه فحان وقت الصلاة فجاء المؤذن يؤذنه بالصلاة فتغافل عنه ، ثم رجع (1) إليه ثانياً وثالثاً ، فلما ضاق الأمر بالمؤذن شرع في إقامة الصلاة من غير إذن ، فقال له الشيخ : ما أعجلك ! إن الصلاة تقضى أو تدرك ، ومجلس الإخوان لا يقضى .

قلت : وهذا يذهب به العوام ويرتكبون ظاهره ، وتأخير الصلاة عن وقتها لا يجوز لشيء من الأشغال أو الفضائل إلا العجز (2) ، وما لا يجوز لا يفعله الولي اللهم إلا مغلوباً بوارد ، ولا يقتدى به في تلك الحالة (3) مع أن الموفق محفوظ ، أما التأخير عن أول الوقت مثلاً فقد يكون لأمر مهم أو فضيلة تربو (4) ، ومحل العذر أو الترخيص في السفر أو نحوه معلوم .

وحدثونا عن سيدي عبد الله بن < عمرو > (5) المصغري (6) أنه ارتحل إلى مليانة لقصد ملاقاته الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي

-
- (1) في ك : « جاء » .
 - (2) كذا في الأصل وفي ك و س و ح : « إلا لعجز » .
 - (3) في ك : « الحال » بدون هاء التانيث .
 - (4) كذا بالأصل ، ومثله في ح أما ك و س ففيهما : « ترجى » .
 - (5) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .
 - (6) كذا بالأصل وهو ما في س وفي ح وكذلك هو في صلب ك ولكنه أصلح بالمصغري بالدال على الطرة منها ، وليحرر .

والأخذ عنه ، فوافي البلد وقت صلاة العصر ، وقد كان صلي ، فلما انتهى إلى زاوية الشيخ سأل عنه فقيل له : إنه لم يصل العصر < بعد > (7) فأنكر ذلك وقال : إن هذا الرجل لم يحافظ على أول الوقت ، وانصرف عنه ، وذهب إلى سيدي عبد العزيز القسطيني فأخذ عنه - نفع الله بالجميع (8) - .

وقد صار ذلك التأخير الذي وقع للشيخ سبباً لانصراف الآخر عنه حيث لم يسبق القدر بأن يكون من أصحابه وإلا فللناس أعدار .

ومن الملح في تأخير الصلاة أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن سودة قاضي مدينة فاس - رحمه الله - كان يؤم بجامع القرويين وكان يؤخر صلاة الصبح تأخيراً مفرطاً ، فحدثني بعض الأصحاب قال : لقيت صبياً من أهل فاس < إذ ذاك > (9) فسألته عن صلاة الصبح في القرويين هل أدركها ؟ فقال لي : والله لا تمشي إليها إلا بالمظلة ، يعني التي تجعل على الرأس اتقاء الشمس ، وهذا إفراط في المبالغة .

ومما اتفق في هذا الإنكار ولكن في العكس ، وهو التقديم ومزاحمة الوقت ، حدثونا عن الفقيه الصالح أبي عبد الله سيدي محمد بن سعيد الميرغتي (10) أنه ورد على شيخنا وأستاذنا ومفيدنا الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي - رحم الله الجميع ونفعنا بهم - فكان المؤذن إذا أذن < المغرب > (11) ينكر عليه ويقول له استعجلت : فلما أكثر في ذلك وانتهى الأمر إلى الشيخ خرج إليه فسار معه إلى صومعة الجامع الكبير وذلك في عشي النهار ، فجالسا

(7) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(8) في ح : « بجمعهم » .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(10) كذا بالأصل ومثله في ح أما ك ففيها : المرغيتي ، وجاء في س : المرغيتي وليحرر .

(11) ما بين العلامتين ساقط من ك .

بأعلى الصومعة يتحدثان والمؤذن الذي كان ينكر عليه في مسجد الخلوّة بعيداً
عنهما بنحو مد البصر ، وبقياً في حديثهما حتى غربت الشمس وأقبل الليل
من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقال الشيخ للفقير المذكور : أقد (12) تبين
الوقت ؟ قال نعم ، وبفور كلامه قال مؤذن الخلوّة : الله أكبر ، وجعل
يؤذن فعجب الفقير من هذا الاتفاق الغريب ، وعلم أن الأذان كل يوم كان
على الصلحة ، فلم يعد إلى الإنكار .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(12) كذا في الأصل بحرف الاستفهام ، وسقط هذا الاستفهام من ك و س .

[أبو بكر الدلائي يكرم العكاكزة مداراة لهم]

حدثني الأستاذ المقرئ الفاضل أبو عبد الله الشرقي بن أبي بكر عن والده سيدي أبي بكر أنه كان ذات مرة هربت العكاكزة (1) أولاد عبد الحق بن المنزول من بلادهم فنزلوا بساحته وهم جياع ، ووجدوا زرع زاويته محصوداً مجموعاً فقال لهم : ادرسوا وكلوا ، فقام إليه ولده الكبير أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر فأنكر ذلك وقال : إن هؤلاء فساق أو كفار ، ثم هم ظلام محاربون (2) فكيف تعينهم وتبيح لهم زرع المساكين ؟ فقال أبوه : إني أريد أن أتخذ عندهم يداً فإذا استلبوا مسكيناً يوماً < ما > (3) وجاء إليّ يشتكي

(1) العكاكزة أو العكازيون نسبة إلى العكاز كرمان ، وهو عصا ذات زج في الأسفل يتوكأ عليها ، فيقال إنهم نسبوا إليها لأنهم جعلوها لهم شعاراً ، أو لأنهم قلدوا في اتخاذها الطائفة التومرتية التي كان مهدبها يحمل عكازة في أسفاره ، ويعرفون أيضاً بالطائفة اليوسفية لأن أحمد بن عبد الله المنزولي رأس فتنهم كان قبل خلاته تتلمذ على الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، فتسبوا إليه دعوى ، وهو منهم براء ، والعكاكزة جماعة ضالة خرجت عن الإسلام بإنكار الرسالة المحمدية ، وقالت بإباحة الفروج وحلية الميتة ولحم الخنزير ، وأحلت دماء المسلمين وأموالهم ، وكان ظهورهم في العهد السعودي ، ثم استشرى فسادهم إثر وفاة المنصور ، وظهر لهم أتباع في جهات عدة من أرض المغرب ، وليوسي تأليف فيهم يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة ضمن مجموع ، واقرأ عنهم في كتاب « الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين » للدكتور محمد حجي (1 : 237 - 240) طبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سلسلة التاريخ (2) .

(2) يريد أهل الحراية من أهل الفساد الذين يشهرون السلاح ويقطعون الطريق وينهبون الأموال ويخيفون السابلة وهم الذين ذكرهم الله فقال : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

كتبت إليهم كتاباً فلا بد أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعه فأنا (4)
إنما فعلت هذا لحق المساكين .

قلت ولعل هذا هو نظر ولده المذكور في المسعود بن عبد الحق ، فإنه
كان يدينه حتى إنه كثيراً ما يكون أول داخل عليه وآخر خارج حتى إن
الفقيه النحوي الحافظ أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الإسحاقى الجرائي (5) وكان
ابن أبي بكر يجفوه كان يقول :

ولئسا دنيساك بالسعود وإن شككت انظر إلى مسعود

وحدثونا عن مسعود هذا أنه < كان > (6) يحضر مع الناس مجلس
البخاري فاحتالوا عليه يوماً حتى أوقعوا نقطة مداد على رجله ، فلما رجع
من الغد لحظوها فإذا هي بحالها فعلموا أنه لم يكن يصلي ، أو يصلي بغير طهارة ،
وهذا الذي فعله المرابط المذكور داخل في باب الرفق والمداراة .

ونحو منه ما حكى المواق (7) في سنن المهتدين (8) عن شيخه ابن سراج

-
- (4) في ك وحدها : « فإني » بدل : « أنا » .
(5) كذا في الأصل بجيم منقوطة بثلاث من أسفل ، وكذا هو في صلب الكتافية ، ولكن ناسخها
كتب بخطه على الطرة : « الحمراي » وعليها خاء إشارة إلى أنها رواية نسخة أخرى ، وأما
س ففيها : « الجراي » بجيم منقوطة بواحدة من تحت ، وأما الفاسية ففيها : « الحمراي »
وليحرر ما يصح فيه .
(6) ما بين العلامتين إضافة من ك .
(7) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدي الغرناطي الشهير بالمواق
بفتح الميم وتشديد الواو ، كان عالم غرناطة وفقهياً وقاضياً وخطيباً لوقته توفي
سنة 897 هـ .
(8) هو كتاب مزج فيه بين الفقه والتصوف والأخلاق وأقام مبناه على قول الله تعالى : (ثم
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم
سابق بالخيرات بإذن الله) ورتبه على تسع مقامات صعوداً ، وهبوطاً ، وهو قد قال في
فاتحته : « وأنا أذكر إن شاء الله أدب هذه الأصناف الثلاثة ، وأتكلم عليها في تسع مقامات =

عن الشيخ الزيات ببلش (9) وكانت بيد بعض الرؤساء من الملوك النصريين (10) وكان هذا الرئيس يأتي حلقة الشيخ المذكور فيتزحزح له الشيخ ويرحب به فكان بعض الطلبة يجحد في نفسه من ذلك فيينا (11) ذلك الطالب يجيء من قرينته بشقص (12) حرير في يده أنحذه له الشرط (13) فجاء إلى الشيخ وشكا له ، فأمر الشيخ مؤذناً أتى الرئيس ، فما كان أسرع [أن] (14) أتى الرئيس على

= بعضها ألى من بعض ، أبدأ بالمقام التاسع ، ثم أتدلى منه إلى المقام الذي بعده إلى المقام الأول ، ثم أرتقي منه إلى المقام الثاني ثم إلى الثالث ثم كذلك إلى التاسع . أبدأ به وبه أختم ، واسمي كتابي هذا سنن المهتدين ، في مقامات الدين . طبع سنن المهتدين على الحجر بفاس سنة 1314 هـ .

(9) في « معجم البلدان » لياقوت : « بلش بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة بلد بالأندلس » ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي من أهل الصلاح والعلم « ذكره ابن الفرضي » وفي « تاج العروس » : « بلش كبقم حصن بالمغرب إليه ينسب قاضيه محمد بن الصعتر الشاعر ، نقل عنه أثير الدين أبو حيان شيئاً من شعره بالموضع المذكور ، كذا في « وفيات الصغدي » رحمه الله تعالى .

(10) في الأصل وفي س : « البصريين » بالباء وهو تصحيف صوابه « النصريين » بالنون كما هو في ك و ح .

(11) كذا في الأصل ، ومثله في س و ح أما ك ففيها : « بينما » .

(12) صحفت هذه الكلمة في الأصل فكانت فيه : « بشخص » بخاء معجمة بدل القاف ، فأصلحناها بما جاء في ك و س و ح ، والشقص فسره الفيومي في « مصباحه » فقال : « الشقص الطائفة من الشيء والجمع أشقاص مثل حمل وأحمال » .

(13) كذا في الأصل ، ومثله في س ، أما ك و ح ففيهما معاً « الشرطي » بياء النسبة ، وهاك ما جاء في ضبط الشرط والشرطي : قال الزنجشري في « أساس البلاغة » : « هؤلاء شرطة الحرب ، لأول كتيبة تحضر ، ومنه صاحب الشرطة ، والصواب في الشرطي سكون الراء نسبة إلى الشرطة والتحريك خطأ لأنه نسب إلى الشرط الذي هو جمع » وقال الفيومي في « مصباحه » : « الشرطة وزان غرفة ، وفتح الراء مثال رطبة ، لغة قليلة ، وصاحب الشرطة يعني الحاكم ، والشرطة بالسكون والفتح أيضاً الجند ، والجمع شرط مثل رطب ، والشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها ، الواحدة شرطة مثل غرف جمع غرفة ، وإذا نسب إلى هذا قيل شرطي بالسكون رداً إلى واحده » .

(14) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك ، وجاء في ح بدله : « حتى » .

الرئيس على عادته ، وترحزح له الشيخ وجلس ، ثم بعد الفراغ من المجلس وإراد (15) القيام قال الشيخ : أنت أرسلت في هذا ؟ وأخرج الحرير فقال : نعم ، هو لهذا الطالب > فقال الرئيس للطالب : خذ يا حبيبي متاعك وانصرف فقام الشيخ < (16) وقال لذلك الطالب : يا زبلح (17) لمثل هذا < هو > (18) ذلك الترحزح (19) .

وحدث عن إمامنا مالك رضي الله عنه < انه > (20) قيل له : ترك الجماعة والجمعة وإذا دعاك السلطان أسرعت إليه فقال : لو لم أفعل هذا لم ترَ بهذه البلدة سنة قائمة .

ومن هذا القبيل ما كان فعل الإمام العلامة القاضي إسماعيل بن حماد ، فقد روي أنه دخل عليه عبدون بن صاعد الوزير ، وكان نصرانياً ، فقام له ورحب به ورأى ممن حضر من العلول وغيرهم إنكاراً لذلك فلما خرج قال لهم : قد رأيت إنكاركم ، وقد قال الله تعالى : (لا يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ) . وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين ، وهو سفير بيننا وبين المعتضد ، وهذا من البر ، فسكت الجماعة ، وهذا كله داخل في أبواب سد الذرائع (21) وفتحها .

-
- (15) كذا بالأصل ، ومثله في س ، ولعله حذف الياء على مثال ما جاء في قوله تعالى : (وإقام الصلاة) أما ح ففيها : « إرادة » بصيغة المصدر كاملة الأحرف .
- (16) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (17) الزبلح الأحق على ما فسرهُ دوزي في تكملة المعاجم العربية .
- (18) ما بين العلامتين ساقط من ك .
- (19) الحكاية هذه واردة بالملزمة رقم 8 صحيفة 4 من « سنن المهتدين » في طبعته المشار إليها سابقاً .
- (20) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .
- (21) في س : « الذرائع » بدال مهملة وهو تصحيف .

واعلم أن الذريعة هي المدخل إلى الشيء ، فإن كان الشيء خيراً فحقها أن تفتح ، وإن كان شراً فحقها أن تسد ، وتقرير هذا المعنى أن المراد السبب المفضي إلى السبب إفضاء عقلياً أو إفضاء عادياً كلياً أو أكثرياً أو حالياً بحيث إن من سعى في استحصال الأول هو ساع في استحصال الثاني بالتبع ، ثم الإفضاء إما أن يكون ذهنياً فقط ، كما في الفرضيات ، أو خارجياً فقط ، كما في الاتفاقيات ، أو ذهنياً خارجياً ، وهو الأكثر ، ومتى اعتبر مجرد الربط ولو جزئياً فالذهني أعم مطلقاً ، ثم الطرفان قد يكونان جائزين نحو : لو جاءني زيد أكرمه ، وقد يكونان واجبين نحو : لو كان الله تعالى عالماً كان حياً أي لكنه عالم فهو حي ، وقد يكونان مستحيلين عقلاً نحو : لو وجد شريك لله تعالى لمانعاً على (22) الفعل ، وهذان المثالان معاً من قسم ما هو ذهني فقط ، لأنه لا تصح (23) السببية الخارجية (24) في شيء من الواجب ولا المستحيل ، وقد يكونان مستحيلين عادة نحو : لو وجدت في الأرض جبال من ذهب لاستغنى الناس كلهم في الدنيا ، ولو طار زيد إلى السماء لرأى معمور الأرض كله في مرة ، ثم الجائزان عقلاً قد يكونان مطلوبين معاً شرعاً ، إما وجوباً أو ندباً ، كفعل الطواف وفعل السعي بعده ، وتلاوة القرآن وسجود التلاوة معه ، ونحو ذلك ، ولا إشكال فيه ، وقد يكون الثاني هو المطلوب بالذات ، فيستتبع الأول كقتل النفس قصاصاً ، فيستتبع ما تزهد به الروح من حز الرقبة ونحوه ، وذبح الضحية فيستتبع ما تحصل به الذكاة شرعاً من قطع الحلقوم والأوداج ، ويعرف هذا القسم في أصول الفقه بالمقدمة ، وعندهم فيه اختلاف مشهور ، هنالك ، وقد ينعكس **« الأمر »** (25) فيكون المطلوب شرعاً هو الأول فقط كصلة الرحم المفضية بإذن الله إلى سعة

(22) في ك : « عن » بدل : « على » .

(23) في ك : « لا تصلح » بدله .

(24) في ك : « الخارجة » .

(25) ما بين العلامتين ساقط من ك .

الرزق والبركة في العمر على ما ورد به الوعد الصادق ، وكالإسلام المفضي إلى سلامة الدماء والأموال ، وكالإخلاص فيه المفضي إلى نور الوجه وانبساط الروح ، وهذا القسم داخل فيه العبادات كلها بحسب ما تفضي إليه من الثواب عليها ، غير أن ما كان من هذه الثمار دنيوياً كالذي صدرنا به فيجب ألا يقصد عند عمل العبادة ، والإيفات الإخلاص ، وما كان أخروياً فلا بأس أن يقصد في مقام الإسلام ، وقد يكونان منهيين معاً كتزوج الخامسة ووطئها وشراء الخمر وشربها ، فيتركها معاً ، وقد يكون الأول مباحاً بذاته شرعياً ، والثاني حراماً ، فيحرم الأول تبعاً إذا اعتبر الإفضاء كبيع السيف من قاطع الطريق مع العلم به وكبناء (26) الدار لتكون ماخوراً (27) أو معصرة خمر ، وغير ذلك مما يكثر ، وهو داخل في سد الذرائع المتفق عليه ، فإن لم يكن الإفضاء معتبراً ، وذلك عند كون الأول مهماً في نفسه ، والثاني غير مقصود لم يمنع ، كغرس الأعناب في الدنيا مع أنه يؤدي إلى عصر الخمر وشربها ، وكالجروج في ضروريات العيش ودخول الأسواق مع أنه قد يؤدي إلى رؤية أجنبية أو وقوع في خصام أو قتال أو معاملة ممنوعة ، فهذا ونحوه من الذرائع التي لا يراعى سدها عند أحد ، وقد يتعين شيء من ذلك جزئياً فيجب أن يعطى حكماً جزئياً ، وقد يكون الأول حراماً ويكون الثاني مباحاً في ذاته فيحرم أيضاً إذا اعتبر الإفضاء كما حرم أصله ، وذلك كمزاناة الرجل المرأة على أن تسكنه دارها أو تنفق عليه ، وكذا العكس إلا ما أباحت الضرورة ، ويكفي في هذا القسم ترك الأول امتثالاً فيبطل الثاني وقد يكون الأول خلاف الأولى ، فإن أفضى فعله إلى مصلحة يضمحل فسادها في جنبها

(26) في ك : « كبيع » بدله .

(27) في « تاج الزبيدي » ما نصه : « الماخور بيت الريبة ، وجمع أهل الفسق والفساد ، ومجلس الخمارين ، ومن يلي ذلك البيت ويقود إليه أيضاً يسمى ماخوراً ، معرب « مي خور » أي شارب الخمر ، فيكون تسمية المحل به مجازاً ، أو عربية من مخرت السفينة إذا أقبلت وأدبرت سمي لتردد الناس إليه فهو مجاز أيضاً ج مواخر ومواخير .

أو تركه إلى مفسدة يكون التحرز عنها أهم ارتكب لأجل ذلك لا لذاته ،
ومن الأول ما صدرنا به هذه الترجمة من فعل القاضي إسماعيل مع النصراني ،
وكذا فعل المرابط المذكور ، وهذا في المعنى <فيه> (28) جلب مصلحة
ودرء مفسدة هي الشحناء والبغض وما ينشأ عنه ، ففيه فتح الذريعة من وجه ،
<وسدّها من وجه> (29) ، ومن الثاني مسألة الشيخ عز الدين حيث ترخص
في القيام لأهل المناصب جبراً لقلوبهم ، وتوقياً من الشحناء والتدابير والتقاطع
المنهي عنه ، وفيه الاعتباران أيضاً ، فالباب واحد ، وقد يكون الأول مطلوباً
وجوباً أو ندباً في ذاته ، ولكنه يفضي إلى مفسدة ينهى عن ارتكابها فيترك ،
وذلك كالخروج لطلب الماء للطهارة المفضي إلى تلف النفس بالسباع ، أو المال
بالسرقة ونحو ذلك مما لا يأتي عليه الحصر ، وتوجيهه أن درء المفسدة أهم
من جلب المصلحة ، أو الحكم الأول أعني الوجوب أو الندب مقيد بالشرط
في أصله ، فإذا انتفى انتفى ، والثاني يبحث فيه بأنه أي موجب لهذا القيد
فلا بد أن يرجع الأول إلى الوجه الأول وهو أمر مجمل يتداوله الناس
<أبداً> (30) فلا بد من البحث عن وجهه وأنه كيف كان درء المفسدة
أهم ، وفي تحريره طول ، ويكفينا فهمه في المثال المذكور فنقول : لو خرج
للماء ليحافظ على الطهارة المائية فافترسه الأسد ضاعت حياته وذهبت (31)
الصلاة ، والطهارة مائية وتُرابية فعبادة الله التي يريد (32) أن يجودها أتلفها
رأساً فكان الاكتفاء بطرف وهو التراب واتقاء المفسدة أولى من جلب المصلحة
المؤدي إلى ضياع الكل وهكذا في سائر الأنواع .

(28) ما بين العلامتين ساقط من س .

(29) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(30) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(31) في ك : « ضاعت » .

(32) في ح : « أراد » .

ولعلك تُخرج بهذا التقرير عما يهيجس في نفوس الجهلة عند سماع تلك الأحكام من توهم أن النفوس والأموال والأعراض ونحوها مقصودة بالأثرة على دين الله تعالى ، كلاً ، وإنما ذلك < كله > (33) محافظة على دين الله تعالى ، فإنه لا بقاء له مع هلاكها ، فافهم .

وينخرط في هذا القسم ما منع من سبب الكفار كفاحاً (34) حذاراً من أن يسبوا الله تعالى ودينه ، قال تعالى : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) والتقاسيم لا تنحصر فيما قررنا ، ولكن فيما ذكرنا تنبيه على ما وراءه .

واعلم أن كل ما تقرر فيها باعتبار الحكم الشرعي محافظة على التقوى يتقرر نحوه باعتبار المحاسن العادية محافظة على المروءة ، وذلك ملتحق بالدين أيضاً ولا حاجة إلى تتبع التفاصيل ، والله الموفق .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(33) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(34) أي وجهاً لوجه ، قال الجوهرى في « صحاحه » : « كافحهم إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره » . وقال الزمخشري في « أساسه » : « كافحه : لاقاه مواجهة عن مفاجأة ، ولقيته كفاحاً ، وكافحهم في الحرب : ضاربوهم تلقاً الوجوه » .

[استحلأ الطاعات سموم قاتلة]

حدثني بعض الفقراء عن شيخ له من أهل العصر المتصدر لصحبة المريدين أنه بينما هو جالس في محله جاء فقير غريب ، وأظنه قال : من **<ناحية>** (1) السوس الأقصى ، فلما قرب منه تكلم لبعض من كان حاضراً بلسانه البربري فقال له : قل لذلك **<الرجل يعني>** (2) الشيخ المذكور : أما بقيت في الدنيا مصابيح يقتبس الضوء منها ؟ فبلغ الرجل لذلك الشيخ (3) فقال الشيخ : قل له : قد بقيت ، ولكن من جاء يقتبس أتى بفتيلة مبلولة ، فقال الفقير : قل له : ما معنى بللها ؟ فقال الشيخ : قل له : لا أقل من أن يطلب أو يترجى الولاية ، فقال : فوضع الفقير يده على جبهته ساعة ثم انصرف من هنالك ، فلما رأيت الفقير الذي حدثني تبجح (4) بهذا الكلام الصادر من شيخه وجعله من التوبيخات المهمة (5) للسالك ، وكنت جاريته كلاماً في استحلأ الطاعة فقال : إن تلك الحلاوة علة ، وعلمت أنه أيضاً قد بنى على ذلك وأنهم سمعوا نحو قول الواسطي (6) رحمه الله : « استحلأ

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(2) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(3) في ح : « فبلغ الرجل ذلك للشيخ » .

(4) في ك و س : « يتبجح » بصيغة المضارع .

(5) في ك : « المهمات » بلفظ الجمع .

(6) الواسطي نسبة إلى واسط ، وهو اسم جعل علماً على بضعة عشر موضعاً أشهرها واسط

العراق التي بناها الحجاج ، وينسب بالواسطي نفر من الصوفية معروفون ، ولعل المعنى

هنا الواسطي الذي ترجمه أبو عبد الرحمان السلمي في « طبقاته » (ص 302 - 306)

فكان مما قال بشأنه : « أبو بكر الواسطي ، واسمه محمد بن موسى ، وأصله من فرغانة ، =

الطاعات سموم قاتلة (7) فأردت أن أنبه على غلط يخشى في هذا الامر ،
فأقول وبالله التوفيق :

إن كلاً من الكلام الواقع للواسطي والواقع من هذا الشيخ صحيح في
نفسه ، وهو تحقيق في بابه ، وعند أربابه ، أما إلقاؤه لعوام المتوجهين فغلط
في التربية ، إما جهلاً وقصوراً ، وإما تمويهاً وتظاهراً بالنهايات ، أما حديث
الولاية فمن وجهين :

الأول أن التدريج معتبر عند الناس ، وهو حكمة الله تعالى البالغة الجارية
في الناميات الحسيات والمعنويات ، ثم ارتكاب أخف الضررين مطلوب شرعاً ،
فلو رأينا مثلاً كافراً مضراً بالمسلمين وتعذر قطع ضرره بالسيف فإننا إذا
أمكنا أن نستنزله عن الضرر بسبب <من> (8) موعظة أو مال أو حظ
ما فعلنا ذلك ، ورأينا إذا (9) نزل عن ذلك أفضل من غيره ، وإلى هذا
الفضل إشارة حديث : « أَسْلَمْتُ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ » ولو
أمكن أن نستدرجه إلى الإسلام ولو بحظ من دفع مال أو إظهار حفاوة مثلاً

= وكان يعرف بابن الفرغاني ، من قلماء أصحاب الجنيذ وأبي الحسن النوري ، وهو من
علماء مشايخ القوم ، لم يتكلم أحد في أصول التصوف بمثل ما تكلم هو ، وكان عالماً
بالأصول وعلوم الظاهر ، دخل خراسان ، واستوطن كورة مرو ، ومات بها بعد العشرين
وثلاثمائة .

(7) كتب ابن عطاء الله السكندري في « لطائف المنن » (ص 152) على كلمة الواسطي هذه
يقول : « قال الواسطي : « استحلوا الطاعات سموم قاتلة » وصدق رضي الله عنه ، وأقل
ما في ذلك أنك إذا فتح لك باب حلوة الطاعة تصير قائماً فيها ، متطلباً لحلاوتها ، فيفوتها
صدق الإخلاص في نهوضك لها ، وتحت دوامها لا قياماً بالوفاء ، ولكن لما وجدت فيه
من الحلوة والمتعة ، فيكون في الظاهر قائماً لله ، وفي الباطن إنما قمت لحظ نفسك ويخشى
عليك أن تكون حلوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا ، فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك .

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) في ك : « ان » بدل « إذا » .

لفعلنا ذلك ، وهو التأليف الذي جاءت به الشريعة ، ورأيناها إذا أسلم ولو مع شوب الحظ أفضل ممن بقي على الكفر المحض ولا نلزمه في هذه الحالة الإخلاص وحقائق الإيمان لأننا نرجو أن سيعاشر المؤمنين (10) ويعاين محاسن الإسلام فلا يزال يتمكن ويصفو ، وهكذا وقع لكثير ممن أسلم أولاً رغبة في المعاش واستحلاء للغنائم ، أو هرباً من الجلاء والسيوف .

ثم المسلم إذا كان مسرفاً على نفسه وأمكننا أن نستجره (11) إلى ترك المعاصي والتنزه عن الفسق فعلى هذا النمط (12) ولو تاب إلى الله تعالى وأقلع عن الشهوات الدنيوية طلباً لما أعد الله تعالى في الدار الآخرة من النعيم الذي لا يوازيه نعيم الدنيا ولا يدانيه ، وكان لا يجد من نفسه في الحال نزوعاً عن اللذائذ العاجلة إلا بما يمنيها به من اللذائذ التي هي أشرف وأنفس فإننا نساعدته على هذه العزيمة (13) ولا نذمه بأنه انتقل من حظ إلى حظ ، ولا نطالبه بارتفاع الهمة <إلى الحضرة> (14) والتخلي عن الدارين ، فإن هذا لم يكن بعد من أهل هذا الشأن ، وأن النفس لجحوج مصرة على حظوظها الحسية ، وإنما تنزل عنها بالطمع فيما هو من جنسها وأشرف منها إلا من خصه الله تعالى .

وقد قال صاحب (15) « القواعد » : « ما جبلت عليه النفوس فلا يصح

(10) في س : « المسلمين » بدله .

(11) في ك وح : « نستجيره » والظاهر أنه تحريف

(12) في س : « فعل هذا الحد » .

(13) في طرة الأصل بإزائه : « العزيمة » عليها خاء إشارة إلى أنها رواية نسخة أخرى .

(14) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(15) هو الشيخ أحمد زروق ، « والقواعد » كتاب له قال في أوله بعد التحميد : « . . . وبعد

فالقصد بهذا المختصر وفصوله بمهيد قواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة

والحقيقة ، ويصل الأصول والفقه بالحقيقة . . . » . قعد فيه مائتين وسبع عشرة قاعدة

في علم التصوف ، وهو مطبوع متداول .

انثفاؤه عنها ، بل ضعفه وقوته فيها ، وتحويله عن مقصد لغيره ، كالطمع لتعلق القلب بما عند الله تعالى توكلًا عليه ورجاء فيه والحرص على الدار الآخرة بدلاً من الدنيا . . . » إلى آخر كلامه (16) فلو ألزمتنا هذا عزل النفس عن الحظوظ وتجريد القلب للحقيقة أو شك أن تحييص (17) نفسه حيصة وهي لم تزل قوية ، فيعود من حيث جاء ، ولعلك تفهم بهذا سر امتلاء كتاب الله تعالى بذكر الجنة وما فيها من الحور والقصور والغلمان والأنهار ، فإن الدعاء بمثل هذا هو مشرب النفس ، وهو حال عامة الخلق ، والله تعالى أعلم بمصالح عباده .

ثم إذا ترفع (18) المرید عن هذه الحالة واشرباً إلى ما وصل إليه العارفون ، وانتهض لسلوك هذا المسلك والاشتغال بعمله من العزلة والصمت والجوع والسهر فلو توسمنا (19) فيه التشوف إلى حصول الوصول ، أو الولاية ، أو المعرفة ، أو الفتح ، أو القرب ، أو نحو ذلك فلا ينبغي أيضاً أن نعالجه بالتحقيق ونطالبه بالعبودية والفناء عن الأغيار من أول وهلة ، بل نرخي له العنان حتى يتمكن في الرياضة وتنقاد نفسه ويقشعر جلده وقلبه لذكر الله ، فعند ذلك تسهّلُ إشالته (20) مع السابقة والتوفيق إما على لسان شيخ ناصح (21) أو أخ

(16) هذا أول كلامه في القاعدة التاسعة والسبعين بعد المائة ، وهذه بقية كلامه فيها بالنص :

« . . . والبخل فيما حرم ومنع ، والكبر على مستحقه ، ولرفع الهمة عن المخلوقين حتى يتلاشى في همته جميع المقدورات فضلاً عن المخلوقات والحسد للغبطة ، والغضب لله سبحانه حيث أمر ، والحقده على من لا نسبة له من الله إغراضاً ، والتعزز على الدنيا وأهلها ، والانتصار للحق عند تعينه إلى غير ذلك والله أعلم . »

(17) الحييص : الحيد والرجوع والروغان والتخلف والتلدد وهو النفور أيضاً قال الجوهري

في «صحاحه» : «حاص يحييص حيصاً وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحيصاناً أي عدل وحاد» ، وفي تاج العروس : «دابة حيوص كصبور : نفور تعدل عما يريد صاحبها . »

(18) كذا بالأصل وفي غيره : « ارتفع » بدله .

(19) في ح وحدها : « توهمنا » بدل : « توسمنا » .

(20) يقال : شال بالشيء يشول به شولا وأشاله يشيله إشالة إذا رفعه وأعلاه .

(21) في ك : « ناصر » بدلا من : « ناصح » .

صالح أو بعض من ينصره الله به كما وقع للشيخ أبي (22) الحسن رضي الله عنه حيث قال : كنت أنا وصاحب لي في مغارة نتعبد ونقول : غداً يفتح علينا ، وهكذا وطال علينا الأمر ، فبينما نحن كذلك يوماً دخل علينا رجل من باب المغارة فسلم فرددنا عليه ثم قلنا له : من أنت ؟ فقال : عبد الملك ، فعلمنا أنه من أولياء الله ، فقلنا له : كيف أنت ؟ فقال كالمنكر علينا : كيف أنت ؟ كيف أنت ؟ كيف حال من يقول : غداً يفتح علي فلا فتح ولا فلاح ، ولا دين ولا دنيا ، يا نفس لم لا تعبدن الله مخلصاً له الدين ، قال الشيخ : فعلمنا من أين أتينا (23) ورجعنا على أنفسنا باللوم ، وقلت : يا نفس ، أي شيء أنت حتى تطلبي ما تطلبين أو كلاماً هذا معناه ، فقال فجاء الله تعالى بالفتح أو موهبة من الله تعالى بلا واسطة سبب ، وما ذلك على الله بعزيز .

وبالجملة فدواعي النفس صعبة الانفصال عن الإنسان، ومع ذلك فهي (24) معينة في بابها « إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » (25) ، ومتى وافق الحق الهوى فزبد وعسل .

ثم <إن> (26) التجرد العام ، والصفاء التام ، عزيز الوجود ، ومن ثم قال الشيخ أبو العباس بن العريف (27) رحمه الله : علق العباد بالأعمال ، والمريدون بالأحوال ، والعارفون بالهمم ، فالأعمال للجزاء ، والأحوال للكرامات ، والهمم للوصول ، والكل عمى وتلبيس ، إلى أن قال : وإنما يبدو الحق عند اضمحلال الرسم ، وما سوى الله حجاب عنه ، فهذا مقام التحقيق ،

(22) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسيني الإدريسي إمام الطائفة الشاذلية وقد ترجمناه سابقاً.

(23) في المخطوطات الثلاث وكذا في الفاسية : « أوتينا » وهو خطأ صوابه ما كتبناه .

(24) كذا بالأصل وفي غيره : « هي » بدون الفاء .

(25) ما بين القوسين عبارة حديث ورد في « الصحيحين » وفي « مسند ابن حنبل » و« مسند الدارمي » .

(26) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(27) تقدم التعريف به .

ولكن لمن أهل له وبلغه ، وليس للمرء أن يلزم به المرید بأول قدم ، ولا أن يطمع بحصوله لكل متوجه ، ولا أن من لم يحصل له فليس من أهل الطريق ، **< كلاً >** (28) لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله .

والربّاني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وما على العبد إلاّ تعاطي الأسباب ، وعلى الله فتح الباب ، وهو موهبة وخصوصية من الحق لا تنال بمقياس ، فمن أراد الله تعالى توصيله طوى عنه مسائف (29) نفسه ، ومحا عنه وهمه ، فإذا هو عند ربه ومن أراد أن يمادّه في ميدان أو هامه بقي فيها بقاء بني إسرائيل في التيه .

أما ترى إلى قول الشيخ عبد السلام بن مشيش في برد الرضا والتسليم :
أخاف أن تشغلي حلاوتهما عن الله تعالى : فنقول : نعم ، ثم لو جرد عن تلك الحلاوة لأوشك أن يشتغل بذلك التجريد عن الله تعالى ما دام يلاحظه ، فإن كل ما سوى الله حجاب عنه ، ثم هكذا في التجرد عن التجرد والفناء عن الفناء إلى ما لا يتناهى حتى يقطع الله تعالى ذلك بموهبته لمن اختصه من عباده .

(28) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(29) جمع مسافة ، وهي البعد ، والقياس أن تكون «مساف» بالواو ، لأنها من ساف يسوف سوفاً ، قال صاحب «الصحاح» : «سفت الشيء أسوفه إذا شمته ، والمسافة البعد ، وأصلها من الشم ، وكان الدليل إذا كان في فلاة أخذ التراب فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم على جور ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد مسافة» هـ ، منه . وجاء في «أساس البلاغة» للزنجشيري قوله : «ومن المجاز : كم مسافة هذه الأرض ؟ وبيننا مسافة عشرين يوماً ، وبينهم مساف ومراحل ، جمع مسافة قال ذو الرمة :

فقام إلى حرف طواها بطية بها كل لماع بعيد المساف

وأما الوجه الثاني فإن هذا الكلام يوهم قلوب عوام المريدين أن الولاية لا تطلب رأساً ، وأن المرید متى طلب من الله تعالى أن يرزقه الولاية أو الفتح أو المعرفة أو القرب أو الوصول أو نحوها ، أو تشوف (30) إلى شيء من ذلك فهو معلول السلوك ، أو هالك مقطوع ، وهذا غلط وجهل ، كيف والعبد مأذون له أبداً أن يسأل مولاه ويطلبه في حوائجه من أدناها كشراك النعل فإنه إن لم ييسره لم يتيسر إلى أعلاها كرضاه ، فإذا طلب من مولاه أن يرزقه ما رزق أوليائه (31) في الدنيا والآخرة فأبي حرج عليه في ذلك إذا وقف على حدود الأدب ؟ وإنما حذر الناس من العلل والصوارف ، وذلك أن يكون الباعث له على الانتهاض إلى السلوك والاشتغال بالعبادة إنما هو حصول الولاية مثلاً ، فإنه حينئذ يفوته الاخلاص في عبادته فيفسد أمره ، ويكون ما يرجو من الولاية مثلاً شاغلاً لفكره وسره عن الله تعالى .

فأما من عرف الحق وأن العبد يعمل تعبداً والمولى يعطي تفضلاً لا غير وانتهض على ذلك الوجه يعبد الله تعالى امتثالاً لأمره ، وأداء لحق ربوبيته جهد الاستطاعة ، وعكف بسرّه على مولاه ثم طلب الولاية مع ذلك ترامياً على باب مولاه وسيده ورجاء للنيل من مائدته الموضوعه للخيار فلا بأس عليه ، ولا مذمة تلحقه ، ولا علة تدخل عليه ما دام على هذه الحال .

نعم الناس في أمر الطلب والدعاء لا في هذه ولا في غيرها صنفان : **<صنف>** (32) **يسلم ويفوض ولا يطلب** ، **<وصنف يطلب>** (33) وذلك **<بسبب>** (34) اختلاف المشارب وتباين الشهادات ، فمن أشهده الله تعالى كونه عبداً مملوكاً مكفولاً بعين مولاه وفي حياطته لم يبق له دعاء

(30) كذا في الأصل ، ومثله في ح ، أما ك و س ففيهما : « تشوق » بالقاف .

(31) العبارة في الفاسية جاءت هكذا : « أن يرزقه الولاية في الدنيا والآخرة » .

(32) ما بين العلامتين ساقط من س .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(34) ما بين العلامتين ساقط من س .

ولا طلب ، بل التوكل والتسليم وانتظار القسمة السابقة ، وله في هذا مشارب ،
 فقد يلاحظ حياة المولى وكفالاته فيستغني ، وقد يلاحظ انبرام القسمة وأن
 الدعاء لا يزيد فيها ولا ينقص فيمسك ، وقد يلاحظ علم الله تعالى وقدرته
 وجوده فيستحيي . إذ لا ينه إلا غافل ، ولا يستنهض إلا عاجز (35) ولا
 يستعطف إلا بخيل ، إلى غير هذا من الواردات ، وقد يلاحظ إساءته وتقصيره
 في الخدمة فيستحيي أن يطلب ، ومن أشهده الله تعالى < كونه > (36)
 عبداً فقيراً محتاجاً إلى سيده لا يستغني عنه لحظة ، وقد أذن له في رفع حوائجه
 إليه فليس إلا الدعاء والطلب ، وله في ذلك أيضاً مشارب ، فتارة يترسل
 مع وصفه من الافتقار واللجأ إلى مولاه ، وتارة يرى تعاطي ذلك وإظهاره
 هو اللائق بالعبودية ، وتارة يلاحظ امتثال أمر الله تعالى حيث طلب من عباده
 أن يدعوه ، وذلك كله من غير التفات إلى حاجة تقضى ولا ثمرة غير ما حصل
 له من التعبد والمناجاة والتذلل بين يدي الملك الجليل ، وناهيك بذلك ثمرة
 < مع > (37) ما يرجى أن يستتبعه ذلك من رضوان الله تعالى ، وهو نهاية
 السؤل (38) وغاية المأمول ، وهذا كله لمعرفته بأن القسمة قد سبقت لا تزداد
 ولا تنقص ، ومحال أن يكون الدعاء اللاحق ، سبباً للعطاء السابق ، فلم يبق
 إلا أن الدعاء عبادة وتأدب مع الرب تعالى ، والرب يفعل ما يشاء [ويحكم
 ما يريد] (39) ، وقد يلاحظ أن من جملة ما يقضى ترتب بروز العطاء على
 الدعاء ، وأن الاشتغال بالدعاء سبب كسائر الأسباب فينتهض لإقامة الحكمة
 في تعاطي الأسباب وامتثال أمر الله تعالى في ذلك إذ أقيم < فيه > (40) وهذا

(35) في الفاسية : « عاجل » بدله ، وهو ظاهر الخطأ .

(36) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(37) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(38) في ك : « السؤل » بدل : « السؤل » الذي تستقيم به السجدة .

(39) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(40) ما بين العلامتين ساقط من ح .

الوجه هو الذي يظهر من أحوال من يتحرى أوقات الاستجابة وأسبابها من الصالحين ، والأوجه كلها حسنة لا يخرج المتلبس بشيء منها عن الخصوصية ، نسأل الله تعالى أن يمنحنا حسن الأدب بمنه .

ثم الداعي أيضاً له حالتان ، لأنه إما أن يشهد حال نفسه من الإساءة والتقصير والحساسة (41) الذاتية والدلة والمهانة فلا يدعو إلا بما يناسب ذلك من العفو والمغفرة والنجاة من النار والإقالة واللفظ ونحو ذلك ، وفي هذه الحالة قال القائل : تجرأت البارحة فسألت الجنة ، وقال الآخر : سبحان الله متى خرجنا من النار حتى نطلب الجنة ، وإما أن يشهد وصف ربه من الكرم والجود والفضل ، أو يشهد أنه عبد للملك العظيم ، ويلاحظ نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَأَعْظِمُوا الْمَسْأَلَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ » فيدعو بما يناسب ذلك من الجنة والدرجة العلية ، والرضوان والمعرفة ، والمحبة والقرب والولاية ، ونحو ذلك ، ولا شك أن الحالة الأولى هي أنسب بالعبد في هذه الدار وأسلم له ، ولكنه بيد الله تعالى يتصرف ويتلون بحسب سابق المشيئة .

وأما الحلاوة فمن جهة ما ذكرنا من التدريج ، فإننا نود أن لو وجد المسرف حلاوة للطاعة وتبعها حتى يترك فسقه ويتمرن على العبادة ، فعسى أن ينقله الله إلى حالة أخرى أرفع ، وقد تكلمنا فيما لسنا من أهله وتعدينا طورنا ، فنستغفر الله تعالى .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(41) في القاسية : « الحسارة » بالراء والظاهر أنه تصحيف .

[تدبر العقل في أسرار الكون]

اعلم أن الله جل اسمه بلطيف حكمته وبديع صنعته خلق العقل وجعل غذاءه العلوم والمعارف ، ويسر له الاستعداد من الموجودات قال تعالى : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب) وقال تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم) فما من شيء يبرز في الوجود من السماء والأرض وما بينهما إلاّ ويمكن أن يكون للعقل فيه غذاء بمحصل علم أو علوم ، ويختلف ذلك باختلاف العقول فطنة وجموداً أولاً ، وباختلاف مواهب الله تعالى وفتوحه ثانياً ، ويجري ذلك في الجواهر والأعراض وما لها من الكميات والكيفيات والهيئات ، فمن رزقه الله تعالى فطنة استفاد من الأمور ما يستغربه أهل الجمود (1) .

ومن هذا ما وقع للحكماء في البرهان وفي الفلسفة وفي الهندسة وفي أنواع الصنائع والحرف وأصناف الحيل وضروب الغرائب في الأفعال والأقوال ، ومن رزقه الله تعالى فهماً من لدنه ونوراً كان أقوى وأكثر ، حتى لا يكاد يطير طائر إلاّ استفاد من طيرانه ، أو يصر (2) باب إلاّ استفاد من صريره ، أو يتكلم متكلم إلاّ استفاد من كلامه ، ما لم يرده المتكلم ولم يخطر له ببال ، وهذا مشهور عند أهل الطريق من العارفين والمحبين والمرئدين الصادقين (3) رضي الله عنهم .

الله الأمر من قبل ومن بعد

(1) في ك : « الجحود » .

(2) في ح : « يضرب » .

(3) في ك و س : « الصديقين » وفي ح : « والصديقين » بالعطف .

[تذوق الصوفية معاني الآيات والإشارات
وتأويلها حسب المقامات]

وقد قال أبو نواس في مملوحه :

تغطيت عن دهري بظل جناحه فعبني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني (1)
فكان هذا مشرباً عندهم في حق أهل كهف الإيواء من الأصفياء الأخفياء
رضي الله عنهم ، وهو واضح .

وقال أيضاً في الحمريات :

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على (2) الصغار

فصار عندهم موعظة في الإكثار من العمل الصالح والتشمير للترود
للمعاد ، ولا سيما عند إيناس قرب الأجل ، وخشية فوات الأمل . وقال أيضاً:
دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء (3)

(1) قد مر تخريج البيتين .

(2) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ح : « عن » بدل « على » .

(3) البيت مطلع قصيدة في ديوانه وبعده :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء
ومنها البيت المشهور :

فقل لمن يدعي في العلم معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

فصارت مشرباً للمحبين أهل الشوق والذوق ، رضي الله عنهم .

وفي مناقب الشيخ أبي الحسن الشاذلي (4) رضي الله عنه ، أنه في مسيره إلى المشرق ، وكان في محفته ، فكان فتيان ذات يوم يمشيان تحته في ظلها ثم جعلتا يتحدثان ، فقال أحدهما <للاخر> (5) : يا فلان مالي أرى فلاناً يسيء إليك وأنت تتحمل منه ؟ فقال له : والله ما كان ذلك مني إلا لأنه (6) من بلدي فكنت كما قال القائل :

رأى المجنون في البيداء كلباً فجعله من الإحسان ذيلاً
فلاموه على ما كان منه وقالوا : لِمَ أنلت الكلب نيلاً
فقال : دعوا الملام فإن عيني رأته مرة في حي ليلى

فسمعه الشيخ فتواجد وجعل يقول :

فقال : دعوا الملام البيت .

ويكرره ثم خلع غفارته (7) ورمى بها إلى الفتى المنشد فقال له : أنت أولى بها يا بني .

وفي « لطائف المنن » (8) : أنشد إنسان بحضرة الشيخ مكين الدين الأسمر

(4) تقدمت ترجمته .

(5) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(6) في ك و س و ح : « أنه » بدون اللام .

(7) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : غفاريته .

(8) هو كتاب « لطائف المنن » في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن « ،

تأليف الشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري

المتوفى سنة 709 هـ . وهو مطبوع .

– رضي الله عنه – قول القائل (9) :

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح إفتارا
الراح شيء شريف أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
فأنكر بعض الحاضرين على المنشد وقال له : لا يجوز إنشاد مثل هذا
الشعر فقال الشيخ للمنشد : أنشد فإن هذا – < يعني > (10) المنكر – رجل
محبوب .

وفي أبيات عبد الصمد (11) بن المعتدل (12) المشهورة حيث يقول :

يا بديع الدل والغنج لك سلطان على المهج
إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج

مشرب عظيم لهم أيضاً .

وقد سمع صوفي هذا البيت من جارية فتواجد وصاح ولم يزل كذلك
حتى مات .

[(13) ومن أجل ما يذكر في هذا الباب وأعذبه ما ذكره الشطبي في

(9) هو أبو نواس الحسن بن هانيء الشاعر العباسي الشهير .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(11) من شعراء الدولة العباسية ولد بالبصرة ونشأ بها وتوفي حوالي سنة 240 هـ .

(12) ضبطه القاضي عياض في المدارك وهو يترجم أخاه أحمد بن المعتدل الفقيه المالكي فقال :

« وأبوه المعتدل بن غيلان بذال معجمة مفتوحة مشددة كذا ضبطه الدارقطني وغيره » .

(13) ما بين المعقوفين غير ثابت في الأصل ولا في مخطوطة أكنسوس ، وهو مثبت في الطبعة

الفاسية ، وهو قد كتب على هامش المخطوطة الكتانية بنسخ الخط الناسخ . وكتب على هامش

الطبعة الفاسية بشأن هذا الخبر ما يأتي : « نص ابن حجر الهيثمي وغيره على أن هذه

القضية موضوعة » . وكتب على حاشية المخطوطة الكتانية بشأنه أيضاً ما نصه : « اعلم

أنهم قالوا في هذا الحديث : لو صح لكان أصلاً للصوفية في هذا الباب » .

« أذكاره » قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الصفة رضي الله عنهم ومعه ابن عباس فوجدهم يتناشدون الشعر فيما بينهم ، فلما رأوه أمسكوا إجلالاً له صلى الله عليه وسلم ، فلما استقر جالساً قال صلى الله عليه وسلم : هل فيكم من ينشدنا شيئاً من الشعر؟ قالوا : نعم يا رسول الله صلى الله عليك ، ثم أنشأ بعضهم :

في كل صبح وكل إشراق تبكي جفوني بدمع مشتاق
قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رؤيتي ودرياتي (14)

فتواجد صلى الله عليه وسلم حتى سقط رداؤه عن جسده فأعطاه أهل الصفة وكانوا أربعين رجلاً فقطعه عليهم أربعين قطعة صلى الله عليه وسلم .

وهذا النوع لا يحصى ، وفيه يطيب لهم السماع ، ويقع الوجد عند الاستماع ، وإنما أردت أن ننبه (15) فيه حيث انجذب الحديد إليه (16) على معنى إيقاظاً وإمتاعاً .

فاعلم أن فهم المعنى عند سماع لفظ القائل (17) يكون على وجهين : أحدهما أن يكون للدلالة اللفظ المسموع عليه (18) في الخارج إما حقيقة وإما مجازاً ، إما لغة وإما عرفاً .

(14) الدرايق بالكسر ويقال الترياق بالتاء دواء مركب يستعمل في دفع أذى السموم .

(15) كذا هو بالنون في الأصل ، ومثله في ك و س ، وفي ح وحدها : «أنبه» وهو يتساقق مع قوله : «أردت» قبله .

(16) في س : «فيه» بدل : «إليه» .

(17) في ح : «الغافل» وهو بلا شك تصحيف .

(18) في ك : «إليه» بدل «عليه» .

ثانيهما أن يكون كذلك في وهم السامع ولا حاصل له في الخارج ،
فتحصل له الفائدة بحسب ما طرق وهمه .

أما الوجه الثاني فهو بحسب الخارج في حكم السماع من غير اللفظ كصير
الباب وصوت الطائر ، ومثاله ما ذكر التاج ابن عطاء الله أن ثلاثة نفر سمعوا
<صائحاً> (19) يقول : « يا سَعَر بَرِّي » فسبق إلى فهم واحد منهم أن
الصائح يقول « اسعَ تَرَ بَرِّي » > وفهم الآخر أنه يقول : « السَّاعَةَ
تَرَى بَرِّي » (20) وفهم الآخر أنه يقول : « يا سَعَةَ بَرِّي » ، وكان سماع
الثلاثة جميعاً من الحق تعالى إلا أن كل واحد فهم على حسب حاله .

أما الأول فكان سالكاً مبتدئاً ، فورد عليه الأمر بالسعي والجد مع ما
يفيد تنشيطه (21) من الترجية (22) برؤية البر بكسر الباء ، وهو الإحسان
والفضل من الله تعالى .

وأما الثاني فكان سالكاً تطاول به السير ، فورد عليه التنفيس والتبشير
برؤية البر الساعة .

وأما الثالث فكان واصلاً <قد> (23) شاهد الفضل فورد عليه الخطاب
على وفق شهوده بأن بر الله تعالى ما أوسع ! فهذه فهم اختلفت وفصلت
من إلقاء الله تعالى عليها ما فهمت (24) بسبب مجرد مناسبة ما في اللفظ المسموع

(19) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(20) ما بين العلامتين سقط من الكتانية ، وكتب ناسخ الكتانية بخط يده على الطرة بإزائه ما لفظه
بالحرف : « بقي الثالث ولم يذكره في نسخة أخرى » .

(21) في ح : « تقسيطه » بقاف وسين وهو بلا شك تصحيف .

(22) في ك : « التوجيه » وهو تحريف .

(23) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(24) في ك وحدها : « فهمته » موصولا بالضمير .

وإن لم يكن طبقاً (25) لها لا إفراداً ولا تركيباً ولا حقيقة ولا مجازاً ، فإن القائل إنما أراد السعتر المعروف البري بفتح الباء ، أي غير البستاني ، فسبحان اللطيف الخبير .

وأما الوجه الأول فهو الكثير المشهور ، وذلك أن يسمع لفظ (26) مشترك أريد به معنى فيفهم معنى آخر من معانيه ، أو حقيقة أريد به معناه فيفهم مجازه ، وقد يتعدد الفهم بحسب الاحتمال الواقع في التركيب وفي الضمائر ونحو ذلك .

ولا بد أن نورد من ذلك أمثلة يتضح بها ما قررنا ليكون مأخذاً في هذا الباب ، ومصباحاً يستضيء به ذوو الألباب .

فمن ذلك ما وردت عليه فهم الناس قبلنا كما مرّ من الأبيات ، فنشير إلى مأخذ الفهم منه ، ومن ذلك ما يسنح للخاطر الآن ، فأما أبيات أبي نواس فهي كلها واضحة في إشاراتها (27) ، وكذلك أبيات الفتي ، فإن ليلي عبارة عن المحبوب <عند> (28) السامع إما خالقاً وإما مخلوقاً واحداً أو جماعة كأهل الله وطائفة المحبين والمنتسبين ، أو المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو سنته (29) ، أو نحو ذلك مما يخطر في (30) البال ، وأما أبيات مكين الدين فالراح فيها عند السامع هنا هي انحرمة الربانية القلبية ، وهي لطف من الله تعالى ونور يرد على القلب فاستعاروا له اسم الخمر للشبه الواقع في اللذة والانفعال ، وهو الصهباء <أيضاً> (31) وبعد البيتين :

(25) في ك وحدها : « مطابقاً » .

(26) في ك وح : « اللفظ المشترك » بالتعريف .

(27) في ك : « إشارتها » بالإفراد .

(28) ما بين العلامتين ساقط من س .

(29) في ك وح : « سنة » بدون إضافة إلى الضمير .

(30) في س : « بالبال » .

(31) ما بين العلامتين ساقط من ك .

يا من يلوم على صهباء صافية (32) خذ الجنان ودعني أسكن النارا

أي خذ جنان الشهوة وراحة النفس ودعني أسكن نار الشوق ، فافهم ،
والأوزار يفهم منها أعباء المحبة والشوق وما يتحمله أصحاب ذلك .

وقد وقع لي ذكر لهذا المعنى في أبيات من قصيدة طويلة وهي :

فلولا هوى نجد وطيب نسيمها وريح خزامها (33) إذا ساوق الفجرا
وعذب فرات سلسبيل سخت به أكف الغوادي في حدائقها غمرا (34)
ومشمولة (35) صهباء ما قَطَّ شابها

بِراووقه (36) الحاني (37) ولا حلت القيدرا (38)

بها هامت الأرواح من قبل خلقنا ومن بعد ما كنا وإذ نبلغ الحشرا

(32) في ح : « أشربها » بدل : « صافية » .

(33) في « مصباح الفيومي » : « الخزامى بألف التانيث من نبات البادية ، قال الفارابي :
وهو خير البر ، وقال الأزهري : بقلة طيبة الرائحة ، لها نور كنور البنفسج » .

(34) هو بفتح الغين الماء الذي يعلو الأشياء ويغمرها .

(35) في « الصحاح » غدير مشمول : تضربه ريح الشمال حتى يبرد ، ومنه قيل للخمر : مشمولة
إذا كانت باردة الطعم » .

(36) في « الصحاح » : « راق الشراب يروق روقاً أي صفا ورووقته أنا ترويقاً والراووق
المصفاة » .

(37) الحاني بتخفيف الياء ، وأصله الحاني بتشديدها نسبة إلى الحانة ، وهي دكان الخمار ، أو
هو منسوب إلى الحانوت ، قال صاحب « التاج » من مادة « حنت » : « والنسبة إلى
الحانوت حاني وحانوي ، قال الفراء : ولم يقولوا حانوتي ، قال ابن سيده : وهذا نسب
شاذ البتة ، لا أشد منه ، لأن حانوت صحيح وحاني وحانوي معتل » .

(38) يريد أنها ليست من الطيبخ بل هي خمر عثقت في الدنان تعتيقاً .

فكم ولتهت فكر ابن عيسى (39) ومالك (40)

وكم أطربت سهلاً (41) وكم شغلت (42) بشرا (43)
إذا ما تحساها الفتى لم يخف بها جناحاً ولكن يرتجي عندها يرا
تحمّله الأوزار غير مذمّم بأعبائها العظمى ولم يحمل الوزرا
وتبرد غلات الحشا وتشبهها

أواراً (44) وتعطي الرشد والسفه الحجرا (45)
وتورثه قبضاً (46) وبسطاً وفرقة وجمعاً ونسياناً وتورثه ذكرا

- (39) يريد أبا يزيد طيفور بن عيسى بن آدم البسطامي الزاهد المشهور المتوفى سنة 261 هـ .
(40) نظن ظناً أنه أراد بمالك أبا يحيى مالك بن دينار البصري ، وكان عالماً ورعاً ، غلب عليه خوف الله عز وجل والحشية منه سبحانه وتعالى ، وكان غاية في هضم النفس والزراية عليها ، قال عن نفسه : « إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف » . وقال « لو وقف ملك بباب المسجد وقال يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه » . وقال له رجل يوماً : « يا مرائي ، فقال : « متى عرفت اسمي ما عرف اسمي غيرك » وقال : « لولا أنني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدا ن كما يصنع بالعبد الآبى » . توفي مالك سنة 131 هـ .
(41) ترجمه السلمي في « طبقاته » (ص 206 - 211) فكان بما قال فيه : « سهل بن عبد الله ابن يونس بن عيسى التستري ، وكنيته أبو محمد أحد أئمة القوم وعلمائهم ، والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص ، وعيوب الأفعال . توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين » .
(42) في س : « أشغلت » بصيغة الرباعي وفي ح : « شغفت » بدل شغلت وأشغلت .
(43) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمان بن عطاء المروروزي ، من كبار الصالحين ، وأعيان الأتقياء ، ومشاهير الزهاد ، والملقب بالخاني ، وكان سبب اللقب أنه طلب من إسكاف شسعاً لإحدى نعليه فرده وقال : ما أكثر كلفتكم على الناس فألقى بشر بالنعل وأقسم على أن يمشي حافياً مدى الحياة ، وكانت وفاته سنة 226 هـ .
(44) الأوار كغراب : حر النار ، وهو أيضاً حر الشمس ، وشدة العطش .
(45) الحجر بكسر الحاء : العقل .
(46) في « تعريفات الشريف الجرجاني » ما نصه : « القبض والبسط هما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء ، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن ، والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل ، مكروه أو محبوب ، والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت ، يغلب على قلب العارف من وارد غيبي » .

فلولا رجاء الفوز منسا بشربة
تداوي عقابيل (47) الهوى والحوى المغرى

لكانت أكف البين تصدع بالحوى زجاجة أحشائي فلا أملك الجبرا

فكل ما في هذه الأبيات من ذكر الصهباء وكذا نجد وريح الخزامى
والعذب والفرات كل ذلك استعارات ، وجرى الشعر على أسلوب العرب
في الحنين إلى نجد ومنايته ، وهو ما ارتفع (48) من بلادهم ، وكل أحد
نجده ما توجه إليه ، وإن لا يرتفع حساً فهو مرتفع معنى فافهم .

وأما أبيات ابن المعتدل فالبيت فيها عند السامع هو القلب ، والساكن
فيه هو الحق تعالى شهوداً وحضوراً .

وفي الحديث القدسي : « لَمْ يَسْعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَوَسِعَنِي
قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ » . والوجه وجهه ، والضماير تعود إليه ، وهاهنا
مزلة تقشع منها الرؤوس ، وتشمثر النفوس .

حكى الإمام الرازي (49) - رحمه الله - في كتاب « الإشارات في
التعبير » ، قال : أخبرنا أحمد بن أبي عمرو الصوفي بمكة - حرسها الله -

(47) في « اللسان » : «العقابيل بقايا العلة والعداوة والعشق، وقيل هو الذي يخرج على الشفتين غب
الحصى ، الواحدة منها جميعاً عقبولة وعقبول .»

(48) كذا بالأصل ، ومثله في الطبعة الفاسية ، وجاء في ك : « وما يرتفع » وجاء في س : « ولا
يرتفع » وكل ذلك لا يفصح عن معنى مبين .

(49) المنسوبون إلى الري من أهل العلم والتقوى خلق كثير ، ولم نتبين أهم هذا الذي وصفه
الشيخ اليوسي بالإمام ، ولم نتعرف كذلك على الكتاب الذي نسب إليه بعد التفتيش عنه في
فهارس الكتب ومعاجم المصنفات .

قال : أخبرني أبو بكر الطوسي ، قال : قال عثمان الأحول تلميذ الحراز (50) - رضي الله عنه - : بات عندي أبو سعيد ، فلما مضى بعض الليل صاح بي : يا عثمان ، قم أسرج ، فقممت وأسرجت ، فقال لي : ويحك رأيت الساعة كأنني في الآخرة والقيامة قد قامت ، فنوديت فوقفت بين يدي الله تعالى وأنا أرتعد ، لم يبق علي شعرة إلا وقد قامت ، فقال [جل وعلا] (51) : أنت الذي تشير إليّ في السماع وإلى سلمى وبثينة ، لولا أنني أعلم أنك صادق في ذلك لعذبتك عذاباً لم أعذب به أحداً من العالمين ، انتهى . فنعوذ بالله من جسارة ، تؤدي إلى خسارة . وقد وقع في هذا الخطر ابن الفارض ، وابن سبعين والششتري وأضرابهم (52) ، وهو باب ضنك ، وللعبد في مطرح النعال ، سعة عن جناب الكبير المتعال .

وقد يكون السامع في فهمه أخف حالاً من المعبر ، فإن الفهم أقرب إلى

(50) رسمت الكلمة في الأصل هكذا : « الحراز » بالخاء المهملة وزاي في الآخر ، وكتب في ك و ح « الحرار » بالخاء المهملة ورائين مهملتين ، والصواب فيها : « الحراز » بالخاء المعجمة والراء المهملة ، وزاي في الآخر وهو الذي في س ، والحراز ترجمه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص 228) فقال : « أبو سعيد الحراز واسمه أحمد بن عيسى ، وهو من أهل بغداد ، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم ، قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين » .

(51) ما بين العلامتين إضافة من ك و ح .

(52) كتب الشيخ زروق في « قواعده » ما نصه : « حذر الناصحون من « تلييس ابن الجوزي ، وفتوحات الحاتمي » ، بل كل كتبه أو جلها ، كابن سبعين ، وابن الفارض ، وابن حلا ، وابن سوزكين ، والعميف التلمساني ، والأيكبي العجمي ، والأسود الأقطع ، وأبي إسحاق التجيبي ، والششتري ، ومواضع من « الإحياء » للغزالي جعلها في المهلكات منه ، والنفخ والتسوية له ، والمضنون به على غير أهله ، ومعراج السالكين له ، والمنقذ من الضلال » ، ومواضع من « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، وكتب السهروردي ونحوهم فلزم الحذر من شوارد الغلط ، لا تجنب الجملة ، ومعاداة العلم » .

الغلبة ، والتعبير أقرب إلى الاختيار ، ومثال ما سنح في فكري مما حضر (53)
لي الآن قول امرئ القيس :

[الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

وتقدم شرحه] (54) وقوله :

أرانا موضعين لحم غيب ونسحر (55) بالطعام وبالشراب

الأبيات (56) ، فإن هذه القطعة موعظة عظيمة في ذكر الآخرة والزهد
في الدنيا وإن لم يقصد نفس ذلك المعنى ، ويزيد العاقل فيقول : هذا رجل

(53) في س و ح : « خطر » بالطاء .

(54) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(55) في المخطوطات الثلاث « ونسخر » ومثله في الفاسية .

(56) في طرة الكتافية بخط ناسخها ما يأتي بالنص : « وبعده كما أحال عليه حسبما هو مثبت
في نسخة أخرى :

عصافير وذبان ودود	وأجراً من مجلحة الذئاب
وكل مكارم الأخلاق صارت	إليه همتي وبه اكتسابي
فبعض اللوم عاذلي فإني	ستكفيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي	وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سوف يسلبها وجرمي	فيعلقني وشيكاً بالتراب
ألم أنص المطي بكل خرق	أمق الطول لماع السراب
واركب في اللهام المجرحتي	أنال ماكل القحم الرغاب
وقد طوفت في الآفاق حتى	رضيت من الغنيمة بالإياب
أبعد الحارث الملك ابن عمرو	وبعد الخير حجر ذي القباب
أرجي من صروف الدهر لينا	ولم تغفل عن الصم الهضاب
وأعلم أنني عما قريب	سأنشب في شيا ظفر وناب
كما لاقى أبي حجر وجدي	ولا أنسى قتيلا بالكلاب

وجاء نص الشعر أيضاً في الطبعة الفاسية .

دهري (57) < كان > (58) لا يؤمن بيوم الحساب ، قد مقت الدنيا لمجرد ما رأى من الانتقال عنها إلى الفناء ، فكيف لا يمقتها من يؤمن بالجنة وأن الدنيا لا تساوي شيئاً إذا قيست إليها ولا تزن عند الله جناح بعوضة ، وان الاشتغال بها < يعوق > (59) عن الملك العظيم ، والنعيم المقيم ، ويعرض للحساب الشديد والعذاب الأليم ، وقوله :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

فإن العابد يفهم منه أنه لو كان يسعى للمعيشة الدنيا الحسيسة الفانية لكفاهُ أدنى شيء ، ولكنه يسعى للملك العظيم ، في دار النعيم ، وهو المجد حقاً ، فليس إلاّ الجِدّ والاجتهاد ، ومسامرة النوافل والأوراد ، والعارف يفهم منه أنه (60) لو كان يسعى لمجرد التنعم (61) في الجنة لكفاه إقامة الرسم الشرعي ، والوقوف عند الحد المرعي ، ولكنه يسعى للوصول والنظرة ، والحضور والحضرة ، فليس إلاّ زيادة الاعتناء بصفاء الأسرار ، والفناء عن الأغيار ، وقوله :

تنورتها من أذرعَاتِ وأهلها بيثربَ أدنى دارها نظر عال

فإن المرید قد يفهم منه < أن > (62) الضمير للحقيقة ، وأهلها بيثرب

(57) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « وينسب الرجل الذي يقول يقدم الدهر ولا يؤمن بالبعث دهري بالفتح على القياس ، وأما الرجل المسن إذا نسب إلى الدهر فيقال : دهري بالضم على غير قياس » .

(58) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(59) ما بين العلامتين ساقط من س .

(60) كذا بالأصل وفي سواه : « أن » بدله .

(61) في ح وحدها : « التنعيم » .

(62) ما بين العلامتين ساقط من س .

وهم (63) محمد وأصحابه صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة (64) أجمعين ،
 وكون نيل ذلك من أذرعته وهو موضع بالشام <مناسب ، لأن الشام > (65)
 مكان مرتفع باعتبار الغور ، وليس يبلغ السالك ذلك إلا بعد بلوغ المنزلة
 الرفيعة <من الاستقامة والطهارة ومن الهمة > (66) الرفيعة فإن العبد يفتح
 له على قدر همته وينظره العالي يقرب الفتح بإذن الله تعالى . بل النظر العالي
 وهو ما يكون إلى الحق دون شيء دونه هو كلية الأمر وعماده ، رزقنا الله
 منه قسطاً وافراً بمنه آمين .

وقول عنبرة :

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها
 إني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللّجوجَ هواها

فإن هذا في باب العفة والتحلي بمكارم الأخلاق في الجملة صريح ، وباعتبار
 الرياضة والمطلوب من التحلية والتخلية عند السالكين إشارة ، وهي كافية
 في المقصود ، لأن مخالفة الهوى هو ملاك الأمر كله ، ومثل هذا لا ينحصر
 في شعر العرب <فقلما يخلو بيت أو أبيات من معنى أو معان فإن الحكمة
 قد أنزلت على ألسنة العرب > (67) .

وقد قال الله تعالى في الشعراء : (أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)
 ومثل ذلك في كلام المولدين ، وقد تقدم من شعر أبي نواس ، وقال أبو الطيب :

(63) في الكتانية : « وهو » .

(64) كذا بالأصل وفي سواه : « أصحابه » .

(65) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(66) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(67) ما بين العلامتين ساقط من ك .

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو اهل
فإنه يفهم منه سوى مقصود الشاعر أمور :

منها أن المنازل هي مظاهر الكائنات كلها ، والقلوب قلوب أرباب
الاعتبار والاستبصار ، فيقول إن لهذه الحوادث في قلوبهم منزلة من الحوادث
والافتقار إلى الفاعل المختار يتعرفون بها وجود الله تعالى وما له من الصفات
[الخلية] (68) والأسماء العلية فهي مقفرة دائرة فانية ، والقلوب عامرة منها
بالتوحيد ، أو منزلة من القلب في مظاهر التصريف يتعرفون منها ما لله تعالى
من الجلال والجمال والعظمة والكبرياء والقهر والبطش والفضل والرحمة
والحلم ، وبالحملة فالكائنات مرتع لأرباب الاستدلال وأرباب الكمال
وَ(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَتَهُمْ) ، أو القلوب قلوب أهل الغفلة
وحب الدنيا ، فيقول إن لهذه الحوادث منزلة في قلوبهم محبة لها وتعظيماً ،
وقد أقفرت هي فلا تنفع ولا حاصل لها ولا بقاء ، وقلوبهم عامرة بها مفتونة
بالنظر <إليها> (69) والكدح (70) عليها ويكون الكلام تقييحاً للدنيا
ونعياً (71) على محبتها .

ومنها أن المنازل منازل السائرين في السلوك أو مقامات الواصلين ،
والقلوب قلوب المتوجهين فيقول : إن لهذه المنازل أو المقامات في قلوبهم

(68) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س قاضفناه رواية عن ك و ح .

(69) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(70) في ك : « الكد » بدل : « الكدح » .

(71) تصحفت هذه الكلمة في الأصل وفي س و ح فكانت فيها : « نعياً » وصحفت في ك تصحيفاً

آخر فكانت : « تصميماً » ولا معنى لهما في سياق الكلام ، والظاهر أن الصواب فيها :

« نعياً » مصدر نعى عليه فعله إذا عابه عليه ، وذكره به في الناس ، قال الجوهري في

« الصحاح » : « فلان ينعى على فلان ذنوبه أي يظهرها ويشهرها » . وفي « أساس البلاغة »

لزنخشري : « من المجاز : نعى عليه هفواته إذا شهره بها » .

مكاناً من المحبة لها والاعتباط وحب الاقتداء بأهلها فيها ، وقد أقفرت هي
بذهاب أهلها ، بانتقاص الزمان ، فإن الإمام الجنيّد كان يقول في زمانه
الفاضل : إن هذا العلم قد طوي بساطه منذ زمان ، وإنما يتكلم الناس في
حواشيه ، أو كلاماً بمعناه ، فما بالك بزمان كل من يسمع هذا الشعر إلى
يوم القيامة ، أو القلوب عامرة بالمحبة والاشتياق من سماع أخبارها ومطالعتها
في الدفاتر ، أو عامرة بالمعارف والأسرار من مطالعتها وسماعها ، فإنه عند
ذكر الصالحين تنزل (72) الرحمة (73) في القلوب ، أو من الاقتداء بما فيها
والنسج على منوالها ، وهو ظاهر ، وقد يفهم من المنازل مواضعهم التي كانوا
يتعبدون فيها من المساجد والرباطات <والخلوات> (74) والبراري التي
دفنوا فيها والتقرير على حسب ما قبله ، وكنت أشرت إلى شيء من هذا
الغرض في أبيات من قصيدة طويلة ، وهي :

يا (75) قمريّ البان نح حزناً على زمن مضى بقوم من الأبرار أمجاد
وسل بنعمان (76) عنهم بعد خيف مني وبالمحصب (77) يوم الهيد والهاد (78)

(72) في ك و س : « تنزل » .

(73) في س و ح : « الرحمت » .

(74) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(75) في « مصباح الفيومي » ما نصه : « القمري من الفواخت منسوب إلى طير قمر ، وقمر ،
إما جمع قمر مثل أحمر وحر ، وإما جمع قمري مثل روم ورومي ، والأنثى قمرية
والجمع قماري » .

(76) نعمان بفتح فسكون اسم لعدة مواضع أعرفها نعمان الأراك ، وهو واد بين مكة والطائف .

(77) بصيغة المفعول مثقلاً ، وهو موضع بين مكة ومنى ، والمحصب أيضاً موضع رمي الجمار .

(78) في « اللسان » : « هاده الشيء هيدا وهاداً أفزعه وكربه ، وما يهيد ذلك أي ما يكثر له
ولا يزعبه ، وما له هيد ولا هاد أي حركة قال ابن هرمة :

ثم استقامت له الأعناق طائفة فما يقال له : هيد ولا هاد

وجاء في « معجم البلدان » لياقوت : « أيام هيد أيام موتان كانت في الجاهلية في الدهر
الأول قيل : مات فيها اثنا عشر ألفاً ، هكذا ذكره العمراني في أسماء الأماكن ، ولا
أدري ما معناه » .

واهتمف بلبنان بعد القدس مصطرخاً
ولا تدع غائراً من كلّ أودية
فتلك أوطان أحبابي وإن نرحسوا
فإن ظفرت بمن يهديك نحوهم
وإن شممت شذا أخبارهم عبيقاً
فتلك غُنيّةُ نفس عاقها قدر
وباللّكام (79) نداء الهائم الصادي
ولا تدع شامخاً من كلّ أطواد
عن مقلتي فهم بالقلب شهّادي
فقد ظفرت بكثر غير نقاد
أبهي من النور في بطحاء مقلاد (80)
أن تدرك المنيّة العظمى بتشهاد

وقد اتفقت لبيت أبي الطيب المذكور حكاية لطيفة تذكر في [باب] (81)
الأذكياء ، وهي أن أبا العلاء المعري كان يعني بشعر المتنبي ، ويستجيده ،
حتى حكى عنه أنه قال : أنا الذي يعني أبو الطيب بقوله (82) :

(79) كذا بالأصل ، واللّكام ذكره ياقوت في «معجم البلدان» فقال : «اللّكام بالضم وتشديد
الكاف ، ويروى بتخفيفها ، وهو الجبل المرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة
وطرسوس وتلك الثنور» . وفي س و ح : «الأكام» قال ياقوت في «معجم البلدان» :
«الأكام - هكذا وجدته بخط بعض الفضلاء ، ولا أدري أراد جبل اللّكام أم غيره إلا أنه
قال : جبل ثنور المصيصة ، واللّكام متصل به ، ولا شك في أنهما جبل واحد ، لأن الجبال
في موضع تسمى باسم ، وتسمى في موضع آخر باسم آخر ، وإن كان الجميع جبلا واحداً ،
قال أحمد ابن الطيب : ويكون امتداد جبل اللّكام نحو ثلاثين فرسخاً ، وعرضه ثلاثة فراسخ ،
وفيه حصون ورستاق واسع» اهـ . وتصحف اللفظ في ك فكان : «الكلام» .

(80) شكل أكنسوس آخر «بطحاء» بالفتح شكل قلم ، وكتب فوق كلمة «مقلاد» من لفظه :
«صفة لبطحاء» وهو غير ظاهر ، وقد بحثنا في معاجم الأمكنة عن لفظ مقلاد فلم نعثر
عليه ، وفتشنا في معاجم اللغة عن معنى يطابقه في سياق الشعر فلم نظفر به .

(81) كلمة باب ساقطة من المخطوطات الثلاث ، وهي واردة في الطبعة الفاسية فأضفناها إلى
الكلام لحاجته إليها .

(82) هو صدر بيت هذا عجزه :

وأسمعت كلماتي من به صمم

والبيت من قصيدته التي مطلعها :

واحر قلباه ن قلبه شيم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

أنا الذي ينظر (83) الأعمى إلى أدبي

ثم إنه حضر يوماً مجلس الأمير (84) فتكلم الأمير حتى وقع في أبي الطيب
وغض منه بعض الغض ، فأراد المعري أن ينافح عن أبي الطيب فقال : أيها
الأمير يكفيك من أبي الطيب قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو اهل

فقطن الأمير وقال لأصحابه : أتدرون ما يقول الأعمى ؟ إنه يشير إلى
قوله في أثناء هذه القصيدة :

وإذا أتتكم مذمتي (85) من ناقص فهي الشهادة لي بسأني كامل

خذوا برجله ، فجر أبو العلاء حتى خرج . فانظر إلى لطافة هذه الأذهان ،
وكيف تلتطف هذا بالإشارة ، وكيف وقع عليها الآخر !

ونحوها ما وقع للكسائي ، وكان وعده الرشيد صلة ثم غفل عنه ، فاتفق
أن سايره يوماً إلى أن مروا بموضع فقال : يا أمير المؤمنين هذا منزل عاتكة
الذي يقول فيه الشاعر (86) :

-
- (83) كذا في المخطوطات الثلاث والرواية المعروفة : « نظر » بصيغة الماضي .
(84) المعروف أن الحكاية كانت بين المعري وبين الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين
الموسوي العلوي ، وكذلك حكاها ياقوت في معجم الأدباء وهو يترجم أبا العلاء .
(85) في الأصل : « مذمة » وكذا في المخطوطة الكتانية والرواية الصحيحة إضافتها إلى ياء المتكلم
لأن الكلام يجري على ذلك .
(86) هو عبد الله بن محمد بن عاصم الأنصاري الملقب بالأحوص شاعر أموي يجيد في الغزل والفخر
والمدح ، واتهم عند الوليد بن عبد الملك بأمر شنيع فأمر بتغريبه إلى جزيرة من أرض
اليمن فكانت وفاته بها عام 105 هـ .

يا بيت عاتكة التي (87) أتعزل (88) حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فتعجب الرشيد من مفاتحة الكسائي له بالكلام ، ولم يكن ذلك أدباً مع الملوك ، ثم نظر فإذا هو يشير إلى قول الشاعر في أثناء القصيدة :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مدق الحديث يقول ما لا يفعل

ففهم ذلك وأمر له بالصلة (89) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(87) صوابه الذي .

(88) في المخطوطات الثلاث وكذا في الطبعة الفاسية : « أتعزل » بالعين المعجمة وهو تصحيف صوابه أتعزل بالعين المهملة أي أتجنب .

(89) الحكاية مروية عن المنصور العباسي في « كتاب الأغاني » للأصفهاني وكتاب « أخبار الأذكياء » لابن الجوزي وكتاب « زهر الآب للحصري » ونهاية الأرب » للنويري « ومستطرف الأبيشيبي » ، ونصها في « زهر الآداب » : « لما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : ابني رجلاً عاقلاً عالماً بالمدينة ليقتني على دورها ، فقد بعد عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتى من أعدل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتدىء بإخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجاهه فاجتاز بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل البيت »

ففكر المنصور في قوله وقال : : لم يخالف عادته بإبتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتاً بيتاً حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مدق الحديث يقول ما لا يفعل

فقال : يا ربيع هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ قال : أخرته عنه - لعله ذكرها الربيع - فقال : عجله له مضاعفاً ، وهذا أطف تعريض من الرجل وحسن فهم من المنصور .

[انتقاد أحد القضاة للمؤلف والرد عليه]

خطر لي الآن كلام فأردت أن أنبه عليه [و] (1) على طرف منه فإن شرحه بطيل (2) وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ المحقق السني أبي عبد الله بن ناصر رضي الله عنه لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون من دينهم وما يحتاجون من أوراد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحسبون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المؤاخاة والمعاونة على البر والنصيحة لا على وجه المشيخة ، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التربية ، ثم إنه جرى من ذلك ما عاداته أن يجري من كلام منكر أو متنصح ، فأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين < بعض > (3) القضاة المتصدرين للدرس (4) فتكلم له القاضي في شأني وقال له على وجه النصيحة فيما زعم : ما ألبأ فلاناً إلى تلقين الأوراد ؟ فهل رأيتم مريداً بشروط الإرادة قط ؟ فلما حدثني بذلك قلت له : هلا قلت له : أما أنا لم نر مريداً كذلك < فهو كذلك > (5) وكيف نراه إلا أن يتداركنا الله برحمته ؟

وقد كان الشيخ أبو العباس زروق يحكي عن شيخه أبي العباس أحمد

-
- (1) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو في ك و ح فأضفناه .
 - (2) كذا بالأصل ومثله في س وأصلحه أكنسوس على طرة مخطوطته : « يطول » أما ك و ح ففيهما : « يطول » .
 - (3) ما بين العلامتين ساقط من ك .
 - (4) كذا بالأصل ومثله في س و ح أما ك ففيها : « للتدريس » .
 - (5) ما بين العلامتين ساقط من س ومن ك .

ابن عقبة الحضرمي رضي الله عنهما أنه كان يقول < لهم > (6) : لو فتشتم من أقصى مشارق الأرض إلى أقصى (7) مغاربها على مرید صادق في أحواله لم تجدوه فكيف بالعارف الكامل ؟ ومع ذلك فانتقاص الزمان وانتقاص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة ، فإن هذا النقص سار (8) في الدين وفي العقول وفي الأوقات (9) وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك ، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة ، وإليه يشير القائل :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

هذا وباليته دام ، فإنه لا يزيد الأمر إلا شدة والخير إلا إدباراً حتى ينقرض انقراضاً غير أن المعتبر في كل زمان ما هو فيه ، وحكم الله تعالى جار في كل بحسب حاله ، والدين مستمر ، والحق ظاهر حتى يأتي أمر الله .

ثم يلزمك أيها الناصح في هذا مثل ما يلزمنا ، وما كان جوابك هو جوابنا ، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينيك متعلماً على شروط التعليم المعتبرة ؟ أو هل رأيت في نفسك شروط المعلم ؟ > فلا بد أن تعرض على نفسك شروط المعلم < (10) وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم ، فإن تجد ذلك صحيحاً ظاهراً أو (11) باطناً فتصدر ، وإن وجدته مختلفاً فكيف يحل لك أن تتصدر ،

(6) ما بين العلامتين ساقط من س .

(7) في س : « من أقصى مشارق الأرض ومغاربها » .

(8) في ك : « سائر » .

(9) في س : « الأوقات » .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن ح .

(11) في ك و س و ح : « وباطناً » مع الواو لامع أو .

وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :
« لا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلَمُوهَا » فإن أجاب بأنه ارتكب
أخف (12) الضررين أو أن العلم أَمْنٌ جانِباً من أن يصل إلى غير أهله أو نحو
ذلك فهو جوابنا بعينه ، والله الموفق المسئول أن يتجاوز (13) عنا بعفوه
ويتغمدنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(12) في ك : « أحد الضررين » .

(13) في ح : « يتجاوز » .

[باب في ملح من الأدب]

رأيت أن ألم بملح من الأدب تمييزاً للكتاب ، وإمتاعاً لذوي الألباب ،
فإن النفس ملول والأذن مجاجة ، وفي التلون والانتقال تطيب لها وتنشيط
كما قيل (1) :

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال
وذلك كله مما يصلح للمحاضرات ويوافق شرط الكتاب ، ويعد من
الآداب .

وقد قال الحسن بن سهل (2) :

(1) قاله أبو العتاهية من قصيدة في ديوانه ، وفي « مروج الذهب » للمسعودي (4 : 17) :
« قال أبو العتاهية : وجه إلي المأمون يوماً فصرت إليه فألفيته مطرقاً متفكراً مغموماً ،
فأحجمت عن الدنو إليه وهو على تلك الحال ، فرفع رأسه وأشار بيده : أن ادن فدنوت ،
فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال : يا إسماعيل ، شأن النفس الملل وحب الاستطراف والأنس
بالوحدة كما تأنس بالألفة قلت : أجل يا أمير المؤمنين ولي في هذا بيت شعر قال : وما
هو ؟ قلت :

لا يصلح النفس إذ كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال
قال : أحسنت ، زدني قلت : لا أقدر على ذلك وآنته بقية يومه » .

(2) مقالة الحسن بن سهل هذه واردة في « زهر الآداب » للحصري (1 : 155) بتحقيق البجاوي
بنصها تقريباً ، وفي « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ص 386 بتحقيق عبد الستار فراج
في سلسلة الذخائر برقم 20) هكذا : « حدثني ابن بكار قال : قال مصعب الموسوس :
العلوم عشرة : ثلاثة كسروية ، وثلاثة يونانية ، وثلاثة عربية ، وواحد عفى على الجميع ،
أما الكسروية فالعدد ، والشطرنج ، والصولجان ، وأما اليونانية فالهندسة ، والطب ،
والنجوم ، وأما العربية فالنحو ، والفقه ، والشعر ، وأما الذي عفى على الجميع فأخبار
المحدثين وأيامهم »

الآداب عشرة : ثلاثة شهرجانية (3) وهي ضرب العود ، ولعب الشطرنج ،
والصوالج ، وثلاثة أنوشروانية ، وهي : الطب ، والهندسة ، والفروسية ،
وثلاثة عربية ، وهي : الشعر والنسب وأيام الناس ، والعاشرة مقطعات
الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجلس ، وهذا عام .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا
لها طرائف الحكمة .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إني لأستجم نفسي من الباطل ليكون
أقوى لها على الحق . وقال الشاعر (4) :

عجباً ممن تناهت حاله وكفاه الله ذلات الطلب
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين نعيم وأدب
مرة جداً وأخرى لعباً فإذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهاراً حقه وقضى لله ليلاً ما يجب

(3) قوله : شهرجانية أي فارسية ، نسبة إلى الشهرج ، مفرد الشهارج وهم الوجوه والأعيان
عند الفرس . وفي طرة من بخط أكنسوس تفسير لهذه الكلمة هذه عبارته بالنص : «نسبة
إلى رجل اسمه شهرجان» .

(4) هو أبو الفتح عمود بن محمد المعروف بكشاجم ، شاعر كاتب ، توفي سنة 350 هـ
والقطعة بتمامها واردة في «زهر الآداب» للحصري ونصها الكامل رواية عنه :

عجباً ممن تناهت حاله وكفاه الله ذلات الطلب
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين : نعيم وأدب
ساعة يمتنع فيها نفسه من غداء وشراب متخب
ودنو من دمي هن له حين يشاق إلى اللعب لعب
فإذا ما نال من ذا حظه فحديث ونشيد وكتيب
مرة جد وأخرى راحة فإذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهاراً حقه وقضى لله ليلاً ما يجب
تلك أقسام متى يعمل بها دهره يسعد ويرشد ويصب

وفي هذا إشارة إلى ما روي في حكمة آل داوود عليه السلام : لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من أربع : عدة لمعاد ، وإصلاح لمعاش ، وفكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده ، ولذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وكان أصحابه يتناشدون ويفيضون في الأنساب وأيام الناس ولا ينكر عليهم ، وذلك كله مشهور .

وقيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً من <أهل> (5) العراق لا يرون إنشاد الشعر فقال : نسكوا نسكاً أعجمياً (6) .

وقيل لابن سيرين : إن قوماً يرون إنشاد الشعر ينقض الوضوء فأنشد :
لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشراً ولو رضيت رمح استهلاستقرت (7)
ثم قام يصلي ، وقيل بل أنشد :
نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

(5) ما بين العلامتين ساقط من س .

(6) في س : « عجيباً » وهو تصحيف .

(7) في « طبقات الشعراء » لابن سلام : « تزوج الفرزدق النوار ابنة أعين فادعت عليه طلاقاً

ونازعته حتى قدمت على ابن الزبير في خلافته ، وتبعها فلجأت إلى أم هاشم بنت منظور بن زبان امرأة ابن الزبير ، ولجأ الفرزدق إلى حمزة وأمه تماضر بنت منظور ، فكان حمزة إذا أصلح شيئاً من أمر الفرزدق قلبت أم هاشم رأي عبد الله إلى النوار ، فقال الفرزدق :

ليس الشفيح الذي يأتيك متزراً مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا

فبلغ ذلك ابن الزبير فلقى الفرزدق فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال :

ألا أصبحت عرس الفرزدق ناشراً البيت »

والبيت لجعفر بن الزبير « انتهى باختصار . والبيت ينسب أيضاً لجرير وهو وارد بديوانه في طبعة الصاوي .

وقيل لأبي السائب (8) المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب فقال :
أما من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

وكان فضلاء هذه الأمة يروون (9) الشعر ويقولونه (10) أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان مصروفاً عنه قول الشعر سداً للذريعة ، وتنزيهاً عن النقيصة ، ونقياً للتهمة ، قال الله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)
وأما غيره صلى الله عليه وسلم فلا محذور عليه في إنشاد الشعر رواية وقولاً ،
فإن الشعر من جملة الكلام ، نعم إذا كثرت ذلك حتى ألهاه عن ذكر الله فهو مذموم ، ولا خصوصية في هذا الشعر .

فما يروى لأبي بكر رضي الله عنه قوله :

تعدون قتلى (11) في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة (12) لما أوقد الحرب وأقد

ومما يروى لعمر رضي الله عنه قوله :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته إلا الإله ويودي المال والولد

(8) في « زهر الآداب » للحصري (1 : 167) بتحقيق البجاوي : « وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة ، وأسم أبي السائب عبد الله ، وكان أشرف أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرف منصبه وحلاوة ظرفه » .

(9) في ك و ح : « يرون » وهو خطأ .

(10) في « التاج » « مادة ودق » : قال الشعبي : « كان أبو بكر شاعراً ، وكان عمر شاعراً ، وكان عثمان شاعراً ، وكان علي أشعر الثلاثة ، ونقله أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح ابن أنثة وذكر مثله جماعة » .

(11) كذا بالأصل ومثله في س وهو جمع قتيل وفي ك و ح : « قتلا » .

(12) في « معجم ما استعجم » للبكري : « نخلة على لفظ واحد النخل موضع على ليلة من مكة » .

لم تُغْنِ عن هرْمَز يوماً خزانته والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له والجن والإنس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ومما يروى لعثمان رضي الله عنه قوله :

تفنى اللذات ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها (13) لا خير في لذة من بعدها النار

ومما ينسب إلى علي كرم الله وجهه :

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمي ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكتي وعرسي (14) منوط لحمها (15) بلدي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها فمن هذا له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً غلاماً ما بلغت أوان حتمي
وصليت الصلاة وكنت رداءً (16) فمن ذا يدعي يوماً كيومي
وأوجب لي الولاء معاً عليكم رسول الله يوم غدير خم (17)

(13) في ح : « مغبتها » وهو تصحيف .

(14) في ح : « عرشي » بالشين وهو تصحيف .

(15) في ح : « حبها » بدل : « لحمها » .

(16) في « أساس البلاغة » للزنجشيري : « هو رداء له : ينصره ويشد عضده ، وردأته وأردأته على عدوه وضيخته أعتته وترادعوا تعاونوا ، ويقال : ترادعوا ولا تدارعوا » .

(17) قال البكري في « معجم ما استعجم » : « غدير خم بضم أوله وتشديد ثانيه » . وفي « معجم البلدان » لياقوت : « خم اسم موضع غدير خم ، وخم في اللغة قفص الدجاج » . وجاء =

وغدير خم بضم الخاء موضع بين الحرمين .

ومن شعره أيضاً وقيل : لم يثبت عنه غيره (18) :

تلکم قریش تمنائي لتقتلني فلا وربك ما برؤا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّي لهم بذاتٍ ودقّينٍ لا يعفو لها أثر

وذات ودقين الداهية (19) .

= في « معجم البلدان » أيضاً : « قال الزمخشري : خم اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة ، وذكر صاحب المشرق أن خم اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها . وتكلم عنه عرام بن الأصبح في كتاب أسماء جبال تهامة فقال : « ودون الجحفة على ميل غدير خم ، وواديه يصب في البحر لا ينبت غير المرخ والثمام والأراك والعشر ، وغدير خم هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبداً من ماء المطر ، وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير » . وروى البكري في « معجم ما استعجم » فقال : « ويغدير خم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وذلك منصرفه من حجة الوداع » .

(18) في « تاج العروس » للزبيدي عند مادة « ودق » : « قال أبو عثمان المازني النحوي : لم يصح عندنا أنه رضي الله عنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين ، وهكذا نقله المرزباني في تاريخ النحاة عن يونس : ما صح عندنا ولا بلغنا أنه قال شعراً إلا هذين البيتين كذا في شرح شواهد المغني في بحث كل ، وصوبه الزمخشري رحمه الله ، قال شيخنا : ولعل سند ذلك قوي لديهم وإلا فقد ورد عنه : أنا الذي سمتني أمي حيدره « الأبيات » . وتواتر عنه : محمد النبي أخي وصهري « الأبيات » وغير ذلك مما شاع وكثر بحيث إن النفوس لا تطمئن إلى أنه لم يقل غير هذين البيتين » .

(19) في « تاج العروس » للزبيدي عند مادة « ودق » : « ومن المجاز ذات ودقين من أسماء الداهية ويقال : أيضاً ذات روقين بالراء كأنها ذات وجهين ، وفي الصحاح : أي ذات وجهين ، كأنما جاء من وجهين ، ويقال : ذات ودقين من صفة الطعنة ، وقيل : من صفة السحابة يقال : سحابة ذات ودقين أي ذات مطرتين شديدتين شبهت بها الحرب الشديدة فقيل : حرب ذات ودقين وقيل : هو من الوداق : الحرص على طلب الفحل لأن الحرب توصف باللقاح وقيل : هو من صفات الحيات ، وداهية ذات ودقين وذات روقين إذا كانت عظيمة » .

ومما يروى لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله :

إن كنت تعلم أن الله يا عمر يرى ويسمع ما تأتي وما تذر
وأنت في غفلة عن ذلك تركب ما عنه نهاك فأين الخوف والحذر
﴿تجاهر الله إقداماً عليه ومن حثالة الناس تستحيي وتستتر﴾ (20)
فانظر لنفسك يا مسكين في مهل ما دام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها لله درك ماذا تستر الحُفَر
ففيهم لك يا مغرور موعظة وفيهم لك يا مغرور (21) معتبر

فهؤلاء الأئمة المقتدى بأقوالهم وأفعالهم ﴿وأحوالهم﴾ (22) .

وقد وقع ذلك لأكابر العلماء من أهل الدين كثيراً شهيراً ، ومنهم من
كان غزير المادة في الشعر مديد الباع فيه كعبيد (23) الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود أحد الفقهاء السبعة (24) بالمدينة حتى كان ابن المسيب إذا لقيه

(20) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(21) في ح : « يا مسكين » .

(22) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(23) قال عنه صاحب « العقد الفريد » (5 : 284) : « ومن شعراء التابعين عبيد الله بن

عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة ، وله يقول سعيد بن المسيب : أنت الفقيه الشاعر ، فقال : لا بد للمصدر أن ينفث يعني أنه من كان في صدره زكام فلا بد من أن ينفث زكامة صدره يريد أن كل من اختلج في صدره شيء من شعر أو غيره ظهر على لسانه » .

(24) قال عنهم الخازن في وفياته : (1 : 254) : « هؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة

في عصر واحد ، وعندهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا ، وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم وشهروا بها ، وقد كان في عصرهم جماعة من العلماء التابعين ولكن الفتوى لم تكن إلا هؤلاء السبعة » . وقد جمع أسماءهم بعض العلماء في بيتين فقال :

يقول له : مرحباً بالفقيه الشاعر فيقول عبيد الله : لا بد للمصدر أن ينفث ،
فمن قوله :

كتبت الهوى حتى أضرت بك الكتم ولا ملك أقوام ولومهم ظلم
ونمّ عليك الكاشحون وقبلهم عليك الهوى قد نم لو ينفع التم
وزادك إغراء بها طول بخلها عليك وأبلى لحم أعظمك اهم
وأصبحت كالنهدي (25) إذ مات حسرة على اثر هند أو كمن سقي السم (26)

وكأنه أراد : من سقيه السم فحذف الضمير .

= ألا كل من لا يقتلي بأئمة فقسمة ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسماً سعيد أباً بكر سليمان خارجه

انظر تراجمهم في «وفيات الخلائق» 1 : (253 - 254) و (2 : 4) و (2 : 2) :
117 - 120) و (2 : 135 - 136) و (2 : 300 - 301) و (2 : 418 -
421) و (3 : 224) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(25) بالأصل «كالهندي» ومثله في ح ، وهو خطأ صوابه : «كالنهدي» بتقديم النون على الهاء كما
جاء في ك و س وكذلك هو في «أمالي القاضي» : والنهدي نسبة إلى بني نهد وهم بطن من
قضاة ، واسمه عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب ، وهو شاعر جاهلي ، وهو كان أحد
المحبين الذين هلكوا عشقاً ، وهو الذي ذكره المجنون في قوله :

فما وجدت وجدتي بها أم واحد ولا وجد النهدي وجدتي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى كوجدتي ولا من كان قبلي ولا بعدي
وذكره البحرني أيضاً فقال :

فلو تمكن الشكوى لجرى البكا حقيقة ما عندي وإن جل ما عندي
هوى لا جميل في بثينة ناله بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

ثم انظر أخباره في «تزيين الأسواق» للأنطاكي ص 75 - 78 .

(26) روى بعدها القاضي في أماليه (2 : 20) ثلاثة أبيات تقول :

ألا من لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت إتيان الحبيب تأمناً ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فلق هجرها قد كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

ووردت امرأة جميلة مع ابن < لها > (27) صغير < المدينة > (28) فخطبت وكان ممن خطبها عبيد الله فقال فيها معرضاً ببقية الفقهاء السبعة :

أحبك حباً لا يجبك مثله قريب ولا في العالمين بعيد
أحبك حباً لو علمت ببعضه بلحُدتِ ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم الوليد متيمي شهيد أبي بكر وذاك شهيد
ويعلم وجددي قاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفي سليمان كله وخارجة بيدي بنا ويعيد
متى تسألني عما أقول تخبري (29) فليلحبت عندي طارف وتليد

ويحكى أنه لقيه بعد هذا سعيد بن المسيب يوماً فقال له : أما إنك قد
أمنت (30) أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور ، وهذا من فكاهة (31)
أهل الحجاز ولطافتهم رضي الله عنهم .

وكان الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وهو القائل مخبراً عن غزارة
عنصره في ذلك :

ولولا الشعر بالفقهاء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

فمن قوله :

(27) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(28) ما بين العلامتين ساقط من س .

(29) في ك و ح « فتخبري » .

(30) في ح : « أملت » .

(31) في ك : « فاكهة » ومثله في س وأصلحه أكنسوس بقلمه على طرة مخطوطه على مثال ما في

الأصل .

ماذا ينجر ضيف بيتك أهله ؟

إن سيل : (32) كيف مرّاده (33) ومعاجه (34) ؟

أيقول : جاورت الفرات ولم أنل
ورقيت في درج (36) العلى فتضاءلت
ولتخبرنّ خصاصتي بتملقي
عندي يواقيت القريض ودُرّه
تُرّبي على روض الرّبي أزهاره
والشاعر المنطيق (39) أسودُ سالخ (40)
وعداوة الشعراء داء مُعضيل
والماء ينجر عن قذاه (38) زجاجه
وعليّ إكليل الكلام وتاجه
ويرق في نادي الندى ديباجه
والشعر منه لعابه ومُجاجه
ولقد يهون على الكريم علاجه

والظاهر أنه قال هذا قبل اشتغاله بالفقه ، فإنه لم يشتغل به حتى كان في

البادية وتوسع في العربية والشعر .

(32) يريد : إن سئل فخنّف الهزمة وكسر السين وفي ح : إن يسأل ، ولا يستقيم معه العروض .

(33) المراد بفتح الميم المكان الذي ترود فيه الراعية أي تختلف فيه مقبلة ومدبرة ، ورادت الإبل رود رياداً ، ورادت المرأة اختلفت إلى بيوت جاراتها ، والرائد الذي يرود الكلا أي يطلبه ويبحث أين يوجد .

(34) في « اللسان » : « يقال عاج بالمكان وعوج أي أقام ، وقيل : عاج به أي عطف عليه ، وقال وألم به ومر عليه » .

(35) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « لديه » وهو الأليق بالسياق .

(36) في ك : « طلب » بدل : « درج » .

(37) كذا بالأصل ، وهو ما في ك و س و ح ، والرواية المعروفة : شعابه بالباء جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق مطلقاً أو الطريق في الجبل خاصة .

(38) في ح : « قراه » وهو تصحيف ، والقذى بوزن الحصى ما يسقط في العين والشراب من الأوساخ .

(39) المنطيق بوزن المسكين : البليغ .

(40) السالخ : الأسود من الحيات ، وأسود سالخ غير مضاف لأنه يسلم جلدته كل سنة .

ويحكى عن أبي القاسم بن الأزرق الشاعر أنه قال : جئت الشافعي يوماً
فقلت : يا أبا عبد الله لك الفقه تفوز بفوائده ، ولنا الشعر ، فأردت مداخلتنا
فيه ، فأما أفردتنا بالشعر ، وإما أشركتنا في الفقه ، وقد أتيت بأبيات إن أتيت
بمثلها تبت عن الشعر ، وإن عجزت تبت عنه ، فقال : هات ، فأنشدته :

ما همّتي إلاّ مقارعة العدا خَلِقَ (41) الزمان وهمّي لم تخلّق
والناس أعينهم إلى سلب الفتي لا يسألون عن الحِجَا والأولَى (42)
لكنّ من رُزِق الحِجَا حُرِم الغنى هذان (43) مفترقان أي تفرق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلقي

فقال الشافعي : أنا أقول خيراً منه وأنشد مرتجلاً (44) :

إنّ الذي رُزِقَ اليسارَ ولم ينلْ حمداً ولا أجراً لغيرُ موفّق
فالجَدّ يدني كل شيء (45) شاسع والجَدّ يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدوداً حوى عوداً فأتمر في يديه فحسّق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماء ليشربه فغاص (46) فصدّق
وأحقّ خلق الله بهمّ امرؤ ذو همة يبلى برزق ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

(41) هو من الخلوقة بمعنى البلى ، وفي «القاموس» : « خلق الثوب كنصر وكرم وسمع خلوة
وخلقاً محرّكة : بلي ، والخلق محرّكة البالي للمذكر والمؤنث ج خلقان ، وثوب أخلاق
إذا كانت الخلوقة فيه كله » .

(42) في «أساس البلاغة» : « به أولق : شيء من جنون وألق فهو مألوق » .

(43) في ك و س و ح : « ضدان » .

(44) في ك و س و ح : « ثم أنشد ارتجالاً » .

(45) في ح : « أمر » .

(46) كذا هو في الأصل بصاد مهملة ، ومثله في ك أما س و ح ففيهما : « غاص » بالضاد المعجمة .

[(47) وقال أبو سعيد المكي : سمعت الشافعي رضي الله عنه ينشد :

رأيت مني نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها عرض المهامه والقفر
ووالله ما أدري أالفقر والغنى أقاد إليها أم أقاد إلى قبري

وكان ينشد رضي الله عنه :

يا لهف نفسي على مال أفرقه على الفريقين (48) من أهل المروآت
إن اعتداري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

وقال يونس (49) بن عبد الأعلى : كان الشافعي يتمثل :

إذا أصبحت عندك قوت يوم فخلّ لهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غد بيالي لأن غداً له رزق جديد
أسلم إن أراد الله أمراً وأترك ما أريد لما يريد

توفي رضي الله عنه بمصر آخر يوم من رجب سنة سبع ومائتين ، قال
الربيع (50) : لما دفناه رأينا هلال شعبان ، وعاش أربعاً وخمسين سنة [(51)

(47) ما بين المعقنين ساقط من الأصل ومن من ، واستدركه ناسخ الكتانية لحقاً على طرتها ، وهو
وارد في الفاسية فأضفناه نقلاً عنهما .

(48) الرواية المعروفة : « المقلين » جمع مقل وهو الفقير .

(49) هو أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدقي المصري ، من أصحاب الإمام الشافعي ،
أكثر من الأخذ عنه ، وواظب على ملازمته ، كان فقيهاً محدثاً مقرئاً أخبارياً توفي
سنة 264 هـ .

(50) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داوود الأزدي المصري ، أحد أصحاب الإمام الشافعي
توفي سنة 256 هـ .

(51) ههنا انتهى الحق الذي أضفناه رواية عن ك وح .

وكان القاضي عبد الوهاب (52) بن نصر الفقيه المالكي رضي الله عنه ،
 وفيه (53) يقول أبو العلاء المعري حين مر بهم متوجهاً إلى مصر :
 والمالكيُّ ابن نصرٍ زار في سفر بلادنا فحمدنا النَّأيَ والسَّفرا
 إذا تكلم أحيا مالكاً جدلاً ويُنشرُ الملك الضليل (54) إن شعرا
 فمن قوله يتغزل ويوري بالمسائل الفقهية :

ونائمة قبلتها فتنبهت فقالت : تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
 فقلت لها : إني لثمتك غاصباً وما حكموا في غاصب بسوى الرد
 خذها وكفي لي عن أثم (55) ظلامي وإن أنت لم ترضي فألف من العد
 فقالت : قصاص يشهد العقل أنه على كبد الخاني ألد من الشهد
 فباتت يميني وهي هميان (56) خصرها وباتت يساري وهي واسطة (57) العقد

(52) ذكر الخلكاني نسه في « وفياته » (2 : 387) فقال : « أبو محمد عبد الوهاب بن علي
 ابن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق الثعلبي البغدادي الفقيه المالكي ،
 وهو من ذرية مالك بن طوق الثعلبي صاحب الرحبة » . انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي
 في زمانه ، وكان جيد النظر ، حسن العبارة ، وألف مصنفات حسناً ، وكان أيضاً متأدياً
 شاعراً ، وكانت وفاته سنة 422 .

(53) يعني القاضي عبد الوهاب ، والبيتان من قصيدة سقطية عدة أبياتها 15 بيتاً .

(54) الضليل بوزن السكيت الكثير الضلال وهو أيضاً لقب امرئ القيس بن حجر الكندي
 لقب به لأنه أضل ملك أبيه .

(55) في « وفيات الأعيان » : « أئيم ظلامة » ومثله في شذرات ابن العماد .

(56) الهميان بكسر أوله وسكون ثانيه يعني شيئين : أحدهما فسرهُ الفيومي في « مصباحه » فقال :
 « الهميان كيس تجعل فيه النفقة ، ويشد على الوسط ، وجمعه هميانين ، قال الأزهرى :
 وهو معرب دخيل في كلامهم ، ووزنه فعيال ، وعكس بعضهم فجعل الياء أصلاً والنون
 زائدة فوزنه فعلان » اهـ . والآخر بينه الزبيدي في « تاجه » فقال : « الهميان بالكسر
 شداد السراويل ، كذا في المحكم ، قال ابن دريد : أحسبه فارسياً معرباً ، ومثله لابن
 الجواليقي . ، وقال أبو الهيثم : الهميان المنطقة ، كن يشدون بها أحقيهن » اهـ . وهذا
 الشيء الأخير ما أراده القاضي عبد الوهاب القاضي في شعره .

(57) يقول : إنه منطقتها بيمينه وطوقها بيساره .

وقالت : ألم أخبر بأنك زاهد فقلت لها : ما زلت أزهد في الزهد

وينسب إليه قوله (58) :

تملكت يا مهجتي مهجتي وأسهرت يا ناظري ناظري
وما كان ذا أملي يا ملول ولا خطرهم الهجر في خاطرني
فجد بالوصول فدتك النفوس فلت على الهجر بالقادر
أيا غائباً حاضراً في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر

[وله أيضاً رحمه الله :

يلوموني أن بعث بالرخص منزلي ولم يعلموا جاراً هناك ينغص

(58) في « كتاب التعريف بالقاضي عياض » لأبي عبد الله محمد بن عياض ص 66 بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة ما نصه : « أنا القاضي أبو بكر بن العربي فيما أذن فيه لي ولأبي رحمه الله على الجميع ، قال : قال لي أبو بكر الصقلي : قال لي أبو بكر بن البر : قلت للقاضي عبد الوهاب : أنت القائل :

تملكت يا مهجتي مهجتي الأبيات »

« فقال لي : يا أبا بكر تلك أخبار الصبا . هذه الحكاية نقلتها من خط أبي الوليد الدباغ ، والشعر في كتاب « اليتيمة » للوأواء ، والله أعلم بالصواب » . وفي « برنامج شيوخ الرعيي » (ص 136 - 137) وهو يذكر أبا جعفر أحمد بن عبد المجيد الحجري : « أنشدني - رحمه الله - وكتبه لي بخطه قال : أنشدني ابن الفخار ، أنشدني ابن العربي ، أنشدني أبو بكر محمد بن سابق الصقلي قال : قال لي أبو بكر بن البر : أتيت القاضي أبا محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بالمسجد الجامع بمصر فقلت له : يا سيدنا الإمام أنت القائل :

تملكت يا مهجتي مهجتي الأبيات »

فقال : يا أبا بكر دع هذا فإنه كان في أيام الصبا . وقد حدث غير واحد من المشيخة بالحكاية عن القاضي أبي بكر العربي حسبما سردتها . وبعض هذا الشعر منسوب في « يتيمة الثعالبي » (1 : 242) للوأواء الدمشقي الشاعر ، ثم انظر بعد ذلك « ديوان الوأواء » ص 99 طبعة دمشق 1950 م .

فقلت لهم : كفوا الملام فـإِنما يجيرانها تغلو الديار وترخص [(59)

ولفقهاء العدو من ذلك ما يطلع بدرأ لائحاً ، ويسطع زهراً فائحاً ،
وتتهاداه الحور ، وتتحلى منه النحور ، [(60) وتتبع ذلك بطيل ، ونلم من
ذلك بالقليل ، إذ لا بد لهذا الكتاب ، أن يأخذ من كل لباب ، فمن ذلك
قول الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي (61) رحمه الله في معنى الزهد :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه
فلم لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعه (62)

ومن ذلك قول محمد (63) بن سماك صاحب الأحكام يصف الروض :

(59) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو وارد في الطبعة الفاسية وعلى طرة ك بخط
ناسخها فأضفناه رواية عنهما .

(60) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وهو ثابت في الطبعة الفاسية ، وأورده ناسخ
المخطوطة الكتانية نقلاً عن مخطوطة غير التي انتسخ عنها ، وكتبه بقلم دقيق على ورقة
مضافة ، ونبه على ذلك بعبارة تقول بالنص الحرفي التام : « انظر الورقة الملصقة بيمته ،
فإن ما فيها متصل حسبما في نسخة غير هذه » .

(61) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المالكي الباجي نسبة إلى باجة الأندلس ، أحد
الأئمة الأعلام . كان فقيهاً أصولياً محدثاً ، متقن المعارف ، جيد القرينة ، محققاً نظاراً ،
وكان حسن السمعة وقوراً مهيباً ، وكان من وراء ذلك شاعراً فصيحاً مطبوعاً ، وله تأليف
جليلة في الأصول والفقه والحديث ، وكانت وفاته سنة 474 هـ .

(62) البيتان منسوبان إليه في « مدارك عياض ، ووفيات الخلكاني ، وديباج ابن فرحون » .

(63) كذا هو في الطبعة الفاسية ، وهو غلط صوابه : أبو محمد عبد الله ، وبشأنه يقول الفتح
في قلائده ص 214 : « الوزير الفقيه صاحب الأحكام ، أبو محمد عبد الله بن سماك رحمه
الله ، وأخوه أبو عمر فرقدان متوقدان ، وسراجان وهاجان ، فرعا مجد ، ونبعا نجد ،
لا يهد ، ما منهما إلا أغر وضاحاً ، يوضح المشكلات إيضاحاً ، ولهما سلف تقصر عند
مداناته الأقدار ، وشرف تمكنا منه تمكن القطب من المدار . وتولى الفقيه أبو محمد الأحكام =

الروض مخضر الربى متجمل
فكأنما بسطت هناك سوارها (64)
وكأنما فتحت هناك نوافج (66)
والطير يسجع في الغصون كأنه
والماء مطرد يسيل عيابه
بهجات حسن أكملت فكأنما (69)
وللفقيه أبي محمد عبد الله (70) بن السيد البطليوسي في الزهد :

= فأقالها ، ووضع في يد التقوى عقالها ، وحماها بأسنة من العدل وشفار ، وأراها وجه
الديانة كالصبح عند الإسفار ، همام إذا لقي ، غمام إذا استسقي ، وله علم كاللجة إذا
اضطربت أمواجها ، والكتيبة إذا تحركت أفواجها ، وأدب كالروض غب المطر ،
ومذهب كالنسيم هب على الروض وخطر ، فمن ذلك قوله يصف الروض : الأبيات»
(64) كذا هو بالسین المهملة في الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه : « شوارها » بمعجمة كما
هي رواية القلائد ، وفي «تاج العروس» : « الشورة والشارة والشورة بالفتح في الكل ،
والشيار ككتاب ، والشوار كسحاب : الحسن والجمال والهيئة واللباس والسمن والزينة » .
ورثي ابن صارة الشنريبي ابنة له ماتت فقال :

ألا يا موت كنت بنا رؤوفاً فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما كفيت مثونة وستر عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق وجهزنا الفتاة بغير شوره

(65) في القاموس : «الحد الحسن الحلق الشابة أو الناعمة ج خودات وخود وتخود الغصن ثنى » .
(66) جمع نافجة ، والنافجة وعاء المسك ، قال الزبيدي في «تاجه» : « والنافجة وعاء المسك مجاز
مغرب عن « نافه » قال شيخنا : ولذلك جزم بعضهم بفتح فائها ، ونقله الثمرثاشي في
شرح تحفة الملوك عن أكثر كتب اللغة ، وجزم الجواليقي في كتابه بأنه محرب ، وهو
الصحيح ، وزعم صاحب المصباح أنها عربية سميت لتفاستها من نفجته إذا عظمت وهو
محل تأمل » .

(67) « في تاج العروس » : «البان شجر معروف واحده يانة ، ولحب ثمره دهن طيب » .

(68) كذا في الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه حنت بالحاء المهملة كما هي في رواية القلائد.

(69) رواية القلائد : « فكأنها » .

(70) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (بكسر السين وسكون الياء) البطليوسي نسبة إلى
بطليوس (بفتحيتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة) مدينة بغيربسي الأندلس ، =

أمزت إلهي بالمكارم كلتها
فقلت : اصفحوا عن أساء إليكم
فهل لجهول تخاف صعب ذنوبه
ولم ترضها إلا وأنت لها أهل
وعوذوا بحلم منكم إن بدا جهل
لديك أمان منك أو جانب سهل (71)

وله يصف فرساً (72) :

وأدهم من آل الوجيه (73) ولاحق
تخير ماء الحسن فوق أديمه
كأن هلال الفطر لاح بوجهه
له الليل لون والصبح حُجُول
فلولا التهاب (74) الحضر ظل يسيل
فأعيننا شوقاً إليه تميل

= أحد شيوخ العلم على عهده ، كان نحوياً لغوياً أديباً ، كما كان محدثاً فقيهاً ، وكان أيضاً
مفلساً ، وهو بعد ذلك شاعر بليغ ، له مؤلفات تنيف على العشرين ، منها : « الاقتضاب
في شرح أدب الكتاب » . وهو مطبوع ، « شرح سقط الزند » ، وهو مطبوع ، « المثلث »
وهو يوجد مخطوطاً . توفي ابن السيد سنة 521 هـ .

(71) الأبيات منسوبة إليه في « العقيان » ص 204 وفي « أزهار الرياض » ج 3 ص 140 .

(72) الأبيات في « القلائد » ص 209 ، وفي « أزهار الرياض » (3 : 108) .

(73) في « أنساب الخليل » لابن الكلبي : « وكان فيما سموا لنا من جياذ فحولها وإنائها المتجيات :
الغراب ، والوجيه ، ولاحق والمنهب ، ومكتوم ، وكانت هذه جميعاً لغني بن أعصر بن
سعد بن قيس بن عيلان ، فقال طفيل الغنوي :

بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج تنمي نسبة المتنسب »

وفي شرح « البطليوسي على سقط الزند (1 : 91) عند قول المعري :

أخف من الوجيه يداً ورجلا وأكرم في الجياذ أبا وخالا

« الوجيه فرس عتيق نسب إليه الخليل العتاق ، وأبوه أعوج بن سبل ، وإخوته للاحق
والمنهب ومكتوم » .

(74) في الطبعة الفاسية : « إهاب الحضر » وهو تحريف وتصحيف سوابه : « التهاب الحضر »
كما هي رواية « القلائد » ، والحضر فسرهُ الجوهري في « صحاحه » فقال : « الحضر
بالضم العدو يقال أحضر الفرس إحضاراً واحتضر أي عدا ، واستحضرته أعديته وهذا
فرس محضير » .

كأن الرياح العاصفات تُقَلِّيه إذا ابتل منه محزم (75) وتليل (76)

وللحافظ أبي بكر بن عطية رحمه الله يحذر من خلط (77) الزمان :

كن بذئب صائد مستوحشاً فإذا أبصرت إنساناً ففسر
إنما الإنسان بحر مساله ساحل فاحذره إياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله يعاتب بعض إخوانه (78) :

وكنت أظن أن جبال رضى تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الأمور لها اضطراب وأحوال ابن آدم تستحيل
فإن يك بيتنا وصل جميل وإلا فليكن هجر جميل

ولابنه المحافظ عبد الحق رحمه الله يصف الزمان وأهله (79) :

داء الزمان وأهله داء يعز له العلاج
أطلعت في ظلماته ودأ كما سطع السراج
لصحابة أعياء ثقاً في (80) من قناتهم اعوجاج

(75) في « الصحاح » : « محزم الدابة ما جرى عليه حزامها » . وفي « القاموس » : « المحزم
والمحزمة كمنبر ومكنسة وكتاب وكتابة ما حزم به » .

(76) في « الصحاح » : التليل : العنق .

(77) كذا، وفي قلائد الفتح : « فمن ذلك قوله يحذر من خلطاء الزمان وينبه على التحفظ من
الإنسان الأبيات » ص 216 .

(78) الأبيات منسوبة إليه في « قلائد الفتح » ص 217 .

(79) الأبيات منسوبة إليه في « قلائد الفتح » ص 224 .

(80) الثقاف خشبة متينة بقدر الذراع بها عمر يسلك فيه ما يراد تقويمه من القسي والقنا ، قال
ابن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها

أخلاقهم مساء صفا مرأى ومطعمه أجاج
كالدرا ما لم تختبر فإذا اختبرت فهم زجاج

وللفقيه القاضي عياض (81) بن موسى اليحصبي رضي الله عنه من شعره:

إذا ما نشرت بساط انبساط فعنه فديتك فاطو المزاح
فإن المزاح كما قد حكي أولو العلم قبل عن الحلم زاحا (82)

وله عند ارتحاله من قرطبة رحمه الله (83):

أقول وقد جد ارتحالي وغردت حُداتي ورنّت (84) للفراق ركائي
وقد غمصت (85) من كثرة الدمع مقلتي وصارت هواءً من فؤادي ترائي

(81) قال عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن عياض في كتابه: «التعريف بالقاضي عياض» بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة ص 4 وما بعدها: «كان من أئمة وقته في الحديث وفقه وغريبه ومشكله ومختلفه وصحيحه وسقيمه وعاله وحفظ رجاله ومتونه وجميع أنواع علومه، أصولياً متكليماً فقيهاً عاقداً للشروط بصيراً بالفتيا والأحكام والنوازل، نحويّاً رياناً من الأدب، شاعراً فصيحاً، حافظاً للغة والشعر والمثل وأخبار الناس ومذاهب الأمم، عارفاً بأخبار الملوك وتنقل الدول وأيام العرب وسيرها وحروبها ومقاتل فرسانها، ذا كرام لأخبار الصالحين وسيرهم وأخبار الصوفية ومذاهبهم، مشاركاً في جميع العلوم، حسن المجلس تمتع المحضر نبيل النادرة حلو الدعاية، كثير التواليف المستحسنة البارعة، محبباً في قلوب العامة والخاصة، جميل الوجه طيب الرائحة نظيف الملبس بهي الركب».

(82) البيتان مرويان في قلائد الفتح ص 234 .

(83) الأبيات مروية له في «القلائد» ص 234 وفي «نفح الطيب» ج 2 ص 82 - 83 .

(84) رواية «القلائد» والنفح هكذا: «زمت» .

(85) بالصاد وهو من الغمص بالتحريك قال صاحب «القاموس»: «الغمص ما سال من العين

من الرمض غمصت العين كفرح فهو أغمص، والغميصاء إحدى الشريرين، ومن أحاديثهم أن الشرير العبور قطعت المجرة فسميت عبوراً، وبكت الأخرى على أثرها حتى

غمصت» . وفي «قلائد الفتح»: «غمضت» بالضاد وهو تصحيف .

ولم تبقَ إلاّ وقفة تستحثها (86) وداعي للأحباب لا للحبائب
 رعى الله جيراناً بقرطبة العلى وسقى رباها بالعهاد السواكب
 وحيثاً زماناً بينهم قد ألفتهم طليق المحباً مستلاناً الجوانب
 أحببنا في الله فيها تذكروا معاهد جار أو مودة صاحب
 غدت بهم من برهم واحتفائهم كأي في أهلي وبين أقاربي

وله برد الله ضريحه في الوداع (87) :

يا من ترحل (88) عني غير مكثرت لكنه للضئى والسقم أوصى بي
 تركتني مستهام القلب ذا حرق تركتني مستهام القلب ذا حرق
 فلم أذق من لذيذ العيش بعدكم إلا جنى حنظل في الطعم أو ضباب
 أراقب النجم في جنح اللجى سهرأ كأي راقب (89) للنجم أو صابى (90)

ولالأديب أبي الوليد محمد بن عبد الله بن زيدون رحمة الله عليه :

ودع الصبر محب ودعك حافظ من سره ما استودعك
 يقرع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخطا إذ شيعك
 يا أخا البدر سناءً وسناً حفظ الله زماناً أطلعك
 إن يظل بعدك ليلى فلكم بيت أشكو قصر الليل معك

وله يتغزل رحمه الله :

- (86) كذا هو بالتاء في الطبعة القاسية وفي القلائد والفتح : « يستحثها » بالياء وهو الأليق .
 (87) الأبيات نسبها إليه ابنه في كتاب التعريف وذكر أنه نقلها من خطه ، وهي أيضاً مروية له
 في كتاب المطرب لابن دحية ص 87 من طبعة مصر .
 (88) رواية ابنه في التعريف : « تحمل » بدل : « ترحل » .
 (89) رواية التعريف : « راصد » بدل : « راقب » .
 (90) يريد الواحد من الصابئة ، وهم أهل ملة معروفة ، وهم من يتعبد الكواكب .

يسا قمراً أطلعه المغرب قد ضاق بي حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جئته صدقت فاصفح أيها المذنب
وإنما (19) أغرب ما مرّ بي أن عذابي بك مستعذب [(92)
وتتبع ذلك يطيل ويخرج عن الغرض .

لله الأمر من قبل ومن بعد .

(91) الزواية المعروفة : « وإن من أغرب ما مرّ بي » .
(92) هنا تنتهي الإضافة التي أعلمنا بدياتها سابقاً .

[نبذة من مختار الشعر]

وهذه نبذة من مختار شعر العرب ، فمن ذلك في الأمثال ، وقد تقدمت جملة منها في الكتاب :

ففي الحض على الإنفاق والتوكل على الله تعالى قول جميل :

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا فان على الرحمان رزقكم غدا

وفي تكذيب الكهانة وزجر الطير قول لبيد :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرت الطير ما الله صانع

وفي اليأس من إصلاح الأولاد مع فساد الآباء قول الفرزدق :

ترجيتي ربيع أن تجيء صغارها بنحير ، وقد أعيأ ربيعاً كبارها

وفي تلهف المعدم على قصوره عن فعل الخير قول خالد (1) بن علقمة :

وقد يقصر القل الفتي دون همه وقد كان—لولا القل—طلاع أنجد(2)

(1) هو خالد بن علقمة بن عبدة الملقب بالفحل ، أو هو خالد بن علقمة الدارمي ، كما في « لسان ابن منظور » مادة « قلل » أو هو محمد بن أبي شحاذ الضبي على ما في « حماسة أبي تمام » ، والبيت مع ثلاثة أبيات أخرى في ديوان علقمة الفحل بتحقيق لطفى الصقال ودرية الخطيب .

(2) في « صحاح الجوهري » : « النجد ما ارتفع من الأرض ، والجمع نجاد ونجود وأنجد ، ومنه قولهم : فلان طلاع أنجد وطلاع الثنايا إذا كان سامياً لمعالى الأمور . »

وفي الجنوح إلى الجبن قول نهشل بن حرّبي (3) :
فلو أن لي نفسين كنت مقاتلاً بإحداهما حتى تموت وأسلما
ونحو هذا قول حبيب بن عوف (4) حين قال له المهلب (5) > بن أبي
صفرة < (6) اكرر على القوم :
يقول لي الأمير بغير علم (7) تقدم حين جدّ به (8) المراس

(3) في المخطوطات الثلاث وفي الطبعة الفاسية « جريء » بالجيم والهمزة في الآخر على شكل
الصفة من الجراءة وهو تصحيف وتحريف صوابه ما شكله البغدادي في «خزانة الأدب»
فقال : « نهشل بن حري بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحر أو
إلى الحرّة » . وذكر القتيبي نسب نهشل في الشعر والشعراء فقال : « هو نهشل بن حري
ابن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم » . وذكر الجمحي في « طبقاته »
شرف آبائه فقال : « نهشل بن حري شاعر شريف مشهور ، وأبوه حري شاعر مذكور ،
وجده ضمرة بن ضمرة فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر ، وأبوه ضمرة بن جابر سيد
ضخم الشرف ، بعيد الذكر ، وأبوه جابر له ذكر وشهرة وشرف ، وأبوه قطن له
شرف وفعال وذكر في العرب ، فهم ستة كما ذكرنا لا أعلم في تميم رهطاً يتوالون
توالي هؤلاء » . وذكره ابن حجر في «الإصابة» فقال فيه ناقلاً عن المرزباني : « منحصرم
بقي إلى أيام معاوية وكان مع علي في حروبه » .

(4) كذا هو في المخطوطات الثلاث ومثله في الطبعة الفاسية ، وفي « كامل المبرد » (3 : 221)
طبعة صبيح ، وفي « شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة » (1 : 535) « حبيب بن
أوس » بدل : « عوف » .

(5) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، كان بطلاً شجاعاً ، وقائداً محنكاً ، وهو كان الذي
خضد شوكة الخوارج بشجاعته ودهائه ، وقد دامت حروبه معهم ثني عشرة سنة ، وكانت
وفاته سنة 83 هـ . وما جاء بشأنه على المقارنة ما ذكره المبرد في « كامله » فقال : « ساد
الأحنف بحلمه ، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له ، وساد قتيبة بدهائه ، وساد المهلب
بجميع هذه الخلال » .

(6) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(7) في ح : « وقد رأي » بدل : « بغير علم » .

(8) في ح : « بنا » بدل : « به » .

فمالي إن أطعتك من حياة (9) ومالي غير هذا الراس راس

[(10) وقول أبي دلامة (11) وقد ليم على الفرار (12) :

ألا لا تلمني في الفرار فلإني أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو أنني أبتاع في السوق مثلها وحقتك ما باليت (13) أن أتقدما

وقال المبرد : حدثني عجل بن أبي دلف (14) أن ابن أبي فن (15)
مدح أباه بقوله مورياً :

(9) في ح : « غير نفس » بدل : « من حياة » .

(10) ما بين اللمتين ساقط من الأصل ومن س ، وكتبه ناسخ الكتانية بخطه على الطرة لحقاً ،
وهو وارد في الطبعة الفاسية فألحقناه رواية عنهما .

(11) عرف به الشريشي في « شرح المقامات » (4 : 50) فقال : « أبو دلامة - اسمه زند
(بالنون) ابن الجون وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، أدرك آخر أيام بني أمية ، ونبغ
في أيام بني العباس ، وكان صاحب نوادر وملح ، وكان خليعاً فاسد الدين رديء المذهب » .
وضبط الخلكاني في « وفياته » (2 : 71 - 78) وهو يترجمه ، كنيته واسمه واسم
أبيه شكلاً وأحرفاً فقال : « دلامة بضم الدال المهملة ، وزند بفتح الزاي وسكون النون
وبعدها دال مهملة ، وقيل اسمه : زيد بالباء الموحدة ، والأول أثبت ، والجون بفتح
الجيم وسكون الواو وبعدها نون » .

(12) في « اغاني الأصفهاني » (10 : 268) من طبعة الدار : كان أبو دلامة مع أبي مسلم
في بعض حروبه مع بني أمية فدعا رجل إلى البراز فقال له أبو مسلم : ابرز إليه فأنشأ يقول :
ألا لا تلمني إن فررت فلإني البيتين »

(13) في طرة الكتانية وفي ح : « بليت » وهو خطأ صوابه : « باليت » كما هي روايته في
الأغاني .

(14) هو القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي أحد الأسخياء الأجواد والقواد الكبار على عهد
المأمون والمعتمد والذي قال فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف بين بساديه ومختصره
فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفي سنة 226 هـ .

(15) في طرة ك وكذا في ح : « قين » بقاف وياء ، وهو تصحيف صوابه : « فن » بالفاء =

مالي ومنالك قد كلفتني شططاً حمل السلاح وقول الدارعين (16) قف
أمن رجال المنايا خلتي رجلاً أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التلف ؟
تمشي المنون إلى غيري فأكرهها فكيف أسعى إليها بارز الكتف ؟
أم قد (17) حسبت سواد الليل شجعي أو أن قلبي في جنبي أبي دُلف ؟

فبلغ الشعر أبا دُلف فبعث إليه بأربعة آلاف دينار ، فأخذها وأغلق
عليه الدار ، ولا عليه فيمن قعد أو طار ، فقال المبرد : هذا كالذي دخل على
قوم يشربون فسقاه بعضهم من غير الشراب الذي يشربون استحقاقاً له فقال :

بيئذان في مجلس واحد لإيثار مثر على مقتر

= والنون « وابن أبي فتن هذا ترجمه البكري في « لآله » (1 : 245) . فقال : « هو
أحمد بن أبي فتن ، واسم أبي فتن صالح ، مولى للربيع بن يونس ، يكنى أحمد أبا عبد الله ،
وكان أسود ، وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد ، وكانت له أغراض مستطرفة ومعان
مستحكمة ، واستفرغ شعره في الفتح بن خاقان » . وقال عنه الحصري في « زهر الآداب »
(2 : 1013) بعد إيراد الأبيات التي جاء بها اليوسي : « وكان أحمد بن أبي فتن أسود ،
ولذلك قال :

أخلت أن سواد الليل غيرني

ولما أدخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشاعر الآدم ، قال بعض من حضر : لا يضره
سواده مع بياض أياديك عنده قال : أجل ووصله » . ثم زاد الحصري يقول : « أخذ قوله :

أرى المنايا على غيري فأكرهها

من قول أعرابي قيل له ألا تغزو ؟ قال أنا والله أكره الموت على فراشي فكيف أمشي
إليه ركضاً » .

(16) في ح : « الدارعين » بذيال معجمة ، وهو تصحيف صواب « الدارعين » بالذال المهملة
جمع دارغ وهو الذي عليه درع الحرب ، أما الكتانية ففيها : الداعرين بالذال المعجمة
وبتقديم العين على الراء ولا يسير لفظه مع سياق الكلام .

(17) في الكتانية : « أو حسبت » ويكون الجزء على هذه الرواية مخبوناً ومطونياً معاً .

فلو كنت تفعل فعل الكرام فعلت كفعل أبي البخري (18)
تتبع إخوانه في البلاد فأغنى المقل عن المكث

فاتصل قوله بأبي البخري فوصله بألف دينار ولم يره [(19)] .

وفي الحض على اقتناء العمل الصالح قول الأخطل (20) :
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

وفي اليأس من تلافي ما فسد قول رجل (21) من عمان :
والثوب إن أنهج (22) فيه البلى أعياء على ذي الحيلة الراقع

(18) في الكتانية : « البحر » بحاء مهملة وبدون الياء آخره ، وفي الطبعة الفاسية : « البخري »
بحاء مهملة مع الياء بآخره ، والصواب فيه « البخري » بالخاء المعجمة مع ياء كياء النسب
وجاء في تاج العروس من مادة البخرة بالخاء : « وأبو البخري من كناههم أنشد ابن الأعرابي :

إذا كنت تطلب شأ الملو ك فاعل فعال أبي البخري
تتبع إخوانه في البلاد فأغنى المقل عن المكث

(19) هنا اذنت الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

(20) البيت من قصيدة له مطلعها :

لن الديار بحائل فوعال درست وغيرها سنون خوال
وقبله :

والناس همهم الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خيال

وهي من خمسة وخمسين بيتاً ، وهي واردة في ديوانه ، والبيت نسبة المبرد في « كامله »
للخليل بن أحمد الفراهيدي .

(21) هو ابن حمام الأزدي على ما ذكره الآمدي في المؤلف والمختلف ص 127 ، وجاءت
رواية الشعر فيه هكذا :

كنا نداريها وقد مزقت واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذ أنهج فيه البلى أعياء على ذي الحيلة الصانع

(22) في « أساس البلاغة » للزنجشري : « أنهج الثوب أخلق ، وأنهج البلى » .

وفي مجاملة العدو وإعداده لأعدى منه قول مرداس (23) الأسدي :

وذوي ضباب (24) مظهرين عداوة و غير (25) الصدور معاودي الإفناد (26)
نسايتهم بغضاءهم ووفرتهم وهم إذا حسب (27) الصديق أعاد
كيما أعدهم لأبعد (28) منهم ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد

وفي حفظ المال وتثميته قول المتلمس :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وحفظ المال أيسر من بغاه وسير في البلاد بغير زاد

وفي تبليغ العذر قول عروة بن الورد :

ومن يلك مثلي ذا عيال ومقترأ من المال يطرح نفسه كل مطرح

-
- (23) هو مرداس بن حشيش أخى بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد من شعراء الحماسة .
(24) جمع ضب وهو الحقد ، ويقال : فلان خب ضب إذا كان منكر العداوة ، وفي المخطوطات
الثلاث كما في الطبعة الفاسية : « ضباب » بظاء مشالة وهو تصحيف .
(25) كذا هو في المخطوطات الثلاث ، وهو كذلك في الطبعة الفاسية ، وشكله أكنسوس بضم
الواو وسكون الغين شكل قلم ، كأنه جعله جمع واغر ، وفي « اللسان » : « الوغر
احتراق الفيظ ، ومنه قيل : في صدره علي وغر بالتسكين أي ضغن وداوة وتوقد من الفيظ ،
والمصدر الوغر بالتحريك ، ويقال : وغر صدره عليه يوغر وقرأ ووغر يغر إذا امتلأ
غيظاً وحقدأ ، وقيل : هو أن يمترق من شدة الفيظ ، وهو واغر الصدر علي . أما
رواية أبي تمام في الحماسة فهي هكذا : « قرحى القلوب » .
(26) في المخطوطات الثلاث وكذلك في الطبعة الفاسية : « الاقياد » بالقاف والياء وهو تصحيف
صوابه : « الإفناد » بفاء ونون وهو رواية الحماسة ، وفسر المرزوقي الكلمة في شرحه
على الحماسة فقال : « الإفناد بكسر الهمزة مصدر أفند الرجل إذا أتى بالفند وإذا روى :
« الأفناد » بفتح الهمزة فهو جمع الفند ، وهو الفحش والخطأ في الرأي » .
(27) رواية الحماسة : « ذكر » بدل : « حسب » .
(28) في ح : « لأعدى » .

ليبلغ عذراً أويصيب رغبة (29) ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
وفي معنى قولهم: القريب من تقرب أي بوجه [لا] (30) من تنسب
قول (31) الأعشى :
لا تطلبن (32) الود من متباعد ولا تتأ (33) من ذي بغضة إن تقربا
فإن القريب من يقرب نفسه لعمر أبيك الخير لا من تنسبا
وفي الحض على الصبر في المواطن (34) قول عمرو (35) بن الإطنابة :

(29) في الأصل : « رقية » بقاف ومثله في س وذلك ما في صلب ك ، ولكن ناسخها كتب
بخط يده على طرفها كلمة : « غنية » كبديل منها ، أما ح فقيها : « غنية » ، ولفظ :
« رقية » غير ذي معنى في سياق الشعر ، وهو ليس سوى تصحيف صوابه : « رغبة »
بغين معجمة كما هو في ديوان عروة ، وكما جاءت به رواية أبي تمام في « حماسته » ،
وفسر صاحب « القاموس » الرغبة فقال : « الرغبة الأمر المرغوب فيه والبعطاء الكثير »
وجاء في « أساس البلاغة » : « إنه لو هوب للرهايب ، وهي نفائس الأموال التي يرغب
فيها ، الواحدة رغبة » .

(30) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه رواية عن ك و س و ح .

(31) البيتان من قصيدة له في الديوان وقبلهما :

سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى وصاة امرئ قاسي الأمور وجربا

(32) فيه الحرم وهو سقوط أول الوند المجموع من أول البيت .

(33) رواية هذا العجز في الطبعة الفاسية هكذا :

ولا تأمنن ذا بغضة إن تقربا

(34) في ك : « الأوطان » بدل : « المواطن » .

(35) هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجي ، قال عنه المرزباني في « معجم الشعراء » : « وكان

أشرف الخزرج ، وهو شاعر ، فارس معروف قديم ، خرجت الخزرج معه وخرجت

الأوس وأحلافها مع معاذ بن النعمان في حرب كانت بين الأوس والخزرج » ، والإطنابة

أمة والكلمة بكسر الهمزة وسكون الطاء ، وفسر الجوهري معناها في « صحاحه » بمادة

« طنب » فقال : « الإطنابة : المظلة والإطنابة سير يشد على طرف وتر القوس العربية » .

والأبيات في « عيون الأخبار » (1 : 126) وفي « كامل المبرد » (3 : 274 - 275

طبعة صبيح) وفي « أمالي القاضي » (1 : 258) وفي « ديوان المعاني » (1 : 104) وفي

« حماسة البحري » وهو أول المختارات فيها .

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذ (36) الحمد بالثمن الربيع
 وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح (37)
 وقولي كلما جشأت (38) وجاشت مكائك تحمدي أو تستريحي
 لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

وقد حكى عن معاوية رضي الله عنه أنه قال : دعوت بفرسي يوم صفين
 لأنصرف لاشتداد الأمر فما نفعتي إلا أبيات عمرو المذكورة ذكرتها
 فصبرت (39) .

(36) كذا بالأصل ، ومثله في ك ، وكذا هو في صلب س ولكن أكنسوس كتب على طرفها
 بخطه : وأخطي « مضافاً إلى ياء المتكلم ، وهذا ما جاء في ح وهي الرواية المعروفة في
 البيت كما هو في مراجعه .

(37) في « أساس البلاغة » للزنجشري : « رجل مشايح ومشيح وشيخ : جاد حذر ، ويقال :
 أشاح منه وشايح : حذر ، وأشاح في الأمر وشايح : جد ، وعامل مشيخ : جاد مواظب
 على عمله » .

(38) في الأصل : « جاشت » وهو خطأ صوابه : « جشأت » بشين بعدها همزة كما هي الرواية
 المعروفة في البيت وفي « صحاح الجوهري » : « جشأت نفسي جشوءاً إذا نهضت إليك ،
 وجاشت من حزن أو فزع » . وقال الزنجشري في « أساس البلاغة » : « جشأت نفسه
 من شدة الفزع والغم إذا نهضت إليه وارتفعت ، قال عمرو بن الإطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت البيت

وتقول : إذا رأى طرة من الحرب نشأت ، جاشت نفسه وجشأت » .

(39) جاء في « مجالس ثعلب » (القسم الأول ص 66-67) بتحقيق عبد السلام هارون هذا
 الخبر الغريب : « كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد : « إذا جاءك كتابي فأوفد إلي
 ابنك عبيد الله » فأوفده عليه فما سأله عن شيء إلا أنفذه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف
 منه شيئاً ، قال : ما منعك من روايته ؟ قال : كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان
 في صدري ، قال : اغرب ، والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين مراراً ، ما
 يعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنابة حيث يقول :

أبت لي همتي وأبى بلائي الأبيات

وكتب إلى أبيه : أن روه الشعر ، فما كان يسقط عليه منه شيء » .

ونحوها < قول > (40) قطري بن الفجاءة (41) :

أقول لها وقد طارت شعاعاً (42) من الأبطال : ويحك لن تراعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

وفيمن يسعى لما فيه هلاكه ولا يعلم قول الآخر :

وكم من طالب يسعى لأمر وفيه هلاكه لو كان يدري

[(43) ومثله قول الآخر :

وكم طالب أمراً وفيه حمامه وسائرة تسعى إلى ما يضيرها

(40) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(41) هو قطري بن الفجاءة المازني من رؤوس الخوارج وهو فارس وشاعر وخطيب مات مقتولاً سنة 78 هـ .

والأبيات في « الحماسة بشرح التبريزي » (1 : 96 - 97) وفي « العقد الفريد » (1 : 105) « وأما المرتضى » (1 : 636 - 637) « وبهجة المجالس » (1 : 470) « ولباب الآداب » (224) « ونهاية النويري » (3 : 227) وأوردها الخلكاني في « الوفيات » (3 : 250) وقال بشأنها : « وهي تشجع أجن خلق الله ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبية وشهامة عربية » .

(42) هو بفتح الشين يقال : رأي شعاع أي متفرق ، ونفس شعاع أي مضطربة لا تهتدي لوجهة ، ولا تستقر على حال ، قال الزمخشري في « الأساس » : « نفس شعاع : تفرقت هممها وآراؤها فلا تتجه لأمر حزم قال يخاطب نفسه :

فقدتك من نفس شعاع ألم أكن نهيتك عن هذا وأنت جميع »

(43) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وكتبه ناسخ الكتانية بخطه لحقاً على طرفتها ، وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه رواية عنهما .

ومثله قول الآخر :

كم شارب عسلاً فيه منيته وكم تقلد سيفاً من به ذُبجا

ومثله قول أبي العتاهية (44) :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر

ومن المعنى قول عدي بن أبي الصلت :

تجري الأمور على حكم القضاء ، وفي طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرّني ما بت أحذره وربما ساءني ما بت أرجوه [(45)

وفي التشكي من فناء الأهل والأحبة قول ابن هرمة (46) :

ما أظن الزمان يا أم عمرو تاركاً إن هلكت من يبكي

ويقال : إنه حين مات لم ير أحد خلف جنازته ، وإنما رفعها عبيد له .

وفي احتقار <السفيه> (47) واللثيم وما يصدر منه قول الآخر :

(44) البيت في ديوانه ، وقبله ثلاثة أبيات تقول :

لعمري لو أنني أتفكر
توكل على الرحمان في كل حاجة
رضيت بما يقضى علي ويقدر
أردت فإن الله يقضي ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعبده
يصبه ، وما للعبد ما يتخير

(45) هنا انتهت الاضافة التي نيهنا عليه آنفاً .

(46) ترجمه البغدادي في « الخزانة » (1 : 424) فقال : « هو أبو إسحاق إبراهيم ابن هرمة

بفتح الهاء وسكون الراء المهملة ابن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ، كان من مخضرمي

الدولتين ، وكان مولده سنة سبعين ووفاته في خلافة الرشيد » . وقال عنه القتيبي في « الشعر

والشعراء » (2 : 729) : « حدثني عبد الرحمان عن الأصمعي أنه قال : ساقه الشعراء :

ابن ميادة ، وابن هرمة ، ورؤبة ، وحكم الحضري ، ومسكين العذري » .

(47) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

وما كل كلب نابح يستفزني ولا كلما طن الذباب أراع (48)

ونحوه في التنبيه على كثرتهم وأنه لا ينبغي الاحتفال بهم قول الآخر :

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

وقول الآخر :

أو كلما طن الذباب زجرته إن الذباب إذن عليّ كريم (49)

[(50) آخر :

أذهب فأت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل (51)

آخر (52) :

نجابك عرضك منجى الذباب حمته مقاذيره (53) أن ينالا (54)

(48) البيت في مجالس ثعلب (2 : 345) في طبعة الذخائر برقم (1) وهو في كتاب أبيات الاستشهاد لابن فارس ص 142 ضمن المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات ، وهو في محاضرات الراغب (1 : 135) وهو في كل هذه المصادر غير منسوب .

(49) البيت أنشده ثعلب في مجالسه (2 : 345) وهو فيها غير منسوب .

(50) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وهو في ك و ح فأضفناه رواية عنهما .

(51) البيت لمسلم بن الوليد ، وقبلة :

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

(52) هو إبراهيم بن العباس الصولي ، وقبلة :

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يميناً وأرعد شمالاً

والبيتان منسوبان إليه في «ديوان المعاني» (1 : 179) وفي «أمالي المرتضى» (1 : 488)

وهما في ديوانه المطبوع ضمن مجموعة الميمى المعروفة باسم الطرائف الأدبية .

(53) في ك و ح معاً : «مقاديره» بدال مهملة ، وهو تصحيف صوابه بذال معجمة ، والمقاذير

جمع مقلور الذي هو اسم مفعول من قولك : قدرت الشيء أقدره من باب تعب إذا كرهته وعفته .

(54) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها قريباً .

وفي فعل الحاسدين من نشر المساوي ودفن المحاسن [قول] (55)
الآخر (56) :

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا سراً أذيع وإن لم يسمعوا كذبوا
ونحوه قول الآخر (57) :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذِنُوا (58)
وفي بيع ما يضمن (59) به عند الحاجة قول الآخر :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين (60)

(55) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن ك و ح .
(56) هو طريح بن إسماعيل الثقفي ، والبيت منسوب إليه في « عيون الأخبار » (2 : 28)
وفي « كامل المبرد » (2 : 224) .
(57) هو قعنب بن أم صاحب إضافة إلى أمه ، واسم أبيه ضمرة ، من شراء اللولة الأموية ،
والبيت واحد من ثلاثة أبيات أوردها أبو تمام في حماسه ، ومن قبله بيت يقول :
إن يسمعوا رية طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالح دفنوا
ومن بعده بيت هو :

جهلا علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخلتان الجهل والجهن
(58) في الأصل : « اذن » مشكولة بقلم الناسخ شكلاً تقرأ به كالواحدة من الأذان ، وكذلك
كتبها وشكلها ناسخ الكتانية ، والصواب فيها : « أذنوا » بصيغة الفعل الماضي موصولا
بواو الجماعة ، وهو بمعنى استمعوا ، قال الفيومي في « مصباحه » : « أذنت لشيء من
باب تعب استمعت » . وفي « أساس البلاغة » : « حدثته فأذن لي أحسن الأذن » . وجاء
في الحديث عن الرسول عليه السلام : « ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن » .

(59) في ك : « يظن » بظاء مشالة وهو تصحيف .
(60) في « عيون الأخبار » ج 1 ص 337 حكاية عن البيت تقول : « باع أعرابي ناقة من
مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فلرقت عيناه ثم قال :

وقد تترع الحاجات يا أم معمر البيت =

[(61) وقال أبو علي الحداد :

قالت : وأبدت صفحة كالشمس من تحت القناع
بعت السدفاتر ، وهي آ خر ما يباع من المتاع
لا تعجبي ممّا رأيت فنحن في زمن الضياع

ونحو ذلك قول ابن الحاجب (62) لما ورد مصر :

= فقال له مالك : خذ ناقتك ، وقد سوغتك الثمن « وفي « ذيل الأمالي » ص 191 خبر آخر
هذا نصه : « قال التميمي : أنشدنا أبو مسلمة الكلابي وقد باع جاريتته نبأ من عثمان بن
سحيم التاجر ، فقال له بعض أصحابه : يا أبا مسلمة ، بعت نبأ فقال :

وقد تخرج الحاجات البيت

فبلغ أبا مصعب فاشتراها وردّها على أبي مسلمة . وحكى ياقوت في « إرشاده »
(12 : 228) وهو يترجم أبا الحسن علي بن أحمد الفاي قال : « حدث أبو زكرياء
التبريزي قال : « رأيت نسخة لكتاب الجهرة باعها أبو الحسن الفاي من القاضي أبي بكر
ابن بديل فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفاي فيها :

أنست بها عشرين حولاً وبعتها فقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف واقتفار وصيبة صغار عليهم تستهل شتوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة مقالة مشوي الفؤاد حزين :
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين

فأريت القاضي الرقعة فتوجع وقال : لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه وكان الفاي قد مات
والفالي هذا يقرأ بالفاء لا بالقاف .

(61) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن سن وكتبه ناسخ الكتانية بخطه لحقاً على طرتها ، وهو
وارد في الفاسية ، فأضفناه رواية عنهما .

(62) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الأسنائي (570 - 646 هـ)
المعروف بابن الحاجب والملقب جمال الدين ، قال عنه ابن كثير في « البداية والنهاية »
(13 : 176) : « اشتغل بالعلم ، فقرأ القراءات ، وحرز النحو تحريراً بليغاً ،
وتفقه ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، وكان من أذكي الأئمة قريحة ، وكان ثقة حجة =

يا أهل مصر وجدت أيديكم عن بسطها للنوال منقبضه
لما عدت الغدا بأرضكم أكلت كتي كأي أرضه (63)
وصرت لما حلت واديكم كجملة في الكلام معترضه [(64)

وفي قساوة القلب قول مهلهل بن ربيعة :

يبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

وفي اتباع ما تيسر ، وترك ما تعسر ، قول الأعشى (65) :

إذا حاجة ولتلك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبق

ونحوه قول عمرو بن معد يكرب (66) :

= متواضعاً عفيفاً كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ناشراً له ، « ومختصره » في الفقه من أحسن المختصرات ، انتظم فيه فوائد ابن شاش ، « ومختصره » في أصول الفقه استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وله شرح «المفصل» ، و«الأمالي» في العربية ، و« المقدمة » المشهورة في النحو ، اختصر فيها « مفصل الزمخشري » وشرحها ، وله « التصريف » وشرحه ، وله « عروض على وزن الشاطبية » .

(63) في « حياة الحيوان » للدميري : « الأرضة بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دوية كئصف العذمة تأكل الخشب ، وهي التي يقال لها النرفة ، وهي دابة الأرض التي ذكرها الله في كتابه » . وفي « عجائب المخلوقات » للقزويني : « الأرضة دودة بيضاء تبني على نفسها أزجاً شبه دهليز خوفاً من عدوها كالنمل وغيره ، ولها مشفران حادان تثقب بهما الحجارة والآجر » .

(64) هنا انتهت الزيادة التي نقلناها عنك وح ، والتي نبهنا عليها سابقاً .

(65) البيت من قصيدته القافية في مدح الملق ، وهي في ديوانه .

(66) البيت من قصيدة له مطلعها :

أمن ريحانة الداعي السميع يورقني وأصحابي هجوع

واقراها في الأصمعيات (172 - 178) .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وقد سبق إليه امرؤ القيس في قوله (67) :

وخير ما رمت ما ينال

وفي التحذير من فعل السوء مخافة المكافأة قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهن أحد علينا فنجهل (68) فوق جهل الجاهلينا

أي فتعاقبه ، فسمى المجازاة على الجهل جهلاً كقوله تعالى : (الله يستهزئ بهم) .

وفي التشكي من قلة الإخوان الصادقين (69) قول امرئ القيس :

إذا قلت : هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرها
كذلك جدّي ما أصحاب صاحباً من الناس إلاّ خاني وتغيرا

وأخذ الشعراء هذا المعنى كثيراً كقول الأندلسي (70) :

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

(67) هو مصراع بيت من قصيدة له يقول في أولها :

عيناك دمعها سجال كأن شأنهما أوشال
أو جدول في ظلال نخل للماء من تحته مجال
من آل ليلي وأين ليلي وخير ما رمت ما ينال

وهي في ديوانه في سلسلة اللخائر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(68) كتب أكتسوس هنا بخط يده على طرة مخطوطته ما لفظه بالحرف : « المراد بالجهل هنا

الفحش والسفه لا ما يقابل العلم ، قاله ابن عبد السلام البناني في شرح الاكتفاء .

(69) كذا بالأصل ، ومثله في س ، أما ك ففيها . « المتصادقين » وأما ح ففيها « الصديقين » .

(70) هو المعتصم بن صمادح صاحب المرية .

فلم ترني الأيام خلاّ تسرني مباديه إلاّ ساعني في العواقب
ولا قلت : أرجوه لدفع ملامة من الدهر إلاّ كان إحدى المصائب

[(71) وذكر عن ابن العباس النيسابوري أنه قال : لو صحت صلاة
بغير قراءة القرآن لصحت بهذا البيت (72) :

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقلتي وجنة حر

ويحكى أن علوية غنى بين يدي المأمون بن الرشيد - رحمهم الله - :

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه
يوافقي في كلّ أمر أرومه ويغفر ذنبي إن أسأت إليه

فقال المأمون : أعطوني هذا الصاحب وخذوا نصف الخلافة ، والشعر
لأبي العتاهية .

ولابن حمديس من قصيدة (73) :

(71) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن مخطوطة أكنسوس ، وهو في الكتانية ، كتبه ناسخها
بخطه على ورقة إضافية ، ونبه في طرته على ذلك بما لفظه بالحرف : « انظر بعد هذا الورقة
الملتصقة بمتته ، فإن ما فيها متصل به حسبما ما في نسخة غير هذه » . وهو وارد في الطبعة
الفاسية فأضفناه نقلاً عنهما .

(72) هو لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالبديهي ، شاعر عباسي ، كان يعيش في القرن الرابع
الهجري ، ويقال : إن البديهي على كثرة شعره لم يستحسن له العارفون بالشعر إلا هذا
البيت ، وقبله :

رب ليل قطعته باجتماع مع بيض من الأخلاء غر
وكأن الكؤوس زهر نجوم والثريا كأنها عقد در
مر من كنت أصطفيه ولله ر صروف تشوب حلواً بمر

(73) البيت لا يوجدان في ديوانه المطبوع ببيروت سنة 1960 بتحقيق الدكتور إحسان عباس .

فلا ترج من دنياك خيراً وإن يكن
وما الحزم كل الحزم إلاّ اجتنابها

ولغيره :

وإخوان وثقت بهم فأضحى
أذاهم يعتريني كلّ حين
فلما أن أسأت الظنّ كفوا
فيا عجباه من ظنّ يقيني!

طرفة :

كل خليل كنت خاللته
لاترك الله له واضحه (74)
كلهم أروغ من ثعلب
ما أشبه الليلة بالبارحه (75) !

غيره (76) :

وكنت أخي بإخفاء الزمان
فلما انقضى صرت حرباً عوانا (77)

(74) في « صحاح الجوهري » : « الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك ، قال طرفة :

كل خليل البيت »

(75) في أمثال الميداني : « ما أشبه الليلة بالبارحة أي ما أشبه بعض القوم ببعض يضرب في تساوي
الناس في الشر والخديعة ، وتمثل به الحسن رضي الله عنه في بعض كلامه للناس وهو من
بيت أوله :

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه !

وإنما خص البارحة لقربها منها فكأنه قال : ما أشبه الليلة بالليلة يعني أنهم في اللؤم من
نصاب واحد .

(76) هو إبراهيم بن العباس الصولي ، والبيتان في ديوانه المودع في مجموعة الميمني المسماة
« بالطرائف الأدبية » ومعهما بيت يتوسطهما هذا نصه :

وكنت أذم إليك الزمان فقد صرت فيك أذم الزمانا

(77) العوان من الحروب هي التي قوتل فيها مرة بعد أخرى فتطاول بقاؤها ، واشتد نكرها ،
شبهوها بالعوان من النساء التي هي النصف ، وتصوروا أنها بدأت بكرأ ثم ارتقت بها
الحال فصارت عواناً .

وكنت أَعْدَكَ للنسائبات فما أنا أطلب منك الأمانا

غيره :

فلا تغترّ من خَلّ بيشر ولا بتودد عند التلاقي
فكم نَبَتَ نضير راق حسناً عياناً وهو مرٌّ في المذاق

غيره :

قد كان ما كان وانقضى ومضى (77م) وقد طويت بساطاً كنت ناشره
لما رأيتك لا تبقي على أحد فكيف أحسد بعدي من تعاشره

وقال سعيد بن حميد من أبيات :

وما أنت إلا كالزمان تلونت نوائب من أحداثه وأمور
فإن قل إنصاف الزمان وعدلته فمن ذا على جور الزمان يُجِير ؟

وقال جحظة (78) :

ضأقت عليّ وجوه الرأي في نفرٍ يلقون بالجد والكفران إحساني
قلّب الطرف تصعيداً ومنحدراً فما أقابل إنساني بإنسان

وقال :

وإذا جفاني صاحب لم أستجز ما دمت قطعته

(77م) خرج هذا الشطر إلى البحر السريع مع أن البيتين من البسيط .
(78) ترجمه الخلكاني في « وفياته » (ج 1 ص 115 - 119) فقال : « أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة البرمكي النديم ، كان فاضلاً صاحب فنون ، وأخبار ، ونجوم ، ونوادير ، ومناذمة ، وكان من ظرفاء عصره ، وله ديوان شعر أكثره جيد ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة » .

وتركته مثل القبو ر أزرها في كل جمعه [(79)]

وفي التفجع على الشباب قول حميد بن ثور الهلالي (80) :

لياليَ أبصار الغواني وسمعها إليّ وإذٍ ريحي هـنّ جنوب
وإذٍ شعري ضافٍ ولوتي مذهبٍ وإذٍ ليّ في ألباهنّ نصيب
فلا يبعد الله الشباب وقولنا إذا ما صبونا صبوةً ستوب

[(81) وقال أبو الفضل الميكالي بل ابن الرومي :

يمضي الشباب ويبقى من لبانته شجو على النفس لا ينفك يشجيتها
ما كان لي دون إعجاب النساء به والنفس أوجب إعجاباً لما فيها

وقال قتادة (82) في قوله تعالى (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) يعني الشيب .

وقال المهلي (83) :

صبغت الرأس ختلاً للغواني كما غطى على الرّيب المريب
أعلل مرة وأساء أخسرى ولا تحصى من الكبر العيوب
أسوف توتبي خمسين حولاً وظني أن مثلي لا يتوب
يقومُ بالثقفِ العودُ لذنأً ولا يتقومُ العودُ الصليب

(79) هنا تنتهي الإضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

(80) الأبيات من قصيدة في ديوانه المطبوع بتحقيق عبد العزيز الميعني .

(81) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س فأضفناه رواية عن س و ح .

(82) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، تابعي جليل ، كان مفسراً فقيهاً عالماً بالشعر وأيام العرب ولد سنة 60 وتوفي سنة 118 هـ .

(83) هو أبو خالد يزيد بن محمد المهلي ، والأبيات منسوبة إليه في « كامل المبرد » ج 1 ص 129 طبعة علي صبيح 1347 هـ .

وكان مالك بن دينار (84) يقول : ما أشد فطام الكبير ، وقال آخر (85) :

دعي لومي ومعتبي أماما فإني لم أعود أن ألاما
وكيف ملامتي إذ شاب رأسي على خلق نشأت به غلاما

وقال محمود (86) للوراق في الخضاب :

يا خاضب الشيب الذي في كلّ ثلاثة يعود
إنّ النّصولَ إذا بدا فكأنّه شيب جديد
ولسه بديهةٌ لوعّةٍ مكروهاً أبداً عتيد
فدع المشيب كما أرا د فلن يعود كما تريد (87)

وقال أيضاً في ذلك :

يا خاضب الشيبة نح فقدما وإنما تدرجها في كفن
أما تراها منذ عاينتها تزيد في الرأس بنقص البدن (88)

وحكي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله

(84) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري من العلماء العاملين الزهاد توفي سنة 131 هـ وقولته
تلك في « كامل المبرد » (2 : 129) .

(85) البيتان في « كامل المبرد » (2 : 129) غير منسوين .

(86) هو محمود بن حسن الوراق ، شاعر عباسي كان يميل إلى نحلة الاعتزال ، قال عنه الحصري
في « زهر الآداب » : « وكان كثيراً ما ينقل أخبار الماضين وحكم المتقدمين فيحلي بها
نظامه ، ويزين بها كلامه » . وتوفي الوراق في حدود الثلاثين والمائتين ، جمع أشعاره
وحققها عدنان راغب العبيدي وصدر عمله هذا مطبوعاً ببغداد سنة 1969 م .

(87) الأبيات الأربعة في « كامل المبرد » (2 : 129 طبعة علي صبيح 1347 هـ) وفي « عيون
الأخبار » (4 : 52 طبعة الهيئة المصرية للكتاب 1973 م) .

(88) البيتان في « كامل المبرد » (2 : 130 طبعة علي صبيح 1347 هـ) .

يهزأ به : يا أبا الأسود، إنك لحميل، فلو تعلقت تميمة! فقال أبو الأسود (89) :

أفنى الشباب الذي أفنيت جدته كثر الحديد من آت ومنطلق
لم يترك لي في طول اختلافهما شيئاً أخاف عليه لذعة الحدق [(90)

ونحوه قول محمد بن حازم (91) :

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

وقول منصور النمري (92) :

ما كنت أوفي شبابي حق عزته حتى مضى فإذا الدنيا له تبع

] (93) وقال ابن الخطيب :

لما علاني الشيب قال صواحي لا نبتغي خلاً بثوب أشهب
فصبغته خوف الصدود فقلن لي : هذا رواية أصبغ عن أشهب (94)

(89) البيتان مع الخبر في « كامل المبرد » (2 : 127) ومعها الشرح التالي : « قوله : فلو
تعلقت تميمة هي المعادة يعلقها الرجل ، قال ابن قيس الرقيات :

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم طفلة زانها أغر وسيم
يتقي أهلها العيون عليها فعلى جيدها الرقي والتميم

وقوله : لذعة الحدق ، فهو من قولهم : للته النار إذا لفحته « والحكاية واردة أيضاً في
« عيون الأخبار » ، وفي « عقد ابن عبد ربه » ، وفي « أغاني الأصفهاني » .

(90) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .

(91) تقدمت ترجمته .

(92) سبق التعريف به .

(93) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وهو في ك وح فأضفناه رواية عنهما .

(94) يوري ابن الخطيب هنا باسمي فقيهين شهيرين هما أشهب وأصبغ، وفي الأول يقول الخلكاني

في « الوفيات » (1 : 215) « أبو عمرو وأشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي ثم =

وقال غيره (95) :

نظرت إليّ بطرف من لم يعدل لما تمكن طرفها من مقتلي
لما رأت شيئاً ألمّ بمفرقي صددت صدود مجانب متحمّل
فجعلت أطلب وصلها بتملق والشيب يغمزها بأن لا تفعلي

وقال غيره :

أناخ الشيب ضيفاً لم أردّه ولكن لا أطيق له مَرَدّاً
رداء للردى فيه دليل تردى (96) من به يوماً تردى (97)

وقال غيره :

حلّ المشيب بعارضي ومفارقي بشس القرين أراه غير مفارقي
رحل الشباب فقلت : قف لي ساعة حتى أودع قال : إنك لاحقي

ويحكى (98) أن أبا دلف دخل على المأمون وعنده جارية فغمزها عليه

-
- = الجعدي الفقيه المالكي المصري ، تفقه على الإمام مالك ثم على المدنيين والمصريين وانتهت
الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم ، وكانت ولادته بمصر سنة 150 وتوفي سنة 204 .
وقال عن الثاني في « وفياته » (1 : 217) : « أبو عبد الله أصبغ بن الفرج بن سعيد
الفقيه المالكي المصري تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب وقا- عبد الملك بن الماجشون
في حقه : ما أخرجت مصر مثل أصبغ وتوفي سنة 225 » .
(95) في « شرح الشريشي » على « مقامات الحريري » (3 : 15) : « ولحبيب وروى لأبي دلف :
نظرت إلي بعين من لم يعدل الأبيات » .
(96) تردى هذه تفعل من الردى الذي هو الهلاك .
(97) تردى هذه بمعنى لبس الرداء .
(98) الحكاية واردة « بالعقد الفريد » (3 : 52) وجاءت أيضاً في « شرح الشريشي » على
« المقامات » (3 : 15 - 16) .

فقال له : شبت يا أبا دلف ، فأعرض عنها ، فقال له المأمون : ألا تجيبها ؟
فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال :

تهزأت إذ رأيت شبي فقلت لها : لا تهزئي من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيبكن لكن العار فاكثبي
فينا لكن وإن شيب بدا أرب وليس فيكن بعد الشيب من أرب

غيره :

لا تخطون إلى خيط ولا خطأ من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
فأي عذر لمن شابت مفارقته إذا جرى في ميادين الهوى وخطا

وقيل : ظهور الشيب في الناصية كرم ، وفي القفا لثوم ، وفي الهامة وقار ،
وفي الفودين شرف ، وفي الصدغين شح ، وفي الشاربين فحش [(99)] .

وهذا الباب لا يأتي عليه الحصر ، فلنقتصر على هذا القدر .

واعلم أنه لا يزال علماء الأدب من لدن أدبرت العرب يختلفون في مقالة
العرب بحسب (100) اختيار الأجود منه والأصدق والأفخر أو نحو ذلك
(101) فنورد جملة مما وقع لهم في ذلك إمتاعاً والله الموفق .

فه الأمر من قبل ومن بعد

(99) هنا انتهت الإضافة التي نبهنا عليها سابقاً .

(100) في الفاسية : « فحسبنا » .

(101) في ك و س و ح : « أو الأصدق أو الأفخر أو نحو ذلك » بأو بدل الواو .

[أشعر بيت قالته العرب]

حدثوا في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « أشعر بيت قالته العرب قول دريد ابن الصمة (1) :

قليل التشكّي للمصيبات ذاكر من اليوم أعقاب الأحاديث في غد(2)
وقيل : قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

(1) هو دريد « بصيغة التصغير » ابن الصمة « بكسر الصاد » واسمه معاوية بن الحارث بن بكر من بني جشم فارس شاعر قتل مشركاً في غزوة حنين .

(2) البيت من قصيدة له مطلعها :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد
قالها في رثاء أخيه أبي دفاة عبد الله وكان أغار على غطفان فاستاق أموالهم فتمقبوه
وهو راجع فقتلوه . والقصيدة في مجموعة « الأصمعيات » (ص 105 - 110) في
طبعة دار المعارف ، وفي « جمهرة أشعار العرب » للخطابي (2 : 581 - 591) وقد
وضعها الخطابي ضمن السبع المجهرات وهي عنده في 37 بيتاً ، واختار أبو تمام جملة
أبيات منها في « حماسته » وأورد الأصفهاني طائفة من أبياتها في « أغانيه » (10 : 7 - 9)
طبعة الدار ، وقد فسر المرزوقي في « شرحه » على « الحماسة » (2 : 819) معنى هذا
البيت فقال : « يريد بقوله : قليل التشكّي نفي أنواع التشكّي كلها عنه ، وعلى هذا قوله
تعالى (فقليلاً ما يؤمنون) والمعنى أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته ، والمصائب تتجدد
عليه في ذويه وعشيرته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده ،
فهو نقي الأفعال من العيوب ، طيب الأخبار في أفواه الناس » .

وقيل : قول زهير :

فلما وردن الماء زُرْقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم (3)

وقيل : قول الآخر (4) :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده (5)

وقيل : قول لبيد :

(3) فسرهُ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في « شرحه » على « القصائد السبع الطوال » (ص 251) بتحقيق عبد السلام هارون (سلسلة الذخائر برقم 35) فقال : « يقال : ماء أزرق : إذا كان صافياً ، والجمام قال الأصمعي : يقال للماء إذا خرج من عيونه فارتفع في البئر : قد جم يحجم جموماً ، ويسمى الماء نفسه جمماً ويقال : استقى لي من جم بئر ، ويقال : بئر جموم أي سريعة رجوع الماء ، وقوله : « زرقاء » معناه : لم يورد قبلهن فيكدر ، فهو صاف ، وقوله : « وضعن عصي الحاضر المتخيم » معناه أقمن كما يطرح الذي لا يريد السفر عصاه ، ويقوم ، ويقال للرجل إذا أقام : ألقى عصا التسيار ، والمتخيم يريد الذي يتخذ خيمة ، وهي أعواد تنصب وتجعل لها عوارض فتظل بالشم ، ويكون في جوانبها خصائص فيدخل منها الريح في القيظ ، فهي أبرد من الأخبية ، وزرقا منصوب على الحال من الماء ، والجمام رفع بمعنى « زرق » .

(4) هو دريد بن الصمة الذي عرف به قريباً .

(5) البيت من المجهرة التي سبق القول فيها آنفاً وهو الآخر من أبياتها ، والبيت فسرهُ المرزوقي في « شرحه » على « الحماسة » (2 : 221) فقال فيه ما يأتي : « يجوز أن يكون صبا الأول من الصبا والهو ، وصبا الثاني من الصباء بمعنى الفتاة ، فيكون المعنى : تعاطى اللهو والصبا ما دام صيباً ، فلما اكتمل وظهر في رأسه الشيب فاشتعل نحي الباطل عن نفسه زهداً فيه ورجوعاً إلى الحق ورغبة فيما يكسبه الأحذوثة الجميلة من أبواب الصلاح والجد ، ويجوز أن يكون المعنى : تعاطى الصبا ما تعاطاه إلى أن علاه المشيب ، فيسقط التجنيس من البيت وهو يحسن به ، وما صبا في موضع الظرف على الوجهين جميعاً ، أي مدة الأمرين ، وحتى للغاية ، وقوله : ابعده من بعد يبعده إذا هلك ولو أراد البعد لقال : ابعده بضم العين » .

واكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يزري بالأمل (6)

وقيل : قول امرؤ القيس (7) :

ألا يا لهفَ هندٍ إثرَ قومٍ همُ كانوا الشفاء فلم يصابوا (8)
وقاهمُ جدُّهمُ ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب (9)
وأفلتهنَّ علباءٌ جريضاً ولو أدركته صفرَ الوطاب (10)

وقيل : بل قوله :

(6) قيل لبشار : ما هو أشعر بيت ؟ فقال : إن تفضيل بيت واحد على سائر الشعر لشديد ، ولكن أحسن أخو عامر حيث يقول : ثم أنشد هذا البيت .

(7) الأبيات في ديوانه المطبوع في سلسلة الذخائر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف سنة 1964 م وقبلها هذا التقديم « وقال حين غزا بني أسد فأخطأهم وأوقع ببني كنانة وهو لا يدري » .

(8) فسر الأعلام الشنمري هذا البيت فقال ما نصه : « قوله : « كانوا الشفاء » يعني أن الذي كان يشفيه مما يجد بقتل أبيه قتل بني أسد ، فوضع السلاح في كنانة وهو يرى أنهم بنو أسد فتلهف ألا يكون أدرك بني أسد » .

(9) قال الأعلام في تفسير هذا البيت ما لفظه : « قوله : « وقاهم جدهم ببني أبيهم » الجذ الحظ والبخت ، يقول : وقى بني أسد جدهم وبختهم بقتل بني عمهم كنانة ، وأراد « وبالأشقين كان العقاب » وأدخل ما صلة وحشواً ، ويجوز أن يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر على تقدير : وبالأشقين كون العقاب » .

(10) شرح الأعلام هذا البيت فجاء فيه ما يأتي : « علباء هذا قتل أبا امرئ القيس ، وهو علباء ابن الحارث الكاهلي ، وقوله : « وأفلتهن » يعني الخيل والجريض الذي يفص بريقه عند الموت ، وقوله « صفر الوطاب » . أي هلك فخلا جسمه من روحه كما يخلو الوطاب من اللبن ، وقيل المعنى أنه يقتل فتصفر وطابه أي تخلو ويذهب لبنها فلا يكون له لبن لأنه إذا مات فلا شيء له من ماله » .

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبَيْرَ خَيْرُ حَقِيبةِ الرَّحْلِ

وقوله أيضاً :

وإنك لم تفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أحسن بيت قالته العرب]

وأحسن بيت قالته العرب قول كعب (1) بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم :

تحملهُ الناقةُ الأدماءُ معتجراً (2) بالبُردِ كالبدرِ جلتى ليلة الظلمِ
وفي عِطافِيهِ أو أثناء برده (3) ما يعلم الله من دين ومن كرم

(1) في « زهر الآداب » للحصري (2 : 1090) بتحقيق علي محمد البجاوي ما نصه بالحرف :
« وأصدق بيت قالته العرب وأمدحه قول كعب بن زهير في رسول الله صلى الله عليه وسلم :
تحمله الناقة الأدماء معتجراً البيتين

قال الأصمعي : والجهال يروون هذا البيت لأبي دهب ، واسمه وهب بن ربيعة في عبد الله ابن عبد الرحمان الأزرق والي اليمامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أعلق ، وبمدحه أليق . والبيتان لا يوجدان في ديوانه المطبوع .

(2) في « مصباح الفيومي » : « المعجر بوزن مقود ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة ، واعتجرت المرأة لبست المعجر ، وقال المطرزي : المعجر ثوب كالعصابة تلفه المرأة على استدارة رأسها ، وقال ابن فارس : اعتجر الرجل لف العمامة على رأسه » وفي « أساس البلاغة » للزنجشيري : « وخرجن معتجرات أي مختمرات بالمعاجر ، وهو حسن المعتمر ، وهو الاعتماد » .

(3) كذا هو في صلب الأصل ، وفي هامشه بخط ناسخه : « ريطرة » عليها حرف خاء إشارة إلى مخطوطة أخرى ، وفي ك و س و ح : « ريطرة » بدل : « بردة » والريطة فسر معناها الفيومي في « المصباح » فقال : « الريطة بالفتح كل ملاءة ليست لفقين أي قطعتين ، والجمع رباط مثل كلبة وكلاب وربط أيضاً مثل تمر وتمر ، وقد يسمى كل ثوب رقيق ريطرة » .

وقيل : قول الآخر (4) فيه صلى الله عليه وسلم :
فَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُسْجَلَهُ فَنُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

وقيل : أحسن ما قالته العرب قول الفقيمي (5) :

(4) هو حسان بن ثابت ، والبيت من قطعة له في ثمانية أبيات ، وهي في ديوانه بتحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين طبعة القاهرة سنة 1974 . وفي « خزائن البغدادي » (1 : 224 - 228) بتحقيق عبد السلام هارون كلام يتعلق بهذا البيت ننقل منه إلى القارئ ما يأتي : « هو أول أبيات ثمانية منح بها نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، والصواب في روايته « شق له من اسمه » بدون واو فإنها للعطف ، ولم يتقدم شيء يعطف عليه ، لكن يبقى الشعر مخروماً ، والحرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة عبارة عن حذف أول الوند المجموع في أول البيت ، كما أن ضمير « له » راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أي شق له اسماً من اسمه واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود بمعنى أن الحمد لا يكون إلا له ، ولا يقع إلا عليه ، فأراد تبارك وتعالى أن يشرك نبيه في اسم من هذا الوصف تعظيماً له صلى الله عليه وسلم فسماه محمداً . ثم قال البغدادي بعد إنشاد الأبيات الثمانية التي منها البيت ما نصه : « كذا في ديوانه من رواية أبي سعيد السكري ، ورأيت في « المواهب اللدنية » قال مؤلفه : ثم إن في اسمه محمد خصائص منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت :

أغر عليه النبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس الملوذن أشهد
وشق لسه من اسمه ليجله فلو العرش محمود وهذا محمد

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير في له راجع للنبي « اه من الخزانة .

(5) في « صحاح الجوهري » : « فقيم حي من كنانة ، والنسبة إليهم فقيمي مثل هندي » . وفي « تاج العروس » : « والنسبة إلى فقيم بطن من كنانة فقيمي كعربي بضم العين وفتح الراء وكسر التون ، والنسبة إلى فقيم دارم فقيمي على القياس » . وفي « لباب ابن الأثير » (2 : 437 - 438) : « الفقيمي بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء تحتها نقطتان وفي آخرها ميم هذه النسبة إلى فقيم بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وقيل : فقيم بن جرير بن دارم بطن من تميم ينسب إليه كثير » . وفي « اشتقاق =

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجود

وقول المرقش (6) :

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعلم على الغي لائماً (7)

وقول الآخر :

ألا عائد بالله من عدم الغنى ومن رغب (8) يوماً إلى غير راغب

لله الأمر من قبل ومن بعد

= ابن دريد « (ص 244) بتحقيق عبد السلام هارون : « وليس في بني فقيم بن جرير رجل يذكر » ولم نوفق إلى معرفة شاعر بنسبة الفقيمي هذه ولكننا عرفنا راجزاً ينسب بالفقيمي ، وهو دكين بن رجاء الفقيمي المترجم في « الشعر والشعراء » (2 : 592 - 595) وفي « إرشاد الأريب » لياقوت (11 : 113 - 117) .

(6) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ويقال : إن اسمه عمرو

ابن حرمة بن سعد بن مالك ، وهو خال طرفة بن العبد ، والمرقش الأكبر عمه ، واسم المرقش الأكبر عمرو بن سعيد بن مالك ، والمرقش لقب عليهما معاً ، والمرقشان كلاهما شاعر جاهلي ، وكان كلاهما فارساً شجاعاً ، وهما معاً من عشاق العرب المتيمين ، وحرف المرقش في الكتانية فكان الرقشي ، وحرف في الفاسية فصار المرقشي بياء في الآخر .

(7) البيت من قصيدة في « المفضليات » (244 - 247) في أربعة وعشرين بيتاً ، ومطلعها :

ألا يا أسلمي لا صرم لي اليوم فاطما . ولا أبداً ما دام وصلك دائماً

(8) في ك و ح : « رغبة » .

[أصدق بيت قالته العرب]

وأصدق بيت قالته العرب قول الشاعر :

وما حملت من ناقة فوق رحلها (1) أبرّ وأوفى ذمة من محمد

وقيل : قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تنقع

وقيل : قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً بيأتيك بالأخبار من لم تزود

[(2) وكان صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : « ويأتيك من لم

تزوده بالأخبار » . ويقول عليه السلام : التركيب أو المعنى واحد ، فيقول

أبو بكر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله ، وقد قال الله تعالى : (وما

علمناه الشعر) رجوع [(3) .

(1) في الفاسية « كورها » بدل : « رحلها » والكور بالضم الرجل بأداته .

(2) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وهو وارد في الطبعة الفاسية ، وكتبه ناسخ الكتانية بخطه لحقاً على الطرة فأضفناه رواية عنها .

(3) هنا انتهت الاضافة التي نبهنا عليها آنفاً .

وقيل : قول امرئ القيس :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

واعلم أن هذا الخلاف في هذه الأبيات وكذا في هذه التراجم ليس
اختلاف تناقض ، فإنها كلها صحيحة ، وإنما ذلك أن كلاً يتكلم بما عرف
أو بما حضر في فكره فافهم .

لله الأمر من قبل ومن بعد

[أكذب بيت قالته العرب]

أكذب بيت قالته العرب قول (1) الأعشى :

لو أسندت مَسِيئاً إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجا للمسيّت الناشر

وقيل : قول مهلهل (2) :

فلولا الريح أسمع مسن بنجد صليل البيّض تُقرع (3) بالذكور

تت الأمر من قبل ومن بعد

(1) البيتان من قصيدة في ديوانه مطلعها :

شانتك من قيلة أطلها بالجزع فالشط إلى حاجر

وهو قالها يفضل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة حين تنافرا .

(2) في الكتانية : « المهلب » بدل : « مهلهل » وهو تحريف .

(3) في الكتانية : « تصرع » بالصاد وهو تصحيف .

[أنصف بيت قالته العرب]

أنصف بيت قالته العرب قول (1) سيدنا حسان رضي الله عنه :
أتهجوه ولست له بكفءٍ فشر كما نخير كما الفداء
ومن ذلك قول الآخر (2) :
بكل قرارةٍ منا ومنهم (3) بنانُ فتيٍّ وجمجمةٌ فليقُ

(1) البيت من قصيدة له مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عناء منزلها خلاء

وقبله :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزء

(2) هو المفضل بن معشر بن أسحم النكري (يضم النون وسكون الكاف) من الشعراء الجاهليين ،
والآيات من قصيدة له واردة بالمجموعة الشعرية المعروفة باسم « الأصمعيات » ، وتلقب
المنصفة ، ومعها قصائد أخر تحظى بهذا اللقب فيقال لها المنصفات كما يقال : المعلقات
والمجهرات والمتقيات والمذهبات وهم أرادوا بالمنصفات تلك القصائد التي أنصف فيها
قائلوها أعداءهم وصدقوا فيها القول عنهم بما أبلوه من البلاء الحسن في قتالهم وانظر :
« الأصمعيات » (ص 199 - 203) بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون في طبعة
دار المعارف 1964 م .

(3) رواية « الأصمعيات » لهذا المصراع جاءت هكذا :

بكل قرارةٍ وبكل ريع

وفي « المصباح » « الريع بالكسر الطريق ، وقيل : الجبل : وقيل : المكان المرتفع » .

فأشبعنا الضبَاع وأشبعوها
 قتلنا الفارس الوضاح منهم
 فأتقنا نساءهم وأبكووا
 فراحت كلها تتق (4) تفوق (5)
 كأن فروع لمتيه العنوق (6)
 نساء ما يسوغ لهن ريق (7)

وقول الآخر :

نطاعنهم نستودع البيض فيهم ويستودعوننا السمهري (8) المقوما

لله الامر من قبل ومن بعد

- (4) في المخطوطات الثلاث وكذا في الفاسية : « نهُق » بنون فهاء وهو تصحيف صوابه : « تتق » بناء مثناة من فوق بعدها همزة كما هي الرواية في « الأصمعيات » ، والتأق فسرهُ الأزهري في « تهذيبه » فقال : « قال الليث : التأق شدة الامتلاء يقال : تتقت القرية تتأق تأقاً ، وأتأقها الرجل إتأقاً ، وتتق فلان إذا امتلأ حزناً وكاد يبكي » .
- (5) في « الصحاح » : « فاق الرجل فواقاً إذا شخصت الريح من صدره ، وفلان يفوق بنفسه فتوقاً إذا كانت نفسه على الخروج ، والفواق الذي يأخذ الإنسان عند النزح ، وكذلك الريح التي تشخص من صدره » .
- (6) في « القاموس » : « العذق النخلة يحملها ج أعذق وعذاق ، وبالكسر القنومنها ، والعنقود من العنب ، أو إذا أكل ما عليه ج أعذاق وعنوق » .
- (7) كتب فاسخ الأصل بخطه على الطرة بعده ما يأتي :
 وأنصف منه قول الآخر :

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبراً .

- (8) في « تاج العروس » : « السمهري الرمح الصلب ويقال : هو المنسوب إلى سمهر اسم رجل ، وهو زوج ردينة وكانا مثقفين أي مقومين للرماح ، ، وفي « التهذيب » : « الرماح السمهرية نسبة إلى رجل اسمه سمهر ، كان يبيع الرماح بالخط ، وامرأته ردينة ، أو إلى قرية بالحبيشة اسمها سمهر قاله الزبير بن بكار ، وقال الصاغاني ، وأنا لا أثق بهذا القول ، والأول أكثر » .

[أفخر بيت قالته العرب]

أفخر بيت قالته العرب قول <الشاعر وينسب > (1) لحسان في النبي صلى الله عليه وسلم :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن (2) معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

و <قيل > (3) : قول امرئ القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى للمجد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالي

وقيل : قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

(1) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(2) في طرة الفاسية بإزائه ما لفظه بالحرف : « أي صب » يعني أن أن هنا ليست التي للتوكيد ونسخ الابتداء ، بل هي فعل ماض مبني للمجهول ، وفي « لسان ابن منظور » ما يأتي بالنص : « إن الماء يؤنه أنأ إذا صبه ، وفي كلام الأوائل : إن الماء ثم اغله أي صبه واغله ، حكاه ابن دريد ، قال : وكان ابن الكلبي يرويه : أزماه ويزعم أن إن تصحيف . وهذا البيت نسبة ابن شاعر في « فوات الوفيات » (1 : 146) لبكر بن النطاح ، ملح به أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وأورد بعده البيت الآتي :

أبا دلف بورك في كل بلدة كما بورك في شهرها ليلة القدر

(3) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

ونحوه (4) قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا

لله الأمر من قبل ومن بعد

(4) فيك : « وقيل » بدل : « ونحوه » .

[أمدح بيت قالته العرب]

أمدح بيت قالته العرب قول الخنساء رحمها الله :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وقيل : قول زهير :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك معطيه الذي أنت سائله

وقيل : قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأقدى العالمين بطون زاح

وقيل : قول (1) الأخطل :

شمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدرُوا

وقيل : قول حسان رضي الله عنه في بني جفنة :

يُغشَوْنَ حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

(1) في « أغاني الأصفهاني » : « أن الرشيد قال بجماعة من أهله وجلسائه : أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر ؟ فقالوا : وأكثروا ، فقال الرشيد : أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدرُوا

وقيل : قول (2) الأعشى :

فنى لو ينادي الشمس أقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالدا (3)

قوله : ينادي (4) الشمس أي يجالسها في ندي .

وقيل : قول أبي الطمحان (5) القيني :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع (6) ثاقبه

فه الأمر من قبل ومن بعد

(2) البيت من قصيدة له يمدح بها هوزة بن علي الحنفي ويذم الحارث بن وعلة الرقاشي ، وهي في ديوانه .

(3) في العتبة الفاسية : « المقاليد » بمد اللام وهو لا يماشي قوافي القصيدة .

(4) في « صحاح الجوهري » : « تنادوا أي تجالسوا في النادي ، وقاداه جالسه في النادي ،

والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي والمنتدى » .

(5) هو حنظلة بن الشرقي أحد بني القين بن جسر ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، قال عنه

البكري في « اللآلئ » (1 : 349) : « كان خبيث الدين جيد الشعر » .

(6) في « مصباح الفيومي » : « الجزع بالفتح خرز فيه بياض وسواد ، الواحدة جزعة مثل

تمر وتمرة » . وفي « أساس البلاغة » : تجزع الشيء تقطع وتفرق ، ومنه الجزع الظفاري

قال امرؤ القيس :

كأن عيون الوحش حول خيائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يتقّب

ويقال : « فلان ينظم الجزع بالليل لحدة بصره » . والبيت من قطعة في « حماسة أبي تمام » ،

وفي تفسيره يقول المرزوقي في شرحه على الحماسة (4 : 1599) : « قوله « أضاءت

لهم أحسابهم ووجوههم » يريد طهارة أنفسهم وزكاه أصولهم وفروعهم ، فهم بيض

الوجوه نيرو الأحساب فدجى ليلهم تنكشف من نور أحسابهم حتى إن ثاقبه يسهل نظم

الجزع فيه لناظمه » .

[أهجى بيت قالته العرب]

أهجى بيت قالته العرب قول (1) الأعشى :

تبيتون في المشى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا (2)

وقيل : قول (3) الأخطل :

قوم إذا نبج الأضياف كلبهم قالوا لأهمهم : بولي على النار
فتمسك البول بخلاً أن تجود به فما تبول لهم إلا بمقدار (4)

(1) البيت من قصيدة له نفر فيها عامر بن طفيل على ابن عمه علقمة بن علاثة وقبله :
أعلقم قد حكمتني فوجدتني بكم عالماً على الحكومة غائصا
كلا أبويكم كان فرع دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

(2) في ك : « خمائصاً » وهو تحريف .

(3) في « عمدة ابن رثيق » (2 : 175) ما نصه بالحرف : « يقال : إن أهجى بيت قاله شاعر
قول الأخطل في بني يربوع رهط جرير :

قوم إذا استنج البيت

لأنه جمع فيه ضرورياً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النار لثلا يهتدي بها الضيفان ،
ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالخطب ، وأخبر عن قلتها ،
وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز ، وهي أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان
أهمهم وابتذالها في مثل هذه الحال يدل بذلك على العقوق والاستخفاف وعلى أن لا خادم لهم ،
وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصاري :
إنه رماه في هذا البيت بالمجوسية لأن المجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ولا أدري أنا كيف
هذا ، والبول ماء غير أنه ماء نجم قدر .

(4) كتب أكنسوس هنا بخط يده على طرة مخطوطته ما يأتي : « ومن تمام هذا الشعر :
والخيز كالعنبر الشحري عندهم والقمح سبعون إردباً بدينار =

وقيل : قول (5) حسان رضي الله عنه :

لابأس بالقوم من طول ومن قصر (6) جسم البغال وأحلام العصافير

وقيل : قول زياد الأعجم (7) :

قالوا: الأشاقر (8) تهجوني فقلت لهم : ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

= وهذا البيت لا يوجد في ديوانه الذي اعتنى بنشره الأب أنطوان صالحاني ، والبيت منسوب للأخطل في « لسان ابن منظور » وفي « تاج العروس » للزبيدي ، وكلاهما جاء به شاهداً في مادة : « ردب » وأورده الديرري في « حياة الحيوان » وهو يتكلم عن الكلاب .
(5) البيت من قطعة له في سبعة أبيات قالها في هجو رهط النجاشي الشاعر ، وهي في ديوانه .
(6) كذا في المخطوطات الثلاث ، وهو ما في الطبعة الفاسية وكذلك جاءت الرواية في بعض مخطوطات الديوان ، لكن الرواية المعروفة فيه أتت هكذا : « من عظم » وهي أنسب وأليق بمعنى البيت وسياقه .

(7) ترجمه ابن قتيبة في الشعر والشعراء (1 : 395 - 399) فكان بما قال فيه : « هو زياد ابن سلمى ويقال : زياد بن جابر بن عمرو بن عامر بن عبد القيس ، وكانت فيه لكنته ، فلذلك قيل له الأعجم » . « وهم الفرزدق بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً الأعجم فبعث إليه : لا تعجل حتى أهدي لك هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية فبعث إليه :

ما ترك الهاجون لي إن هجوته مصحاً أراه في أديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرق
سأكسر ما أبقوه لي من عظامه وأنكت مخ الساق منه وأنتقي
وإنما وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما تلقى في البحر يغرق

فلما بلغه الشعر قال : ليس إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد .
(8) في المخطوطات الثلاث : « الأشاقر » بالفاء ، وجاءت الكلمة في الفاسية غير منقوطة فكانت لافاء ولا قافاً ، والصواب فيها : « الأشاقر » بالقاف ، والأشاعر ذكرهم ابن دريد في « الاشتقاق » ص 197 فقال : « الأشاقر بطن من الأزدي من مواليتهم شعبة بن الحجاج المحدث » . وتكلم عنهم تارة أخرى في « الاشتقاق » ص 105 وهو يذكر قبائل زهران ابن كعب فقال : « ومنهم الأشاقر رهط كعب الأشقري الشاعر ، والأشقر هو أسعد بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم » .

[(9) وقيل : قول أوس (10) :

لعمرك ما تبلى سراويل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلودها (11)

وقيل : قول الطرماح (12) :

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وقيل : قول الفرزدق :

أنتم قرارة كل معدن سوأة ولكل سائلة تسيل قرارُ

لله الأمر من قبل ومن بعد

(9) ما بين العلامتين ساقط من مخطوطة أكنسوس .

(10) هو أوس بن مغراء ، ذكره ابن دريد في « الاشتقاق » ص 255 بين رجال بني سعد بن زيد مناة بن تميم فقال : « ومنهم أوس بن مغراء الشاعر ، ومغراء فعلاء من اللون الأغر ، والمغرة حمرة فيها كدرة » . وترجمه البكري في اللآلئ (2 : 795) فقال بشأنه : « أوس بن مغراء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر جاهلي ، كان يهاجي النابغة الجعدي ، وقد قيل إنه أدرك الإسلام » .

(11) في عمدة ابن رشيقي (2 : 175) ما نصه : « كان النابغة الجعدي يقول : إني وأوساً لنبئتد باباً من الهجاء ، فمن سبق إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :
لعمرك البيت

قال النابغة هذا والله البيت الذي كنا نبئتدره » .

(12) هو الطرماح (بكسر الطاء والراء بعدهما ميم مشددة) ابن حكيم بن الحكم ، من فصحاء الشعراء في العهد الأموي ، يكنى أبا ضبيبة افتخر بنفسه فقال من قصيدة :

إذا قبضت نفس الطرمسباح أخلقت عري المجد واسترخی عنان القصائد

وبلغ فخره هذا الكميت فقال : « اي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة » .

[أشجع بيت قالته العرب]

أشجع بيت قالته العرب قول العباس (1) بن مرداس :
أشد على الكتيبة (2) لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

وقيل : قول عنتره (3) :

ولاني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بقاءها

وقيل قوله :

إنّ المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضمنك المنزل

وقيل قول الآخر :

دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طاب الورود

لله الأمر من قبل ومن بعد

-
- (1) في س : « حسان » بدل : « العباس » .
 - (2) في المخطوطات الثلاث : « الكتيبة » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف .
 - (3) هو لقيس بن الخطيم (ديوانه : 10) .

[أشعر بيت في وصف الجبان]

أشعر بيت قيل في وصف الجبان قول جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعلمهم خيلاً تكرّ عليكم (1) ورجالا

وقيل قول الشاعر (2) :

طليق الله لم يمن عليه أبو داوود وابن أبي كبير (3)

ولا الحجاج عيني بنت ماءٍ تغلب طرفها حذر الصقور (4)

نصب عيني على الدم .

ومن هذا قول الطرماح :

ولو أن بزغوثاً على ظهر قملة يكر على صفتي تميم لولت

لله الأمر من قبل ومن بعد

(1) في الأصل ، ومثله في ك و ح : « عليهم » بضمير الغيبة ، وفي س : « عليكم » بضمير الخطاب ، وهو ما في الديوان ومعنى الكلام في الشعر على الخطاب .

(2) هو إمام بن أرقم النميري على ما عند الجاحظ في البيان والتبيين (1 : 362) .

(3) كذا بالأصل ومثله في ك و ح أما س ففيها : « كثير » بشاء مثناة بدل الباء وهي رواية الجاحظ في « بيانه » والمبرد في « كامله » .

(4) في « كامل المبرد » (3 : 6) : ومن التشبيه المحمود قول الشاعر :

طليق الله البيتين

وهذا غاية في صفة الجبان ، ونصب عيني بنت ماء على الدم « وفي رغبة الأمل (6 : 155) : « طليق الله الخ يريد أن الذي أطلقه من الأسر وخلى سبيله إنما هو الله وحده لا أحد هؤلاء الثلاثة » عيني بنت ماء « هي ما يصاد من طير الماء ، إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذراً منه فشبّه عيني الحجاج عند الحذر والفرق بهما » .

[أشعر بيت قبل في الاستحغار]

أشعر بيت قبل في الاستحغار قول الحطيئة (1) :

فمن أنتم إنا نسينا من انتم وريحكم من أي ربح الأعاصر (2)
وأنتم ألى (3) جثم مع البقل واللبى فطار وهذا شخصكم غير طائر (4)
أي الذين جثم مع البقل واللبى (5) جمع دابة بفتحيتين .

(1) البيتان من قطعة له في سبعة أبيات ، وهي في ديوانه ، وهو قالها في هجاء قدامة العبيسي وقبلهما :
فخرتم ولم نعلم بمحدث مجدكم . فهات . هلم . بعدها للتنافر .
والبيتان في « حماسة أبي تمام » ، وهما فيها منسوبان لزياد الأعجم أحد شعراء الدولة
الأموية وبعدهما فيها :

فلم تسمعوا إلا بمن كان قبلكم ولم تدركوا إلا مدق الحوافر

(2) فسر المرزوقي في « شرحه » على « الحماسة » هذا الشطر فقال : « قوله : « من أي ربح
الأعاصر » - الأعاصر جمع إعصار وهو الغبار الساطع المستدير ، وإنما خصها بالذكر
لأنها لا تسوق غيثاً ، ولا تدر سحاباً ، ولا تلقح شجراً . فضرِب بها المثل لقلة الانتفاع بهم » .

(3) الألى هنا موصولة ، وهذا البيت شاهد على مجيئها عارية من حرف التعريف ، وهي مرسومة
بلون واو للتفرقة بينها وبين أولى الإشارية .

(4) فسر السكري معنى هذا البيت في « شرحه على شعر الحطيئة » فقال : « يقول : إنما ناسبتونا
قريباً على غير أصل معروف كالبقل ينبت في الربيع ثم يتصوح في الصيف ، وكذلك الجراد
إنما يجيء ويذهب » . وقال المرزوقي في تفسيره : « قوله : « وأنتم ألى جثم » يريد الذين
جثم مع البقل ، والمعنى أن شرفكم حديث وقوله : « فطار وهذا شخصكم غير طائر »
تضجر بهم ، وتعجب من بقائهم ، وعتب على الزمان في استبقائهم » .

(5) في « التاج » : « اللبى الجراد قبل أن يطير وقيل : أصغر ما يكون من الجراد والنمل » .

وقيل : قول جرير :

فلانك لو رأيت عبيد تيم وتيماً قلت : أيهم العبيد ؟
ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

وقيل : قول الطرماح :

لو كان يخفى على الرحمان من أحد من خلقه خفيت عنه بنو أسد

[(6) ولما قتل جعفر بن يحيى البرمكي بكى عليه أبو نواس فقبل له :
أتبكيه وقد هجوته ؟ فقال : ذلك لركوب الهوى بالله (كذا) بلغه أني قلت :
ولست وإن أطنبت في وصف جعفر بأول إنسان خرا في ثيابه (7)

فكتب : يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه .

وقال ابن الأعرابي : أهجى بيت قال المحدثون قول محمد بن وهب
في محمد بن هشام :

لم يند كفاك من بذل النوال كما لم يند سيفك ، مذ قلده ، بدم

وقال الصفي الحلبي (8) :

(6) ما بين المعقنين ساقط من الأصل ، ومن س وهو في ح ، وكتبه ناسخك (لحقاً) على طرفها .

(7) البيت في ديوانه وقبلة بيت أول هذا لفظه :

لقد غرتي من جعفر حسن بابه ولم أدر أن اللؤم حشو ثيابه

(8) هو صفي الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي ، ولد بالحلقة من أرض

العراق ، وإليها ينسب بالحلبي ، كان كبير شعراء عهده ، وهو كثير التفتن في شعره معاني

وأسلوباً ، وشعره مثقل بالزخارف البديعية ، وكان الأول في الشعراء الذين نظموا

البديعيات ، وهي قصائد في المديح النبوي يوري فيها بألقاب البديع ، له ديوان شعر

مطبوع وكانت وفاته سنة 752 هـ .

إثني مدحتك كي أجيد قريحتي وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده يدنوهُ من بيت الخلا فيضوع (9)

وقال آخر :

إذا رمت هجواً من فلان تصدني خلأثق سوء عنه لا تترحزح
تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأقبح ما يهجي به الناس يمدح

وقال غيره في مأنوف (10) :

رأينا للثيم جدار أنف يضاهي في تشاخه الجبالا
تصدر للهلال لكي يراه ولولا أنفه لرأى الهلالا (11)

ويلتحق كثير من الهجاء بهذا الباب كقول جرير :

لو أن تغلب (12) جمعت أحسابها يوم التفاخر لم ترن مثقالا

وكقوله فيها (13) :

(9) البيتان لا يوجدان في ديوانه المطبوع .
(10) المأنوف اسم مفعول من أنفته أنفه من بابي ضرب ونصر إذا أصبت أنفه ، ومثله ذقنته فهو مذقون إذا أصبت ذقته وكذلك رأسه وظهرته وصدرة إذا أصبت منه هذه المواضع ، وعليه فإن لفظ مأنوف هنا في غير موضعه ، لأن الشاعر يعيب رجلا ذا أنف كبير لا رجلا مصاباً في أنفه ، فأما اللفظ الصالح في هذا المكان فهو لفظ أنافي بضم أوله وياء نسب في آخره ، ونظيره رجل رؤاسي إذا كان ضخم الرأس ، وأذناني إذا كان كبير الأذنين طويلهما ، وعضادي إذا كان غليظ العضد .

(11) انتهى الحق هنا .

(12) في ك : « ثعلباً » بالثاء المثناة وبالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(13) أي قصيدته التي هجا بها الأخطل والتي مطلعها :

حي الغداة برامة الأطلالا رسماً تحمل أهله فأحالا

وهي بديوانه في طبعة الصاوي .

والتغليبي* إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا (14)

فه الأمر من قبل ومن بعد

(14) في « بيان الجاحظ » : « قال رجل من تغلب ، وكان ظريفاً : ما لقي أحد من تغلب ما لقيت أنا ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : قال الشاعر :

والتغليبي إذا تنحنح البيت

واقه إني لأتوهم أن لو نهشت استي الأفاعي ما حككتها » .

وفي « كامل المبرد » (2 : 118 - 119) : « حدثت أن كثيراً دخل على عبد الملك

ابن مروان ، وعنده الأخطل ، فأشده ، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال : كيف

ترى ؟ فقال : حجازي مجوع مقرور ، دعني أضغمه ، يا أمير المؤمنين ، فقال كثير :

من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : هذا الأخطل ، فقال له كثير : مهلا هلا فضمت

الذي يقول :

والتغليبي البيت »

[أكرم بيت قالته العرب]

أكرم بيت قالته العرب قول طرفة (1) :

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي وأدرك ميسور الغنى ومعى عرضي

وقيل : قول كثير :

إذ قلّ مالي زاد عرضي كرامةً عليّ ولم أتبع دقيق المطامع

وقيل : قول عنبرة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

وقيل : قول كعب بن مالك رضي الله عنه :

نُسودّ ذا المال القليل إذا بدت مروءته فينا وإن كان معدماً

فه الأمر من قبل ومن بعد

(1) البيت ليس في ديوانه المطبوع ، والبيت نسبة أبو تمام في « حماسته » لبعض بني أسد ، وعزاه

الشريف المرتضى في « أماليه » (1 : 633) للحكم بن عبد الأسد ، ونماه إليه ابن

السيد البطليني في « اقتضابه » (ص 113) ، والبيت في « أمالي القاضي » (2 : 260)

ضمن قطعة من أربعة أبيات منسوبة للحكم بن عبد الأسد بالإسناد التالي :

« حدثنا أبو بكر بن الأنباري ، رحمه الله ، قال : حدثني أبي قال : حدثنا أحمد

ابن عبيد عن سهل بن محمد قال : اجتمع الشعراء بباب الحجاج ، وفيهم الحكم بن عبد

الأسدي ، فقالوا : أصلح الله الأمير ، إنما شعر هذا في الفار وما أشبهه ، قال : ما يقول

هؤلاء يا ابن عبد ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأنشد :

وإني لأستغي فما أبطر الغنى وأعرض ميسوري لمن يبتغي قرصي

وأعسر أحياناً الأبيات »

باب [في نبذة من كلام الأذكياء]

وهذه نبذة من كلام الأذكياء ، وإنما نعي به ما شأنه أن يصدر عن ذكي سواء صدر عنه أو غيره ، وللناظر العاقل في كليهما اعتبار ، فإن كل ما هو حكمة أو صواب من القول فهو ثمرة العقل عادة ، فإن صدر عن العاقل دل على حكمة الله تعالى الباهرة في ترتيب المسببات على أسبابها ، ونبه على شرف العقل وشرف من اتصف به من الخلق ، وإن صدر عن غير العاقل دلّ على مشيئة الله تعالى واختياره في أن يفعل ما شاء وأنه هو الخالق للحكمة والصواب على ألسنة العقلاء من غير تأثير للعقل فيها ولأربط عقلي بينه وبينها بل عنده لا به ، فتبارك الله رب العالمين ، فيدخل في هذا ما يقع للحكماء ، وما يندرج (1) عن غيرهم كالصبيان والنساء وجفاة الأعراب ، وتدخل الأجوبة المسكتة ونحو ذلك .

فمن ذلك ما ورد عن حكماء العرب وبعضه ينسب حديثاً :

لا حلیم إلاّ ذو عثرة (2) ولا حكيم إلاّ ذو تجربة .

(1) كذا بالأصل وفي ك : « ينذر » بدل مهمل ، وهو يكون من قولهم : « هذا شيء نادر » إذا خرج عن المعتاد ، وفي الطبعة القاسية : « يصدر » أما س ففيها : « ينذر » بدل معجمة ولا وجه له .

(2) في الأصل : « عثرة » بناء مشناة من فوق ، وزاد ناسخها على ذلك بأن شكلها بكسر العين شكل قلم ، فكان منه التصحيف في الحرف والتحريف في الشكل ، والصواب : « عثرة » بفتح العين وثاء مثلثة وذلك ما في ك و س و ح .

خير المقال ما صدقه الفعال .

رأس الدين ، صحة اليقين .

كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم .

جانب مودة الحسود ، وإن زعم أنه ودود .

إذا جهل عليك الأحمق فالبس له سلاح الرفق .

لكل شيء آفة ، فآفة العلم النسيان ، وآفة العبادة الرياء ، وآفة الحياء الضعف ، وآفة اللب العُجْب ، وآفة الظرف الصلف ، وآفة الجود السرف ، وآفة الجمال التيه ، وآفة السؤدد الكبر ، وآفة الحلم الذل .

ويقال أيضاً : آفة الحلم السفه ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العبادة الفسترة ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السماحة المن ، وآفة الدين الهوى ، وآفة الحسب الفخر .

والمراد بالصلف هنا مجاوزة الحد تكبراً .

مؤمل النفع من اللثام ، كزراع البذر في الحمام .

صحبة الفاسق شين ، وصحبة الفاضل زين .

من جرى في ميدان أمله ، عثر في عنان أجله .

من لم يصبر على البلاء ، لم يرض بالقضاء .

فقد الصبر ، أعظم من حوائج الدهر .

إذا حزن الفؤاد ، ذهب الرقاد .

الجليس الصالح ، كالمسك النافع (3) .

(3) في ك : « الفائح » .

الحسود مغتاض على من لا ذنب له .
 من الآفات ، كثرة الالتفات .
 من أشد العذاب ، فراق الأحباب .
 كلب شاكر ، خير من صديق غادر .
 إذا جاء القدر ، عمى البصر .
 العيال ، سوس المال .
 إذا صدق العيان ، لم يحتج إلى برهان .
 شفاء الصدور ، في التسليم للمقدور .
 الحق ثقيل ، وطالبه قليل .
 كثرة العتاب ، داعية الاجتناب .
 من سعى إليك ، سعى عليك .
 مدح الغائب تعريض بالحاضر .
 من تفرغ (4) للشر يطلبه ، أتيج (5) له من يغلبه .
 من أمل أحداً هابه ، ومن قصر عن شيء عابه .
 رب أخ لم تلده أمك .
 لا يضر السحاب ، نُبأح الكلاب .

(4) في ك : « تعرض » وكتب ناسخها على طرفها : « تفرغ » ووضع عليها رمز الخاء إشارة إلى أنه رواية أخرى .

(5) في س : « اتيج » بدل : « أتيج » .

وفي معناه قول حسان رضي الله عنه (6) :

ما أبالي أنبَّ بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيبٍ لثيمٍ

وقول الآخر (7) :

ما يضر البحر أمسى زائحاً أن رمى فيه غلام بحجر

وقول الآخر (8) :

زعم الفرزدق أن سيقتل مريباً أبشر بطول سلامة يا مريب

وقول الآخر :

تهددني لتقتلني نمر متى قتلت نمر من هجاها

وقيل : مما يعين على العدل اصطناع من يؤثر التقى ، واطراح من يقبل الرشا ، واستكفاء من يعدل في القضية ، واستخلاص من يشفق على الرعية ، فإنه ما عدل من جار وزيره ، ولا صلح من فسد مشيره .

(6) البيت من قصيدة له يهجو بها بني مخزوم وابن الزبير الشاعر ، وهي في ديوانه ، ونبيب التيس صياحه عندما يشب للسفاد ، والحزن ما غلظ من الأرض ، وهو يريد أن يقول : إنه لا يابه إذا ذكره اللثام بالسوء غيباً ، لأنه يعد اغتيالهم وصياح المعزى سواء وهذا يشبه قول الآخر :

أتساني أنهم مزقون عرضي جحاش الكرملين لهم فديد

وقوله :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران

(7) هو الأخطل التغلبي ، وهو في ديوانه بشرح إيليا سليم الحاوي .

(8) كذا بالأصل وفي ك و س و ح جميعها : « وقول جرير » وهو كذلك والبيت من قصيدة

مودعة في ديوانه بطبعة محمد إسماعيل الصاوي ، ومربع المذكور في البيت راوية جرير ، وكان الفرزدق قد تهدده بالقتل لأنه يشيع هجاء جرير فيه بين الناس .

وقيل : آفة الملوك سوء السيرة ، وآفة الوزراء خبث السريرة ، وآفة
الجند مفارقة القادة ، وآفة الرعية مفارقة الطاعة ، وآفة الزعماء ضعف السياسة ،
وآفة العلماء حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة الشهود قلة الورع .
وقيل : أربعة لا يزول معها ملك : حفظ الدين ، واستكفاء الأمين ،
وتقديم الحزم ، وإمضاء العزم .

وأربعة لا يثبت معها ملك : غش الوزير ، وسوء التدبير ، ونخبث
النية ، وظلم الرعية .

وأربعة لا تستغني عن أربعة : الرعية عن السياسة ، والجيش عن القادة ،
والرأي عن الاستشارة ، والعزم عن الاستخارة .

وأربعة لا بقاء لها : مال يجمع من الحرام ، وحال تعهد من الأيام ،
ورأي يعرى من العقل ، وملك يخلو من العدل .

وأربعة تولد المحبة : حسن البشر ، وبذل البر ، وقصد الوفاق ، وترك
النفاق .

وأربعة من علامات الكرم : بذل الندى ، وكف الأذى ، وتعجيل المثوبة (9)
وتأخير العقوبة .

وأربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر ، واعتقاد الغدر ، وتجنب الأخيار ،
وإساعة الجوار .

(9) في ك : « المثوبة » بمثناة فوقية .

وأربعة من علامات الإيمان : حسن العفاف ، والرضى بالكفاف ،
وحفظ اللسان ، ومحبة الإخوان .

وأربعة من علامات النفاق : قلة الديانة ، وكثرة الحيانة ، وغش الصديق ،
ونقض المواثيق .

وأربعة تزال (10) بأربعة : النعمة بالكفران ، والقوة بالعدوان ، والدولة
بالإغفال ، والحظوة بالإدلال (11) .

وأربعة يُترَقَّى بها إلى أربعة : العقل إلى الرياسة ، والرأي إلى السياسة ،
والعلم إلى التصدير ، والحلم إلى التوقير .

وأربعة تؤدي إلى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة ،
والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة .

وأربعة تدل على وفور العقل : حب العلم ، وحسن الحلم ، وصحة
الجواب ، وكثرة الصواب .

وأربعة تدل على نقصان العقل : الجهل بالأعادي ، والأمن للعوادي ،
والحفوة للإخوان ، والجرأة على السلطان .

(10) في ك : « تزول » .

(11) في الأصل : « الإذلال » بمعجمة ، ومثله في الطبعة الفاسية ، وهو تصحيف صوابه يدال
مهمل ، قال الزمخشري في « أساسه » : « تدلت المرأة على زوجها ودلت تدل وهي حسنة
الدل والدلال وذلك أن تربه جرأة عليه في تغنج وتشكل ، كأنها تخالفه وليس بها خلاف ،
وأدل على قريبه وعلى من له عنده منزلة ، وأدل على قرنه وهو مدل بفضله وشجاعته ،
ولفلان علي دلال ودالة وأنا أحمل دلاله » .

وأربعة لا تتم إلا بأربعة : العلم بالحج ، والدين بالتقى ، والأعمال بالنيات ، والموالاتة بإخلاص الطويبات .

وقال حكيم آخر : ثلاث لا يستصلح (12) فسادهن بشيء من الخيل :
العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة في العقول .

وثلاث لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة من العلماء ،
والقناعة من المستبصرين ، والسخاء في ذوي الأخطار (13) .

وثلاثة لا يشبع منها : الحياة ، والعافية ، والمال .

وثلاثة لا يستغني عنها السلطان : وزير حسن التدبير ، ومستشار نصيح ،
وصاحب بريد صدوق .

وثلاث هي قوام العالم : عدل الأمراء ، وصلاح العلماء ، وانقياد
الرعية للرؤساء .

ومن مشاهير الحكماء القدماء لقمان (14) الحكيم ، وقد ذكره الله
تعالى وذكر < بعض > (15) ما قال لابنه ، وقال له رجل : ما الذي بلغ

(12) في ك : « لا يصلح » .

(13) في س : « والسخاوة في ذوي الاضطرار » .

(14) عرف به الزنخشري في « كشافه » فقال : « هو لقمان بن باعورا - ابن أخت أيوب أو

ابن خالته ، وقيل : كان من أولاد آزر ، وعاش ألف سنة ، وأدرك داوود عليه السلام

وأخذ عنه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داوود عليه السلام ، فلما بعث قطع الفتوى فقيل له :

فقال : ألا أكفي إذا كفيت ، وقيل : كان قاضياً في بني إسرائيل ، وأكثر الأقاويل

أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً وعن ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن لقمان نبياً ولا

ملكاً ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن » .

(15) ما بين العلامتين سقط من ك .

بك ما أرى ؟ فقال : ما ذاك ؟ فقال : وطىء الناس بساطك ورضوا بقولك ،
فقال : يا أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك ، ثم قال : غَضِي بصري ،
وكفني لساني ، وعفة مطمعي ، وحفظ فرجي ، وقيامي بعهدي ، ووفائي
بوعدلي ، وإكرام ضيفي ، وحفظ جاري ، وترك ما لا يعنيني هو الذي
صيرني كما ترى .

ومن حكيم كلامه لابنه (16) : يا بني ، جالس العلماء وزاحمهم
بركبتك فإن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالعلم كما يحيي الأرض الميتة
بوابل المطر .

وقوله : من لم يملك لسانه يندم ، ومن لم يتق الشتم يشتم ، ومن صاحب
قرين السوء لم يسلم .

وقال قائل لأكم (17) بن صيفي حكيم العرب : ما السؤدد ؟ قال : اصطناع
العشيرة ، واحتمال الجريرة ، قال : فما الشرف ؟ قال : كف الأذى ،
وبذل الندى ، قال : فما المجد ؟ قال : حمل المغارم ، وبناء المكارم ، قال :

(16) في خ : « ومن كلام حكيم لابنه » والصواب ما كتبه عن الأصل .
(17) كذا هو في الأصل بشاء مثثة ، وهو الصواب ، وفي ك و س و ح جميعاً : « أكم » بعثاة ،
وهو تصحيف . وصيفي بياء مشددة كالمنسوب إلى الصيف أحد الفصول ، وقد سمت
العرب بهذا اللفظ بعض رجالها ، فمن ذلك : صيفي بن مالك بن ذعر ، وصيفي بن
سبا ، وصيفي بن هاشم ، وصيفي والد أكم هذا ، وصيفي بن أكم هذا أيضاً ، وجاء في
« اشتقاق ابن دريد » ص 69 ما نصه بالحرف : « واشتقاق صيفي من قولهم أصاف الرجل
فهو مصيف إذا ولد له بعد ما يكبر ، وولده صيفيون ، وأربع إذا ولد له وهو شاب
قال الراجز :

إن بني صيبة صيفيون أفلح من كان له ربيعون

وهو أكم بن صيفي التميمي ، حكيم وخطيب ، أدرك الرسول عليه السلام ولم يسلم ،
وقيل فيه : إنه أحد المعمرين الذين شارفوا المائتين عمراً ، وكان قد توفي سنة 9 هـ .

فما الكرم ؟ قال : صدق الإخاء ، في الشدة والرخاء ، قال : فما العز ؟
قال : شدة العضد ، وكثرة العدد ، قال : فما السماحة ؟ قال : بذل النائل ،
وحب السائل ، قال : فما الغنى ؟ قال : الرضا بما يكفي ، وقلة التمني ،
قال : فما الرأي ؟ قال : لبُّ تعينه تجربة .

ومن كلامه أيضاً : من وفى بالعهد ، فاز بالحمد ، ومن اصطنع قوماً ،
انتفع بهم يوماً ، ومن فسدت بطانته كان كمن غصن بالماء ، ومن أكثر
من شيء عرف به ، ومن حدث من لا يفقه كان كمن قدم مائدة لأهل
القبور ، ومن قطع عليك الحديث فلا تحدته ، إذ ليس بصاحب أدب ، ومن
عرف بالصدق قبيل كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه ، ومن
غضب بلا شيء رضي بلا شيء ، ومن أظهر محاسنه ودفن مساويه كمل
عقله ، ومن غلب هواه عقله افتضح ، ومن استشار عدوه في صديقه أمر
بقطيعة ، ومن فرح بكذب الناس في الثناء عليه بان لهم حُمة ، ومصادقة
الكرام غنيمة ، ومصادقة اللئام ندامة ، وعِدَّةُ الكريم نقد ، وعِدَّةُ اللئيم
تسويق .

ومن كلام بزرجمهر (18) الفارسي : نصحني النصحاء ، ووعظني
الوعاظ ، فلم يعظني أحد مثل شيمتي ، ولا نصحني مثل فكري ، واستنصت
بنور الشمس وضوء النهار ، فلم أستضيء بشيء أضوأ من نور قلبي ،
وكنت عبد الأحرار والعبيد ، فلم يملكني أحد ولا قهرني (19) مثل هواي ،
وعاداني الأعداء فلم أر أعدى إلي من نفسي ، وزاحمتني المضايق ، فلم

(18) هو بزرجمهر بن البختكان المروزي وزير الساسانيين على عهد أنوشروان ، اشتهر برجاحة
العقل ، وسداد الرأي ، واستقامة الأخلاق ، ويروي له الأخباريون طائفة من المعاني
والأقوال الحكيمة ، وفيها ما يبدو عليه النحل والافتعال .

(19) في س : « ولا تعبدني » بدل : « ولا قهرني » .

يزاحمني مثل الخلق السوء ، ووقعت في المضار العظيمة ، فلم أقع في أضر من لساني ، ومشيت على الجمر (20) ووطئت على الرمضاء ، فلم أرَ ناراً أحر من غضبي إذا تمكن مني ، وطلبني الطلاب فلم يدركني مثل إساءتي ، وفكرت في الداء القاتل ومن أين يأتيني فوجدته من معصية ربي ، والتمست الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح لها من ترك ما لا يعينها ، وركبت البحر ، وعانيت الأهوال ، فلم أرَ هولاً أعظم من الوقوف بين يدي سلطان جائر ، وتوحشت في البراري والجبال ، فلم أرَ أوحش من قرين السوء ، وعابحت السباع فغلبتها ، وغلبني صاحب الخلق السوء ، وأكلت الطيب ، وشربت المسكر ، وعانقت الحسان ، وركبت الجياد ، فلم أجد شيئاً ألد من العافية والأمن ، وأكلت الصبر (21) وشربت المر ، فلم أرَ شيئاً أمرّ من الفقر ، وشاهدت الزحوف ، وعانيت الختوف ، وصارعت الأقران ، فلم أرَ أغلب من المرأة السوء، وعابحت الأثقال ، ونقلت الصخر ، فلم أرَ حِملاً أثقل من الدين ، ونظرت فيما يذل العزيز ، ويسكر (22) القوي ، ويضع الشريف ، فلم أرَ أذل من ذي فاقة وذو حاجة ، ورشقت بالنشاب (23) وشددت في الوثاق ، وضربت بعمد الحديد ، فلم يهدمني شيء مثل ما هدمني الهم والحزن ،

(20) في س : « الحجر » بدل : « الجمر » ويبدو أنه تصحيف .

(21) في « مصباح الفيومي » : « الصبر الدواء المر بكسر الباء في الأشهر ، وسكونها للتخفيف لغة قليلة ، ومنهم من قال : لم يسمع تخفيفه في السعة ، وحكى ابن السيد في كتاب « مثلث اللغة » جواز التخفيف كما في نظائره بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها فيكون فيه ثلاث لغات » .

(22) كذا في الأصل بتقديم السين على الكاف ، وفي ك و س و ح : « يكسر » بالكاف قبل السين وهو الأنسب والأليق هناك .

(23) في « مصباح الفيومي » : « نشب الشيء في الشيء من باب تعب نشوباً علق ، فهو ناشب ، ومنه اشتق النشاب » وفي « التاج » : « النشاب بالضم : النبل ، الواحدة بهاء ، وبالفتح متخذة وصانعه ، وتقوم نشابة بالفتح والتشديد وناشبة : يرمون به كل ذلك على النسب لأنه لا فعل له والناشب صاحبه » .

واصطنعت الأخدان (24) وانتخبت الأقسام للعدة والشدة والنائبة ، فلم أرَ شيئاً خيراً من التكرم عندهم ، وطلبت الغنى من وجوهه ، فلم أرَ غنىً (25) أغنى من القناعة ، وتصدقت بالذخائر ، فلم أرَ صدقة أنفع من رد ضالة (26) إلى الهدى ، ورأيت الذل في الغربية والوحدة ، فلم أرَ أذل من مقاساة جبار السوء ، وشيدت البنيان لأعتر به وأذكر فلم أرَ شرفاً أرفع من اصطناع المعروف ، وليست الملابس الفاخرة ، فلم ألبس مثل الصلاح ، وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أجد شيئاً أحسن من حسن الخلق، وسررت بعطايا الملوك وجوائزهم ، فلم أسر بشيء أعظم من الخلاص منهم .

ولما قتله كسرى أنوشروان (27) لرغبته عن دين المجوسية وانتقاله إلى دين عيسى عليه السلام وجدوا في منطقته رقعة فيها ثلاث كلمات وهي : إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل ، وإذا كان الغدر في الناس طبيعة فالثقة بكل أحد عجز ، وإذا كان الموت بكل الناس نازلاً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق .

ويقال : إن المهلب لما توسم النجابة في ابنه يزيد وهو صغير أراد أن

(24) في ك و س و ح : « الإخوان » .

(25) في ك و س : « غنياً » ويبدو أنه تحريف .

(26) كذا هو في الأصل وفي ك و س و ح : « ضلالة » بدله .

(27) لخص البغدادي في خزائنه (3 : 385 بتحقيق عبد السلام هارون) ما كتبه المؤرخون المسلمون عن أنوشروان فقال : « أنوشروان هو أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخباراً . وهو أنوشروان بن قباد بن فيروز ، وفي أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملكاً جليلاً محبباً للرعايا ، فتح الأمصار العظيمة في الشرق ، وأطاعته الملوك ، وقتل مزدك الزنديق وأصحابه - وكان يقول بإباحة الفروج والأموال - فعظم في عيون الناس بقتله ، وبني المباني المشهورة ، منها السور العظيم على جبل الفتح عند باب الأبواب ، ومنها الإيوان العظيم الباقي الذكر ، وليس هو المبتدئ ببنائه بل ابتداء به سابور وأنوشروان أتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا ، وانشق لولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبار أنوشروان مشهورة » .

يختبره فقال له : يا بني ما أشد البلاء ؟ قال : يا أبت معاداة العقلاء ، ثم قال :
أقلمي قال : قد أقلتك فقل : فقال : أشد البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء ،
ثم قال : أقلمي قال : قد أقلتك فقل : فقال : أشد البلاء معاداة العقلاء ومنسأة
البخلاء وتأمر اللؤماء على الكرماء ، فقال المهلب : والله يا بني ما يسرني
بقولك مقول لقمان ، ولا يعدل عندي بقائك (28) ملك سليمان .

وكان زياد (29) وهو من ذوي السياسة يقول : أوصيكم بثلاثة : العالم
والشيخ والشريف ، فوالله لا أوتى بوضع سب شريفاً ، أو شاب وثب
بشيخ ، أو جاهل امتهن عالماً ، إلا عاقبت وبالغت .

وفي الأجوية : أمر عليه الصلاة والسلام أن تضرب عنق عقبة (30) ابن
أبي معيط فقال : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار .

(28) في ك و س و ح : « بقاؤك » .

(29) هو زياد بن أبي سفيان المستلحق ، استلحقه معاوية بآله ، فجعله ابناً لأبي سفيان وأخاً له
منه ، وسماه الناس زياد بن أبيه ، أو زياد بن أمه ، أو زياد بن سمية ، إنكاراً للاستلحاق
واعترافاً عليه ، ويكون زياد مع عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ذلك الثالث الذي
ضرب به المثل في بعد الغور وشدة الدهاء ، ثم كان زياد أميراً قوي السياسة ماضي العزم ،
جيد التدبير ، وهو بعد خطيب فصيح بليغ ، وهو الناطق بالخطبة التي تلقب البراءة لأنه
اقتضيتها دون أن يبتدئها بذكر الله ، وتوفي زياد سنة 53 للهجرة وقد نيف على الخمسين .

(30) كان أحد المشركين الذين اشتد أذاهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر ابن
هشام في «السيرة» (قسم أول ص 416 بتحقيق السقا والأنباري وشلبي) بغضهم ، وفيهم
عقبة هذا فقال : « وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أباً طيب ،
والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي ، وابن
الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه » . وذكره مرة أخرى (قسم أول ص 361) فقال :
« كان عقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أيماً فأتى
عقبة فقال له : ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ وجهي من وجهك حرام ان =

وقال الصديق رضي الله عنه لرجل قال له : لأشتمنك شتماً يدخل معك في قبرك : معك والله يدخل لا معي .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعامر (31) بن عبد القيس العنبري وراه أعرابياً : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ فقال علي : أين سؤال عن المكان وكان الله ولا مكان .

وكان الأعمش (32) يقول : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاصي

= أكلمك ، واستغلظ في اليمين إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه ، ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما : (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خلولاً) انتهى كلام ابن هشام . وكان قتل عقبة عند منصرفه عليه السلام من غزوة بدر بمكان يقال له : عرق الظبية ، وعرق الظبية ذكره البكري في « معجم ما استعجم » بحرف الظاء وذكر مقتل عقبة به فقال : « وعرق الظبية موضع بالصفراء ، وهناك قتل رسول الله عقبة بن أبي معيط ، وكان عقبة قد تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لئن أخذتكم خارج الحرم لأقتلنك ، فلما أسره بيلز وبلغ عرق الظبية ذكر نذره فقتله صبراً » انتهى كلام البكري .

(31) ترجمه ابن حجر في الإصابة (3 : 85 - 86) فكان مما قال بشأنه : « عامر بن عبد قيس بن قيس ، ويقال عامر بن عبد قيس بن ثابت بن أسامة بن خديجة بن معاوية التميمي العنبري ، أبو عبد الله أو أبو عمرو النصرى الزاهد المشهور ، يقال : أدرك الجاهلية ، تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم ، كان فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة ، وكان دعا ربه أن يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتي بالماء له بخار ، وسأل ربه أن ينزع منه شهوة النساء من قلبه ففعل ، فكان لا يبالي من لقي أذكر أم أنثى وكان إذا غزا قال : إني لأستحيي من ربي أن أخشى غيره . »

(32) هو أبو محمد سليمان بن مهران المعروف بالأعمش (60 - 148 هـ) . ترجمه الخليلي في « الوفيات » (2 : 136 - 138) فكان مما قال فيه : « كان ثقة عالماً فاضلاً ، وكان يقارن بالزهري في الحجاز ، وكان لطيف الخلق مزاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً =

قال لعدي بن حاتم : متى فقت عينك يا أبا طريف ؟ فقال : يوم طعنت في
استك وأنت مؤلٌ يعني يوم صفين .

ودخل معن (33) بن زائدة على المنصور فقال : كبر سنك يا معن فقال :
في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك مع ذلك لجلد ، قال : على
أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير
المؤمنين (34) .

وقال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم ، وقد كف بصره : أنتم
يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ، فقال : وأنتم يا بني أمية تصابون في
بصائركم .

= ليسموا عليه فخرج إليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت
إليكم ، وجرى بينه وبين زوجته كلام فدعا رجلا ليصلح بينهما فقال لها الرجل : لا
تنظري إلى عيش عينيه وحموشة ساقيه ، فإنه إمام ، وله قدر ، فقال : أجزاك الله ما
أردت إلا أن تعرفها عيويبي ، وقال له داوود بن عمر الحائك : ما تقول في الصلاة
خلف الحائك ؟ فقال : لا بأس بها على غير وضوء .

(33) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن مطر بن شريك الشيباني أحد الشجعان المغاوير والأجواد
الأسخياء ، كان متنقلا في الولايات أواخر العهد الأموي ، فلما صارت الدولة إلى بني
العباس طلبه المنصور فاختمى ، حتى إذا كان يوم الهاشمية اندس بين جند المنصور وقاتل
قتال من لا يريد بقاء ، ثم عرف المنصور بنفسه فأمنه ، وضمه إليه ، وجعله في خاصته ،
وكانت وفاته سنة 151 هـ وهو وال على سجستان .

(34) أورد الجلكاني في « وفياته » (4 : 333) كلام معن هذا ثم قال بعده : « عرض هذا
الكلام على عبد الرحمان بن زيد زاهد أهل البصرة فقال : ويح هذا ! ما ترك لربه شيئا » .

وقال ابن [أبي] (35) الزناد لابن شبرمة (36) في مناظرة : من عندنا
خرج العلم ، فقال ابن شبرمة : نعم ثم لم يعد إليكم .

وقال عمر بن الخطاب لأبي مریم (37) السلولي : والله لا أحبك حتى

(35) في المخطوطات الثلاث : « قال ابن الزناد . . . » وجاءت العبارة في « بهجة المجالس »
(1 : 97) هكذا : « قال أبو الزناد . . . » والظاهر أن صواب العبارة كالتالي :
« قال ابن أبي الزناد . . . » وذلك ما جاءت به الطبعة الفاسية ، والأب أبو الزناد ترجمه
الذهبي في « ميزان الاعتدال » (2 : 418 - 420) فكان مما قال عنه : « عبد الله بن
ذكوان ، أبو الزناد الإمام الثبت ، قال ابن ميمون وغيره : ثقة حجة ، وروى حرب
عن أحمد بن حنبل قال : كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث وقال ابن
المديني لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من الزهري ويحيى بن سعيد وأبي الزناد
وبكير الأشج وقال البخاري : أصح أخاديت أبي هريرة : أبو الزناد عن الأعرج عنه ،
وترجم الذهبي في « الميزان » (2 : 575 - 576) ابن أبي الزناد وكان مما قال بشأنه
« عبد الرحمان بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني أبو محمد ، أحد العلماء الكبار ،
وأخير المحدثين ، وذكر محمد بن سعد أنه كان مفتياً ، وقد روى أرباب السنن الأربعة
له . » وجاء في « العقد الفريد » (4 : 45) لابن عبد ربه « قال رجل لابن شبرمة . . . »
بدون ذكر أبي الزناد ولا ابن أبي الزناد .

(36) هو أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة الضبي فقيه الكوفة ، كان قاضي المنصور العباسي على
السواد ، قال عنه ابن العماد في « الشذرات » (ج 1 ص 216) : « كان عقيفاً صارماً
عاقلاً يشبه النساك شاعراً جواداً » وكانت وفاته سنة 174 هـ .

(37) هو إياس بن صبيح الحنفي ترجمه ابن حجر في « الإصابة » (1 : 117) فقال : « إياس
ابن صبيح بن المحرش بن عبد عمرو الحنفي ، يكنى أبا مریم ، قال ابن سعد ، كان من
أصحاب مسيلمة ثم تاب وحسن إسلامه ، وولي قضاء البصرة في زمن عمر ، أخبرنا يزيد
ابن هازون ، أخبرنا هشام عن محمد بن سيرين عن أبي مریم الحنفي أن عمر قرأ بعد
الحدث فقال له أبو مریم الحنفي : إنك خرجت من الخلاء ، فقال له : أمسيلمة أفتاك بهذا؟
وزعم العسكري أن أبا مریم هذا غير أبي مریم الحنفي الذي قتل زيد بن الخطاب . وذكره
تارة أخرى في باب الكنى من « الإصابة » (4 : 189) : فقال « أبو مریم الحنفي
اليمامي ، ذكره الدولابي في الصحابة وقال : اسمه إياس بن صبيح ، وكان من أصحاب
مسيلمة الكذاب ، فأسلم وولي بعد ذلك قضاء البصرة ، وذكر عمر بن شبة أن فتح رامهرمز =

تحب الأرض الدم (38) قال : أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا ، قال : فلا بأس ،
إنما يأسف على الحب النساء .

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : إني لأبغضكم فقال الخارجي :
أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة .

وقال رجل لعمر بن العاصي : لأتفرغن لك ، فقال : حينئذ تقع في الشغل .

وقال عبد الملك بن مروان لبشينة (39) صاحبة جميل : ما رجا منك
جميل حين أحبك ؟ فقالت له : ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرها .

وقال (40) لثابت بن عبد الله : زعم عبد الله (41) بن هلال أنك أشبه

= كان على يديه . وفي كتاب «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» المطبوع على هامش «الإصابة»
(1 : 543) أثناء ترجمة زيد بن الخطاب ما لفظه : « ذكر خليفة بن خياط قال نا
معاذ بن معاذ عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : كانوا يرون أن أبا مريم الحنفي قتل
زيد بن الخطاب يوم اليمامة ، قال وقال أبو مريم لعمر : يا أمير المؤمنين إن الله أكرم
زيداً بيدي ولم يني بيده » .

(38) في لسان العرب من مادة : « دمي » ما نصه : « في حديث عمر رضي الله عنه أنه قال لأبي
مريم الحنفي : لأنا أشد بغضاً لك من الأرض للدم ، يعني أن الدم لا تشربه الأرض ولا
ينفوس فيها ، فجعل امتناعها منه بغضاً مجازاً » .

(39) في ك و س : « بتينة » بمشاة من فوق وهو تصحيف .

(40) في ح : « وقيل بصيغة المبني للمجهول » ، وفي ك و س : وقال الثابت بن عبد الله ، وجاءت
الحكاية في « هجة المجالس » (1 : 96) هكذا : « قال عبد الله بن مروان لثابت بن
عبد الله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس قال : وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن » .
وفي « حيوان الجاحظ » (6 : 170) : « قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص :
أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس أنك تشبه إبليس قال : وما ينكر أن يكون سيد
الإنس يشبه سيد الجن » . وفي « ثمار القلوب » (ص 57) : « ولما قال الحجاج ليحيى
ابن سعيد بن العاص : أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس عليه اللعنة أنك تشبه إبليس
قال : ما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن فعجب من قوة جوابه » .

(41) هو عبد الله بن هلال الحميري كان يعيش صدر الدولة الأموية، وكان مشعوذاً مخرقاً =

الناس بإبليس قال : صدق ، ما ينكر أن يكون سيده الإنس يشبه سيده الجن ؟

وقال (42) معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحقق قومك حين قالوا (ربنا باعد بين أسفارنا) وكان اجتماع الشمل خيراً لهم ، فقال اليماني : يا أمير المؤمنين : قومك أحقق حين قالوا : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) ولم يقولوا : فاهدنا له (43) .

[(44) وقال الرشيد لشريك (45) القاضي : يا شريك آية في كتاب

ادعى صداقة إبليس وزعم أن إبليس يستشيرهُ ويطلعه على خباياه وتكذب في مداخلة إبليس حتى قال : إنه صار له ختناً ، وقد ذكره الجاحظ في حيوانه (6 : 198) فقال بشأنه : « يقول الناس : « فلان مخدوم » يذهبون إلى أنه إذا عزم على الشياطين والأرواح والعمار أجابوه وأطاعوه ، منهم عبد الله بن هلال الحميري ومنهم كرباش الهندي ، وصالح المديبري » وتكلم عنه في « الحيوان » (1 : 190) تارة أخرى فقال : « زعم ابن هيثم أنه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري صديق إبليس وختنه ، وأنهم كانوا لا يشكون أن إبليس جده من قبل أمهاته » . وقال عنه الثعالبي في « ثمار القلوب » (ص 57) « صديق إبليس - هو عبد الله بن هلال - الذي يقال له الساحر ، وكان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبية وثير نجات يدعي أن إبليس يترامى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره » . وذكره ابن النديم في الفن الثاني من المقالة الثامنة « بفهرسته » مع طائفة المعزمين فقال : « عبد الله بن هلال ، صالح المديبري ، عقبه الأذري ، أبو خالد الخراساني - هؤلاء يعملون بالطريقة المحمودة ولهم أفعال جليلة وأعمال نبيلة » .

(42) الحكاية في « العقد الفريد » (4 : 27) وفي « بهجة المجالس » (1 : 102) .

(43) في ك و ح : « إليه » بدل : « له » .

(44) ما بين العلامتين ساقط من المخطوطات الثلاث فأضفناه رواية عن الطبعة الفاسية والحكاية هذه وازدة في « بهجة المجالس » (1 : 97) .

(45) عرف به الخلكاني في « الوفيات » (2 : 169 - 171) قائلاً : « أبو عبد الله شريك

ابن عبد الله بن أبي شريك النخعي تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي وكان عالماً فقيهاً فهماً ذكياً فطناً » وذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (10 : 171) فقال بشأنه : « وكان مشكوراً في حكمه وتنفيذ الأحكام ، وكان لا يجلس للحكم حتى يتغدى ثم يخرج ورقة من خفه فينظر فيها ، ثم يأمر بتقديم الخضومة إليه ، فحرص بعض =

الله ليس لك ولا لقومك فيها شيء قوله تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك)
 فقال : يا أمير المؤمنين وآية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء قوله :
 تعالى : (وكذب به قومك وهو الحق) [(46)] .

وقدم (47) على عمر بن عبد العزيز فتيان (48) فقالوا : توفي أبونا
 وترك مالا عند عمنا حميد (49) ، فأمر بإحضاره وقال له : أنت القائل ؟ :

حميدُ الذي أمسجُ دارهُ أخو الحمر ذو الشيبة الأصلعُ
 أتاه المشيب على شربها وكان كريماً فما يتزعُ

= أصحابه على قراءة ما في تلك الورقة فإذا فيها : « يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط
 وحدته ، يا شريك بن عبد الله اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل » . وكان مشهوراً
 بحضور البديهة وقوة الجواب فحكى عنه ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (1 : 122)
 بهذا الشأن قائلاً : « كان المتعني إذا تمنى يقول : أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة ،
 وحفظ سفيان ، وورع مسمر بن كدام ، وجواب شريك » . كانت ولادة شريك سنة 95
 ووفاته سنة 177 هـ .

(46) هنا انتهت الإضافة التي نقلناها عن الفاسية .

(47) الخبر في معجم ما استعجم » (1 : 191) بإسناد هذا سياقه : « حدث عبد الله بن أوفى

القتباني عن مالك بن أنس عن ابن شهاب قال : تقدم قوم إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا :
 إن أبانا مات وإن لنا عما يقال له حميد الأحمي أخذ مالنا » . . .

(48) في الكتانية : « فتیان قالاً » بصيغة التثنية .

(49) هو حميد الأحمي شاعر أموي كان مستهتراً يشرب الخمر مفتضحاً بمعاقرتها ، ولذلك تمثل
 به سكير آخر فقال :

تعاتبني في الراح أم كبيرة وما قولها فيما أراه مصيب
 تقول : ألا تجفؤ المدام فعندنا من الرزق تمر مكثب وزبيب
 فقلت : رويداً ما الزبيب مفرحي وليس لتمر في العظام دبيب
 فإن حميداً عليها في شبابه ولم يصح منها حين لاح مشيب

حكى بشأنه البكري في «معجم ما استعجم» (1 : 190) الخبر التالي : «حدث عبد الله بن
 حية قال : طلقت مع سعيد بن جبير فمر بنا رجل يقال له حميد الأحمي فقلت : أتعرف
 هذا قال : لا ، فقلت هو الذي يقول :

قال : نعم ، قال : أما إذ أقررت فسأحدك قال : هيهات ، ألم تسمع قوله تعالى : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) قال : أفلت ثم قال : يا حميد ، لقد كان أبوك رجلاً صالحاً وأنت رجل سوء ، فقال : أصلحك الله ، وأنت صالح ، وكان أبوك رجل سوء ، قال : هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي وترك عندك مالا ، قال : نعم ، وأنا أنفق عليهم من مالي ثم أحضر المال بخواتيم أبيهم ، فقال عمر : ما أحدٌ أحق أن يكون عنده منك ، قال : لا يعود إليّ بعد أن خرج مني ، وأمج (50) بفتحيتين موضع .

ويروى عن الأصمعي أنه قال : أتى شهر رمضان وأنا بمكة ، فخرجت إلى الطائف لأصوم به فراراً من حر مكة ، فلقيني أعرابي فقلت له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا البلد المبارك < لأصوم فيه هذا الشهر المبارك > (51) فقلت له : أما تخاف الحر ؟ قال : من الحر أفر .

ونحو هذا ما يحكى عن الربيع (52) بن خثيم رضي الله عنه وقد صلى ليلة حتى أصبح . فقال له رجل : أتعبت نفسك فقال : راحتها أطلب .

= حميد السلي أمج داره أخو الحر ذو الشيبة الأصلع
علاه المشيب على شربها وكان كريماً فما ينزع
فقال : وكان شقياً فلم ينزع

فقلت : يا أبا عبد الله ليس هكذا قال : فقال : والله لا كان كريماً وهو مقيم عليها .
(50) في « معجم البلدان » لياقوت : « أمج بالميم وفتح أوله وثانيه ، والأمج العطش بلد من أعراض المدينة منها حميد الأجمي » . وذكره البكري في « معجم ما استعجم » فقال عنه : « قرية جامعة بها سوق وهي كثيرة المزارع والنخل ، وهي على ساية ، وساية واد عظيم ، وأهل أمج خزاعة » .

(51) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(52) هو أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري ترجمه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (3) : 59 .

(68) فذكر عنه ما يأتي : « عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين =

ونحوه قول عروة بن الورد (53) :

نقول سليمى : لو أقيمت بأرضنا (54) ولم تدرِ أتي للمقام أطوف (55)

وقول الآخر (56) :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

وقول أبي تمام (57) :

= منهم الربيع بن خثيم . « عن حماد بن سلمة قال : « كان عبد الله بن مسعود إذا نظير إلى الربيع بن خثيم قال : مرحباً أبا يزيد لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ولأوسع لك إلى جنبه ، ثم يقول : (وبشر المخبتين) . وقيل له : ألا تذكر الناس؟ قال : ما أنا عن نفسي براض فأفرغ من ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوه على ذنوبهم . » عبد الملك الأصفهاني عن حدثه عن الربيع بن خثيم أنه قال لأصحابه : تدرون ما الداء ، والدواء ، والشفاء قالوا : لا قال : الداء الذنوب ، والدواء الاستغفار ، والشفاء أن تتوب فلا تعود . » مالك قال : قالت ابنة الربيع بن خثيم يا أبتاه إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام ، قال : يا بنية إن أباك يخاف البيات . »

(53) البيت من قطعة في ديوانه بتحقيق ابن شنب ، الجزائر ، 1926 وقبله :

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفي الأعداء والنفس أخوف
لعل الذي خوفتنا من أماننا يصادفه في أهله المتخلف

(54) في الديوان : « لسرنا » بدل : « بأرضنا » وهي رواية أبي تمام في الحماسة .

(55) هو مضارع طوف مثل الواو ، ويقال طوف تطويفاً إذا أكثر الطواف هنا وهناك ومنه قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب
وقول الحطيئة :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قيده لكاع

(56) هو العباس بن الأحنف .

(57) في ك و س : « أبو تميم » وهو تحريف .

أآفة (58) النحيب كم افتراقٍ أجدّ فكان داعيةً اجتماع
وليست فرحة الأوبات إلاّ لموقوفٍ على ترّح الوداع

وقال مسلمة بن عبد الملك يوماً لنصيب (59) الشاعر : أمدحت فلاناً
لرجل من أهله ؟ قال : قد فعلت ، قال : أوحرمك ؟ قال : قد فعل ، قال :
فهلاًّ هجوته ؟ قال : لم أفعل لأنني كنت أحق بالهجاء منه إذ رأيتّه موضعاً
لمدحي ، فأعجب ذلك مسلمة فقال له : سلمي ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟
قال : لأن كفك بالعطية أجود من لساني بالمسألة ، فوهب له ألف دينار .

ولما (60) فتح قتيبة بن مسلم سمرقند ظفر بأثاث وآلات لم يرَ مثلها ،
فأراد أن يُري الناس عظيم ما ظفر به ، فأمر بدار ففرشت وفيها قدور تُرتقى
بالسالم ، فإذا بالحضين (61) بن المنذر الرقاشي قد أقبل والناس جلوس

(58) في الأصل : « إني ألفت » وهو كذلك في س و ح أما ك ففيها : « العنف » وذلك كله
تحريف صوابه « آآفة » بهمزة نداء داخله على بناء اسم فاعل من ألف الشيء يألفه إذا اعتاده ،
والبيتان من قصيدة له مطلعها :

خذي عبرات عينك عن زماعي وصوني ما أزلت من القناع
وهو قالها في مدح مهدي بن أصرم ، وهي في ثلاثين بيتاً ، وهي في ديوانه المطبوع في
سلسلة الذخائر بتحقيق محمد عبده عزام ومنها البيت السائر :

فلو صورت نفسك لم تزدها . على ما فيك من كرم الطباع .

(59) ترجمه ياقوت في « معجم الادباء » (17 : 228 - 234) فقال بشأنه : « نصيب بن
رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين كان عبداً لرجل
من أهل ودان وكان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح ، مترفعاً عن الهجاء ، كبير النفس ،
مقدماً عند الملوك ، يجيد مديحهم ومراثيهم ، وفي سبب اتصاله بعبد العزيز بن مروان
وفك رقبتة من الرق روايات شتى » .

(60) الخبر في « كامل المبرد » (2 : 232 طبعة صبيح) وهو أيضاً في « العقد الفريد » (4 : 37) .

(61) عرف به ابن عبد ربه في « العقد الفريد » فقال : « الحضين هذا هو الحضين بن المنذر
الرقاشي ، وهو من بني شيبان بن بكر بن وائل ، وهو صاحب لواء علي بن أبي طالب
رضي الله عنه بصفين على ربيعة كلها » .

على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة : ائذني في معابثه (62) ، فقال له : لا ترده فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله إلا أن يعابثه ، وكان عبد الله يضعف ، وكان قد تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذلك ، فأقبل على الحضين فقال له : أمن الباب دخلت يا أبا ساسان ، قال : أجل ، أسن عمك عن تسور الجيطان . قال : رأيت هذه القديور ؟ قال : هي أعظم من أن لا ترى ، قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قط ، قال : أجل ، ولا عيلان ، ولو كان رآها لسمي شبعان ولم يُسمَّ عيَّلان . فقال عبد الله : يا أبا ساسان أتعرف الذي (63) يقول :

عزَّلنا وأمرنا وبكر بن وائل تجرَّ خصاها تبتغي من تحالف

قال : أعرف هذا وأعرف الذي يقول :

وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن أعصر والركاب (64)

يريد يا خيبة من يخيب . قال : أفتعرف الذي يقول (65) .

كان فقاح الأزدي حول ابن مسمع إذا عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول :

قوم قتيبة أمهم وأبوهم لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

وقبل هذا البيت :

(62) في ح : « معابثه » وهو تصحيف .

(63) هو حارثة بن بدر الغدائي وبعده :

وما بات بكري من الدهر ليلة فيصبح إلا وهو للذل عارف

(64) في « العقد الفريد » : « الرباب » .

(65) هو الفرزدق ، وهو في ديوانه بطبعة الصاوي .

إن كنت ترجو أن تنال رغبة في دار باهلة بن أعصر فارحل

قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : أقرأ منه الأكثر الأطيب : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فأغضبه فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحضيض حملت إليه وهي حبلى من غيره ، فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال علي رسله : وما يكون ؟ تلد غلاماً علي فراشي فيقال : فلان بن الحضيض كما يقال : عبد الله بن مسلم .

ودخل المعتصم علي خاقان يعود في مرض ، فقال للفتح ابنه وهو صبي : أيما أحسن داري أم داركم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أما ما دمت في دارنا فهي أحسن ، ويروى أنه قال له : الدار التي أنت فيها أحسن يعني دارهم .

وقيل لرجل من الجند : أراك تكره الخروج إلى العدو ، فقال : إني لأكره أن يأتيني الموت في بيتي ، فكيف أسافر إليه ؟

ولما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد (66) بقيت أخته آمنة عند الوليد ،

(66) ذكره المسعودي في « مروج الذهب » (3 : 109) فقال : « عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام ، وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلباً للملك ، وكان فيما كتب إليه عبد الملك : إنك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل ، فكتب إليه عمرو : استدراج النعم إياك أفادك البغي ، ورائحة الغدر أورثتك الغفلة ، زجرت عما وافقت عليه ، وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز . . . » . وكان عمرو هذا يلقب لطيم الشيطان ذكره الثعالبي بهذا اللقب في كتابه « ثمار القلوب » (ص 59) فقال : « لطيم الشيطان - يقال لمن به لقوة أو شتر : يا لطيم الشيطان ، وكان عمرو بن سعيد بن العاص يلقب بذلك ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر فتك عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد قال في خطبته : بلغنا أن أبا الذبان ، قتل =

فأما هلك عبد الملك سعى بها ساع إلى الوليد وأنها لم تبتك على عبد الملك كما بكت نظائرها ، فذكر لها الوليد ذلك فقالت : صدق القائل إن كنت قائلة ماذا أقول ؟ يا ليتني بقي حتى يقتل لي أخاً آخر كعمرو بن سعيد .

ويلتحق بهذا الباب ما روي (67) عن علي رضي الله عنه أنه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر معنا ، فأتينا مجلساً فقلنا : من القوم ؟ فقالوا : من ربيعة ، فقال أبو بكر : من هامتها أم لهازمها (68) ؟ فقالوا : من هامتها العظمى ، فقال : وأي هامتها العظمى ؟ قالوا : ذُهل الأكبر ، قال : فمنكم عوف (69)

= لطيم الشيطان (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان لشدة بخره وموت الذبان إذا دنت من فمه . وفي ثمار القلوب (ص 129) أيضاً ما يأتي : « فتكتنا الإسلام - كان يقال لفتكة عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد ابن العاص الأشدق : فتكة الإسلام ، ثم صارت بفتكة المنصور بأبي مسلم فتكتين فهما فتكتنا الإسلام ، ولا ثالث لهما . »

(67) الخبر في « العقد الفريد » (3 : 326 - 327) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وفي كتاب « الفائق في غريب الحديث » للزنجشيري (3 : 83 - 86) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي طبعة دار إحياء الكتب سنة 1947 م .

(68) في « تهذيب الأزهرى » : « قال ابن الأعرابي : اللهازم هم : عجل ، وتيم اللات ، وقيس بن ثعلبة ، وعنزة » . وفي « الفائق » : « اللهازم أصول الحنكين ، الواحدة لهزمة ، يريد : أمن أشرافها أم من أوساطها ، ويقول النسابون : بكر بن وائل على جنمين : جذم يقال له الدهلان ، وجذم يقال له اللهازم ، فالدهلان بنو شيبان بن ثعلبة ، وبنو ذهل ابن ثعلبة ، واللهازم بنو قيس بن ثعلبة ، وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، قال الفرزدق :

وأرضى بحكم الحي بكر بن وائل إذا كان في الدهلين أو في اللهازم
وفي « تاج الزبيدي » : « هو من لهازم القبيلة أي من أوساطها لا أشرافها ، استعيرت من اللهازم التي هي أصول الحنكين . »

(69) ذكره ابن دريد في « اشتقاقه » (358) في رجال بني عكابة فقال : « ومنهم محلم بن ذهل ، فمن رجال محلم عوف الذي يضرب به المثل : « لا حر بوادي عوف » وهم أشراف في الجاهلية ، لهم قبة ، وهي التي يقال لها قبة المعاذة ، من لحأ إليها أعاذوه » وجاء عنه في « الفائق » ما يأتي : « عوف بن محلم بن ذهل ، كان عزيزاً شريفاً ، فقيل فيه : « لا حر بوادي عوف » أي الناس له كالعبيد والخول . »

الذي كان يقال فيه : « لا حُرَّ بِيَوَادِي عَوْفٍ » قالوا : لا ، قال : فمنكم بسطام (70) منتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم المزْدَلْف (71) صاحب العمامة ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم حسان (72) بن ربيعة حامي الدمار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم الحَوْفَزَان (73) قاتل الملوك ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أصحاب الملوك من لحم ؟ قالوا : لا ، قال : لستم ذُهْل الأكبر ، أنتم ذُهْل الأصغر ، فقام إليه أعرابي منهم وقال :

(70) في «الفائق» : « فمنكم بسطام بن قيس أبو القرى ومنتهى الأحياء » . وفي « اشتقاق ابن دريد » (ص 358) وهو يذكر رجالات بني عكابة : « ومن فرسانهم المشهورين : بسطام بن قيس بن خالد ، وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » .

(71) في « تاج الزبيدي » من مادة « زلف » ما يأتي : « والمزدلف بن أبي عمرو بن مقر بن بولان بن عمرو بن الغوث ، طائي ، والمزدلف أيضاً لقب الحصيب ، وهو أبو ربيعة كما نقله الصاغاني ، أو هو لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، كما نقله ابن حبيب ، وإنما لقب به لأنه ألقى رمحاً بين يديه في حرب كانت بينه وبين قوم فقال : ازدلفوا إليه ، وكان إذا ركب لم يعم مع غيره ، أو لاقترا به من الأقران في الحروب وازدلفه إليهم » .

(72) كذا بالأصل ، ومثله في ك وس ، وهو كذلك في الطبعة الفاسية ، أما « العقد الفريد » ففيه : « جاس بن مرة » وكذلك هو في « الفائق » للزنجشري ، ومعه الوصف الآتي : « مانع الجار » ومعه شرح يقول بالنص : « مانع الجار : لمنعه خالته البسوس وقتله كلياً في سببها » .

(73) عده ابن دريد في «الاشتقاق» (ص 358) في رجالات بني عكابة فقال : « ومن رجالهم شريك بن مطر جد معن بن زائدة ، وابنه الحوفزان بن شريك ، واسمه الحارث ، وإنما سمي الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح ، وكل ما قلته عن موضعه فقد حفزته » . وذكره الزبيدي في « التاج » قال : « الحوفزان فوعلان من الحفز ، وهو لقب الحارث بن شريك الشيباني ، لقب به لأن قيس بن عاصم المنقري التميمي الصحابي رضي الله تعالى عنه حفزه بالرمح ، أي طعنه به حين خاف أن يفوته فرج من تلك الحفرة فسمي حوفزاناً ، حكاه ابن قتيبة » .

إنَّ على سائلنا أن نسأله والعيبُ لا تعرفه أو تحمله

يا هذا سألتنا فلم نكتمك ، فمن أنت ؟ قال : من قريش ، قال :
بخبخ (74) أهل الشرف والرياسة ، فمن أي قريش أنت ؟ قال : من تيم
ابن مرة ، قال : أمكنت الرامي من ثغرتك ، (75) فمنكم قصي (76)
الذي جمع الله به القبائل من فهر ؟ قال : لا ، قال : فمنكم هاشم (77)
الذي هشم الثريد لقومه ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيببة (78) الحمد

(74) في « تاج العروس » : « بخ كقد ، وهي كلمة تقال وحدها ، وقد تكرر فيقال : بخ بخ ،
الأول منون ، والثاني مسكن ، وقل في الأفراد : بخ ساكنة ، وبخ مكسورة ، وبخ
منونة مكسورة ، وبخ منونة مضمومة ، ويقال : بخ بخ مسكين ، وبخ وبخ منونين
مكسورين مخفين ، وبخ بخ منونين مكسورين مشددين ، كل ذلك كلمة تقال عند
الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح » .

(75) في « القاموس » : « الثغرة بالضم : نقرة النحر بين الترقوتين ، ومن البعير هزمة ينحر
منها ، ومن الفرس فوق الجؤجؤ » .

(76) في « الفائق » : « قصي : هو زيد بن كلاب بن مرة ، ولقب بذلك لأنه قصا قومه أي
تقصاهم وهم بالشام فنقلهم إلى مكة ، وكان يدعى مجمعا ، قال :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر »

(77) في « الفائق » : « هاشم هو عمرو بن عبد مناف ، ولقب بذلك لأن قومه أصابتهم مجاعة
فبعث عيراً إلى الشام ، وحملها كعكاً ، ونحر جزوراً وطبخها وأطعم الناس » .

(78) في « فائق الزمخشري » : « شيببة الحمد هو عبد المطلب ، ولقب بذلك لأنه لما ولد كانت
في رأسه شعرة بيضاء ، وسمي مطعم الطير لأنه لما أخذ في حفر زمزم وكانت قد اندفنت
جعلت قريش تهزأ به فقال : اللهم إن سقيت الحجيج ذبحت لك بعض ولدي ، فأسقى
الحجيج منها ، فأقرع بين ولده فخرجت القرعة على ابنه عبد الله ، فقالت أخواله بنو
نخزوم : أرض ربك وافد ابنك ، فجاء بعشر من الإبل فخرجت القرعة على ابنه ، فلم
يزل يزيد عشرأ عشرأ ، وكانت القرعة تخرج على ابنه إلى أن بلغها المائة ، فخرجت على
الإبل فنحراها بمكة في رؤوس الجبال فسمي مطعم الطير » .

مطعم الطير ؟ قال : لا ، قال : فلکم الإفاضة (79) ؟ قال : لا ، قال :
 فلکم الندوة ؟ قال : لا ، قال : فلکم الحِجَابة ؟ قال : لا ، قال : فلکم
 السقاية ؟ قال : لا ، ثم اجتذب أبو بكر زمام ناقته وانصرف عنه ، فقال له :
 أيم الله ، لو تلبثت لأخبرتكَ أنك من زمعات (80) قريش أو ما أنا بدغفل (81)
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال علي : فقلت : يا أبا بكر حصلت
 من الأعرابي علي باقعة (82) ، قال : أجل إن فوق كل طامة طامة ، والبلاء
 موكل بالمنطق .

(79) في « فائق الزمخشري » كذلك ما يأتي : « كانت الإفاضة في الجاهلية إلى الأخزم بن العاص
 الملقب بصوفة ، ولم تزل في ولده حتى انقرضوا ، فصارت في عدوان يتوارثونها حتى
 كان الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة العدواني صاحب الحمار ، وقيل : كان قصي قد
 حازها إلى ما حاز من سائر المكارم ، وقد قسم مكارمه بين ولده ، فأعطى عبد مناف
 السقاية والندوة ، وعبد الدار الحجابة واللواء ، وعبد العزى الرقادة » .

(80) في « القاموس » : « الزمعة محرّكة هنة زائدة وراء الظلف ، أو شبه أظفار الغنم في الرسع
 في كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون ، أو الشعرات المدلاة في مؤخر رجل
 الشاة والطبي والأرنب » اهـ . منه ، والزمعات يكنى بها عن أوباش الناس .

(81) في المخطوطات الثلاث ، وكذا في القاسية : « دعبل » بعين مهملة وباء موحدة ، وهو
 تصحيف صوابه : « دغفل » بالعين والفاء ، وهو النسابة المضروب به المثل في معرفة
 الأنساب ، ذكره الميداني في « أمثاله » (2 : 308) فقال : « هو رجل من بني ذهل بن
 ثعلبة بن عكابة ، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب ، زعموا أن معاوية سأله عن أشياء
 فخره بها فقال : بم علمت ؟ قال : بلسان سئول ، وقلب عقول ، على أن للعلم آفة ،
 وإضاعة ، وتكداً ، واستجاعة ، فأفته النسيان ، وإضاعته أن يحدث به من ليس من أهله ،
 ونكده الكذب فيه ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع . قال القتيبي : هو دغفل بن
 حنظلة السدوسي ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد دغفل على
 معاوية وعنده قدامة بن جراد القريني فنسبه دغفل حتى بلغ أباه الذي ولده فقال : وولد
 جراد رجلين : أما أحدهما فشاعر سفيه ، والآخر ناسك ، فأيهما أنت ؟ فقال : أنا الشاعر
 السفيه ، وقد أصبت في نسبي وكل أمري ، فأخبرني بأبي أنت متى أموت ؟ قال دغفل :
 أما هذا فليس عندي وقتله الأزارقة » .

(82) في « أساس البلاغة » : « هو باقعة من البواقع : للكيس الداهي من الرجال ، شبه بالطائر
 الذي يرد البقع وهي المستنقعات دون المزارع خوف القناص » .

وكان عتبة بن أبي سفيان عاملاً على المدينة فولى رجلاً من أهله على الطائف ، ثم إنه ظلم رجلاً من الأزدي وأخذ له غنماً ، فجاء إلى المدينة مشتكياً ودخل على عتبة فأنشأ يقول :

أمرت من كان مظلوماً ليأتيكم فقد أتاك غريب الدار مظلوم

وذكر ما فعل به العامل وأكثر ، فقال له عتبة : إنك أعرابي جاف ، والله ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة ، فقال الأعرابي : رأيتك إن أنبأتك عن ذلك أن تجعل لي أن أسألك عن مسألة ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت فسل ، فقال : كم فقار ظهرك (83) قال : لا أدري ، قال : فتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ، فقال عتبة : ردوا عليه غنيمته .

(83) قال المبرد في كامله بعد إيراد الحكاية : « قوله : فقار إنما هو جمع فقارة ويقال : فقارة ، فمن قال في الواحد فقارة قال في الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار ، كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام » . وزاد المرصفي في رغبة الآمل (4 : 33) يقول : « عن أبي الهيثم : للإنسان أربع وعشرون فقارة وأربع وعشرون ضلعاً ست فقارات في العنق بعد الفهقة ، وهي موصل العنق بالرأس ، وست في الكاهل بين كل ضلعين من أضلاع الصدر فقارة ، وست في الظهر بين كل ضلعين من أضلاع الجنين فقارة ، ثم تليها فقارة تسمى القطة تفصل بينها وبين فقار العجز ، ويليهما رأسا الوركين اللذان يقال لهما : الخرابان ، وست في العجز آخرها فقارة تسمى بالتحقق » .

ولما ظهر (84) المهلب بن أبي صفرة على الخوارج أرسل كعب (85)
ابن معدان الأشقري ومرة بن تليد الأزدي إلى الحجاج ليعلماه بالفتح فلما
طلعا عليه تقدم كعب فأنشد :

يا حفص إني عداني (86) عنكم السفر وقد سهرت فأردي نومي السهر (87)

فقال له الحجاج : أشاعر أم خطيب ؟ فقال : كلاهما ، ثم أنشده
القصيدة (88) ، ثم أقبل عليه فقال : خبرني عن <بني> (89) المهلب
فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم
وسخيهم قبيصة ، ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك ، وعبد الملك سم

(84) الخبر في « كامل المبرد » (3 : 224) وفي « أمالي القاضي » (1 : 261) وفي « أغاني
الأصفهاني » (14 : 283 - 286) من طبعة الدار .

(85) قال عنه الأصفهاني في « أغانيه » (14 : 284) : « كعب بن معدان الأشقري ، والأشاعر
قبيلة من الأزدي ، شاعر ، فارس ، خطيب ، معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلب
والمذكورين في حروب الأزارقة » .

(86) في ك : « إن عذابي » ومثله في س و ح ، وهو خطأ صوابه : « عداني » بمعنى صرفني كما
هو رواية الأصل ، وكما جاء في المراجع التي أوردت الخبر .

(87) رواية « الأغاني » للمصراع جاءت هكذا : « وقد أرققت فأذني عيني السهر » .

(88) القصيدة هذه أوردتها الطبري في « التاريخ » (6 : 304 - 308) وهي في 83 بيتاً ،
وبما جاء فيها بشأن القتال بين الخوارج ورجال المهلب قوله :

تأبى علينا حزازات النفوس ، فما نبقى عليهم وما يبقون إن قدروا
ولا يقلوننا في الحرب عثرتنا ولا نقيهم يوماً إذا عثروا
لا عذر يقبل منا دون أنفسنا ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا

وهو في غاية الصدق والإنصاف .

(89) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

ناقع (90) وحبیب موت ذعاف (91) ، و محمد لیث غاب ، وكفی بالفضل
نجدة ، قال : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال : قد خلفتهم بخير ، قد
أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟
قال : كانوا حماة للسرْح (92) نهراً ، فإذا ألبوا (93) ففرسان للبيات ،
قال : فأیهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ،
قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال : كنا إذا أخذنا عفونا (94)
﴿وأخذوا عفوهم يئسنا منهم﴾ (95) ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا
فيهم ، فقال الحجاج : (إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) كيف أفلتكم قطري ؟
قال : كادنا ببعض ما كنا نكیده ، قال : فهلا اتبعتموه ؟ قال : كان الحد
عندنا أثر من الفل ، قال : فكيف كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان
لنا منه شفقة الوالد ، وله منا بر الولد ، قال : فكيف اغتباط الناس ؟ قال :
فشا فيهم الأمن ، وشملهم النفل (96) قال : أكنت أعددت لي هذا الجواب ؟
قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال : هكذا والله يكون الرجال ، المهلب كان
أعلم بك حين وجهك .

(90) في «أساس البلاغة» : «نقع السم في ناب الحية : اجتمع» ، وجاء في «القاموس» : «سم
ناقع : بالغ ثابت» .

(91) في «القاموس» : «الذعاف كغراب : السم ، أو سم ساعة» . وفي «الصحاح» : موت
ذعاف وذؤاف أي سريع يعجل القتل» .

(92) في «الأغاني» : «للحريم» بدلا من «للسرح» .

(93) في «القاموس» ألبوا و ألبوا : دخلوا في الليل» .

(94) عني بالعفو هنا القتال المتراخي الذي لا مباحكة فيه ، ولا إجهاد ، والعفو يأتي بمعنى الشيء
السهل الميسور مما لا يشق على النفوس ولا يكون فيه كلفة ولا إعنات ، ومن هذا المعنى
قوله تعالى (خذ العفو) ومنه أيضاً قوله جل شأنه : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) .

(95) ما بين العلامتين ساقط من الفاسية .

(96) في «مصباح الفيومي» : «النفل النعمة ، والجمع أنفال مثل سبب وأسباب ، والنفل مثل
فلس مثلها» .

وفي « نوار القالي » (97) أن الحجاج قال له : كيف كانت محاربة المهلب للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة (98) سار (99) كما يسور الليث ، وإذا دهمته الطحمة (100) راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا مادّه القوم صبر صبر الدهر ، وأنه قال له : كيف أفلتكم قطري ؟ قال كادنا ببعض ما كدناه به ، والأجل أحصن جنة ، وأنفذ عُدّة ، قال : وكيف اتبعتم عبد ربه وتركتموه ؟ قال : آثرنا الحد على الفل ، وكانت سلامة الجند أحب إلينا من شجب (101) العدو .

ولما مات سعيد (102) بن العاصي (103) قال معاوية لابنه عمرو بن

- (97) انظر جزأها الأول ص 261 .
- (98) كتبت هذه الكلمة في الأصل بالسين وكذلك رست في الكنسومية أيضاً ، وهو تصحيف صوابه كتابتها بالصاد ، وبه كتبت في الكتافية والفاسية .
- (99) في « أساس البلاغة » : « سار عليه وثب ، وساوره ، والحية تσαور الراكب ، وله سورة في الحرب » .
- (100) في « أساس البلاغة » : « أتتهم طحمة السيل : دفاعه ومعظمه ، ومن المجاز : أشد من حطمة السيل ، تحت طحمة الليل ، وهي معظم سواده ، وطرقتنا طحمة من الناس ، ودفعوا إلى طحمة الفتنة » .
- (101) في « مصباح الفيومي » : « شجب فهو شجب من باب تعب إذا هلك » .
- (102) ذكره ابن حجر في « الإصابة » فكان مما قال بشأنه : « سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عثمان ، كان من فصحاء قريش ، ولهذا نديه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن ، وكان مشهوراً بالكرم والبر حتى كان إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً ، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاهم عنه ولده عمرو الأشدق ، وكان إذا أحب شيئاً أو أبغضه لم يذكر ذلك ويقول : إن القلوب تتغير ، فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحاً اليوم عائباً غداً ، ومن محاسن كلامه : لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا تمازح الدنيء فتهون عليه ، ومن كلامه : موطنان لا أعتذر من العي فيهما : إذا خاطبت جاهلاً ، أو طلبت حاجة لنفسي ، مات سعيد في قصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين » .
- (103) في « التاج » من مادة « عصي » ما يأتي : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : سمعت المراد يقول : هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لُحِجَت العامة بحذفها ، قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة ، يعني أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » .

سعيد وهو صبي صغير : إلى من أوصى بك أبوك يا غلام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن أبي أوصاني ولم يوص بي .

وقال معاوية لابنه يزيد وهو ابن تسع سنين : في أي سورة أنت يا بني ؟ وكان في سورة القتال ، فكره أن يذكرها فقال : أنا في السورة التي تلي : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : هذه السورة تليها سورتان ، وهي بينهما ، ففي أيتهما أنت ؟ قال : في السورة التي فيها : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) فتمثل معاوية حينئذ بقول الشاعر :

ملوك وأبناءُ الملوك وسادة تفلق عنها بيضة الطائر الصقر
متى تلق منهم ناشئاً في شبابه تجده على آثار والده يجري

ولما أصاب أهل البوادي القحط (104) أيام هشام بن عبد الملك وفدت

(104) جاءت الحكاية في «عيون الأخبار» (ج 2 ص 338) على نحو آخر يقول بالنص :

«مقام أعرابي بين يدي هشام»

«أتت على الناس سنون ، أما الأولى فلحمت اللحم ، أما الثانية فأكلت الشحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم ، وعندكم فضول أموال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم فقيم تحظر عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا عليها بها ، فإن الله يجزي المتصدقين ، فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال فقال : أكل المسلمين له مثل هذا؟ قالوا : لا ، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين ، قال فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين .»

عليه رؤساء القبائل وفيهم صبي صغير في رأسه ذؤابة، وعليه بردة يمنية (105) فأنكر هشام حضوره وقال للحاجب : ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان ، فقال الصبي : يا أمير المؤمنين إن دخولي لم ينقصك ، ولكن شرفي ، وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه ، وإن الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف إلا بنشره ، فأعجب هشاماً كلامه [فقال له : (106) انشر لا أم لك فقال : يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث ، فسنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة أنقت (107) العظم ، وفي يدكم فضول أموال ، فإن كانت لله ففرقوها على عباده ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، فقال هشام : ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر بمائة ألف درهم [ففرقت في البادية وأمر للغلام بمائة ألف درهم] (108) فقال : ارددها في جائزة العرب ، فما لي بها حاجة في خاصة نفسي دون سائر المسلمين ، فكان في هذه أعجب .

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءته الوفود (109) ، فحين دخل عليه وفد أهل الحجاز أراد غلام منهم أن يتكلم فقال له عمر :

(105) في س و ح : « يمانية » .

(106) ما بين العلامتين زيادة من ك و س .

(107) في « صحاح الجوهري » : « النقو بالكسر في قول الفراء كل عظم ذي مخ ، والجمع أنقاء ، والنقي مخ العظم ، وشحم العين من السمن ، ونقوت العظم ونقيته إذا استخرجت نقيه وانتقيت العظم مثله ، وأنقت الإبل أي سمتت وصار فيها نقي ، وكذلك غيرها » .

(108) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وكتبه فاسخ الكتانية لحقاً على طرته ، وهو وارد في الطبعة الفاسية .

(109) الحكاية وردت في « مروج الذهب » للمسعودي (3 : 197) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وجاءت كذلك في « زهر الآداب » للحصري (1 : 7) بتحقيق علي محمد البجاوي .

يا غلام ، يتكلم (110) من هو أسن منك ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد [له] (111) الاختيار ، ولو أن الأمور بالسن لكان هنا من هو أحق بمجلسك منك ، فقال له : صدقت فتكلم ، فهذا هو السحر الحلال ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وقد التهتة ، لا وقد المرزئة ، لم تقدّمنا إليك رغبةً ولا رهبةً ، لأننا قد أمنا في أيامك ما خفناه ، وأدركنا ما طلبناه ، وفي رواية : أما الرغبة فقد أوصلها لنا فضلك ، وأما الرهبة فقد أمنا منها عدلك ، فتهلل وجه عمر عند ثناء الغلام عليه ، وسأل عن سن الغلام فقيل : عشر سنين (112) ثم كان (113) عمر خاف العجب فأقبل على الغلام وقال : عظنا يرحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن (114) جهل القوم بك معرفتك بنفسك ، فأجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، وإن قوماً خلدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم فهووا في النار ، أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون منهم ، وألحقتك بصالح سلف هذه الأمة ، فجعل عمر يبكي حتى خيف عليه .

(110) في « المروج والزهر » : « ليتكلم » بلام الأمر .

(111) ما بين العلامتين زيادة من « زهر الآداب » ، وفي « مروج الذهب » : « فقد استجاد له الحلية » بدل : « فقد أجاد له الاختيار » .

(112) في « مروج الذهب » : « نظر عمر في سن الغلام فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

(113) كذا في الأصل ، ومثله في س و ح وفي ك وحدها « ان » بدل « كان » .

(114) نص الموعظة في « المروج » جاء كما يلي : « اناساً غرهم حلم الله عنهم ، وطول أملهم ، وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يفرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فزل قدمك » .

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية (115) فقال له معاوية : ما الشيء
الملف في البجاد ؟ قال : السخينة يا أمير المؤمنين ، أشار معاوية إلى قول
الشاعر (116) يهجو بني تميم بحب الطعام :

إذا مات ميت من تميم وسرك أن يعيش فجىء بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر أو الشيء الملف في البجاد (117)

وأصل ذلك أن عمرو بن هند لما حلف ليحرقن من بني تميم مائة في ثأره
أخذهم فجعل يلقيهم في النار ، حتى بقي له واحد من العدة ، فإذا برجل
تميمي من البراجم قد ذهب في حاجة فشم روائح المحترقين فقال : هذا سواء
اتخذته الملك ، فقال إليه ، فلما وقف عليه قال له : من أنت ؟ قال : بُرجمي ،
فقال الملك « إن الشقي وافد البراجم » وأمر به فقذف في النار تكميلاً للعدد ،
فمن ذلك عيّر العرب تميماً بحب الطعام ، وقال الشاعر (118) :

ألا أبلغ لديك بني تميم بآية ما يحبون الطعاما

(115) الحكاية واردة في « أدب الكاتب » لابن قتيبة (ص 11-12) بتحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد .

(116) هو أبو الهوش الأسدي على ما في كتاب « الاقتضاب » لابن السيد البطليوسي والبيتان
معهما بيت ثالث هو :

تراء يطوف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

(117) البجاد كساء ذو خطوط ، والشيء الملف فيه أراد به وطب اللبن الذي لف وترك ليروب ،
فأما لقمان بن عاد المذكور في البيت المضاف فقد بين ابن السيد البطليوسي في « اقتضابه »
المعنى من ذكره والمغزى من التمثيل به فقال : « وإنما ذكر لقمان بن عاد لخلالته وعظمته
يريد أنه لشدة نهمه وشرهه إذا ظفر بأكلة فكأنه ظفر برأس لقمان لسروره بما قال وإعجابه
بما وصل إليه ، وهذا كما يقال لمن يزهو بما فعل ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء
برأس خاقان » .

(118) هو يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي على ما في « كتاب الاقتضاب » لابن السيد .

وأشار الأحنف بذكر السخينة ، وهي حساء رقيق كانت قريش تتخذه في الشدة ويعيرون (119) به .

ومن هذا المعنى ما وقف رجل (120) من فقفس على الفرزدق فقال له الفرزدق : أين تركت القنان (121) ؟ فقال : تركته يسامي أو يقابل لصافاً (122) وهما جبلان معروفان ، الأول منهما هو الواقع في قول زهير (123) :

جعلن القنان عن يمين وحزنه^١ ومن بالقنان من محل ومحرم

(119) يبدو أن في العبارة بعض اختلال ، وهذا نصها في (أدب الكاتب ص 12) : « أراد الأحنف أن قريشاً كانت تعير بأكل السخينة وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكتب الزمان » . وكانت قريش تعير بأكل السخينة للسبب الذي ذكره البطلوسي في « اقتضابه » فقال : « وكانت قريش تعير بأكل السخينة ، وكان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما يبعث فيهم فكفروا به دعا الله تعالى عليهم وقال : (اللهم أشدد وطأتك واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فأجدبوا سبع سنين ، وكانوا يأكلون الدم بالوبر ، ويسمونه العلهز ، وكان أكثر قريش إذ ذاك يأكلون السخينة ، وكانت قريش تلقب : سخينة ولذلك يقول حسان بن ثابت :

زعمت سخينة أن ستغلب ربهما وليغلبن مغالب الغلاب

(120) هو مضرس الذي عرف به المرزباني في « معجم الشعراء » (ص 307) فقال : « مضرس بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقفس بن طريف بن عمرو ابن قعين الأسدي له خبر مع الفرزدق » وقال عنه الأمدى في المؤلف والمختلف (ص 290) : « شاعر محسن متمكن » .

(121) في « معجم ما استعجم » : « قنان بفتح أوله ونون أخرى في آخره من منازل فقفس » .

(122) كذا هو في الأصل وفي ك و س و ح : « لصاف » بدون الألف وجاء في معجم البلدان

لياقوت : « لصاف بوزن قظام كأنه معدول عن لاصفة ، وتأتيه للأرض أو البقعة التي

يكثر فيها اللصف ، قال أبو عبيد : اللصف شيء ينبت في أصل الكبر كأنه خيار . . . » .

(123) أي في المعلقة وقوله :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

وجاء في شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة في

تفسير البيت ما نصه : « القنان جبل لبني أسد ، والحزن والحزم سواء وهو الموضع الغليظ ، =

والثاني هو الواقع في قول النابغة (124) :
بمصطحبات (125) من لصاص وثبرة (126)

يسـزرن إلاـلا سيرهن التـدافع

وإلال (127) هو جبل عرفة ، فعرض الفرزدق بالفقعسي مشيراً إلى
قول الشاعر (128) فيهم :

ضمن القنان لفقعس سواتها إن القنان بفقعس لمعسر

وأشار الفقعسي بذكر لصاص إلى قول الآخر (129) في تميم :

= والمحل الذي ليست له ذمة تمنع ، ولا حرمة ، والمحرم الذي له حرمة تمنع منه ، هذا
قول أكثر أهل اللغة ، وقال أبو العباس محمد بن يزيد : المحل والمحرم هنا الداخلان في
الأشهر الحرم ، وفي الأشهر التي ليست بحرم ، يقال : أحرم إذا دخل في الشهر الحرام ،
وأحل إذا خرج منه ، والمعنى : كم بالقنان من علو وصديق لنا ، يقول : حملت نفسي في
طلب هذه الظن على شدة أمر بموضع فيه أعدائي ، لو ظفروا بي هلكت .
(124) البيت من عينيته التي مطلعها :

عفا حمم من فرتى فالقوارع فجنبنا أريك فالتلال الدوافع
وقبله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع

(125) المصطحبات عنى بها الإبل التي عليها حجاج البيت الحرام .
(126) كتبه ناسخ الأصل بمثناة فوقية ، وكذلك كتبه ناسخ الكتانية في صلبها ، ثم عاد فكتبه
على طرفها بمثناة ، أما ح قفيها : « ثبرة بثاء مثناة ، فباء ساكنة ، فراء ، وهو
موضع ذكره البكري في « معجم ما استعجم » فقال : « ثبرة بفتح أوله وإسكان ثانيه
وبالراء المهملة : موضع تلقاء لصاص من ديار بني مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقيل :
هو بين ديار بني تغلب وديار بني يربوع ، وأصل الثبرة النقرة في الحجارة المتراصفة
مثل الصهريج ، وقال ابن دريد : الثبرة تراب شبيه بالنورة ، وقال قاسم : الثبرة
أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض .

(127) ضبطه ياقوت في « معجم البلدان » فقال : « ألال بفتح الهمزة ، واللام ، والألف ،
ولام أخرى ، بوزن حمام وقد روي إلال بوزن بلال » .

(128) هو نهشل بن حري .

(129) هو أبو المهوش الأسدي .

وإذا تسرك من تميم خصلة فلما يسوعك من تميم أكثر
قد كنت أحسبهم أسود خفية (130) فإذا لصاف تبيض فيه الحمر

والحمر على وزن صرد ، وتشدد ميمه ، وهو اللائق في البيت طائر
شبههم به في الضعف والجن (131) .

وقال بعضهم (132) : كنت عند جسر بغداد فإذا بفتاة حسناء قد
مرت ، فجاءتني من الجانب الآخر ، فلما رآها قال : يرحم الله علي بن
الجهم ، فقالت : ويرحم الله أبا العلاء المعري ، ثم انطلق كل لحاجته . ولم
يقف قال : فتبعت المرأة وقلت لها : لئن لم تخبريني بما جرى بينكما لأفضحك ،
فقالت : لا شيء إلا أنه أشار إلى قول علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري (133)

(130) في «معجم البلدان» : «خفية بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة : أجمة في سواد الكوفة
ينسب إليها الأسود فيقال : أسود خفية» .

(131) حكاية الفرزدق مع الفقعسي هذه أوردها ياقوت في «معجم البلدان» (7 : 329 -
330) فقال : «بلغ مضر بن ربيعي الأسدي أن الفرزدق قد هجا بني أسد فقدم البصرة ،
وجلس بالمربد ينشد هجاء الفرزدق فبلغ الفرزدق ذلك فجاءه حتى وقف عليه فقال له :
من أنت؟ قال : أسدي أنا، قال : لعلك ضريس قال : أنا مضرس ، فقال له الفرزدق :
إنك بي لشبيه ، فهل وردت أملك البصرة؟ فقال : لم ترد البصرة قط ، ولكن أبي ،
قال الفرزدق : ما فعل معمر؟ قال مضرس : هو بلصاف ، أراد الفرزدق بقوله نهشل
ابن حري يهجو بني فقعس حيث قال :

ضمن القنان لفقعس سواتها إن القنان بفقعس لمعمر

وأراد مضرس قول أبي المهوش الأسدي يرد عليه :

قد كنت أحسبكم أسود خفية فإذا لصاف تبيض فيه الحمر

(132) الحكاية في «أخبار الأذكيا» لابن الجوزي «ومعجم الأدباء» لياقوت في ترجمة المعري ،
«وثمرات الأوراق» لابن حجة الحموي .

(133) البيت مطلع قصيدة له مودعة في ديوانه بتحقيق خليل مردم .

فأشرت أنا إلى قول المعري :

فيما دارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال (134)

وتقدم نحو هذا في قصة المعري وقصة الكسائي .

ومن هذا القبيل في ذكاء العقول ولطافة الأفهام ما يحكى أن المعتمد بن عباد خرج يوماً هو ووزيره أبو بكر بن عمار فمرا بالرحبة فإذا بامرأة بديّة (135) بين الرجال ، فقال المعتمد : « الجيارين » (136) فقال ابن عمار : نعم يا سيدي « والجباسين » فالأول يقول : « الحيا زين » والثاني يقول : « وانحنا شين » وصحف (137) كل تسمية على العامة واتكالا على فهم صاحبه .

(134) البيت من قصيدة سقطية مطلعها .

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال وفي النوم معنى من خيالك محلال

(135) في « مصباح الفيومي » : « بدأ على القوم يبنو بذا بالفتح والمد سفه وأفحش في منطقته وإن كان كلامه صدقاً ، فهو بندي على فعيل ، وامرأة بذية كذلك » ؛ وفي ح : « بديّة » بدال مهملة وهو تصحيف .

(136) أراد ابن عباد الذين يبيعون الجير وعنى ابن عمار من يتجرون في الجبس ، وننقل إلى القارئ هنا ما ذكره الشهاب الخفاجي في « شفاء الغليل » عن لفظي الجير والجبس بنصه قال : « الجبس الذي تلاط به البيوت ، والصواب فيه : الجص ، وإنما الجبس في كلامهم اللذي ، وكذا جير خطأ ، والصواب جيار وهو الصاروج قاله الزبيدي » . وقد ذكر الذين روى الحكاية أنها كانت على مقربة من سوقين متجاورتين إحداهما كانت للجيارين والأخرى للجباسين .

(137) التصحيف على ثلاثة أشكال أحدها ذاك الذي ينشأ عن سوء القراءة وهو الذي ذكره حمزة الأصفهاني في كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف » فقال بشأنه : « أما معنى قولهم : التصحيف فهو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير ما اصطلى عليه في تسميته ، وأما لفظ التصحيف فإن أصله فيما زعموا أن قوماً أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها : قد صحفوا أي روه عن الصحف » انتهى .

وهذا الباب لا يأتي عليه الحصر ، وما ورد فيه من الشعر أكثر وأكثر ،
وقد قيل : أنزلت الحكمة على ألسنة العرب ، وما ذلك إلا في شعرها ، وقال
صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ الشُّعْرِ لِحِكْمَةٌ » وتقدمت جملة من
ذلك في الأمثال ، وسيأتي شيء منه في الوصايا والمواعظ إن شاء الله .

لله الأمر من قبل ومن بعد

= والثاني ما قصد بها إلى تزيين العبارات وتنسيقها ، وهو الذي يتكلم فيه أصحاب البديع
والثالث ما قصد به إلى التعمية والإلغاز ، ومن أمثله ما حكوه عن المتنبى أنه سامر سيف
الدولة ذات ليلة فلما أراد الانصراف قال له الأمير : « تتبختر » فقال الشاعر يجيبه :
« وتتيه » وكان تصحيف : « تتبختر » هو : « بت بخير » وكان تصحيف « وتتيه »
هكذا : « وبت به » .

وسئل بعضهم : ما تصحيف بلنسية فأجاب : أربعة أشهر ، وذلك لأن لفظ بلنسية
يقرأ بالتصحيف هكذا : « ثلث سنة » .

باب

[في نبذة من أبيات المعاني والألغاز العربية]

وهذه نبذة من أبيات المعاني والألغاز العربية ، وأتبعناها للحكم والأجوبة المسكّنة للمناسبة الظاهرة ، فإن الكل منشؤه الذكاء والفطنة ، والألغاز وإن كانت كما قال المحققون <من> (1) صنعة البطالين لا نريد أن نخلي الكتاب من شيء منها لقصد التفنن والإحماض و [قد] (2) تقدم شيء من أبيات المعاني <في الكتاب> (3) ومن ذلك في الأنواء قول بعض السدوسيين (4) :

إذا القوس وترها أيدٌ رمى فأصاب الكلى والذُّرا

يريد أن القوس أعني قوس قزح إذا وترها أي أقامها ونصبها على ما هي

(1) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

(2) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(3) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(4) البيت في «اللسان» بمادة «أيد» ومع تفسير يقول فيه ابن منظور : «يقول : إذا الله تعالى وتر القوس التي في السحاب رمى على الإبل وأسمنتها بالشحم يعني من النبات الذي يكون من المطر» . والبيت في «مجالس ثعلب» (القسم الثاني ج 10 : ص 447) وبعده بيت يقول :

« فأصبحت والليل مستحلس وأصبحت الأرض بجرأ طما »

وشرح البيت ثعلب فقال ما نصه : « قوله : « فأصبحت والليل مستحلس » قال : فأصبحنا وكانا في ليل من شدة الغيم أي لم يعلم بالصباح لأن الغيم مقيم متكاثف » .

أيّد أي قوي ، وهو الملك الموكل بها ، أو الفاعل المختار سبحانه رمى بالغيث
فأصاب بالشحم كلى الأنعام وذُرّاهما .

وفي صفة السيف قول الآخر :

وكنت إذا الإبريق أقعى على استه وذن نديم الشر أن ليس راويا
كررت عليه الكأس حتى كأنما يرى بالذي أسقيه منه الأفاعيا

الإبريق السيف (5) لأنه يسقي الموت ، وإقعاؤه على استه أن يأخذ بقائمه
عند إرادة الضرب ، ونديم الشر العدو ، والكأس كأس الشر .

وفي صفة الظل قول الآخر :

وصاحب غير ذي ظلٍ ولا نفسٍ هيجته بسواء البيد فاهتاجا

يريد بالصاحب ظله ، فإنه لا ظل له ، ولا نفس ، وقد حركه بمشييه
فتحرك .

ونحوه قول الآخر :

(5) في غفران المعري (ص 144 سلسلة الذخائر رقم 4) وهو يصف نعيم الجنة : « هذه
أباريق ، تحملها أباريق ، كأنها في الحسن الأباريق : فالأولى هي الأباريق المعروفة ،
والثانية من قولهم : جارية إبريق إذا كانت تبرق من حسنها ، قال الشاعر :
وغيداء إبريق كأن رضاها جنى النحل ممزوجاً بصهباء تاجر
والثالثة من قولهم : سيف إبريق مأخوذ من البريق قال ابن أحرر :
تقلدت إبريقاً وعلقت جمبة لتهلك حياً ذا زهاء وجمال »

وثنيّةٍ جاوزتها بثنيّةٍ حُرْفٍ (6) يعارضها ثنيّ أدهم
فالثنية الأولى ثنية الجبل ، والثانية الناقة التي ذلك سنّها ، والثني الآخر
ظلمها ، وهو أدهم أي أسود .

وفي اللصوصية قول الآخر :

تعيرني ترك الرماية خلّتي (7) وما كل من يرمي الوحوش ينالها
فإلا أصادف غرة الوحش أقتنص من الانسيات العظام جفّاطها

أي إن لم أقتنص الوحش أسرق من الغنم العظام الجفال أي الصوف (8) .

وقول الآخر (9) :

(6) في « التاج » : « الحرف : الناقة الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل ، كذا في « الصحاح » ،
وفي « العباب » : تشبيهاً بحرف السيف زاد الزمخشري : في هزالها ومضائها في السير ،
وفي « اللسان » : هي النجبية الماضية التي أنضتها الأسفار شبهت بحرف السيف في مضائها
ونجائها ودقتها ، أو هي المهزولة ، نقله الجوهري عن الأصمعي وقال أبو العباس في تفسير
قول كعب بن زهير :

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شميل
قال : يصف الناقة بالحرف لأنها ضامرة ، وتشبه بالحرف من حروف المعجم وهو الألف
للقتها ، وتشبه بحرف الجبل إذا وصفت بالعظم ، قال ابن الأعرابي : ولا يقال :
جمل حرف إنما تخص به الناقة .

(7) في « تاج الزبيدي » : « الخلة بالضم الخلية قال كعب بن زهير :
يا ويحها خلة لو أنها صدقت موعودها أو لو ان النصح مبذول
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل
والخلة أيضاً الصداقة المختصة التي لا خلل فيها ، تكون في عفاف الحب وفي دعارة منه
والخلة أيضاً الصديق يقال للذكر والأثني والجميع لأنه في الأصل مصدر » وفي ك : « خلقتي »
وهو خطأ .

(8) في « التاج » الجفال كغراب : رغبة اللبن ، وأيضاً الكثير من كل شيء ، ومنه الحديث
في الدجال : « جفال الشعر » ولا يوصف بالجفال إلا وفيه كثرة أو من الصوف خاصة .

(9) البيتان في « معاني الشعر » للاشناداني (ص 124 - 125) .

توخى بها مجرى سهيلٍ وخلفه من الشام أعلام تطول وتقصر
فلما رأى أن النطافَ تعذرت رأى أن ذا الكلبين لا يتعذر

هذا لص طرد إبلاً فتوخى أي قصد بها مجرى سهيل ، وهو اليمن ،
وترك الشام وأعلامه أي جباله خلفه تطول وتقصر في السراب (10) فلما رأى
أن النطاف أي المياه تعذرت في طريقه رأى أن ذا الكلبين أي سيفه ، والكلبان
مسماران في قائمه ، لا يتعذر فينحر ويفتظ (11) الكرش فيشرب ما فيه :

وقول الآخر :

إنا وجدنا طرداً (12) الهوامل خيراً من التأنان (13) والمسائل
وعيداً (14) العام وعام قابل ملقوحة في بطن ناب حامل

يقول : إن سرقة الإبل الهوامل <أي> (15) التي لا راعي معها

(10) في « معاني الشعر » للأشنانداني : « تطول بالنهار وتقصر بالليل لأنها تستبين بالنهار فتطول
في العين ويغطيها الليل فترى قصاراً » .

(11) في س و ح : « يفتض » بالضاد الساقطة ، وهو تصحيف صوابه بالظاء المشالة كما جاء
في الأصل وفي ك ، وفي « أساس البلاغة » للزمخشري : « عطشوا حتى شربوا الفظ وهو ماء
الكرش وافتظوا الكرش : أخذوا فظها » .

(12) ينبغي أن تحرك الراء من الكلمة بالفتح لأن الراجز زاحف ثم بالطي الذي هو حذف الرابع
الساكن من الجزء ، وفي « التاج » : « الطرد بفتح فسكون ويحرك الإبعاد والتنحية ،
والطرد والطرود ضم الإبل من نواحيها : طردت الإبل طرداً وطروداً أي ضممتها والطرود
بالتحريك مزاولة الصيد ، والطريدة الوسيقة من الإبل يغير عليها قوم فيطردونها » .

(13) في ك : « النانان » وفي س : « البانان » وكلاهما تصحيف صوابه التأنان كما هو في الأصل
وفي الطبعة الفاسية .

(14) هو من الوعد .

(15) ما بين العلامتين ساقط من ك و ح .

خير لنا من الأئين والتشكي وسؤال الناس ، فهذا يردنا ، وهذا يعدنا بالعطاء
في العام أو القابل جنيناً في بطن أمه .

وقول الآخر (16) :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوتَ إنسان فكدت أطيّر
درى الله إني للأنيس لمبغض ويقليه مني شاهد وضمير
وإني لأستحيي من الله أن أرى أطوف بجبل ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء اللثيم بعيره وبُعْرانُ ربي في البلاد كثير

هذا لص يستوحش من الناس لثلاً يقبض ، ثم زعم أنه يستحيي أن
يأتي بجبل يسأل من يعطيه بعيراً فيربطه به ، وأن يسأل البخلاء وإبل الله كثيرة
يسرقها .

وقول الآخر :

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا مراميل (17) جوعا

(16) هو الأحيمر بن فلان (فلان هنا علم لا كناية) ابن الحارث السعدي من شعراء الدولتين
قال عنه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» : «وهو متأخر قد رآه شيوخنا» . ثم قال يعرف
بحاله : «وكان الأحيمر لصاً كثير الجنایات ، فخلعه قومه وخاف السلطان فخرج في
الفلوات وقفار الأرض قال : فظننت أني قد جرت نخل وبار أوقد قربت منها ، وذلك
لأنني كنت أرى في رجع الظباء النوى ، وصرت إلى مواضع لم يصل أحد إليها قط قبلي ،
وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ، لأنها لم تر غيري قط ، وكنت
أخذ منها لطعامي ما شئت ، إلا النعام فإني لم أره قط إلا شاردأ فزعاً» . والأبيات التي
أوردها اليوسي من قصيدة تفرقت أبياتها في الكتب التالية : «الشعر والشعراء» ، و«عيون
الأخبار» ، و«آليء» البكري ، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي ثم «معجم البلدان»
لياقوت .

(17) في س : «مرامل» بدون إشباع .

البارح الريح الشديدة تهب في القيظ ، فهو يطلبها فإذا سرق الإبل عفت
أثره فلا يدرك ، وجعل عياله عيالاً للريح لأنه يعولها به .

ومثله قول الآخر (18) :

جزى الجوزاء عنا الله خيراً فقد أغنت عن الحبل الجذيم

أي أغنتنا بريحتها فنأخذ ما شئنا ولا ندرك ولم نحتاج إلى حبل جذيم أي
مقطوع تأتي به صاحباً يعطينا فيه بعيراً .

وقول الآخر (19) :

ألا يا جارتا بأباضٍ إنني رأيت الريح خيراً منك جاراً
تغذينا إذا هبت علينا وتملاً وجه ناظركم غباراً

أباض (20) كغراب قرية باليمامة ويقال : لم ير أطول من نخيلها فيقول
هذا اللص لجارتيه (20م) بها : إن الريح خير منكما ، وذلك أنه يسرق التمر
فإذا هبت الريح أسقطته له ، وأعمت أربابه ، فلا يرونه حتى يقضي منه أربه .

(18) في « معاني الشعر » للأشنانداني (ص 122) : « أخبرنا ابن دريد قال : وأنشدنا أبو

عثمان للهردان أو غيره من الملائم للصوص » ثم ذكر البيت وأنشد بعده :

إذا نشرت ذوائبها بكوراً رمت بالوفر في نحر العديم »

(19) البيتان في « معجم البلدان » لياقوت أوردهما وهو يعرف بأباض رواية عن محمد بن زياد
الأعرابي .

(20) في « معجم البلدان » لياقوت : « وعندها (يريد أباض) كانت وقعة خالد بن الوليد رضي
الله عنه مع مسيلمة الكذاب .. »

وفي « معجم ما استعجم » للبكري : « وبه (يريد أباض) قتل زيد بن الخطاب » .

(20م) كذا على التثنية ، وهو خطأ .

وقول الآخر (21) :

خليلي لا تستعجلا وتبيننا بوادي حبّوني (22) هل لمن زوال
ولا تياسا من رحمة الله وادعوا بوادي حبّوني أن تهب شمال
أي فتعفي الأثر وتعمي عيون الرعاة فيأخذوا حاجتهم .

وفي « الأيام والليالي » قول الآخر :

مطايا يقربن البعيد وإن نأى وينقلن أشلاء الكريم (23) إلى القبر
[وقبله :

سرينا وأدلجنا وصارت ركابنا تمرّ بنا في غير برّ ولا بحر
وما هي إلا ليلة ثمّ يومها وحول إلى حول وشهر إلى شهر
ويُنكحُن أزواج الغيورِ عدوه ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر] (24)

وقول الآخر :

سبع رواحل ما ينخن من الوجى شوم تشاف (25) بسبعة زهنر

(21) البيتان في « معجم البلدان » أوردهما فيه ياقوت وهو يعرف بحبوني ، وأورد بعدهما بيتين آخرين هما :

ولا تياسا أن ترزقا أرحبية كعين المها أعناقهن طوال
من الحارثيين الذين دماؤهم حرام وأما ما لم فحلل

(22) في « معجم البلدان » : « حبوني مقصور قال أبو علي : هذا لا يكون فعولى ولكن يحتمل وجهين من التقدير : أحدهما أن يكون سمي بجملة الآخر أن يكون حبوني من حبوت كما أن عفرني من العفر ويحتمل أن يكون حبونن فأبدل من إحدى النونين الألف كراهية التضعيف لانفتاح ما قبلها ، قال أبو عبيدة : حبوني من أرض مراد » انتهى منه باختصار .

(23) كذ بالأصل ومثله في ك و س ، أما ح ففيها وحدها : الصحيح » .

(24) ما بين العلامتين زيادة من ح وهو مكتوب على طرة ك بخط ناسخها .

(25) في « أساس البلاغة » : « شاف الصائغ الحلي يشوفه : يجلوه ، والمرأة تشوف وجهها » .

متواصلات لا الدعُوبُ يملها باقٍ تعاقبها مدى الدهر

سبع أي ليال ، شوم أي سود ، وسبعة زهر أي أيام .

وفي التعبير على أخذ الدية وترك القيام بالثأر قول الآخر (26) :

غدا ورداؤه لهقٌ حُجيرٌ ورحت أجر ثوبِي أرجوان
كلانا اختار فانظر كيف تبقى أحاديث الرجال على الزمان

أي غدا حجير يعني أخاه ، ورداؤه لهق أي أبيض لم يقتل قاتليه ، ورحت
أنا بثوب أرجوان أي أحمر لقيامي بالثأر .

وقول الآخر :

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا

أي إذا تركت ثأرك في أبيك وأخذت الإبل فمتى صببت لبناً من الشكوة
فهو دم أبيك تشربه .

(26) في كتاب « معاني الشعر » للأشنانداني (ص 30 - 31 بتحقيق التنوخي دمشق 1969) :

قال ابن دريد : وأنشدني أبو عثمان عن التوزي لرجل من بني كبير من الأزد :

غدا ورداؤه لهق البيتين «

حجير أخوه ، وكان أبوهما قتل فطلب هذا الشاعر بدم أبيه ولم يطلب حجير به ، يقول :

ثوب حجير أبيض من قولهم : « دم فلان في ثوب فلان » وليس هناك دم فيقول : حجير

أبيض الثوب ، وأنا قتلت قاتل أبي ، ودمه في حلتي ، فهي حمراء ، وليس هناك حمرة

ولا بياض والأرجوان فارسي معرب ، وهو شدة الحمرة ، ويقال : هو القرمز يقال :

ثوب أرجوان إذا بولغ في نعت حمرة وقوله : « كلانا اختار » يريد أن حجيراً اختار

المهوني وقواني في طلب الثأر ، واخترت أنا الجد والتشمير ثم قال : فانظر كيف تبقى

أحاديثنا من بعدنا إذا ذكرت بالقوة والحزم وذكر هو بالتواني والضعف .

وقول الآخر (27) :

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ثم استفاءوا وقالوا حبّذا الوَضَحُ

الوضَحُ اللبنُ وعقوا رموا بسهم يقال له العقيقة ، وكانوا إذا كان لهم ثأر وجنحوا إلى الصلح يأخذون سهماً فيقولون : بيننا وبين إلهنا علامة ، وهي أن نرمي هذا السهم ، فإن رجع مضرّجاً بالدم فهو يأمرنا > بالقيام بالثأر ، وإن رجع نقياً فهو يأمرنا < (28) بأخذ الدية ، ثم يرمون به إلى السماء ، ولا يرجع أبداً إلا نقياً (29) فغيرهم الشاعر بفعل ذلك .

وفي ضد ذلك قول الآخر (30) :

يطأ الطريقُ بيوتهم بعياله والنار تحجب والوجوه تذال

(27) هو المتنخل الهذلي ، واسمه مالك بن عورع بن عثمان ، والبيت واحد من ثمانية أبيات له في « ديوان الهذليين » (2 : 31 - 32) وقوله :

لا ينسأ الله منا معشراً شهدوا يوم الأميلح لا غابوا ولا جرحوا
كانوا نعائم حفان منفرة معط الخلق إذا ما أدركوا طفحوا
لا غيبوا شلو حجاج ولا شهدوا جم القتال فلا تسأل بما افتضحوا

(28) ما بين العلامتين ساقط من ك و س .

(29) في « تهذيب اللغة » للأزهري : « والعقيقة سهم الاعتذار ، قال أبو العباس : قلت لابن الأعرابي : وما سهم الاعتذار ؟ فقال : قالت الأعراب : إن أصل هذا أن يقتل رجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه فيجمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ، ويسألونهم العفو عن الدم ، قالت الأعراب : فإن كان وليه أياً حمياً أبنى أخذ الدية ، وإن كان ضعيفاً شاور أهل قبيلته فيقولون للطلابين : إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي ، قال : فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : نأخذ سهماً فنركبه على قوس ثم نرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا ملطخاً بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع إلينا كما سعد فقد أمرنا بأخذ الدية ، قال ابن الأعرابي : قال أبو المكارم وغيره : فما رجع هذا السهم قط إلا نقياً ، ولكن لهم بهذا عذر عند جهالمهم . »

(30) البيتان في « معاني الشعر » للأشناداني (ص 84 - 85) .

لا يشربون دماءهم بأكفهم إن الدماء الغاليات (31) تكال
يقول : إنهم كرام مقارٍ (32) فهم ينزلون على الطريق لأبناء السبيل ،
وهم عيال الطريق ، وذلك في حال الشدة ، حيث تحجب النار لئلا يراها
الطارق ، وتذال الوجوه أي تهان ، ثم أخبر أنهم لا يأخذون الدية فيشربون
الألبان عيوضاً دمائهم ، فإن الدماء الغالية على أهلها تكال أي تجازى كسيل
الصاع بالصاع (33) ولا تذهب هدراً بالديات .

وقول الآخر (34) :

ألا للهما (35) ميردى (36) حروب حواه بين حضييه الظليم (37)
وقد قامت عليه مها رُمَاحٍ حواسيرٍ ما تنام ولا تنيسم

(31) رواية الأشنانداني في « معاني الشعر » : « الشافيات » بدل : « الغاليات » .
(32) هو جمع مقرى على مثال منبر أو هو جمع مقراء على مثال محراب ، وكلاهما صيغة مبالغة
من القرى يريد أنهم أجواد مطاعيم .
(33) في « معاني الشعر » للأشنانداني : « يقول : لا يرضى فيها إلا بالمكايلة أي بالآثار وأخذ دم
بدم ، كما قال الآخر :

لا نالم القتل ونجزى به الـ أعداء كيل الصاع بالصاع
(34) في « معاني الشعر » للأشنانداني (ص 108) : « وأنشدني أبو عثمان عن الجرمي وأحسبه
عن الأخفش أيضاً :

ألا لله البيتين
والثاني من البيتين في « معجم ما استعجم » للبكري (2 : 571) منسوباً لعبيد بن الأبرص .
(35) ما ههنا زائد .

(36) في « القاموس » : « ردى فلاناً صدمه ، وبجبر رماه به ، وهو المردى (على زنة مفعل
الذي يكون للآلة) ورادى عن القوم رمى عنهم بالحجارة » وفي « أساس البلاغة » :
« رديته بالحجارة وترادوا بها ، ومن المجاز : فلان مردى حرب وهم مرادي حروب » .

(37) في س : « الظلوم » وهو خطأ .

الظلم القبر المحفور في غير موضع الحفر ، فهو مظلوم (38) أي فهذا
الفتى قد حواه القبر وقامت عليه النساء حواسر يندبنه ، وشبههن في صفائهن
أو في سعة (39) عيونهن بمها (40) رُمَاحٍ ، ورُمَاحُ كغراب موضع ،
والعرب ما يندبون القتل حتى يؤخذ بثأره ، فالندب كناية عن ذلك .

ومثله قول قيس بن زهير (41) :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه (42) نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه بالليل قبل تبليج الأسحار (43)

أي فيعلم أنا قد ثأرنا به .

(38) في « معاني الشعر » : « يصف رجلاً قتل فدفن في بلد قفر بعيد عن أهله ، والظلم ههنا
تراب القبر ، وإنما سماه ظليماً لأنه حفر في غير موضع حفر ، وكل شيء جعلته في غير
موضعه فقد ظلته .

(39) في ك : « صفة » بدل : « سعة » .

(40) في « معاني الشعر » : المهامة البقرة الوحشية ، سميت بذلك تشبيهاً بالبلور ، لأن البلور
يسمى المهام ، وقد سميت الكواكب مها تشبيهاً بذلك ، وإنما عني بالمها في هذا الموضع النساء .

(41) قائل البيتين هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن ناشب العبسي من فاطمة بنت الحرشب الأنمارية
إحدى العربيات المنجيات ، وهي أم البنين الأربعة الذين يلقبون الكملة ، وهم : قيس
الحفاظ ، وأنس الفوارس ، وعمارة الوهاب ، والربيع الذي يوصف بالكامل ، وفيهم
يقول قيس بن زهير مادحاً :

لعمرك ما أضاع بنو زياد ذمار أبيهم فيمن يضيع
بنو جنية ولدت سيوفاً صوارم كلها ذكر صنيع

والبيتان من شعر يقوله الربيع بن زياد ، ، لا قيس بن زهير ، في رثاء مالك بن زهير
العبسي وهما في « حماسة » أبي تمام ضمن أبيات عشرة .

(42) في الطبعة الفاسية : « ضوء » بدل : « وجه » .

(43) كتب الإمام المرزوقي في « شرحه على الحماسة » تفسيراً على البيتين يقول فيه : « كانت
العادة مستمرة مستحكمة فيهم أنهم لا يندبون القتل أو يدرك ثأره ، فيقول : من كان =

وفي الشيب والكبر < قوله > (44) :

ولما رأيت النسر عزّ ابن دأيةٍ وعشش في وكريه جاشت له نفسي (45)

النسر الشيب وابن دأية (46) الغراب وهو الشباب وعزّه غلبه .

وقول الآخر :

أعار أبو زيد يميني سلاحه وحد سلاح الدهر للصخر كالم
وكنت إذ ما الكلب أنكر أهله أفدى وحين الكلب جدلان نائم

أبو زيد كنية الكبر ، ويحتمل الدهر ، وسلاحه العصا ، وإنكار الكلب أهله عند لبس السلاح فيفدى لإقدامه على الحرب وهو شاب ، ووقفت نوم الكلب وجدله أن تموت الماشية من الهزال فيشبع منها ، ولهذا قالوا في المثل

= فرحاً بمقتل مالك شامتاً بأولياته فلينزح ملابس المسرة وليطرح أردية الشماتة فقد أدركت الآثار ، وأريقت الدماء ، وشفيت الأدواء ، وليحضر ساحتنا في أول النهار ليرى أن ما كان محرماً من الرثاء قد حل ، وأن الحظر الواقع لبكائه قد رفع ، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس يذكرنه بما كان من فضائله ، ويندبنه بأشهر أوصافه وأعلى مراتبه ومحاله ، فإن ذلك متصل من فعلهن غير منقطع في أطراف الليل والنهار ، والآصال والأسفار .

(44) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(45) البيت في « لسان العرب » بمادة « دأى » بدون نسبة ، وفي « التاج » بنفس المادة غير منسوب كذلك .

(46) قال الخوارزمي في « شرحه على سقط الزند » وهو يفسر قول أبي العلاء :

إذا صاح ابن دأية بالتداني جعلنا خطر لته جسادا

« ابن دأية هو الغراب ، نسب إلى دأية البعير وهي فقارته لوقوعه عليها إذا دبرت وقيل : لأنه دون الأم يحضن فراخه ، فكأنه لها دأية أي حاضنة ، وابن دأية من أعلام الأجناس وامتناع الصرف فيه للتركيب الناشئ من التأنيث مع العلمية » اه .

السائر : نَعِمَ كلب بيؤس أهله (47) .

وقول الآخر :

أبا مالك إن الغواني هجرني أبا مالك إني أظنك دائماً
أبو مالك هو الكبر لأنه يملك صاحبه .

وقول الآخر :

بئس قريباً لامرئء سالك أم عبيد وأبو مالك
أم عبيد الصحراء ، وأبو مالك الكبر .
وأما الألباز ففي الدرهم قوله (48) :

(47) المثل في « مجمع الأمثال » (ج 2 ص 298) وكتب عليه الميداني يقول : « يروى : نعيم الكلب في يؤس أهله ، ونعم الكلب في يؤسى أهله ، وذلك أن الجذب والبؤس يكثر الموتي والجيف وذلك نعيم الكلب ، يضرب هذا العبد أو العون للقوم تصيهم شدة فيشتغلون بها فيغتم هو ما أصاب من أموالهم قال الشاعر :

تراه إذا ما الكلب أنكر أهله يفدى وحين الكلب جذلان فاعم
يقول : يفدى هذا الرجل إذا أنكر الكلب أهله وذلك إذا لبسوا السلاح في الحرب ، وإنما يفدى في ذلك الوقت لقيامه بها وغنائه فيها ، ويفدى أيضاً في حال الجذب لافضاله وإحسانه إلى الناس ولنحره الجزر فينعم الكلب في ذلك ويجذل .
(48) قال الشريشي في « شرحه على مقامات الحريري » (1 : 74) وهو يفسر قول الحريري في الدينار :

وشر ما فيه من الحلائق
أن ليس يعني عنك في المضايق
إلا إذا فر فرار الآبق

وفي معنى فراق الدينار قول الأخطل :

ومعشوق يرقص كل يوم
إذا فارقته أجداك خيراً
ترى في وجهه أبداً كلاماً
ولا يجدي عليك إذا أقاماً

وفي القلم قول الآخر :

عجبت لذي سنين في الماء نبتة
له أثر في كل مصر (49) ومعمر

وقول الآخر :

وبيت بعلياء الفلاة بنيتـه
بأسمر مشقوق الحياشم يعرف

يصف بيت شعر عمله في الصحراء وكتبه بالقلم .

[وقال آخر :

وما ميت ذو مطعم عند رأسه
فلا هو في الأحياء حي فيتقى
متى ذاق من ذاك الطعام تكلماً
ولا هو في الأموات ميت فيرحماً

غيره :

ما رأيت عيني عجباً
غيبائصاً يستخرج الدر
كيراعي في الدواة
ببحر الظلمات] (50)

وفي الهلال قول الآخر :

= ومعشوق يرقص كل يوم البيتين «
وهذا من قول الحسن البصري وقد رأى رجلاً يقلب درهماً فقال له : أتحب درهمك هذا؟
قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك » .
(49) في ك : « قفر » بدل : « مصر » .
(50) ما بين المعقفين ساقط من الأصل ومن س ومن صلب ك ، ولكن ناسخها كتبه على طرفها ،
وهو وارد في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلاً عنها .

ومولود شهر كان فيه شبابه وفي شهره أودى وأدرکه الكبّر
غيره :

فما وليد ربا في شهر مولده وعاد فيه قديم السن قد نحلا
[وفيه وزيادة(50) :

(51) ألا ربّ مولود وليس له أب وذي ولد لم يلدّه (52) أبوان (53)
وذي شامة (54) سوداء في حر (55) وجهه
مجلّسة (56) لا تنقضي لأوان
ويكمل في خمس وتسع شبابه (57) ويهرم في سبع معاً وثمان [(58)

(50) ما بين المعقّفين غير وارد في الأصل ولا في س ، وهو في الطبعة الفاسية وعلى طرة ك فالحقناه
رواية عنهما .

(51) البيت الأول من هذه الأبيات لرجل من الأزد وهو من شواهد سيويه في « كتابه » (1 :
341 / 2 : 258) .

(52) يقرأ بسكون اللام وبتحريك الدال بالفتحة ، وهذا الشكل فسر عربيته الأعلام الشنتمري
في شرحه على « شواهد الكتاب » فقال بالنص : « الشاهد في قوله : « لم يلدّه » وأراد لم
يلده فسكن المكسور تخفيفاً فسكنت اللام وبعدها الدال ساكنة للجزم فحركها لالتقاء
الساكنين بحركة أقرب المتحركات إليها وهي الفتحة لأن الياء مفتوحة فجعل الدال عليها
ولم يعتد باللام الساكنة لأن الساكن غير حاجز حصين » .

(53) المولود الذي ليس له أب هو عيسى عليه السلام والوالد الذي ليس أبوان هو آدم صلى الله
عليه وسلم .

(54) يريد القمر ، والشامة النكّة في البدن يخالف لونها سائر لونه وعنى بها المسحات الدكناء
التي تترامى على صفحة القمر .

(55) حر الوجه خالصه ، أو ما أقبل عليك منه ، أو هو ما يبدو من الوجنة ، أو هو أعتق
موضع فيه وأكرمه .

(56) هو من التجليل بمعنى التغطية .

(57) يريد أنه إذا مضى عليه خمس ليال فتسع ليال صار بداراً وبلغ نهايته في الضياء والكمال .

(58) يريد أنه إذا مر عليه بعد إبداره سبع ليال فثمان آخر وتلك تسع وعشرون ليلة صار إلى
الهرم ودخل في المحاق .

وفي مصر اعني الباب قول الآخر :

عجبت لمحرومين من كل لذة بيتان طول الليل يعتقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً وعند طلوع الشمس يفرقان

ولقي عبيدُ بن الأبرص امرأ القيس فقال له (59) :

ألا أساجلك ؟ فقال : بلى ، فقال عبيد :

ما حية مينة أحييت بمنبتها (60) درداء ما أنبتت ناباً وأضراسا (61)

فقال امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تخفى (62) في سنابلها فأضعفت بعد نبت الزرع أكداسا

فقال عبيد :

ما السود والبيض والأسماء واحدة ما يستطيع لهن الناس إمساسا (63)

فقال امرؤ القيس :

تلك السحاب إذا الرحمان هيجهما بث النطاف بماء المزن أنفاسا (64)

(59) هذه الملاغزة واردة بملحق « ديوان امرئ القيس » في طبعة الذخائر برقم 24 وهي أيضاً واردة « بديوان عبيد » في طبعة داري صبادر وبيروت .

(60) في الأصل : « بمنبتها » ومثله في س ولا يستقيم به العروض وفي ك و ح « بمنبتها » وبها يوزن العروض ، وفي « ديوان » امرئ القيس « بمنبتها » وفي « ديوان عبيد » « بمنبتها » .

(61) في الأصل : « أدراسا » بالدال ومثله في ك و س وهو خطأ صوابه « أضراسا » بالضاد .

(62) في « ديوان امرئ القيس » : « تسقى » وهي كذلك في « ديوان عبيد » .

(63) في « ديوان امرئ القيس » : « تمساسا » وهو كذلك في « ديوان عبيد » .

(64) جاءت رواية البيت في « ديواني امرئ القيس وعبيد » هكذا :

تلك السحاب إذا الرحمان أرسلها روى بها من محول الأرض أيباسا

فقال عبيدٌ :

ما قاطعات بلاداً لا أنيس بها إذا ابتكرن سرى كنسن اكناسا (65)

فقال امرؤ القيس :

تلك الرياح إذا هبت عواصفها كفى بأذيالها للترب كناسا

وقال عبيدٌ :

ما ذات حكم بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمان أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا

وقال عبيدٌ :

ما مدبجات على هول ركائبها يقطعن بعد النوى يسراً وامراسا (66)

فقال امرؤ القيس :

تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها في ظلام الليل أقباسا

وقال عبيدٌ :

(65) رواية العجز في « الديوانين » كالتالي :

تأتي سراعاً وما يرجعن انكاسا

(66) رواية « الديوانين » :

يقطن طول المدى يسراً وامراسا

ما قاطعات بلاد الله في طلق إذا استبقن ولا يرجعن قرطاسا (67)

فقال امرؤ القيس :

تلك الأمانى يتركن الفتى ملكاً دون السماع ولم ترفع له راسا

فعبج عبيداً من بداهة امرئ القيس وقال له : ما أرى أحداً يخوض
تبارك. قالوا : فكان امرؤ القيس مدلاً (68) بنفسه لا يرى لشاعر فضلاً
حتى لقي التوأم اليشكري ، فتنازعا الشعر (69) ، فقال له امرؤ القيس :
إن كنت شاعراً كما تزعم فملط (70) أنصاف ما أقول ، فقال له : قل :
فقال امرؤ القيس :

أحار ترى بريقاً هباً وهناً

(67) رواية « الديوانين » :

تسأني سراعاً وما يسرين قرطاسا

(68) في ك : « مدلياً » :

(69) هذه المماثلة واردة « بديوان امرئ القيس » في طبعة الذخائر وقبلها رواية تقول بالحرف :
« قال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس معنا (بوزن المسن وهو
الداخل فيما لا يعنيه والمعرض في كل شيء) ضليلاً ينازع كل من ادعى الشعر فتنازع التوأم
اليشكري فقال : إن كنت شاعراً فملط أنصاف ما أقول وأجزها ، قال نعم : فقال «
وفيه بعد رواية الأبيات ما يأتي بالنص : « قال أبو عمرو : فلما رأى امرؤ القيس
أن التوأم قد ماتته ولم يكن في الزمن الأول من يماتته آلى ألا ينازع الشعر أحداً بعده » .

(70) في اللسان : « أملطت الناقة جنينها وهي ملطة : ألقته ولا شعر عليه فإذا كان ذلك لها
عادة فهي ملط ، والجنين مايط ، وملطته أمه ولدته بغير تمام . وفي « التاج » :
« ومن المجاز : مالطه إذا قال هذا نصف بيت وأمه الآخر بيتاً ، وبينهما مالمطة ، كملطه
تمليطاً ، وفي « الأساس » : هو أن يقول الشاعر مصراعاً ويقول الآخر أملط أي أجز
المصراع الثاني ، وهو من إملاط الحامل ، قلت : وقد يقع مثل هذا بين الشعراء كثيراً كما
جرى بين امرئ القيس وبين التوأم اليشكري » . وجاء في الطبعة الفاسية : « مخلط »
وهو خطأ .

فقال التوأم :

كنار مجوس تستعر استعاراً

فقال امرؤ القيس :

أرقتُ ونام أبو شريحٍ
فقال التوأم :

إذا ما قلت قد هدأ استطاراً

فقال امرؤ القيس :

كان هزيره بوراء غيب
فقال التوأم :

عشارٌ وُلِّه لاقَت عشاراً

فقال امرؤ القيس :

فلما أن دنا لقساً أضاح
فقال التوأم :

وهت أعجاز ريقه فحاراً (71)

فقال امرؤ القيس :

نام يترك بذات السر ظيباً
فقال التوأم :

ولم يترك بجلتها حماراً (72)

(71) قال الأعلام يشرح هذا البيت : « أضاح اسم موضع يقول : لما دنا هذا المطر لما وراء هذا
الموضع ثبت فيه واستدار به كالتحير ، وقوله : « وهت أعجاز ريقه » استرخت مآخيز
السحاب فسالت كما تسيل القربة وانشقت ، وزيق المطر أوله . »

(72) كذا بالأصل ، ومثله في س و ح أما ك ففيها : « بجلتها » وهي رواية الديوان ، والبيت
فسره الأعلام فقال : « ذات السر » : موضع يقول : « لم يترك المطر بهذا الموضع ظيباً
ولا حماراً إلا غرقه أو نفاه عن موضعه والجلهه ما استقبلك من الوادي إذا وافيته . »

فبغت امرؤ القيس مما رأى من بداهة الإشكري ، وأقسم ألا ينازع
الشعر أحداً .

واجتمع الطرماح بندي الرمة فقال له : هلم نتساجل ، فقال : قل ،
فقال ذو الرمة :

فما ذو زينة قد زينوه لغير زيادة (73) ولغير عيد
فقال الطرماح :

هو الميت المكفن في ثياب يزف بها إلى القبر الحديد
وقال ذو الرمة :

وبنيان شديد الأيدِ عالٍ بلا مدر أقل ولا عمود
فقال الطرماح :

فتلك سماؤنا خلقت ظلالاً بناها الله ذو العرش المجيد
وقال ذو الرمة :

وحسنا المناظر كل يوم لها وجه يضرب بالحديد
فقال الطرماح :

هو الورقُ التي في الكبير تجلى تخلص بالمطارق والوقود
وهذا الباب لا ينحصر ، وإنما أشرنا إلى شيء مما وقع للعرب ليعلم
أنهم يتنبهون لمثل ذلك ، وما وقع بعدهم في كل زمان إلى اليوم أكثر وأكثر .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(73) كذا بالأصل والني في ك و س و ج : «زيارة» بالراء .

[باب في نبذة من المضحكات والملح]

باب - وهذه نبذة في المضحكات وكل ما تنبسط به النفس (1) من الملح ،
واعلم أن هذا النوع هو للعقل فاكهة ، كما أن الحكمة السابقة هي غذاؤه
وقوامه ، فلا بد (2) من كل منهما في استصلاح (3) العقول وإزالة جساوتها (4)
وتنمية ذكائها ، غير أن الملح تكون بقدر الحاجة كالمالح للطعام ، وإلى ذلك
أشار القائل (5) :

أفسد طبعك المكثود بالجد راحة تفره (6) وعمله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقال ابن عباس رضي الله عنه : إذا ملتم فأحمضوا (7) إي إذا ملتم

- (1) في ك : «إليه النفوس» .
- (2) في ك : «في» وهي غير صالحة هناك .
- (3) في س : «إصلاح» .
- (4) كذا بالأصل ، ومثله في ك والجسوة اليبس والصلابة والكزازة قال الزمخشري في «أساس البلاغة» : «جسات مفاصله جسواً وجست جسواً وهو يبس وصلابة وفي عنق الدابة جساء وهي يبس المعطف ودابة جاسئة القوائم يابستها لا تكاد تنعطف وأرض جاسئة وجبل جاسيء وجاس ولحم قلوب قاسية كأنها صخور جاسية» وفي س وح : «جسارة» بالراء وهو تصحيف .
- (5) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ، وهما منسوبان إليه في يقيمة الثعالبي : (4 : 307) .
- (6) في «مصباح الفيومي» : «وفر الشيء يفر من باب وعد وفوراً : تم وكمل ووفرته وفرأ من باب وعد أيضاً أتمته وأكملته يتعدى ولا يتعدى والمصدر فارق» .
- (7) في «أساس البلاغة» : «حمضت الإبل وأحمضت : رعت الحمض ، وهو نبت فيه ملوحة تنفكه به وتشرب عليه ويقولون : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها ، ومن المجاز : أحمض القوم : أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث ، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول لأصحابه : احمضوا فياخفون في الأشعار وأيام العرب» .

من الجحد فخذوا في شيء من الهزل ، وقالوا : الانبساط بين أهل المروءة يسقط الحشمة ، ويؤكد الحرمة ، ويفتق البديهة ، ويشحد الطبيعة ، وقال آخر : من كمال المرء مفاكهة إخوانه ، إذ مازحة الكريم تزيد في وده وتديم إخاءه ، وقال الشاعر < في ذلك > (8) :

ممازحة الكريم تزيد ودأ . إذا كانت تضاف إلى الملاحه
فمازح من تحب وتصطفيه فمزحك مع صديقك فيه راحه

ولا بد أن يكون ذلك على قدر ، ومع أهله ، وإلا كان سخفاً ومجلبة لكل سوء ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكك استخف < به > (9) وذهب بهاؤه ، وقال سعيد بن العاصي : لا تمازح الشريف < فيحقد > (10) ولا الدنيء فيجترىء ، وقال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح فإنه يذهب بنور الوجه ، وقال الشاعر :

الكبر ذل والتواضع رفعة والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة عزة واليأس من صنع الإله قنوط

غيره (11) :

(8) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(9) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(10) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(11) في كتاب « الموشى » لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ص 21 قال : « أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعي عن رجل من العرب قال : خرجت في بعض ليالي الظلم فإذا أنا بجارية كأنها صنم ، فراودتها عن نفسها فقالت : يا هذا أمالك زاجر من عقل إذا لم يكن لك واعظ من دين ؟ قلت : والله ما يرانا إلا الكواكب قالت : يا هذا فأين مكوكبها ؟ فقلت : إنما أمرح فقالت :

فياك إياك المزاح البيتين

والبيتان في « حماسة البحرى » ص 254 بدون نسبة ، وهما في « الطرائف والطائف »

للمقدسي ، وفي « نهاية النوري » (4 : 73) وفي « مستطرف الأبيهى » .

ولياك إياك المزاح فإنه يجري عليك الطفل والرجل النذلا (12)
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ويورثه من بعد عزته ذلا (13)

فهذا كله من الإفراط ومع مازحة الأندال أو مفاتحة النذل من فوقه
من الأشراف بالمزاح ، فإنه إنما يحسن بين الأكفاء والله الموفق .

قال عبد الرحمان بن [أبي] (14) الزناد لأشعب الطامع : أنت شيخ
مسن ، فهل تروي شيئاً من الحديث قال : نعم ، حدثني عكرمة عن ابن
عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة
قال : قلت : فما هما ؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ونسيت أنا الأخرى .

وكان أشعب هذا يغشى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فخرج
سالم يوماً إلى حائط له بأهله ومعهم طعام ، فتبعهم أشعب ودق الباب فلم
يفتح له فتسور الحائط فأشرف على سالم فقال له سالم : أما تستحيي ؟ تطلع
على بناتي ؟ فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقِّ
وَإِنَّكَ لَتَتَعَلَّمُ مَا نُرِيدُ) فقال له : اخرج وبعث إليه بطعام فأكله وانصرف .

وتداعى قوم من بني راسب (15) وقوم من الطفاوة (16) إلى زياد

(12) جاء المصراع في الطبعة الفاسية هكذا :

يجري عليك البر والفاجر النذلا

(13) ورد المصراع في الطبعة الفاسية كما يلي :

ويورث بعد العز صاحبه ذلا

(14) ما بين العلامتين سقط من الأصل ومن س وهو في ك و ح فأضفناه نقلا عنهما .

(15) في « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » للقلقشندي (ص 257) : « بنو راسب بطن

من شنوءة من القحطانية ، وهم بنو راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر ، وهو شنوءة ،

وبنو راسب أيضاً بطن من جرم ، من القحطانية وهم بنو راسب بن الخزرج بن جرم » .

(16) في المرجع السابق (ص 64) : « بنو الطفاوة بطن من قيس عيلان من العدنانية والطفاوة

أهم عرفوا بها » .

في غلام وأقام كل بيته ، فأشكل الأمر على زياد ، فقام سعد الرابية اليربوعي فقال : أيها الأمير ، قد تبين لي في هذا الكلام وجه الحكم فولسنيه ، فقال : ما هو ؟ فقال : يطرح في النهر ، فإن طفا فوق الماء فهو للطفافة ، وإن رسب في الماء فهو لبني راسب ، فنهض زياد وذهب وقد علاه الضحك ، ثم أرسل إلى سعد فقال : ألم أنك أن تمارح في مجلسي قال : أصلحك الله حضرني أمر خفت < أن أنساه > (17) .

ودخل رجل على الشعبي وامرأته معه فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال الشعبي : هذه ، وأشار إلى المرأة ، فقال : ما تقول في رجل شتمني في أول < يوم من > (18) رمضان أيؤجر على ذلك أم لا ؟ فقال له الشعبي : أما إن قال لك : يا أحمق فأرجو أن يكون له في ذلك الأجر العظيم .

وأهدى رجل إلى الحجاج تيناً في غير إبانة فجلس على الباب ينتظر الجائزة ، فإذا بقوم (19) جلبوا ليقتلوا ، فلما بلغوا الباب هرب واحد منهم ، فخاف الموكل بهم على نفسه ، فأخذ صاحب التين فيهم ، فلما قدموا للقتل قال : أيها الأمير ، هؤلاء يذنبون وأنا لا ذنب لي ، فقال له الحجاج : أأنت منهم ؟ فقال : لا ، أنا [الذي] (20) جئت بالتين ، فبحث الحجاج على ذلك فوجده صادقاً فقال له : أخفناك مع إحسانك إلينا ، تمن علي ، فقال له الرجل : تعطيني ربع دينار ، فقال : ما تصنع به ؟ قال : أشري به فأساً فأقطع هذه الشجرة التي كانت سبب معرفتي بك ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة سنية .

(17) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(18) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(19) في س : « فإذا قوم » .

(20) ما بين العلامتين زيادة من ح .

ومات للحجاج بعض من يعز عليه فقال لمن بحضرته : ليت إنساناً يعزيني
بما يسليني ، فقال رجل من أهل الشام كان أرسله عبد الملك إليه : أنا أسليك
قال : قل ، فقال : كل خليل سوف يفارق خليله (21) بموت أو يقتل أو
يصلب أو يقع من أعلى البيت أو يقع في بئر أو يكون شيء آخر لا نعرفه ،
فقال الحجاج : قد سلّيتني والله عن مصيبتني بأعظم منها في توجيه أمير المؤمنين
رسولاً مثلك .

ودخل إسماعيل بن يسار يوماً على الغمر بن يزيد بن عبد الملك بعد أن
حجبه ساعة ثم أذن له ، فجعل إسماعيل يبكي ، فقال له الغمر : ما يبكيك ؟
فقال : وكيف لا أبكي وأنا على مروانتي ومروانية أبوي أحجب عنك ؟
وجعل الغمر يعتذر له وهو يبكي فما سكت حتى وصله بمال ، فلما انصرف
تبعه رجل فقال له : أي مروانية كانت لك ولأبويك ؟ فقال : بغضنا إياهم ،
امرأته طالق إن لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وإن لم
يكن أبوه حضره الموت فليل له : قل : لا إله إلا الله فقال : لعن الله مروان
تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإقامة له مقام التوحيد .

ودخل أبو دلالة على المهدي فقال له :

إني رأيتك في المناسم وأنت تعطيني خياره
مملوءة بدراهم وعليك تفسير العبارة

فقال له : هات خياراً تملأ لك ، فخرج وأتى بقرعة فقال له : أنت
رأيت الخيار وهذه قرعة فقال : أم الدلامي طالق إن كنت رأيت إلا قرعة ،

(21) - كذا هو بالأصل وفي ك و س و ح : « يموت » بصيغة المضارع .

ولكنني نسيت فما ذكرتها حتى رأيتها في السوق ، فضحك المهدي وأمر له بخمسة آلاف درهم (22) .

وجلس بشار يوماً مع الناس على باب المهدي ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر : ما عندكم في قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) ما المراد بالنحل ؟ فقال بشار : النحل التي يعرفها الناس ، فقال : هيهات يا أبا معاذ ! النحل هنا بنو هاشم ، وقوله : (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) هي أنواع العلوم . فقال له بشار : جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك ما يخرج من بطون بني هاشم ، فغضب وشم بشاراً . وبلغ الخبر المهدي فدعاها فسالها عن القصة ، فأخبره بشار بها فضحك حتى أمسك على بطنه .

وسأل أبو العيناء (23) بعض الوزراء (24) أن يكتب له كتاباً إلى عامل

(22) نظير هذا ما ذكره ابن عبد ربه في « عقده » (ج 4 ص 221) فقال : « دخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهد	في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرايت أنك رعني بوليذة	رعبوبة حسن علي قيامها
وببيرة حملت إلي وبغلة	دهماء مشرفة يصل لجامها
فدعوت ربي أن يثيبك جنة	عوضاً يصيبك بردها وسلامها

فقال له عبد الملك بن بشر : في كل شيء أصبت إلا البغلة ، فإني لا أملك إلا شهباء ، فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلا شهباء إلا أني غلظت .

(23) ترجمه الخلكاني في « الوفيات » (3 : 466) فقال : « أبو عبد الله محمد بن القاسم بن

خلاد الهاشمي بالولاء الضرير المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب ، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله أخبار حسان وأشعار ملاح ، وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين » انتهى منه ببعض اختصار .

(24) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل على عهد المأمون أياماً ، وكان أيضاً يتقلد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل أيضاً ، وهو =

له في رجل يطلب تسريحه فكتب إليه ، فلما خرج قال : أخشى أن يكون كصحيفة (25) المتلمس ، ففتحه فإذا فيه : أما بعد فقد سألتنا من لا نوجب حقه في رجل لا نعرفه ، فإن فعلت خيراً لم نشكرك ، وإن فعلت شراً لم نلتمك ، فرجع به إلى الوزير وقال له : ما هذا الذي كتبت أيها الوزير ؟ فقال : تلك علامة بيني وبين العامل إذا أردت قضاء حاجة إنسان ، فإن السؤال كثير ، فقال أبو العيناء : لعن الله الوزير ، وقطع يديه ورجليه ، وأعمى عينيه ، وأصم أذنيه ، فقال الوزير : ما هذا الدعاء ؟ فقال : هذه علامة بيني وبين ربّي إذا أردت أن يستجيب لي في قضاء حاجة إنسان .

وأتى رجل إلى النخاس فقال له (26) : اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا الكبير المستشرف ، إن خلا له الطريقُ تدفق ، وإن كثر

= كان متولماً بأبي العيناء كثير الممازحة له إلى حد مضايقته استدعاء لما عنده من حسن الكلام وإصابة المرمى في الجواب ، وحكاية أبي العيناء هذه مع الجاحظ أوردها ياقوت في « إرشاد الأريب » (18 : 83-84) طبعة دار المأمون وهو يترجم الجاحظ مع اختلاف في سياقها وعبارتها .

(25) صحيفة المتلمس هي التي كتب بها عمرو بن هند الملك للشاعر الجاهلي عبد المسيح بن جرير ويعرف بالمتلمس ليوصلها إلى المكبر عامله على البحرين يومه أنه أوصاه أن يعطيه صلة جزيلة ، فارتحل المتلمس بالصحيفة يقصد إلى البحرين ، حتى إذا كان بأرض الحيرة تشكك في مضمون الصحيفة لأمر كان في نفسه قبل الملك عمرو بن هند ، فذبح الصحيفة إلى غلام حيري يحسن القراءة فأنبأه أن فيها الأمر بقطع يديه ورجليه ودفنه حياً ، فألقى بها في نهر الحيرة ونجا بنفسه ، وصحيفة المتلمس هذه تضرب مثلاً فيمن يسعى على نفسه بالهلاك ، ثم انظر تفصيل القول فيها « بمجمع الأمثال » للميداني (1 : 412-414) .

(26) الحكاية في « نهاية الأرب » للنويري (10 : 97) وجاء نصها فيه كالتالي : « قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير : اشتر لي حماراً لا بالطويل اللاحق ، ولا بالقصير اللاصق ، إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم في السواري ، ولا يدخل تحت البواري ، إن كثرت علفه شكر ، وإن قلت صبر ، وإن ركبت هام ، وإن ركبه غيري قام ، فقال له السمسار : إن مسخ الله بعض قضائنا حماراً أصبت حاجتك ، وإلا فليست موجودة » .

الزحام ترفق ، وإن قلت علفه صبر ، وإن أكثرته شكر ، وإن ركبته هام ،
وإن ركبه غيري نام ، لا يصادم السواري ، ولا يدخل تحت البواري (27)
فقال له النخاس : يا عبد الله ، اصبر ، فإن مسح الله القاضي حماراً أصبت
لك نخاجتك إن شاء الله .

[(28) ومثل هذا ما روي أن رجلاً أراد شراء فرس فقال له النخاس :
صف لي بغيتك منه ، فقال : أريده حسن القميص (29) ، جيد الفصوص (30)

(27) في الأصل «البراري» ومثله في ك و س أما ح ففيها البواري بالواو ، وفي « شفاء الغليل»
للخفاجي : « بارية بمعنى حصير ، تقوله العوام ، وهو خطأ ، والصواب باري ،
وبوري ، قال الراجز : كالحص إذ جله الباري » . وفيه أيضاً : « بوريا فارسي معرب ،
وهي بالعربية باري وبوري » . وفي « النهاية » هامش على كلمة البواري هذه عبارته :
« البواري جمع بارية (فارسي معرب) وهو الحصير المنسوج من القصب ، ولعله يريد
بالبواري هنا مظلات كانت تصنع من الحصر وتثبت إلى وجوه الحوانيت أو أخرى تنشر
على السواري في الأسواق يريد حماراً يسلك به وسط الطريق ويتجنب السير تحت هذه
البواري حتى لا تصادمه وهو راكب عليه » .

(28) ما بين المعقنين ساقط من المخطوطات الثلاث وهو في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلاً عنها ،
وهو في « زهر الآداب » للحصري « (1 : 305) بتحقيق البجاوي ، وهو وارد كذلك
« بنهاية الأرب » للنوري (10 : 69) مع اختلاف عما هنا بالزيادة والنقص وتبديل
الشكل .

(29) ربما أريد بالقميص لون إهابه أو ما يكون عليه من الشيات مثل الغرة والتججيل لأن صيغة
الكلمة تنبو بها أن تكون من مادة القمص والقماص التي تعني نوعاً من السير والحركة وفي
« مصباح الفيومي » : « قمص البعير وغيره عند الركوب قمصاً من بابي ضرب وقمل
وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً والقماص بالكسر اسم منه » وفي « الأساس للزنجشيري»
« وقمص البحر بالسفينة حركها بأمواجه كأنها تقمص ، وقمصت الناقة بالرديف مضت
به نشيطة » .

(30) جمع فص وهو ملقى كل عظمتين في الجسد ، قال الزنجشيري في « أساسه » : « يقال للفرس :
إن فصوصه لظماء أي ليست برهلة كثيرة اللحم وهي مفاصله » .

وثيق القصب (31) نقي العصب ، يشيرُ بأذنيه ، ويشرف برأسه ويخطز بيديه ، ويدحو (32) برجليه ، كأنه مرج (33) في لجة ، أو سَيْلٌ في حَدُورٍ (34) أو منحط من جبل ، فقال له النخاس : نعم كذلك كان صلوات الله عليه وسلامه (35) فقال : إنما وضفت لك فرساً ، [فقال] (36) : والله ما كنت أحسب إلا أنك تذكر صفة نبي من الأنبياء .

(31) في « مصباح الفيومي » : « القصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما : وقصبة الرثة عزوقها التي هي مجرى النفس » . وفي « مقاييس ابن فارس » : القاف والصاد والباء أصلان يدل أحدهما على قطع الشيء ، ويدل الآخر على امتداد في أشياء مجوفة » . وفي « أساس البلاغة » : امرأة تامة القصب ، وهي عظام اليدين والرجلين ، وفي كل إصبع ثلاث قصبات ، وفي الإبهام قصبتان .

(32) في « مقاييس ابن فارس » : « الدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بسط وتمهيد يقال : دحا الله الأرض يدحوها دحواً إذا بسطها ، ويقال : دحا المطر الحصى من وجه الأرض ، وهذا لأنه إذا كان كذا فقد مهد الأرض ، ويقال للفرس إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبله عن الأرض كثيراً مر يدحو دحواً » .

(33) كذا هو في الطبعة الفاسية براء مبهملة ، وفي « زهر الآداب » : « موج » بالواو .

(34) في « مصباح الفيومي » : « حدر الشيء حذوراً من باب قعد أنزله من الحدور وزان رسول وهو المكان الذي ينحدر منه » .

(35) وصف علي كرم الله وجهه مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا مشى كأنما ينحدر من صيب ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر » . وفتحها هند بن أبي هالة قائلاً : « إذا زال زال قلماً يخطو تكفياً ويمشي هوناً ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحط من صيب » . وذكرها أبو هريرة رضي الله عنه فقال : « ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث » .

ذلك ما أشار إليه النخاس الذي هزل في غير موضع الهزل ، وكنا انتويتنا ألا نهمش على إشارة النخاس هذه إعزازاً للجناب النبوي وتكريماً لقدره عليه السلام وصيانة لمقامه الشريف عن سخف النخاسين أن نجاريهم فيه ولو بنية التأديب والتوقير ، ثم بدا لنا في ذلك قضباً إلى التبيان ، واتقاء أن تفهم الإشارة على سوى جهتها ، فأوردنا من نعت مشيته صلى الله عليه وسلم ما أوردنا خروجاً به من الهزل إلى الجدل وتعليقاً عن المزاح إلى الوقار .

(36) ما بين العلامتين زيادة من عندنا اقتضاها سياق الكلام .

وأخذ بعض الشطار فحُمِل إلى الكاتب ليسجل نعته ، فأغلق عينه اليمنى فكتب الكاتب : أعور العين اليمنى ، فلما علم الشاطر أنه قد كتب ذلك فتح اليمنى وأغلق اليسرى ، فلما نظر إليه الكاتب توهم أنه غلط فمحا اليمنى وكتب اليسرى ، فأغلق الشاطر اليمنى وفتح اليسرى ، فنظر الكاتب إليه > فقال : لعن الله الشيطان ، أفسدت ما كان صحيحاً ، فكتب اليمنى فأغلق الشاطر اليسرى ، فتحير الكاتب < (37) ولم يدر ما يفعل فكتب : أعور من أي عينيه شاء .

وأخذ قوم محاربون فقدموا لتضرب أعناقهم فقال واحد منهم : والله ما كنت إلا أغني لهم ، فقيل له : فغنّ إذن فلم يجر على لسانه غير قول القائل (38) :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتد

فقيل له : صدقت وضربت عنقه .

وذكرت الشيعة عند بعض شيوخ الإباضية (39) فأنكرهم وسبهم جداً فقيل له في ذلك فقال : إن الشين أول الكلمة (40) إنما توجد في مسخوط

(37) ما بين العلامتين ساقط من ك .

(38) هو علي بن زيد العبادي والبيت من دالته التي مطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورمك الشوق قبل التجلد

وهي إحدى القصائد المجهرات وأقرأها في « جمهرة أشعار العرب » القرشي .

(39) الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض (بوزن كتاب) التميمي وهم فرقة من الخوارج قال

عنهم الشريف الجرجاني في « تعريفاته » : « الإباضية هم المنسوبون إلى عبد الله بن إباض

قالوا : مخالفونا من أهل القبلة كفار ، ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن بناء على أن

الأعمال داخلة في الإيمان ، وكفروا علماً رضي الله عنه وأكثر الصحابة » .

(40) في ح : « أول كلمة » بالتنكير .

مثل شؤم وشر وشيطان وشح وشغب وشرك وشم وشيئين وشوك وشوصة (41) وشكوى وشنآن (42) قلت : وليس كما قال ، بل هذا كثير ، وضده وهو المحبوب أيضاً كثير ، مثل شهد وشبع وشرب وشكر وشرف وشاب (43) وشرع وشكد (44) وشحم وشورى وشفاعة وشفقة وشغفر (45) وشفاء ، وفي أسمائه تعالى . الشكور الشهيد (46) .

وخطب عتاب بن ورقاء الرياحي يوماً فقال وهو على المنبر : أقول لكم كما قال الله في كتابه (47) :

ليس شيء على المنون يساق غير وجه المسبح الخلاق

(41) في الحديث : (من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعلوص) . فالشوص وجع الضرس ، وهو بالهاء وجع في البطن من ريح تنعقد تحت الأضلاع ، واللوص وجع الأذن ، واللوصة وجع في الظهر ، فأما العلوص بوزن السنور فهو التخمة ووجع البطن .

(42) في س : « وشتان » بقاء .

(43) في ك و س و ح : « شاب » .

(44) في « مقاييس ابن فارس » : « الشين والكاف والداد أصل . يقولون : إن الشكد الشكر وسمعت علي بن إبراهيم بن القطان يقول : سمعت علي بن عبد العزيز يقول : سمعت أبا عبيد يقول : سمعت الأموي يقول : الشكد العطاء ، والشكم الجزاء . والمصدر الشكد ، وقال الكسائي : الشكم العوض^١ ، والأصمعي يقول : الشكم والشكد العطاء » .

(45) في « تاج العروس » : « الشغفر كجعفر أهمله الجوهري ، وقال أبو عمرو : هي المرأة الحسنة » . وفيه أيضاً : « وشغفر بلا لام اسم امرأة أبي الطوق الأعرابي أنشد عمرو بن بحر له فيها وكانت وصفت بالقبح والشناعة :

جاموسة وفيلة وخنزر وكلهن في الجمال شغفر

فجمعهما للتشابه » .

(46) في س و ح : « والشهيد » مع الواو .

(47) في ح : « سبحانه » بدل في كتابه .

فقيل له : أيها الأمير هذا قول عدي بن زيد (48) فقال : ليقله من شاء
فنعم القول هو .

وأتي يوماً بامرأة من الخوارج فقال لها : يا عدوة الله ما حملك على
الخروج أما سمعت الله يقول (49) :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغنائيات (50) جر الذبول

فقلت : جهلك بكتاب الله يا عدو الله حملني على الخروج عليك وعلى
أثمتك .

ومثل هذا ما نخطب علي بن زياد الايادي فقال : أقول لكم مثل قول
الرجل الصالح : (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
الرَّشَادِ) فقيل له : إنما قاله فرعون ، فقال : يقوله من قاله فقد أحسن فيه .

(48) في ح : « زياد » بدل : « زيد » وهو خطأ .

(49) في « عيون الأخبار » (مج 2 : 49) : « خطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد وقال :
هكذا قال الله تعالى :

كتب القتل البيت «

وفي « العقد الفريد » (6 : 159) خطب عتاب بن ورقاء الرياحي فقال : أقول لكم
كما قال الله في كتابه :

كتب القتل البيت «

وفي « كامل المبرد » (3 : 137) : « لما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير
الأنصارية امرأة المختار أنكره الخوارج غاية الإنكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً
عظيماً لأنه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر نساء المشركين . فقال
عمر بن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عطبول

قتلت باطلا على غير ذنب إن لله درها من قتييل

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغنائيات جر الذبول

(50) في ك و س : « المحصنات » .

وكان (51) رجل يكثر مجالسة أبي يوسف ويطيل الصمت . فقال له يوماً
 ألا تسأل ؟ قال : بلى ، متى يفطر الصائم ؟ قال : إذا غربت الشمس ، قال :
 فإن لم تغرب إلى نصف الليل ؟ فضحك أبو يوسف وتمثل بقول الشاعر (52) :
 عجبت لإزراء الغبيّ بنفسه وصمت الذي قد كان بالعلم أعلما
 وفي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

ومثل هذا ما روي أن شاباً كان يكثر مجالسة الأحنف ولا يتكلم ،
 فأعجب الأحنف ذلك منه ، ثم خلت الحلقة يوماً فقال له الأحنف : يا ابن
 أخي مالك لا تتكلم ؟ فقال : يا عم أرأيت لو أن رجلاً سقط من شرفة هذا
 المسجد أضره شيء ؟ فقال الأحنف : ليتنا تركناك يا ابن أخي مستوراً (53)
 ثم أنشد متمثلاً :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
 لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فسؤاده ولم يبق إلا صورة اللحم والدم (54)

(51) الحكاية في كتاب « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي ص 149 طبعة المكتب التجاري بيروت .

(52) هو مالك بن سلمة العبسي على ما عند البحري في « حماسه » ص 231 أو هو الحسن بن جعفر على ما في « العقد الفريد » (2 : 266) وهما في « عيون الأخبار » (2 : 175) بدون نسبة .

(53) الحكاية في كتاب « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي (ص 146) طبعة المكتب التجاري بيروت .

(54) البيتان وردا ضمن معلقة زهير بن أبي سلمى بقسم الحكم منها في رواية « جمهرة أشعار العرب » ، وفي رواية الزوزني في « شرحه على المملقات » ، ولم يثبتهما ابن الأنباري ولا النحاس ولا الشنتمري ولا التبريزي في شروحاتهم على المعلقة ، ونسبهما الوشاء في « الظرف والظرفاء » للأعور الشني ، وهما في « فاضل المبرد » ، وفي « المحاسن والمساوي » لليهقي بدون نسبة ، وأوردهما عبد الحميد الراضي في « ديوان عبد الله بن معاوية الجعفري » المطبوع ببيروت سنة 1976 م .

وروي عن الجاحظ قال : عبرت على معلم كتاب فدخلت إليه فرحب بي وأجلسني معه فذاكرته في القرآن فإذا هو ماهرٌ فيه ، وكذا في العربية واللغة والشعر فإذا هو عارف ، فقوي عزمي على تمزيق « دفتر المعلمين » (55) وجعلت أختلف إليه فأتيت يوماً فوجدت الكتاب (56) مغلقاً ، فسألت عنه فقيل : مات له ميت ، فذهبت لأعزيه ، فدققت الباب وخرجت بجارية فقالت : ما تريد ؟ فقلت : أريد مولاك ، فقالت : هو جالس وحده في العزاء ما يأذن لأحد فقلت : قولي له : صديقك فلان فدخلت فقالت : ادخل فدخلت فقلت له : أعظم الله أجرك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وهذا سبيل لا بد منه ، فعليك بالصبر ، ثم قلت : هذا الميت ولدك ؟ فقال : لا ، قلت : والدك ؟ قال : لا ، قلت أخوك ؟ قال : لا ، قلت : فمن ؟ قال : حبيبي ، فقلت في نفسي : هذا أوان (57) المناحس ، ثم قلت : سبحان الله ! النساء كثير ، وتجد أحسن منها ، فقال : وكأني رأيتها ! فقلت في نفسي : وهذه منحسة ثانية ، ثم قلت : وكيف عشقت من لم تره ؟ فقال : كنت في الطارمة (58) فسمعت مغنياً يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ردي عليّ فؤادي أينما كانا
[لا تأخذين فؤادي تلعبين به فكيف يلعب بالإنسان إنسانا] (59)

فقلت في نفسي : اولا أن أم عمرو ما في الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا

(55) هو رسالته في المعلمين ، وهي توجد مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني ، وفي مكتبة أمين بك التجليبي بالموصل ، ونشرت على هامش الكامل للمبرد عام 1323 هـ .

(56) في ن : « المكتب » . وفي ح : « الباب » .

(57) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « أول » وهي أوفق .

(58) في « تهذيب الأزهرى » : « الطارمة بيت كالقبة من خشب وهي أعجمية » . وفي « الصحاح :

« الطارمة بيت من خشب فارسي معرب » .

(59) ما بين العلامتين زيادة من س وكذا هو فيها .

الشعر ، فعلقها قلبي ، ثم بعد أيام مرّ بي ذلك الرجل [أو غيره] (60) وهو يقول :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ، وجلست للغزاء منذ ثلاثة أيام ، قال الجاحظ : فعاد عزمي إلى إبقاء «الدقير» بأم عمرو .

وعن بعضهم قال : لقيت شيخاً من الأعراب فرجوت أن يكون يقول الشعر أو يرويهِ فسألته فقال : أما الرواية فلم أسمع من أروي عنه ، وأما القول فلم أقل قط إلاّ بيتاً واحداً ، فقلت : وهذا خير ، أروي عنك هذا البيت فتحصل به رواية شعرك فما هو ؟ فقال :

سقياً ورعياً وزيتوناً ومغفرة قتلم الشيخ عثمان بن عفاناً

قال الراوي : فجعلت أتأمله ، فقال الشيخ : لعلك تتأمل في فهم معناه [قلت : نعم ، قال : أنا قلته منذ سبعين سنة وأنا أفكر في معناه] (61) فما فهمته ، فكيف تطمع به أنت في ساعة واحدة .

[(62) وقال أحمد بن عمار (63) : عملت شعراً لا معنى له ولا قافية ،

(60) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س .

(61) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س ، وهو في صلب ح وكتبه ناسخ ك على طرفها لهما .

(62) ما بين المعقفين غير وارد بالأصل ، وهو ساقط من س أيضاً ، ولم يجيء في ك كذلك ،

ولكن ناسخها كتب على طرفها بخطه منبهاً عليه فقال ما نصه بالحرف : « ينخص هنا شيء له

بال ، وذلك نحو 3 ورقات » وهذا الساقط ورد في الطبعة الفاسية فأضفناه نقلاً عنها .

(63) في كتاب « الفخري في الآداب السلطانية » لابن الطقطقي (ص 174 - 175) : « أحمد

بن عمار ، كان رجلاً موسراً من أهل المذار ، فانتقل إلى البصرة واشترى بها أملاكاً

وكثر ماله واتسع بها حاله ، وكان الفضل بن مروان قد وصفه بالأمانة عند المعتصم ، =

أديب أيب (70) فيه عقل وحكمة عليم بشعري حين أنشد يشهد (71)
كريم أريم (72) قالص (73) متباسل (74)

إذا جثته قدماً (75) إلى البذل يسمع

فحفظه الطالبى ولقى شجاعاً ونحن نسايره فقال : أعزك الله ، ليس
الشعر من صناعتي ، ولكنك أحسنت إليّ وإلى أهلي ، فتكلفت أبياتاً مدحتك
بها ، فإن رأيت أن تسمعها مني ، قال : قد أغناك الله من ذلك بشرفك
ومودتك ، فقال : بلى تفضل بسماعها ، وأنشده الأبيات ، فلما فرغ شكره
على ذلك ، ودخل إلى المستعين فأخرج له عشرة آلاف درهم ، وأجرى له
ألف درهم في كل شهر ، فجاءنا الطالبى شاكرًا وقال : أنتمأ أوصلتما هذا .

وتزوج رجل امرأة حمقاء فغاب عنها مدة فلما قدم وضمهما الفراش
سألها عما حدث في غيبته فأنشأت تقول :

ما مستي بعدك من إنسي غير غلام واحد قيسي
ورجل آخر من بلي وثالث جا من بني عدي
ورابع أيضاً أتى من طي وخمسة جاءوا مع العشي
وسبعة كانوا على الطوي غر كرام من بني علي
وآخرين معملي المطي من بين كوفي ومن بصري
ومن تهامي ومن نجدي ما فيهم من ليس بالمرضي

(70) في « الاقتضاب » : « ليب » .

(71) في « الاقتضاب » : « ينشد » .

(72) في « الاقتضاب » : « حليم » .

(73) في « الاقتضاب » : « قابض » .

(74) في « الاقتضاب » : « متباسط » .

(75) في « الاقتضاب » : « يوماً » .

فقام يضربها فصاحت فاجتمع الناس فقال لهم : لولا أنني قمت أضربها
لعدت عليّ أهل عرفات ومنى (76) .

وكان بشار إذا أعوزته القافية أو المعنى يدخل في شعره أشياء لا حقيقة لها
تكميلاً لشعره ، فمن ذلك أنه أنشد شعراً له فقال فيه (77) :

غنّي للغريض يا ابن قنان

فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ فإننا لا نعرفه في المغنين ، فقال : وما عليكم

(76) في « تاج العروس » بباب الألف اللينة من مادة « ذا » ما يأتي : « قدم بعض العرب من
سفر فوجد امرأته قد ولدت غلاماً فأنكره فقال لها :

لتقعدن مقعد القصي مي ذي القاذورة المقلي
أو تحلفي بربك العلي أني أبو ذياك الصبي
قد رابني بالنظر الركي ومقلة كمقلة الكركي

فقلت :

لا والذي رذك يا صفيي ما مسني بعدك من إنسي
غير غلام واحد قيسي

الأبيات مع اختلاف في عددها وعباراتها .

(77) نص الحكاية في « الأغاني » (3 : 163 - 164) هكذا : « كان بشار يحشو شعره
إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له
فقال فيه :

غنّي للغريض يا ابن قنان

فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغني البصرة ، قال : وما عليكم منه ؟ ألكم
قبله دين فتطالبوه به ؟ أو ثار تريدون أن تدركوه ؟ أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني
ياحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه فقال : هو
رجل يعني لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له : إلى متى ؟ قال منذ يوم ولد وإلى يوم
يوم يموت . قال وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة :

..... ووافا في هلال السماء في البردان

فقلنا : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا لسنا نعرفه بالبصرة ؟ فقال : هو بيت في بيتي سميته
البردان ، أفعلكم من تسميتي داري وبيتها شيء فتسألوني عنه ؟

منه ؟ ألكم قبيلته دین تطالبونه به ؟ أو ثار تريدون أن تدرکوه منه ؟ أو كفلت لكم به فإذا غاب طلبتموني ؟ فقالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإلكننا أردنا أن نعرفه ، فقال : هذا رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له : إلى متى ؟ فقال من يوم ولد إلى يوم يموت ، ففترقوا عنه متصاحكين (78).

وقال بعضهم : شربنا يوماً عند عبد الصمد بن علي عم المنصور ، وكان يغنينا الدارمي المكي ، وكان حلواً ظريفاً ، فنعس عبد الصمد وعطس الدارمي عطسة هائلة فوثب عبد الصمد مرعوباً وغضب غضباً شديداً وقال : يا ابن الفاعلة ، إنما أردت أن تفرغني ، قال : لا والله ولكن هذا عطابي ، فقال : والله لأعاقبك أو تأتيني ببيئته على ذلك ، ووكل به غلماناً ، فخرج ولا يدري أين يذهب ، فلقية رجل يعرفه من أهل مكة ، فسأله عن أمره فأخبره فقال له : أنا أشهد لك ، ومضى معه حتى دخل على عبد الصمد فقال له : بم تشهد لهذا ؟ فقال : رأيت عطسة سقط منها ضرسه ، ونظائر نصف لحيته ، فضحك عبد الصمد وقال : خلوا سبيله .

(78) من بابة هذا العبث البشاري ما حكاه ابن عبد ربه في « عقده » (6 : 442) فقال : « كان راوية يشار قال : قال بشار ذات يوم وهو يعبث ، وكان له حمار مات قبل ذلك قال : رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له : ويلك مالك مت ؟ قال : إنك ركبتني يوم كذا وكذا ، فمررتنا على باب الأصفهاني فرأيت أتاناً عند بابه فمشقتها فمت ، وأنشدني :

سيدي مل بعناني	نحو باب الأصفهاني
إن بالبواب أتاناً	فضلت كل أتان
تيمتني يوم رحناً	بثناياها الحسان
وبغنج ودلال	سل جسمي وبسراني
ولها خد أسيل	مثل خسد الشيفران
فبها مت ولو عش	ت إذن طال هواني

فقال له رجل من القوم : يا أبا معاذ ما الشيفران ؟ فقال : هذا من غريب الحمير فإذا لقيتم حماراً فسلوه .

وقال الماوردي (79) : كنت بمجلس درسي بالبصرة فدخل عليّ شيخ مسنّ قد ناهز الثمانين أو جاوزها وقال لي : قصدتك بمسألة اخترتك لها فقلت : وما هي ؟ وظننت أنه يسأل عن حادثة نزلت به ، فقال : أخبرني عن طالع (80) إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو ، فإن هذين لعظيم شأنهما لا يسأل عنهما إلاّ علماء الدين ، فعجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبادر إليه قوم منهم بالإنكار والاستخفاف ، فكففتهم ، وقلت : هذا لا يقتنع مع ما ظهر من حاله إلاّ بجواب مثله ، فأقبلت عليه وقلت : يا هذا إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلاّ بمعرفة مواليدهم ، فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرناك بالطالع ، فقال جزاك الله خيراً ، وانصرف مسروراً ، فلما كان بعد أيام عاد إليّ وقال : ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما .

وكان المأمون يوماً جالساً مع ندمائه مشرفاً على دجلة يتذاكرون أخبار الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان إلاّ نقص من عقله بقدر ذلك ، فلم يسلم له أصحابه ذلك ، فبينما هم في ذلك رأوا رجلاً كبير اللحية حسن الهيئة والثياب ، فقال المأمون : عليّ به ، فلما وقف بين يديه سلم ، فأجلسه المأمون ، وقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو حمدوتة ، فقال : وما كنييتك ؟ قال : علوبة ، فضحك المأمون وأقبل على جلسائه فغمزهم عليه ، ثم قال : ما صنعتك قال : فقيه أجيد الشرح للمسائل ، فقال : نسأل عن مسألة . فقال : سل عما بدا لك ، قال : فما تقول فيمن اشترى شاة فلما قبضها خرجت من استها بعرة فقأت عين رجل ، على من تجب دية العين ؟ على البائع أم على

(79) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد ، من كبار الشافعية في وقته ، وأحد العلماء الباحثين المدققين ، كانت له المنزلة العالية لدى الخلفاء والأمراء ، من مؤلفاته : « أدب الدنيا والدين » ، و« الأحكام السلطانية » ، و« أدب الوزير » ، توفي سنة 450هـ والحكاية أوردها أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه : « أخبار الحمقى والمغفلين » ص 172 من طبعة المكتب التجاري بيروت .

(80) في « أخبار الحمقى والمغفلين » : « عن نجم » .

المشترى ؟ فنكت (81) بإصبعه الأرض طويلاً ثم قال : دية العين على البائع ، قال : ولم ؟ قال : لأنه باع ولم يشترط أن في استها منجنيقاً ، فضحك المألون ومن معه ، ثم أنشأ يقول :

ما أحد طالت له لحية فزادت اللحية في هيئته
إلاّ وما ينقص من عقله أكثر مما زاد في لحيته

ويؤيد هذا ما روي أن معاوية كان مع أصحابه فمرّ بهم رجل طويل اللحية فقال معاوية : أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول اللحية ، فقال عمرو بن العاصي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اعتبروا عقل الرجل في ثلاث : طول لحيته ، وكنيته ، ونقش خاتمه » ، فلما جاءهم الرجل قال معاوية : ما نقش خاتمك قال : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدَى هُدًى) . قال : وما كنيته ؟ قال : أبو الكوكب الدري ، فقال معاوية : كمل الرجل ، ولهذا قال عليه السلام : « من سعادة المرء خفة لحيته » .

وروي أن أعرابيين اختصما إلى شيخ حيهما ، فقال أحدهما للآخر : إنك والله ما تحفظ آية من كتاب الله ، فقال الآخر : والله إني لقارىء ، فقال له الشيخ : اقرأ علي ، فقال كأنه يقرأ :

علق القلب ربابا بعدما شابت وشابا
إن دين الحبّ فرض لا ترى فيه ارتيابا

(81) في « اللسان » : « النكت قرعك الأرض بعود أو بإصبع ، وفي الحديث : « بينا هو ينكت إذ انتبه » أي يفكر ويحدث نفسه ، ونكت الأرض بالقضيب وهو أن يؤثر فيها بطرفه فعل المفكر المهموم . وفي الطبعة الفاسية : « ينكت » بناء مثلثة وهو تصحيف .

فقال الشيخ لخصمه : والله لقد قرأها كما أنزلت ، فقال خصمه : والله
يا سيدي ما تعلمها إلا البارحة .

ويشبه هذا ما ذكر أن رجلاً سمع رجلاً ينشد :

فلا تقبل لغانية يمينا ولو حلفت برب العالمينا

فقال : اشكل علي موضعها في (إنا فتحننا لك فتحاً مبيناً) .

وذكر (82) أن أعرابياً تقدم إلى القاضي سوار (83) في أمر فلم يجد
عنده ما يحب ، فاجتهد فلم يظفر بحاجته ، قال : فقال الأعرابي وفي يده
عصا :

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارة
بأنني أنخبط في ليلتي كلباً فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا حتى منع منه قال : فما عاقبه سوار .

ويروى أن ضيفاً نزل بالخطيئة (84) وهو يرعى غنماً له وفي يده عصا

(82) في « كامل المبرد » (2 : 42 ط صبيح 1347) : « وحدثني بعض أصحابنا أن رجلاً

من الأعراب تقدم إلى سوار في أمر . . . الخ » .

(83) هو أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن قدامة التميمي العبدي البصري . محدث فقيه ، وأديب

شاعر ، وقاض من نبلاء القضاة وأعيانهم على عهد المنصور العباسي ، وله ما جريات مع

السيد الحميري شاعر الشيعة لوقته ، وله فيه أهاج كان سببها أن سواراً رده في شهادة .

كف بصر سوار في آخر عمره وتوفي سنة 156 هـ . ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب

(9 : 210) وفي ميزان الاعتدال للذهبي (2 : 245) وفي أعلام الزركلي (3 : 213)

(84) الحكاية في « بيان الجاحظ » (2 : 151) في طبعة السندوبي ، وهي في « كامل المبرد »

(3 : 38) في طبعة علي صبيح .

فقال له الضيف : يا راعي الغنم ، فأوماً الحطيئة بعصاه وقال : عجرا (85)
من سلم (86) . فقال الرجل : إني ضيف فقال : للضيفان أعددتها .

وروي أن ناسكاً (87) من بني الهجيم (88) بن عمرو بن تميم كان
يقول في قصصه : اللهم اغفر للعرب خاصة ، وللموالي عامة ، فأما العجم
فهم عبيدك ، والأمر إليك .

ونظر (89) يزيد بن مزيد الشيباني (90) إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب فقال : إنك من لحيتك في مئونة فقال :
أجل ، ولذلك أقول (91) :

لها درهم للدهن في كل جمعة وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد لصوت في حافاتها الجحمان

(85) العجرة بالضم والسكون العقدة في الحشب ونحوه ، والعجرا العصا التي بها عقد وتوأت .

(86) السلم محركاً بفتحين شجر واحد سلمة مثل قصب وقصبة .

(87) الحكاية في « كامل المبرد » (3 : 238) طبعة علي صبيح .

(88) في الطبعة الفاسية بتقديم الجيم على الهاء ، وهو خطأ صوابه الهجيم بسبق الهاء على

الجيم ، قال القلقشندي في كتابه : « نهاية الأرب » ، في معرفة أنساب العرب : « بنو الهجيم

ويقال : بلهجيم ، بفتح الباء وسكون اللام بطن من تميم ، من العدنانية ، وهم بنو الهجيم

ابن عمرو بن تميم » .

(89) الحكاية في « كامل المبرد » (2 : 98) بطبعة صبيح ، وفي « شرح الشريشي على مقامات

الحريري » (2 : 45) .

(90) هو أبو خالد يزيد بن مزيد (بفتح الميم وسكون الزاي) بن زائدة الشيباني أحد الأبطال

الشجعان ، وأحد كبار الأمراء على عهد الرشيد ، وهو كان الذي قضى على ثورة الوليد

بن طريف الخارجي الذي ثار على الرشيد ، توفي سنة 185 هـ .

(91) قبلهما في « شرح الشريشي على المقامات » بيتان آخران هذا نصهما :

لمرك لو يعطي الأمير على اللحى لأصبحت قد أيسرت منذ زمان

إذن لشفتني لحيتي من عصابة لهم عنده ألف ولي مائتان

ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكيدنة (92) أي الشحم يعني سميناً فقال :
يا هذا ، إني لأرى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك .

ويروى أن جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوماً :
أهمام بن مرة حنّ قلبي إلى اللائي يكن مع الرجال

فقال : يا فساقٍ ، أردت صفيحة ماضية فقالت :

أهمام بن مرة حنّ قلبي إلى صلعاء مشرفة القذال

فقال : يا فجارٍ ، أردت بيضة حضية فقالت :

أهمام بن مرة حنّ قلبي إلى أير أسد به مبالي (93)

(92) في الطبعة الفاسية : « الكندة » بالكاف قبل النون ، وهو خطأ صوابه : الكدنة بتقديم
الدال ، والكدنة بالكسر اللحم والشحم ، قال الزمخشري في « أساس البلاغة » : « إنه لذنو
كدنة وعبالة ، وهي غلظ اللحم وثقله ، ومنه الكودن ، وهو البرذون التركي وكودن
في مشيته أبطاً وثقل » .

(93) الحكاية بنصها في « كامل المبرد » (2 : 228) طبعة صبيح ، وذكرها القالي في « أماليه »
(2 : 103) فقال : « حدثنا أبو بكر بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة ،
قال : كان لهمام بن مرة ثلاث بنات فعنسن ، فقالت الكبرى : أنا أكفيكموه اليوم
فقالت :

أهمام بن مرة إن همي إلى قنفاء مشرفة القذال

فقال همام : قنفاء مشرفة القذال تصف فرساً ، فقالت الوسطى : ما صنعت شيئاً ، فقالت :

أهمام بن مرة إن همي إلى اللائي يكن مع الرجال

فقال همام : يكون مع الرجال الذهب والفضة ، فقالت الصغرى : ما صنعت شيئاً ،
وقالت :

أهمام بن مرة إن همي لفي عرد أسد به مبالي

فقال همام : قاتلكن الله ، والله لا أسيت أو أزوجكن ، فزوجهن » .

وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعراً قط إلا تبين فيه الضعف ، فقيل له : أو كذلك الحسناء ؟ قال : تلك كان لها أربع خُصِي .

وقال المبرد : حدثني شيخ من الأزدي عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له : ألا تدعو لأهلك فقال : إنها تميمية . وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه ، فعوتب فقال : هذه ضعيفة وأبي يحتال لنفسه .

وقال بعض المحدثين (94) :

ولا أكنم الأسرار لكن أنمها ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي
وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ تقلبه الأسرار جنباً إلى جنب

وقال الآخر (95) :

وأمنع جارتي من كل خير وأمشي بالنميمة بين صحبي [(96)

ورأى طفيلي رجلاً اشترى سمكاً كثيراً مطبوخاً ، وحمله على رأس أمة له إلى داره ، فتبعه ، فلما رأى الرجل الطفيلي بادر فأدخل الأمة ودخل وأغلق الباب ، فتسور الطفيلي فأشرف عليهم ، فقال له الرجل : أما تتقي الله تطلع على محارم الناس ؟ فقال : (لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ

(94) البيتان في « حيوان الجاحظ » (5 : 184 بتحقيق عبد السلام هارون) منسوبان لسحيم الفقعسي ، وفي « كامل المبرد » (2 : 224 في طبعة صبيح 1347 هـ) بدون نسبة ، وأوردتهما أبو تمام « بحماسة » في باب الملح منها ، وهما في « شرح الشريشي » على مقامات الحريري » (2 : 123) .

(95) البيت في « كامل المبرد » (2 : 224) . من طبعة صبيح .

(96) هنا انتهت الزيادة التي نقلناها عن الطبعة الفاسية .

مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَتَعَلَّمُ مَا نُرِيدُ) فضحك الرجل وقال له : انزل إلى الباب يفتح لك ، فنزل ، فعمد الرجل إلى كبار السمك فجعلها في زاوية البيت وترك الصغار ، فلما دخل الطفيلي ورآها علم القصة ، فأجال بصره في البيت فرأى الإناء في زاوية البيت مغطى ، فعلم أن حاجته فيه ، فجعل يأخذ من تلك الصغار السمكة فيقطع رأسها <بعنف> (97) ويقربه (98) من أذنه ويصغي إليه ثم يطرحه ، فقال له الرجل : ما هذا الذي تصنع ؟ فقال له : اعلم أن أبي كان يسافر (99) في البحر ، فغرق وأكلته الحيتان ، فقلت : اليوم أدرك ثأري ، فإذا بهذه الحيتان تقول لي : إنا عند غرق أبيك لم نكن نخلقنا بعد ، وإن التي أكلت لحم أبيك في الإناء الذي في زاوية البيت ، فضحك الرجل واستظرفه ، وأتاه بالإناء الذي فيه الكبار ، فأكل حتى قضى حاجته (100) .

[(101) وأتى طفيلي وليمة (102) فاقتحم وأخذ مجلسه مع الناس ،

- (97) ما بين العلامتين ساقط من س .
(98) في ح : « ويقربها » .
(99) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « سافر » بصيغة الماضي .
(100) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س وفي ح وحدها : « نهمته » بدل : حاجته ، والحكاية هذه ملفقة من حكايتين ترويان معاً لأشعب الطامع .
(101) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوطات الثلاث ، وهو في الطبعة الفاسية ، وعنهما نقلناه بنصه الحر في التام .
(102) في « كتاب التطفيل » للخطيب البغدادي (ص 64) : « ليم بعض الطفيليين على تطفيله فقال : ما صنع الطعام إلا ليؤكل ، وما صنعت الموائد إلا لتبذل ، ولا نجدت المنازل إلا لتدخل ، وما قدمت هدية فأتوقع رسولا ، وما أكره أن أكون ثقيلا ، على من أراه بأكلي بخيلا ، فأتقحم مجالساً ، وأمكن مستأنساً ، وأنبسط إن رأيت عابساً ، فأكل شهوتي برغمه ، وأعاود بعد الكظة لغمه ، لا أتفق درهماً ، ولا أتعب خادماً » . وجاء نص الخبر في « نهاية الأرب » للنويري (3 : 327) هكذا : « مر طفيلي بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي ، فأنكره =

فأنكر عليه صاحب الدار وقال : لو صبرت حتى يؤذن لك لكان أحسن لأدبك فقال : إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ، والموائد ليؤكل عليها ، والشحنة (103) قطيعة ، واطراحها صلة ، وبجاء في الآثار : صل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، ثم أجمع فيها خلافاً ، أحصل مجالساً ، وآكل مؤانساً ، وأبسط رب الدار وإن كان عابساً ، وأنشد (104) :

كل يوم أدير في عرصة الدا (105) ر أشم القطار (106) شم الذباب
فإذا ما رأيت آثار عرس أو دخاناً (107) أو دعوة الأصحاب
لم أعرج دون التقحم لا أرهب شتماً ولكرة البواب
مستهيئاً بمن دخلت عليه غير مستأذن ولا هيب
فتراني ألف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب
ذاك أهنا من التكلف والغرم م وشتم (108) البقال والقصاب (109)

= صاحب المنزل فقال له : لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك أو يبعث إليك فقال : إنما اتخذت البيوت ليدخل إليها ، ووضعت الموائد ليؤكل ما عليها ، وما وجهت هدية فأتوقع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، واطراحها صلة ، وقد جاء في الأثر : صل من قطعك وأعط من حرمك .

(103) كذا في الطبعة الفاسية وصوابه : « الحشمة » رواية عن « نهاية الأرب » للنوري .

(104) الأبيات في « كتاب التطفيل » (ص 64) وفي « بهجة المجالس » لابن عبد البر (1 : 741) وفي « نهاية الأرب » للنوري (3 : 327) .

(105) هي رواية « نهاية الأرب » وفي « التطفيل » « المصر » بدل « الدار » ، وفي « بهجة المجالس » : « الحي » بدلا منهما .

(106) القطار بوزن الغراب ربح البخور والقدر والشواه والعظم المحرق .

(107) كذا أيضاً في رواية « نهاية الأرب » ، أما كتاب « التطفيل » و« بهجة المجالس » ففيهما « أو ختاناً » .

(108) في كتاب « التطفيل » : « غيظ » بدل : « شتم » .

(109) في كتاب « التطفيل » زيادة تقول : « وقد حكى عن ابن داب أن هذه الأبيات لأبي المراقيب المدني الطفيلي ، وأولها :

قل لأهل التطفيل إني إمام لكم بين شيبكم والشباب =

وعن آدم الطويل (110) قال : دخل حانوتي غريب يأكل شيئاً من طعام
أتى به ، فرآه طفيلي فيجاء ليدخل فرددته وقلت له : ما أكثر ما تتردد إلينا ،
فقال الغريب النبي في الحانوت : لعله كما قال الشاعر :

لو طبخت قسدر بمطمورة أو في ذرى قصر بأعلى الثغور
وكنت بالصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور [(111)

لله الأمر من قبل ومن بعد

= وذكر بعد هذا البيت أبياتاً عدة مما سقنا ، إلا أن في بعض الألفاظ اختلافاً ، وبعدها :
ما أبالي حلت بالسادة القا دة أم بالعلوج والأعراب
لا تراني أخيم من نبيحة الكلا ب ولا من سفاهة البواب
يرهب الناس من ثيابهم الشق ق وهمي هناك شق الثياب
(110) الخبر في كتاب « التطفيل » (ص 26) .
(111) هنا انتهت الزيادة التي نقلناها عن الطبعة الفاسية .

[طفيل بن دلال الهلالي رأس الطفيليين]

واعلم أن الطفيلي ، وهو من يغشى الناس ابتغاء الأكل من غير استدعاء ولا سؤال ، منسوب إلى طفيل بن دلال الهلالي : وكان بالكوفة ، فكان إذا سمع بطعام أتاه من غير أن يدعى إليه ، فما فاتته عرس قط ، فقيل له : طفيل الأعراس ، فكان كل من فعل فعله ينسب إليه فيقال : طفيلي (1) .

ويقال (2) : إنه لما حضرته الوفاة دعا ابنه عبد الحميد ليعهد إليه بهذه الحرفة فقال له : يا بني إذا دخلت عرساً فلا تلتفت التفات المريب ، وتخبر المجلس ، فإن كان العرس كثير الزحام فمررْ وانه ، وامض لشأنك ، ولا

(1) في « إصلاح المنطق » لابن السكيت (ص 322) : « وقولهم طفيلي للرجل الذي يدخل وليمة ولم يدع إليها ، وهو منسوب إلى طفيل : رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان ، كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها ، فكان يقال له : طفيل الأعراس أو العرائس ، والعرب تسمي الطفيلي الوارش » .

وفي « بخلاء الجاحظ » (ص 68) : « وقول الناس فلان طفيلي ليس من أصول كلام العرب ، وكان بالكوفة رجل من بني عبد الله بن غطفان يسمى طفيلاً ، كان أبعد الناس نجمة في طلب الولائم والأعراس ، فقيل له لذلك طفيل العرائس ، وصار ذلك نبراً له ولقباً لا يعرف بغيره ، فصار كل من كانت تلك طعمته يقال له : طفيلي » .

وجاء في « كتاب التطفيل » للخطيب البغدادي قول آخر في اشتقاق الطفيلي هذا نصه بإسناده : « قرأت على الحسن بن أبي القاسم ، عن أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني ، أخبرني الحسن بن علي بن زكرياء ، نا أبو عثمان المازني ، نا الأصمعي قال : الطفيلي الداخل على القوم من غير أن يدعى ، مأخوذ من الطفل ، وهو إقبال الليل على النهار بظلمته ، وأرادوا أن أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل إليهم » .

(2) الخبر مع الشعر بعده في « كتاب التطفيل » (ص 68 - 70) .

تنظر في وجوه الناس ليظن أهل الرجل أنك من أهل المرأة ويظن أهل المرأة أنك من أهل الرجل ، فإن كان البواب فظاً وقاحاً فابدأ به ومره وأنه من غير عنف ثم أنشد يقول :

لا تجزعن من القرير	ب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ	بيديك مغرفة الثريد
متدلياً فوق الطعما	م تدلي البازي الصيود
لتلف ما فوق الموا	تد كلها لف الفهود
واطرح حياءك إنما	وجه المطفل من حديد
وعليك بالفالودجا	ت (3) فإنها (4) بيت القصيد
حتى إذا أحرزتها	ودعوتهم هل من مزيد ؟
والعرس لا يخلو من ال	لوزينج (5) الرطب العتيد
فإذا أتيت به حوي	ت محاسن الحمام الجديد

(3) واحدها فالودج ، وهو لفظ معرب يسمى به صنف من فاخر الطعام ، وكان الحسن البصري قد بلغه أن أحد الزهاد المتقشفين يتخرج من أكله ، ويعيبه ، فقال : لباب البر بلعاب النحل وخالص السمن كيف يعيبه مسلم ؟

(4) في ح : « فإنه » وهو خطأ لأن الضمير عائد على الجمع .

(5) هو صنف من الحلواء وصفه ابن الرومي فقال :

لا يخطني منك لوزينج	إذا بدا أعجب أو عجا
لو شاء أن يذهب في صخرة	لسهل الطيب له منهباً
لم تغلق الشهوة أبوابها	إلا أبست زلفاه أن يحجبا
يدور بالنفحة في جامه	دوراً ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبراً	مستحسن ساعد مستعذباً
مستكشف الحشو ولكنه	أرق جلدأ من نسيم الصبا
من كل بيضاء يود الفتى	أن يجعل الكف لها مركبا
قرة عين وفم حسنت	وطيبت حتى صبا من صبا
فلا إذا العين رأت نبت	ولا إذا الضرس علاه نبا

ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج فأفاق بعد ساعة فقال :

وتنقلنّ على الموا ئد مثل شيطان مريد
فإذا انتقلت عبثت بال كعك المجفف والقديد
واعلم بأنك إن قبلت نعمت يا عبد الحميد

وقال بنان الطفيلي (6) : دخلت البصرة فإذا فيها عريف للطفيليين يكسوهم ويرشدهم إلى الأعمال ، ويقاسمهم ، فجثته فكساني وصرفي معهم فأزلت شيئاً كثيراً ، والزلة عندهم ما يفضل في الولايم ، فأخذ النصف وأعطاني النصف ، ثم حضرت عرساً جليلاً فأخذت زلة (7) فلقيني رجل

(6) قال عنه الخطيب البغدادي في كتابه « التطفيل » (ص 77) : « اختلف في اسم بنان فقيل : عبد الله بن عثمان وقيل : علي بن محمد ، ولقبه بنان ، ويكنى أبا الحسن ، وكان أصله مروزياً ، وهو بغدادي الدار » . وقال بشأنه أيضاً : « كان بنان من أشهر الطفيليين ذكراً ، وأبعدهم صيتاً ، وله في التطفيل وحدوده ورسومه وسننه ما ليس لغيره » . وذكره البديع الهمداني في بعض شعره وجعله قدوة في التطفيل فقال عن طفيليين كانوا يحدقون الصنعة :

خلفتم بناناً فكم من أديب من الغيظ عض عليكم بنانا
إذا ما النهار بدا ضوءه غدوتم خصاصاً ورحم بطانا

وكان بنان يلقب الأطلعة ويكنيها ، ويتظرف فيما يلقب منها ويكني ، وكان قد كنى الفالودج أبا العلاء ، والحبيص كناه أبا رزين ، وجعل كنية اللحم أبا عاصم ، والخل أبا ثقيف ، ولقب اللوزينج قبور الأطفال ، والقطائف لقبها قبور الشهداء ، وكان نقش خاتمه : « ألا تأكلون » ومن وصاياه : « كل حتى تتخم فإن الجوع بين يديك » . وكان يقول : « ما في الدنيا أحسن من صنعتي ، لقد طفلت من ثلاثين عاماً وما أسلم إلى صبي قط » .

(7) في « التاج » : « قال الليث : الزلة من كلام الناس عند الطعام ، وهي الصنعة إلى الناس ، يقال : اتخذ فلاناً زلة ، والزلة العرس ، ويقال : كنا في زلة فلان أي في عرسه ، والزلة اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك ، لغة عراقية كما قاله الليث ، قال : وإنما اشتق ذلك من الصنيع إلى الناس ، أو هي لغة عامية تكلمت بها عامة العراقيين » . وقال الخفاجي في « شفاة » : « زلة الصوفي اسم لحمل الطعام من الولايم ونحوها » . وتكلم بها الحمدي الشاعر العباسي الظريف فقال في طفيلي :

فاشترها مني بدينار و كتمته . فلما جئت دعا العريف جماعة منهم فقال لهم : إن هذا البغدادي قد خان ، وظن أنني لا أعلم ما فعل ، فاصفعوه وعرفوه قال : فصفني الأول منهم وشم يدي فقال : أكل مضيرة (8) ، و صفني الثاني وشم يدي فقال : أكل بقيلة (9) ، وهكذا حتى ذكروا كل ما أكلت ثم صفني آخر فقال : أخذ زلة ، و صفني آخر فقال : باع الزلّة بدينار ، و صفني آخر فقال : ها هو ذا ، فدفعته إليهم ، وجردني من الثياب التي أعطاني وقال : اخرج ، يا خائن ، في غير حفظ الله ، فخرجت متوجهاً إلى بغداد ، وأقسمت أن لا أقيم ببلد طفيليتته يعلمون الغيب .

وبنان هذا هو الذي قيل له : ما تحفظ من القرآن فقال : كنت حفظته ثم نسيتُه إلا آية واحدة . قيل : وما هي ؟ قال : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ)

=	أراك الدهر تطرق كل عرس فإن غلظ الحجاب وكان صعباً أخذت لكي تفالطهم خلا فقتلهم الحوان بما عليه وتأكل أكل ميسرة وأيضاً وأنت بفضل حنقك ذا طفيل	كأمر الله يطرق كل ليله ولم تقدر هناك على دخيله وقلت : نسيت عندكم نعيه وتبدرهم إلى بيض البقيله فلا بد لعرسك من زليله وتلك بما تزل لها طفيله
---	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(8) بالأصل «ميرة» ومثله في ك و س و ح ، وهو تحريف صوابه : « مضيرة » رواية عن كتاب التطفيل للخطيب البغدادي ص 82 والمضيرة بين الزبيدي في « التاج » ما هي فقال : « والمضيرة » مريقة تطبخ باللبن وأشياء ، وقيل : هي طبيخ يتخذ من اللبن المضير ، وربما خلط بالحليب ، وقال أبو منصور : المضيرة عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حنى اللسان حتى ينضج اللحم وتخر المضيرة ، وربما خلطوا الحليب بالحقين ، وهو حينئذ أطيب ما يكون .

(9) البقيلة بالتصغير من أشرف الأطعمة ، وبيضتها مما تبادر إليه الأيدي ، ويتنازع عليه الأكلة ، وما جاء فيها ما حكاه الثعالبي في « ثمار القلوب » فقال :

عاتب بعض الناس صديقاً له على إخلاله بضيافته بعد أن كان يدعوهم فقال : ما الذي أنكرت مني ؟ هل نفشت و سادتك ؟ هل قلبت حملك ؟ هل بعثت أزرارك ؟ هل أكلت بيضة بقيلتك .

إلى قوله : (آتِنَا غَدَاءَنَا) فقيل له : وهل تحفظ من الشعر شيئاً ؟ فقال :
بيتاً واحداً وهو :

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم إن الكريم إذا لم يستزر زارا

وقال الشاعر :

الماء في دار عثمان له ثمن عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً لكنه يشتهي حمداً بمجان
ما لم يروا عنده آثار إحسان

[(10) وقال آخر :

على المساء في داره زحمة وفيها على الخبز سفك الدما
أضاف أناساً إلى داره فترهم في نجوم السما
وبالجوع قطع أمعاءهم (وإن يستغيثوا يغاثوا بما) (11)

وقال غيره (12) :

يا داخلاً في داره خارجاً من غير ما معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة [

(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ، ومن س ، وهو وارد في ح ، وعننا نقلناه ، وكتبه
ناسخ الكتانية على الطرة مستدركاً .

(11) اقتباس من قوله تعالى في سورة الكهف : (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ،
وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب) .

(12) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن حجاج الشاعر العباسي
الماجن الظريف المتوفى سنة 391 هـ .

ومن الملح القديمة ما يحكى عن نبي الله سليمان عليه السلام أنه وعده
الهدد وهو في ساحل البحر أن تضيفه هو وجنوده أجمعين ، فلما كان الوقت
جاءت بجرادة فرمت بها في البحر ثم قالت لهم : دونكم ، فمن فاته اللحم
فليشرب المرق ، فضحكوا من ذلك حولاً كاملاً .

تة الأمر من قبل ومن بعد

[(1) باب في ذكر شيء من أخبار الثقلاء]

اعلم أن الثقلاء أشد الخلق ضرراً على العقلاء ، وأثقل من رواسي الجبال على قلوب النبلاء ، قيل لجالينوس (2) : لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحِمْل الثقيل ؟ فقال : لأن ثقله على القلب دون الجوارح ، والحِمْل الثقيل يستعين القلب عليه بالجوارح ، وكان (3) أبو هريرة - رضي الله عنه - إذا استثقل رجلاً يقول : اللهم اغفر له وأرحنا منه ، وقال الأعمش (4) : من فاتته ركعتا الفجر فليعن الثقلاء ، ونقش على خاتمه (5) : يا مقيت أبرمت فقم ، فإذا استثقل جليساً ناوله إياه ، وربما أنشد (6) :

(1) ما بين المعقنين ساقط من المخطوطات الثلاث ، لكن ناسخ المخطوطة الكتانية كتب على طرفها بخطه تنبيهاً هذه عبارته بالنص الحرفي التام : « يخص هنا باب في أخبار الثقلاء برمته وقد ذلك 4 ورقات » والباب هذا وارد في الطبعة القاسية وعننا نقلناه مع توثيق ما فيه وتخرجه بالرجوع إلى المصادر المعتمدة .

(2) هو الطبيب اليوناني الشهير المتوفى حوالي 200 م ، قال عنه ابن جلجل في « طبقاته » : « برع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وجدد من علم بقراط وشرح من كتبه ما كان قد درس وغمض على أهل زمانه ، وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبان علمه ، وله تواليف كثيرة العدد في فنون من العلوم » .

(3) في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (ج 1 ص 732) : « كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة .

(4) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ولاء عرف بالأعمش ، من مشاهير التابعين ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض ، وكانت فيه دعاية ، توفي سنة 148 هـ .

(5) في « عيون الأخبار » (ج 1 : 309) : « كتب رجل على خاتمه : أبرمت فقم فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إياه » .

(6) في « بهجة المجالس » لابن عبد البر : (ج 1 ص 732) : « قال أبو أسامة : كنا عند الأعمش فجاء زائدة بن قدامة ، فقال الأعمش حين رآه :

فما الفيل تحمله ميتاً بأثقل من بعض جلاسنا

وقال له رجل : مم عمشت عيناك ؟ فقال : من النظر إلى الثقلاء أمثالك ،
وقال جالينوس : لكل شيء حمى وحمى الروح (7) النظر إلى الثقيل .
وكان حماد بن زيد (8) إذا استقل جلساً يقول : (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا
الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) وكان يجلس إلى معمر بن المثنى (9) رجل ثقيل
اسمه زنباع ، فسأل رجل يوماً معمرأ عن معنى الزنبعة (10) في كلام العرب
فقال : الثاقل ، ولذلك سمي جلسنا هذا به .

= وما الفيل تحمله ميتاً بأثقل من بعض جلاسنا

وفي عيون الأخبار (مج 1 : 309) : « أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي
قال : حدثني صدقة بن خالد قال : أتيت الكوفة فجلست إلى أبي حنيفة فقام رجل من
جلسائه فقال :

وما الفيل تحمله ميتاً بأثقل من بعض جلاسنا

فما حملت عنه شيئاً » .

(7) في « ثمار القلوب » للثعالبي : (ص 539) : « حمى الروح - كان بنخيشوع يقول

للمأمون : يا أمير المؤمنين لا تجالس الثقيل فإننا نجد في كتبنا أن مجالسة الثقيل حمى الروح » .

(8) ترجمه ابن قتيبة في « كتاب المعارف » مع أصحاب الحديث فقال : « هو حماد بن زيد

ابن درهم ، ويكنى أبا إسماعيل ، وكان عثمانياً ، وتوفي يوم الجمعة في شهر رمضان سنة

تسع وسبعين ومائة » .

(9) هو أبو عبيدة العلامة اللغوي النحوي الراوية ، من كبار البصريين ، ترجمه ابن قتيبة في

« كتاب المعارف » فقال : « هو أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى لتيمة قريش ، كان الغريب

أغلب عليه ، وأخبار العرب وأيامهم ، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى

يكسره ، ويخطيء إذا قرأ القرآن نظراً ، وكان يبغض العرب ، وألف في مثالبها كتاباً ،

وكان يرى رأي الخوارج ومات سنة 210 هـ » .

(10) في « كتاب الاشتقاق » لابن دريد ص 376 : « ومن رجالهم « يريد جذام » زنباع بن

روح بن سلامة بن حداد بن حديدة ، وزنباع فعلال ، والنون فيه زائدة من قولهم : تزبع

علينا إذا ساء خلقه » .

وقال أبو العتاهية لابن له ثقيل : يا بني أنت والله ثقيل الظل ، مظلم الهوا ، خامد النسيم ، بارد حامض متن (11) .

وقال زياد بن عبد الله (12) : قيل للشافعي : هل يمرض الروح قال : نعم من ظل الثقلاء قال : فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين فقلت : كيف الروح ؟ فقال في النزاع . وقال سهل بن هارون (13) : من ثقل عليك بنفسه ، وأغم عليك بحديثه ، فأعره عيناً عمياء ، وأذنأ صماء . وكان بعض الظرفاء إذ رأى ثقيلاً يقول : قد جاءكم الجبل ، فإذا جلس قال : قد وقع عليكم ، وقيل لظريف له ثلاثة بنين ثقلاء : أي بنيك أثقل ؟ قال : ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلا الأوسط .

وكان يلم ببيشار ثقيل اسمه أبو سفيان ، فسئل عنه فقال : لا أدري كيف لم تحمل الأمانة أرض حملته ، ولا كيف احتاجت إلى الجبال بعدما أقلته ، كأن قربه أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأن عشرته فقد الحباب ، وسوء العواقب ، ثم أنشد :

(11) جاء في « زهر الآداب » للحصري (ج 3 ص 865 بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ما يأتي : « دخل على أبي العتاهية ابنة وقد تصوف فقال : ألم أكن نهيتك عن هذا ؟ فقال : وما عليك أن أتعود الخير وأنشأ عليه ؟ فقال : يا بني يحتاج المتصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معني ، وأنت ثقيل الظل ، مظلم الهوا ، راكد النسيم ، جامد العينين ، فأقبل على سوقك فإنها أعود عليك ، وكان بزراً .

(12) لعنه أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل العامري البكائي أحد الرواة الثقات ، روى عن الأعمش وعنه أحمد بن حنبل ، وخرج له البخاري ومسلم توفي سنة 183 هـ .

(13) هو أبو محمد سهل بن هارون بن راهبون ، قال عنه ابن النديم في « الفهرست » : « كان متحققاً بخدمة المأمون ، وصاحب خزانة الحكمة له ، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب » . توفي سهل سنة 215 هـ .

ربما يثقل الجليس وإن كما ن خفيفاً في كفة الميزان (14)
ولقد قلت حين وتد (15) في البيتِ ثقيل أربى على شهلان (16)
كيف لا تحمل الأمانة (17) أرض ؟ حملت فوقها أبا سفيان
وكان له صديق يستقل ، اسمه هلال ، فقال لبشار يوماً يمازحه : يا أبا
معاذ ، إن الله لم يذهب بصر أحدٍ إلاّ عوضه منه شيئاً ، فما عوضك ؟ قال :
الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : أن لا أراك ولا أرى أمثالك من
الثقلاء ، ثم قال : يا هلال ، تطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ،
قال : إنك كنت تسرق الحمير زماناً ، ثم تبت وصرت رافضياً ، فعد ،
والله ، إلى سرقة الحمير ، فهي والله ، خير لك من الرفض ، وفي هلال هذا
يقول بشار (18) :

وكيف يخف لي بصري وسمعي وحوالي عسكران من الثقال
قعوداً عند دسكرتي (19) وداري كأن لهم عليّ فضول مـال

- (14) الأبيات منسوبة إليه في « عيون الأخبار » (1 : 310) وفي « ديوان المعاني » (1 : 189) وفي « العقد الفريد » (1 : 223) والأول والثالث منها في « الأغاني » (3 : 187).
- (15) ثبت كما يثبت الوتد في الأرض إذا ضرب بالمرزبة .
- (16) في «معجم ما استعجم » : « شهلان بفتح أوله وإسكان ثانيه على بناء فعلان ، وهو جبل باليمن ، ولضخم هذا الجبل تضرب به العرب المثل في الثقل فتقول : أثقل من شهلان » . وذكره الفرزدق في شعره فقال :
- فادفع بكفك إن أردت بناهنا شهلان ذو الهضبات لا يتحلحل
- (17) يشير إلى قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) .
- (18) الخبر مع الأبيات في « أغاني الأصفهاني » (3 : 167 - 168) والأبيات في « ديوانه » بتحقيق بدر الدين العلوي .
- (19) في الطبعة الفاسية المنقول منها هذا الباب : « سكرتي » فأصلحناها نقلاً عن الأغاني والديوان ، والدسكرة جاء بمعانيها صاحب « القاموس » فقال : « الدسكرة القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، أو بناء كالقصر حوله بيوت » .

إذا ما شئت جالسني هلال وأي الناس أثقل من هلال ؟

وقال الحمديّ (20) : بعث إلي أحمد بن حرب المهلي في غداة غيم
فأتيته وعنده عجاب المغنية ، فلما أكلنا أخذنا في الشراب والغناء ، فمرت لنا
أطيب ساعة فقال ابن حرب : اللهم اكفنا ثقيلاً ينغص ، فما تم قوله حتى
دق الباب ففتح فدخل رجل آدم ضخم ، فلم يدر كيف يسلم ، ولا بم
يتكلم ، وخطا فعر في قدح فكسره ، فلما رأيت ما حل بنا أخذت القلم
والقرطاس وكتبت :

كدر الله عيش من كدر العيش وقد كان صافياً مستطابا
جاءنا والسماء تهطل بالغياث وقد طابق السماع الشرابا
كسر الكأس وهي كالكوكب الدرري ضمت من المدام لعابا
قلت لما رُميت منه بما أكد ره والدهر (21) ما أفاد أصابا
عجل الله نقمة لابن حرب تدع الدار بعد شهر خرابا

وألقيتها إلى ابن حرب فلما قرأها قال : ويحك ألاّ نقصت ؟ فقلت :
بعد حول فقلت : ما أردت أن أقول : إلاّ بعد يوم ، ولكنني خفت أن
تصيبني معكما الصيحة ، ففطن الثقيل فنهض ، فقال لي ابن حرب : آذيته ،
فقلت : هو آذاني أولاً ، والبادي أظلم ، ثم قال : لعمرى لئن أساء في
قدومه وإقدامه ، لقد أحسن في نهوضه وقيامه .

(20) هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمديّ ، ونسبته بالحمديّ إلى جده هذا . شاعر عبّاسي ظريف
اشتهرت أشعاره في طليسان ابن حرب وروثها عدة مراجع أدبية ، والحكاية هذه أوردها
الحصري في « زهر الآداب » (2 : 1045-1046) بتحقيق البجاوي .

(21) في الطبعة الفاسية : « الدار » وهو خطأ صوابه : « الدهر » كما جاء في « زهر الآداب » .

واستأذن بعض الثقلاء على ابن المبارك فلم يأذن له ، فكتب إليه ذلك
الثقيل :

هل لدي حاجة إليك سبيل ؟ لا طويل قعوده بل قليل

فأجابه ابن المبارك :

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل وقليل من الثقيل طويل

وذكر ثقيل عند بعض الأذكيا فقال : هو ثقيل السكون ، بغيض
الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة ، كأنه ثقل الدين ، ووجع العين ، وما
أحقه بقول القائل (22) :

ثقيل يطالعا من أمم إذا سره رغم أنفي ألسم
لنظرته (23) وخزة في القلوب كوخز المحاجم في الملتزم
أقول له إذ أتى لا أتى (24) ولا حملته إلينا قدم :
عدمت (25) خيالك لا من عمى وسمع (26) كلامك لا من صمم

ووصف آخر ثقيلاً فقال : هو بين الجفن والعين قداة ، وبين القدم

(22) هو أبو نواس الشاعر العباسي الشهير ، والأبيات في «ديوانه» بتحقيق أحمد عبد المجيد
الغزالي (القاهرة 1953) وفي «عيون الأخبار» (1 : 310) بدون نسبة ، وفي
«أماي القالي» (2 : 103) غير منسوبة كذلك ، وجاء بها صاحب «العقد الفريد»
(2 : 296) معزوة إلى أبي نواس .

(23) كذا في «أماي» وفي «عيون الأخبار» ، وفي «الديوان» : «لطلعت» .

(24) كذا في «أماي» ، وفي «الديوان» ، وفي «العقد الفريد» : «إذ بدا لا بدا» أما رواية
«عيون الأخبار» فجاءت هكذا : «إذ بدا طالماً» .

(25) كذا في «أماي» ، أما رواية «عيون الأخبار» و«العقد الفريد» و«الديوان» فهي : «فقدت» .

(26) في «عيون الأخبار» : «وأذني» وفي «العقد الفريد» : «وصوت» ومثله ما في «الديوان» .

والنعل حصاة²⁷ ، ما أشبه طلعتة إلا²⁸ بوقت الفراق ، أو كتاب الطلاق ، أو
طلعة الرقيب ، أو موت الحبيب :

مشمول²⁹ بالبغض لا تشني إليه طوعاً لحظة الرامق (27)
يظلّ في مجلسنا قاعداً أثقل من واش على عاشق

وذكر عند العباس بن الحسن العلوي ثقیل یسمى أبا عمار فقال له :
ما الحمام على الاضرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وشدة السقم في الأسفار ،
بأثقل على النفس من طلعة أبي عمار ، وأنشد :

تحمل منه الأرض أضعاف ما يحمله الحوت من الأرض

وقال بعضهم (28) في صفة ثقیل : هو أثقل من داء بلا علة ، وأبغض
من خراج بلا غلة ، قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين
إلى ذات الشمال ، يحكي ثقل الحديث المعاد ، على القلوب والأكباد ، وإذا
نظرت إلى مشيته أنشدت :

ثقیل براه الله أثقل من برا فقي كل قلب بغضة منه كامنه
مشى فدعا من ثقله الحوت ربه
وقال : إلهي ، زیدت الحوت (29) ثامنه

(27) الشعر لأبي هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزومي قال عنه عبد الله بن المعتز في كتابه
« طبقات الشعراء » : « أبو هفان ، من المشهورين المذكورين ، وشعره موجود بكل
مكان ، وهو أحد غلمان أبي نواس ورواته » . وفي كتاب « الفلاحة والمفلكون »
أزه توفي سنة 255 هـ . والبيتان في « زهر الآداب » للحصري (2 : 136) وفي « بهجة
المجالس » (1 : 734) .

(28) الخبر في « الأمالي » (2 : 103) .

(29) كذا في الطبعة الفاسية وهو خطأ صوابه : « الأرض » .

وقول أبي عمار بل عبد الله بن خلف في صفة ثقيل (30) :

وثقيل أشد من ثقل المو ت ومن شدة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم لما كان سواه عقوبة للجحيم

ولابن عطاء الصنهاجي :

ليس من الناس ولكنه يحسبه الناس من الناس
أثقل في أنفص أصحابه من جبل راس على راس

وقال آخر (31) وبالغ :

يا رحمة الله على آدم رحمة من عمّ ومن خصصا
لو كان يدري أنه خارج مثلك من إحليله لاختصي

وقال آخر مثله :

لو كان آدم عالماً غيباً بأن ستكون من أولاده فيما غير
لأبان حقاً بالطلاق ثلاثة وأبى لأجلك أن يكون أبا البشر

(30) في « أمالي القاضي » (2 : 193) : « وأنشدنا عبد الله بن خلف :

وثقيل أشد من ثقل المو ت البيتين »

(31) هو أبو نواس ، وللشعر حكاية أوردتها العباسي في « معاهد التنصيص » (1 : 91) فقال :

« حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عالياً يطلبون هلال الفطر ، وكان سليمان ابن أبي سهل في عينه سوء ، فقام أبو نواس بإزائه ثم قال : يا أبا أيوب ، كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا تراني من قرب ؟ فقال له سليمان : قد رأيتك تمشي القهقري حتى تدخل في رحم جليان يعني أمه ، فأحفظ ذلك أبا نواس فقال في سليمان :

قل لسليمان وما شيمتي أن أهدي النصح له مخلصا

ما أنت بالحر فألحي ، ولا بالعبد أستعبه بالعصا

فرحمة الله البيتين » .

وقول الآخر ، ويقال : إنها ما قرئت على ثقيل إلا ارتحل (32) :

يا مبرماً أهدي حمل	خذ وارتحل ألف جمل
قال : وما أحملها (33)	قلت : زبيب وعسل
قال : ومن يقودها ؟	قلت له : ألف بطل (34)
قال : وما سلاحهم ؟	قلت : سيوف وأسل
قال : وما لباسهم ؟	قلت : حلي ^ة وحلل (35)
فقال : ملك لي إذن ؟	قلت : نعم إن ترتحل
قال : فهل أبرمتكم ؟	قلت له : الأمر جلل
قال : وهل أثقلتكم ؟	قلت له : فوق الثقل (36)

(32) الأبيات من قصيد أوردته ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (2 : 298) قائلا : «أهدي رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء حملاً ، ثم نزل عليه حتى أبرمه فقال فيه» .

(33) في «العقد» : «وما أوقارها» .

(34) في «العقد» : «ألفا رجل» وبعده :

قال : ومن يسوقها ؟ قلت له : ألفا بطل

(35) في «العقد» بعد هذا البيت :

قال : عييد لي إذن ؟ قلت : نعم ثم خول

قال : بهذا فاكتبوا إذن عليكم لي سجل

قلت له : ألفي سجل فاضمن لنا أن ترتحل

قال : وقد أضجرتكم ؟ قلت : أجل ثم أجل

(36) تمام القصيد كما جاء في العقد :

«قال : فإني راحل قلت : العجل ثم العجل

يا كوكب الشؤم الذي أربى على نحس زحل

يا جبلا من جبل في جبل فوق جبل»

وقال البهاء المهلبي (37) :

وجاهل طال بسه عنائي كأنه الأشهر من أسمائي
أخرق ذو بصيرة عمياء لا يعرف المدح من الهجاء
أفعاله الكل بلا استواء أقبح من وعد بلا وفاء
ومن زوال النعمة الحسناء أبغض للعين من الأقداء
أثقل من شماتة الأعداء فهو إذا رآته عين الرائي
أبو معاذ (39) وأخو الحسناء

ومطيع بن إياس (40) قال :

قل لعباس أجبنا يا ثقیل الثقلاء
أنت في الصيف سموم وجليسد في الشتاء

وللساحب بن عباد (41) :

(37) ترجمه الخلكاني في « وفياته » فقال : « أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي العتكي الملقب بهاء الدين الكاتب ، من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً ، ومن أكبرهم مروءة ، وشعره كله لطيف وهو كما يقال : « السهل الممتنع » . توفي البهاء زهير سنة 656 هـ . وله ديوان مطبوع .

(38) الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت سنة 1968 م .

(39) يريد الجبل ، وبالجبل كان يسمى والد الصحابة الجليل معاذ بن جبل ، وأما أخو الحسناء فهو صخر الذي شاعت فيه مراثيها ، يريد أن هذا الإنسان كرهه ثقیل .

(40) هو مطبوع بن إياس من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أحد السادرين الفاوین ، ومن أشكال والبة بن الحباب ، وحماد عجرد ، وأبان بن عبد الحميد اللاهقي ، قال عنه ابن المعتز في « طبقات الشعراء » : « ولطيع بن إياس شعر كثير في جميع الفنون ، وهو أحد الخلفاء المجان وكان صاحب نوادر » .

(41) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الملقب بالساحب وكافي الكفاة وزير البويهيين والأديب الكاتب الشاعر ولد سنة 326 وتوفي سنة 385 . هـ

تزلزلت الأرض زلزالها
مشى ذا الثقل على ظهرها
وأخرجت الأرض أثقالها
فماجت وقيل: انظروا ما لها (42)

وقال آخر :

إذا جلس الثقل إليك يوماً
فهل لك يا ثقل إلى خصال
أنتك عقوبة من كل باب
إلى مالي فتأخذهُ جميعاً
تنال ببعضها كرم المآب
وتتف لحيي وتدق أنفي
أحل لديك من ماء السحاب
وما في في من خرس وناب
على حال إلى شيب الغراب

وقال أبو نواس في الرقيب :

لسهم الجرح في فؤادي (43)
يوكل ناظريه بنا ويحكي
وذاك الجرح من عين الرقيب
ولو سقط الرقيب من الثريا
مكان الحافظين على الذنوب
ولو عمي الرقيب بغير شك
لصب على محب أو حبيب
لأبصر قلبه ما في القلوب

وله :

لاحظته فتبسماً
وبدا الرقيب فقلت : لا
وخلا المكان فسلما
سلم الرقيب من العمى

ولابن المعتز :

(42) البيتان في « يتيمة الثعالبي » (ج 3 ص 247) وفي ديوانه بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

(43) كذا جاء هذا الصدر في الطبعة الفاسية التي نقلنا عنها ، وهو مختل الوزن بالنقصان .

قد دنت الشمس للمغيب وحن شوقي إلى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم له حبيب بلا رقيب

قيل لأبي الحارث جميز (44) : ما تشتهي قال : القضاء على أعين
الرقباء وألسن الوشاة وأكباد الحساد .

وقال القاضي عمر بن الوردى (45) :

لي شهوتان أحب جمعهما لو كانت الشهوات مضمونه
أعناق عدالي (مدققة) (46) ومفاصل الرقباء (مدفونه) (47)

وقال غيره (48) :

قال لي عؤدي غداة رأوني (49) ما الذي تشتهي واجتهدوا بي
قلت مقلّي فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضيفت إليه كبِدُ حسود فقئت فوقها عيون الرقيب

آخر (50) :

(44) هو أحد أصحاب النوادر وأحد المضحكين الطيِّاب من أمثال مزبد ، وأشعب ، وأبي
دلامة ، له نوادر في « بخلاء الجاحظ » و« عيون الأخبار لابن قتيبة وفي « ثمار القلوب » للثعالبي .

(45) هو زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر المعري الكندي عرف بابن الوردى : فقيه
ومؤرخ وأديب وشاعر ، ولد بجمرة النعمان سنة 691 وتولى القضاء بمنبج وتوفي بحلب
سنة 749 هـ .

(46) يوجد البيتان في أشعاره التي طبعت مع مقاماته في الجوائب بالآستانة ضمن المجموعة رقم 11 .

(47) المدققة كلمة مولدة جعلت اسماً لنوع من الطعام ، وكذلك المدفونة لفظ مولد سمي به طعام
معروف .

(48) الأبيات في « معاهد التنصيص » (2 : 252) غير منسوبة .

(49) في « معاهد التنصيص » : « أتوني » .

(50) البيتان في « معاهد التنصيص » (2 : 252) غير منسويين .

غندي لكم يوم التواصل دعوة (51) يا معشر الندماء والجلساء
أشوي قلوب الحاسدين بها وأل سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال جحظة (52) :

يا لفظة (53) النعي بموت الخليل
يا شربة اليارج (54) يا أجرة الـ
يا نهضة المحبوب عن غضبة
ويا طيباً قد أتى باكراً
ويا كتاباً جاء من مخلف
يا بكرة الثكلي إلى حفرة
يا ردة (56) الحاجب عن قسوة
يا طلعة النعش ويا منزلاً
يا وقفة التوديع بين الحمول
متزل يا وجه العدو (55) الثقيل
يا نعمة قد آذنت بالرحيل
على أخي السقم بماء البقول
للوعد مملوءاً بعسندر طويل
مستودع فيها عزيز الثكول
يا نكسة من بعد برء العليل
أقفر من بعد الأئيس الخليل (57)

(51) في « معاهد التنصيص » : « فرجة » .

(52) في « زهر الآداب » : (1 : 442 - 443) بتحقيق البجاوي ما يأتي : « وقد أكثر
الناس في الثقلاء وأنا أستحسن قول جحظة ، وإن كان غيره قد تقدمه في مثله » . ثم أورد
الآبيات .

(53) في الطبعة الفاسية : « لعضة » بعين مهملة وضاد ساقطة فأبدلناها « لفظة » كما هي في
« زهر الآداب » .

(54) في « التاج » : « اليارج بفتح الراء : القلب بالضم والسوار ، كلاهما بمعنى واحد ،
فارسي معرب ، وهو من حلّى اليدين ، والإيارجة بالكسر وفتح الراء دواء معروف كما
في اللسان ، وهو معجون مسهل للأخلاط ، وهو على أقسام ثلاثة مذكورة في كتب الطب ،
ليس هذا محل ذكرها . جمع إيارج بالكسر وفتح الراء ، فارسي معرب أياره ، وتفسيره
الدواء الإلهي » .

(55) في « زهر الآداب » : « العنول » بدله .

(56) في الفاسية : « يادارة » صوابه : « ياردة » كما هو في « زهر الآداب » .

(57) في الفاسية : « الخليل » وفي « زهر الآداب » : « الخلول » .

يا شوكة في قدم رخصة ليس إلى إخراجها من سبيل (58)

وجحظة هنا من ولد يحيى بن خالد بن برمك ، واسمه أحمد بن جعفر
وسماه ابن المعتز (59) جحظة (60) لجحوظة في عينيه ، وكان قبيح الوجه
طيب الغناء ، وفيه يقول ابن الرومي :

نبئت جحظة يستعير جحوظه^١ من فيل شطرنج ومن سرطان
يا رحمة لمناديه تحملوا ألم العيون للذة الآذان (61) [

له الأمر من قبل ومن بعد

(58) زادت رواية « الزهر » بيتين هما :

يا وثبة الحافظ مستعجلا بصرفه القينات عند الأصيل
يا معشر المجنوم في رحله ويا صعود السمر عند المعيل

(59) في الطبعة الفاسية « المعز » وهو خطأ .

(60) في « إرشاد الأريب لياقوت » (ج 2 ص 242) : « قال أبو عبد الله الحسن بن علي بن

مقلة : سألت جحظة عن لقبه بهذا اللقب فقال : ابن المعتز ، لقبني يوماً فقال لي : ما حيوان

إذا قلب صار آلة للبحرية ؟ فقلت : علق ، إذا عكس صار قلماً ، فقال : أحسنت يا

جحظة ، فلزمني هذا اللقب » . وفي « وفيات الخلكاني » (ج 1 : ص 116) : « وجحظة

يفتح الجيم ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح الظاء المعجمة ، وبعدها هاء ، وهو لقب

عليه ، لقبه به عبد الله بن المعتز » .

(61) هنا انتهت الزيادة التي أشرنا إليها سابقاً .

باب

وهذه نبذة في الأوليات (1) مما علق بفكري في الوقت : أول نبي ورسول آدم عليه السلام ، وهو أول من بنى ، وأول من اتخذ الحرث والحياكة وأمور النساء والنسل مما يكثر عنده . أول قاتل قابيل ، أول مقتول هابيل ، أول رسول إلى أهل الأرض أي كل من في الأرض من الناس المختلفين نوح عليه السلام ، وبما ذكرنا يظهر الفرق بينه وبين آدم ، فإن آدم أرسل إلى أولاده ، وهم وإن كثروا بنو رجل واحد ، وهو أول من عمل السفينة ، وأول من هلك قومه بعصيانه .

أول من ظهر فيه سواد (2) الحلقة الكوش بن حام ، وهو جده السودان ،

(1) من فروع علم التاريخ فرع يسمونه : « علم الأوائل » وهو الذي عرف به حاجي خليفة في « كشف الظنون » فقال : « هو علم يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب ، وهذا العلم من فروع علم التواريخ والمحاضرات ، لكنه ليس بمذكور في كتب الموضوعات ، وقد ألحق بعض المتأخرين مباحث الأواخر إليه ، وفيه كتب كثيرة . وهم يؤرخون في هذا العلم أوائل الأشياء وبدايات الأعمال من أمثال قولهم : أول من قتل ، وأول من صنع آلة الطرب ، وأول من طبخ الأجر ، وأول من أنشأ الحمام ، وأول من عمل السفينة ، وما أشبه ذلك من الأوليات ، والسابق إلى هذا الفن من التاريخ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة 395 هـ بكتابه الذي سماه : « الأوائل » والذي قال في فاتحته : « وقد رأيت أكثر الخاصة وجل العامة لمجيبين بالسؤال عن أوائل الأعمال ، ومتدمات الأسماء والأفعال ، ولم يجدوا في ذلك كتاباً يجمع فنونها ، إلا نتفاً متفرقة في تضاعيف الصحف وابتداء الكتب ، فعملت كتابي هذا مشتملاً على هذا النوع من الأخبار ، وحاوياً لهذا الفن من الآثار . » وقد ذكر اليوسي في هذا الباب بعض ما دونه المؤلفون في كتب الأوائل .

(2) يزعم القصاصون والأخباريون أن حاماً واقع زوجته في السفينة فلما عليه نوح أن يغير الله نطقه فكان منه السودان، وتزعم يهود في أخبارها أن نوحاً شرب قانتشى حتى انكشف، =

وقيل : إنهم إنما اسودوا من حرارة بلدهم .

أول ملك قام في الأرض كيومرث (3) < قيل > (4) وهو ابن آدم لصلبه .

= فنظر حام منه إلى ما لا ينبغي فلعنه ، فبسبب من ذلك اسودت ألوان ذريته ، وفي خبر آخر عن يهود أن نوحاً لما هبط من السفينة نام فتعرى ، فنظر إليه حام وضحك منه ، فدعا عليه أن يسود الله نسله ، فكان ذلك ، وجاء منه السند والهند والأحباش والزنج وكوش والزغاوة والزط وسائر أجناس السودان ، وقد فند الخلدوني ذلك في « مقدمته » فقال : « وقد توهم بعض النسابين من لا علم له بطبائع الكائنات أن السودان هم ولد حام ابن نوح ، اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ، ظهر أثرها في لونه ، وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات » . وعلل ابن سينا اختلاف ألوان البشر في « أرجوزته » فقال :

بالزنج حر غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتست البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

ونفى أبو العلاء في « لزومه » أن يكون سواد حام من إثم اجتريحه فقال :

ومذهبي في البرايا كونهم شيعاً كالثلج والقار منه الجون والحلك

ما اسود حام لذنب كان أحدثه لكن سجية لون خطها الملك

(3) حكى المسعودي في « مروج الذهب » (ج 1 ص 220 - 222) من أخباره ما يأتي : « الفرس تجبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أنسابها ، ينقل ذلك باق عن ماض ، وصغير عن كبير ، أن أول ملوكهم كيومرث ، ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم أنه ابن آدم والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم - وهم الأقلون عدداً - أنه أصل النسل ، وينبوع الذرى ، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن آدم بن سام بن نوح ، لأن أميماً أول من حل بفارس من ولد نوح ، وكان كيومرث أكبر أهل عصره ، والمقدم منهم ، وكان أول ملك نصب في الأرض فيما يزعمون ، وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض ، وذكروا أن كيومرث أول من أمر بالسكوت عند الطعام ، وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا ، فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة ، وقيل دون ذلك ، والمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه من نبات الأرض وغير ذلك مما يفحش إرادته وما كان من خبره مع إبليس وقتله إياه » .

(4) كلمة « قيل » ساقطة من ح .

أول من سخرت له الخيل إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وقيل :
إنه أعطيها آدم قبل ذلك .

أول من بنى الكعبة إبراهيم - عليه السلام - وقيل : أول من بناها
شيث بن آدم .

أول من نطق بالعبرانية إسحاق بن إبراهيم - عليهما السلام - .

أول من بنى بالآجر فرعون - لعنه الله - .

أول من جمع العروبة وهي الجمعة كعب بن لؤي أحد أجداده صلى
الله عليه وسلم .

أول من نخضب بالسواد من العرب عبد المطلب بن هاشم .

أول من اتخذ العود للغناء لاملك والد نوح - عليه السلام - .

أول امرأة ثقت أذناها وخفضت وجرت ذيلها هاجر أم إسماعيل
- عليه السلام - .

أول من قال القريض والرجز يعرب بن قحطان .

أول جزية وقعت في الأرض أخذها أولاد جام من أولاد يافث ثم أجلاهم
أعني أولاد حام إلى بلاد المغرب يعرب المذكور .

أول من تتوج من ملوك العرب سبأ .

أول من سقف (5) البيوت بالخشب المنشور أميم (6) وكان ملكاً أبا قبيلة .

(5) قال المسعودي في « مروج » : « ذكر جماعة من أهل السير والأخبار أن جميع من ذكرنا
من هذه القبائل (يريد : يعرب وجرهما وعادا وثمود وطسماً وجديساً الخ) كانوا أهل
خيم وبلدوا مجتمعين في مساكنهم من الأرض وأن أمياً أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان .

وقطع الأشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح » . « مروج الذهب » : (ج 2 : ص 144) .
(6) قال القلقشندي في كتابه : « نهاية الأرب » ، في معرفة أنساب العرب » (ص 82) : =

قال المعري (7) :

يراه بنو الدهر الأخير بحاله كما أبصرته جرهم وأمميم

أول من كسا البيت الحرام بالديباج الحجاج ، وقيل : عبد الله بن الزبير ،
وقيل : قتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب .

أول ميت بعد الهجرة وأول من صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ،
وأول من دفن بالبقيع أسعد (8) بن زرارة - رضي الله عنه - وقيل أول منه
إلى الموت كلثوم بن الهدم (9) .

أول من قال أما بعد قس بن ساعدة الإيادي . وقيل غيره وقال القائل :

[جرى الخلف (أما بعد) من كان بادئاً بها عد أقوام وداوود أقرب
ويعقوب أيوب الصبور ونافع وقس وسحبان وكعب ويعرب (10)]

أول سورة أنزلت : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وقيل : (يَا أَيُّهَا
الْمُذْتَبِرُ) (11) وأولية الأولى بحسب النبوة والثانية بحسب الرسالة .

= « بنو أميم : قال السهيلي : بضم الهمزة وفتح الميم على الأكثر ويفتح الهمزة وكسر الميم :
قبيلة من العرب العاربة البائدة غلب عليهم اسم أبيهم فقيل : أميم وهو أميم بن لاوذ
ابن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم » .

(7) البيت من قصيدة مقطعية مطلعها :

عظيم لعمرى أن يلم عظيم بآل علي ، والأنام سليم

يخاطب بها بعض العلويين ، وكان قد عرضت له علة فاعتذر إليه في ترك عيادته وقبله :

فليتك للأفلاك نور مخلد يزول بنا صرف الردى وتدموم

(8) في الطبعة الفاسية : « سعد » بدون الهمزة وهو خطأ .

(9) هو بكسر الهاء وبسكون الدال المهملة كما في الإصابة (ج 3 : ص 305) .

(10) ما بين العلامتين زيادة من الطبعة الفاسية .

(11) في ك و في س : « أو أولية » مع أو التي للتفريق والتقسيم ، وبها يستقيم الكلام .

أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من الرجال <الصرحاء> (12)
أبو بكر [الصديق ولذلك سمي صديقاً - رضي الله عنه] (13) - ومن
النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان علي - رضي الله
عنه وعن جميعهم - .

أول جمعة صليت في المدينة قبل الهجرة صلاها المصعب بن عمير
وأصحابه - رضي الله عنهم - .

وأول جمعة صليت في غير المدينة في جوائى (14) : قرية بالبحرين .

وأول من رمى بسهم في سبيل الله سعد بن أبي وقاص الزهري - رضي
الله عنه - .

أول غنيمة حصلت غير عمرو بن الحضرمي ، وهو أول مقتول على الكفر .

أول متبارزين في الجهاد حمزة وعلي وعبيدة مع أقرانهم من المشركين ،
وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وقيل : إنه فيهم نزلت :
(هَذَا أَنْ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) .

أول مولود في الإسلام عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - .

(12) ما بين العلامتين ساقط من ك ومن ح .

(13) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(14) في « معجم ما استعجم » للبكري : « جوائى بضم أوله وبالطاء المثلثة على وزن فعالي مدينة بالبحرين لعبد القيس » وفي « معجم البلدان » لياقوت : « جوائى بالضم وبين الألفين ثاء مثناة يمد ويقصر : حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة 12 هجرة » .

- أول الخلفاء في هذه الملة أبو بكر - رضي الله عنه - .
- أول الملوك فيها معاوية - رضي الله عنه - .
- أول من كتب بالعربية إسماعيل - عليه السلام - .
- أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز حرب بن أمية وقيل :
سفيان بن أمية .
- أول من جمع القرآن في الصحف أبو بكر .
- أول من جمعه في المصاحف عثمان - رضي الله عنه - .
- أول من تكلم في فن الإعراب أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - .
- أول من جمع الحديث إمامنا مالك - رضي الله عنه - .
- أول من هذب علم أصول الدين وحصله أبو الحسن علي بن إسماعيل
الأشعري - رضي الله عنه - .
- أول من اتخذ ركاب السرج من حديد المهلب بن أبي صفرة .
- أول من أدخل علوم الأوائل في هذه الملة المأمون العباسي .

لله الأمر من قبل ومن بعد

بَاب

وهذه نبذة من المواعظ والوصايا ، فمن ذلك ما يروى حديثاً نحو قوله صلى الله عليه وسلم :

« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ (1) النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَاجَرَ (2) الْخَطْبَايَا وَالذَّنُوبَ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . »

وقوله عليه السلام لعبد الله بن عمر :

« اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ . »

وقوله :

« مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ

(1) كذا بصلب الأصل وفي طرتها : « استأمنه » وعليه خاء ، وفي صلب ك : « آمن منه » وفي

طرتها : « آمنه » بخط ناسخها وكتب عليها خاء منه لفظ : « صحح » وعلى طرتها أيضاً :

« ائتمنه » ورسم عليها خاء يعني نسخة أخرى وفي س : « آمن منه » وفي ح : « ائتمنه » .

(2) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س أما ح ففيها « هجر » .

مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُنْفِذًا (3) أَوْ مَوْتًا مُجْهَزًا ، أَوْ الدَّجَالَ ،
وَالدَّجَالَ شَرُّ غَائِبٍ <يُنْتَظَرُ> (4) أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةَ أَدْهَى
وَأَمْرٌ .

وقوله :

« عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبَبُ مَنْ (5) شِئْتَ فَإِنَّكَ
مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ . »

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحْبِبَكَ اللَّهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ
يُحْبِبُكَ النَّاسُ . »

وقوله :

« لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ مَالِهِ إِلَّا مَا أَكَلَ فَأَنْتَى ، أَوْ لَبِيسَ
فَأَبْلَى ، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى . »

ومن كلام الصديق رضي الله عنه :

« الموت أهون ما بعده وأشد ما قبله . »

(3) كذا بالأصل فإن صحت الرواية به كان من الإنفاد الذي هو الإفناء والإذهاب ، ومثله
في س أمالك وح فقيهما : « مفنداً » وهو من الفتد الذي هو الحرف وضعف العقل من هرم
أو مرض تقول : فتدته تفتيداً وأفتدته إفتاداً إذا عجزته أو كذبه أو خطأت رأيه .

(4) ما بين العلامتين ساقط من ح .

(5) في ح : « ما » بدل : « من » .

وقوله :

« ثلاثة (6) من كن فيه كن عليه : البغي والتكث والمكر » .

وقوله :

« إن الله تعالى قرن (7) وعده بوعيده ليكون العبد راغباً راهباً » .

ومن كلام الفاروق رضي الله عنه يخاطب ابنه عبد الله :

« أما بعد ، فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن استقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حِسْبَةَ (8) له ، ولا جديد لمن لا خلق له » .

وقوله في بعض خطبه :

« أيها الناس ، خاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإنه أيسر لحسابكم ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتجهزوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

ومن كلام علي كرم الله وجهه في بعض وصاياه :

(6) كذا بالأصل ومثله في ك أما س وح ففيهما : « ثلاث » .

(7) في ك وحدها : « أقرن » .

(8) كذا بالأصل ، وهو من الاحتساب الذي فسره الفيومي في « مصباحه » فقال : « واحتسب الأجر على الله ادخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا ، والاسم الحسبة بالكسر » . وفي ك وس وح جميعاً : « حسنة » بالنون .

« لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل بعمل الراغبين ، إن أعطي لم يشبع ، وإن منع (9) لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهى ، ويأمر بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت بسببه ، إن مرض ظل نادماً ، وإن صح أمن لاهياً ، يعجب بنفسه إذا عوفي ، ويقنط إذا ابتلي ، تغلبه نفسه على ما يظن ، و <لا> (10) يغلبها على ما يتيقن (11) ، ولا يثق بما ضمن له ، ولا يعمل بما فرض عليه ، إن استغنى بطرِ وفتن ، وإن افتقر قنط وحزن ، يخاف الموت ، ولا يبادر الفوت ، يطاع فيعصي ، ويستوفي ولا يوفي . »

وقوله أيضاً يخاطب سلمان رضي الله عنهما :

« إنما مثل الدنيا كمثل (12) الحية ، لَيِّنٌ مَسَّهَا ، قَاتِلٌ سَمَّهَا ، فأعرض عما يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها ، وكن أسرّاً ما تكون فيها أحذرَ ما تكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور ، أشخصه عنه مكروه ، وإن ركن منها إلى إيناس ، أزاله عنه إيجاش » (13) .

[وجمع (14) بعضهم حكمه رضي الله عنه على حروف المعجم .

- (9) في ك وحدها : « متع » بالتاء بدل النون .
(10) ما بين العلامتين ساقط من الأصل فأضفناه إليه نقلاً عن ك و س و ح والمعنى في الكلام عليه .
(11) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س وفي ح وحدها : « تيقن » بصيغة الماضي .
(12) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س وفي ح وحدها : « كالحية » .
(13) في س وحدها : « أنجاس » وهو تصحيف ينبه عليه السياق .
(14) ما بين المعقفين لا يوجد في المخطوطات الثلاث ، وهو في الطبعة الفاسية ، وعننا أخذناه ، وعليها طبعناه .

حرف الألف

- . إيمان الرجل يعرف بأيمانه .
- . أخوك من واساك بالشدة .
- . إظهار الغنى من الشكر .
- . أداء الدين من الدين .
- . أدب المرء خير من مذهبه .
- . أدب عيالك تنتفع بهم .
- . إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب .
- . أحسن إلى المسيء تسدّه .
- . إخفاء الشدائد من المروعة .
- . آفة الإنسان ، من اللسان .
- . الإسراف مذموم إلا في البرّ .
- . العلم يرفع الوضيع .
- . الإنسان ، عبد الإحسان .
- . العاقل يترك ما يحبّ فيستغني عن علاج ما يكره .
- . الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .
- . النصيح بين الملأ تقرّيع .
- . إذا تمّ العقل نقص الكلام .
- . أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة .
- . الحرمان مع الحرص .
- . الحاسد مغتاض على من لا ذنب له .
- . السعيد من وعظ بغيره .
- . الإحسان ، يقطع اللسان .
- . الشرف بالعقل والأدب ، لا بالأصل والحسب .

- إذا أفلسم فأقرضوا الله بالصدقة .
- إذا حل القدر ، بطل الحذر .
- إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً لقدرتك عليه .
- الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .
- المرء مخبوء تحت طي لسانه ، لا تحت طيب لسانه .
- الجزع عند البلاء تمام المحنة .
- المرء عدو ما جهله .
- إعادة الاعتذار تذكير للذنوب .
- الشفيع جناح الطالب .
- أحسن المكارم الجود .
- أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه .
- أحسن العدل نصرة المظلوم .
- أفضل الناس السخي المؤمن .
- السامع للغيبة أحد المغتابين .
- الأدب صورة العقل .
- القلب إذا أكره عمي .
- العداوة شغل شاغل .
- الراحة مع اليأس .
- أكرم الأدب حسن الخلق .
- أكبر الفقر الحمق .
- أوحش الوحشة العجيب .
- أغنى الغنى العقل .
- احذروا نفار النعم فما كل شارد بمرود .
- أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .

الطامع في وثاق الذل .
إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تُنْفَرُوا أقصاها بقلة الشكر .

حرف الباء

البخيل مستعجل الفقر لنفسه ، يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .

بشر مال البخيل بمحادث أو وارث .

بشر نفسك بالظفر مع الصبر .

بالبر ، يستعبد الحر .

بر الوالدين سلف .

بع الدنيا بالآخرة تريح .

بكاء المرء من خشية الله قرّة عين .

بركة المال في أداء الزكاة .

باكر تسعد .

باكر السبت والحميس تغم .

بركة العمر في حسن العمل .

بشاشة الوجه عطية ثانية .

بلاء الإنسان ، من اللسان .

بِرِّكَ لا تبطله بالمنة .

حرف التاء

توكل على الله يكفك .

تأخير الإساءة من الإقبال .

تدارك في آخر عمرك ما فاتك في أوله .
تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان .
تفاعل بالخير تنلته .
تأكيد المودة في الحرمة .
تغافل عن المكروه تظفر بترك الذنوب .
تراحم الأيدي على الطعام بركة .
تواضع المرء بكرمه .
توقير الأكابر من الأدب .

حرف الثاء

ثلاث مهلكات : بخل وهوى وعجب .
ثلث الإيمان حياء ، وثلثه عقل ، وثلثه جود .
ثلمة الدين موت العلماء .
ثلمة الحرص لا يسدها إلا التراب .
ثني (كذا) إحسانك بالاعتذار .
ثوب السلامة لا يبلى .
ثبات الملك في العدل .
ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا .
ثبات النفس بالعدل (كذا) .
ثبات الروح بالغنى (كذا) .
ثناء الرجل على معطيه مستريد (كذا) .
ثلاث خصال من لم تكن فيه لا خير فيه : دين يرشده ، أو حياء يردعه ،
أو خوف يمنعه .
ثلاث من السعادة : سلامة الدين ، وسلامة البدن ، وسلامة الدنيا .

حرف الجيم

- جد بما تجد .
- جهد المقل كثير .
- جمال المرء في الحلم .
- جليس السوء شيطان .
- جولة الباطل ساعة ، وجولة الحق إلى الساعة .
- جودة الكلام في الاختصار .
- جليس الخير غنيمة .
- جليس المرء مثله .
- جالس الفقراء تزدد شكراً .
- جد بالكثير واقنع بالقليل .

حرف الحاء

- حلم المرء عونه .
- حسن الخلق غنيمة .
- حلي الرجال الأكب ، وحلي النساء الذهب .
- حدة المرء تهلكه .
- حرفة المرء كتزه .
- حياء المرء ستره .
- حرقه الأولاد ، محرقه الأكباد .
- حرم الوفاء على من لا أصل له .
- حموضات الكلام ، خير من حموضات الطعام .

حرف الخاء

- خَفَّ اللهُ تَأْمَنَ غَيْرَهُ .
- خَالَفَ نَفْسَكَ تَسْرَحَ .
- خَيْرَ الْأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الْخَيْرِ .
- خَلِيلُ الْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ .
- خَوْفُ اللَّهِ يَجْلِي الْقُلُوبَ .
- خَلَوُ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ (كَذَا) الْكَيْسِ .
- خُلُوصُ الْوَدِّ ، مِنْ حَسَنِ الْعَهْدِ .
- خَيْرُ النِّسَاءِ الْوَلُودُ الْوَدُودُ .
- خَيْرُ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
- خَابَتْ صَفْقَةٌ مِنْ بَاعِ الدِّينِ بِالْدُنْيَا .

حرف الدال

- دَوَامُ السُّرُورِ بِرِ الْإِخْوَانِ .
- دَوْلَةُ الْأَرْدَالِ ، آفَةُ الرِّجَالِ .
- دَارٌ مِنْ جَفَاكَ تَنْجِلُهُ .
- دَوَاءُ الْقَلْبِ الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ .
- دَارُ الظَّالِمِينَ خَرَابٌ .
- دِينَارُ الْبَخِيلِ حَجَرٌ .
- دَوْلَةُ الْمُلُوكِ الْعَدْلُ .
- دَمٌ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ تَحْمَدُ عَاقِبَتَكَ .

حرف الدال

- ذم الشيء من الاشتغال به .
- ذنب واحد كثير وألف حسنة قليلة .
- ذكر الأولياء ينزل الرحمات .
- ذكر الظالمين في طغيانهم .
- ذل المرء في الطمع .
- ذليل الفقر عند الله عزيز .
- ذكر الشباب حسرة .
- ذكر الموت جلاء القلب .
- ذكر الثناء خسارة (؟)

حرف الراء

- راع أباك يراعك ابنك .
- رتبة العلم أعلى الرتب .
- رزقك يطلبك فاسترح .
- راع النفس عند غلبات الحمق .
- رؤية الحبيب جلاء العين .
- رفاهية العيش في الأمن .
- رسل الموت الولادة .
- رواية الحديث نسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- رفيق المرء دليل عقله .
- راع الحق عند غلبات النفس .
- رعونات النفس تتبعها (كذا) .

حرف الزاي

- زر المرء على قدر إكرامه لك .
- زيارة الضعفاء من التواضع .
- زيارة الحبيب تطري المحبة (كذا) .
- زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا .
- زلة العالم كبيرة .
- زينة الباطن خير من زينة الظاهر .
- زهد العامي مضلة .
- زن الرجال بموازينهم .
- زحمة الصالحين رحمة .
- زوال العلم بموت العلماء .
- زكاة السلطان إغاثة الملهوف .
- زيارة المحبوب تزيد المحبة .

حرف السين

- سرورك بالدنيا غرور .
- سيرة المرء تنبيء عن سريرته .
- سلامة الإنسان ، في حفظ اللسان .
- سادة الأمة الفقهاء .
- سوء الخلق وحشة لا خلاص منها .
- سكرة الأحياء سوء الخلق .
- سلاح الضعفاء الشكاية .

حرف الشين

- شيبك ناعيك .
- شرط الألفة ، ترك الكلفة .
- شفاء الجنان ، قراءة القرآن .
- شر الناس من تتقيه الناس خوفاً من شره .
- شحيح غني أفقر من فقير سخي .
- شر الأمور أقربها من الشر .
- شمر في طلب الجنة .
- شح الغني عقوبة .
- شمة (كذا) من المعرفة خير من كثير من العلم .

حرف الصاد

- صدق المرء نجاته .
- صحة البدن الصوم .
- صاحب الأخيار تأمن من الأشرار .
- صلاح الدين في الورع ، وفساده في الطمع .
- صبرك يورثك الظفر .
- صلاح البدن في السكون .
- صلاة الليل بهاء في النهار .
- صلاح الإنسان ، في حفظ اللسان .
- صمت الجاهل يستره .
- صل الأرحام يكثر حشمك .

صحبة الأحمق عذاب الروح .
صحبة الأشرار ، توجب سوء الظن بالأخيار .

حرف الضاد

ضل من عاشر الأشرار .
ضل من باع الدين بالدنيا .
ضرب اللسان ، أشد من ضرب السنان .
ضاقت الدنيا على المتباغضين .
ضمن الله رزق كل أحد .
ضرب الحبيب أوجع .
ضياء القلب من أكل الحلال .
ضيق القلب أشد من ضيق اليد .
ضاق صدر من ضاقت يده .
ضادوا الشر بالخير .

حرف الطاء

طاب وقت من وثق بالله تعالى .
طال عمر من قصر أمله .
طلب الأدب ، خير من طلب الذهب .
طوبى لمن رزق العافية .
طول العمر مع العافية من خلع الأنبياء عليهم السلام .
طال عمر من قصر تعبته .
طوبى لمن لا أهل له .

- طاعة العدو هلاك .
- طاعة الله غنيمة .
- طلاق الدنيا مهراً الجنة .

حرف الظاء

- ظلم الظالم يقوده إلى الهلاك .
- ظماً المال أشد من ظماً الماء .
- ظلم المرء يصرعه .
- ظلامه المظلوم لا تضيق .
- ظل الأعوج أعوج .
- ظل السلطان كظل الله .
- ظلمة الظالم تظلم الإيمان .
- ظل الظالم قصير .
- ظل الكريم فسيح .
- ظل الملوك (كذا) أسهل من ذلال الرعية (كذا) .

حرف العين

- عش قانعاً تكن ملكاً .
- عيب الكلام تطويله .
- عاقبة الظلم وخيمة .
- عدو عاقل خير من صديق أحمق .
- علو الهمة من الإيمان .
- عز من قنع .

- عسر المرء مقدمة اليسر .
- عليك بالحفظ دون الجمع من الكتب .
- عقوبة الظالم سرعة الموت .

حرف الغين

- غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله .
- غشك من أسخطك بالباطل (كذا) .
- غم من سلم .
- غلت قدور المتوكلين .
- غمرة الموت أهون من مجالسة من لا تهوى .
- غاب حظ من عاب نفسه .
- غضبك من الحق مقبحة .
- غدرك من ذلك على الإساءة .
- غشك من أرضاك بالباطل .
- غنيمة المؤمن وجدان الحكمة .

حرف الفاء

- فاز من ظفر بالدين .
- فخر المرء بفضله ، أفضل من فخره بأصله .
- فاز من سلم من شر نفسه .
- فسدت نعمة من كفرها .
- فعل المرء يدل على أصله .

فرع الشيء يجبر عن أصله .
فكاك المرء بالصدقة .

حرف القاف

قول المرء مخبر عما في قلبه .
قول الحق من الدين .
قوة القلب من صحة الإيمان .
قاتل الحريص حرصه .
قرب الأشرار مضرة .
قسوة القلب من الشبع .
قلب الأحمق في فمه ، ولسان العاقل في قلبه .
قيمة كل امرئ ما يحسنه .
قرين المرء دليل دينه ،
قدر في العمل ، تنج من الزلل .
قدر المرء ما يهمله .

حرف الكاف

كلام الله دواء للقلب .
كفاك من عيوب الدنيا أن لا تبقى .
كفاك همّاً علمك بالموت .
كمال الجود الاعتذار معه .
كفى الحسود حسده .
كمال الحلم في الحلم .

- كفى بالشيب ناعياً .
- كفى بالسلامة داء .
- كثرة الإلحاح توجب المنع .
- كفران النعمة يزيلها .
- كلام الرجل ميزان عقله .
- كل قانع غني .
- كل حريص فقير .
- كفى بالظفر شفيحاً للمذنب .
- كثرة الوفاق نفاق .
- كثرة الخلاف شقاق .
- كافر سخى أرجى للجنة من مسلم شحيح .

حرف اللام

- ليس للحسود راحة .
- لين قلبك تحب .
- لبس الشهرة من الرعونة .
- لكل عداوة مصلحة إلاّ عداوة الحسد .
- ليس الشيب من العمر .
- لين الكلام قيد القلوب .
- ليس لسلطان العلم زوال .
- لكل ظالم انتقام .
- لسانك يقتضيك ما عودته .
- لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .
- لكل مقام مقال .

حرف الميم

- من علت همته طالت همومه .
من كتم سره ، ملك أمره ، ومن كثر كلامه كثر ملامه .
من طلب شيئاً وجدّ وجد ، ومن قرع باباً وألح ولج .
مهلك المرء حدة طبعه .
ما هلك امرؤ عرف نفسه .
من عذب لسانه ، كثر إخوانه .
من عرف نفسه فقد عرف ربه .
من طلب ما لا يعنيه فاته ما يغنيه (كذا) .
من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه واستخفاف به .
من نظر اعتبر .
من أوتي في عجلته (كذا) قل حياؤه وبذ (كذا) لسانه .
من لانت أسافله صلبت أعاليه .
من كثر فكره في العواقب لم يشجع .
من أبدى صحيفته للحق هلك .
من جرى في عنان أمله ، عثر بأجله .
ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه .
من أحب قوماً حشر معهم .
مجلس العلم روضة من الجنة .
ما ندم من سكت .
مجلس الكرام حصون الكلام .
منقبة المرء تحت لسانه .
مجالسة الأحداث مفسدة الدين .

مشرب العذب مزدحم .
مصاحبة الأشرار ركوب البحر .

حرف النون

نور المؤمن قيام الليل .
نسيان الموت صدأ القلب .
نور قلبك بالصلاة في ظلم الليل .
نصرة الإنسان في الصدق .
نفاق المرء ذلة .
نعمة الجاهل كروضة في مزبلة .
نور مشيبيك لا تظلمه بالمعصية .
نار الحرقه أشد من نار جهنم .
نعيت إليك نفسك ، حين شاب رأسك .
نم آمناً تكن سالماً في أمهد الفرش .
نضرة الوجه في الصدق .
نيل المنى ، في الغنى .

حرف الهاء

همة السعيد آخرته ، وهمة الشقي دنياه .
هلاك المرء في العُجب .
هموم المرء يقلر همته .
هلك الحريص وهو لا يعلم .
هيهات من نصيحة العدو .

هربك من نفسك أشد من هربك من الأسد .
همة المرء قيمته .
هات ما عندك تعرف به .

حرف الواو

وهيم المرء بقدر همه .
وعد الكريم نقده .
ولاية الأحقق سريعة الزوال .
وضع الإحسان في غير محله ظلم .
وزر صدقة المنان أعظم من أجره .
وحدة المرء خير من جليس السوء .
والاك من لم يعادك .
واساك من تغافل عنك .
ويل للحسود من حسده .
ولي الطفل مرزوق .

حرف لام ألف

لا دين لمن لا مروءة له .
لا فقر للعاقل .
لا راحة للحاسد .
لا غم للقانع .
لا وفاء للمرأة .
لا كرامة للكاذب .

- لا حرمة للفاسق .
- لا ظفر مع البغي .
- لا صواب لمن ترك المشورة .
- لا كرم أعز من التقوى .
- لا داء أعمى من الجهل .
- لا مرض أعمى من قلة العقل .
- لا راحة للملول .
- لا عقل لمن لا أدب له .
- لا علم لمن لا بصيرة له .
- لا بصيرة لمن لا فكر له .
- لا خير في علوم الكذابين .
- لا أعز من القانع ولا أذل من الطامع .
- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال .
- لا يرفع الشح .
- لا صحة مع النهم .
- لا شرف مع سوء الأدب .
- لا ثناء مع الكبر .
- لا زيادة مع الزراعة (كذا) .
- لا راحة للملوك .
- لا شرف أعلى من الإسلام .
- لا معقل أحسن من الورع .
- لا شفيع أنجح من التوبة .
- لا لباس أجمل من السلامة .
- لا إيمان لمن لا إيمان له .
- لا غنى لمن لا فضل له .

لا حياء لحريص .
لا شفيع كالودود الناصح .

حرف الياء

يأتيك ما قدر لك .
يطلبك رزقك كما تطلبه .
يبلغ الإنسان بالصدق منازل الكبار .
يسود المرء قومه بالإحسان .
يسود المرء بمصاحبة السعيد .
يشقى الرجل بمصاحبة السفيه .
يزيد في العمر الصدقة .
يأمن الخائف إذا وصل إلى ما يخافه .
يأمن القلب راحة النفس (كذا) .
يسعد الرجل بمصاحبة السعيد [(15)] .

لله الأمر من قبل ومن بعد .

(15) هنا انتهت الزيادة التي توجد بالطبعة الفاسية ولا توجد بالمخطوطات الثلاث ، وفي هامش المخطوطة الكتاتية ، وبغير خط ناسخها ، تنبيه عليها يقول بالنص : «بقي هنا حكم مرتبة على حروف الهجاء جمعت من كلام علي رضي الله عنه وذلك نحو نصف كراسة» .

[الرغيف والذهب]

وروي عن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة (1) والسلام أنه خرج هو وصاحب له في سياحة فأصابهما الجوع وقد مرا بقرية فقال لصاحبه : انطلق فاطلب لنا طعاماً بهذه القرية . وقام هو يصلي ، فانطلق الرجل وأتى بثلاثة أرغفة ، فوجده مشغولاً فأكل رغيفاً ، فلما انصرف عيسى عليه السلام قال له : أين الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كان إلا رغيفان . فانطلقا حتى مرّاً بظباء فدعا – عليه السلام – ظبياً منها فذكاه وأكلا منه ، ثم قال له : قم بإذن الله الذي يحيي (2) الموتى ، فقام يشتد فقال الرجل : سبحان الله ! فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث ؟ قال ما كان إلا اثنان ، فانطلقا فمرّاً بنهر عظيم فأخذ بيده فمرّ به على الماء حتى قطع ، فقال الرجل سبحان الله ؟ فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث ؟ قال : ما كان إلا اثنان ، فانطلقا حتى أتيا قرية خربة (3) وإذا بثلاث لبنات من ذهب . فقال الرجل : هذا مال ، فقال عيسى عليه السلام : واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث . فقال الرجل : أنا صاحبه ، فقال عيسى : هي لك كلها وفارقه ، فأقام عليها ليس معه من يحملها له ، فمرّ به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبنات ، فقال اثنان منهم للواحد : انطلق إلى القرية فائتنا بطعام ، فاتفق الاثنان على قتله إذا رجع ،

(1) في س : « أفضل السلام » .

(2) في ك و س : « يحيي الموتى » ومثله في ح .

(3) في ك و س : « خربت » .

وأتى هو بالطعام فوضع فيه سمّاً ليموتاً فيختص بالمال ، فلما جاء قتلاه وأكلا
الطعام فماتا ، فمرّ بهم عيسى - عليه السلام - وهم حول المال كلهم صرعى
فقال : هكذا تفعل الدنيا بأهلها ، وتركهم .

وروي عنه < أيضاً > (4) عليه السلام أنه مر وهو في جمع من أصحابه
بزرع قد أفرك فقال أصحابه : (5) يا نبي الله ، نحن جياع ، فأوحى الله
تعالى إليه أن ائذن (6) لهم في قوتهم ، فأذن لهم ، فدخلوا < الزرع > (7)
يفركون ويأكلون ، فبينما هم كذلك جاء صاحب الزرع فقال : ياذن (8)
من تأكلون يا هؤلاء (9) زرعي ، وأرضي ورثتها عن آبائي ، فدعا عيسى
عليه السلام الله تعالى فبعث الله كل من ملك تلك الأرض من ولد آدم عليه
السلام ، فإذا عند كل سنبله رجل أو امرأة يقول : أرضي ورثتها عن آبائي ،
ففزع الرجل منهم ، وكان قد بلغه أمر عيسى وهو لا يعرفه ، فقال : معذرة
إليك يا رسول الله ، إني لم أعرفك فزرعي ومالي لك حلال ، فبكى عيسى
عليه السلام وقال : ويحك هؤلاء كلهم ورثوا هذه الأرض وعهروها وارتحلوا
عنها ، وأنت مرتحل وبهم لاحق ، ويحك ليس لك أرض ولا مال .

ولما دخل أبو اللرداء الشام قال : يا أهل الشام : اسمعوا قول أخ ناصح ،

-
- (4) ما بين العلامتين ساقط من ك .
(5) في « أساس البلاغة » : « قد أفرك زرعهما إذا حان له أن يفرك ، وهو أن يشتد شيئاً في
سنبله ، وهم يعيشون بالفريك وهو الحب المفروك » .
(6) في ح : « أن يأذن » .
(7) ما بين العلامتين ساقط من ح .
(8) في ح : « من أذن لكم تأكلون؟ » .
(9) في ك : « يا قطاع » بدل : « يا هؤلاء » .

مالي أراكم تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الدين كانوا
قبلكم بنوا مشيداً ، وأملوا بعيداً ، وجمعوا كثيراً ، وشيدوا قصوراً ، فأصبح
أملهم غروراً ، وجمعهم ثبوراً ، ومساكنهم قبوراً (10) .

لله الأمر من قبل ومن بعد

(10) في كتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (1 : 628 - 629) : « عن الضحاك قال :
قال أبو الدرداء : يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار على
الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي ؟ وإنما مثوتني على غيركم ، مالي أرى علماءكم يذهبون؟
وجهالكم لا يتعمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به ، وتركتم ما أمرتم به ،
ألا إن قوماً بنوا شديداً ، وجمعوا كثيراً ، وأملوا بعيداً ، فأصبح بغيانهم قبوراً ، وأملهم
غروراً ، وجمعهم بوراً ، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا
خير في الناس بعدهما » .

[عدي بن زيد والأمير النعمان]

وكان عدي بن زيد العبادي ممن تنصر ودان بدين المسيح ، وكانت له حظوة عند النعمان بن امرئ القيس (1) فحضر عنده يوماً والنعمان في

(1) النعمان بن امرئ القيس اسم أحد العرب الذين ملكوا الحيرة ، ولاه عليها بعد أبيه امرئ القيس يزجد ملك الفرس الملقب بالأثيم ، وفي شأن النعمان هذا يقول الطبري في « تاريخه » (2 : 72-74) راوياً عن هشام الكلبي : « قال هشام : كان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسبى وغنم ، وكان من أشد الملوك نكايه في عدوه وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين يقال لإحدهما دوسر ، وهي لتنوخ ، وللأخرى الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما القيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب ، قال : فذكر لنا ، والله أعلم ، أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والتخل والحنان والأنهار مما يلي المغرب ، وعلى القرات مما يلي المشرق ، وهو على متن النجف في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط؟ فقال : لا لو كان يدوم ، قال : فما الذي يدوم؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فبم ينال ذلك؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ، فترك ملكه من ليلته وليس المسوح وخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطأ الإذن عليهم سألوا عنه فلم يجده ، وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي :

وتفكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تبصير
سره حاله وكثرة ما يملاك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطه حي إلى الممات يصير »

وتبتلىء سلسلة الملوك العرب في الحيرة حسب المراجع العربية بما لك بن فهم بن غنم الذي يرتقي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فابنه جذيمة الذي يلقب بالوضاح ، فابن أخته عمرو بن عدي ، فابنه امرئ القيس ، فالنعمان ابنه الذي دام ملكه قبل أن يتنسك =

أحسن زِيٍّ في مجلسه مع ندمائه فلما شرب وطرب قال لعدي : كيف ترى هذا النعيم الذي نحن فيه يا أبا زيد ؟ فقال : إنه حسن لو كان لا ينفدُ ، ومسرة لو كانت تدوم ، فقال : أو كل ما أرى إلى نقاد ؟ قال : نعم ، أبيتَ اللعن ، فقال النعمان : وأي خير فيما يفنى ؟ فلما رأى عدي ذلك منه طمع في ارعواته ، فجعل يعظه ، فلما خرج سايره ، فمروا بمقبرة فقال أيها الملك أتدري ما تقول هذه القبور ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

أيها الركب المخبون وعلى الأرض المجدون
مثلما أنتم كنّا وكما نحن تكونون

فظهر على النعمان انكسار .

ثم إنهم مروا بشجرات متناوحت بينها عين جارية فقال عدي : أتدري ما تقول هذه الشجرات أبيتَ اللعن ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

مَنْ رَأَى فليحدث نفسه أنه موفٍ على قرن (2) زوال
وصُروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صُمُّ الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الحمر بالماء الزلال

= تسعاً وعشرين سنة ، منها خمس عشرة سنة في عهد يزدجرد وأربع عشرة سنة في أيام بهرام جور بن يزدجرد ، ثم ملك بعده الأسود بن النعمان ، وكان ملكه عشرين سنة ، فالمنذر ابن الأسود وقد ظل ملكاً أربعاً وثلاثين سنة ، فعمرو بن المنذر ، وقد بقي ملكاً ستين سنة ، فقابوس بن المنذر ، وكان ملكاً ثلاثين سنة ، فأخوه المنذر بن المنذر ، ثم النعمان ابن المنذر بمذوح النابغة وقتيل كسرى ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، فإن طابقت هذه التواريخ الواقع ، لم يصح ما حكاه اليوسي مما جرى بين النعمان بن امرئ القيس وبين عدي بن زيد العبادي المقتول حوالي سنة 380 للميلاد إلا بأن يكون عدي قد عاش عمراً فوق العادة .

(2) كذا بالأصل وفيك وس و ح : « قرب » بالباء بدل النون .

والأباريق عليها فُدمٌ (3) وعتاق الخيل تردي (4) بالجلال (5)
 عمروا دهرأ بعيش حسن آمي دهرهم غير عجال
 ثم أضحوا عَصَفَ الدهرُ بهم وكذلك الدهر يُودي بالرجال
 وكذلك الدهر يرقى بالفتى في طلاب العيش حالاً بعد حال

فوق كلامه منه أحسن موقع فقال له : ائتني عند السحر ، فإن عندي
 أمراً أطلعك عليه ، فأتاه فوجدته قد لبس مسحاً وأخذ أهبة السياحة فودعه
 وذهب ، ولم يعلم له بعد ذلك خبر ، وذكر (6) أنه قال له : قد علمت أن
 القبور لا تتكلم ، والشجرة لا تتكلم ، وإنما أردت موعظتي ، فقيم النجاة ؟
 فقال له عدي : تترك عبادة الأوثان وتدين بدين المسيح عليه السلام ، فتنصر
 النعمان حيثئذ (7) :

وفي معنى هذا قول شاعر قديم (8) :

- (3) في « التاج » : « الفدام ككتاب وسحاب وشداد وتنور شيء تشده المعجم والمجوس على
 أفواها عند السقي ، والفدام بالكسر المصفاة للكوز والإبريق ونحوه ، وكذلك الفدام
 كشداد ، وإبريق مفدم كمعظم ومكرم عليه الفدام أي المصفاة ، وقدمته تقديماً ، ومنه
 المقدمات وهي الأباريق والدنان » .
- (4) في « القاموس » : « ردت الفرس كرمي ردياً وردياناً رمت الأرض بحوافرها ، أو هو
 بين العدو والمثي » .
- (5) في « القاموس » : « الجل بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به ، وقد أجلتها وجلتها
 جمع جلال وأجلال » .
- (6) في ك و س و ح : « ويقال » بدلا من : « وذكر » .
- (7) قارن ما عند اليوسي هنا بما جاء في « كامل المبرد » : (2 : 74 - 75) طبعة محمد
 صبيح وفي « العقد الفريد » : (2 : 269) . وفي « زهر الآداب » : (2 : 388)
 نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفي « رغبة الآمل » للرصفي (4 : 247) .
- (8) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، حكى ابن هشام في « سيرته » : (1 : 116)
 قال : « قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث يذكر بكرأ وغبشان وساكني مكة
 الذين خلفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصدكم (9) أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
 حثوا المطايا (10) وأرخوا من أزمتهما قبل الممات وقضوا (11) ما تُقضوننا
 كنا أناساً كما كنتم فغيرتنا دهر فأنتم (12) كما كنا تكونونا

لله الأمر من قبل ومن بعد

- = يا أيها الناس سيروا إن قصدكم الأبيات
- قال ابن هشام : هذا ما صحح له منها ، وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن .
- (9) كذا بالأصل ، ومثله في ك و س أما ح ففيها : « قصركم » بالراء بدل الدال وقصر الشيء وقصاراه غايته ومداه .
- (10) كذا بالأصل وفي ك و س و ح : « المطي » .
- (11) في المخطوطات الثلاث : « واقضوا » وهو ما في ح أيضاً ، ولا يستقيم به عروض الشعر ، فينبغي أن يقرأ : وقضوا فعل أمر من التقضية ، قال في « التاج » : « وقضى وطره أمه زقيل ناله وبلغه ، كفضاه تقضية » .
- (12) في ح : « فسوف » موضع : « أنتم » .

[من شعر أبي العتاهية في الزهد والمواعظ]

ودخل أبو العتاهية على الرشيد حين بنى قصره ، وزخرف مجلسه ،
واجتمع إليه خواصه ، فقال له : صف لنا ما نحن فيه من الدنيا فقال :

عش ما بدا لك آمناً في ظلّ شاهقة القصور

فقال الرشيد : أحسنت ، ثم ماذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتهى تلهي الروح في البكور

فقال : حسن ، ثم ماذا ؟ فقال :

فإذا النفوس تقعقت في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد بكاء شديداً حتى رُحِم ، فقال له الفضل بن يحيى : بعث
إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته ، فقال له الرشيد : دعه فإنه رآنا في عمى
فكره أن يزيدنا عمى (1) .

ومن شعر أبي العتاهية هذا في المواعظ قوله (2) :

-
- (1) الحكاية مع الشعر في ديوانه المطبوع ببيروت .
(2) الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت وفي كتاب «أبو العتاهية - أشعاره وأخباره» لشكري
فيصل جامعة دمشق 1965 م .

ألا نحن في دنيا قليل بقاؤها
تزوّد من الدنيا التقى والنهى فقد
تَرَقَّ من الدنيا إلى أي غاية
ومن كلفته النفس فوق كفافها

وقوله (6) :

ألا إنما الدنيا متاع غرور
كأنى بيوم ما أخذت تأهباً
كفى عِبْرَةً أن الحوادث لم تزلْ
خليليَّ كم من ميت قد حضرته
و من لم يزدده الدهر ما عاش عبرة

وقوله أيضاً (8) :

إني سألت القبر ما فعلت
فأجابني : صيّرْتُ ریحهمُ
بعدي وجوه فيك منعفـره
تؤذيك بعد روائح عطـيره

- (3) رواية الديوان : « تداعبها » وفي كتاب « أبو العتاهية » : « تدانيتها » .
(4) رواية الديوان : « ورامها » ومثله عند شكري فيصل ، وهو ما في س و ح .
(5) في الديوان : « عناؤها » وكذلك هو عند شكري فيصل ، وهو ما في ك و س و ح وفي الأصل وحده : « همومها » ولا ينبغي أن يكون لأن الروي همزة .
(6) الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت وبعدها :
أصبت من الأيام لين أعنة فأجريتها ركضاً ولين ظهور
متى دام في الدنيا سرور لأهلها فأصبح منها واثقاً بسرور
وهي واردة أيضاً في كتاب شكري فيصل : « أبو العتاهية - أشعاره وأخباره » .
(7) في ك : « عاجلا » .
(8) الأبيات في الديوان وعند شكري فيصل .

وأكلت أجساداً منعمّة كان النعيم يزِينُها نَصْرَه
لم أبق غير جماجم عرِيَّت بيض تلوح وأعظمِ نَخِرِه
وقوله أيضاً (9) :

تفكر قبل أن تسلّم فإنك ميت فاعلم
ولا تغسّر بالدنيا فإن صحيحها يسقم
وإن جديدها يبلى وإن شابها يهرم
وإن نعيمها يفنى فترك نعيمها أحزم
ومن هذا الذي يبقى على الحدّثان أو يسلم
رأيت الناس اتباعاً لذئ الدينار والدرهم
وما للمرء إلاّ ما نوى في الخير أو قدّم

وقوله (10) :

إياك أعني (11) يا ابن آدم فاستمع ودع الركون إلى الحياة فتنفع
لو كان عمرك ألف حول كامل لم تذهب الأيام حتى تنقطع
إن المنية لا تزال ملحمة حتى تشتت كل شمل مجتمع
فاجعل لنفسك عدة للقاء من لو قد أتاك رسوله لم تمتنع
يسا أيها المرء المضيع دينه إحراز دينك خير شيء تصطنع

(9) في الديوان وعند شكري فيصل .

(10) الأبيات من قصيدة له في عشرين بيتاً وهي في الديوان وعند شكري فيصل .

(11) في الأصل « دع عني يا ابن آدم » وكتب ناسخه فوقه : « كذا » وفي ك : « إياك عني »

وفي س : « عني » يا ابن آدم ، وكتب أكنسوس بخطه من فوقه : « بقي هنا بياض من

الأصل » وفي الطبعة الفاسية كما في الديوان : « إياك أعني » وبه يستقيم الشعر وزناً ومعنى .

فسامهد لنفسك صالحاً تجزى به وانظر لنفسك أيّ أمر تتبع
واعلم بأن جميع ما قدمته عند الإله موفر < لك > (12) لم يضع

[(13) وله أيضاً :

كم يكون الشتاء ثم المصيف وربيع يمضي ويأتي خريف
وانتقال من الحرور إلى الظل ل وسيف الردى عليك منيف
يا قليل البقاء في هذه الدار ر إلى كم يغرّك التسوييف
عجباً لامرئ يذلّ لذي دز يا ويكفيه كل يوم رغيف (14)

وقال أحمد بن علي بن مروان : دخلت مع إسماعيل بن سويد العنبري
على أبي العتاهية وهو يجود بنفسه ويقول (15) :

(12) ما بين العلامتين زيادة واردة في ك و س و ح وفي الديوان ، وبها يكتمل المعنى ويستقيم
العروض .

(13) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن س وكتبه ناسخ الكتانية على طرفها وهو في ح وعنهما
نقلناه .

(14) هذا الشعر أورده شكري فيصّل في كتابه : « أبو العتاهية - أشعاره وأخباره » نقلًا عن
« بغية الطلب » لابن العديم بالسند التالي : « أخبرنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي
الحسن بن المغيرة بمصر بالجامع العتيق قال : أخبرنا الحافظ أبو أحمد معمر بن عبد الواحد
ابن الفاخر قال : أنشدنا الإمام أبو المحاسن يعني عبد الواحد بن إسماعيل الروياني قال :
أنشدنا الإمام إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني إملاء قال : أنشدنا زاهر بن أحمد قال :
أنشدنا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن المنادي قال : أنشدني أبو بكر يونس بن يعقوب
المقري الواسطي لأبي العتاهية :

كم يكون الشتاء ثم المصيف الأبيات »

وهذه الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع ببيروت .

(15) الأبيات في كتاب شكري فيصّل : « أبو العتاهية - أشعاره وأخباره » رواية عن بغية
الطلب بالإسناد التالي : « أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد قال : أخبرنا أبو الحسن
علي بن أحمد النساني قال : أخبرنا أحمد بن علي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال : =

يا نفس قد مثلت حا لي هذه لك منذ حين
وشككت أني ناصح لك فاشتملت (16) على الظنون
فتأملي ضعف الحرا ك ونجلتي (17) بعد السكون
وتيقني أن السذي بك من علامات المنون

ومن شعر محمود الوراق :

إن عيشاً إلى الممات مصيره لحقيق ألا يندوم سروره
وسرور يكون آخره المو ت سواء طويله وقصيره

وقوله (18) :

= أخبرنا عثمان بن أحمد قال : وأنشدني يعني أحمد بن علي بن مرزوق لأبي العتاهية وهو
يكيد بنفسه :

يا نفس قد مثلت الأبيات

ولا توجد الأبيات في ديوانه المطبوع ببيروت .

(16) رواية بغية الطلب : « فاشتملت إلى الظنون » .

(17) في « مقاييس اللغة » لابن فارس : « النون والجيم واللام أصلان صحيحان : أحدهما يدل
على رمي الشيء ، والآخر على سعة الشيء ، فالأول النجل : رميك الشيء يقال : نجل
نجلًا : والناقة تنجل الحصى بمناسمها نجلًا أي ترمي به ، ومنه نجلت الرجل نجلة إذا ضربته
بمقدم رجلك فتدحرج ، وقولهم : من نجل الناس نجلوه أي من شارهم شاروه ومن رماهم
رموه ، ومن الباب النجل ، وهو النسل ، لأن الوالدة كأنها ترمي به ، ومنه النجل :
النز كأنه ندى تقلسه الأرض وترمي به ، والأصل الآخر النجل سعة العين في حسن ،
وطعنة نجلاء واسعة ، ونجلت الإهاب شققته عن عرقويه جميعاً ، كما تسليخ الجلود ،
ومما شذ عن هذين البابين النجيل : ضرب من ورق الشجر من الحمض ، وانجلت الأرض
اخضرت . ولا تطابق الكلمة التي في الشعر أي واحد من هذه المعاني في سياقها ، أما رواية
بغية الطلب فهي هكذا : « وكله » والكل العجز والضعف .

(18) في « العقد الفريد » لابن عبد ربه (3 : 213) : « قال الحسن : ابن آدم ، أنت أسير
في الدنيا ، رضيت من لذتها بما ينقضي ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك =

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه يا ليت شعري ما أبقى لك المال
 القوم بعدك في حال تسرهم فكيف بعدهم صارت بك الحال
 ملوا البكاء فما يبكيك من أحد واستحكمت القيل في الميراث وقال
 مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم وأدبرت عنك ، والأيام أحوال

[(19) من ذلك قول بعضهم (20) :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه دون محض الدين خسران
 وكل وجدان حظ لا ثبات له فإن معناه في التحقيق فقدان

= ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك ، أخذ أبو
 العتاهية هذا المعنى فقال :

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه فليت شعري الأبيات»

(19) ما بين العلامتين لا يوجد في المخطوطات الثلاث ، وهو في الطبعة الفاسية ، وعنهما طبعناه
 هنا مضافاً مزيداً .

(20) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ، نسبها إليه السبكي في «طبقات الشافعية» بالإسناد التالي :
 «أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن حسن بن داوود الكردي قراءة عليه وأنا أسمع ،
 عن محمد بن عبد الهادي ، عن الحافظ أبي طاهر بن سلفة ، أنا الإمام أبو المحاسن الروياني ،
 أخبرنا الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني بنيسابور ، أنشدنا أبو الفتح
 البستي لنفسه قال :

كل الذنوب فإن الله يغفرها ان يتبع المرء إخلاص وإيمان
 وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

قلت : وهذا البيتان من كلمة طيبة لأبي الفتح تسمى : «عنوان الحكم» ، مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

(انتهى كلام السبكي في الطبقات نصاً (ج 4 : ص 4-5) .

وذكرها صاحب «كشف الظنون» فقال : «قصيدة البستي وهو أبو الفتح علي بن
 محمد الكاتب الشاعر المتوفى سنة 401 أولها :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

في نحو ستين بيتاً في المعارف والزهد .

يا عامراً نخراب الدهر مجتهداً
ويا حريصاً على الأموال يجمعها
دع الركون إلى الدنيا وزخرفها
وأرْعِ سمعك أمثالاً أفصلها
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
وكن على الدهر معواناً لذي أمل
من جاد بالمال مال الناس قاطبةً
من كان للخير مناعاً فليس له
لا تخدشن بمطّل وجه عارفةٍ
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
من يتق الله يحمد في عواقبه
حسبُ الفتي عقله خيلاً يعاشره
لا تستشر غير شخص حازم فطن
فللتدابير نرسان إذا ركضوا
وللأمور مواقيت مقدرة
من رافق الرفق في كل الحوادث لم
ولا تكن عاجلاً في الأمر تطلبه

بالله هل نخراب الدهر عمران
نسيت أن سرور المال أحزان
فصفوها كدر والوصل هجران
كما يفصل ياقوت ومرجان
فظالما استعبد الإنسان إحسان
يرجو نذاك فإن الحر معوان
إليه والمال للإنسان فتان
عند الخليقة إخوان وأخذان
فالبر يخدمه مطّل وليان
أتطلب الربح فيما فيه خسران
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
إذا تجافاه أصحاب وأعوان
قد استوى منه إسرار وإعلان
فيها أبروا كما للحرب فرسان
وكل أمر له حد وميزان
يندم عليه ولم يندم إنسان
فليس يحمد قبل النضج بحران (21)

(21) البحران مصطلح طبي شرحه الشيخ مرتضى في «تاج العروس» فقال : «وبحران المريض بالضم مولد ، وهو عند الأطباء التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة ، ويقولون : هذا يوم بحران مضافاً ، وفي نزهة الشيخ داوود الأنطاكي : البحران بالضم لفظه يونانية وهو عبارة عن الانتقال من حالة إلى أخرى في وقت مضبوط ، ثم الانتقال =

وذو القناعة راض في معيشته
كفى من العيش ما قد سد من رفق
هما رضيعا لبانِ حكمةٍ وتُقى
من مد طرفاً بفرط الجهل نحو هوى
من استشار صروف الدهر قام له
من عاشر الناس لاقى منهم نصيباً
ومن يفتش على الإخوان مجتهداً
من يزرع الشر يحصد في عواقبه
من استنام إلى الأشرار نام وفي
من سالم الناس يسلم من غوائلهم
من كان للعقل سلطان عليه غدا
وإن أساء مسيء فليكن لك في
إذا نبا بكريم موطن فله
لا تحسبن سروراً دائماً أبداً
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده
يا أيها العالم المرضي سيرته

وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
ففيه للحر إن حققت غنيان
وساكننا وطنٍ مالٍ وطغيان
أغضى عن الحق يوماً وهو خزيان
على حقيقة طبع الدهر برهان
لأن طبعهم بغيي وعدوان
فجل إخوان هذا الدهر خوآن
ندامة ولحصد الزرع إبان
قميصه منهم صل (22) وثعبان
وعاش وهو قرير العين جذلان
وما على نفسه للحرص سلطان
عروض زلته صفح وغفران
وراءه في بسيط الأرض أوطان
من سره زمن ساءته أزمان
إن كنت في سنةٍ فالدهر يقضان
أبشر فأنت بغير الماء زيان

= المذكور إما إلى الصحة أو إلى المرض ، والأول البحران الجيد ، والثاني الرديء .
انتهى كلام « التاج » وتكلم به شاعر ظريف فقال :

جس الطبيب يدي جهلا فقلت له : إليك عني فإن اليوم بحراني
فقال لي : ما الذي تشكو فقلت له : إني هويت بلهلي بعض جيراني
فقام يعجب من قولي وقال لهم : إنسان سوء فداووه بإنسان
(22) قال ابن منظور في « اللسان » : « الصل الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها ، أو التي
لا تنفع فيها الرقية . »

ويا أبا الجهل لو أصبحت في بلج
دع التكاثر في الخيرات تطلبها
صن حراً وجهك لآهتك غلائله (23)
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم
ما كل ماء كصداء (24) لو ارده
من استعان بغير الله في طلب
واشدد يديك بحبل الله معتصماً
لا ظل للحرء يغني عن تقى ورضاً
فأنت ما بينها لا شك ظمآن
فليس يسعد بالخيرات كسلان
فكل حر حر لحر الوجه صوان
غرائر لست تحصيها وألوان
نعم ولا كل نبت فهو سعدان (25)
فإن ناصره عجز ونخلان
فإنه الركن إن خانتك أركان
وإن أظلمته أوراق وأفنان

(23) في « لسان ابن منظور » : « الغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، لأنه يتغلل فيها أي يدخل ، وفي « التهذيب » : الغلالة الثوب الذي يلبس تحت الثياب أو تحت درع الحديد ، واغتلت الثوب لبسته تحت الثياب » . نقول : وجمع الغلالة غلائل ، وفي الطبعة الفاسية « غوائله » وهو تصحيف .

(24) في « مجمع الأمثال » للميداني : « ماء ولا كصداء - قال المفضل : صداه ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها قال ضرار السعدي :

وإني وتهامي بزئب كالذي تتطلب من أحواض صداه مشرباً
يريد أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها ، كالذي يرد هذا الماء فإنه يراحم عليه لفرط علوبته » يضرب مثلاً في تفضيل الشيء على غيره وإن كان فاضلاً .

(25) وفيه أيضاً : « مرعى ولا كالسعدان - قال بعض الرواة : السعدان أخثر العشب لبناً وإذا خثر لبن الرعية كان أفضل ما يكون وأطيب وأدم ، وهو من أنجع المراعي في المال ولا تحسن على نبت بحسنها عليه . يضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله » . وأنشد المبرد في « كامله » شعراً جاء فيه المثلان وهو :

يا وزراء السلطان أنتم وآل خاتان
كبعض ما روينا في سالفات الأزمان
مساء ولا كصداء مرعى ولا كالسعدان

سَحْبَانُ (26) من غير مال باقل (27) حَصِيرٌ
 وبِاقِلٍ في ثراء المال سَحْبَانُ
 والناس أعوان من والتته دولته وهم عليه إذا خانته أعوان
 يا رافلاً في الشباب الوحف منتشياً من كأسه هل أصاب الرشد نشوان
 لا تغترر بشباب ناعم خضلٍ فكم تقدم قبل الشيب شبان
 ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك في الأشراف إخوان (28)
 هب الشيبة تبدي عذر صاحبها ما بال شيبك يستهويه شيطان
 كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيع المزمع إخلاص وإيمان
 وكل كسر فإن الله يتجبره وما لكسر قناة الدين جبران
 أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلا يدوم على الإنسان إمكان
 فالروض يزدان بالأنوار فاغمة والحر بالعدل والإحسان يزدان
 خذها سوائر أمثال مهندي فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
 ما ضرر حسانها والطبع صائغها أن لم يصغها قريع الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال :

وكن لسنة خير الخلق متبعاً فإنها لنجاة العبد عنوان

(26) هو سحبان بن زفر بن إيّاس ، يضرب به المثل في الفصاحة ، توفي سنة 54 هـ .

(27) قال عنه ابن السيد البطليوسي في شرحه على « سقط الزند » وهو يفسر قول أبي العلاء :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قساً بالفهامة باقل

« وأما باقل فإنه رجل من إياد اشترى ظيباً بأحد عشر درهماً فمر بقوم وهو يحمله فقالوا له :

بكم اشتريت هذا الظبي ؟ فأشار بيديه - يريد عشرة - وأخرج لسانه ليتم به الأحد عشر

فأقلت الظبي فضرب به المثل في العي » .

(28) رواية البيت في « الطبقات السبكية » هكذا :

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك في اللذات إيمان

فهو الذي شملت للعبد أنعمه وعمهم منه في الدارين إحسان
 جبينه قمر ، قد زانه خفّر ، وثغره درر غر ومرجان
 والبدر ينجل من أنوار طلعتة والشمس من حسنه الوضاح تزدان
 ومُدَّ (29) أتى أبصرت عُمِّي القلوب به
 سبيل الهدى ووعت للحق آذان
 به توسلنا في محو زلتنا لربنا إنه ذو الجود منان
 يا رب صل عليه ما همى مطر فأينعت منه أوراق وأغصان
 وابعث إليه سلاماً زاكياً عطراً والآل والصحب لا تُفنيه أزمان

لله الأمر من قبل ومن بعد

(29) في الطبعة الفاسية : « وقد » صوابه : « ومد » لأن المعنى عليه .

[القصيدة الزينية]

ومن ذلك القصيدة الزينية (1) :

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ والدهر فيه تغير وتقلبُ
 نشرت ذوائبها التي تزهو بها سوداً ورأسك كالثغامة (2) أشيبُ
 واستنفرت لما رأتك وطالما كانت تحن إلى لقاءك وترغب
 وكذلك وصل الغانيات فإنه آلٌ ببلقعةٍ وبرقٍ خلَّبُ
 فدع الصبا فلقد عدالك (3) زمانه وازهد (4) فعمرك مرّ منه الأطيب
 ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب ؟
 دع عنك ما قد كان في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

(1) القصيدة الزينية هذه تنسب للإمام علي رضي الله عنه نخلا ، وفي الراجح أنها لصالح بن عبد القدوس ، وهي مودعة في مجموعة أشعاره ، وهي بمذهبه وطريقته أشبه ، وقد طبعت في « الدراري السبعة » ببيروت سنة 1884 م ، وأفردت بشرح وضعه عليها الشيخ عبد المعطي بن سالم السلملاوي وسماه : « التفاحة الوردية » ، في شرح القصيدة الزينية . وقد طبع هذا الشرح بمصر مرات ، وعليها شرح آخر من عمل علي بن المقري ، ولها ترجمة إلى اللغة التركية من عمل عزت علي ، وعليها تخميس من نظم عبد الوهاب بن أحمد بن عربشاه توجد مخطوطته بمكتبة غوتا بألمانيا ، وخمسها أيضاً علي بن منصور بن نجم ، ويوجد تخميسه مخطوطاً بمكتبة الإسكندرية ، وانظر في القصيدة الزينية : « تاريخ الأدب العربي » لكارل بروكلمان الجزء الأول ص 178 ترجمة عبد الحليم النجار .

(2) الثغامة واحدة الثغام ، وهو ما فسره الفيومي في المصباح فقال : « الثغام مثل السلام نبت يكون بالجبال غالباً ، إذا يبس ابيض ، ويشبه به الشيب » .

(3) في الطبعة الفاسية : « عراقك » بالراء وهو تصحيف .

(4) وفيها : « اجهر » وصوابه : « ازهد » أو « اجهد » كما في رواية أخرى .

واذكر مناقشة الحساب فسأله
لم ينسه (5) الملكان حين نسيته
والروح فيك وديعة أودعتهما
وغرور دنياك التي تسعى لها
والليل فاعلم والنهار كلاهما
وجميع ما حصلته وجمعه
تباً للدار لا يدوم نعيمها
فاسمع أخِي وصية أولاكها
[أهدى النصيحة فاتعظ بمقاله
صحب الزمان وأهله مستبصراً
لا تأمن الدهر الخئون فإنه
وعواقب الأيام في غصاتها
فعليك تقوى الله فالزمها تفز
واعمل بطاعته تنل منه الرضا
واقنع ففي بعض القناعة راحة
فإذا طمعت لبست ثوب مذلة
وتروق من غدر النساء خيانة

لا بد يُحصى ما جنيت ويكتب
بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
ستردها بالرغم منك وتسلب
دار حقيقتها متاع يذهب
أنفاسنا فيه تُعدُّ وتحسب
حقاً يقيناً بعد موتك ينهب
ومشيداً عما قليل يخرب
بر نصوح للأنام مجرب
فهو التقي اللوذعي الأدرج (6)
ورأى الأمور بما تثوب وتعقب
ما زال قدماً للرجال يؤدب (7)
مَضْضٌ يذل لها الأعز الأنجب
إن التقي هو البهي الأهيـب
إن المطيع لربه لمقرب
والياس عما فات فهو (8) المطلب
فبذا اكتسى ثوب المذلة أشعب (9)
فجميعهن مكاييد لك (10) تُنصّب

(5) وفيها « لم ينسها » وهو خطأ .

(6) ما بين العلامتين زيادة من مجازي الأدب للأب لويس شيخو .

(7) في الطبعة الفاسية : « مؤدب » بصيغة اسم الفاعل ، ولا تصح رواية ولا تستقيم إعراباً .

(8) في الطبعة الفاسية : « هو » ولا يستقيم معها الوزن الشعري إلا بتشديد الواو وذلك لغة رديئة في هو .

(9) في الطبعة الفاسية : « أشهب » وهو خطأ .

(10) في الطبعة الفاسية : « إذ » في موضع لك .

لا تأمن الأثني (11) حياتك إنها كالأفعوان يُراع (12) منه الأثيب
تُغري بلين حديثها وكلامها
فإذا سَطت فهي الصقيل (13) الأشطب (14)
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن منه زمانك خائفاً تترقب
واحذره إن لاقيته (15) متبسماً قاليث يبلو نابسه إذ يغضب
إن العدو وإن تقادم (16) عهده فالحقد باقٍ في الصدور مغيب
وإذا الصديق لقيته متلونا فهو العدو وحقه (17) يتجنب
لا خير في ود امرئ متملقٍ حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام ولو رموك بجفوة فالصفح عنهم والتجاوز أصوب
فاختر قرينك واصطفيه موثياً إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغني من الرجال مكرم وتراه يرجى ما لديه ويرهب
فانخفض جناحك للأقارب كلهم بتذلل واغفر لهم إن أذنبوا
وذر الكذوب ولا يكن لك صاحباً إن الكذوب يشين حراً يصحب

- (11) وفيها : « الدنيا » بدل الأثني .
(12) وفيها : « يرعى » والصواب : « يراع » .
(13) وفيها : « الثقل » بدل « الصقيل » . ولا معنى للثقل هناك .
(14) في لسان ابن منظور : « قال أبو سعيد : الشطب السيف » وفيه أيضاً : « وشطوب السيف طرائقه التي في منته ، وسيف مشطب ومشطوب فيه شطب » .
(15) في الطبعة الفاسية : « لقيته » ولا تستقيم عروضاً .
(16) في الطبعة الفاسية : « تقدم » وليس عليه المعنى .
(17) في الطبعة الفاسية : « وحق أن يتجنب » .

والفقر شَيْنٌ في الرجال وإنه
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
وتوقَّ من عثراته من زلة
والسر فاكتمه ولا تنطق به
واحرص على حفظ القلوب من الأذى
إن القلوب إذا تنافر ودها [(20)
وكذاك سر المرء إن لم يطوِّه
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً
كم عاجز في الناس يأتي رزقه
وارع الأمانة ، والحيانة فاجتنب
وإذا أصابك نكبة فاصبر لها
وإذا رُميت من الزمان بريية
فاضرع لربك إنه أدنى لمن
كن ما استطعت من الأنام بمعزل
واحذر مصاحبة اللئيم فإنها
واحذر من المظلوم سهماً صائباً

حقاً يهون به الشريف الأنسب (18)
ثرثارة في كل ناد تخطب (19)
فالمرء يسلم باللسان ويعطب
[فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
فرجوعها بعد التنافر يصعب
شبه الزباجة كسرهما لا يُشعب
نشرته ألسنة تزيد وتكذب
في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
والرزق ليس بحيلة يستجلب
رغداً ويحرم كَيْسٌ ويخيِّب
واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
من ذا رأيت مسلماً لا ينكب
أو نالك الأمر الأشد الأصعب
يدعوه من جبل الوريد وأقرب
إن القليل من الوري من تصحب (21)
تُعدي كما يعدي الصحيح الأجر
واعلم بأن دعاءه لا يحجب

- (18) في الطبعة الفاسية : « يزري بمن يدعى الشريف الأنسب » .
(19) وفيها : « في كل واد تطلب » ولا معنى للطلب في سياق الكلام .
(20) ما بين العلامتين زيادة من بعض المصادر ، ولا يستقيم السياق بدونها .
(21) في رواية أخرى : « إن الكثير من الوري لا يصحب » .

وإذا رأيت الرزق عزّ ببلدة
فأرحل فأرض الله واسعة الفلا (23)
[فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي
وخشيت فيها أن يضيق المكسب (22)
طولاً وعرضاً شرقها والمغرب
فالنصح أعلى ما يباع ويوهب] (24)

الله الأمر من قبل ومن بعد

-
- (22) في رواية أخرى : « المذهب » بدل : « المكسب » .
(23) في بعض المصادر : واسعة الفضا .
(24) ما بين العلامتين زيادة جاءت في بعض المراجع التي روت القصيدة .

[تائية المقرئ في المواعظ]

وللعلاّمة المقرئ (1) رحمه الله :

إلى كم تماد (2) في غرور وغفلة ؟
 لقد ضاع عمر ساعة منه تشتري
 أتفق هذا في هوى هذه التي
 وترضى من العيش السعيد (4) تعيشه
 أيا درة بين المزابل ألقيت
 وكم هكذا نوم؟ متى يوم (3) يقظة ؟
 بملء السما والأرض آية ضيعة
 أبى الله أن تسوى جناح بعوضة
 مع الملائ الأعلى بعيش البهيمة
 وجوهرة بيعت بأبخس قيمة

(1) ترجمه الشوكاني في « البدر الطالع » (ج 1 ص 142 - 145) . فقال : « إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ، الشرف الشرجي اليماني الشافعي المعروف بالمقرئ الزبيدي ولد سنة 754 وقرأ في عدة فنون ، وبرز في جميعها ، وفاق أهل عصره ، وطال صيته ، واشتهر ذكره ، ومهر في صناعة النظم والنثر ، وجاد بما لا يقدر عليه غيره ، وأقبل عليه ملوك اليمن ، وصار له حظ عظيم عند الخاص والعام ، مات في سنة 837 . له من المصنفات التأليف العجيب المسمى : « عنوان الشرف الوافي ، في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي » ، (مطبوع) « والإرشاد في فروع الشافعية » (مطبوع) . « وديوان شعر » (مطبوع) .

وتائية ابن المقرئ هذه عرف بها صاحب كشف الظنون فقال : « القصيدة التائية في التذكير - لشرف الدين إسماعيل بن المقرئ اليماني المتوفى سنة 837 أولها : إلى كم تمادى في غرور وغفلة . . . (الخ) . شرحها الشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي في محرم سنة 945 باسلامبول » .

(2) في كشكول العاملي : « تمادى » .

(3) في الكشكول : « وكم هكذا نوم إلى غير يقظة » .

(4) في الكشكول : « الرغيد » .

أفان بياقٍ تشريهٍ سفاهة ؟
أنت صديق أم عدو لنفسه
ولو فعل الأعداء بنفسك بعض ما
لقد بعثها - حزني عليك - (5) رخيصة
فويك استقل لا تفضحنها بمشهد
فبين يديها موقف وصحيفة
ككلفت بها دنيا كثير غرورها
إذا أقبلت ولت وإن هي أحسنت
ولو نلت منها مال قارون لم تمل
وهبك ملكت الملك فيها ألم تكن
فدعها وأهلها وفرّ وخذ كذا
ولا تغتبط منها بفرحة ساعة
فعيشك فيها ألف عام وينقضي
عليك بما يجري (8) عليك من التقى
مجالس ذكر الله يلهيك أن ترى
إذا شرعوا فيها تجشمت قائماً
وإن كان لهواً أو أحاديث ريبة
تصلي بلا قلب صلاةً بمثلها

وسخطاً برضوان وناراً بجنة ؟
فإنك ترميها بكل مصيبة
فعلت لمستهم لها بعض رحمة
وكانت بهذا منك غير حقيقة
من الخلق إن كنت ابن أم كريمة
تقاد (6) عليها كل مثقال ذرة
تعامل (7) من في نصحتها بالخديعة
أساءت وإن صفت فتق بالكدورة
سوى لقمة في فيك منه وخيرقة
لتترعه من فيك أيدي المنية ؟
بنفسك عنها فهي كل الغنيمة
تعود بأحزان عليك طويلة
كعيشك فيها بعض يوم وليلة
فإنك في سهو عظيم وغفلة
بها ذاكرًا لله ضعف العقيدة
قيامك ذا قل لي إلى أي لعنة
وثبت وثوب الليث نحو الفريسة
يكون الفتي مستوجباً للعقوبة

(5) في الكشكول : « هوناً عليك » .

(6) هو من أقاد الأمير القاتل بالقاتل إذا قتله به قصاصاً .

(7) رواية الكشكول : « تقابلنا في نصحتها بالخديعة » .

(8) في الكشكول : « يجلي » وهي أوفق .

تظل (9) وقد تمتها غير عالم فويحك تدري من تناجيه معرضاً تخاطبه إياك نعبد مقبلاً ولورد من ناجاك للغير طرفه أما تستحي من مالك الملك أن يرى صلاة أقيمت يعلم الله أنها وأقبح منها أن تدل بفعلها وأن يعتريك العُجْبُ أيضاً بكونها ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة سبيلك أن تستغفر الله بعدها فيا عاملاً للنار جسمك ليس وجربه في لسع الزناير تجتني فإن كنت لا تقوى فويلك ما الذي تعامله بالمنكرات عشية فأنت على ما أنت أجرا لدى الورى تقول مع العصيان ربّي غافر وربك رزاق كما هو غافر فإنك (11) ترجوا العفو من غير توبة

تزيد احتياطاً ركعة بعد ركعة وبين يدي من تنحي غير مُخْبِت على غيره فيها لغير ضرورة تميزت من غيظ عليه وغيره صدودك عنه يا قليل المروءة بفعلك هذا طاعة كالحطية كمن قلد المدلول بعد صنيعه على ما حوته من رياء وسمعة إذا عددت تغنيك (10) عن كل زلة وأن تتلافى الذنب منها بتوبة فجربه تمريناً بحرّ الظهيرة على نهش حيات هناك عظيمة دعاك إلى إسخاط ربّ البرية وتصيح في أثواب نسك وعفة بما فيك من جهل وخبث السريرة صدقت ولكن غافر بالمشيئة فلم لَمْ تصدق فيهما بالسوية ولست ترجي الرزق إلا بحيلة

(9) في الكشكول : « تصلي » .

(10) في الكشكول : « تكفيك » .

(11) في الكشكول : « فكيف » .

على أنه بالرزق كفّل نفسه
فلم ترض إلاّ السعي فيما كُفِيَتْهُ
تسيء به ظناً وتحسن تارة
إلهي لا تواخِذَنَ (٢) بذنوبنا
إلهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا
وكن شغلنا في كل شغل وهمنا
وصل صلاة لا تنساهي على الذي
وآل وصحب أجمعين وتابع

لكل ولم يكفل لكل بجنة (12)
وإهمال ما كُفِيَتْهُ من وظيفة (13)
على قدر ما يعطي الهوى في القضية (14)
ولا تخزنا وانظر إلينا برحمة
إلى الحق نهجاً في سواء الطريقة
وبغيتنا عن كل هم وبغية
جعلت به مسكاً ختام النبوة
وتابعهم من كل إنس وجنّة [(15)

لله الأمر من قبل ومن بعد

(12) رواية الكشكول : لبيت هكذا :

ولم يتكفل للأنام بجنة

وما هو بالأرزاق كفّل نفسه

(13) رواية الكشكول للبيت كما يأتي :

وتهمل ما كلفته من وظيفة

وما زلت تسعى للذي قد كُفِيَتْهُ

(14) في الكشكول : « على حسب ما يقضي الهوى في القضية » .

(15) هنا انتهت الزيادة التي توجد بالطبعة الفاسية ولا توجد بالمخطوطات الثلاث .

خاتمة

[في ذكر جماعة من شيوخ العلم والتصوف لقيهم المؤلف]

أسرد من حضر الآن في فكري ممن لقيت وتبركت به ممن اتسم بالخير و **<اشتهر>** (1) بالصلاح تبركاً بهم ، فإنه [قد] (2) قيل : تنزل الرحمة (3) عند ذكر الصالحين ، [وقال القائل :

اسرد حديث الصالحين وسمهم فذكرهم تنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم وقيورهم زرها إذا ما ماتوا (4)

ولم أتعرض لأحوالهم لأن ذلك يطول ، والكتاب غير موضوع له ،
فاكتفيت بذكر أسمائهم (5) .

فمنهم [من] (6) الطائفة الغازية بسجلماسة سيدي أحمد بن أبي
القاسم (7) ابن مولود [الجاوزي السجلماسي] (8) زرته مراراً ، وأبوه

-
- (1) ما بين العلامتين ساقط من ك .
 - (2) ما بين العلامتين زيادة في س و ح .
 - (3) في ك و ح : « الرحمات » بالجمع .
 - (4) ما بين العلامتين وارد في ك و ح .
 - (5) في ك : « أحوالهم » وهو غلط .
 - (6) ساقط من س .
 - (7) في ك : « بلقاسم » بدل أبي القاسم .
 - (8) ما بين العلامتين زيادة من ك و ح وهو ساقط في س .

أبو القاسم من مشاهير أصحاب شيخ [مشايخنا] (9) <سيدي> (10) أبي القاسم الغازي ، وجده سيدي مولود من أصحاب شيخ الطوائف المغربية أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف >الراشدي الملباني وسيدي عبد الكريم ابن أحمد بن يوسف <(11) زرتة >أيضاً <(12) >مراراً <(13) وأبوه هو ابن أخي الشيخ أبي القاسم الغازي وأحد أصحابه، وسيدي البكري ابن أحمد بن أبي القاسم بن مولود المتقدم، وسيدي مبارك بن محمد (14) الغرفي العنبري ، وشيخنا الأستاذ سيدي أحمد الدراوي .

وبدرة أستاذنا ومُفيدنا الإمام الهدام بحر الشريعة والحقيقة ، وسراج الطريقة ، أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر ، وشيخه سيدي عبد الله بن حسن الرقي ، وشيخه سيدي أحمد بن علي الحاحي ، وشيخه سيدي أبو القاسم الغازي ، وجماعة من أصحاب الشيخ ومن أولاده يطول ذكرهم : فمنهم (15) خليفته سيدي أحمد بن محمد بن ناصر ، وأخوه [الشيخ] (16) سيدي الحسين بن محمد بن ناصر ، وسيدي منصور أحد أولاد الشيخ سيدي أحمد بن علي ، ومنهم <سيدي> (17) أحمد بن عبد الصادق الرتي ، ومنهم سيدي أبو طاهر (18) بن عبد الله بن أبي بكر السجلماسي ، ومنهم

(9) زيادة من ح .

(10) ساقط من ح والكلمتان : « مشايخنا » « سيدي » ساقطتان من س .

(11) ما بين العلامتين ساقط من س .

(12) ساقط من ح .

(13) ساقط من س .

(14) في ك : « مبارك بن أخي الغرفي » .

(15) في ك و س : « منهم » بدون الفاء .

(16) ما بين العلامتين زيادة من ح .

(17) ساقط من ح .

(18) في ح : « أبو حامد » موضع : « أبو طاهر » .

المولى أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني المعروف
بابن علي ، وكنت عقدت معه عقد المحبة الخاصة ، وكتبت إليه (19) في شأن
ذلك من الزاوية البكرية كتاباً وفيه :

يا ابن الكرام الصيِّدِ من فيهِرِ أولي المعالي السادة السزُّهرِ
مَنْ بَيْتُهُمْ يعلو الثرياً ومن حدوا (20) نعلاً رُقْعَةَ البدرِ
ومن صفواً قديماً و صُوفوا (21) علي كل الوري في سالف الدهر
هذا سلام الله يغدوكم (22) علي مطايا الشوق من صدري
شيعة من صفو ودي لكم بنسمة طيبسة النشْرِ
أبهي وأذكى مسن نسيمِ سري سحيرة من جانب الشَّحْرِ (23)
في روضة غناء يزهو بها غيب الندى مؤتلقُ الزَّهْرِ
سلام من لم يختل (24) قلبه لكم سوى ود بلا غِمر (25)
رأس صفي لم يشب محضه صرف ولا أزرى به مزر
فإن يكن هجر فمما جنت نفسي ، ولكن عنده عندي

(19) في ك وفي ح : « وكتب إلي » بدل : « وكتبت إليه » .

(20) في ح : « حاذوا » .

(21) في ح : « رصوفاً » ولا معنى له .

(22) يقال : غدا عليه إذا بكر معدي بواسطة الحرف ، ولم يعرف متعدياً بنفسه ، وفي مخطوطة
الكتاني : « يغزوكم » وهي نائية في مكانها ، وربما ناسب أن تقرأ : « يعروكم » من عراه
يعروه إذا ألم به وغشيه أو قصد إليه طالباً .

(23) الشعر بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة بعدها راء قال عنه ياقوت في معجم
البلدان : « صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه
يوجد في سواحه » .

(24) يقال : اختله إذا دخله ونفذ فيه ، قال الزبيدي في « التاج » : « اختله بالرمح نفذه كما
في المحكم وقيل : انتظمه كما في « التهذيب » .

(25) الغمر : الحقد وزنا ومعنى .

إن جزاء الحُبِّ حُبًّا كما قد قاله الشبلي أبو بكر (26)

ومنهم العالم العلامة المولى أبو محمد سيدي عبد الهادي بن عبد الله بن علي ابن طاهر الحسيني أخو المذكور قبله وأكبر منه سناً وعلماً . [ومنهم شيخنا أبو بكر بن الحسن التطائي] (27) ومنهم شيخنا أبو عبد الله [سيدي] (28) محمد بن محمد المرابط الدلائي . ومنهم شيخنا أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي . ومنهم شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغني (29) ، وأخونا في الله سيدي عبد الله الشريف المصمودي ، ومحبنا سيدي أحمد بن محمد اليماني ، وصاحبه أخونا [في الله] (30) سيدي أحمد ابن محمد الأندلسي ، والأستاذ سيدي عبد الرحمان بن القاضي ، والحاج عبد العزيز الفلالي (31) ، <وسيدي> (32) علي بن محمد الشريف <وسيدي عبد الله بن إبراهيم الفلالي> (33) وسيدي عبد الله بن إبراهيم الفاسي وسيدي أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي وسيدي إسماعيل بن سعيد

(26) أشار إلى ما جاء في أبيات للشبلي تقول :

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين أزمعوا أن ذنبي فرط حبي لهم ، وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقي ما جزا من يجب ألا يجب

(27) ما بين العلامتين زيادة من ك و س و ح .

(28) ما بين العلامتين زيادة من ك .

(29) كذا في الأصل ، ومثله في ح وفي ك : « المرغني بشاء مثلثة أما س فجاءت فيها النسبة هكذا :
« المرغني » .

(30) ما بين العلامتين زيادة من ك و س و ح .

(31) في س : « الفيلاي » بالياء بعد الفاء .

(32) ما بين العلامتين ساقط من س .

(33) ما بين العلامتين ساقط من ك و س و ح .

الدكالي وسيدى شعيب بن علي العباس (34) وسيدى محمد بن أحمد الهشتوكي
وسيدى منصور الدرعي التيرستي والحاج الحسين الدرعي وسيدى محمد بن
عبد الله الزولتي وسيدى محمد بن عبد الله أحشوي ، وسيدى محمد بن الشيخ
الوفراوي (35) والثلاثة من درعة . وسيدى عبد الله بن محمد العياشي ،
وسيدى علي بن عبد الرحمان الدرعي ، وسيدى علي بن موسى السوسي ،
وسيدى محمد < بن موسى > (36) الشليح الزعري ، وسيدى عبد الله بن
أحمد بن رحال ، وسيدى محمد بن موسى ، وسيدى أبو جمعة بن مسعود ،
وسيدى سعيد بن عبد القادر الرجراجيون (37) ، وسيدى الوافي بن إبراهيم ،
وسيدى الصغير بن المنيار (38) وابن عمه سيدى البصري ، والفقير سيدى
محمد بن سعيد السملالي < السوسي > (39) وسيدى محمد بن عبد القادر
الونجلي ، وسيدى أبو القاسم بن موسى ، وسيدى محمد بن أبي بكر العياشي ،
وعائشة العدوية والحاج أحمد العجل ، والأستاذ الطاهر الشريف .

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه من خط المصنف بواسطتين عند العصر
يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ،
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين عدد ما في علم الله صلاة وسلاماً تامين دائمين بدوام ملك الله .

-
- (34) كذا في الأصل . وفي ك و س و ح : « العباسي » بياه النسبة .
(35) كذا في الأصل ، ومثله في س وأصلحت النسبة في هامش ك بالوافراوي بألف بين الواو
والفاء وكذلك طبعت في ح .
(36) ما بين العلامتين ساقط من ك وكذا من س ومن ح أيضاً .
(37) في ك : « الرجراجي » بالإفراد .
(38) في ك : « ابن منيار » بالتنكير .
(39) ما بين العلامتين ساقط من ح وحدها .

وفي آخر هذا الانتهاء دعاء وقع على كتابته لفق ورقي لعله جعل وصلاً
لحرق وقع هناك .

وجاء بهامش المخطوطة الكتانية بقية من مسرد الشيوخ هذا نصها :

[والفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الشريف ملازم الحرمين الشريفين ،
والعلامة سيدي الحرشي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، نفعنا الله بمحبتهم
في الدارين ، آمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد البشر ، والشفيع في المحشر ،
وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كامل الكتاب المبارك بحمد الله وحسن عونه] .

وكتب بآخر النسخة الكتانية أيضاً ما يأتي : [انتهى ما وجد من هذا
التقييد المبارك نور الله ثرى مؤلفه ورضي عنه وأفاض علينا من بركته وبركة
من ذكر فيه من الأخيار ، الصالحين الأبرار ، وحشرنا معهم ، على يد محمد
الطيب بن علي (.) (40) الحسيني القصري لطف الله به وكان الفراغ
منه ضحوة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى عام ستة وثلاثين ومائة وألف] .

(40) البياض الذي بين العلامتين به كلمة تشابهت علينا كتابتها فما اهدينا إلى قراءتها فأغفلناها
احتراراً من طبعها على غير وجهها الصحيح .

محتويات المحاضرات

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثانية

ترجمة اليوسي في نصوص

أ
ب
ج
د
هـ
و
ز
ح
ط
ق
ر
س
ش
ط
ظ

اسمه ونسبه وكناه

أولية أمره

رحلته في طلب العلم ولقاء الأشياخ

ثناء العلماء عليه

اليوسي مجدد المائة الحادية عشرة

وفاة اليوسي

مراجع ترجمة اليوسي

آثار اليوسي

كلمة عن المحاضرات اليوسية

طبع المحاضرات اليوسية

مخطوطات المحاضرات اليوسية

عملنا في التحقيق

نص المحاضرات

5

17

مقدمة المؤلف

فوائد تسمية المؤلف

30	اسم المؤلف ونسبه
84	رؤيا والد المؤلف ودعوة استاذہ
93	تقلبات الدهر
97	مقام الشكر ومقام الصبر عند الصوفية العارفين
99	الشجرة الخضراء في المدينة الخالية : سجداسة
105	محتالون يظهرون الصلاح ويخدعون الناس
110	اشعار في الكرم وخدمة الضيف
113	اصناف الناس
115	أصناف بقاع الأرض
127	الأريحية
134	فضل العلم
137	الانزعاج عن الوطن
139	الحكم التكليفي والحكم التصريفي
142	النفس والشيطان
148	الخاطر النفساني والخاطر الشيطاني
149	الحقيقة والشريعة
152	أبيات الحكمة والتمثيل
172	روايات المؤلف عن محمد الحاج الدلائي
176	منافسة علماء مصر لأحمد المقرئ
183	قضاء الحاجات عند الصلحاء
187	الحررة تكفي وتغني
191	شيخ الدلاء عند عبد الله بن حسون في سلا
194	محمد الشرقي شيخ تادلة
196	القاف المعقودة
198	الكسكسون والتداوي بالشيء المعتاد
204	الدنيا وما فيها عرض زائل
214	المقامة (الحافظة)
219	الحسد والحساد
226	كلمة الاخلاص وتغالي فقهاء سجداسة في فهمها وتفهمها للعوام
235	العدوى والطيرة
247	تأملات المؤلف في النعيم والعذاب
249	انهزام الدلائيين في معركة بطن الرمان

251	دوام الملك بالعدل واضمحلاله بالجور
257	وسواس المهداوية
261	مهدوية أحمد بن أبي محلي
265	المهدي بن تومرت وأتباعه
270	الرياسة والشهرة
278	الكشف والمكاشفة عند الصوفية
314	إطعام الطعام في الزوايا
316	الزاوية والرباط
328	ميل القلوب ونفرتها
307	حنين المؤلف الى الزاوية الدلائية
346	الاعتزال عن الخلق طلبا للسلامة
358	ذم المعاصرين ومدح المتقدمين
374	مداراة الناس صدقة
380	استقراء المؤلف لهجة ريفية

الجزء الثاني

- 389 مناظرة المؤلف لشيخه المرابط الدلائي
391 تنقل المؤلف في طلب العلم بالجنوب
395 تأخير الصلاة
398 أبو بكر الدلائي يكرم العكاكزة مداراة لهم
406 استحلاء الطامعات سموم قاتلة
415 تدبير العقل في اسرار الكون
416 تذوق الصوفية معاني الأبيات والإشارات وتأويلها حسب المقامات
434 انتقاد أحد القضاة للمؤلف والرد عليه
437 باب في ملح من الأدب
458 نبذة من مختار الشعر
481 أشعر بيت قالته العرب
485 أحسن بيت قالته العرب
488 أصدق بيت قالته العرب
490 أكذب بيت قالته العرب
491 أنصف بيت قالته العرب
493 أفخر بيت قالته العرب
495 أمدح بيت قالته العرب
497 أهجى بيت قالته العرب
500 أشجع بيت قالته العرب
501 أشعر بيت في وصف الجبان
502 أشعر بيت قيل في الاستحقاق
506 أكرم بيت قالته العرب
507 باب في نبذة من كلام الأذكياء
547 باب في نبذة من أبيات المعاني والألغاز العربية

567	باب في نبذة من المضحكات والملح
595	طفيل بن دلال الهلالي رأس الطفيليين
601	باب في ذكر شيء من أخبار الثقلاء
615	باب (في نبذة من الأوليات)
621	باب (في نبذة من المواعظ والوصايا)
624	طائفة من حكم علي مرتبة على الحروف
644	الرغيف والذهب
647	عدي بن زيد والأمير النعمان
651	من شعر أبي العتاهية في الزهد والمواعظ
656	نونية البستي الملقبة بعنوان الحكم
662	القصيدة الزينية
667	تائية المقرئ في المواعظ
671	خاتمة في ذكر جماعة من شيوخ العلم والتصوف لقيهم المؤلف
677	محتويات المحاضرات
683	الفهارس العامة

الفهارس العامة

- 685 - فهرس الأعلام
- 710 - فهرس الأجناس والأمم والطوائف
- 715 - فهرس البقاع والآثار
- 723 - فهرس الأشعار
- 752 - فهرس انصاف الأبيات
- 753 - فهرس الأرجاز
- 755 - فهرس الملحون
- 756 - فهرس الكتب
- 758 - فهرس الأمثال
- 759 - مراجع التحقيق
- 763 - مستدركات

فهرس الأعلام

حرف الهمزة

54 - 53 - 51 - 46 - 45 - 44	آدم (ابو البشر)
615 - 586 - 145 - 57 - 55	
645 - 617	
594	آدم الطويل
529	آمنة بنت سعيد
- 116 - 88 - 68 - 67 - 55 - 27	ابراهيم (الخليل)
616	
95	ابراهيم (ابن الرسول)
182	ابراهيم اللقاني
145 - 142 - 48 - 46 - 34	ابليس
586 - 523 - 254 - 219	
324 - 281 - 183	أحمد بن ابراهيم
674	أحمد بن ابراهيم العطار
184	أحمد بن أبي بكر الهشتوكي
605	أحمد بن حرب المهلبى
234	أحمد بن حنبل
672	أحمد الدراوى
333	أحمد بن رجاء الكاتب
672	أحمد بن عبد الصادق الرتبى
137	أحمد بن عبد الله الوقارى
263 - 262 - 261	أحمد بن عبد الله بن أبى محلى
575	أحمد العجل
434	أحمد بن عقبه الحضرمى

325	أحمد بن علي
672	أحمد بن علي الحاحي
654	أحمد بن علي بن مروان
581	أحمد بن عمار
424	أحمد بن أبي عمرو الصوفي
671	أحمد بن أبي القاسم لجاوزي
292	أحمد بن أبي القاسم الصومعي
674	أحمد بن محمد الاندلسي
232	أحمد بن محمد بن السيد الشريف
172	أحمد بن محمد المقرئ
672	أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي
674	أحمد بن محمد اليماني
292 - 224 - 194	أحمد المنصور (السلطان السعدي)
672 - 395 - 325 - 314	أحمد بن يوسف الراشدي
579 - 542 - 540	الأحنف بن قيس
497 - 495 - 462 - 162 - 20	الأخطل (غياث بن غوث)
183	أدریس بن أدریس
361	الأرجاني
251 - 198	أرسطو = أرسطوطاليس
617 - 55	إسحاق (النبي)
243	إسحاق الموصلي
34	إسرافيل (الملك)
618	أسعد بن زرارة
203	الإسكندر
620 - 617 - 68 - 67 - 56	إسماعيل (النبي)
571	إسماعيل بن بشار
404 - 401	إسماعيل بن حماد القاضي
674	إسماعيل بن سعيد الدكالي
654	إسماعيل بن سويد العنبري
179	ابن الأسود
478 - 477	أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو)
36	الإشبيلي

569	اشعب (الطماع)
525 - 367	الأصمعي
503	ابن الاعرابي
490 - 471 - 464 - 163 - 69	الاعشى الاكبر (ميمون بن قيس)
497 - 496	
601 - 519	الاعمش
514	اكرم بن صيفي
163 - 155 - 149 - 44 - 13 - 10	امرؤ القيس
- 483 - 472 - 426 - 349 - 165	
- 564 - 563 - 562 - 493 - 489	
566 - 565	
312	امية بن ابي الصلت
617	أميم
472	الاندلسي (المعتصم بن صمادح)
499	اوس (ابن مفراء)
254 - 233	اويس القرني
618 - 56	ايوب النبي

حرف الباء

451	الباجي (ابو الوليد سليمان بن خلف)
660	باقل
522	بثينة (صاحبة جميل)
217	البخترى (الوليد بن عبادة)
462	ابو البخترى
20	بدرة بنت ابي سلمة
19	برة بنت ابي سلمة
180	ابن ابي البراء
515	بزرجمهر
531	بسظام
584 - 572 - 358 - 161	بشار
604 - 603 - 591	

423	بشر (الحافي)
445	أبو بكر (أحد الفقهاء السبعة)
674 - 278 - 115	أبو بكر بن الحسن التطائي
398	أبو بكر الدلائي
261	ابن أبي بكر الدلائي
440 - 254 - 253 - 154	أبو بكر الصديق
533 - 530 - 519 - 488	
622 - 620 - 619	
425	أبو بكر الطوسي
192	أبو بكر بن العربي
454	أبو بكر بن عطية
672 - 101	البكري بن أحمد بن أبي القاسم الجاوزي
367 - 338	بلال (مؤذن الرسول)
598 - 597	بنان الطفيلي
64	بنت حاتم (سفانة)
610	البهاء المهلبى (زهير)

حرف التاء

	التاج = تاج الدين ابن عطاء الله
	التباع = عبد العزيز الحرار
332 - 222 - 163 - 155	أبو تمام (حبيب بن أوس)
526	
333	تميم بن المعز
566 - 564 - 563	التوام اليشكري
	أبو تومرت = أبو عبد الله محمد المهدي

حرف الثاء

522	ثابت بن عبد الله
	الثعالبي = عبد الرحمان

حرف الجيم

580	الجاحظ (عمرو بن بحر)
602 - 601	جالينوس
34 - 33	جبريل
614 - 613 - 475	جحظة (احمد بن جعفر اليرمكي)
495 - 494 - 73 - 61	جرير
504 - 501	
370	ابو جعفر الأسود
441 - 95	جعفر بن ابي طالب
568	جعفر بن محمد
503	جعفر بن يحيى اليرمكي
60	جفنة
266	الجلال السيوطي (عبد الرحمان)
675	ابو جمعة بن مسعود
212	جميز ابو الحارث
522 - 458	جميل (صاحب بثينة)
430 - 320 - 295 - 290 - 96	الجنيد
170	جهينة
193	الجوهري ابو الفضل

حرف الحاء

64	حاتم
220	الحاتمي ابو علي (محمد بن الحسن)
200	ابن الحاج
470	ابن الحاجب
79 - 60	الحارث الجفني
426	الحارث بن عمرو
34	الحارث بن مسكين القاضي
478 - 164	ابن حازم (محمد)
617	حام

459	حبيب بن عوف
536	حبيب بن المهلب
536 - 535 - 522 - 31	الحجاج بن يوسف الثقفي
618 - 571 - 570 - 537	
118	ابن حجة الحموي
426	حجر
554	حجير
316	الحداد أبو جعفر
470	الحداد أبو علي
115	الحرالي أبو الحسن
620	حرب بن أمية
390 - 135 - 64 - 20	الحريري (القاسم بن علي)
19	حزن
- 493 - 491 - 160 - 61 - 60	حسان بن ثابت
510 - 498 - 495	
531	حسان بن ربيعة
115 - 32	الحسن البصري
437	الحسن بن سهل
33	الحسن بن علي (السبط)
85 - 32 - 30	الحسن اليوسي
	ابن حسون = عبد الله
93	الحسين بن ابي بكر
675	الحسين الدرعي
205	الحسين بن الضحاك
672	الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي
170	حصين
440	ابن الحضرمي
529 - 528 - 527	الحضين بن المنذر الرقاشي
502 - 488 - 154 - 71	الخطيئة (جرول بن اوس)
589 - 588	
	الحلاج = موسى بن يدراسن
202	حماد بن زيد

586	أبو حمدونة
605	الحمدوي
473 - 119	ابن حمديس
619 - 441 - 41	حمزه بن عبد المطلب
524	حميد الامجي
476 - 130	حميد بن ثور الهلالي
531	الحوفزان
20	حيدرة

حرف الخاء

445	خارجة (ابن زيد بن ثابت الانصاري)
72	خارجة بن سنان
529	خاقان
458	خالد بن علقمة
244	خالد بن الوليد
19	خبيثة بن كناز
616 - 367 - 366	خديجة (أم المؤمنين)
425	الخراز
676	الخرشي
221	الخصيب
	ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله)
478 - 343	الخنساء
591 - 495 - 166	خير النساج
82	الخيزران
332	

حرف الدال

585	الدارمي المكي
618 - 188 - 23 - 22	داود (النبي)

501	أبو داوود
293	الديباس (الشيخ)
179	ابن دبوس القاضي
622 - 267	الدجال
645 - 438 - 347	أبو الدرداء
481 - 168	دريد بن الصمة
533	دغفل
571 - 460	أبو دلامة
480 - 479 - 461	أبو دلف

حرف الذال

488 - 481 - 160	أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد)
566 - 299	ذو الرمة (غيلان بن عقبة)

حرف الراء

424	الرازي
19	راشد بن عبد ربه
66	الراضي (الخليفة العباسي)
525	الربيع بن خثيم
448	الربيع بن سليمان الأزدي
190	رجال الكوش
249 - 199 - 36	الرشيد بن الشريف (السلطان)
651 - 523 - 433 - 432	الرشيد (هارون الخليفة العباسي)
614 - 476 - 74 - 57	ابن الرومي (علي بن العباس الشاعر)

حرف الزاي

434 - 372 - 286 - 183	زروق (أبو العباس أحمد)
104	أبو زكرياء المليجي

512	ابن أبي الزناد
602	زنباع
167 - 161 - 156 - 72 - 66	زهير بن أبي سلمى
542 - 495 - 482 - 170	
400	الزيات
570 - 569 - 518	زياد (ابن ابيه)
498	زياد الاعجم
603	زياد بن عبد الله
34	ابن زيتون القاضي
558	أبو زيد (كنية الكبر)
268	زيدان (قائد فاس)
262	زيدان بن احمد المنصور السعدي
619	زيد بن حارثة
263	زيد بن علي
456	ابن زيدون (أبو الوليد محمد بن عبدالله)

حرف السين

440	أبو السائب المخزومي
	أبو ساسان = الحضين بن المنذر
569	سالم بن عبد الله
617	سبأ
183	السبتي أبو العباس (احمد بن جعفر)
425	ابن سبعين (عبد الحق بن ابراهيم)
660 - 618	سحبان
399	ابن سراج
290 - 234	السري (أبو الحسن السقطي)
570	سعد الراية اليربوعي
619	سعد بن أبي وقاص
425	أبو سعيد
582 - 475	سعيد بن حميد
568 - 537	سعيد بن العاصي

675	سعيد بن عبد القادر الجرجاني
190	سعيد بن عبد المنعم المناني الحاحي
448	ابو سعيد المكي
445 - 443 - 439 - 19	سعيد بن المسيب
604 - 603	ابو سفيان
220	سفيان بن امية
57	ابو سفيان (ابن حرب بن امية)
526	سليمى
624	سلمان
214 - 183	ابو سلهم
600 - 518 - 441 - 188	سليمان (الرسول)
335	سليمان الكلاعي
445	سليمان (ابن يسار احد الفقهاء السبعة)
62	السموال
308 - 226	السنوسي
19	سهل
423	سهل (ابن عبد الله التستري)
603	سهل بن هارون
57 - 19	سهيل (ابن عمرو)
588	سوار القاضي
177	سيبويه (امام النحاة)
439	ابن سيرين
178	سيف الدين الآمدى
312 - 26	سيف بن ذي يزن
675	سيدي البصري

حرف الشين

417 - 410 - 180	الشاذلي (علي بن عبد الله)
445 - 360 - 349 - 239	الشافعي (محمد بن ادريس)
603 - 477 - 448	
104	شاكر

221	ابن شبرمة
674 - 316 - 192	الشبلي ابو بكر
582	شجاع بن القاسم
200	الشريف العمرني
523	شريك القاضي
425	الششتري
418	الشطبي
570 - 242	الشعبي
91	شعيب (الرسول)
369	ابو شعيب السارية
675	شعيب بن علي العباسي
532	شيبة الحمد (عبد المطلب بن هاشم)
619	شيبة بن ربيعة
617	شيث بن آدم

حرف الصاد

610	الصاحب (اسماعيل بن عباد)
171	صالح بن عبد القدوس
	الصديق = ابو بكر
113	صعصعة بن صوحان
675 - 326 - 325	الصغير بن المنيار
503	الصفى الحلي (عبد العزيز)
168	الصلتان العبدي (قثم بن خبيثة)

حرف الطاء

675	الطاهر الشريف
672	الطاهر بن عبد الله بن ابي بكر
349 - 165 - 162 - 154 - 7	طرفة
506 - 488 - 474	

566 - 503 - 501 - 499	الطرماح
	ابو طريف = عدي بن حاتم
595	طفيل الهلالي
496	ابو الطمجان القيني
428 - 351 - 332 - 93 - 57	ابو الطيب (احمد بن الحسين المتنبّي)
432 - 431	
103	ابو الطيب بن يحيى الميسوري

حرف العين

372 - 367 - 364 - 363 - 94	عائشة (ام المؤمنين)
377	
675	عائشة العدوية
432	عائكة
115	ابن عامر الشامي
64	عامر بن الطفيل
519	عامر بن عبد القيس العنبري
335	العامرية
211	ابن عباد (شارح الحكم العطائية)
204	العباس بن الاحنف
607	العباس بن الحسن العلوي
569 - 567 - 520 - 419 - 363	ابن عباس (عبد الله الحبر)
618 - 301	العباس بن عبد المطلب
500	العباس بن مرداس
473	ابن عباس النيسابوري
254	ابن عبد البر ابو عمر
454	عبد الحق بن ابي بكر بن عطية
398	عبد الحق بن المنزول
595	عبد الحميد بن طفيل
320 - 184	عبد الخالق بن ياسين
537	عبد ربه الخارجي
268	عبد الرحمان الترابي

233 - 232 - 231	عبد الرحمان الثعالبي
569	عبد الرحمان بن ابي الزناد
674	عبد الرحمان بن القاضي
268	عبد الرحمان اللجائي
232	عبد الرحمان بن محمد
99	عبد الرحمان بن يوسف الشريف
269	عبد الرزاق
411 - 380 - 268 - 183	عبد السلام بن مشيش
585	عبد الصمد بن علي
424 - 418	عبد الصمد بن المعدل
191	عبد العزيز بن احمد الرسموكي
69	عبد العزيز بن حنتم (المحلق)
190	عبد العزيز بن عبد الحق الحرار
674	عبد العزيز الفلالي
395	عبد العزيز القسماطيني
302 - 294 - 293	عبد القادر الجيلاني
674	عبد القادر بن علي الفاسي
232	عبد الكبير
672	عبد الكريم بن احمد بن يوسف
674	عبد الله بن ابراهيم الفاسي
674	عبد الله بن ابراهيم الفلالي
675	عبد الله بن احمد بن رحال
179	عبد الله بن بسام
292 - 233 - 191	عبد الله بن حسون
672 - 325	عبد الله بن حسن الرقي
608	عبد الله بن خلف
619 - 618	عبد الله بن الزبير
452	عبد الله بن السيد البطليوسي
674	عبد الله الشريف المصمودي
674	عبد الله بن عبد الله الحسبتي
278	عبد الله بن علي بن طاهر الحسني
623 - 621 - 102	عبد الله بن عمر بن الخطاب

395	عبد الله بن عمرو المظفري
606 - 271	عبد الله بن المبارك
86	عبد الله بن محمد
675 - 30	عبد الله بن محمد العياشي
157	عبد الله بن معاوية
529 - 528	عبد الله بن مسلم
522	عبد الله بن هلال (صديق ابليس)
159	عبد الله بن همام
302	ابو عبد الله (شيخ صوفي)
398	ابو عبد الله الشرقي الدلائي
	ابو عبد الله (يعقوب بن داوود) وزير المهدي العباسي
209	عبد المطلب
617 - 26	عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز
273	عبد الملك بن مروان
571 - 530 - 529 - 522 - 31	عبد الملك بن المهلب
535	عبد المؤمن بن علي
266 - 265	عبد الواحد الشريف
184	عبد الوهاب الشعراني
292	عبد الوهاب بن نصر المالكي القاضي
449	عبدون بن صاعد الوزير
401	عبيد بن الابرص
564 - 563 - 562 - 161 - 159	عبيد بن حصين الراعي
73	عبيد الله بن زياد
477	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
445 - 444 - 443	عبيدة (ابن الحارث بن عبد المطلب)
619	ابو عبيدة (ابن الجراح)
254	عتاب بن ورقاء الرياحي
577	ابو العتاهية (اسماعيل بن القاسم)
651 - 603 - 473 - 347 - 334	
654	
534	عتبة بن ابي سفيان
619	عتبة بن ربيعة

425	عثمان الإحول
599	عثمان
620 - 581 - 519 - 441 - 254	عثمان بن عفان
84 - 81	عثمان بن علي اليوسي
115	أبو عثمان المغربي
605	عجاب المغنية
460	عجل بن أبي دلف
75 - 57	عدنان
520	عدي بن حاتم
649 - 648 - 647 - 578 - 158	عدي بن زيد العبادي
467	عدي بن أبي الصلت
37	العراقي (عبد الرحيم بن الحسين)
371	ابن العربي (محيي الدين)
61	العرجي (عبد الله بن عمرو الشاعر)
135 - 34	ابن عرفة (الفقيه)
220	عروة
220	عروة بن أذينة
124	عروة بن حزام
445	عروة (ابن الزبير أحد فقهاء المدينة السبعة)
526 - 463 - 111	عروة بن الورد
410 - 367 - 180	ابن العريف
404	عز الدين
59	عصام
179	ابن عصمة
208	العضباء (فرس الرسول)
35	عضد الدولة
608	ابن عطاء الصنهاجي
87	ابن عطاء الله (تاج الدين)
92	ابن عطاء الله (الجد)
518	مقبة بن أبي معيط
104	عقبة بن نافع الفهري
569	عكرمة

432 - 431 - 353 - 351 - 217

618 - 545 - 544 - 449

163 - 162

50

586

473

326

190

181

395

620

544

578

292

231 - 114 - 108 - 45 - 20

441 - 272 - 255 - 254 - 253

620 - 619 - 533 - 530 - 519

623

675

84

269

674

675

232

608 - 607

545

188 - 74 - 43 - 37 - 27 - 19

440 - 346 - 255 - 254 - 253

623 - 568

521 - 443 - 330 - 274 - 273

540 - 539 - 524

ابو العلاء المعري (احمد بن عبد الله)

علقمة بن عبدة (الفحل)

علقمة بن علاثة

علوبة

علوية

علي بن ابراهيم

علي بن ابراهيم البوزيدي

علي الاجهوري

علي بن احمد الرماني

علي بن اسماعيل الاشعري

علي بن الجهم

علي بن زياد الايادي

علي ابو السكاوي

علي بن ابي طالب

علي بن عبد الرحمان الدرعي

علي بن عثمان

ابو علي الفارسي

علي بن محمد الشريف

علي بن موسى السوسي

علي بن يوسف الدرعي

ابو عمار

ابن عمار (محمد ابو بكر)

ابن عمر = عبد الله

عمر بن الخطاب

عمر بن عبد العزيز

612	عمر بن الوردى
581 - 580	أم عمرو
465	عمرو بن الاطنابة
159	عمرو بن براقه
619	عمرو الحضرمي
537 - 530 - 529	عمرو بن سعيد الاشدق
587 - 222 - 519 - 253	عمرو بن العاصي
472	عمرو بن كلثوم
471	عمرو بن معد يكرب
541	عمرو بن هند
369	أبو عمران الهسكوري الاسود
200	العمرائي الشريف
35	أبو عمير
506 - 500 - 428	عنتره
530	عوف (ابن معلم)
455	عياض بن موسى اليحصبي القاضي
645 - 644 - 517 - 267	عيسى (الرسول)
423	ابن عيسى (أبو يزيد طيفور البسطامي)
56	العيص بن اسحاق
528 - 21	عيلان
573 - 572	أبو العيناء

حرف الفين

19	غاوي بن عبد العزى
584	الغريض
185	الغجاتي أبو علي
354 - 290 - 265	الغزالي (محمد بن محمد حجة الاسلام)
190	الغزواني
571	الغمر بن يزيد

حرف الفاء

425 - 172	ابن الفارض (عمر)
	الفاروق = عمر بن الخطاب
273	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
529	الفتح بن خاقان
350 - 189	ابو فراس الحمداني
458 - 439 - 120 - 63 - 61	الفرزدق
543 - 540 - 510 - 499 - 493	
617 - 578 - 271 - 251	فرعون
	ابن الفريفة = حسان بن ثابت
193	ابو الفضل الجوهري
536	الفضل بن المهلب
651	الفضل بن يحيى
486	الفقيمي
460	ابن أبي فنن
21	الفيض بن أبي عقيل

حرف القاف

615	قبايل
447	ابو القاسم بن الازرق
142	ابو القاسم بن بوعتل
183	ابو القاسم الشيخ
672 - 101	ابو القاسم الغازي
445	القاسم بن محمد
675	ابو القاسم بن موسى
672	ابو القاسم بن مولود الجاوزي
537 - 110	القالي (اسماعيل بن القاسم)
535	قبيصة بن المهلب
476	قتادة
528 - 527	قتيبة بن مسلم

618	قتيلة بنت جناب
618	قس بن ساعدة
532	قصي
158	القطامي (عمر بن شبيب)
537 - 536 - 466	قطري بن الفجاءة
584	ابن قنان
557	قيس بن زهير

حرف الكاف

94	ابو كبير الهذلي (عامر بن الحليس)
501	ابن ابي كبير
506	كثير عزة
545 - 433 - 432	الكسائي (علي بن حمزة)
517	كسرى انوشروان
618 - 435 - 108	كعب
20	كعب بن جعيل
485	كعب بن زهير
617	كعب بن لؤي
605	كعب بن مالك
535	كعب بن معدان الاشقري
618	كلثوم بن الهمد
219	الكميت الاسدي
587	ابو الكوكب
114	كميل بن زياد
615	الكوش بن حام
616	كيومرث

حرف اللام

617	لامك
445 - 364 - 363 - 152 - 76	ليبد
482 - 458	

518 - 513
178
417 - 41 - 27

لقمان الحكيم
المتوني (علي بن يوسف)
ليلي العامرية

حرف اليم

60
449 - 401 - 274 - 34 - 33
620
477 - 423
559
586 - 480 - 479 - 473
620 - 587
586
672 - 229
591 - 461 - 460
373 - 463
417 - 330 - 121 - 41 - 27
127
61
71
428 - 256 - 239 - 74 - 56 - 6
675 - 518 - 488 - 486
675 - 184
201
204
399
326 - 325 - 314 - 194 - 190
398
675 - 346

ابن مارية
مالك بن انس
مالك بن دينار
ابو مالك (كنية الكبار)
المأمون العباسي
الماوردي (علي بن محمد)
مبارك بن محمد العنبري
المبرد (محمد بن يزيد)
التمس (جرير بن عبد المسيح)
المجنون (قيس بن الملوح)
محرز العكلي
ابن محرق
المطلق (عبد العزيز بن حنتم)
ابن أبي محلى = أحمد
محمد (رسول الله)
محمد بن أحمد الهشتوكي
محمد ادراق الطبيب الفاسي
محمد بن اسماعيل = خير النساج
محمد بن أمية
محمد بن أبي بكر الاسحاقي
محمد بن أبي بكر الدلائي
محمد بن أبي بكر العياشي

352 - 350	محمد بن تميم
269 - 267 - 266 - 265 - 178	محمد بن تومرت
249 - 198 - 172	محمد الحاج بن محمد بن ابي بكر الدلائي
675	محمد بن سعيد السملالي
674 - 396 - 33	محمد بن سعيد السوسي
184	محمد بن سليمان الجزولي
451	محمد بن سماك
396	محمد بن سمودة
292 - 288 - 233 - 194 - 190	محمد الشرقي التادلاوي
395	
105	محمد بن الشريف
675	محمد اشليح الزعري
391	محمد لشيخ (السلطان السعدي)
675	محمد بن الشيخ الوفاوي
302 - 301	محمد الصالح بن المعطي
314	محمد الصفي بن ابي عمرو المراكشي
130	محمد بن ابي طاهر
676	محمد بن عبد الرحمان الشريف
675	محمد بن عبد القادر الونجالي
196	محمد بن عبد الكريم الجزائري
675	محمد بن عبد الله احشوي
675	محمد بن عبد الله الزلتي
673 - 107	محمد بن عبد اذاه بن علي بن طاهر الشريف
174	محمد العربي بن ابي المحاسن
262 - 261 - 233 - 32	محمد بن المبارك التستاوتي
674 - 389 - 196	محمد بن محمد المرابط الدلائي
232	محمد بن محمد بن ناصر
346	محمد بن مسعود العيسوي العرفاوي
536	محمد بن المهلب
675	محمد بن موسى
226 - 175 - 174 - 85 - 81 - 30	محمد بن ناصر الدرعي
392 - 281 - 233 - 232 - 231	
672 - 434 - 396	

503	محمد بن هشام
503	محمد بن وهب
655 - 477	محمود الوراق
535	مدرك بن المهلب
288 - 183 - 91	أبو مدين
392	المرادي
510	مرباع
535	مرة بن تليد الأزدي
463	مرداس الأسدي
100 - 92 - 87	المرسي أبو العباس
487 - 124	المرقش
571	مروان بن الحكم
521	أز مريم السلولي
531	المزدلف صاحب العمامة
583 - 582	المستعين (أحمد بن المعتصم)
369	المسطاطي أبو علي
438 - 108 - 33	ابن مسعود (عبد الله الصحابي)
399	المسعود بن عبد الحق
527 - 273	مسلمة بن عبد الملك
649 - 647	السيح (عيسى بن مريم)
619	المصعب بن عمير
610	مطيع بن أياس
520 - 465 - 113 - 79 - 54	معاوية بن أبي سفيان
587 - 541 - 538 - 537 - 523	
620	
614 - 611	ابن المعتز (عبد الله)
529 - 245	المعتصم (أبو إسحاق محمد بن الرشيد)
401	المعتضد
545	المعتمد بن عباد
333	المعز
602	معمر بن المثنى (أبو عبيدة)
520 - 221	معن بن زائدة

535	المغيرة بن المجلب
667	المقرئ اليمني
110	المتنع الكندي
421 - 417	مكين الدين لأسمر
	الملك الضليل = امرؤ القيس
34	المنتصر بالله
60	المنذر ماء السماء
672	منصور بن احمد بن علي
675	منصور الدرعي
520	المنصور العباسي
359	منصور الفقيه
478 - 164	منصور النمري
103	منية الدكالية
572 - 571 - 332 - 209	المهدي العباسي
266 - 265 - 262 - 258	المهدي (المنتظر)
285	أبو مهدي الدغوفي
535 - 518 - 517 - 459	المهلب بن أبي صفرة
620 - 537 - 536	
476	المهلب (أبو خالد يزيد بن محمد)
490 - 471	مهلهل بن ربيعة
399	المواق
91	موسى (الرسول)
91	موسى بن يدراسن الخلاج
672	مولود الجاوزي
333	ابن ميادة (الرماح بن ابرد)
476	الميكالي أبو الفضل

حرف النون

168 - 155 - 79 - 61 - 60	النايفة (زياد بن معاوية الديباني)
343	
292	الناصر

618	نافع
73	النجاشي (قيس بن عمرو الشاعر)
179	ابن النحوي (أبو الفضل يونسف)
220	نصر بن سيار
527	نصيب
243	النظام
649 - 647	النعمان بن امرئ القيس
59	النعمان بن المنذر
444	النهدي
459	نهشل بن حري
120	نوار
428 - 421 - 416 - 331 - 221	أبو نواس (الحسن بن هانيء)
611 - 503	
615 - 54	نوح (الرسول)
326	النوري

حرف الهاء

615	هابيل
617	هاجر
27	هارون بن عمران
532	هاشم بن عبد مناف
226	الهبطي
467	ابن هرمة
441	هرموز
72	هرم بن سنان
601 - 481	أبو هريرة
539 - 538 - 263	هشام بن عبد الملك
605 - 604	هلال
590	همام بن مرة
79	هند بنت عتبة
21	هند بنت النعمان بن بشر

حرف الواو

406	الواسطي
675	الوافي بن ابراهيم
530 - 529	ابو الوليد = الباجي
619	الوليد بن عبد الملك
	الوليد بن عتبة

حرف الياء

617	يافث
316	اليافعي
614	يحيى بن خالد بن برمك
103	يحيى بن يونس
423 - 90	أبو يزيد (طيفور بن عيسى البسطامي)
589	يزيد بن مزيد الشيباني
538	يزيد بن معاوية
535 - 517	يزيد بن المهلب
618 - 617	يعرب بن قحطان
320 - 183 - 101	أبو يعزي (يلنور)
618 - 55	يعقوب بن اسحاق (عليهما السلام)
104	يعلى بن مصلين الرجراجي
319	يوسف العجمي
263	يوسف بن عمر
	أبو يوسف القاضي (يعقوب صاحب
579	أبي حنيفة)
181	يوسف الوفائي
55	يوسف بن يعقوب (النبي)
448	يونس بن عبد الاعلى
117	يونس (النبي)

فهرس الاجناس والامم والطوائف

حرف الهمزة

439	آل داوود
61	آل عمرو
97	آل فرعون
576	الاباضية
591 - 534	الأزد
55	الأسباط
411 - 67	أسد (بنو ...)
411 - 55	إسرائيل (بنو ...)
19	أسلم
520 - 297	امية (بنو ...)
618	أميم
71	انف الناقة (بنو ...)

حرف الباء

541	البراجم
198	البربر
104	برغواطة
528 1 132 - 21	بكروائل

حرف التاء

504	تغلب
-----	------

499 - 541 - 543 - 544
503
532

تميم (بنو ...)
تيم
تيم بن مرة

حرف الشاء

92

ثقيف (يوم ...)

حرف الجيم

495
72

جفنة (بنو ...)
جمرات العرب

حرف الخاء

160 - 42
278
522 - 535 - 578

الخزرج
الخنق
الخوارج

حرف الدال

63

الديان (بنو ...)

حرف الذال

531
530 - 531

ذهل الأصغر
ذهل الأكبر

حرف الراء

569 - 570
233 - 530
232
231
201 - 292

راسب (بنو ...)
ربيعة
الرقيبة (أهل ...)
الروافض
الروم

حرف السين

13 ساسان (بنو ...)
63 سلول

حرف الشين

175 الشاذلية
213 - 137 شبانة
365 الشراة
576 - 263 الشيعة

حرف الصاد

419 - 316 - 315 الصفة (أهل ... أصحاب ...)
179 صنهاجة
318 - 316 - 287 - 234 - 149 الصوفية
393 - 331

حرف الطاء

269 - 267 - 266 الطائفة التومرتية
671 - 234 الطائفة الغازية
582 الطالبيون
570 - 569 الطفاوة

حرف العين

441 - 363 عاد
499 - 63 عامر (القبيلة)
103 عبد الحق (بنو ...)
54 عبد مناف
73 العجلان (بنو ...)
589 - 78 - 43 العجم

67 - 62 - 54 - 43 - 25 - 20
149 - 127 - 126 - 78 - 75
428 - 424 - 380 - 298 - 196
486 - 485 - 481 - 480 - 458
495 - 493 - 491 - 490 - 488
541 - 539 - 514 - 507 - 500
589 - 557 - 546

العرب

19

عصية

398

العكاكرة

42

العلوية

132

العنبر (بنو ...)

61

العنقاء (بنو ...)

حرف الفين

19

غفار

حرف الفاء

57

الفاطيون

252

الفرس

543 - 542

فقعس

445 - 443

الفقهاء السبعة

673 - 532

فهر

حرف القاف

296

القادرية

37

القبط

532 - 68 - 42 - 19

قريش

137

القوالون

حرف الكاف

230

الكميلية

68 كتانة (بنو ...)
531 كندة

حرف اللام

531 لخم
324 لكتاوة

حرف الميم

21 محارب
266 المرابطون
263 مروان (بنو ...)
233 مضر
179 ملوانة
232 مهرة (بنو ...)
589 الموالي
178 الموحدون
326 موسى (بنو ...)

حرف النون

400 النصريون (ملوك غرناطة)
510 - 73 - 72 نمر (بنو ...)
572 - 520 - 68 هاشم (بنو ...)
589 الهجيم (بنو ...)
137 هوارة

حرف الواو

66 - 20 وائل
339 ورا (بنو ...)

حرف الياء

278 يفوس (بنو ...)
149 اليونان

فهرس البقاع والاثار

حرف الهمزة

552	اباض
101	اجاوز
41	احد
92	الأخشبان
428 - 427	اذرعاع
543	إلال
525 - 524	امج
337	ام ربيع

حرف الباء

172	بحر سويس
619	البحرين
125	بستان إبراهيم
598 - 597 - 586 - 205	البصرة
249	بطن الرمان
598 - 302 - 217	بغداد
102	البقرة (مكان يتبرك به)
618	البقيع
102	بلاد رجراجة

198	بلاد الشام
391 - 346 - 262 - 99	بلاد القبلة
102	بلاد المصامدة
229	بلد توات
119	بلد الجدار
400	بلش
618 - 27	البيت الحرام
117	بيت المقدس
18	بيسان

حرف التاء

370 - 340 - 292	تادلا
292	تازا
370	تاغزوت
101	تاغية
203	تجمدرت
337 - 119	تلمسان
103	تمغراوت
120	تونس
411	التيه

حرف الثاء

543	ثبرة
604	ثهلان

حرف الجيم

396	جامع القرويين
396	الجامع الكبير
184	جامع المواسين
125	جبال البتر
380	جبال الزبيب

338	جبال فازاز
268	جبال لجاية
374 - 268	جبل بني زروال
543	جبل عرفة
12	الجزع
544	جسر بغداد
36	جسر سبو
60	جلق
619	جوائى

حرف الحاء

30	حارة اقلال
553	حَبَوْتَى
620 - 539 - 342 - 172	الحجاز
19	الحديبية
369 - 123 - 122 - 121	الحمى
244	الحيرة

حرف الخاء

544	خفية
337	خلاد
338 - 337	خلفون
341	خوخات
95 - 20	خيبر
28	الخييف
430	خيف منى

حرف الدال

340	داي
586 - 192	دجلة
196	درب الحجاز
675 - 672 - 262 - 203 - 183	درعة

134 دكالة
131 الدهناء

حرف الذال

100 ذات انواع
344 - 340 ذروة

حرف الراء

103 رباط سلا
103 رباط شاكر
544 الرصافة
454 رضوى
556 رماح
392 روضة الأشياخ
196 الروضة الشرفة
354 الري

حرف الزاي

الزاوية البكرية = الزاوية الدلائية
الزاوية الدلائية
337 - 240 - 184 - 85
673 - 389
99 الزلاميط

حرف السين

214 الساحل
99 السافلة
226 - 107 - 105 - 99 - 85 سبطماسة
671 - 262 - 227
254 السقيفة

191	سلا
39	سلمى (جبل)
342	السلام عليكم (موضع)
527	سمرقند
339	سبب الشنين
224	السودان
262 - 224 - 213 - 137 - 85	السوس الأقصى
406 - 391	
99	سوق الخميس

حرف الشين

103	شالة
571 - 550 - 428 - 205 - 43	الشام
367 - 339	شامة
99	الشجرة الخضراء
101	شجرة بيعة الرضوان
673	الشجر
336	شعب بوان

حرف الصاد

520 - 465	صفين
119	صقلية
131	الصمان
340	الصومعة
60	صيداء
594 - 149	الصين

حرف الضاد

334 - 119	الضمار
-----------	--------

حرف الطاء

534 - 525	الطائف
-----------	--------

367 - 339

201

117 - 42

طفيل

طنجة

طيبة

حرف العين

451

العدوة (عدوة الأندلس)

469 - 393 - 205 - 120 - 43

العراق

584

عرفات

340

عسلوج

69

عكاظ

124

علاوى

462

عدان

245

عمورية

حرف الفين

441

غدير خم

249 - 183 - 107 - 106 - 87

الغرب

105

الغرفة

حرف الفاء

214 - 199 - 179 - 121 - 120

فاس

396 - 374 - 269 - 268

30

فركلة

حرف القاف

431

القدس

456 - 455

قرطبة

278

قرية اولاد الحاج

179

القلعة

125

القليب

543 - 542

القنان

حرف الكاف

617 - 394 - 20

426

595 - 177

الكعبة
الكلاب (موضع)
الكوفة

حرف اللام

431

542

431

364 - 124 - 123

لبنان
لصاف
اللكام
اللوى

حرف الميم

367 - 339

430

534 - 445 - 117 - 116 - 39

619

105 - 99

202 - 185 - 184 - 178 - 137

292 - 269 - 266 - 262 - 226

391 - 340 - 337 - 301

99

181

397

417 - 301 - 265 - 178

176 - 175 - 173 - 172 - 43

471 - 470 - 448 - 293 - 178

278

265 - 198 - 174 - 102 - 43

617 - 302

116 - 107 - 39 - 28 - 27

مجنة
المحصب
المدينة (مدينة الرسول)

المدينة الخالية
مراكش

المراكنة
المسجد الحرام
مسجد الخلوة
المشرق
مصر

مضغرة
المغرب

مكة

424 - 332 - 241 - 181 - 117
585 - 525
338 - 337
338 - 200 - 103
395
39
584 - 28
334 - 119

مكناسة
ملوية
مليانة
منعج
منى
المنيفة
ميسرة = تمفروات

حرف النون

424 - 422 - 125 - 124 - 120
440
18
430
202
341
340
117

نجد
نخلة
نعمان (ماء)
نعمان (موضع)
نهر تيرا
نهر الرمال
نهر العبيد
نينوى

حرف الهاء

23
106

الهند
هسكورة (جبال)

حرف الواو

118
26 - 25
173
129

وادي حماة
وادي السباع
وادي سوس
وادي العبيد = نهر العبيد
واسط

حرف الياء

427
552
523 - 363

يثرب
اليمامة
اليمن

فهرس الأشعار

حرف الهمزة

الهمزة المضمومة

الصفحة	عدد الشاعر الآيات	البحر	القافية
652	4 ابو العتاهية	الطويل	فناؤها
416	1 أبو نواس	البيسط	اغراء
351	1	الوافر	الصفاء
359	4	الغشاء
491	1 حسان بن ثابت	الفداء

الهمزة المفتوحة

500	1 عنترة	الطويل	بقاءها
-----	---------	--------	--------

الهمزة المكسورة

60	1	الوافر	السماء
155	1 ابو تمام	الكامل	الضعفاء
613	2	الجلساء
351	2	مجزوء الرمل	بصفاء
610	2 مطيع بن اياس	الثقلاء
353	1	الخفيف	للاصدقاء

حرف الباء

البياء المضمومة

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
39	2	الطويل	سحابها
122	1	لحبيب
155	النايفة الذبياني	1	المهذب
162	2	يناسبه
163	علقمية	1	يناسبه
168	النايفة الذبياني	1	مطلب
189	ابو فراس الحمداني	1	ذنوب
246	الاعور الكلبى	1	يصلب
350	ابو فراس الحمداني	2	صحاب
376	كثير عزة	2	عائب
376	بشار بن برد	4	تعاتبه
476	حميد بن ثور الهلالي	3	جنوب
496	ابو الطمحان القيني	1	ثاقبه
618	2	اقرب
170	1	البيسيط	مكذوب
469	طريح بن اسماعيل	1	كذبوا
161	عبيد بن الابرص	1	مخلع البيسيط	يخيب
348	2	طيبب
28	قيس المجنون	5	الوافر	وجيب
125-124	ابو هلال الاسدي	6	هبوب
128	1	السحاب
476	المهلبى	4	المريب
483	امرؤ القيس	3	يصابوا
666-662	عبد القدوس	54	الكامل	تقلب
359	2	مجزوء الرمل	احبه
457	ابن زيدون	3	السريع	المذهب

الباء المفتوحة

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
464	ميمون الاعشى	2	الطويل	تقريبا
559	1	دائبا
71	الحطيئة	3	البيسط	ابا
73	جرير	2	الوافر	كلابا
378	الحسن بن رجاء	3	اعابا
494	جرير	1	غضابا
218	2	الكامل	جديبا
369	3	مفلويا
587	2	مجزوء الرمل	شابا
7	1	الخفيف	عجيبه
605	الحمادي	5	الخفيف	مستطابا
352	2	مجزوء الخفيف	صاحبا

الباء المكسورة

60	النابغة الذبياني	2	الطويل	حارب
65	عامر بن الطفيل	3	المهذب
66	1	ابى
97	النابغة الذبياني	1	المحارب
115	1	ترب
134	زراقة بن سبيع	2	وطيب
155	امرؤ القيس	1	مغلب
332	1	الخطب
336	3	الكرب
350-349	المعتصم بن صمادح	3	صاحب
352	3	ثيابيه
362	3	النائب
456-455	القاضي عياض	7	رکائبسي

الصفحة	عدد الشعراء الآيات	البحر	القافية
456-455	3 المعتصم بن صمادح	صاحب
474	2 ابن حمديس	سحاب
484	1 امرؤ القيس	مغلب
487	1	راغب
503	1 ابو نواس	ثيابه
591	2 سحيم الفقعسي	قلبي
135	2 ابو الفتح البستي	البيسيط	احبابه
456	4 القاضي عياض	اوصابي
480	3 ابو دلف العجلي	يشب
612-611	2 ابن المعتز	مخلع البيسيط	الحبيب
44	1 امرؤ القيس	الوافر	شبابي
426	13 امرؤ القيس	الشراب
528	1	الركاب
591	1	صحبي
611	5	باب
611	4 ابو نواس	الرقيب
76	1 لبيد	الكامل	الاجرب
79	1 ابو تمام	المتغابي
82	1 عثمان بن علي اليوسي	بائب
161	1 بشار بن برد	طالب
168	1 دريد بن الصمة	النقب
217	2 الحسن اليوسي	منصبي
342-341	13 الحسن اليوسي	يعبوب
363	1 لبيد	الاجرب
578	2 ابن الخطيب	اشهب
64	2	المنسرح	النسب
593	6	الخفيف	الذباب
612	3	واجتهدوا بي

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	البحر	القافية
الباء الساكنة				
438	4	كشاجم	الرمل	الطلب
حرف التاء				
التاء المضمومة				
135	1	الحريري	البيسيط	قوت
671	2	الكامل	الرحمات
213	2	مجزوء الكامل	يثبت
التاء المفتوحة				
217	2	ابو العلاء المعري	البيسيط	حوشيتا
307	2	ابو اسحاق الإلبيري	الوافر	السبنتى
التاء المكسورة				
41	1	الطويل	امواتي
102	2	كثير	حلت
126	5	ظنت
439	1	جريس	لاستقرت
499	1	الطرماح	ظلت
501	1	الطرماح	لولت
670-667	49	المقرئ اليمني	يقظة
448	2	الامام الشافعي	البيسيط	المروآت
560	2	مجزؤ الرمل	الدواة
587	2	السريع	هيئته
22	2	الخفيف	كالعنكبوت
23	2	للعنكبوت
366-365	10	الحسن اليوسي	الاقوات

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
حرف الجيم				
الجيم المضمومة				
446	الامام الشافعي	8	الكامل	معاجه
455-454	عبد الحق بن عطية	5	مجزوء الكامل	العلاج

الجيم المفتوحة

548	1	البيسط	فاهتاجا
-----	-------	---	--------	---------

الجيم المكسورة

418	عبد الصمد بن العذل	3	المديد	التهج
-----	--------------------	---	--------	-------

حرف الحاء

الحاء المضمومة

272	2	الطويل	مربح
504	2	تتزحزح
555	المتنخل الهذلي	1	البيسنيط	الوضح
360	6	الوافر	فلاح
304-302	الحسن اليوسي	20	السريع	صالح

الحاء المفتوحة

467	1	البيسيط	ذبحا
259	2	الوافر	الفلاحا
568	2	الملاحه
368	2	الكامل	راحا
349	طرفه	2	السريع	واضحة
474	طرفه	2	واضحة
455	القاضي عياض	2	المتقارب	المزاحا

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
--------	--------	---------------	-------	---------

الحاء المكسورة

464-463	عروة بن السورد	2	الطويل	مطرح
567	ابو الفتح البستي	2	المزح
243	اسحاق الموصلي	1	البسيط	الراح
465	عمرو بن الإطنابة	4	الوافر	الرييح
495	جريس	1	راح
274	البديع الهمداني	1	الخفيف	المزاح

الحاء الساكنة

352	2	الطويل	وينشرح
-----	-------	---	--------	--------

حرف الدال

الدال المضمومة

122	2	الطويل	اذودها
129	1	جمود
129	ابو عطاء السندي	1	لجمود
351	المتنبيسي	1	بسد
364	2	معاد
440	ابو بكر الصديق	3	راشد
445	عبيد الله بن عبد الله	6	بعيسد
486	حسان بن ثابت	1	محمد
499	اوس بن مفرأ	1	جلودها
59	الافوه الاودي	1	البسيط	سادوا
76	1	ولسدوا
219	الكميت الاسدي	3	حسدوا
220	الكميت الاسدي	1	السودد
222	زهير بن ابي سلمى	2	تعدوا
440	عمر بن الخطاب	5	والولد

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
487	الفيهمسي	1	تجد
448	3	الوافر	سعيد
500	1	الورود
303	جرير	2	العبيد
39	ابن الرومي	2	الكامل	جديد
477	محمود الوراق	4	مجزوء الرمل	يعود
193	ابو العتاهية	1	المتقارب	الواحد

الذال المفتوحة

111-110	المقنع الكندي	10	الطويل	حمدا
129	العباس بن الاحنف	1	لتجمدا
193	1	يهدي
	عبيد الله بن عبد الله	2	فقدنا
211	بن طاهر			
458	جميل بن معمر	1	غدا
496	ميمون الاعشى	1	المقالدا
526	العباس بن الاحنف	1	لتجمدا
221	نصر بن سيار	2	البيسط	عددا
348	دعبيل	2	فندا
349	الامام الشافعي	3	احدا
479	2	الوافر	مردا
163	ميمون الاعشى	1	الكامل	الامردا
163	ابو تمام	1	خدودا
205	الحسين بن الضحاك	2	الرمل	الصعدا
347	ابو العتاهية	2	السريع	بالوحدة
599	ابن حجاج	2	فائدة
78	الخنساء	1	المتقارب	امردا

الذال المكسورة

7	طرفة	1	الطويل	تزود
---	------	---	--------	------

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
111	عروة بن الورد	6	الورد
124	1	البعيد
154	طرفه	1	تزود
161	1	تنقذ
166	طرفه	1	المهند
258	1	جندي
335	سليمان الكلاعي	6	تجدي
364-361	الارجاني	2	مساعدا
450-449	القاضي عبد الوهاب	6	بالحد
458	خالد بن علقمة	1	انجد
481	دريد بن الصمة	2	في غد
482	دريد بن الصمة	1	أبعد
488	1	محمد
488	طرفه	1	تزود
576	عدي بن زيد العبادي	1	يقتدي
33	محمد بن سعيد اليوسي	1	البيسيط	مسعود
108	2	مسعود
159	عبيد بن الأبرص	1	زاد
221	معن بن زائدة	2	محسود
431-430	الحسن اليوسي	8	أمجاد
435	2	مسعود
503	الطرمحاح	1	بنو أسد
147	1	الوافر	قوادي
157	المتمس	1	الفسناد
354-353	4	للاعادي
445	الامام الشافعي	1	ليبيد
463	المتمس	2	الفسناد
541	ابو المهوش الاسدي	2	بـزاد
566	الطرمحاح وذو الرمة	6	عيسد
222	ابو تمام	2	الكامل	حسود

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
463	مرداس الاسدي	3	الافتاد
597-596	طفيل الاعراس	12	مجزوء الكامل	البعيد
75	المتنبي	1	الخفيف	بجدودي

حرف الراء الراء المضمومة

28	1	الطويل	طائره
122	2	خبير
169	1	الدهر
221	ابو نواس	1	امير
343	ابن الخطيب	1	الزهر
458	الفرزدق	1	كبارها
466	1	الطويل	يضرها
467	ابو العتاهية	1	يحذر
475	سعيد بن حميد	2	امور
550	2	تقصر
551	الاحيمر السعدي	4	اطير
361	3	البيسط	ينتظر
441	عثمان بن عفان	2	والعار
442	علي بن ابي طالب	2	ظفروا
443	عمر بن عبد العزيز	5	تندر
495	الخنساء	1	نار
495	الاخطل	1	قدروا
535	كعب الاشقري	1	السهر
352	2	الوافر	عذر
581	1	الحمار
143	2	الكامل	توتير
216	الحسن اليوسي	3	اسفاره
377	2	يعسر

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
379	1	ستـر
499	الفرزدق	1	قـرار
543	نهشل بن حرّبي	1	لمـمر
544	ابو المهوش الاسدي	2	اكـثر
45	ابو العتاهية	1	السريع	يفـخر
172	1	الخفيف	يحـار
332	المهدي العباسي	3	السـرور
332	الخيرزان	3	نطـير
655	محمود الوراق	2	سـروره

الراء المفتوحة

21	الحكم الخضري	1	الطويل	احـمرا
161	نهشل بن حرّبي	1	يتـفيرا
171	الحسن اليوسي	5	معـرى
334	ابن ميادة	4	خـضرا
340-339	الحسن اليوسي	6	بني ورا
349	امرؤ القيس	1	وتـفيرا
357-355	الحسن اليوسي	17	تـدرى
424-422	الحسن اليوسي	11	الفـخرا
472	امرؤ القيس	2	اخـرا
334	ابو العتاهية	2	البيـط	خـطرا
418	ابو نواس	2	افـطارا
422	ابو نواس	1	النـارا
449	ابو العلاء المعري	2	والسـفرا
475	2	نـاشره
599	العباس بن الاحنف	1	زـارا
41	قيس المجنون	2	الوافـر	الجـدارا
121	قيس المجنون	1	الديـبارا
552	2	جـارا

الصفحة	الشاعر	عدد الأبيات	البحر	القافية
565-564	امرؤ القيس والتوأم	5	استعارا
352	محمد بن تميم	2	الكامل	السورى
361	4	السورى
571	ابو دلامة	2	مجزوء الرمل	خيباره
653-652	ابو العتاهية	4	الكامل	منعفرة
588	2	السريع	عبارا
45	3	المنسرح	مذرة
119	ابن حمديس	3	المتقارب	تذكارها
547	1	السدري

الراء المكسورة

28	قيس المجنون	2	الطويل	يدري
164	1	القبر
335	2	عصير
338	الحسن اليوسي	12	طائر
371	1	للدهر
448	الامام الشافعي	2	القفر
493	حسان بن ثابت	2	الدهر
502	الخطيئة	2	الاعاصر
538	2	الصقر
544	علي بن الجهم	1	ولا ادري
553	1	القبر
553	3	بحر
560	1	معمر
652	ابو العتاهية	5	حدور
21	هند بنت النعمان بن بشير	1	البيسيط	الدار
348	2	بالقدر
468	1	بدينار
497	الاخطل	2	النار

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
498	حسان بن ثابت	1	العصافر
61	العرجي	2	الوافر	ثغر
120-119	الصمة القشيري	5	فالضمار
334	الصمة القشيري	5	فالضمار
416	ابو نواس	2	بالنهار
466	1	يدري
490	مهلهل بن ربيعة	1	بالذكور
501	امام بن ارقم النميري	2	كبير
77	الحكم بن عدل	2	الكامل	منكر
554-553	2	زهر
557	قيس بن زهير	2	نهار
674-673	الحسن اليوسي	12	الزهر
651	ابو العناهيبة	4	مجزوء الكامل	القصور
473	البديهي	1	الخفيف	حر
490	ميمون الاعشى	2	السريع	قابر
450	القاضي عبد الوهاب	5	المتقارب	ناظري
462-461	3	مقتر

الراء الساكنة

162	طرفة	1	الطويل	الابر
561	1	الكبر
608	6	الكامل	غبر
35	عضد الدولة	2	الرميل	سحر
45	ابو بكر بن عطية	3	قفر
510	الاخطل	1	يحجر
369	6	السريع	الديار
594	2	الثغور
120	3	المتقارب	سنار

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
--------	--------	---------------	-------	---------

حرف الزاي

الزاي المفتوحة

372	الخنساء	1	المتقارب	عجزا
-----	---------	---	----------	------

الزاي الساكنة

36	1	مجزوء الرمل	المجاز
----	-------	---	-------------	--------

حرف السين

السين المضمومة

112	1	الطويل	فارس
159	عبدالله بن همام السلولي	1	حارس
460-459	حبیب بن عوف	2	الوافر	المراس

السين المفتوحة

163	امرؤ القيس	1	الطويل	قوسا
564-562	عبید وامرؤ القيس	12	البيسط	اضراسا

السين المكسورة

64	أحريري	2	الطويل	امسه
346	2	من باس
558	1	نقسي
154	الخطيئة	1	البيسط	والناس
275	الخطيئة	1	الكاشي
368-367	ابن العريف الصوفي	4	أنسي
488	الخطيئة	1	والناس
166	الخنساء	1	الوافر	نقسي

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
360	الامام الشافعي	4	القياس
114	1	الكامل	الناس
355	1	السريع	بلا كاس
608	ابن عطاء الصنهاجي	2	الناس
602	1	المقارب	جلاسنا

حرف الصاد

الصاد المضمومة

451-450	القاضي عبد الوهاب	2	الطويل	ينغص
---------	-------------------	---	--------	------

الصاد المفتوحة

497	ميمون الاعشى	1	الطويل	خمائصا
608	ابو نواس	2	السريع	خصصنا

الصاد الساكنة

159	عدي بن زيد العبادي	1	السريع	الحريص
-----	--------------------	---	--------	--------

حرف الضاد

الضاد المفتوحة

351	ابو العلاء المعري	1	البسيط	غرضنا
471	ابن الحاجب	2	مخلع البسيط	منقبضه
345-343	الحسن اليوسي	17	الكامل	الاضنا

الضاد المكسورة

10	امرؤ القيس	1	الطويل	المخيض
506	طرفة	1	عرضي
607	1	السريع	الارض

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
--------	--------	---------------	-------	---------

حرف الطاء

الطاء المضمومة

568	2	الكامل	سقوط
9 - 7	الحسن اليوسي	22	الهزج	قط

الطاء المفتوحة

48v	2	البيسط	وخطا
-----	-------	---	--------	------

الطاء المكسورة

119-118	ابن حجة الحموي	4	الطويل	بالبسطة
---------	----------------	---	--------	---------

حرف الظاء

الظاء المضمومة

247	الحسن اليوسي	3	الوافر	حفيظ
-----	--------------	---	--------	------

حرف العين

العين المضمومة

61	الفرزدق	1	الطويل	الجامع
187	1	ضائع
458	ليبد	1	صانع
468	1	اراع
543	الناطقة الديباني	1	التدافع
131	2	البيسط	فاصطنعوا
164	منصور النمرى	1	تبع
478	منصور النمرى	1	تبع
472	عمرو بن معد يكرب	1	الوافر	تستطيع

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
160	أبو ذؤيب الهذلي	1	الكامل	تقنع
481	أبو ذؤيب الهذلي	1	تقنع
488	أبو ذؤيب الهذلي	1	تقنع
504	صفي الدين الحلبي	2	يضيع
510	جرير	1	مربع
524	حميد الامجي	2	متقارب	الاصلع

العين المفتوحة

123	الصمة القشيري	2	الطويل	معا
551	1	جوعا
554	1	اودعا
476-475	جحظة البرمكي	2	مجزوء الكامل	قطعه
204	العكوك	4	الرميل	جزعا
456	ابن زيدون	4	استودعك
451	ابو الوليد الباجي	2	متقارب	كساعه

العين المكسورة

337	الحسن اليوسي	6	الطويل	وضيع
506	كثير	1	المطامع
466	قطري بن الفجاءة	4	الوافر	تراعي
527	ابو تمام	2	اجتماع
462	ابن حمام الازدي	1	السريع	الراقع

العين الساكنة

654-653	ابو العتاهية	7	الكامل	فنتفع
470	ابو علي الحداد	3	مجزوء الكامل	القناع

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
حرف الفين				
الفين المضمومة				
207-206	الحسن اليوسي	10	الطويل	لداغ
حرف الفاء				
الفاء المضمومة				
354	2	الطويل	اكشف
354	2	متعرف
493	الفرزدق	1	وقفوا
526	عروة بن الورد	1	اطوف
528	حارثة بن بدر الفداني	1	تحالف
560	1	يرعف
68	2	الوافر	الاف
354	1	الكامل	تعرف
358	بشار بن برد	1	الموكف
654	ابو العتاهية	4	الخفيف	خريف
الفاء المفتوحة				
361	2	البيسط	وفى
الفاء الكسورة				
390	الحريري	2	الطويل	القطائف
461	ابن ابي فتن	4	البيسط	قف
66	الراضي العباسي	3	الكامل	الاشراف
77	ابو العلاء المعري	1	الاشراف
214	الحسن اليوسي	4	الخفيف	لطف
حرف القاف				
القاف المضمومة				
70	ميمون الاعشى	7	الطويل	معشق

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
93	المتنبسي	1	ووامق
165	1	أضيق
370	3	تفرقوا
471	ميمون الاعشى	1	تسيق
368	عمر بن الفارض	2	البيسيط	يتفق
498	زياد الاعجم	1	خلقوا
491	مفضل النكري	4	الوافر	فليق

القاف المفتوحة

368	3	الطويل	رفقا
351	المتنبسي	2	الوافر	وذاقا
295	الجنيد	4	مجزوء الكامل	مخرقه
113	4	مجزوء الرجز	درقه

القاف المكسورة

170	زهير بن ابي سلمى	1	الطويل	فأصدق
215	الحسن اليوسي	2	سابق
478	ابو الاسود الدؤلي	2	البيسيط	منطلق
376	1	الوافر	صديق
475	2	التلاقي
379	مسعر بن كدام	2	الكامل	شفيق
447	ابو القاسم الازرق	4	تخلق
447	الامام الشافعي	6	موفق
479	2	مفارق
607	ابو هفان	2	السريع	الرامق
419	3	المنسرح	مشتاق
204	محمد بن أمية	4	الخفيف	اتفاق
577	عدي بن زيد العبادي	1	الخالق

الصفحة البحر عدد الشاعر القافية
 الأبيات

حرف الكاف

الكاف المضمومة

245 2 البسيط الملك

الكاف المفتوحة

39 ابن الرومي 2 الطويل هنالك

الكاف المكسورة

559 1 السريع مالك

حرف اللام

اللام المضمومة

62	السموال	9	الطويل	جميل
66	زهير بن ابي سلمى	2	قبل
121	1	المنازل
152	ليبيد	1	زائل
161	زهير بن ابي سلمى	1	النخل
166	طرفه	1	لدليل
166	معن بن اوس	1	تقبل
167	كعب بن زهير	1	جاهل
210	ابو العلاء المعري	1	كواهل
339	2	جليل
367	2	جليل
376	2	جاهل
453	ابن السنيدي البطلوسي	3	اهل
454-453	ابن السنيدي البطلوسي	4	حجول
495	زهير بن ابي سلمى	1	سائله
545	المعري	1	اهوال

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
549	2	ينالها
553	2	زوال
583-582	احمد بن عمار	6	من عل
158	القطامي	1	الزلزل
158	القطامي	1	الهبل
164	محمد بن حازم	1	بسدل
353	4	منذهل
478	محمد بن حازم	1	بسدل
656	محمود الوراق	4	المال
197	2	مخلع البسيط	نقول
454	ابو بكر بن عطية	3	الوافر	يسزول
65	عبد الله بن معاوية	2	الكامل	نتكل
429	المتنبي	1	اواهل
432	المتنبي	1	اواهل
432	المتنبي	1	كامل
433	الاحوص	1	موكل
433	الاحوص	1	يفعل
468	مسلم بن الوليد	1	ذليل
556-555	2	تذال
224	ابن المعتز	2	مجزوء الكامل	قاتله
171	صالح بن عبد القدوس	1	الخفيف	فضل
606	1	قليل
606	عبد الله بن المبارك	1	طويل

اللام المفتوحة

569	2	الطويل	النذلا
153	لييد	1	البسيط	سربالا
312-311	5	اجلالا
123	المتنبي	1	سنبلا

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
333	المتنبسي	1	سنبلا
561	1	نحلا
259	1	الوافر	طويلا
351-350	2	بالله
417	3	ذيلا
504	2	الجبالا
196	1	الكامل	عقالها
332	ابو تمام	1	دليلا
501	جرير	1	ورجالا
504	جرير	1	مثقلا
505	جرير	1	الامثالا
348	2	الخفيف	عله
213	محمود الوراق	1	المتقارب	اولا
377	2	مجملا
468	مسلم بن الوليد	1	ينالا
611	الصاحب بن عباد	2	اثقالها

اللام المكسورة

51	النجاشني	1	الطويل	خردل
63	الفسزدق	1	مثلي
74	النجاشني	4	خردل
427	امرؤ القيس	2	المال
427	امرؤ القيس	1	عال
493	امرؤ القيس	2	المال
528	الفسزدق	1	وائل
276	الطغرائسي	1	البيسط	بالبلل
437	ابو العتاهية	1	حال
439	1	الطول
471	مهلهل بن ربيعة	1	الابل

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
354	2	الوافر	وقال
590	3	الرجال
605-604	بشار بن برد	3	الثقال
41	ابو تمام	1	الكامل	منزل
60	حسان بن ثابت	1	المفضل
94	ابو كبير الهذلي	2	مقييل
121	3	المسبل
149	امرؤ القيس	1	الرحل
250	امرؤ القيس	1	جهول
359	2	بالمقبل
462	الاخطل	1	الاعمال
479	ابو دلف	3	مقتلي
484	امرؤ القيس	1	الرحل
489	امرؤ القيس	1	الرحل
495	حسان بن ثابت	1	المقبل
500	عنصرة	1	المنزل
506	عنصرة	1	المآكل
528	1	مجهل
529	1	فارحل
204	العباس بن الاحنف	2	الخفيف	بالسؤال
578	عمر بن ابي ربيعة	1	الذيول

السلام الساكنة

483	ليبس	1	الرميل	بالامل
649-648	عدي بن زيد العبادي	7	الرميل	زوال
614-613	جحظة البرمكي	9	السريع	الحمول
20	الاخطل	2	المتقارب	الجعل

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
حرف الميم				
الميم المضمومة				
31	1	الطويل	سالم
167	سليمان بن المهاجر	1	خيمها
212	2	يلومها
444	عبيد الله بن عبد الله	4	ظلم
558	2	كالم
618	ابو العلاء المعري	1	وأميم
164-163	علقمة بن عبدة	2	البنسيط	مرجوم
534	1	مظلوم
169	زهير بن ابي سلمى	2	الوافر	اروم
169	زهير بن ابي سلمى	1	خيم
556	عبيد بن الابرص	2	الوافر	الظليم
177	ابو الاسود الدؤلي	1	الكامل	لدميم
178	ابو الاسود الدؤلي	1	وخصوم
468	1	كريم
549	1	أدهم
160	حسان بن ثابت	1	الخفيف	النعيم
510	حسان بن ثابت	1	لثيم

الميم المفتوحة

61	حسان	2	الطويل	دما
127	محزر العكلي	2	متيما
156	التممس	1	ليعلما
353	1	وأعظما
377	حاتم الطائي	1	تكرما
459	نهشل بن حري	1	وأسلما
460	أبو دلامة	2	تحطما

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
487	المرقش الاصفر	1	لائما
492	1	المقوما
506	كعب بن مالك	1	معدما
560	2	تكلما
579	2	اعلما
81	محمد بن ناصر	2	البيسيط	قسما
333	4	مخلع البيسيط	يومما
477	2	الوافر	الامما
541	يزيد بن عمرو بن الصعق	1	الطعاما
560	2	كلامما
157	يزيد بن مفرغ	1	مجزوء الكامل	الملامه
611	ابو نواس	2	فسلمما
246-247	الحسن اليوسي	5	السريع	المجرما
364	2	الخفيف	التقدима
599	3	المتقارب	الدمما

اليوم المكسورة

31	الحسن اليوسي	5	الطويل	فسالم
156	زهير بن ابي سلمى	1	يشتم
360	3	والمكارم
482	زهير بن ابي سلمى	1	المتخيم
542	زهير بن ابي سلمى	1	محرم
579	زهير بن ابي سلمى	2	التكلم
159	عمر بن براقه	1	البيسيط	كعزام
248 - 247	9	العلم
485	كعب بن زهير	2	الظلم
503	محمد بن وهب	1	بدم
441	علي بن ابي طالب	7	الوافر	عمسي
552	الهيردان	1	الجذيم
124	جرير	3	الكامل	الارام

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
653	ابو العتاهية	7	الهزج	فاعلم
354	الامام الغزالي	4	السريع	خادمي
608	عبد الله بن خلف	2	الخفيف	الاليم
606	ابو نواس	4	المقارب	الم

حرف النون

النون المضمومة

123	2	الطويل	تكون
165	قيس بن الخطيم	1	قمين
57	ابن الرومي	1	البيسيط	عدنان
75	ابن الرومي	3	شيبان
276	المتنبي	1	السفن
331	3	احزان
469	قعب بن أم صاحب	1	البيسيط	أذنوا
661-656	ابو الفتح البستي	56	خسران
661-660	8	عنوان
353	ابو العلاء المعري	2	مخلع البيسيط	يهون
170	الاخمس بن كعب الجهني	1	الوافر	اليقين
295	3	المقارب	ورهبانها

النون المفتوحة

41	يزيد بن الطثرية	1	الطويل	فتمكنا
211	1	تمكنا
288	ابو مدين الفوث	3	دعنا
350	محمد بن تميم	2	العنا
607	2	كامنة
271	عبد الله بن المبارك	1	البيسيط	لاقوانا
580	2	كانا
581	1	عفانا

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
650	عمرو بن الحارث الجهمي	3	تسرونا
472	عمرو بن كلثوم	1	الوافر	الجاهلينا
588	1	العالمينا
33	1	الكامل	من أنا
130	حميد بن ثور	3	عونا
612	عمر بن الوردى	2	مضمونة
359	منصور الفقيه	2	مجزوء الرمل	ومهانسه
362	ابن لنكك	2	الخفيف	فزعنا
474	ابراهيم بن العباس الصولي	2	المتقارب	عوانا

النون المكسورة

122-121	2	الطويل	غرضان
130	1	واقفان
141	بشار بن برد	1	نخشان
165	امرؤ القيس	1	بخزان
311	ابو نواس	2	يراني
416	ابو نواس	2	يراني
469	ابو مسلمة الكلابي	1	ضنين
561	3	ابوان
562	2	يعتنقان
589	2	يبتدران
5	الحسن اليوسي	10	البسيط	بالوان
106	الحريري	1	الدمس
167	ذو الاصبغ العدواني	1	حين
220	عروة بن اذينة	2	مكنون
368	2	وطن
445	جحظة البرمكي	2	احساني
599	3	الشان

الصفحة	الشاعر	عدد الأبيات	البحر	القافية
75	2	الوافر	سنان
474	2	حين
554	2	ارجوان
378	عميرة بن جابر	1	الكامل	يعنيني
452	محمد بن سماك	6	الالوان
614	ابن الرومي	2	سرطان
655	ابو العتاهية	4	مجزوء الكامل	حين
92	1	الخفيف	اطعمتموني
467	ابن هرمة	1	يبكينني
604	بشار بن برد	3	الميزان

النون الساكنة

648	عدي بن زيد	2	مجزوء الرمل	المجدون
477	محمود الوراق	2	السريع	كفن

حرف الهاء

الهاء المضمومة

467	عدي بن ابي الصلت	2	البسيط	مكروه
-----	------------------	---	--------	-------

الهاء المفتوحة

379-378	5	البسيط	ثانيها
476	ابن الرومي	2	يشجها
500	العباس بن مرداس	1	الوافر	سواها
510	1	هجاها
119	2	الكامل	هواها
428	عنترة	2	مأواها

الهاء المكسورة

473	ابو العتاهية	2	الطويل	عليه
-----	--------------	---	--------	------

الصفحة	الشاعر	عدد الآيات	البحر	القافية
32	عبد الله العياشي	1	البيسيط	يكفيه
24	2	الوافر	اليه

حرف الياء

الياء المضمومة

25	2	الطويل	واديًا
93	2	الثمانية
158	عبد الله بن معاوية	1	المساويًا
299	ذو الرمة	1	باديًا
330	المجنون	1	ابتلانيًا
548	2	راويًا

الياء المكسورة

16-11	الحسن اليوسي	45	الطويل	الحي
-------	--------------	----	--------	------

الياء الساكنة

169	الصلتان العبيدي	1	المتقارب	لا تنقضي
173	عمر بن الفارض	1	الرميل	طي

فهرس أنصاف الأبيات

الصفحة	الشاعر	المصراع	البحر
168	النايفة الذبياني	لمبلغك الواشي اغش واكذب	الطويل
69	المتنبي	وبنفسى فخرت لا يجدودي	الخفيف
299	أبو فراس الحمداني	ومن طلب الحسنة لم يغلهمهر	الطويل
162	الأخطل	والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر	البيسيط
106	إن الطيور على أمثالها تقع	البيسيط
167	سالم بن وابصة	إن التخلق يأتي دونه الخلق	البيسيط
472	امرؤ القيس	وخير ما رمت ما ينال	مخلع البيسيط
301	الأشعث بن قيس	فهلا تلا حاميم قبل التقدم أنا الذي نظر الأعمى الى ادبي	الطويل
432	المتنبي	(صمم) وشبه الشيء منجذب إليه	البيسيط
106	المتنبي	(الطغام) غنني للغريض يا ابن قنان	الوافر
584	بشار	(.....)	الخفيف

فهرس الأرجاز

الصفحة	صاحبه	قافيته عدده	أول الرجز
		حرف الهمزة	
		الهمزة المكسورة	
610	البهاء المهلبى	عنائى 12	وجاهل
		حرف الدال	
		الدال المكسورة	
399	محمد الإسحاقى	بالسعود 2	وإنما
		الدال الساكنة	
295	البلد 2	يا معشر
		حرف الراء	
		الراء المفتوحة	
20	الإمام على	حيدرہ 1	أنا الذى
		حرف العين	
		العين المضمومة	
543	وأربع 3	إن الصلاة ...
		حرف القاف	
		القاف المفتوحة	
113	درقه 4	الناس

حرف اللام

اللام المفتوحة

128	3	مالا	أمرعت
532	دغفل	2	نساله	إن على

اللام المكسورة

550	4	الهوامل	إنا وجدنا
-----	-------	---	---------	-------	-----------

اللام الساكنة

609	8	جمل	يا مبرما
-----	-------	---	-----	-------	----------

حرف الميم

الميم المفتوحة

95	2	عصاما	نفس
----	-------	---	-------	-------	-----

النون المضمومة

583	12	أمان	ثلاثة
-----	-------	----	------	-------	-------

النون المكسورة

37	العراقي	2	الأوطان	وضاعت
----	---------	---	---------	-------	-------

النون الساكنة

243	2	الحزن	ثلاثة
-----	-------	---	-------	-------	-------

حرف الياء

الياء المكسورة

210	2	إنسي	ما مسنى
-----	-------	---	------	-------	---------

فهرس الملحون

يا راسي عيبك بان واللي عيبو فوجهو ما يصيب ينسوا
قالوا علت بن آدم شيطان وانا نقول علت ابن آدم نفسو
قبل لا يزيغ ابليس اش يكون ابليسو

ص 142

العلم شمعا منيرا يتناولسه الاكياس
ما فوق منو دخرا يزول عن القلب الاحساس

ص 135

الى برك الزمان واركبت عليه واللي راد بي المولى تلقاه عراضا
برك لي مركوب ماني ضاري به ما نحسبتش ايامي علي مفتاضا

ص 137

الله الله يا الله الله الله الله يا لطيف
الحسب يهز الرججال لا والله ماني خفيف

ص 288

انا الغريب المتسوح صابسر على كل هانا
الى ننجرح ما نقسول اح في قلب من قطعت انا

ص 134

فهرس الكتب

الصفحة	الكتاب
290 - 95	– الإحياء للغزالي
419	– أذكار الشطبي
424	– الإشارات في التعبير للرازي
84	– الأمثال الحديثية
171	– الأمثال والحكم لليوسي
81	– التسهيل لابن مالك
369 - 104 - 103	– التشوف للتادلي
331 - 212 - 211 - 150 - 140	– الحكم العطائية
220	– حلية المحاضرة للحاتمي
391	– الخلاصة لابن مالك
581 - 580	– دفتر المعلمين للجاحظ
393	– ديوان الشعراء الستة
217	– ديوان اليوسي
192	– سراج المرید لابن العربي المعافري
371	– رسالة القدس لابن عربي الحاتمي
339	– سنن المهتدين للمواق
392	– شرح المرادي على الخلاصة
268	– شمائل الخصوص لعبد الرحمان اللجائي
	– العرف الوردی فی أخبار المهدي للجلال
266	السيوطي
372	– عمدة المرید لزروق
86	– القصيدة الدالية لليوسي

الصفحة	الكتاب
268	- قطب العارفين لعبد الرحمان اللجائي
408	- القواعد لزروق
	- الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف
267	للسيوطي
417	- لطائف المنن لابن عطاء الله
200	- المدخل لابن الحاج
174	- مرآة المحاسن لمحمد العربي الفاسي
390 - 20	- المقامات الحريرية
	- المقصد الأسنى ، في المهدي الاقنى
268	لعبد الرحمان التراي
	- مناهج الخلاص ، من كلمة الإخلاص
227	لليوسي
372	- النصح الأنفع لزروق
337 - 127 - 110	- النوادر للقالبي

فهرس الأمثال

الصفحة	المثل
541	ان الشقي وافد البراجم
533	ان فوق كل طامة طارمة
20	انما سميت هائنا لتنهأ
533	البلاء موكل بالمنطق
10	خير العلم ما حوضر به
7	الدهر حبلى لا يدري ما تلد
390	الشيء بالشيء يذكر
130 - 49	ضعيف عاذ بقرملمة
300	القادر ، يحنث عبد القادر
444	لا بد للمصدور ان ينفث
531	لا حر بوادي عوف
32	ليس بعشك قادر جي
559	نعم كلب في بؤس أهله
100	هذا زمان السكوت ، من قال الحق يموت
257	وقع العشاء به على سرحان
309	يضع الهناء مواضع النقب

مراجع التحقيق

[اثبتنا في هذا الفهرس المصادر التي كثر اعتمادنا عليها في الشروح والتراجم وتخريج الاخبار والأشعار مرتبة على الحروف] .

- (1) أخبار الأذكياء لابن الجوزي بتحقيق محمد مرسي الخولي (مطابع الأهرام 1970 م) .
- (2) أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (طبع المكتب التجاري بيروت .)
- (3) أساس البلاغة للزمخشري (نشر محمد نديم 1953 م) .
- (4) الاستيعاب لابن عبد البر (على هامش الإصابة مطبعة السعادة 1328 هـ) .
- (5) الاشتقاق لابن دريد بتحقيق عبد السلام هارون (مطبعة السنة المحمدية 1958 م) .
- (6) الإصابة لابن حجر (مطبعة السعادة 1328 هـ) .
- (7) الأعلام لخير الدين الزركلي .
- (8) أغاني أبي الفرج الأصفهاني (طبعة دار الكتب المصرية) .
- (9) الاقتضاب ، في شرح أدب الكتاب للبطلوسي (بيروت 1901 م) .
- (10) أمالي القالي (مطبعة السعادة 1953 م) .
- (11) البداية والنهاية لابن كثير (السعادة 1328 هـ) .
- (12) بغية الوعاة للسيوطي (السعادة 1326 هـ) .
- (13) بهجة المجالس لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي بتحقيق محمد مرسي الخولي (طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة) .
- (14) البيان والتبين للجاحظ بتحقيق حسن السندوبي (القاهرة 1949 م) .
- (15) تاج العروس للزبيدي .

- (16) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري .
- (17) تاريخ الخلفاء للسيوطي (الميمنية 1305 هـ) .
- (18) تاريخ محمد بن جرير الطبري .
- (19) التشوف ، الى رجال التصوف ، للتادلي نشر وتحقيق ادولف فور (الرباط 1958 م) .
- (20) التطفيل لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (مطبعة التوفيق دمشق 1346 هـ) .
- (21) التعريفات للشيخ الجرجاني (الخيرية 1306 هـ) .
- (22) التنبيه ، على أوهام أبي علي في أماليه لأبي عبيد البكري (مطبعة السعادة 1954 م) .
- (23) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهرى .
- (24) ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الثعالبي (مطبعة الظاهر بالقاهرة سنة 1908 م) .
- (25) رغبة الأمل ، من كتاب الكامل ، للمرصفي (القاهرة 1917 م) .
- (26) الزاوية الدلائلية ودورها الديني والعلمي والسياسي ل محمد حجي (المطبعة الوطنية بالرباط 1964 م) .
- (27) زهر الآداب للحصري بتحقيق علي البجاوي (الحلبي 1953 م) وأيضا في نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد .
- (28) سمط اللآلي لعبد العزيز الميمني (لجنة التأليف 1936 م) .
- (29) السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق مصطفى السقا والابيارى وشلبى (القاهرة 1955 م) .
- (30) شرح أدب الكاتب للجوالقي (مكتبة القدسي 1350 هـ) .
- (31) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي بتحقيق عبد السلام هارون (لجنة التأليف 1372 هـ) .
- (32) شروح سقط الزند لجنة إحياء آثار أبي العلاء (دار الكتب 1368 هـ) .
- (33) شعراء النصرانية للويس شيخو (بيروت 1890 م) .
- (34) الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق أحمد محمد شاكر (الحلبي 1364 هـ) .
- (35) صفة الصفوة لابن الجوزي بتحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب 1969 - 1975 م) .
- (36) طبقات الشعراء لابن المعتز بتحقيق عبد الستار أحمد فراج (سلسلة الذخائر برقم 20) .

- (37) **طبقات الصوفية** للسلمي بتحقيق نور الدين شريفة (دار الكتاب العربي 1953 م) .
- (38) **الطبقات الكبرى** للشعراني نشرة محمد علي صبيح (مصر) .
- (39) **الطرائف الأدبية للميمني** (لجنة التأليف 1937 م) .
- (40) **العقد الفريد لابن عبد ربه** (لجنة التأليف مصر 1952 - 1956 م) .
- (41) **العمدة لابن رشيقي** بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر 1955 م) .
- (42) **عيون الأخبار لابن قتيبة** (طبعة دار الكتب 1930 وطبعة الهيئة المصرية العامة 1973 م) .
- (43) **الفاثق في غريب الحديث** للزمخشري بتحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي (دار إحياء الكتب العربية 1945 - 1947 م) .
- (44) **الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي** (المطبعة الرحمانية 1927 م) .
- (45) **فوات الوفيات لابن شاكر** بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة 1951 م) .
- (46) **القاموس المحيط** للفروزبادي .
- (47) **كشف الظنون** لحاجي خليفة (مطبعة العالم 1311 هـ) .
- (48) **لسان العرب** لابن منظور .
- (49) **المؤتلف والمختلف** للأمدي بتحقيق أحمد عبد الستار فراج ، مطبعة الحلبي (مصر 1961 م) .
- (50) **مجالس شعلب** بتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف (القاهرة 1948 م) .
- (51) **مجمع الأمثال للميداني** (البهية 1342 هـ) .
- (52) **مروج الذهب** للمسعودي (السعادة 1948 م) .
- (53) **المصباح المنير** للفيومي .
- (54) **معاني الشعر** لاشنانداني (دمشق 1340 هـ) .
- (55) **معجم الأدباء** لياقوت نشره أحمد فريد الرفاعي (القاهرة 1336 - 1338 هـ) .
- (56) **معجم البلدان** لياقوت (السعادة 1323 هـ) .
- (57) **معجم الشعراء** للمرزباني بتحقيق أحمد عبد الستار فراج (القاهرة 1960 م) .
- (58) **معجم المطبوعات** ليوسف اليان سركيس (القاهرة 1928 م) .
- (59) **معجم ما استعجم** للبكري بتحقيق مصطفى السقا (القاهرة 1945 - 1951 م) .

- (60) **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** لونسنك وشركائه (ليدن 1936 - 1969 م) .
- (61) **مفتاح السعادة** لطاش كبري زاده (القاهرة 1968 م) .
- (62) **مقاييس اللغة لابن فارس** بتحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1362 هـ) .
- (63) **نهاية الأرب ، في معرفة انساب العرب** ، للقلقشندي بتحقيق ابراهيم الابياري (القاهرة 1959 م) .
- (64) **النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير** (المطبعة الخيرية مصر 1318 - 1322 هـ) .
- (65) **وفيات الأعيان لابن خلكان** بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مطبعة السعادة بمصر 1948 م) .

مستدركات

[نعتذر للقراء عن هفوات الطبع ونتلافى بعضها في جدول التصويب الآتي]

الصفحة	السطر	بدلا من	اقرا
ج	13	خصوص	خصوصا
ث	9	قراءتها مأمونة	قراءتها قراءة مأمونة
5	1 (الهامش - 1 -)	وشعرا	وثمرا
20	7	نما	إنما
34	19	إذ قال	إذ قد يقال
42	8	وذكره ما بينه	وذكره يتذكر ما بينه
51	4	قَبِيْلَةٌ	قَبِيْلَةٌ
69	14	مَقْلًا	مَقْلًا
75	12 (الهامش 206)	في قول ذلك قائل	في ذلك قول قائل
80	9 (الهامش 227)	حبات	خَبَات
86	12	الخير	الخبر
93	6	ونحو	ونحوه
106	3 (الهامش 7)	القدر	القدر
132	1 (الهامش 26)	الضما	الصمان
132	3 (الهامش 26)	عذبة	عذية
135	7 (الهامش 4)	كلمة الاحساس	فان كلمة الاحساس
137	6	وداي	وادي
137	10	فاني	ماني
147	4	ان يلتفت	الا يلتفت
150	5 (الهامش 4)	لاماته	علاماته
150	10 (الهامش 4)	وقل ربي	وقل رب
152	7	قول لبيد	قول لبيد

(68)	تقبل	(69)	تقبل	6	166
(69)	وغيره	(68)	وغيره	7	166
	تحضر		تحصير	9	193
	حرسها الله - عام		حرسها - عام	4	199
	ففيها		ففيهما	(الهامش 9) 1	205
	وفي ح وحدها		وح وحدها	(الهامش 17) 1	207
	السمع والطاعة		سمع الطاعة	(الهامش 26) 5	210
	الشاذلي		شاذلي	(الهامش 33) 2	211
	وأخذ عنه		وأخذ عن	(الهامش 33) 3	211
	أخذه أولم		أخذه ولم	(الهامش 11) 1	216
	ألوان البهائم		السان البهائم	(الهامش 21) 2	241
	هو شيء		هو نسيء	(الهامش 21 م) 6	241
	الفارسي		الفاسي	6	269
	لامية العجم		لامية العرب	(الهامش 14) 1	276
	تغيبت		تعيبت	2	300
	ولا أدري		لا أدري	7	335
	تفشى		نفشى	13	365
	صفرا		صفر	7	368
	للمعتصم		للمعصم	(الهامش 64) 2	372
	الرياضات		الرياضيات	(الهامش 41) 3	423
	الرجل		الرجل	3	426
	جمع أقرم		جمع قمر	(الهامش 75) 2	430
	بي في حبك		بي حبك	1	457
	الآثار		الآثار	(الهامش 43) 2	558
	المفلوكون		المفلكون	(الهامش 27) 3	607
	الصحابي		الصحابة	(الهامش 39) 1	610
	مطيع		مطبوع	(الهامش 40) 1	610
	أهون مما		أهون ما	14	622
	وأشد ممّا		وأشد ما	14	622
	في الشدة		بالشدة	2	625
	كمال العلم		كمال الحلم	19	637
	هذان البيتان		هذا البيتان	(الهامش 20) 8	656

